

مَجَلَّةُ
الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ
مَرْكَزُ تَحْقِيقِ كَلِمَاتِ عِلْمِ دِمَشْقِ



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٨ م

٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

نصدر أربعة أجزاء في السنة

مركز تحقيق المخطوطات العربية

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
وفي مائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري

تدفع مقدماً

جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام

تأليف أمين الدين أبي الغنائم مسلم بن محمود الشيزري

صاحب هذا الكتاب من المؤلفين الأدباء عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع في دولة الأيوبيين ، واتصل بأحد ملوكهم الملك المسعود صاحب اليمن .

والمؤلف هو أمين الدين أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري ، ذكره ابن خلكان (في ترجمة طفتكين بن أيوب ١ / ٢٩٨) فقال : « كان أديباً شاعراً وكان موجوداً سنة ٦١٧ وتوفي في هذه السنة أو بعدها ، وكان أبوه أبو الثناء محمود نحوباً متصديراً بجامع دمشق لإقراء النحو وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير ، والعماد الكاتب في كتاب الخريدة وقال توفي بعد سنة ٥٦٥ وكان جده أرسلان مملوك ابن منقذ صاحب شيزر » والصحيح أنه عاش الى ما بعد سنة ٦٢٢ بدل على ذلك أرجوزة له في التاريخ ذكر فيها حوادث العالم من خلق آدم الى سنة ٦٢٢ والأرجوزة موجودة في جمهرة الإسلام . وقد ورد في مقدمة الكتاب أنه ألفه لخزانة صاحب اليمن الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٦ .

وكان المؤلف صار من خاصة الملك المسعود فلقد ترك دمشق وسكن اليمن وأكثر من مدح الملك المسعود ، وقصائده في هذا الشأن مع قصائد ابنه أحمد موجودة في الجمهرة .

وكتاب الجهرة في جزءين عدد صفحاته ٥٢٦ صفحة في كل صفحة ٢٩ سطراً ، وقد جمعه ستة عشر كتاباً تشتمل على مختارات من النظم والنثر ، وفي كل كتاب عشرة أبواب خمسة منها للنظم وخمسة للنثر ، فالجميع مائة وستون باباً نصفها نظم ونصفها نثر . وفي آخر كل كتاب قصيدة للمؤلف وأخرى لابنه أحمد في مدح الملك المسعود . ولم يجتز في هذه المجموعة الضخمة شيئاً من شعر الجاهليين ولا من نثرهم ولذلك سماها جمهرة الاسلام .

من هذا الكتاب نسخة مصورة في المجمع العلمي العربي عن نسخة مخطوطة في جامعة ليدن رقم ٤٨٠ تاريخ نسخها سنة ٦٩٧ . وفي هذه المجموعة نصوص من الأدب العالي شمرأ ونثراً لا تكاد توجد تامة في غيرها من المظان ؛ من ذلك قصيدة منصور النعمري التي أولها :

ما تنفضي حسرةً مني ولا جزعُ إذا ذكرت شباباً ليس يوتجحُ
وقصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي التي أولها :

فما أم سقبر أودعته قرارةً من الأرض واناسحت لترعى وتهجما
وقد حققنا هذه القصيدة ونشرناها في هذه المجلة م ٣٢ ص ٥٦٣
والقصيدة الرصافية لعلي بن الجهم أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن المهوى من حيث أدري ولا أدري
وقد حققناها ونشرناها مع تكملة ديوان علي بن الجهم .

ومن ذلك رسائل نادرة ليعقوب بن اسحق الكندي ، وابن فنيبة ، ومحمد بن زكريا الرازي ، وأبي العلاء المعري ، والشريف الرضي وغيرهم . وهاك بياناً بما اشتملت عليه هذه المجموعة من الكتب والأبواب :

الكتاب الأول في المدح ، الكتاب الثاني في الغزل ، الكتاب الثالث في الافتخار ، الكتاب الرابع في الرثاء ، الكتاب الخامس في الهجاء ، الكتاب السادس في الزهد ، الكتاب السابع في العتاب ، الكتاب الثامن في الجون ،

الكتاب التاسع في الأراجيز ، الكتاب العاشر في الشكوى ، الكتاب الحادي عشر في التهنيت ، الكتاب الثاني عشر في المثلث ، الكتاب الثالث عشر في الأوصاف ، الكتاب الرابع عشر في الاعتذار ، الكتاب الخامس عشر في الخمس والموشح ، الكتاب السادس عشر في الجواب والخطاب •

الكتاب الأول في المدح عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر •

الباب الأول : قصيدة الأعشى ميمون في مدح النبي عليه السلام وأولها :

ألم تفتح عينك ليلة أرمدا وبث كما بات السليم مسهدا

الباب الثاني : أخبار نبوية وبشائر ابن اسمه أحمد أو محمد أو عبد الله •

الباب الثالث : قصيدة الأخطل في عبد الملك بن مروان وأولها :

خَفَّ القُطَيْنُ فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نووى في صرفها غير

الباب الرابع : رسالة للقاضي الفاضل في أخذ أسطول الأفرنج بأسطول

الملك العادل سنة ٥٨٨ •

الباب الخامس : قصيدة الحصكفي في أهل البيت وأولها :

أفوت مغانيهم فأقوى الجَلْدُ ربهان كل بعد سكنى فدقد

الباب السادس : عبد الله بن عباس يصف الخلفاء الراشدين وأباه العباس في

مجلس معاوية على سبيل الإجابة •

الباب السابع : قصيدة ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير وأولها :

أفوت بعد عبد شمس كذاه فكذيت فالركن فالبطحاء

الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في فتح القدس •

الباب التاسع : قصيدة منصور النحري في هرون الرشيد وأولها :

ما تنفسي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شبابا ليس يرتجم

وهذه القصيدة على طولها من أجود الشعر ، ولم أجدها كاملة إلا في هذه المجموعة •

الباب العاشر : أبيات لصاحب المجموعة في الملك الكامل تقرأ على عدة وجوه .

الكتاب الثاني في الغزل عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة عمر بن أبي ربيعة المخزومي التي أولها :

أمن آل نعم أنت غادر مبكر غداة غدر أم رائح فهجِرْ

الباب الثاني : خبر الفتي العذري وعمر بن أبي ربيعة المخزومي .

الباب الثالث : قصيدة العكوك الكندي التي أولها :

هل بالطلول لائل رد أم لها بتكلم عهد

الباب الرابع : يوم في دير صران لأبي الفرج البغواء .

الباب الخامس : قصيدة لذي الرمة في صاحبه مي وأولها :

ألا أيها المنزل الدارس أسلم وأسقيت صوب الباكر المنعيم

وتلي هذه القصيدة قصيدة أخرى له أولها :

ألربعم ظلمت عينك الماء تهمل رشاشاً كما استن الجمان المفصل

الباب السادس : حديث وصفى بنت أبي سلمة المهلبية والفتي القرشي .

الباب السابع : قصيدة مسلم بن الوليد الأنصاري (صريع الغواني) التي أولها :

وساحرة العينين لا تعرف السحرا تواصلني سرّاً وتقتلني جهراً

الباب الثامن : في أخبار مسلم بن الوليد مع هرون الرشيد في هذا الغزل .

الباب التاسع : قصيدة لدبك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصي أولها :

سها م لحاظه من قسي الحواجب نظمن الأمل في القلب من كل جانب

الباب العاشر : في ذكر القاضي يحيى بن أكرم .

الكتاب الثالث في الافتخار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة في الفخر للملك المعز اسمعيل بن الملك العزيز سيف الإسلام

طفتكين الأيوبي صاحب اليمن وفيها يدعي أن بني أبوب أموبون والقصيدة

طويلة يذكر فيها مناقب بني أبوب وبني أمية .

- الباب الثاني : في كسر أسطول الروم على الاسكندرية .
- الباب الثالث : في الافتخار بالحرمين .
- الباب الرابع : فصول لابن أبي الشخباء ^(١) .
- الباب الخامس : قصيدة أبي فراس الحمداني التي أولها :
أراك عصي الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ
- الباب السادس : رسالة بفتح طبرية .
- الباب السابع : قصيدة لعلاوي البصرة صاحب الزنج أولها :
رأيت المقام على الاقتصاد فتوَعَّا به ذلَّةً في العباد
- الباب الثامن : حديث علاوي البصرة .
- الباب التاسع : قصيدتان لمحمود بن نعمة الشيزري والد صاحب المجموعة .
- الباب العاشر : سجع عن الملك العادل بولاية قوص وأسوان .
- الكتاب الرابع في الرثاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
- الباب الأول : قصيدة دعبل الخزاعي في رثاء آل البيت وأولها :
مدارس آياتٍ خلَّتْ من ثلاثٍ ومنزلٍ وحيرٍ مقفر العرصات
- الباب الثاني : جواب تمزية بأسد الدين شيركوه .
- الباب الثالث : قصيدة لابن الرومي يرثي فيها قتلى أهل البصرة في ثورة علاوي
البصرة صاحب الزنج أولها :
- ذاد عن مقلتي لذبذ المنام شغلها عنه بالدموع السجام
- الباب الرابع : رسالة الشريف الرضي إلى أبي القاسم سليمان بن أحمد .
- الباب الخامس : قصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في رثاء أخيه
سعيد وأولها :

(١) المذكور في كتب التراجم ابن الشخباء وهو الحسن بن عبد الصمد بن الشخباء ويقال له الشيخ المجيد ، منشي له خطب ورسائل جيدة وله نظم . أصله من عسقلان وتوفي بالقاهرة سنة ٤٨٢ (الأعلام للزركلي) .

فما أم سقبر أودعته قرارة من الأرض والسموات لترعى وتهيجها
الباب السادس : رسالة لأبي اسحق الصابي يعزي أبا الفتح بن العميد
عن أبيه أبي الفضل .

الباب السابع : قصيدة الشريف الرضي في رثاء أبي اسحق الصابي وأولها :
أعلمت من حملوا على الأعواد رأيت كيف خبا ضياء النادي
الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء في ولد كافي الكفاة وقد مات غريقاً .
الباب التاسع : قصيدة الرقاشي في رثاء البرامكة وأولها :

لا يفرح " بعيشة متنع كل السرور بأهله ينصرم
الباب العاشر : جواب تعزية بولد شمس الدولة توران شاه بن أيوب .
الكتاب الخامس في الهجاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
الباب الأول : قصيدة لجريز يهجو الفرزدق أولها :

لاخير في مستعجلات الملام ولا في خليل وصله غير دائم
الباب الثاني : سجل القاضي الفاضل إلى هاشم بن محمد اللواتي .

الباب الثالث : قصيدة للفرزدق يهجو بني جعفر أولها :
عرفت بأعلى رانس الفأو بعدما مضت سنة أيامها وشهورها
الباب الرابع : رسالة لابن أبي الشخباء في بعض الكتاب .

الباب الخامس : قصيدة لابن حجاج في رجل كبست زوجته مع ابنه أولها :
أوضح الحق منهج البرهان ومحا السر شائع الاعلان
الباب السادس : فصول لشمس المعالي قابوس بن وشمكير .

الباب السابع : قصيدة في الهجاء لابن واسانة أولها :
ويلك يا وجه الخشب يا جرداً بلا ذنب
الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء .

الباب التاسع : قصيدة لابن منير الطرابلسي كتبها الى الرئيس عفيف الدين المستوفي بجلاب وهو مريض في حماة وقد اتصل به أنه نعي بجلاب ودخلت الحشرية داره وأنبتوا ما فيها وختموا عليها ، ويعرض ببعض اليهود أولها :

يا عفيف الدين الذي بده صر ف به أمتكف صرف الزمان

الباب العاشر : رسالة علي بن وشاح في ذم محمد بن جعفر الجعري .

الكتاب السادس : في الزهد عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدتان في الزهد لمحمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي

ومطلع الأولى :

استغفر الله من تركي وإخلالي وهفوة خطرت مني على بالي

ومطلع الثانية :

استغفر الله العظيم وعذ به من شر غاير في الخصام مناس

الباب الثاني : خطبة واصل بن عطاء في مجلس عمر بن عبد العزيز وقد

تجنب فيها حرف الراء .

الباب الثالث : قصيدتان لأبي العتاهية مطلع الأولى :

لله عاقبة الأمور طوبى لمعتبر ذكور

ومطلع الثانية :

خليلي إن الهم قد يتفرج ومن كان ينبغي الحق فالحق أبلغ

الباب الرابع : خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأولها :

الحمد لله فاطر الخلق وفالق الأصباح .

الباب الخامس : قصيدة لعلي بن هشام أولها :

بيننا الثنى في الأرض فوق الثرى أصبح في الملاحود تحت الثرى

الباب السادس : منام حمزة بن حبيب الزيات .

الباب السابع : قصيدة لأبي جعفر النجار أولها :

شبابٌ كلامُهم يوقرُ رَحْلُهم وشيبٌ كمثل غريمٍ تَزَلُّ

الباب الثامن : الخطبة الرملية للمؤلف .

الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن ابراهيم الكيراني في الزهد أولها :

شكرو الله له مزبدةٌ لك فأشكرُ وانظر إلى أطفاه وتدبرُ

الباب العاشر : حديث الباجي في الزهد .

الكتاب السابع في العتاب عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لأبي العلاء المعري يعاتب خاله علي بن محمد بن

سبيكة أولها :

تفديك النفوس ولا تفادا فأدنِ أُوصلِ أو أطلِ البعادا

الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشغباء في العتاب .

الباب الثالث : قصيدة لمبار الدبلي أولها :

أروم الوفاء الصعب بالمطلب السهل وأرتاد جود الحب في منبت البخل

الباب الرابع : رسالة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير يعاتب خاله .

الباب الخامس : قصيدة لأبي الطيب المتنبي أولها :

حتامَ نحن نساري النجم في الظلم وما مرأه علي خفَ ولا قدَمَ

الباب السادس : رسالة للصابي يعاتب علي ابن الأنباري .

الباب السابع : قصيدة لأبي بكر محمد (بن عيسى) المعروف بابن اللبانة

(الأندلسي) في العتاب أولها :

ضحك الربيع بحيث تبكي الأربعُ لما بكى للغيث فيها مدمعُ

الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في العتاب .

الباب التاسع : قصيدتان في العتاب للحسين بن علي بن محمد القمي .

الباب العاشر : رسالة للصابي يعاتب الخالديين .

الكتاب الثامن في المجون والدعابة عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة للصنوبري أولها :

شربنا في بعاذين^(١) على تلك الميادين .

الباب الثاني : رسالة مهنئة بمولود لقابوس بن وشمكير على سبيل المجون .

الباب الثالث : قصيدة في المجون لمحمد بن المجلي بن الصائغ الطبيب يذكر

فيها أحوال الشبيبة والشيخوخة أولها :

ألم المشيب فأجلى أمما وأضحت حبال هواها رما

الباب الرابع : رسالة في المجون والدعابة للقاضي الفاضل .

الباب الخامس : أرجوزة في المجون لأبي محمد الحسن بن وكيع النيسبي أولها :

يا سائلي عن أطيب الدهور وقعت في ذاك على الخير

الباب السادس : حديث القدور وشهادة الحمير وأخبار حسات :

الباب السابع : مقصورة أبي الحكم الحكيم التي قالها في جماعة من شعراء

دمشق أولها :

هاج الهوى يوم النوى جمر الجوى فالقلب موقوف على جمر الغضا

الباب الثامن : علي بن الجنيد الإسكافي وما جرى له مع المعتصم .

الباب التاسع : قصيدتان في المجون لأبي الرعمق مطلع الأولى :

عاذل كم فيه تعذليني وكم إلى كم تؤنبيني

ومطلع الثانية :

عذ عن قال وفيلر وصعود وتزول

الباب العاشر : رسالة كتبها العتيبي إلى صديق له قاصر بكتبه وكان لها

خطر فقهر .

(١) باذين قرية من قرى حلب .

الكتاب التاسع في الأراجيز عشرة أبواب .
الباب الأول : أرجوزة في نظائر^(١) القرآن لأبي جعفر بن أحمد السراج
القاري أولها :

الحمد لله على ما ألهما من حمده فما يزال منعما

الباب الثاني : رسالة الخط والقلم لابن قتيبة .

الباب الثالث : أرجوزة في الفرائض .

الباب الرابع : رسالة أفلاطون في وصف النساء ترجمة محمد بن زكريا الرازي .

الباب الخامس : أرجوزة للمؤلف في التاريخ من آدم إلى زمان الخليفة الناصر
سنة ٦٢٢ أولها :

الحمد لله القديم الأول بلا ابتداء والآخر الأزل

الباب السادس : رسالة بمقوب بن اسحق الكندي إلى بعض الخلفاء في
جواهر السيوف .

الباب السابع : ملحمة الرئيس أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري في النخوة أولها :

أقول من بعد افتتاح القول بحمد ذي الطول الشديد الحول

الباب الثامن : في منافع الخواص من تصانيف الحكماء وأقوال العلماء وهي

في خواص الحيوان والأشجار والأشجار والصمغ والعزائم .

الباب التاسع : أرجوزة عبد الله بن ربيعة المعروف بالعجاج أولها :

قد جبر الدين الإله فجبر وعور الرحمن من ولي العور

الباب العاشر : كتاب الباء ومنافعه ومضاره ومداواته لمحمد بن زكريا الرازي .

الكتاب العاشر في الشكوى عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة كتبها من الحبس عبد الملك بن إدريس الأندلسي

إلى ولده أولها :

(١) المراد بنظائر القرآن السور المتفقة في عدد الآيات .

- ألوى بعزم تجلدي ونصبري نأي الأحبة واعتباد تذكري
 الباب الثاني : رسالة للقاضي الفاضل بعث بها إلى الديوان الإمامي الناصري .
 الباب الثالث : قصيدة للسري الرفاء كتبها إلى أبي اسحق الصابي يشكو
 مرفقة الخالدين لشعره وبذكر إغارتها عليه ويحذره منها أولها :
 قد أظلمت يا أبا إسحاق غارة الشعر والمعاني الدفاق
 الباب الرابع : رسالة لنشوان (الحميري) يشكو ضياع دقاته .
 الباب الخامس : قصيدة للسلمي يشكو حاله وسقطته في سكره أولها :
 محاسن غشت ناظري من تعتبا وفضل نهاني وصفه أن أشبها
 الباب السادس : رسالة القاضي الفاضل إلى سيف الإسلام .
 الباب السابع : قصيدة لأبي اسحق الصابي يشكو زمانة لحقته وزمانه وعجزه
 وضعفه وحاجته إلى الجلوس في محفة إذا أراد التصرف في حوائجه أولها :
 إذا ماتعدت بي وسارت محفة لها أرجل يسى بها رجلان
 الباب الثامن : خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند مسيره إلى الشام
 أولها : أيها الناس إن الله فرض الجهاد وعظمه
 الباب التاسع : قصيدة لعبارة اليعني في الشكوى كتبها إلى صلاح الدين
 الأيوبي أولها :
 أيا أذن الأيام إن قلت فانسعي انفضة مصدور وأنة موجه
 الباب العاشر : حديث مزنة امرأة مروان بن محمد مع الخيزران أم موسى
 الهادي وهرون الرشيد .
 الكتاب الحادي عشر : في التمهاني عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
 الباب الأول : قصيدة لمحمد بن سلطان بن حيوس يمدح ناصر الدولة
 وهنيئيه ببولود أولها :

صل عن فضائلك الزمان ليخبرا فنظير ملكك ما رآه ولا يرى
 الباب الثاني : رسالة القاضي الفاضل الى الامام المستضيء بهنيه بفتح مصر .
 الباب الثالث : قصيدة لآحمد بن محمد الخياط الدهشقي يمدح نحر الملك بن عمّار
 وبهنيه بالعيد أولها :

أعطى الشباب من الآراب ما طلبا وراح يخنال في ثوبي هوى وصبا
 الباب الرابع : رسالة ابن أبي الشخباء الى أمير الجيوش بهنيه بكسر
 أطر بن أوق .

الباب الخامس : قصيدة لأبي علي ابرون بن مهرد ؟ العامي يمدح مؤيد
 السلطان بن مكرم وبهنيه بظفره على عدوه بالمهرجان سنة ٤٠٢ أولها :
 حسامك ماضٍ والمملوك تجانبه وجدك عالٍ والسعود تناسبه .
 الباب السادس : رسالة الشريف الرضي الى الوزير سابور بن أردشير بهنيه
 بعودة الوزارة إليه .

الباب السابع : قصيدة لأبي القاسم محمد بن هاني (الأندلسي) المعروف
 بابن المغربي يمدح بها جعفر بن علي وبهنيه بأخذ قلعة كتامة أولها :
 بلى هذه تيماء والأبلى الفردُ فسل أجاث الأسد ما فعل الأسدُ
 الباب الثامن : رسالة للصاحب بن عباد .
 الباب التاسع : قصيدة لابن أبي الشخباء .
 الباب العاشر : خبر عمرو بن مسعدة وحائك الكلام .

الكتاب الثاني عشر في المثلث عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
 (والمراد بالمثلث هنا القصيدة أو الرسالة المشتملة على ثلاثة أغراض)
 الباب الأول : قصيدة للبعيث يتغزل فيها ويفنخر ويهجو أولها :
 أهاج عليك الشوقَ أطلالُ دمنةٍ بتأصفاً للجوين أو جانب المهجلـ

الباب الثاني: رسالة للقااضي الفاضل كتبها عن صلاح الدين الى الخليفة المستنفي .

الباب الثالث : قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جليلن الهوى من حيث أدري ولا أدري

الباب الرابع : في ذكر أبي الفضل أحمد بن الحسين الممذاني (بديع الزمان)

وفصول من رسائله .

الباب الخامس : قصيدة لبكر بن النطاح يتغزل ويفتخر ويمدح بها أبا دلف

العجلي أولها :

وليلة جمع لم آيت ناصياً لها وحين أفاض الناس من عرفات

الباب السادس : خطبتان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الباب السابع : قصيدة للشماخ واسمه معقل بن ضرار أولها :

عفا بطن قوّر من سليمي فعالز فذات الغضى فالمشرفات النواشر

الباب الثامن : رسائل لأبي العلاء المعري .

الباب التاسع : قصيدة لعلي بن جبلة (العكوك) يمدح أبا دلف أولها :

ذاد ورد الغي عن صدره وارعوى والاهو من وطره

الباب العاشر : رسالة لأبي سهل الطوسي في ذكر الأمير أبي الفضل عبد الله

ابن أحمد الميكالي وإيراد محاسن من نظمه ونثره .

الكتاب الثالث عشر في الأوصاف عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة أبي نواس الحسن بن هاني يمدح الخصيب بن عبد الحميد

ويصف الطريق أولها :

أجارة يبتئنا أبوك غيور وميسور ما يرجي لديك عسير

الباب الثاني : رسالة لشمس المالقي قابوس بن وشمكير كتبها الى بعض

الكتاب وكان قد أهدى إليه دواة جعل داخلها قلماً وسكيناً ومقطاً .

الباب الثالث : قصيدة لخلف بن حبان المازني في وصف الفرس أولها :

نأت دارُ سلمي فشط المزار فعيناك ما تطعمان الكرى

الباب الرابع : ولابة الحجاج على العراق .

الباب الخامس : قصيدة لأبي طالب المأموني يصف داراً بناها بعض الوزراء أولها :

قد وجدنا خطي الكلام فساها وجعلنا النسب منك امتداحا

الباب السادس : وصف الأسد لأبي زيد الطائي .

الباب السابع : قصيدة للحيص ييص في الأوصاف منها هذا البيت في إصابة المرمى :

كأن مرماه مغناطيس أنصه ففيه قبل انتحاء القصد تسديد

الباب الثامن : في وصف العشق .

الباب التاسع : قصيدة في وصف الأسد للبحري أولها :

أجدك ما بنفك يسري لزنبنا خيال إذا آب الظلام تأوبا

الباب العاشر : رسالة للقاضي الفاضل في الأوصاف .

الكتاب الرابع عشر في الاعتذار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لأبي تمام الطائي يمدح بها أبا المغيث ابراهيم أمير دمشق

ويعتذر إليه من هجو بلفه عنه أولها :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي وحتت كما حثت وشائع من يرور

الباب الثاني : رسالة شمس المعالي قابوس بن وشمكير الى الشريف حمزة

ابن قاسم العلوي يعتذر عن كسرة كسرَها في بعض بلاد العجم .

الباب الثالث : قصيدة لهررد يعتذر عن تأخر الزيارة .

قد آت للماطل أن يقتضى وأن يعافي الحب من أمراضا

الباب الرابع : أبو العلاء المعري يعتذر الى أبي نصر الفلاحى أيام وزارته

يجلب لما استدعاه صاحبها عزيز الدولة ليجعل له دار علم .

الباب الخامس : قصيدة في الاعتذار لسعيد أحد الخالدين أولها :
 نيل المطالب بالهندبة البتر لا بالأمانى والتأميل والقدر
 الباب السادس : رسالة لابن أبي الشخياء يعتذر إلى وزير بلغه أنه هجاه .
 الباب السابع : قصيدة لأسامة بن مرشد يعتذر إلى ابن عمه صاحب قلعة
 شيزر عن قول بلغه عنه أولها :

أطاع ما قاله الواشي وما هرفا فعاد ينكر منا كل ماعرفا
 الباب الثامن : رسالة القاضى الفاضل الى عبد المؤمن صاحب المغرب .
 الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن نصر القيسراني يمدح الوزير جمال الدين
 أبا الرضا محمد بن صدقة ويعتذر إليه أولها :

لو كان شرك للوشاة معرّضا لم أغض من دمعي على جر الغضا
 الباب العاشر : رسالة من الملك بهاء الدولة بن بويه إلى الشريف الرضي .
 الكتاب الخامس عشر في الخمسات عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
 الباب الأول : قصيدة لابن الهبارية أولها :

سحيّ على خير العمل على الغزال والغزل
 على العذار والكفل على العناق والقابل
 على رياض قطربل

فإنها جنات ما مثلها مكان
 الروح والريحان والخور والولدان
 والوقت فيها معتدل

الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشخياء مبنية على حروف غير مهيجة .
 الباب الثالث : قصيدة لمييار الديلمي خمسها مؤيد الدولة (أسامة) بن منقذ أولها :
 أساتقها للبين وهي عجول تأن فما هذا المسير فقول
 م (٢)

الباب الرابع : رسالة لأبي اسحق الصابي بتحويل ميلاد عضد الدولة .

الباب الخامس : موشح لتاج الدين عثمان البلطي أوله :

ويلاء من رواء يجوره بقضي

الباب السادس : رسالة للقاضي الفاضل بولاية الشرقية عن الملك العادل .

الباب السابع : تخميس قصيدة فيس بن ذريح التي أولها :

سقى ظلل الدار التي أنتم بها حنائم وبلد صيف وريح

الباب الثامن : فصول لأبي العلاء المري .

الباب التاسع : قصيدة مخمسة على حروف المعجم لمحمد بن ابراهيم الكيزاني أولها :

عزّ الدواء وأحّ الداء أما لأحكام الموى انتهاء

أصبحت فيما حكم القضاء قضيت قضيت عمياء

يارب غفران

الباب العاشر : فصول للشريف الرضي .

الكتاب السادس عشر في الخطاب والجواب عشرة أبواب خمسة نظم

في كل باب منها قصيدتان وخمسة نثر في كل باب منها رسالتان .

الباب الأول : قصيدة لأحمد بن عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي بعث بها

الى صاحب بن عباد يشكو إليه علو السن والنقرس أولها :

إلى الله أشكو ضئي شفتي وكم قبله من صبي قد شغاني

فكتب إليه صاحب مجيباً بقصيدة أولها :

عناني من الهم ما قد عناني فأعطيت صرف الليالي عناني

الباب الثاني : رسالة للشريف الرضي بعث بها إلي القاسم عبد العزيز بن

يوسف وجوابها :

الباب الثالث : قصيدة لابن الهبارية كتبها الى الرئيس البارعي أبي عبد الله

ابن الدباس أولها :

يابن ودي وأين مني ابن ودي أخلفت ظرفه الرياسة بعدي
فأجابه البارع بقصيدة أولها :

وصات رقعة الشرف أبي بعلى فقامت مقام لقياء عندي
الباب الرابع : رسالة للصاي كتبها عن الوزير محمد بن بقية إلى القاضي
أبي بكر ابن قريمة يعزبه عن ثور نفق فأظهر عليه الجزع وجلس للعزاء على
سبيل الهزاء ، وجواب القاضي ابن قريمة :

الباب الخامس : قصيدة لأبي أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي كتبها
إلى القاضي التنوخي أولها :

شوقي إلى القاضي المنيف بمجده شوق يفوت الوصف أيسر حده
فأجابه القاضي التنوخي بقصيدة أولها :

نفسى فدائك والورى من بعده جردت سيف صبايتى من غمده
الباب السادس : رسالة كتبها قابوس بن وشمكير إلى الصاحب بن عباد
وجواب الصاحب .

الباب السابع : قصيدة كتبها أبو القاسم بن الطحان إلى أبي عبد الله محمد
ابن ابراهيم الكيزاني أولها :

أيها العالم الذي فاق سيف العالم على زعمه شيوخ الزمان
فأجاب الكيزاني بقصيدة أولها :

من عذيري من الغوي الماني منكر الحق جاحد الفرقان
الباب الثامن : رسالة للصاي كتبها إلى الوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبى
وقد توجه إلى عمات وجوابها .

الباب التاسع : قصيدة كتبها أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي إلى
الصاحب بن عباد أولها :

إذا الغيوم ارجعن باشقها وحف أرجاءها بوارقها
فأجابه صاحب بقصيدة أولها :

بدت عذارى مدت مرادقها وأقسم الحسن لا يفارقها
الباب العاشر : خطاب من داعي الدعوة أبي نصر هبة الله إلى أبي العلاء
المعري وجوابه .

* * *

وقد ورد في آخر الجزء الثاني مانسخته :

«تم كتاب جمهرة الاسلام

ذات النثر والنظام بحمد الله وعونه

تأليف مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري

وكان الفراغ من نسخه في نهار السبت الثالث والعشرين من شوال

من شهور سنة سبع وتسعين وستائة للهجرة الطاهرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم»

* * *

والكتاب على حسن خطه فيه كثير من التصحيف والغلط يحتاج تحقيق

نصوصه الى جهد ودقة وروية .

فليل مردم بك

مصطلحات الاجتماعيات النباتية

كان في الدولة السورية ، في سنوات الانتداب الأخيرة ، مستشار في وزارة الزراعة اسمه دابلس Delbes انتقل بعد جلاء الفرنسيين عن ديار الشام الى إحدى مؤسسات الأمم المتحدة . وكان رحمه الله ذا اطلاع واسع على علم النبات ، وكان عنده معشبة أي مجموعة من النبات كبيرة جمعها من أقطار الشرق الأدنى ، ولا سيما من الشام .

وفي أحد الأيام زارني وأهدى إلي رسالة بالفرنسية نُسخَت على الآلة الكاتبة ، واشتملت على جملة من مصطلحات علم الاجتماع النباتي معرفة تعريفاً علمياً موجزاً ، ومرتببة على حروف المعجم . وقد أطلق عليها اسم : معجم صغير للأمم ألفاظ الاجتماعيات النباتية :

Vocabulaire des principaux termes de Sociologie Végétale « Phytosociologie »

وبغلب على ظني أن المشار اليه هو الذي ألف هذه الرسالة أو هذا المعجم الصغير لمؤسسة الأمم المتحدة التي كان يعمل فيها مستشاراً أو خبيراً . وكنتُ أنعمتُ النظر في هذه الألفاظ وفي تعريفاتها ، ونقلتها الى العربية ، وصمّمتُ الطبعة الثانية من « معجم الألفاظ الزراعية » عدداً منها ^(١) . وقد رأت لجنة مجلة مجتمعنا فائدة في نشرها كلها أو في نشر جلها في المجلة لكي يطلع عليها أساتذة النبات في جامعات الأقطار العربية وفي مدارسها الزراعية العالية .

(١) ورد أيضاً ذكر لبعضها في مقالي الذي عنوانه « مجلة من المصطلحات النباتية » والمنشور في المجلد السادس والعشرين (سنة ١٩٥١) من هذه المجلة .

ومن المعلوم أن الألفاظ العربية الموضوعة هي الراجعة في نظري ، ولكنها لا تُعتبر ألفاظاً قد استقر الرأي عليها نهائياً ، فربما أدى فرط النقصي الى أن نبدل ببعضها ما هو أصح منه .

ولقد حاولت عدم التصرف في التعريفات إلا قليلاً . ومن الواضح أن تعريف مثل هذه الألفاظ العلمية يختلف في الطول والقصر والتركيز والتمثيل . وقد جاءت التعريفات في هذه الرسالة مركزة ومقتضبة لأنها وُضعت لاساندة النبات لا لجمهرة القراء :

Abundance وفرة . غزارة . — تقدير العدد النسبي لأفراد كل نوع نباتي بالنسبة الى جميع الأفراد التي تشتمل عليها مجموعة من النبات .
Acaule لاساقى . — نبات ليس له ساق ظاهرة ، أو له ساق صغيرة جداً حتى لكان الأوراق قد وُلدت من الجذر .

Accessoires « Plantes » نباتات تابعة أو ثانوية . — النباتات التي لا يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة .
(من ألفاظ الأطراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

Accidentelles « Plantes » نباتات طارئة . — النباتات التي يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة .
(من ألفاظ الأطراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

Alliance رابطة . — وحدة عالية في الاجتماعيات النباتية ، وهي جملة المجموعات النباتية التي لها تركيب نباتي متماثل ، وفيها عدد من الأنواع النباتية المشتركة .

Anémophiles « Plantes » نباتات رَيحِيَّة التلقيح أو الإلقاح . — النباتات التي تنثر الریحُ حبوبَ لقاحها فتلقح البَيضة « البَذيرة » في مدقة الزهرة .

Antarctique « Région » منطقة جنوبية . - منطقة نباتية تقع جنوبي

الدرجة السادسة والأربعين .

Anthèse تمام التزهير أو التنبوير . - الوقت الذي تنمو وتتفتح فيه جميع

أجزاء الزهرة .

Anthrophiles « Plantes » نباتات أليفة الإنسان . - الأنواع

النباتية التي أثر فيها الإنسان بنفسه أو بغيره . والنباتات أو الف الإنسان في

منطقة ما هي الأنواع التي نقلها الإنسان الى تلك المنطقة .

Aridité « indice d' » دليل القحولة . - صيغة تستعمل في الجغرافية

النباتية لوضع الخرائط الإقليمية :

$$ق = \frac{م}{ح \times 10}$$

ق = قحولة

م = المطر المتوسط السنوي

ح = الحرارة المتوسطة اليومية

Association مجموعة . - جماعة من النبات لها مفهوم نباتي معين ،

وهو أن تكون مؤلفة من نباتات معلومة وثابتة .

Basiphiles « Plantes » نباتات أليفة القواعد . - تسمى أيضاً عدوة

الكلس Calcifuges فراجعها .

Biologique « Spectre » طيف أحيائي أو بيولوجي . - تمثيل بياني

للنباتات وفقاً لتصنيفها البيولوجي ، وعلى حسب النسبة المئوية التي توجد في

جماعة نباتية أو في منطقة معينة .

وفي تعبير « الطيف النباتي » الذي عرّفه رُنْكلَر Raunklaer سنة ١٩٠٥

تُصنّف النباتات خمس فئات أساسية وهي : النباتات البارزة Phanerophytes ،

والنباتات اللاطئة Chaméphytes ، والنباتات نصف الخفية Hémicryptophytes ،
والنباتات الأرضية Géophytes ، والنباتات البزربة Thérophytes (راجع
هذه الكلمات) .

« Facteurs » Biotiques عوامل حيوية أو أحيائية . — العوامل التي
يتمرض لها النبات فتؤثر في حياته (كالتكافل ، والتطفل ، والتنازع بين
الأنواع ، والتجمع في مجموعات) .

« Plantes » Calcicoles نباتات أليفة الكلس . نباتات كلسية . —
النباتات التي تستطيع النمو في أتربة مقدار الكلس فيها كبير .

« Plantes » Calcifuges نباتات عدوة الكلس . نباتات لا كلسية . —
النباتات التي لا تستطيع النمو إلا في أتربة كلسها قليل .

« Plantes » Caractéristiques نباتات متميزة . صيغة تستعمل في
تعيين نوع الألفة Fidélité « انظر هذه الكلمة » . والنباتات المتميزة ثلاثة
أشكال : مازمة أو منحصرة Exclusives ، ومُنْتَقِيَة Electives ، ومُرَجَّحَة
Préférantes « انظر الفرنسيات » .

« Plantes » Chamephytes نباتات لاطئة — . نباتات تكون براعمها
الهوائية على أقل من ٢٥ سنتيمتراً فوق سطح الأرض .

« Plantes » Cheiroptérophiles نباتات خفاشية التلقيح . — نباتات
يزور الخفافش أزهارها فيسهل تلقيحها .

« Plantes » Chionophiles نباتات ثلجية . — نباتات تحمل البرد وتستطيع
النمو تحت طبقة غليظة من الثلج .

Chorologie علم الكور . كوريات . — شعبة من علم الاجتماع النباتي
تشمل جميع المعلومات المتعلقة بالموقع الجغرافي للمنشآت ، وبمجموعات هذه المنشآت ^(١) .

(١) الكور جمع كورة العربية أو قل المربة قديماً . والفرنسية من اليونانية
بمعنى علم الكور أو الأقطار أو الأصقاع .

Climax 'قمة' . أَوْج . — منتهى ما تبلغه المجموعات النباتية في تطورها
المتري . وهو التجمع الإقليمي النهائي .
وتُدْرِك القمة «أو الأوج» عندما تكون التربة والنباتات التي تغطيها
قد بلغت حالة التوازن مع الإقليم .

Compagnes « Plantes » نباتات مرافقة . — درجة من درجات الألفة
Fidélité فراجمها .

Constance إطراد . — وجود أفراد من النبات ، وجوداً منتظماً ، في
بيان مجموعة نباتية . وفي صيغة الاطراد هذه تُصنّف نباتات المجموعة ثلاثة أصناف :
'مطرّدة' Constantes ، وتابعة Accessoires ، وطارئة Accidentelles
(انظر الكلمات الفرنسية) .

« Constantes Plantes » نباتات 'مطرّدة' . — النباتات التي لا يقل مقدارها
عن خمسين في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة
(انظر Constance) .

« Cryptophytes Plantes » نباتات خفيّة . — نباتات عشبية تكون
أعضاؤها التناسلية في التراب . وهي ثلاثة أشكال : نباتات أرضية Géophytes ،
ونباتات متّقعبة أي نباتات المنافع Hélophytes ، ونباتات مائية Hydrophytes .
(انظر الفرنسيات) .

Dispersion تبدّد . تبدّيد . — صيغة في علم الاجتماع النباتي تستعمل
في بيان تَوَزُّع الأنواع النباتية . ومن حيث الإحصاء يكون التبدد نظامياً
أو قل كفاً ، عندما يكون التوزع موافقاً لقوانين الاحتماليات ؛ ويكون
التبدد تحت الكفاء عندما يكون التوزع أكثر انتظاماً ، كما في الكروم
وبساتين الفواكه ؛ ويكون التبدد فوق الكفاء في الحالة المخالفة .

Dominance غلبة . تَغَلَّبَ . — تقدير المساحة التي تشغلها نباتات

من نوع واحد بالنسبة الى المساحة التي تشغلها أفراد النباتات جميعا .

Écologie علم البيئة . بِيئِيَّات . — دراسة الحياة الاجتماعية للكائنات

الحية ، وتحليل تجمعاتها التي حصلت بتأثير العوامل الطبيعية والإقليمية فيها ، وعلى حسب تطورات تلك الكائنات في العصور السالفة .

«Sols» Ectodynamomorphes تَرَبٌ خارجية التكوُّن أو التَشَكُّل . —

الأتربة التي يكون تكوينها تابعاً على الأخص للإقليم والنباتات المرتبطة به . وهي التَرَب «الناضجة» التي تكون في مناطق النبات الإقليمية .

«Facteurs» Édaphiques عوامل تَوَابِيَّة . — عوامل مؤثرة في كيان

النباتات ، تُرْمَى الى طبيعة التربة والى المؤثرات الفيزيائية — الكيميائية .

«Plantes» Électives نباتات مُنْتَقِيَّة . — نباتات مُسَمِّيَّة

Caractéristiques (انظر الفرنسية) تقيم خاصة في جماعة نباتية معينة ، ولكنها تشاهد أيضاً في جماعات أخرى .

ويستعمل هذا الاصطلاح في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة

Fidélité (راجع الفرنسية) .

«Plantes» Endémiques نباتات مُتَوَطِّنَةٌ أو مُسْتَوَطِّنَةٌ . —

نباتات أو مجموعات من النبات تنمو في منطقة معينة .

ويستعمل هذا الاصطلاح في تعيين منابت الأنواع النباتية .

«Sols» Endodynamomorphes تَرَبٌ داخلية التكوُّن أو التَشَكُّل . —

الأتربة التي تتكون من تفتت الصخرة الأم خاصة . فالصحاري ، والتَرَب المتجمدة ، وترب الجبال العالية التي نباتاتها قليلة ، كلها تعد داخلية التشكل .

«Plantes» Entomophiles نباتات حَسَرِيَّة التلقيح . — النباتات

التي يكون تلقيحها وفقاً على حشرات تحمل اللقاح الى سمات الزهر .

« Epiphytes » نباتات مُعَايشة أو مُلَازِمة . - النباتات التي تعيش على جذع الشجر وفروعه ، من دون أن يكون لها أعضاء خاصة 'نُتَشِبها في أنساج الشجر الحية .

Étages de végétation طَبَقَات النبات . - مُسْتَطِيلَات أو مُنْطَق من النبات من أنواع مختلفة ، كلما ارتقى المرء في الجبال يرى بعضها فوق بعض .
« Étrangères » نباتات غريبة . - أنواع من النبات لا تظهر إلا عفواً في جماعة معينة . (اصطلاح يستعمل في تصنيف النبات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) .

« Exclusives » نباتات مانعة أو مُنْتَحَصِرَة . - الأنواع النباتية التي تكاد تنحصر علاقتها بجماعة من النبات معينة (من اصطلاحات تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) .

والنباتات المنحصرة جزء من النباتات المتميزة Caractéristiques فراجعها .
Facies végétal هَيْئَة نباتية . - المنظر العام لنبات منطقة بعينها .
Fidélité ألفة . - اصطلاح يستعمل لتصنيف الأنواع في بيانات « كشف » الاجتماعيات النباتية .

ويجعلون الألفة على خمس درجات : (١) النباتات المُتَحَصِرَة أو المانعة
Plantes exclusives ، (٢) والمُنْتَقِيَة Electives ، (٣) والمُرْجُحَة Préférantes ،
(ونباتات هذه الدرجات الثلاث تسمى المتميزة Caractéristiques ، (٤) واللامبالية Indifférentes ، أو قل المرافقة Compagnes ، (٥) والطارئة Accidentelles ،
أو قل الأجنبية Étrangères (انظر الفرنسيات) .

Fréquence تَوَاطُر . تَرَدُّد . - النسبة المئوية لنوع نباتي معين في بيانات الاجتماعيات النباتية .

« Géophytes » « Plantes » نباتات أرضية . — نباتات خفية Cryptophytes (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في الأرض .

« Halophiles » « Plantes » نباتات ملحية أو أوالف الملح . — الأنواع التي تعيش في أنربة كثيرة الملح أي كلورور الصوديوم . وتكثر نباتات النباتات الملحية في شواطئ البحار والبحيرات المالحة وفي المناطق الصحراوية « نصف القاحلة » .

« Halophytes » « Plantes » نباتات ملحية . — اسم يطلق على أوالف الملح من النبات (وهي النباتات السابق ذكرها) .

« Hélistothermes » « Végétaux » نباتات الصرود . — أنواع من النبات تنبت في درجة من الحرارة تحت الصفر .

« Héliophiles » « Plantes » نباتات شمسية . — أنواع نباتية لا تبلغ تمام نموها إلا كانت أشعة الشمس تقع عليها .

« Hélophytes » « Plantes » نباتات المناقع . — نباتات خفية Cryptophytes (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في حمأ المناقع .

« Hémicryptophytes » « Plantes » نباتات نصف خفية . — نباتات عشبية تكون أعضاؤها التناسلية على سطح التربة أو تحت سطحها قليلاً ، وتكون تلك الأجزاء مصونة بجراشف أو بحطام من الورق .

« Holarctique » « Région » المنطقة الشمالية الكاملة . — أصقاع شمالية متصلة تمتد في العالم القديم والعالم الجديد ، فهي في أوربة ما يقع شمالي البحر الأبيض المتوسط ، وفي آسية ما يقع في سيبيريا وفي الصين الشمالية ، وفي أميركة ما يقع في القسم الشمالي من الولايات المتحدة وفي كندة .

« Hydrophytes » « Plantes » نباتات مائية . — النباتات الخفية Cryptophytes (راجع هذه الكلمة) التي تكون أعضاؤها التناسلية في الماء .

« Hygrophytes » Plantes نباتات الرطوبة . نباتات البيئات الرطبة . —
النباتات التي تكيفت للعيش في الأقاليم أو الأتربة الرطبة .

« Indifférentes » Plantes نباتات لا'مبالية . — النباتات المرافقة
Compagnes (راجعها) التي تنمو كثيراً أو قليلاً في جملة جماعات نباتية .
وَيُسْتَعْمَلُ هذا الاصطلاح في تصنيف النبات على حسب مدلول الألفة
أي Fidélité فراجعها .

Landes نبات البرّاح . — النباتات التي تنمو في الأتربة الحامضة بعد
إبادة الحراج ، أو في الأراضي الزراعية التي بُورِت لنفاد خصبها ^(١) .

« Malacophiles » Plantes رِخْوِيَّةٌ التلقيح . — النباتات التي تقوم
فيها بعمل التلقيح حيوانات من الرِخْوِيَّات المعدّيات الأرجل .

Maquis غَيْطَلَةٌ ^(٢) . — نطاق الفرنسية على الحرجة المنخطة في التربة
المرلية ، حيث قام مقام أشجارها المتميزة ، كالهبش أي بلوط الغالين مثلاً ،
أنواعٌ مختلفة من الجنبه تألفت منها أعياص Broussailles كثيراً ما تكون ملتفة .

« Mégathermes » Végétaux نباتات الجُروم . نباتات الحرّ . —
النباتات التي تحتاج دائماً الى حرارة تزيد على عشرين درجة مئوية .
Mésologie مِيزُولُوجِيَّةٌ . — جزء من البيولوجية النباتية يبحث في العلاقات
بين المتعضيات النباتية والبيئة التي تعيش فيها ^(٣) .

« Mésophytes » Plantes نباتات الرطوبة المعتدلة . — نباتات لا تستطيع
العيش إلا في أقاليم معتدلة لا كثيرة اليبوسة ، ولا كثيرة الرطوبة . وهي
فئة من النبات لا يمكن في التصنيف جعلها في جملة نباتات البيئات الرطبة ،
ولا في جملة نباتات الصحراء .

(١) تطلق الفرنسية على تلك الأشكال من الأرضين، وعلى نباتاتها، والبراح اصطلاح من وضمي.

(٢) الغيطة اصطلاح من وضمي .

(٣) كثيراً ما نستعمل الفرنسية مرادفةً لِمِ البيئية Écologie .

« Plantes » Mésothermes نباتات الحرارة المعتدلة . — نباتات تألف درجة حرارة متوسطة مقدارها ١٥ درجة مئوية .

« Plantes ou Associations » Messicoles نباتات أو مجموعات زرعية . — نباتات أو مجموعات من النباتات الطارئة تنمو مع الزرع في الحقول (ونسمى أوالف الزرع) .

Microclimat إقليم صغير . — إقليم خاص ببقعة أو منطقة معينة . والإقليم الصغير عامل مؤثر في حياة النبات الذي ينمو تحت شجر الغابات . فالإقليم الصغير لدرجة من الصنوبر مثلاً غير الإقليم الصغير لدرجة من البيلوط .
Microflore نباتات دقيقة . — النباتات الميكروبية في التربة ، وهي البكتريات الهوائية واللاهوائية .

« Végétaux » Microthermes نباتات البرد أو القُر . — نباتات تنمو بدءاً من درجة الصفر المئوية .

« Plantes » Nitrato-philés نباتات نيترا تية أو أليفة النترات . — نباتات تعيش في الزبل المتسرب وفي النفايات التي تكون غالباً على مقربة من البيوت . وهذه النباتات إذا أحرقت يكون في رمادها مقدار كبير من أملاح البوتاس ، ولذا سميت أليفة النترات .

Ordre رتبة . — وحدة عليا في الاجتماعيات النباتية . وهي جملة من العلاقات (انظر هذه الكلمة) تميزت بعدد من الأنواع النباتية المشتركة .
« Plantes » Ornitho-philés نباتات طيرية التلقيح . — النباتات التي تزور الطير أزهارها فسهل تلقيحها .

« Plantes » Orophytes نباتات القنان أو الضهور أو الأغلام . — النباتات التي تنبت على قمة الجبال الشاهقة أو في الأماكن الكبيرة الارتفاع .
Pédologie علم التراب . — ترايبات . — جزء من علم التربة Science du sol تُدرس فيه الأمور الآتية :

- (١) التربة في مكانها : الآفاق المتناوبة للتربة ، وبقيتها ولونها وشكلها ونباتها .
- (٢) التربة في نماذج : تركيب التربة الفيزيائي والكيميائي والمعدني ، ونشوء التربة من الصخرة الأم (الأصلية) ، وتصنيفها النشوي ، وما حصل فيها من تبدلات جعلت لها صفات خاصة بتأثير عوامل الجيولوجية وفيزياء الأرض ونظم الأمطار والحرارة .
- Périodicité دورية . - مدة تمثّل الأنواع النباتية . وهذه المدة تمكّنتنا من تقدير تزامن الأنواع في دورة نباتية .
- PH (ت ٠١٠) أو PH . - رمز تفاعل التربة (القلوية - الحمضية) . ويرتكز هذا التفاعل على التوازن الذي يحصل بين كمية يونات $H^{(1)}$ ويونات OH . ويكون لكل مجموعة نباتية PH معين .
- « Phanérophytes » نباتات بارزة . - نباتات شجرية أو جَنْبِيَّة^(٢) تكون أعضاؤها النابتة (أي براعمها) في رؤوس نواجم تعلو أكثر من ٢٥ سنتمتراً فوق الأرض .
- « Phénoménologie » علم الظواهر . ظاهريات . - دراسة الظواهر البارزة في حياة أحد النباتات (تفتح البراعم ، الإبراق ، الإزهار ، نضج الثمر الخ) .
- Photométrie végétale قياس الضوء النباتي . - دراسة شدة الضوء وقياسها وتأثيرها في نمو النباتات .
- Phytogéographie جغرافية نباتية . - جغرافية النباتات ودراسة توزعها على سطح الكرة الأرضية .
- Phytoplankton نباتات مغمورة أو معلقة . - جماع المتعضيات النباتية التي تعيش معلقة في المياه الحلوة أو المالحة^(٣) «لاطافية ولا راسبة» .

(١) اليونة تعريب ion ويسمى بعضهم الشاردة .

(٢) نسبة إلى جَنْبَة أي Arbuste .

(٣) في الأصل : التي تعيش على سطح المياه الحلوة أو المالحة .

وتكون غالباً أشنة (Algues وتسمى الطحالب في مصر) خيطية أو مجهرية .
 Phytosociologie علم الاجتماع النباتي . اجتماعيات نباتية . — دراسة
 المجموعات النباتية (راجع هذا الاسم) . والقوانين التي تنظم اجتماع الأنواع
 في مجموعات .

« Associations » Planktoniques مجموعات مُعلَّقة . — مجموعات النباتات
 المنسوبة الى النباتات المعلقة أو المغمورة .

« Analyse » Pollinique تحليل لقاحي . — طريقة تُعيَّن بها النسبة
 المثوبة لحبات اللقاح ، في المستويات المختلفة من الانخسّات (المطرّبات
 Tourbières) . وهذا التحليل اللقاحي يسهل الكشف عن تأريخ التبت في
 العصور الجيولوجية الغابرة .

Pozdol بُزْدُول . — (معربة) يطلق هذا الاسم على أترية ضاربة الى
 بياض تقوم عليها حراج روسية الشمالية وسيبرية . والبزدولات أو قل التُّرَب
 الرمادية مختصة بالأحراج .

« Plantes » Préférantes نباتات مُرَجَّحة . — هي نباتات مُتَمَيِّزَة
 Caractéristiques (انظر هذه الكلمة) تكثر كثرة كبيرة أو صغيرة في جملة
 مجتمعات نباتية ، ولكنها ترجح منها مجتمعاً معيناً أي جماعة معينة . (اصطلاح
 يستعمل في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) .
 Profil جانِبِيَّةٌ ^(١) . — طريقة تصوير تَمَجي لقطع من الأرض ؛ وهو
 يوضح وجود التوازي بين التبدلات التي تحصل في النباتات والتبدلات التي تحصل
 في العامل السائد .

« Séries » Progressives مُتَسَلِّسَاتٌ مُتَرَقِّية . — متسلسلات مجموعات
 نباتية تسير في اتجاه القمة « أي الأوج Climax » .

(١) الجانبية عن جمع اللغة العربية ج ، ، وكذلك النهج يعني Schéma .

« Séries » Regressives متسلسلات متدنية . — متسلسلات مجموعات

نباتية تعتمد عن القمة .

Relevé Phytosociologique بيانُ الاجتماع النباتي . بيانُ « أو كشف »

اجتماعي نباتي . — العمل الراعي الى بيان جميع الأنواع النباتية التي تعيش في مكان معين وفي مساحة معينة ، والى تصنيف تلك الأنواع على حسب خصائصها الاجتماعية (الحيوية والكثافة والتغلب والوفرة والنواتر والآلفة والاطراد وقابلية الاجتماع « انظر هذه الكلمات ») .

Rudérales « Plantes » نباتات الدّمن . خَضراء الدمن . — النباتات

التي ترجع العيش في الدمن على مقربة من المساكن .

Saprophytes « Plantes » نباتات رَمِيَّة . — النباتات التي تعيش على

المتعضيات النباتية البالية ، وهي ترتبط بها بخيوط من الأمشاج الفطرية غالبا .

Savane سَوَانة ^(١) . — يطلق هذا الاسم على المروج البرية الواسعة التي

تناخم منطقة الأحراج الاستوائية .

Savart ساوار ^(٢) . — أرضون لا تزرع تُتخذ مراعي . والنباتات المختصة

بالساوارات تنبت غالبا في أتربة كلسية .

Saxicoles « Plantes » نباتات صَخْرِيَّة . نباتات الصخور . — النباتات

التي تعيش على الصخور ، وتكاد تكون كلها من الأشنة والطحلب والحزاز .

Sciaphiles « Plantes » نباتات ظِلِّيَّة . نباتات الظل . — النباتات التي

تعيش في الظل أو في ضوء شمسي ضعيف .

Sclérophylles « Plantes » نباتات مُصلِّبة الورق . — نباتات أوراقها

غليظة قاسية . وهذه النباتات يكون لها ضغط تناضحي يكاد يكون ثابتا .

(١) اسم يطلق على تلك المروج في الأناضول وغيانة ، وقد اقتبسته الفرنسية من الإسبانية وعربناه .

(٢) يطلق هذا الاسم في شبنانية من أعمال فرسة على الأراضي الطباشيرية الفقيرة وقد عربناه .

Sociabilité قابلية الاجتماع . اجتماعية . — الشكل الذي تتجمع فيه أفراد كل نوع نباتي . وتُصنّف النباتات خمسة أصناف بموجب مدلول قابلية الاجتماع وهي :

Plantes isolées	(١) النباتات المنفردة
en groupes	(٢) النباتات المتجمعة فرقا
en troupes	(٣) قطعا
en petites colonies	(٤) مستعمرات صغيرة
en peuplements	(٥) عمارات

Stade de végétation طَوْرُ النبات . — كل مرحلة متميزة من مراحل تعاقب المجموعات النباتية .

Steppe سَبْ . — اسم يطلق على المروج الواسعة في رومسية الجنوبية . وتكون التيجليات أهم نباتات السهوب .

Stratification تَطْبِيق . تَنْصُد . — تصنيف بدائي للنباتات 'تقسم فيه أقساماً أربعة :

Strate arborescente	الطبقة الشجرية
arbustive	الجنبية ^(١)
herbacée	العشبية
muscinale	الطحلبية « الحزازية في مصر »

Succession تَعاقُب . — تعبير يطلق على جميع التبدلات التي تنتهي الى حلول عمارة نباتية مكان عمارة أخرى في صقع معين .

Thérophytes « Plantes » نباتات بزرئية . — نباتات عشبية حولية تستأنف الحياة ببزورها .

(١) نسبة الى الجنبية Arbuste .

« Facteurs » Topographiques عوامل طبغرافية . — الشروط الطبغرافية التي تؤثر في حياة النباتات وفي توزيعها (ارتفاع الأرض وميلها ومعرضها ومياهها) .

Toundras تَنْدَرَة . — (معربة) اسم يطلق على مروج في المنطقة القطبية يعيش نباتها في تراب يصاب بالصقيع في معظم أيام السنة .

« Forêts » Trophiles أحراج المناطق المعتدلة . — يطلق هذا الاسم على أحراج تعيش في المناطق المعتدلة الحرارة ، وتتألف من أشجار أوراقها معبلة .

« Plantes » Tropophytes نباتات مُتَحَمِّلَة . — أنواع نباتية تكيفت لتعيش في بيئة تتعاقب فيها فصول كثيرة اليبوسة وفصول كثيرة الرطوبة . وهي تعد من « نباتات الصحراء » ومن « نباتات الرطوبة » على السواء .

Vitalité . — لفظ يدل على درجة النمو والغضاضة التي تبلغها الأنواع المختلفة في مجموعة نباتية . فعندما تنوفر لأحد الأنواع أصلح شروط البيئة تبلغ وظائفه الحيوية أقصى نشاطها وتصبح دورته التطورية على أتمها .

« Plantes » Xérophytes نباتات صَحْرَاوِيَّة . نباتات الصحراء . — النباتات التي ألقت الأقاليم اليابسة .

« Associations » Xérothermiques مجموعات صَحْرَاوِيَّة حَرَارِيَّة . — جماعات نباتية تعيش في مناطق قاحلة كثيراً أو قليلاً ، شمسها تسطع في مدة تكاد تكون طويلة .

Zonation كَمَنَظُّقٌ ^(١) توزُّع مِنطَقِي . — توزُّع النبات في مناطق بين القطبين وخط الاستواء . ويحصل هذا التوزُّع لاختلاف الحرارة على حسب خطوط العرض .

مصطفى الشهابي

مراجعة

(١) ليس للمنطق هذا المعنى في كتب اللغة . ومن المفيد إقراره .

ضوء جديد على دانتى والإسلام^(١)

أربع وثلاثون سنة قد انقضت منذ أن عُرض ، على الاكاديمية الاسبانية ، كتاب تقدم به عند انتائه للأكاديمية (Discurso de recepcion) ، المنشرق المختص بالدراسات العربية المدعو « ميچويل آسين بلاسيوس » ، وكان في شرح شبابه آنذاك . ولا أزال أذكر الى الآن الاثر الذي تركته في نفس والذي قراءة الكتاب المذكور المسمى « فكرة المعراج الإسلامية في الكوميديا الإلهية » - Escatologia musulmana en la Divina Comedia - وهو اثر امتزج فيه الإعجاب بالدهشة ، وكاد يبلغ حد الفزع بالرغم من أن والذي كان من أوائل الذين قاموا بنشر آراء آسين في إيطاليا ، ذلك أن الطرافة والجرأة واتساع الأفق التي انسم بها افتراض آسين ، والنتائج التي توصل اليها ، أحدثت وقعا شديدا . ولا أزال أحمل في ذهني ذكريات غير مكتملة الوضوح عن الأصوات المتنافرة التي ارتفعت في نقد المنشرق الشاب ، وفي نقد دانتى في جو الحماس المحموم الذي تميزت به احتفالات عام ١٩٢١ مرور ستائة سنة على وفاة دانتى ، كما اني أحمل ذكريات مبهمة عن حماس المؤمنين بنظرية آسين ، وخيبة الأمل المريرة التي مني بها مقدسو دانتى ، والأصداء العميقة المتلازمة لكل من التأييد والاصتنكار ، هذه المشاعر جميعها أثارها كتاب آسين مما لم يسبق اليه أي سفر آخر طيلة مائة عام . ثم ما لبثت أن طفت في كل مكان أصوات المعارضين الذين لم يؤمنوا بنظرية آسين ممن اعتمدوا في ذلك على الحجة أو المنطق أو من الذين آمنوا في أول الأمر .

(١) بحث للمنشرق الإيطالي « فرانسكو غابريلي » ترجمه الأستاذ موسى الحوري .

ثم أخذ إيمانهم بضعف وهين ، وكان في عدادهم والذي • وقد رد عليهم آسين في كتابه « تاريخ معضلة ونقدها » - Historia y critica de una polemica - ببراھين حجة مقنعة ، وشيجة الاتصال بموضوع الجدل • ثم ما عثت حدة الجدل أن خفت واتتهى الأمر ، كمادة الأمور في مثل هذه الحال ، بأن خلف النزاع وراءه عدداً من المسائل يحيط بها سوء التفاهم وعدم الوضوح •

إلا أن الغامل المبدئي على العالم « الاسلامي العربي » الغريب البعيد في لغته وتقاليدہ ومكانه وحضارته ظل قائماً لا يقهر • وكان آسين، يعتقد اعتقاداً راسخاً أن معارضة آرائه ، ولا سيما من قبل الايطاليين - وهذا أمر كان مطابقاً للحقيقة فعلاً - لم يكن الباعث الوحيد على التبلد الذهني ، أو النزاع من رأي مستبعد ، أو التصلب الفكري أمام الحقيقة المرة يُكشَفُ عنها لأول مرة ، وإنما كان بالإضافة الى ذلك كله التعصب الثقافي القومي ، والانصراف التام الكلي للدفاع بأي ثمن عن مجد قومي امتدت اليه بد الانقاص والتجريح بعد أن ظلت أصالته وعظمته لا يرقى اليها شك أو نقد حتى ذلك الحين • وقد بذل آسين عناية شديدة في نهاية كتابه ليؤكد بأن مجد دانتي الشعري لم تكن لتنتقص من قدره تلك الصلة الوشيجة المستحرة التي آمن هو أنه اكتشف وجودها بين الصورة التي قدمها دانتي عن العالم الآخر وبين فكرة المعراج وفلسفة الحشر والنشر الاسلامية ، وأردف قائلاً ان اعتراز الايطاليين بالاصالة المطلقة لقصيدتهم المقدسة وما انتاب هذا الاعتراز نتيجةً لنظريته إنما هو الذي أوحى برد الفعل الايطالي أكثر من أي دافع آخر سواء •

فاذا كان هناك والحالة هذه من يعتبر العصبية القومية الايطالية العقبة الأساسية التي حالت دون قبول اقتراض آسين ، فعلى مثل هذا أن يدرك أن الفكرة الايطالية في فلسفة النقد والجمال ، هذه الفكرة التي ذاع صيتها في سائر أنحاء أوربة ، هي التي تأبى علينا ، نحن معاشر الايطاليين ، أن نقابل بالفتور مشكلة

لا تمت بصلة الى سمو فن داني وصفته الشعرية الفذة ، حتى لو كان داني مديناً لابن عربي بكل ما اعتقد آسين أنه مدين له به (وسنرى فيما بعد أن تنبؤات آسين قد ثبتت صحتها في اتجاه آخر) ، فلا ينبغي لنا نحن الإيطاليين من عشاق الشعر أن نخطر ببالنا قط أنه قد بنشأ عن هذا أي انتقاص ، مهما ضؤل ، لعظمة داني في الناحية التي وهبنا إياها على وجه ليس له بديل أو مثيل ، ألا وهي الناحية الشعرية . فداني الشاعر لا يرقى اليه لوم أو تجريح ، وقصيدته قد تقبل النقد إلا من وجهة النظر الفنية الجمالية ، والمستشرق الاسباني العظيم كان في مقدمة من أدر كوا هذه الحقيقة البسيطة وأعلنوها . والواقع أن أخطر الانتقادات التي وُجّهت الى كتاب آسين كانت تتصل بمناح أخرى غير هذه التي ما كانت تعتبر وجهة نظر شرعية محقة ، وعلى هذا الأساس وحده نشأت أخطر الشكوك بصدد افتراضات المؤلف . فهل كان داني يعرف من اللغة العربية ما يؤهله للاطلاع على المواد التي استطاع آسين البجائة العالم أن يبرزها للمقارنة بقصيدته ؟ وهل كان في الحقيقة أكثر اطلاعاً من عامة معاصريه على شؤون العالم العربي الاسلامي ؟ وكيف تيسر له الاطلاع على إنتاج ابن عربي أو أبي العلاء المعري وكلاهما يتصف بالغموض والإبهام ؟ وأي دليل على أن مؤلفات هذين الكتّابين أو أي إنتاج عربي آخر يبحث في فلسفة الحشر والنشر قد ترجم الى لغات غربية ؟ ان هذه جميعها مشكلات تقع في مجال أبحاث التاريخ الثقافي ، ويجب علينا حلها إذا أردنا إثبات أسباب التشابه بين فلسفة الحشر الإسلامية وفكرة الحشر عند داني كما أوردها آسين . وقد أجاب عنها آسين بقوله إنه ليس من البعيد أن يكون داني قد ألم بقليل من اللغة العربية (ولكن الأمر كما نعلم نحن المستشرقين حق العلم يقتضي أكثر من مجرد الإلمام بقليل من العربية لفهم مؤلفات أبي العلاء وابن عربي المعقدة !) ، وأشار آسين أيضاً إلى أنه قادر على أن يبين وجود اهتمام خاص بالتاريخ الاسلامي والثقافة الإسلامية في إنتاج

دانتي ، ابن فلورنسة البكر ، وكذلك نوه آسين باحثا لم يتمكن من دعمه بالوثائق وهو أن يكون « أنثري دانتي » قد وقع على نصوص في فلسفة الحشر الإسلامية في بعض الترجمات ، وأن هذه الترجمات قد تكون مما حمله معه برونيتو لاتيني Brunetto Latini عند عودته الى مقاطعة توسكاني بإيطاليا بعد انتهاء سفارته لدى ملك اسبانيا في عام ١٢٦٠ م ، وقد كانت هذه النقطة الأخيرة بالذات ، أي الوسيلة التي انتقلت عن طريقها فكرة الإسلام عن العالم الآخر الى دانتي ، هي التي ظلت الى وقت قريب مشكلة مبهمة تؤلف الحلقة المفقودة في السلسلة التي أحكم رباطها آسين ، حلقة حلقة ، بنفاذ وتعمق لا مثيل لها ، بين اسبانيا العربية - اليهودية - المسيحية في القرن الثالث عشر ، وإيطاليا في القرن الرابع عشر .

لقد أصبح معروفا الآن بعد انقضاء أكثر من ثلاثين عاما على عرض المشكلة لأول مرة أن الحلقة المفقودة ، قد عثر عليها . ذلك أن عالمين أحدهما اسباني والآخر ايطالي ، (وقد أمسك كل منهما بأحد طرفي السلسلة مستقلا عن الآخر وغير عارف بمجهوده حتى النهاية) ، نشرا خلال هذه السنوات النصفين اللاتيني والفرنسي لكتاب اسباني عربي يدور حول فلسفة الحشر العربية الإسلامية . وقد ثبت أن هاتين الترجمتين كانتا معروفتين في إيطاليا في القرن الرابع عشر ، وهكذا نظهر لنا مشكلة دانتي والإسلام تحت ضوء جديد كل الجدة . وقد أسمى هذا الكتاب الغد كتاب (المعراج أو كتاب معراج محمد) وفقا للأسماء المتعددة التي عُرف بها باللاتينية والفرنسية القديمة والإيطالية . وقد تم وضع الكتاب - كما كان متوقعا بل محتوما - في بلاط الفونسو بمدينة اشبيلية وبأمر الملك نفسه ، الذي دُعي بحق ملك الدينين أو الأديان الثلاثة ، والذي تصدق فيه هذه الصفة أكثر مما تصدق في جده ، فاتح طليطلة . وكان ابراهيم الفقيه ،

الطبيب والعالم اليهودي المشهور بترجماته لمؤلفات ابن الهيثم والزرقاني ، قد نقل الى اللغة القشتالية ، قبل عام ١٢٦٤ بزم من غير طويل ، وبأمر من الملك نفسه ، النص الشائع لقصة المعراج أو رحلة محمد في أنحاء العالم الآخر . وعن ترجمة ابراهيم القشتالية هذه ، وهي ترجمة مفقودة ، أخذ الكاتب الايطالي بونا فنتورا من أهل سيينا نص الترجمتين الفرنسية واللاتينية الموازيين له ، ومخطوطة احدهما لا تزال محفوظة في اكسفورد ببريطانيا في حين حفظت مخطوطات الأخرى في باريس والفاتيكان . وقد نُشرت الترجمتان في آن واحد من قبل أنريكو شيرولي في إيطاليا ، وجوزيه مونوز سندنو في اسبانيا .

واذا استثنينا المقدمة الوجيزة التي كتبها بونا فنتورا سيينا شارحاً أصل الكتاب ومبرراً الغاية من وضعه فنحن نجد بين أبدينا في الحالتين ترجمة أمينة حرفية ، وفق أساليب الترجمة في ذلك العصر ، مؤلف عربي في فلسفة الحشر والنشر ، وقد يكون أصل هذا المؤلف مفقوداً ، ولكنه كان ولا شك شائعاً جداً في اسبانيا في القرن الثالث عشر ، كما أنه لا بد أن يكون لهذا الأصل علاقة بالنصوص الأخرى الشفوية الخاصة بفلسفة الحشر التي نسخها أو لخصها آسبن في كتابه . ولكنه يمتاز عليها جميعاً بثناسفه وشموله الكاملين ، وفي مقاطع منه رونق أدبي قديم لا يخلو من قوة التأثير في النفس . أما القصة فهي معروفة : جبريل يوقظ محمداً من نومه في مكة ، وبأمره بامتطاء البراق ، ذلك الجواد المجنح الذي يحمله الى المسجد الأقصى ، ومن هناك يصعد الى السماء على درج ذهبي براق . ومن هنا أخذ اسم الكتاب الذي يتحدث عن أرجاء العالم الآخر . ويرى محمد (ﷺ) بعد ذلك ملك الموت ، ثم يرى ملكاً بشكل ديك ، وآخر نصفه من نار ونصفه من ثلج^(١) ويمتاز سبع سموات ، يلتقي في كل منها بنبي ،

(١) هذا لم يصح روايه ولا درايه . (لجنة المجلة)

حتى يمثل أخيراً أمام عرش الله ؛ ثم يزور الفردوس ويرى ما فيه من مباحج الطبيعة والمحبة ، وينسلم من الله عز وجل القرآن الكريم وأوامر الصلاة اليومية والصوم^(١) ، وتخفف هذه الأوامر فيما بعد استجابة لتوسلاته ، ومن ثم يرى جهنم ، ويطوف بأطبافها ودركاتها السبعة ، ويرى أنواع التعذيب فيها ، بينما يشرح له جبريل يوم القيامة والحساب على جسر الصراط . وعيناً يحاول لدى عودته الى الأرض اقتناع قريش بصدق رؤياه ، وقد دونها ، وشهد على صدقها كل من أبي بكر وابن عباس^(٢) بناءً على طلبه . والصفات المميزة للمؤلف الأصلي محفوظة هنا بأمانة ، لا بنتيجة الأسلوب الأدبي لكتاب غسب (هذا الأسلوب الذي على الرغم مما فيه من تشويه ، يأتي على ذكر عدد كبير من الأسماء والأماكن الواردة في الأصل العربي ، ويردد جملاً عربية كاملة في التسيب والصلاة) ، بل لخلوه أيضاً من أي شرح أو إيضاحات دفاعاً عن الدين من وجهة النظر المسيحية ، وهكذا فإذا ما جرد النص من حلة اللغات ذات الأصل اللاتيني التي وُضع فيها ، فأننا نجد فيه العقيدة الإسلامية الشعبية في الموضوع محفوظة بكل ما فيها من صراحة لا تخلو من بعض البساطة .

وهذا الكتاب الذي جعله الملك في متناول يد الغرب المسيحي (في ما لا يقل عن ثلاثة أسفار وربما في أكثر من هذا العدد ، بدافع من حب الاستطلاع الثقافي أكثر من الرغبة في الدفاع عن وجهة النظر المسيحية) ، انتشر بصورة فعالة وبطرق متعددة ؛ وبوسعنا أن ننتبه ما كان له من وقع في اسبانيا وفرنسا وإيطاليا . وبناءً على ما يدّنه شيرولي فإن كتاب ابراهيم الفقيه المترجم الى لغة قشتالة والذي لم يصل إلينا هو المصدر الذي أخذ عنه « سان بيدرو باسكال » خلاصته

(١) إنما مفروض الصوم في السنة الثانية من الهجرة ، فيبين وبين فريضة الصلاة خمس سنوات . (لجنة الترجمة)

(٢) ولد عبد الله بن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة (أي عام الإسراء والمراجع) كما في « الإصابة » وغيرها . (لجنة الترجمة)

الضافية عن رحلة محمد (ﷺ) الى العالم الآخر كما وردت في كتابه «Sobre La Seta Mahometana» الذي أشار اليه آصين وجعله مصدراً .
 «يحتمل أن يكون دانتى قد اعتمده . وعلى أساس المعلومات الدقيقة المتجمعة لدينا والحدس المعقول فإن المخطوطات الثلاث المحفوظة لكتاب يونا فينتورا ، وجميعها من مطلع القرن الرابع عشر ، تحملنا الى مقاطعة بريتانبة في شمالي فرنسا (المخطوطة اللاتينية المحفوظة بباريس) ، والى انكثرة (مخطوطة اكسفورد الفرنسية) ، والى بروكس (مخطوطة الفاتيكان اللاتينية) ، وتدلنا على أن كتاب المعراج (Liber Scalae) ما لبث أن شق طريقه الى ماوراء جبال البرانس . وأما فيما يتعلق باطلاع الايطاليين على هذا الكتاب فنحن إذا جعلنا تاريخ ترجمته عام ١٢٤٦ (وبذلك نكون قد تخيلنا عن فكرة نقله على يد برويتو لاتيني الذي سبقت سفارته لدى بلاط الفونسو التاريخ المذكور بأربع سنوات) فإننا نعتبر على اقتباسين صريحين من قبل كاتبين ايطاليين ، أحدهما يلخص الكتاب تلخيصاً ضافياً مما يثبت أنه كان معروفاً في ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر وأواخر القرن الخامس عشر . ففي ذينك القرنين كانت كتابات راهب ابوليا الفرنسيسكاني روبرتو كارا كشيولو الدينية معروفة ومشهورة ، وفي عهد السلالة الأراغونية في نابلي أورد روبرتو هذا في كتابه كلمة الايمان (Specchio della Fede) خلاصة لما وصفه هو « بالكتاب الذي بدعوه المسلمون بالمعراج وبلغه العرب سلم محمد » . ولا ريب في أن هذا هو كتابنا وأنه قد اطلع عليه بنص لاتيني . غير أن الشاعر النوسكاني فازبو ديشلي أوبرتي يدنينا أكثر كثيراً من دانتى من حيث الزمان والمكان ، فهو يصف في كتابه دتامتندو (Dittamondo) الفردوس كما يتخيله المسلمون ، منوهاً بكتاب المعراج في قوله :

« ولكن في كتابه (أي كتاب النبي محمد ﷺ) الذي بدعى المعراج

يسرد ترتيب طعام الطوباديين

ويتحدث عن كل تفاحة (أي كل ثمرة من ثمار الفردوس) . . . »

ويعود الفضل في لفت الانتباه الى هذا المقطع البالغ الأهمية والمؤلف من

آيات ثلاثة الى شيرولي . ترى أي ثمن كان يدفعه آسين لهذا المقطع !

وهكذا تكون السلسلة قد اكتملت . لقد كانت أوربة الغرب أو بتعبير

أدق إيطالية القرن الرابع عشر تمتلك نصوصاً موفورة مفصلة ، تمتاز بأمانة النقل ،

عن نظرة الإسلام للعالم الآخر ، نصوصاً يستطيع أيّ شاء أن يقرأها بالاسبانية

أو الفرنسية أو اللاتينية دونما حاجة الى معرفة كلمة واحدة من اللغة العربية .

وما من شك في أن « فازبو » قرأها ، وقد أثبت ما قرأه في قصيدته التي

لا تُعدّ من الشعر الرفيع ، وهي قصيدة فيها مزيج من الأساطير التاريخية الكونية ،

يشهد موضوعها عليها بأنها تقليد لشعر دانتي . ونحن لو افترضنا أن مواطن

فازبو وأستاذه العظيم لم يقتبس عن كتاب المعراج اقتباساً كبيراً فهل نستطيع

أن ننفي الاحتمال بأن دانتي قد رأى كتاب المعراج ؟ وهو احتمال يوجي به

تطابق مادة الموضوع ، والتماثل في نواح كثيرة محددة ، ووسيلة الانتقال التي

ثبتت تاريخياً . إن التعصب القومي الثقافي - أو كما أوثران أفسر هذا التعصب

بقولي البلد الذهني المقرون بالخجل والافتقار الى دلائل إيجابي - لم يعد يقوى

على إنكار الافتراض امدال على الذكاء المتوقد الذي قدمه آسين قبل ثلاثين

سنة وأمكن الآن اثباته بصورة رائعة ، وذلك من ناحية الحدس التي قام

على أساسها .

غير ان إثبات حقيقة شيء ، وتقدير قيمتها والمكان اللائق بها ومدى

أهميتها في مجموع هذه المادة شيء آخر . ترى كيف يمكننا أن نقدر قيمة

الاحتمال الذي يكاد يكون الآن حقيقة واقعة مؤكدة ، وهو أن هذه الخلاصة

(Summa) عن فلسفة الحشر الإسلامية لم تكن محاولة لدى مؤلف الكوميديا الإلهية ؟ وأي الاستنتاجات يمكن التوصل إليها من هذه المقارنة التي سبق أن أجراها في جوهرها آسبين (مادام ثابتاً أن معظم عناصر كتاب المعراج هذا كانت موجودة في المواد العربية الأخرى التي جمعها ودرسها) ؟ أي الاستنتاجات المنصفة يمكن التوصل إليها من مقارنة المصدر الشرقي بقصيدة داتي ؟ وأود أن أكرر قولتي إن اعتبارات الفن الشعري البحتة لا مكان لها هنا ، ولكن هنالك مشكلة كاملة من أوجه الشبه السيكلولوجية والمعنوية والثقافية التي لا تعتبر المقارنة معها مشروعة فحسب بل ملائمة وواجبة . وإذا كان البحث فيما اقتبسه داتي من هذه النماذج وكيف اقتبسه عنها غير ذي أهمية للحكم على داتي بصفة كونه شاعراً ، فإنه عظيم الأهمية لإيضاح المصدر الفكري لمعتقداته ، والموقف الديني الأساسي لروح وطرائق انتقائه ودبحه هذه العناصر الأجنبية في ثقافته المتأهبة للاستيعاب ، أو بعبارة أخرى : ما هو مدى وما هي حدود هذا الاتصال بين فلسفة الحشر والنشر الإسلامية وبين «مضمون» - وهنا استعمل الكلمة بمعناها المألوف في فن الشعر - رؤيا داتي ؟ أية تأثيرات محددة أثارها هذا الاتصال في تكوين القصيدة الملحمية ؟ وهل يستطيع المرء أن يتحدث عن اقتباس مباشر مادي بكاد يكون آلياً ، وعن أوجه التقابل في المفاهيم ، إن لم يكن في الفن الشعري ، أو أن يتحدث عن الأثر المتغلغل ، إن لم يكن المستبعد لسواه ، للرؤيا العربية السابقة ، في رؤيا الشاعر الإيطالي .

إن هذه الناحية لا أكثر عمقاً ودقة ، من نواحي القصيدة ، استأثرت باهتمام عالم واحد فقط من العالمين اللذين فسّرا كتاب المعراج ، أما بالنسبة إلى العالم الآخر مونوز « Munoz » فالعلاقة بين الكتاب المذكور والكوميديا لاتعدو علاقة الأنموذج بالتقليد ، التقليد الذي عملت فيه بطبيعة الحال يد التحسين والتجديد ، وأضفت عليه صفة اليأس الروحي ، ولكنه على أي حال تقليد مباشر

لا أبس فيه ، وما كان ليخطر ببال لولا وجود السابقة الأولى . وبعبارة أخرى إن وجود كتاب المعراج ، وثبوت انتقاله الى عالم دانتي ، هما دليلان كفيان لأن يثبتا بصورة آلمة الاعتماد المباشر للأحق على السابق في السلسلة الطويلة من أوجه التائل التي أوردها آسين ، وهي أوجه التائل في أسلوب النأيف وفي الفكر الأخلاقية واللاهوتية وفي الصور ورواية الحوادث ، وذلك من أسلوب تصميم الأقسام الثلاثة للعالم الآخر ، إلى أسلوب العقاب ، إلى مباحج الفردوس الأرضي ، إلى الرؤى التي تنهر الأبصار في الفردوس السماوي . ويرى مونوز أن سلسلة آسين القائمة على أساس أوجه الشبه واعتماد حلقة على أخرى ، لا تقبل النقض أو الجدل ، وكل ما ينقصها هو البرهان على وسيلة النقل التاريخية . ولما كنا قد وجدنا الآن هذه الحلقة في كتاب المعراج ، فقد انتهى الأمر وصار كل عنصر من عناصر الرؤى الإسلامية ، مهما غمض الشبه بينه وبين رؤيا دانتي ، يؤلف رابطة مباشرة بين الأصل والتقليد ، أو بين الأصل والفرع ، بل قل رابطة بين السبب والآخر . وفي هذه الحال فالكوميدبا الإلمية يجب أن تذكرنا في الحقيقة بجامع قرطبة العظيم الذي كُيِّفَت أعمدته الشرقية المزركشية بما يتلاءم هو ومذهب التثايل المسيحي .

أما شيرولي فإنه يبدي حساً تاريخياً أكثر حذراً (ولا ريب أنه لا يضمّر أي تحيز قومي) ، وهو لا يرى أن قيام الدليل على معرفة ايطاليا للكتب التي تبحث فلسفة الحشر والنشر الإسلامية ، واحتمال اطلاع دانتي على هذه الكتب ، يكفيان في حد ذاتهما ليضما بين أيدينا الدليل على شاعربة دانتي وروحانيته ومقدار إبداعه . وهو لا يتطرق إلى مشكلة « دانتي والإسلام » بالذات إلا في نهاية بحث كامل رائع حول « فلسفة الحشر والنشر الإسلامية وكتاب الغرب في القرون الوسطى » ، وهو بحث جمع فيه شيرولي وحل كل أثر من آثار معرفة كتاب الغرب المسيحيين للفكر الإسلامية عن العالم الآخر ، حتى ما كان

منها مستقلاً عن كتاب المعراج : فمن مؤلفات بولوجيوس والفاروس القرطبيين ، الى بتروالفونسو ، الى مجموعة طليطلة (Collectio Toletana) ، ومن غوغليو دالفارينا الى جان دوثيرتي وغوغليو الطرابلسي ، ومن رامون مارتي الى لولو (Lullo) ، ومن توماس بورن الى روجر بيكن . وقبرز من هذا البحث صورة كاملة مدهشة تجمع بين ما كتب من طراز الدفاع الركيك الشعبي عن العقيدة المسيحية ، وما في ذلك من مبالغة وتهويل شديدین بالنواحي الديويبة والحسية للفردوس كما يصوره القرآن (ونلاحظ هنا انه من وجهة النظر للمسيحية فان مهاجمة الفكرة الإسلامية عن جهنم أشق كثيراً من مهاجمة فكرة الفردوس) ، وبين المحاولات الفلسفية ، التي اضطرت بتأثير قوة الفكر الإسلامي ولكنها لم تكن تبهره ، لإضفاء الصبغة الروحانية على عقوبات العالم الآخر ومهاجمة وللتوفيق بين استقامة الرأي في العقيدة الدينية وتقرير فكرة سامية عن العالم الآخر . وقد بلغت مدرسة أكسفورد الغاية في مجال التفسير المسيحي للفكر الإسلامي في القرون الوسطى ، فقد درست هذه المدرسة بدقة متناهية نضال ابن سينا وابن رشد لوضع الغبطة الفلسفية المدركة إلى جانب النواحي الأخرى من فلسفة الحشر والنشر الإسلامية في القرآن ، كما بلغ هذه الغاية بطبيعة الحال ريموندو لولو ، المفسر الكبير للعالم الإسلامي الذي عاش في القرن الثالث عشر واستقى معرفته عنه من المناهل الأصلية الأساسية ، فاستطاع أن يقدم لمعاصريه أصدق وأكمل صورة للفكر الإسلامي وبصورة خاصة لفلسفة الحشر والنشر العربية الإسلامية .

ولكن دعنا نهبط من هذا البحث العام الواسع الذي يدل على القيمة الفريدة الغدة لدراسة شيرولي لنعود الى دراسة العلاقة المباشرة بين دانتى والاسلام تمهيداً لتقدير أثر كتاب المعراج في الكوميديا الإلهية تقديراً واقعياً . فنحن إذا درسنا مجمل معرفة دانتى بالديانة والعلوم والحضارة الإسلامية نصل الى نتائج

أبسط كثيراً . فمن الوجهة التاريخية ليست هناك أهمية كبرى للآيات المتعلقة بالنبي محمد (ﷺ) في المقطع الثامن والعشرين من قصيدة الجحيم ، إذ لا تتبدل فيها الصورة التقليدية التي كان يعزوها الغرب للنبي العربي في القرون الوسطى ، وفلحما نجد في مؤلفات دانتي العقائدية مقتبسات عن مؤلفين مسلمين أمثال الفلكيين الذين عرفهم الغرب بأسماء : ألبوماسار (Albumasar) والفراغانو (Alfragano) وألبتراغيو (Alpetragio) والفلاسفة ابن سينا وابن رشد ، وإذا وجدت هذه المقتبسات فإنما تكون قد أخذت بطريقة غير مباشرة عن البرتوس مانيوس (Albertus Magnus) وسان توماس : وعلى أي حال فالمؤلفات الإسلامية لم تكن متوفرة لدانتي إلا بالنص اللاتيني . وخلاصة القول أننا نجد أنفسنا مضطرين إزاء هذا كله إلى إنكار وجود ذلك الاطلاع الخاص على العالم العربي الإسلامي والاهتمام الخاص به الذي يلغظه البعض في مؤلفات دانتي .

ويبدو لنا أن معرفته بالعالم العربي الإسلامي لا تزيد على معرفة أي رجل واسع الاطلاع في عصره . ومع ذلك وبالنظر إلى أن دانتي كان العالم الكبير (Clerk, Scholar) والمفكر المتسع الثقافة فإن بعض الفكر الإسلامية الفلسفية والأخلاقية - وخاصة المتعلق منها بفلسفة الحشر الإسلامية - قد تسربت إلى شاعرنا بمزول عن كتاب المعراج وعن غير طريقه : مثال ذلك نظرية ابن سينا وتعاييره عن النور ، المشار إليها إشارة صريحة في كتاب (Convivio) والمقطع الوارد في كتاب مجموعة طليطلة (Collectio Tolenta) والذي يتحدث عن بقعة فوق حاجب الروح القادمة حديثاً ، تزيلها الملائكة لدى دخولها الفردوس ، مما يعيد إلى ذاكرتنا في الحال علامات الخطيئة السبع التي تمحي عن حاجب دانتي تدريجياً في أثناء صعوده شعاب المطهر ، وبهذا نصل أخيراً إلى كتاب المعراج ، ومن المرجح أن يكون دانتي قد اطلع عليه ، فإلى أي حد كان الكتاب مصدر إلهام عام له ، وأي أثر خاص كان له فيه ؟

لقد أجب شيرولي عن هذا السؤال إجابة تميزت بمنتهى الحكمة وذلك مراعاةً منه لا لمؤيدي دانتلي بل للحقيقة ذاتها . فهو يظن ان قراءة الرؤيا الإسلامية يمكن أن تكون عند دانتلي أحد الحوافز الخارجية التي حفزته الى معارضة ما كان يفترض أنه كتاب مقدس في الإسلام (لأن هذا ما كان يعتقد الغرب في كتاب المعراج) ، بقصيدة مسيحية عن « رحلة الى الآخرة نسمو بصدق العقيدة والخذق الفني في معالجة أعظم مواضيع الملاحم الدينية » على الصور الرائعة التي ربطها الاسلام ، بالفردوس والجحيم » ، بدون أن ننسى لحظة واحدة الدور الأولي الذي تلعبه في أصل القصيدة فكرة الحياة الجديدة (Vita Nuova) أو بالأحرى الحياة الجديدة نفسها والحياة المنقحة المنقولة ، والرغبة في أن يقول في ملحمته بياتريس « ما لم يُقَلَّ في أحد من قبل » . وفي نطاق هذا التأثير العام نستطيع أن نعزو الى السابقة الإسلامية فكرة الدليل الصابر الكريم ، مفسر جميع الأسئلة والشكوك (ويقوم بهذا الدور فرجيل وبياتريس مع دانتلي وجبريل مع محمد) ، كذلك المسائل الدقيقة الكثيرة المتصلة بعلم الكون ، واللون المحي الخاص لأقوال آله الجحيم بلوتون وفردود أو غبروتي تلك الأقوال الغريبة التي تعيد الى الذاكرة بعض العبارات العربية الواردة في النصوص اللاتينية لكتاب المعراج . ولكن دعنا الآن نواجه السبل الدافق من التشابهات بين دانتلي وكتاب المعراج . ان شيرولي عندما يستعرض أكثر هذه التشابهات اتصالاً بموضوع البحث لا يغيب عنه أن يؤكد أهمية كل منها ، ليس على حدة وانفصال ، بل كجزء متجد بالصادر الأخرى العديدة للإلهام التي كانت قريبة المثال لدانتلي ومألوفة بالنسبة الى ثقافته وخياله : ومنها المصادر الكلاسيكية الاغريقية اللاتينية ، والتوراة والإنجيل والمصادر المسيحية ، وهي مصادر ساهمت في تكوينه الروحي (ذلك لأن أي اطلاع خاص من قبله على أمور العالم العربي الإسلامي هو ، كما رأينا ، مجرد افتراض ووه) ، تلك المصادر التي

كان بالإمكان في كثير من الأحيان أن توفر لدانتي الإلهام نفسه الذي يوفره له كتاب المعراج لتزويده بتفاصيل رؤياه . وهذه هي الحال مع نسر جوبتر الذي صورّه دانتي ، حيث يمكن توحيد المصادر الكلاسيكية ومصادر التوراة المعروفة ودمجها بالصورة الإسلامية للملك الذي يتخذ شكل ديك كبير ويقف على الأرض السابعة ، ولكنه يرفع رأسه عاليًا حتى يداني عرش الإله ويشد مسجماً بمحمد ومجده^(١) . وكذلك فمن الواضح أن السلم الإلهي الذي يستخدمه الإله (Saturn) ، ذلك المرتقى الذهبي اللون ، قد استوحى في المقام الأول من سلم يعقوب الوارد ذكره في التوراة ، ولكن هذا لا يستبعد الإلهام الجزئي من معراج محمد الممتد من القدس إلى الفردوس الذي أعطى كتاب المعراج اسمه . وهكذا فيما يتعلق بالمحاكمة على الجسر الدقيق المسحى بالسرطان ، القائم أمام الفردوس ومن تحته الجحيم تفغر فاهها ، فهي تبدو في نظر شيرولي بمثابة المحاكمة بالنار التي يتعرض لها دانتي لبلوغ الفردوس الأرضي ، هذا الفردوس الذي تبدو الدوافع الإسلامية لوصفه وصفاً أقرب إلى الحس وأكثر إيجاءً ، رغم أنه ينبغي أن لا ننسى الدور الذي تلعبه في هذا الإيجاء أساطير التوراة عن جنة عدن ، والأسطورة الكلاسيكية عن حالة البشرية البدائية البريئة المباركة التي يشير إليها دانتي بقوله :

لعل الذين أعلنوا في غابر الأزمنة في أناشيدهم

قيام العصر الذهبي والرغد الذي يسوده

إنما حلموا بذلك المكان على جبل « بارناسوس »

ان دانتي نفسه ليلفت انتباهنا في هذه الأبيات من الشعر إلى الصور السامية التي كانت تسبح أمام خياله السامي عندما أبدع بمقاطعته الشعرية الثلاثية الخالدة الغاية الإلهية كثيفة وناضجة بالحياة ، ومع ذلك فالمرء لا يستطيع أن ينكر

(١) ليس في الإسلام نصّ في هذا . (لجنة الترجمة)

إنكاراً تاماً ما حصل عليه شاعرنا من إلهام في عمله الابداعي من ذكريات (فردوس المباح) ، في كتاب المعراج وما فيه من ملذات هادئة ، لكنها صبيانية ، وبذوق مزدوج يتحول في قصيدة دانتى الى نهري «ايت» و «بونوي» ، وحادث وصول زمرة جديدة من أرواح البشر والعرائس اللاتي كن في انتظار هذه الأرواح بحب وشغف . ولكن حتى في هذه الحالة فإن إمكانية وجود العنصر الاسلامي متقدماً بعناصر أخرى كثيرة ، أعظم منه حيوية ورسوخاً في ذهن الشاعر ، أمر يجب أن لا يبالغ فيه الى حد يتعارض مع ما يملكه العقل أو يتعدى حد الاحتمال ، ويجب تبعاً لذلك أن لا يطلب إلينا اعتباره مصدراً رئيسياً وموجهاً للإلهام . وإنا لنسأل : ترى هل كان على دانتى أن يقرأ في كتاب المعراج عن حور محمد ليحلم أنه رأى من جديد في مجد الفردوس الأرضي يياتريس ، تلك التي كانت أسمى تجربة روحية في شبابه والنجم القطبي لحياته ؟ وهكذا يرشيدولي مرأى مربكاً خفيفاً بهذا الخضم الواسع من التشابهات ، (لا بسبب السطحية ، بل لدقة وروعة المعالجة) مختبراً كلاً منها ازاء مبدئه الأساسي ، وهو ما نردده هنا مرة أخرى ، الاعتراف باحتمال امتزاج الدافع الاسلامي مع عدد كبير من المصادر الأخرى التي كان لها دوماً المكان الاول في ذهن دانتى وروحه ، حتى ولو انه من الثابت تقريباً أن دانتى اطلع على كتاب المعراج ، ذلك النص الوحيد الذي فتح أمامه الباب المؤدي الى عالم آخر ، لولا ذلك لبقي غريباً عن روحه ، وغريباً عن القيم الأساسية لنفسه اللاتينية المسيحية ومناقضاً لها .

وهكذا فاننا عندما نحكم ، في تحليلنا النهائي ، على الصلة القائمة بين دانتى وكتاب المعراج أو أي عنصر آخر من عناصر فلسفة الحشر والنشر الاسلامية يمكن أن يكون قد اتصل بالشاعر بوسيلة من الوسائل [وهنا أفكر بصورة خاصة بالمواضيع الجدلية لمجموعة طلبطة (Collectio Toletana)] يجب أن

لا ننسى ما يجزم به شيرولي في صفحاته الأخيرة التي تمتاز بروعة خاصة ، ألا وهو أن دوافع الالهام والتفاصيل الروائية التي يمكن إرجاعها إلى مصادر عربية قد دخلت الكوميديا كجزء من بناء أوحى به كله مصدر آخر ، يختلف عنه ، ولكنه مثالي وفريد في نوعه ، ألا وهو المصدر المسيحي . وبوضوح لنا شيرولي من هذا الاختلاف الأسامي في الروح ، هذا الاختلاف الذي يتميز تقريره والاعتراف به بما كان لبيضة كولبس من طبيعة الوجود الكامل والفعالية في حل المشاكل ، ناحية واحدة فقط نجعلها في الأمور التالية وهي : الأهمية المطلقة للإيمان في عقيدة الخلاص الإسلامية والأعمال كوسيلة للخلاص عند دانتي وفي المسيحية ، وتقرير أهمية البر والمحبة في العقيدة المسيحية . كنقبض لمشئته الله التمسكية^(١) التي لا تقبل الجدل أو الاعتراض في الإسلام ، واختلاف قيمة الصلاة بين الطقوس الإسلامية الإلزامية المضنية^(٢) من جهة وقوة المحبة الحية التي تفعل فعلها مع العدالة الإلهية في الصلاة المسيحية . فلبس باستطاعتنا اذن أن نتحدث عن النموذج وتقليد ، حتى ولو سلمنا باحتمال الانتقال المادي لصور وفكر معينة ، ولا عن مجرد إضفاء الصبغة الروحية في حين يختلف الالهام الأسامي والموقف الأسامي اختلافاً جذرياً . ولذلك فإن المحرر الإيطالي لكتاب المراجع يستنتج أن القصيدة المقدسة لا يمكن مقارنتها بجامع قرطبة ، المكرس الآن لمذهب يختلف عن المذهب الذي أنشئ هذا البناء الرائع في سبيله ، ولكن لكي تقدم مثلاً هندسياً أكثر ملاءمة لعلاقة دانتي بالعالم العربي ، يجدر بنا أن نلجأ إلى ذلك العمود العربي الأسباني ، المنقوش عليه اسم صانعه المسلم والقائم في بناء مسيحي خالص ، من الوجهتين التاريخية والفنية وفي مجموعه وجميع تفاصيله ،

(١) ليس في الإسلام مشيئة تمسكية ، ولا إكراه ولا إلزام ، بل في القرآن الكريم « لا إكراه في الدين » وفيه « لكم دينكم ولي دين » . (لجنة الترجمة)

(٢) ليس في العبادة الإسلامية طقوس . والصلاة المفروضة لا تحتفل أكثر من خمس دقائق ، وأما القداس الكنسي فله طقوس وأزياء مختلفة معروفة . (لجنة الترجمة)

ونعني به كاتدرائية بيزا ، حيث ما زال العمود المذكور يشهد بفن مجيد آخر بعد أن أخذ عرضاً ونتيجةً لحادث معين خاص واستخدم في إعطاء شكل رسمي ظاهري لمثل أعلى يختلف عنه في الناحية الدينية ، والشكل الظاهري .

إن أحدث دراسة شاملة للمشكلة القديمة التي أثارها آسين لأول مرة وأعيدت دراستها الآن على ضوء أحدث اكتشاف في الموضوع يؤدي بنا الى النقطة التالية : وهي كما أسلفنا أن العالمين الذين ترجموا كتاب المعراج هما أبداً ما يكونان عن الاتفاق في النتائج التي توصلوا إليها وفي أسلوب استخدامها لترجيتهما . أما تقرير أي الاثنين يجب أن تتبع في موقفه واتجاهه (ويبدو من نافذة القول أن أذكر هنا أباً من المترجمين الاثنين يعتبره كاتب هذه الأسطر مصيباً) فهذا يتوقف على إدراك الناقد الفرد وحاسة الحكم الصحيح على الأمور عنده ، معززين ، كما يجوز لنا أن نضيف ، بالاطلاع المباشر على إنتاج داتي وتفكيره وفنه ، وهو اطلاع كان آسين العظيم يتمتع به ولا ريب ، بخلاف بعض الذين رجعوا إلى كتابه . ولكننا نرى أنه ، حتى في نتائجها المتعارضة صار محرراً المعراج الذي نقل إلى الغرب بفضل الملك الفونسو شوطاً كبيراً من الطريق مترافقين ، والحقيقة هي أن هذا الجزء المشترك من الطريق الذي تكتنفه حقائق إيجابية لا يشوبها أي خلاف في التفسير ، هو الذي يدلنا على مدى النصر الذي أحرزه آسين بعد وفاته .

إن أستاذ مدريد الذي وقف وحده في وجه عدم مبالاة الذين بأبواب التصديق وعدائهم ، أكد أن المعتقدات الإسلامية المتعلقة بفلسفة الحشر والنشر والتي جمعها وحلها وانتقاها من أكثر مجالات الأدب العربي تباعداً - التقليدي منها واللاهوتي ، والصوفي والتهذيبي ، والعلي والشعبي - لم تكن تلك المعتقدات تخفي وراء ستار حديدي قوامه اللغة والحضارة عن عالم الغرب اللاتيني وحبه للفضول والاستطلاع . وقد تنبع آسين الى أبعد الحدود المعروفة آنذاك وأقصاها

تسرب هذا التراث الشرقي إلى العالم اللاتيني ، وبعد أن سدّ بدافع من الإيمان الخدمي جميع الفجوات التي واجهته رأى هذا التراث يزدهر في كثير من الأحيان بمائلات ومشابهات مذهشة في (ملحمة دانتي الملهمة) ، وهي أعظم ما وصل اليه الإنتاج الفني للعصور الوسطى المسيحية . وبدأ هذا التسرب الذي تتبعه آسبن مماثلاً لمجرى الفيوس الأسطوري ، اذ اختفى في أعماق أرض اسبانيا ليظهر مجدداً في إيطاليا بعد انقضاء فترة من الزمن وقد اكتسب شكلاً خالداً في شعر دانتي . وكان يكتنف مجرى هذا الجدول في باطنه غموض شديد زاد فيه أن المرء لم يكن ليعرف أي المصادر المتعددة التي استقصاها آسبن هو الذي وصل بالطريق المجهولة الى الهدف غير المرتقب . أما الآن فقد اتضحت المشكلة وتبسطت في آن واحد . فلكل النصوص العميقة الغور وغير المترجمة من الأدب العربي العالي ، كمؤلفات أبي العلاء الممرى وابن عربي وما مثلها لم تسترع انتباه دانتي بطريق مباشرة ؛ ولكنه من المحتمل أن يكون إنتاج من الأدب العربي الشعبي ، تلذ مطالعه وله طابع تهذيبي ، قد وصل إلى دانتي ووقع تحت بصره وعينه ؛ ذلك لأنه من المؤكد أن ذلك الإنتاج (وهو كتاب المعراج) قد وصل الى البيئة التي كان يعيش فيها دانتي وانتشر في الجو الثقافي الذي كان يستنشق هواءه ، وهو أمر ثبت لدينا بعد نشر ترجمات الكتاب اللاتينية التي سبق لنا ذكرها ، والتي يرجع الفضل في وجودها الأول الى ما تحلى به ملك اسبانيا الفونسو من حب استطلاع مبدع خلّاق . وبهذه الوسائل ، وربما بها وحدها ، نستطيع أن نتحدث عن اتصال مباشر ، ، لولا ذلك ما كان ليخطر ببال ، بين ثقافة دانتي (وأعني بها ثقافة الشاعر وثقافة مجتمعه) وبين المجموعة العظيمة من المواد العربية التي جمعها آسبن ، تلك المجموعة التي كان اتساعها وتنوعها عائقاً في طريق قبول نظريته . وخلاصة القول فقد ثبت الآن وجود هذا الاتصال غير المباشر بصورة واضحة المعالم . وإلى هذا الحد وبموجب هذه الشروط ،

يبدو حدس آسبن لنا جميعاً في الوقت الحاضر ثابتاً ساطع النور . أما إذا تعدينا هذا الحد فسنجد آراء متعددة مختلفة فيما يتعلق بكيفية تفسير المختصين بدراسة داني للحقائق التي تم إثباتها ؛ وكما رأينا ، فهناك من يرى أن الاتصال الذي تم ايضاح طريقه ، يثبت الدور الرئيسي الحاسم الذي يقول آسبن إن فلسفة الحشر والنشر الإسلامية قد لعبته في خلق أعظم قصيدة مسيحية . ولكن هنالك من جهة أخرى أولئك الذين ، بنتيجة التخصيص والتدقيق والمقارنة الماهرة ، يعترفون بوجود اقتراحات وإيجاءات ، طابعها التعميم ، وصور ودوافع رافدة ، طابعها التخصيص ، دخلت جميعاً في روحانية وثقافة وخيال ، ليست سامية ومتفوقة لحسب ، بل ومختلفة عن تلك الاقتراحات والدوافع والصور اختلافاً تاماً جذرياً .

وهما بكن من شيء . فلنقبل الأمور التي نتفق حولها بدلاً من التثبت بالأمور التي تختلف عليها . ولترحب باكتشاف هذه القطعة الجديدة من شبكة الثقافة الدولية للقرون الوسطى ، تلك الشبكة التي تميزت بالمتانة والصلاية والمرونة ولم تعرف الأستار الحديدية (وهذا القول يجعلنا نبحث على الاضطراب عندنا نحن أبناء هذا العصر) ، بل اجتازت أبعد المسافات وأعظم الحواجز المادية والروحية (بفضل التعاون بين القوى الفكرية) مما تحسدها عليه منظمة اليونسكو في يومنا هذا ، وذلك بعد أن سلطت على القطعة المذكورة أنوار انبعثت عن مجهود قام به في آن واحد عالمان أحدهما اسباني والثاني ايطالي . ولنفكر مرة أخرى هنيئة من الزمن في هذه السلسلة السحرية : كتاب المعراج العربي ، ملك اسباني ، طبيب يهودي ، ومسجل عقود ايطالي . . . ، وفي الصور الخيالية للآخرة التي ازدهرت بصورة غامضة في قلب شبه جزيرة العرب ، وقد أحاطت بالبحر الأبيض المتوسط ونفذت الى لغة تسكانية العذبة ووصلت أرض فلورنسة

فأسهمت في إخصاب التربة التي أنتجت زهرة الكوميديا الإلهية السامية ،
 هذه القصيدة المقدسة التي أحاطتها بد الأرض والسماء ، ونكرر القول هنا
 اننا نقصد أرض الحضارة المسيحية وسماءها ، ولكنها سماء لا تخلو من انعكاسات
 من السماء المرصعة بالنجوم ، التي حلق فيها البراق المجهول الغامض في ليلة الإسمراء
 المقدسة عند المسلمين ، ومن أرض الإسلام وخاصةً أرض اسبانيا حيث التقت
 حضارتان وتمازجتا في اتحاد عجيب ، وحيث أدرك بالجدس القوي النفاذ ، عالم
 محب للعزلة ، قبل خمس وثلاثين سنة ، انتقالاً أدبياً رائماً ، ثبت وجوده الآن
 بالوثائق المحسوسة القاطعة .

فرانسيسكو غابريلي

ترجمة : موسى الخوري



العقل والنقل عند الإمام ابن تيمية^(١)

- ٢ -

من خالف صحيح المنقول فقد خالف صريح المعقول
إن كل من أثبت ما أثبته الرسول ، ونفى ما نفاه كان أولى بالمعقول الصريح ،
كما كان أولى بالمنقول الصحيح ، وإن من خالف صحيح المنقول ، فقد خالف
أيضاً صريح المعقول ، وكان أولى بمن قال الله فيه : « وقالوا لو كنا نسمع
أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » .

أنزل القرآن بلغة العرب لا بلسان الاصطلاح

(ص ٦٣) أرسل الله الرسول بلسان قومه - وهم قريش خاصة ، ثم العرب عامة ،
لم ينزل القرآن بلغة من قال الأجسام متائلة حتى يحمل القرآن على لغة هؤلاء ،
هذا لو كان ما قالوه صحيحاً في العقل ، فكيف وهو باطل في العقل ؟
(ص ١٩٤) والقرآن نزل بلغة الدين خاطبهم الرسول (ﷺ) ، فليس
لأحد أن يستعمل ألفاظه في معان بنوع من التشبيه والاستعارة ، ثم يحمل
كلام من تقدمه على هذا الوضع الذي أحدثه هو .

ما المراد بالعالم

(ص ٦٨) المراد بالعالم في الاصطلاح هو كل ما سوى الله . فإن هذه
العبارة لها معنى في الظاهر المعروف عند عامة الناس أهل الملل وغيرهم ، ولها
معنى في عرف المتكلمين ، وقد أحدث الملاحدة لها معنى ثالثاً . (فالمعنى الأول)

(١) نشر الاسم الأول في (المجلد ٣٢ ، الجزء ٣ ، الصفحة ٤٩٢) .

إن الله وحده القديم الأزلي ، وهذا المعنى هو المعروف عن الأنبياء وأتباع الأنبياء . (والمعنى الثاني) أن يقال لم يزل الله لا يفعل شيئاً ، ولا بتكم بمشيئته ، ثم حدثت الحوادث من غير سبب يقضي ذلك مثل أن يقال : إن كونه لم يزل متكاملاً بمشيئته أو فاعلاً بمشيئته ، بل لم يزل قادراً (هو ممتنع) وأنه يمتنع وجود حوادث لا أول لها ، فهذا المعنى هو الذي يعنيه أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم بحدوث العالم ، وقد يحكونه عن أهل الملل ، وهو بهذا المعنى لا يوجد في القرآن ، ولا غيره من كتب الأنبياء . (والمعنى الثالث) الذي أحدثه الملاحدة كابن سينا (٤٢٨ هـ) وأمثاله ، قالوا : نقول : العالم 'محدث' ، أي معلول لعلة قديمة أزلية ، أوجبه فلم يزل معها ، وسموا هذا : الحدوث الذاتي ، وغيره : الحدوث الزمني . والتعبير بلفظ الحدوث عن هذا المعنى لا يعرف عن أحد من أهل اللغات لا العرب ولا غيرهم ، إلا من هؤلاء الذين ابتدعوا لهذا اللفظ هذا المعنى . والقول بأن العالم 'محدث' بهذا المعنى فقط ، ليس قول أحد من الأنبياء ولا أتباعهم ، ولا أمة من الأمم العظيمة ، ولا طائفة من الطوائف المشهورة .

(ص ٧١) وإن قال الملاحدة : بل هذا العالم المشهود قديم ، واجب بنفسه غني عن الصانع ، فقد أثبت واجباً بنفسه قديماً أزلياً هو جسم حامل الأعراض ، متميز في الجهات ، تقوم به الأكوان وتخله الحوادث والحركات ، وله أبعاد وأجزاء ، فكان ما قرأ منه من إثبات جسم قديم قد لزمه مثله وما هو أبعد منه ، ولم يستفد بذلك الإنكار إلا جحد الخالق ، وتكذيب رسله ، ومخالفة صريح المعقول ، والضلal المبين .

حدوث العالم

(ص ٧٣) إن مسألة حدوث العالم اعترف بها أكابر النظار من المسلمين وغير المسلمين ، حتى إن موسى بن ميمون (أبو عمران) صاحب (دلالة الخائرين)

(سنة ٦٠١ هـ - ١٢٠٤ م) - وهو في اليهود كأبي حامد الغزالي (سنة ٥٠٦ هـ) في المسلمين - يمزج الأقوال النبوية بالأقوال الفلسفية ويتأولها عليها ، حتى الرازي (سنة ٦٠٦ هـ) وغيره من أعيان النظائر اعترفوا بأن العلم بمحدث العالم لا ينوقف على الأدلة العقلية ، بل يمكن معرفة صدق الرسول قبل العلم بهذه المسألة .

قيام الصفات بالموصوفات

(ص ١٧٨) المقول هو قيام الصفات بالموصوفات ، والأعراض بالجواهر ، كالصورة الصناعية مثل صورة الخاتم والدرهم والسرير والثوب ، فانه عرض قائم بجوهر هو الفضة والخشب والغزل ، وكذلك الاتصال والانفصال قائمان بمحل هو الجسم .

(ص ١٤) وليست الصفات خارجة عن مسمى الموصوف ، ولا زائدة على ذلك ، بل هي داخلية في مسمى اسمه . وكلام المتكلم ليس يثبت عنه .
(ص ٢٠) وأما الصفات الملازمة للموصوف في الخارج فكما لازمة له ، لا تقوم ذاته مع عدم شيء عنها .

(ص ١٧٨) والخالق تعالى أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لا يشركه فيه أحد ، وهو نفس ماهيته التي هي حقيقته الثابتة في نفس الأمر . ولو قدر أن الوجود المشترك بين الواجب والممكن موجود فيهما في الخارج ، وإن الحيوانية المشتركة هي بعينها في الناطق والاشعشع ، كان يميز أحدهما عن الآخر بوجود خاص ، كما يميز الإنسان بحيوانية تخصه . كما أن السواد والبياض إذا اشتركا في مسمى اللون يتميز أحدهما بلونه الخاص عن الآخر .

الموجود بنفسه والموجود بغيره

(ص ١٩٦) فالله تعالى هو الموجود الواجب بنفسه خالق لكل ماسواه ، وأما الهيئة الاجتماعية إن قدر لها وجود في الخارج فهي حاصلة به أيضاً سبحانه

وتعالى . وأما المجموع الذي كل منهم مفتقر إلى من يبدعه ، وليس فيه موجود بنفسه ، فيمتنع أن يكون فاعلهم واحداً منهم ، لأنه لا بد له من فاعل ، ولو كان فاعلهم لكان فاعل نفسه وغيره من الممكنات .

كل موجود فإما موجود بنفسه وإما موجود بغيره ، والموجود بغيره لا يوجد إلا بالموجود بنفسه ، ثبت وجود الموجود بنفسه ، وإذا سمي هذا واجبا وهذا ممكنا ، كان ذلك أمراً لفظياً .

الذات مستلزمة للصفات

وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد ، حتى الطوائف الكبار من أهل الكلام ، وأئمة أهل السنة والحديث من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم يثبتون الصفات الخبرية . هناك ذات موصوفة بصفات لازمة له . فإذا قال القائل : كل موصوف بصفات لازمة له يفتقر إلى مركب ومؤلف ، يجمع بين الذات والصفات كان قوله باطلا . وإن هنا ذاتاً موصوفة بصفات ، ولا دليل لك على أن الذات القديمة الواجبة المستلزمة للصفات مفتقرة إلى من يركب صفاتها فيها . فقد علمت أنه ليس المراد بالمركب إلا انصاف الذات بصفات لازمة لها ، أو وجود معان فيها ، أو اجتماع معان وأمور ونحو ذلك ؛ ليس المراد أن هناك مركباً ركه بغيره ، حتى يقال : إن المركب يحتاج إلى مركب ، بل إن الذات ، إن أريد بها الذات الموجودة في الخارج ، فتلك مستلزمة لصفاتها ، يمنع وجودها بدون تلك الصفات .

موافقة المعقولات للسمعيات

(ص ٢١٤) إن هذه المعقولات التي اضطرب فيها أكابر النظار وهي عند أصول العلم الأوكلي ، إذا حققت غاية التحقيق تبين أنها موافقة لما قاله أئمة السنة والحديث ، العارفون بما جاءت به الرسل ، وتبين أن خلاصة المعقول خادمة

ومعينة وشاهدة لما جاء به الرسول (ﷺ) . ونحن - والله الحمد - قد بينا
الجواب عن جميع حجج الفلاسفة في غير هذا الموضع ، وبسطنا الحجج
في ذلك .

(ص ٢١٧) وهذا مما تبين به أنه ليس في العقل الصريح ما يخالف النصوص
الثابتة عن الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم وهو المقصود ، والذين يعارضون
الكتاب والسنة بما يزعمون أنه من العقليات القاطعة ، إنما يعارضونه بمثل هذه
الحجج الداحضة ، فكل من لم ينظر أهل الإلحاد والبسوع مناظرة تقطع
دايرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفى بواجب العلم والإيمان . وكل
من جحد القضايا الضرورية المستقرة في عقول بني آدم التي لم ينقلها بعضهم عن
بعض كان سوفسطائياً ^(١) .

المعقول ، مطابق لما جاء به الرسول

(ص ٢٣٢) وهؤلاء أهل الكلام المخالفون للكتاب والسنة الذين ذمهم
السلف والأئمة ، لا قاموا بكمال الإيمان ، ولا بكمال الجهاد ، بل أخذوا ينظرون
أقواماً من الكفار وأهل البدع الذين هم أبعد عن السنة منهم بطريق لا يتم
إلا يرد بعض ما جاء به الرسول وهي لا تقطع أولئك الكفار بالمعقول ، فلا
آمنوا بما جاء به الرسول حق الإيمان ، ولا جاهدوا الكفار حق الجهاد .
(ص ٢٣٢) وتبين أن المعقول الصريح مطابق لما جاء به الرسول لا يناقضه
ولا يعارضه ، وأنه بذلك تبطل حجج الملاحدة ، وينقطع الكفار ، فتحصل
مطابقة العقل للسمع ، وانتصار أهل العلم والإيمان ، على أهل الضلال والإلحاد .
وقد كنت قديماً ذكرت في بعض كلامي أنني تدبرت عامة ما يحتاج به النفاة

(١) السوفسطائية أنكروا كلاماً من الحسبيات والبدهييات فقالوا بعدم الجزم في كل
منها . وسووا معناه : العلم والحكمة ، و « اسطفا » معناه الزخرف والغلط ،
ومنه اشتقت السفسطة ، كما اشتقت الفللفة من فيلاسوف : أي عب الحكمة .

من النصوص فوجدتها على تقيض قولهم أدلّ منها على قولهم كاحتجاجهم على نفي الرؤية بقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » فبينت أن الأدراك هو الاحاطة لا الرؤية ، وأن هذه الآية تدلّ على إثبات الرؤية أعظم من دلالتها على نفيها .

إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات لا يمكن إلا بإثبات صفاته وأفعاله وإذا تدبّر العاقل الفاضل تبين له أن إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات ، لا يمكن إلا بإثبات صفاته وأفعاله ، ولا تنقطع الدهرية ^(١) من الفلاسفة وغيرهم قطعاً باتّناً عقلياً لا صلة فيه إلا على طريقة السلف أهل الإثبات ، للأسماء والأفعال والصفات . ففحول أهل الكلام كأبي علي (سنة ٣٠٣ هـ) وأبي هاشم (٣٢١ هـ) والقاضي عبد الجبار (سنة ٤٥١ هـ) وأبي الحسن الأشعري (سنة ٣٢٣ هـ) والقاضي أبي بكر (سنة ٤٠٣ هـ) وأبي الحسين البصري (سنة ٤٣٦ هـ) ومحمد بن الهيثم وأبي المعالي الجويني (سنة ٤٧٨ هـ) ، وأبي الوفاء بن عقيل (سنة ٥١٥ هـ) وأبي حامد الغزالي (سنة ٥٠٦ هـ) وغيرهم يبطلون طرق الفلاسفة التي بنوا عليها النفي ، منهم من يبطل أصولهم المنطقية ، وتقسيمهم الصفات إلى ذاتي وعرضي وتقسيمهم العرضي إلى لازم للماهية وعارض لها ، ودعواهم أن الصفات اللازمة للموصوف منها ما هو ذاتي داخل في الماهية ومنها ما هو عرضي خارج عن الماهية ، وبناءهم توحيد واجب الوجود الذي مضمونه نفي الصفات على هذه الأصول . (ص ٢٥٩) وبعض حذاق المعتزلة نصر القول بعلو الله ومباينته لخلقه بالأدلة العقلية ، وأظنه من أصحاب أبي الحسين ، وقد حكى ابن رشد (سنة ٥٩٥ هـ) ذلك عن أئمة الفلاسفة ، وأبو البركات وغيره من الفلاسفة يجتازون قيام الحوادث به كإرادات وعلوم متعاقبة ، وقد ذكروا ذلك وما هو أبلغ منه عن متقدمي الفلاسفة كما ذكرت أقوالهم .

(١) الدهرية : هم المنكرون للبعث والمعاد ، القائلون : « وما يهلكنا إلا الدهر » أي إلا تمرّ الأيام .

(ج ٣ ص ٦٨) "إن الاستدلال بحدوث المحدثات على إثبات الصانع هي طريقة فطرية ضرورية ، وهي خيار ما عندهم ، بل لبس عندهم طريقة صحيحة غيرها ، لكنهم أدخلوا فيها من الاختلال والفساد ، ما يعرفه أهل التحقيق والاعتقاد ، الذين آتاهم الله الهدى والسداد .

تكليم الله تعالى لعباده

الناس متنازعون في تكليم الله لعباده ، هل هو مجرد إدراك لهم من غير تجديد تكليم من جهته ، أم لا بد من تجديد تكليم من جهته ، ؟ على قولين للمتنسبين إلى السنة وغيرهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، فالأول قول الكلالية^(١) والسالية ومن وافقهم من أصحاب هؤلاء الأئمة الفاضلين بأن الكلام لا يتعلق بمشيتته وقدرته ، بل هو بمنزلة الحياة . والثاني قول الأكثرين من أهل الحديث والسنة ، من أصحاب هؤلاء الأئمة ، وغيرهم وهو قول أكثر أهل الكلام من المرجئة^(٢) والكرامية^(٣) والمعتزلة وغيرهم ، قالوا : ونصوص الكتاب والسنة تدل على هذا القول ، ولهذا فرّق الله بين إيجائه وتكليمه كما ذكر في سورة الفاء وسورة الشورى ، والأحاديث التي جاءت بأنه يكلم عباده يوم القيامة ويحاسبهم .

الحوادث والمتجددات

(ج ٤ ص ١٧) ذكر (أي الآمدي) (سنة ٦٣١ هـ) أن لفظ الحادث مرادهم به الموجود بعد العدم ، سواء أكان قائماً بنفسه كالجواهر ، أو صفة لغيره

- (١) قال ابن كلاب ومن وافقه : كلامه تعالى صفة ذات ، لازم لذاته ككلام الحياة ، ليس هو متعلقاً بمشيتته وقدرته ، بل هو قديم كقدم الحياة .
- (٢) لقبوا بالمرجئة لأنهم يرجئون العمل عن التوبة والاعتقاد ، أي يؤخرون ، أو لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة .
- (٣) نسب الفرقة الكرامية إلى محمد بن كرام (كجمل) وقد نسب إليه أنه كان يقول : "إن الإيمان قول بلا عمل (مات سنة ٢٥٥ هـ) .

كلاً أعراض ، وسمي ما ليس بوجود كلاً حوال والسلوب والاضافات (متجددات) وهذا الفرق أمر اصطلاحي ، وإلا فلا فرق بين معنى التجدد ومعنى الحادث .
(ص ١٨) وأما المذاهب فيقال : لفظ الحوادث والتجددات في لغة العرب يتناول أشياء كثيرة ، وربما أفهم أو أوهم في العرف استحالات كلاً أمراض والغموم والأحزان ونحوها ، إذا قيل فلان حدث به حادث ، وكثير منهم يعبر بالاحداث عن المعاصي والذنوب ونحو ذلك .

صدورها عن لا فعل له ولا صفة محال

(ص ١٠) نقولكم - (أي الفلاسفة والدهرية) - بصدور الحوادث المختلفة الدائمة عن لا فعل له ولا صفة ولا يحدث منه شيء أعظم فساداً من قول من يقول : انه نارة تصدر منه الحوادث ، ونارة لا تصدر ، فإنه إن كان صدور الحوادث عنه من غير حدوث شيء فيه محالاً ، فصدورها دائماً عنه من غير حدوث شيء فيه أشد استحالة .

نفاة الصفات لا مستند لهم

(ج ٤ ص ١٨) ومن المعلوم أنه لا يمكن أصلاً أن ينقل عن محمد (ﷺ) ولا عن إخوانه المرسلين كموسى وعيسى صلوات الله عليهما ما يدل على قول النفاة لانصاً ولا ظاهراً ، بل الكتب الالهية المتواترة عنهم والأحاديث المتواترة عنهم تدل على نقيض قول النفاة ، وتوافق قول أهل الاثبات ، وكذلك أصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعون لهم بإحسان ، وأئمة المسلمين أرباب المذاهب المشهوره ، وشيوخ المسلمين المتقدمون ، لا يمكن لأحد أن ينقل نقلاً صحيحاً عن أحد منهم بما يوافق قول النفاة ، بل المنقول المستفيض عنهم يوافق قول أهل الاثبات . فنقل مثل هذا عن أهل الملة خطأ ظاهراً ، ولكن أهل الكلام والنظر من أهل الملة ، تنازعوا في هذا الأصل لما حدث في أهل الملة مذهب

الجهمية نقاة الصفات ، وذلك بعد المائة الأولى في أواخر عصر التابعين ، ولم يكن قبل هذا يعرف من أهل الملة من يقول بنفي الصفات ، ولا بنفي الأمور الاختيارية القائمة بذاته تعالى .

(ص ٦٥) وحقيقة هؤلاء الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشعرية وغيرهم ، أن الرب لم يزل معطلا ، لا يفعل شيئا ولا يتكلم بشيئته وقدرته . ثم انه أبدع جواهر من غير فعل يقوم به ، وبعد ذلك ما بقي يخلق شيئا ، بل إنما تحدث صفات تقوم بها ، ويدعون أن هذا قول أهل الملل الأنبياء وأتباعهم !

اضطرابهم في مسمى واجب الوجود

(ص ١٨٧) واعلم أن هؤلاء غلطوا في مسمى واجب الوجود ، وفيما يقتضيه الدلائل من ذلك حتى صاروا في طرفي نقيض ، فتارة يشبهونه ويجردونه عن الصفات حتى يجعلوه وجوداً مطلقاً ، ثم يقولون : هو الوجود الذي في الموجودات ، فيجعلون وجود كل ممكن وحادث هو الوجود الواجب بنفسه ، كما يفعل ذلك محقق صوفيتهم كابن عربي (سنة ٦٣٨ هـ) ، وابن سبعين (سنة ٦٦٨ هـ) ، والقونوي (سنة ٧٢٩ هـ) ، والتلمساني (سنة ٦٩٠ هـ) وأمثالهم ؛ وتارة يشككون في نفس الوجود الواجب ، ويقدرّون أن يكون كل موجود ممكن بنفسه ، لا فاعل له ، وأن مجموع الوجود ليس فيه واجب بنفسه ، بل هذا معلول مفعول ، وهذا معلول مفعول ، وليس في الوجود إلا ما هو معلول مفعول ، فلا يكون في الوجود ما هو فاعل مستغن عن غيره ، فتارة يجعلون كل موجود واجباً بنفسه ، وتارة يجعلون كل موجود ممكن بنفسه ، ومعلوم بضرورة العقل بطلان كل من القسمين ، وإن من الموجودات ما هو حادث ، كان تارة موجوداً وتارة معدوماً ، وهذا لا يكون واجباً بنفسه ، وهذا لا بد له من موجود واجب بنفسه . . . وأن يكون ما دخل في مسمى نفسه من صفاته لازماً له ، فاتصافه بصفاته سواء سمي ذلك تركيباً أو لم يسم ، لا يمتنع أن يكون واجباً بنفسه لا بفتقر إلى

أمر خارج عنه ، ولهذا كانت صفاته واجبة الوجود بهذا الاعتبار ، وإن لزم من ذلك تعدد واجب الوجود بهذا المعنى ، بخلاف ما إذا عني به أنه الموجود الفاعل للممكنات ، فإن هذا واحد سبحانه لا شريك له .

(ص ٢٤٨) والمسلمون متفقون على أن الله سبحانه وتعالى ، وصفاته اللازمة لذاته ، لا يجوز عليها العدم .

(ص ١٩٤) وعامة ما يلبس به هؤلاء النفاة ألفاظ جملة متشابهة ، إذا فسرنا معانيها ، وفصل بين ما هو حق منها ، وبين ما هو باطل ، زالت الشبهة وتبين أن الحق الذي لا يحيد عنه ، هو قول أهل الإثبات للمعاني والصفات .

إن من شك في أوضاع الأمرين وأينهما في العقل ، وفي أمر لم يشك أحد من الأولين والآخرين فيه ، كان أولى بالجهل من قال ما قالت به الأنبياء والرسول وأتباعهم وسائر عقلاء بني آدم من الأولين والآخرين ، وعلم نبوته بالبراهين القينية ، وذلك أنه لم يجوز أحد من بني آدم ، وجود فاعل للعالم ، ولذلك الفاعل فاعل ، إلى ما لا نهاية له من غير أن يكون هناك فاعل موجود بنفسه ، فن شك في جواز هذا ، أو عجز عن جواب شبهة مجوزة ، كان جهله بينا ، وكان أجهل من الخش الناس ، قولاً بالباطل المحض من التشبيه والتجسيم .

لا يؤخذ بلفظ يحمل مشتببه حتى يتبين معناه ، ويعلم المقصود منه

(ص ١٧٩) هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ جملة مشتبهة تحتل في لغات الأمم معاني متعددة ، وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات الأمم ، ثم ركبوها وألفوها تأليفاً طويلاً بنوا بعضه على بعض وعظموا قولهم وهو لوه في نفوس من لم يفهمه ، ولا ريب أن فيه دقة وعموضاً لما فيه من الألفاظ المشتركة ، والمعاني المشتبهة . ولهذا يجب على من يريد كشف ضلال هؤلاء وأمثالهم أن لا يوافقهم على لفظ يحمل حتى يتبين معناه ويعرف مقصوده ، ويكون الكلام في المعاني العقلية الميئنة ، لا في معاني مشتبهة ، بألفاظ جملة .

(ص ١٨٠) وما تنازع فيه الأمة من الألفاظ المجمة كلفظ المنحيز والجهة والجسم والجوهر والعرض وأمثال ذلك ، فليس على أحد أن يقبل مسعى امم من هذه الأسماء ، لا في النفي ولا في الإثبات ، حتى يتبين له معناه .

فلسفة المعتزلة والجهمية في نفي الصفات والأفعال

(ص ١٨٢) إن المعتزلة والجهمية نفت أن يقوم بالله تعالى صفات وأفعال بناءً على هذه الحجة ، قالوا لا تُف الصفات والأفعال لا تقوم إلا بجسم ، وبذلك استدلو على حدوث الجسم . . . فصاروا ينفون ما ينفونه من صفات الله تعالى لأن إثبات ذلك يقتضي أن يكون الموصوف جسماً ، وذلك ممتنع ، لأن الدليل على إثبات الصانع إنما هو حدوث الأجسام ، فلو كانت جسماً لبطل دليل إثبات الصانع .

وقالت المعتزلة كأبي الحسين وغيره أيضاً : إن صدق الرسول معلوم بالمعجزة ، والمعجزة معلومة بكون الله تعالى لا يظهرها على يد كاذب . . . وغناه معلوم بكونه ليس بجسم ، وكونه ليس بجسم معلوم بنفي الصفات ، فلو قامت به الصفات لكان جسماً ، ولو كان جسماً لم يكن غنياً ، وإذا لم يكن غنياً لم يمتنع عليه فعل القبيح ، فلا يؤمن أن يظهر المعجزة على يد كذاب ، فلا يبقى لنا طريق إلى العلم بصدق الرسول ، فهذا الكلام ونحوه أصل دين المعتزلة .

(ص ١٨٩) وجمهور العقلاء ، وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم ، وأن الله تعالى يحدث الأعيان ويبدعها ، وإن كان يحيل الجسم الأول إلى جسم آخر ، فلا يقولون إن جرم النطفة باق في بدن الإنسان ، ولا جرم النواة باق في النخلة ، والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع . والمقصود هنا أن هذه القواطع العقلية ، هي التي يعارضون بها الكتب الإلهية ، والنصوص النبوية ، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها . فيقال لهم : أنتم وكل مسلم عالم ، تعلمون بالاضطرار أن إيمان السابقين الأولين من المهاجرين

والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، لم يكن مبنيًا على هذه الحجج المبنية على الجسم ، ولا أمر النبي أحدًا أن يستدل بذلك على إثبات الصانع ، ولا ذكر الله تعالى في كتابه وفي آياته الدالة عليه وعلى وحدانيته شيئًا من هذه الحجج المبنية على الجسم والعرض ، وتركيب الجسم وحدوثه ، وما يتبع ذلك ، فن قال : إن الإيمان بالله ورسوله لا يحصل إلا بهذه الطريق ، كان قوله معلوم الفساد بالاضطرار من دين الاسلام .

وأما السلف والأئمة فينكرون صحتها في نفسها وبعبئونها لاشتغالها على كلام باطل ، ولهذا تكلموا في ذم مثل هذا الكلام ، لأنه باطل في نفسه لا يوصل الى حق بل الى باطل . . . وان تقديم الشرع المعارض لها لا يكون قدحًا في العقليات التي هي أصل الشرع ، بل يكون قدحًا في أمور لا يفتقر الشرع اليها ولا يتوقف عليها وهو المطلوب .

أول من أظهر هذا النفي في الإسلام

وأول من أظهر هذا النفي في الاسلام الجعد بن درهم معلم مروان بن محمد (سنة ١٣٢هـ) ، قال الامام أحمد : وكان يقال انه من أهل خراسان ، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات ، وكان بجوران هؤلاء النفاة الصابئة الفلاسفة أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال ، ولهم مصنفات في دعوة الكواكب ، كما صنفه ثابت بن قرة (سنة ٢٨٨هـ) وأمثاله من الصابئة الفلاسفة أهل حران ، كما صنفه أبو معشر الفلكي (سنة ٢٧٢هـ) وأمثاله ، وكان لهم بها هيكل العلة الأولى ، وهيكل العقل الفعال ، وهيكل النفس الكلية ، وهيكل زحل ، وهيكل المشتري ، وهيكل المريخ ، وهيكل الشمس ، وهيكل الزهرة ، وهيكل عطارد ، وهيكل القمر .
فالعقول عندهم عشرة ، والنفوس تسعة بعدد الأفلاك .

نفي الجبر وإثبات القدر

(ج ١ ص ٣٥) عن بقية بن الوليد (سنة ١٩٧ هـ) قال : سألت الزبيدي (سنة ١٤٩ هـ) والأوزاعي (سنة ١٥٢ هـ) عن الجبر ، فقال الزبيدي : أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، ولكن يقضي وبقدر ، ويجعل عبده على ما أحب ، وقال الأوزاعي : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ، ولا السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء والقدر والخلق والجبر ، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله (ﷺ) ، فهذان الجوابان أحسن الأجوبة . أما الزبيدي محمد بن الوليد صاحب الزهري (سنة ١٢٤ هـ) فانه قال : أمر الله أعظم ، ويريدون بعضلها - أي النفس - منعها مما ترزاه . وأما الأوزاعي فانه منع من إطلاق هذا اللفظ حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة ، فيُفْضَى إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل .

(ص ٣٦) قال النبي (ﷺ) لا شئ عبد القيس : إن فيك لخصيتين يجبهما الله ، الحلم والأناة ، فقال : أخلقين تخلقت بهما أم خلقين جبت عليهما ؟ فقال : بل خلقين جبت عليهما ، فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يجبهما الله « رواه مسلم » .

(ص ٣٩) وبذلك يقين أن الشارع عليه السلام نصّ على كل ما يعصم من المهالك نصّاً قاطعاً للعذر ، وقال تعالى : « وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم ، حتى يبين لهم ما يتقون » .

الإسلام يجمع الفرق ويعمّها

(ص ٥٠) قال الشيخ أبو الحسن الأشعري في أول مقالات اختلاف الاسلاميين : اختلف المسلمون بعد نبيهم في أشياء ضلّ فيها بعضهم بعضاً ، وتبرأ بعضهم من بعض ، إلا أن الإسلام يجمعهم فيهممهم ، فهذا مذهبه وعليه أكثر الأصحاب ،

وأما الفقهاء فقد نقل عن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال : لا أُرَدُّ شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية^(١) ، فانهم يعتقدون حلَّ الكذب . وأما أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة . . . والذي تختاره أن لا نكفر أحداً من أهل القبلة .

(ج ٢ ص ٥٢) ثم إنه ما من هؤلاء إلا آمن له في الإسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة ، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرّف أحوالهم ، وتكلم فيهم بصدق وعدل وإنصاف .

وصف القرآن الكريم في الحديث النبوي

(ص ٢٩) رَوَى الترمذي (سنة ٢٧٩ هـ) وغيره عن علي (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ) : إنها ستكون فتن ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصصه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء . . . من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم » .

(١) الخطابية : أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه ، تبرأ منه ولمنه وأخبر أصحابه بالبراءة منه ، وشدد القول في ذلك ، . . . فلما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه . زعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آله ، وقال بالهبة جعفر بن محمد ولهية آباءه (انظر الملل والنحل للشهرستاني) .

الترجمة التفسيرية للقرآن

ولذلك يترجم القرآن لمن يحتاج إلى تفهيمه إياه بالترجمة ، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأئمة وكلامهم بلغتهم ، ويترجم بالعربية ، كما أمر النبي (ﷺ) زيد بن ثابت (سنة ٤٥ هـ) أن يتعلم كتاب اليهود ليقرا له ويكتب له ذلك ، حيث لم يأمن اليهود عليه .

إثبات الإرادة الأزلية والعلّة الفاعلية والغائية

(ص ٢٠٣) الأشعرية أثبتوا السبب الفاعل لإرادة العبد ، وأثبتوا لله إرادة قديمة تتناول جميع الحوادث ، ولكن لم يثبتوا لها الحكمة المطلوبة والعاقبة الحمودة ، فكان هؤلاء بمنزلة من أثبت العلّة الفاعلية دون الغائية ، وأولئك بمنزلة العلّة الغائية دون الفاعلية . والمتفلسفة المشاؤون يدعون إثبات العلّة الفاعلية والغائية ، ويمثلون ما في العالم من الحوادث بأسباب وحكم وحقيقة قولهم : إن أفعال الرب تعالى ليس فيها حكمة ولا عاقبة حمودة ، لأنهم ينفون الإرادة ، ويقولون ليس فاعلاً مختاراً .

حدوث ما يحدثه تعالى من المخلوقات تابع لأفعاله الاختيارية

(ج ٢ ص ٣) حدوث ما يحدثه الله تعالى من المخلوقات تابع لما يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة بنفسه ، وهذه سبب الحدوث والله تعالى حيّ قيوم ، لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما يشاء فعّال لما يشاء ، وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث ، ونقلوه عن السلف والأئمة ، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام والفلسفة المتقدمين والمتأخرين ، بل هو قول جمهور المتقدمين من الفلاسفة ، وعلى هذا فيزول الإشكال ، ويكون إثبات خلق السموات إنما يتم بما جاء به الشرع وكل كمال وصف به المخلوق من غير امتناعه لنقص ، فالخالق أحق به ، وكل نقص نزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه

عنه ، والفعل صفة كمال لا صفة نقص ، كالكلام والقدرة ، وعدم الفعل صفة نقص كعدم الكلام وعدم القدرة ، فدلّ العقل على صحة ما دلّ عليه الشرع وهو المطلوب .

ولما كان الإثبات هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخاري (سنة ٢٥٦ هـ) وأبي زرعة (سنة ٢٦٤ هـ) وأبي حاتم (سنة ٢٧٧ هـ) ومحمد بن يحيى الذهلي (سنة ٢٥٨ هـ) وغيرهم من العلماء الذين أدركهم محمد بن اسحق (سنة ٣١٣ هـ) وابن خزيمة (سنة ٣١١ هـ) ، كان المستقر عنده ما تلقاه عن أئمنه من أن الله تعالى ، لم يزل متكلماً إذا شاء ، وأنه يتكلم بالكلام الواحد مرة بعد مرة .

الكشف عن مذهب المعتزلة وبيان حقيقته

(ص ٦) كانت المعتزلة تقول : إن الله مُنَزَّهٌ عن الأعراض والأبعاد والحوادث والحدود ، ومقصودهم نفي الصفات ونفي الأفعال ، ونفي مباينته للخلق وعلوه على العرش ، وكانوا يعبرون عن مذاهب أهل الإثبات أهل السنة بالعبارات المجملة التي تشعر الناس بفساد المذهب ، فانهم إذا قالوا إن الله مُنَزَّهٌ عن الأعراض لم يكن في ظاهر هذه العبارة ما يُنكَرُ ، لأن الناس يفهمون من ذلك أنه مُنَزَّهٌ عن الاستغالة والفساد ، كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض والأسماع ، ولا ريب أن الله مُنَزَّهٌ عن ذلك ، ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ولا غير ذلك ، من الصفات التي يستوئنها هم أعراضاً . وكذلك إذا قالوا : إن الله مُنَزَّهٌ عن الحدود والأحياز والجهات ، أو هموا الناس أن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ، ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ، ومقصودهم أنه ليس مبايناً للخلق ولا منفصلاً عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله ، وأن محمداً لم يعرج به إليه ، ولم ينزل منه شيء ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا يتقرب إليه شيء ، ولا يتقرب إلى شيء ، ولا ترفع إليه الأيدي في الدعاء ولا غيره ،

ونحو ذلك من معاني الجهمية . وإذا قالوا إنه ليس بجسم أو هموا أنه ليس من جنس المخلوقات ، ولا مثل أبدان الخلق ، وهذا المعنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ، ولا تقوم به صفة ، ولا هو مبين للخلق وأمثال ذلك . وإذا قالوا : لا تحله الحوادث أو هموا الناس أن مرادهم أنه لا يكون محلاً للتعبيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين فتفيلهم وتفسدهم ، وهذا معنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه ، ولا له كلام ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته ، وأنه لا يقدر على استواء أو نزول أو إتيان ، أو مجيء ، وأن المخلوقات التي خلقها لم يكن منه عند خلقها فعل أصلاً ، بل عين المخلوقات هي الفعل ، ليس هناك فعل ومفعول ، وخلق ومخلوق ، بل المخلوق عين الخلق ، والمفعول عين الفعل ونحو ذلك . وابن كلاب ومن اتبعه وافقوهم على هذا وخالفوهم في إثبات الصفات .

الإمام الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى

وكذلك الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى ، ولهذا يثبت العلو ونحوه مما تنفيه المعتزلة ، ويثبت الاستواء على العرش ، ويرد على من تأوله بالاستيلاء ونحوه مما لا يختص بالعرش - أي هو تعالى مستول على كل شيء من مخلوقاته لا على العرش وحده ، وهو العالي على كل شيء ، المحيط بكل شيء في جميع أحواله من نزوله وارتفاعه ، لا يحيط به شيء ، ولا يحتوي عليه شيء . وكان الأشعري وأئمة أصحابه يقولون أنهم يخرجون بالعقل لما عرف ثبوته بالسمع ، فالشرع هو الذي يعتمد عليه في أصول الدين ، والعقل عاضد له معاود . لكن المعتزلة القائلون بأن دلالة السمع موقوفة على صحته صرحوا بأنه لا يستدل بأقوال الرسول على ما يجب ويمتنع من الصفات بل ولا الأفعال ، وصرحوا بأنه لا يجوز الاحتجاج على ذلك بالكتاب والسنة وإن وافق العقل فكيف إذا خالفه . وهذه الطريقة هي التي سلكها من وافق للمعتزلة في ذلك . وأما الأشعري وأئمة

أصحابه فإنهم مثبتون لها (أي الصفات الخبرية) يردون على من ينفيها أو يقف فيها فضلاً عن بنائها .

وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به فإن ابن كلاب والأشعري وغيرهما بنفونها ، وعلى ذلك بنوا قولهم في مسألة القرآن ، وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس فيهم في هذا الباب بما هو معروف في كتب أهل العلم ونسبوه إلى البدعة . والصواب إن الله بجميع صفات ذاته واحد ، لم يزل ولا يزال ، وما أضيف إلى الله من صفات فعله مما هو غير بائن عن الله فغير مخلوق .

التفسير المأثورة مثبتة للصفات

والتفسير المأثورة عن النبي صلوات الله عليه والصحابة والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري (سنة ٣١٠ هـ) ، وتفسير عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بدحيم (سنة ٢٤٥ هـ) ، وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم (سنة ٣٢٧ هـ) ، وتفسير ابن المنذر (سنة ٣٠٩ هـ) ، وتفسير أبي بكر عبد العزيز ، وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني ، وتفسير أبي بكر مردويه ، وما قبل هؤلاء من التفسير مثل تفسير أحمد بن حنبل (سنة ٢٤١ هـ) ، واسحق بن إبراهيم (سنة ٢٣٨ هـ) وبقي بن مخلد (سنة ٢٧٦ هـ) وغيرهم . ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد ، وتفسير عبد الرزاق (سنة ٢١١ هـ) ، ووكيع بن الجراح (سنة ١٩٧ هـ) ، فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يحصى . وكذلك الكتب المصنفة في السنة التي فيها أثار النبي (ﷺ) والصحابة والتابعين .

خلاصة ما تقدم

الرد بعشرات الآيات على من يقول : إن الله تعالى لا يتكلم إلا بأصوات قديمة أزلية ليست متعاقبة وهو لا يقدر على التكلم بها ، ولا له في ذلك مشيئة ولا فعل (٦٠ - ٦٣ ج ٢) وقد جاء في آخرها قوله : وأمثال ذلك كثير في كتاب الله تعالى ، بل يدخل في ذلك عامة ما أخبر الله به من أفعاله لا سيما

المرتبة كقوله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترحمي » ، « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده » ، « ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين » وآيات كثيرة كلها تدلّ على أفعال الله تعالى بالتعاقب والترتيب .

(ص ٦٠) وخلاصة هذا المبحث الطويل الجليل هو في قوله : لكن المقصود هنا أن نبين أن القرآن والسنة فيهما من الدلالة على هذا الأصل ما لا يسكاد 'يُحصَر' ، فمن له فهم في كتاب الله يستدلّ بما ذكر من النصوص على ما ترك ، ومن عرف حقيقة قول النفاة علم أن القرآن منافض لذلك مناقضة لا حيلة لهم فيها ، وأن القرآن بثبت ما يقدر عليه ويشأؤه من أفعاله تعالى التي ليست هي نفس المخلوقات .

كلام هؤلاء الطوائف

من تدبر كلام هؤلاء الطوائف بعضهم مع بعض تبين له أنهم لا يعنصمون فيما يخالفون به الكتاب والسنة إلا بحجة جدلية يسلمها بعضهم لبعض ، وآخر منتهاهم حجة يحتجون بها في إثبات حدوث العالم لقيام الأكوان به أو الاعتراض ، ونحو ذلك من الحجج التي هي أصل الكلام المحدث الذي ذمّه السلف والائمة ، وقالوا إنه جهل ، وإن حكم أهله أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ؟ ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ؟ وكذا من عرف حقائق ما انتهى إليه هؤلاء الفضلاء الأذكياء ازداد بصيرة وعلمًا و يقينا بما جاء به الرسول (ﷺ) ، وبأن ما يعارضون به الكتاب والسنة من كلامهم الذي يسمونه عقليات ، هي من هذا الجنس الذي لا يتفق إلا بما فيه من الألفاظ المجعلة المشبهة مع من قلت معرفته بما جاء به الرسول ، وبطرق إثبات ذلك ، ويتوهم أن يمثل هذا الكلام بثبت معرفة الله وصدق رسله ، وأن الطعن في ذلك طعن فيما به يصير العبد مؤمنا ، فيتعجل ردّه كثير مما جاء به الرسول (ﷺ) ، لظنه أنه بهذا الردّ يصير مصدقا للرسول في الباقي .

(ص ٢٠٧) وهذا مما يبين أن ما جاءت به الرسل هو الحق ، وأن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل ، وأن صريح المعقول ، لا يتناقض صحيح المنقول ، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه ، وما يدخل في العقل وليس منه ، كالذين جعلوا من السمع أن الرب لم يزل معطلاً عن الكلام والفعل ، لا يتكلم بمشيئته ، ولا يفعل بمشيئته ، بل ولا يمكنه عندهم أنه لا يزال يتكلم بمشيئته ويفعل بمشيئته ، فجعل هؤلاء هذا قول الرسل ، وليس هو قولهم . وجعل هؤلاء من المعقول أنه يمتنع دوام كونه قادراً على الكلام والفعل بمشيئته .

(ص ١١١) فإذا خلق في الشجرة «إني أنا الله رب العالمين» - ولم يقم هو به كلام - كان ذلك كلاماً للشجرة ، فتكون هي القائلة !! والحوادث لا تحل به تعالى من غير مشيئة ولا قدرة ، بل بفعلها بمشيئته وقدرته ، وانصافه بها واجب لأنها صفات كمال . والذات الموصوفة بصفاتهما ، القادرة على أفعالها ، مستلزمة لما يلزمها من الصفات ، قادرة على ما نشأؤه من الأفعال .

نفى القول بخلق القرآن

(ص ١٢٣) إن الطريقة المعروفة التي سلكها الأشعري وأصحابه في مسألة القرآن هم ومن وافقهم على هذا الأصل من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي الحسن التميمي ، والقاضي أبي بهلى (سنة ٤٥٨ هـ) وابن عقيل (سنة ٢٥٥ هـ) وأبي الحسن الزعفراني (سنة ٢٥٩ هـ) من أصحاب أحمد (سنة ٢٤١ هـ) . وكأبي المعالي (سنة ٤٧٨ هـ) وأمثاله وأبي القاسم الروامي ، وأبي سعيد المتولي (سنة ٤٧٨ هـ) وغيرهم من أصحاب الشافعي (سنة ٣٠٤ هـ) ، والقاضي أبي الوليد الباجي (سنة ٤٧٤ هـ) وأبي بكر الطرطوشي (سنة ٥٢٠ هـ) وأبي بكر بن العربي (سنة ٥٤٣ هـ) وغيرهم من أصحاب مالك (سنة ١٧٩ هـ) ، وكأبي منصور الماتريدي (سنة ٣٣٣ هـ) وميمون النسفي (سنة ٥٠٨ هـ) وغيرهما من أصحاب أبي حنيفة

(سنة ١٥٠ هـ) ، أنهم قالوا : لو كان القرآن مخلوقاً لزم أن يخلفه إما في ذاته أو في محل غيره ، أو قائماً بنفسه ، لا في ذاته ولا في محل آخر ، و(الأوّل) يستلزم أن يكون محلاً للحوادث ، و (الثاني) يقتضي أن يكون الكلام كلام المحل الذي خلق فيه فلا يكون ذلك الكلام كلام الله ، كسائر الصفات إذا خلقها في محل ، كالعالم والحياة والحركة واللون وغير ذلك . (والثالث) يقتضي أن تقوم الصفة بنفسها ، وهذا مُمتنع . فهذه الطريقة هي عمدة هؤلاء في مسألة القرآن ؛ وقد سبقهم عبد العزيز المكي (سنة ٢٤٠ هـ) صاحب المحاور المشهورة إلى هذا التقسيم ، وقد يظنّ الظان أن كلامهم هو كلامه بعينه ، وأنه كان يقول بقولهم إن الله لا يقوم بذاته ما يتعلق بقدرته ومشيئته ، وإن قوله من جنس قول ابن كلاب ؛ وليس الأمر على ذلك ، فإنّ عبد العزيز هذا ، له في الردّ على الجهمية وغيرهم من الكلام ما لا يعرف فيه خروج عن مذهب السلف وأهل الحديث . وذكر طرفاً من هذه المناظرة التي جرت بحضور الخليفة المأمون بين عبد العزيز الكنعاني المكي وبشر المريسي (سنة ٢١٨ هـ) إلى أن قال عبد العزيز : وما كان قبل الخلق متقدماً ، فليس هو من الخلق في شيء ثم قال : فقد كسرت قول بشر بالكتاب والسنة واللغة العربية ، والنظر والمعقول . ثم قال ابن تيمية - معلقاً على كلام عبد العزيز وبشر - : والمقصود هنا أن ما قام بذاته ، لا يسميه أحد منهم مخلوقاً ، سواء كان حادثاً أو قديماً ، وبهذا يظهر احتجاج عبد العزيز على بشر ، فإنّ إشراً من أئمة الجهمية نفاة الصفات ، وعنده : لم يقم بذات الله تعالى صفة ولا فعل ولا قدرة ولا كلام ولا إرادة ، بل ما تسمّى عنده إلاّ الذات المجردة عن الصفات والمخلوقات المنفصلة عنها كما تقول بذلك الجهمية من المعتزلة وغيرهم ، فاحتجّ عليه عبد العزيز بحجتين عقليتين ، (إحداهما) أنه إذا كان كلام الله مخلوقاً ، ولم يخلفه في غيره ولا خلقه قائماً بنفسه ، لزم أن يكون مخلوقاً في نفس الله ، وهذا باطل ، و (الثانية) أن

المخلوقات المنفصلة عن الله خلقها الله بما ليس من المخلوقات ، إما القدرة كما أقر به بشر ، وإما فعله وأمره وإرادته كما قاله عبد العزيز ، وعلى التقديرين ثبت أنه كان قبل المخلوقات من الصفات ما ليس بمخلوق فبطل أصل قول بشر والجهمية أنه ليس لله صفة ، وأن كل ما سوى الذات المجردة فهو مخلوق ، وتبين أن الذات يقوم بها معان ليست مخلوقة ، وهذا حجة مثبتة الصفات للقائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق على من نفي الصفات ، وقال بخلق القرآن .

قصور كثير من المصنفين في المقالات والمذاهب عن بلوغ الغاية (ص ١٥٨) يوجد كثير من المتأخرين المصنفين في المقالات والكلام يذكرون - في أصل عظيم من أصول الإسلام - الأقوال التي يعرفونها ، وأما القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع الصحيح من كل قول ، فلا يعرفونه ولا يعرفون قائله ، فاشهرستاني صنف الملل والنحل وذكر فيها من مقالات الأئمة ما شاء الله . والقول المسروق عن السلف والأئمة لم يعرفه ولم يذكره ، والقاضي أبو بكر ، وأبو المعالي ، والقاضي أبو يعلى ، وابن الزعفراني ، وأبو الحسين البصري ، ومحمد بن المبرقع ، ونحو هؤلاء ، من أعيان الفضلاء المصنفين ، تجد أحدهم يذكر في مسألة القرآن أو نحوها عدة أقوال للأئمة ويختار واحداً منها ، والقول الثابت عن السلف والأئمة كالإمام أحمد ونحوه من الأئمة لا يذكره الواحد منهم ، مع أن عامة المنتسبين إلى السنة من جميع الطوائف يقولون أنهم متبعون للأئمة كمالك والشافعي وأحمد وابن المبارك (سنة ١٨١ هـ) وحماد بن زبد (سنة ١٧٩ هـ) وغيرهم لاسيما الإمام أحمد فإنه بسبب المحنة المشهورة من الجهمية له ولغيره أظهر من السنة ورد من البدعة ما صار به إماماً لما بعده ، وقوله هو قول سائر الأئمة ، فعامة المنتسبين إلى السنة يدعون متابعتهم والافتداء به ، سواء كانوا موافقين له في الفروع أو لا ، فإن أصول الأئمة في أصول الدين متفقة ، ولهذا كلما اشتهر الرجل بالانتساب إلى السنة كانت موافقته لأحمد

أشدّ ، ولما كان الاشعري ونحوه أقرب الى السنّة من طوائف من أهل الكلام ، كان انسابه إلى أحمد أكثر من غيره كما هو معروف في كتبه .
 . . . والعصمة إنما هي ثابتة لمجموع الأمة ليست ثابتة لطائفة بعينها .

قول الحشوية المنتهين إلى الظاهر

(ص ١٥٩) ذهب الحشوية المنتمون إلى الظاهر إلى أنّ كلام الله تعالى قديم أزلي ، ثمّ زعموا أنه حروف وأصوات ، وقطعوا بأنّ المسجوع من أصوات القرآن ، ونفائهم عين كلام الله تعالى ؛ وأطلق الرعاى منهم القول بأنّ المسجوع صوت الله تعالى عن قولهم ومعلوم أنّ هذا القول لا يقوله عاقل بتصور ما يقول ، ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين ، ولا رأينا في كتاب أحد أنّ المداد الحادث انقلب قديما ، ولا أنّ المداد الذي يكتب به القرآن قديم ، بل رأينا عاتمة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ينكرون هذا القول ، وينسبون ناقله عن بعضهم إلى الكذب ، وأبو المعالي وأمثاله أجلّ من أن يتعمّدوا الكذب ؛ لكن القول المحكي قد يسمع من قائل لم يضبطه ، وقد يكون القائل نفسه لم يخبر قولهم ، بل يذكر كلاما مجملا يتناول النقيضين .

ما جاءت به الكتب والرسل هو الحق

(ص ٢٠٧) وهذا مما يبيّن أنّ ما جاءت به الرسل هو الحق ، وأنّ الأدلة العقلية الصريحة ، توافق ما جاءت به الرسل ، وأنّ صريح المعقول ، لا يناقض صحيح المنقول ، وإنما يدخل التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه ، وما يدخل في العقل وليس منه ، كالذين جعلوا من السمع أنّ الرب لم يزل مغطّلا عن الكلام والفعل ، لا يتكلم بمشيئته ، ولا يفعل بمشيئته ، فجعل هؤلاء هذا قول الرسل ، وليس هو قولهم .

(ج ٣ ص ٨١) فالتوراة مملوءة من وصف الله بمثل ذلك (أي من صفات

الكمال) وكذلك الإنجيل ، وسائر نبوات الأنبياء مثل الزبور ، ونبوة اشعيا ، وأرميا ، وأساطين الفلاسفة كانوا يقولون بذلك ، والسلف من الصحابة والتابعين ، وأهل الحديث متواتر عنهم ذلك .

علم مما تقدم أن الله تعالى كامل الصفات ، له الأسماء الحسنى ، ولا يكون عن الكمال في ذاته وصفاته إلا الفعل المحكم ، لكن تلك الفرق جعلت قواعدهما وأصولها محكمة ، وما أخبر به الرسول منشاها ، ثم أصلاً أصلاً في رد هذا التشابه إلى المحكم ، وما أصاؤه مخالف لصرح العقل وسليم الفطرة ، كما هو مخالف لما جاءت به الرسل عن الله .

قال الإمام ابن القيم : وقد كفانا شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المقصد في عامة كتبه ، لا سيما كتابه الذي وسمه « بيان موافقة العقل لصرح النقل الصحيح » فزق فيه شملهم كل ممزق ، وكشف أمرارهم وهتك أستارهم ، فجزاه الله عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء . وقال أيضاً :

وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود ، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد ، ويمرّف حاله الناقد البصير من الناس ، وقليل ما هم . أقول وخاتمة القول في هذا الباب أن كلام الله ورسوله ، وكلام أئمة السنة والعلم ، هو أوضح تبياناً ، وأرسخ إيماناً ، وأوفى ميزاناً ، يتآخى فيه العقل والنقل ، والطبع والشرع ، والفطرة والدين ، وأنه هو الأسلم ، والأعلم والأحكم ، وأن نقاة الأفعال والصفات ، يشبهونه سبحانه بالجمادات « سبحانه رب العزة عما يصفون » .

ما سمعت وما رأيت

في بلال السوفيت^(١)

- ٤ -

المعرض الزراعي :

زرت هذا المعرض في اليوم الثالث من قدومنا الى موسكو ، وحق له أن يعد في طبيعة المعارض الزراعية العالمية سمةً وتنسيقاً وتنظيماً . افتتح في صيف هذا العام ، والغاية منه على ما قيل الدعاية لما تحقق من تقدم زراعي في البلاد وما تم على يد التعاونيات الزراعية من ازدهار في هذا المضمار .

وتبلغ المساحة التي يشغلها المعرض ٢٠٧ هكتار ويشتمل على ٣٦٠ بناء موزعة على جمهوريات الاتحاد الست عشرة في جانب المباني الرئيسية التي تمثل المصالح العامة . وقد عمل بجد لإخراجه الى حيز الوجود أربعة آلاف من المهندسين الممارسين والرسماء والنحاتين ورؤساء الحرف من جمهوريات الاتحاد كافة .

ويفتح المعرض الزراعي أبوابه في أول شهر آب من كل سنة حتى منتصف شهر تشرين الثاني . يرى الزائر أول ما يرى فيه باحة واسعة تتوسطها بركة كبيرة ذات فوارة عالية ، يحيط بها أحواض ملائى بأنواع الأزهار الجميلة التنسيق والترتيب ، فضلاً عن التماثيل الرخامية العديدة ، والفوارات الجانبية الكثيرة تتلوّن بالمصاييح الكهربائية بألوان شتى مما يجذب سكان موسكو والزائرين القادمين من أنحاء الاتحاد وخارجه أن يجدوا السلى المشودة ناعمين بالنسيم العليل في ليالي الصيف ، مشغفين آذانهم بألحان الجوقات الموسيقية التي تعزف حتى ساعة متأخرة من الليل .

(١) انظر المجلة مج ٣١ : ص ٤١٦ و ٥٨٦ و مج ٣٢ : ص ٤٧٨ .

ولما لم يكن لدينا متسع من الوقت لزيارة الأجنحة جميعها ، أو معظمها ، فقد اضطررنا الى الاكتفاء ببعضها . زرنا بعض الأجنحة التي تمثل المصالح العامة في المعرض بادئين بجناح الآليات (الميكانيكا) الذي تملو سقفه قبة شاهقة ويحوي الكثير من آلات الزراعة الضخمة ، ثم انتقلنا الى جناح الحيوانات الزراعية والماشية ، وعرض علينا نوع من البقر قيل ان نتاج البقرة الواحدة من اللبن في السنة يبلغ ١٦ طناً ، ونوع من الغنم يختلف مقدار ما ينتجه من الصوف بين ١٥ و ٢٥ كيلو سنوياً ، ونوع من الثيران يبلغ وزن الواحد منها ١٦٠٠ كيلو ، في جانب أنواع الخيل العديدة والضخمة وهي ولا شك دون الخيول العربية جودة ومظهراً .

وانتقلنا بالطواف الى جناح بوزبكستان فشهدنا من معروضاته الأنواع المختلفة من العنب والتفاح ، وقد ذقنا بعضه فلم نجد فيه تلك النكهة العطرة التي يمتاز بها ثمر بلادنا . وبعد القطن في طليعة منتوجات هذه الجمهورية الهامة وقدر ما جني منه في هذه السنة بـ ٦٠٪ من قطن بلاد الاتحاد السوفيتي .

وزرنا بعده جناح أرمينية وراعنا فيه أن رأينا الكثير من الفواكه التي اشتهرت بها بلادنا وما جاورها كالبرتقال والمندرين (اليوسفي) والموز في جانب الأثمار الأخرى ، ولهذه الجمهورية شهرة واسعة في صنع الأشربة الروحية .

ورأينا في جناح أوكرانية أنواعاً مختلفة من الحنطة ما بين صيفي وشتوي ، وكذلك الشوفان والشعير ، ولا غرابة ان رأينا سهولها الفسيحة أنشاء تحليق الطائرة فوقها لا يكاد يخلو شبر واحد من أرضها من نبات ، وأن تكون هذه البلاد مطمح الغزاة وتربتها نادرة المثال بالطيبة والخصب .

وشاهدنا في جناح جورجيا المحاصيل الزراعية التي تشبه محاصيل بلادنا شبيهاً كلياً ، وانتهى بنا المطاف الى ما يدعى بالجناح المركزي ويبدو أنه مخصص للدعابة اكثر ما شاهدنا على جدرانها من لوحات ولافتات ملأى بأرقام الإحصاء التي

ترمز الى مدى التقدم الذي أحرزته البلاد في عهد الثورة ووفرة الإنتاج الزراعي الآخذ بالزيادة باطراد . وبزيارة هذا الجناح الأخير ختم طوافنا في المعرض الزراعي وقد استغرق أربع ساعات ولو وددنا زيارة جميع الأجنحة لافتضى لها عدة أيام .

متحف الثورة :

وهو كائن في شارع غوركي ، زرناه في الرابع من تشرين الثاني ، تحفه موزعة على ١١ قاعة خصصت الأولى لما يمثل حالة روسيا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وفي القاعتين الثانية والثالثة معروضات تبين حالة البلاد في خلال الثورة الأولى (١٩٠٥ - ١٩٠٧) ويرى الزائر في القاعة السادسة الوضع الذي كان قائماً خلال الحرب العالمية الأولى ، وبدء الثورة الثانية (١٩١٤ - ١٩١٧) وفي القاعات التالية ماتم في البلاد من أحداث بعد ذلك . وإن من بين التحف المعروضة في قاعات خاصة الهدايا التي تلقاها متالين من شعوب الاتحاد السوفيتي ومن الأصدقاء الأجانب ، وفيها مجموعة من السيوف والأسلحة المختلفة في جانب القطع النفيسة القيمة واللوحات الزيتية .

حفلة الاستقبال في المجمع العلمي السوفيتي :

أقيمت حفلة استقبال لوفدنا في مجلس الهيئة العليا (Presidium) للمجمع العلوم السوفيتي وذلك مساء الخامس من تشرين الثاني .

وصلنا في الموعد المضروب الى مقر المجلس الكائن في أحد الأبنية الفخمة أمام باحة كبيرة من أحد شوارع موسكو الواسعة ، ودخلنا قاعة الاستقبال الفسيحة ، وبعد التعارف مع الأعضاء الذين كان عددهم يربو على العشرين مع بعض مراسلي الصحف والمصورين ، جلسنا حول موائد فضدت عليها أكواب الشاي وما يتبعه من مأكول وأمشربة مختلفة ، ابتداء بالكلام أمين السر العام (السيد طوبجييف) بالروسية سارداً تاريخ المجمع ونشاطه ، وكانت مقاطع خطابه

ترجم نباعاً الى الفرنسية من قبل ترجماننا المرافقة (نادين) ، ورد عليه الزميل الأمير جعفر بالفرنسية بكلمة مناسبة شاكرًا للمجمع العلوم السوفيتي دعوته لأعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق ، والخفاوة البالغة التي يلقاها الوفد في كل مؤسسة يزورها متمنياً للمجمع اطراد التقدم ، وتلاه أمين السر المساعد بكلمة ألقاها بالفرنسية مطرباً الجهد الذي يبذله مجعنا العلمي في نطاق عمله خاصاً بالتناء زميلنا الأستاذ الدهان لبلائه البلاء الحسن في نشر المخطوطات وخبرته الواسعة في هذه الناحية ، وأخذت لنا أثناء ذلك عدة صور ودامت الحفلة قرابة الساعتين .

فما اطلعت عليه أن هذا المجمع الذي كان يعرف بالمجمع الروسي قد تأسس من قبل بطرس الأول سنة ١٧٢٤ فيكون قد سلخ من العر حتى عام زيارتنا سنة ٢٣٠ وكان مقره في العاصمة بطرسبورغ (بتروغراد ثم ليننغراد الآن) وتم نقله الى موسكو بعد سنة ١٩٢٦ ، وقد أدى المجمع خدمات جلى ولا سيما في عهد رئيسه ميخائيل لومونوسوف (Mikhail Lomonossov) بكثرة العلماء الذين تم توجيههم وتخرجهم بأشرافه :

وقد نص نظامه الأساسي الجديد الذي صدق سنة ١٩٣٥ ان من أهداف المجمع الرئيسية الاستفادة الرئبية مما يحققه العلم للمساهمة في تشييد مجتمع شعبي دون تمييز بين الطبقات ، وتضاعف نشاط المجمع بعد انتقاله الى موسكو وارتباطه بالسلطات الحكومية الموجهة ارتباطاً شديداً بالأواصر .

وأصبح مجمع علوم الاتحاد السوفيتي الآن معدوداً في طليعة المعاهد العلمية في العالم وبعد أن كان عدد أعضائه قبل الثورة ١٥٤ فقد أصبح ١٦٠ عضواً عاملاً و ٣٣٠ عضواً مراسلاً وبلغ عدد العلماء المنتسبين إليه ١٠٠٠٠ ومجموع العاملين فيه ٣٠٠٠٠ .

وما قاله أمين السر العام إن لينين 'عني بالعالم واقتنى ستالين أثره مما أدى الى ازدهار مجمع العلوم السوفيتي وتحقيق أهدافه مهمة لا تعرف الكل وأصبح

من أكبر المؤسسات العلمية في العالم - وان للمجمع الآن ثمانية فروع وهي :
العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والكيمياء والجغرافيا وعلم الأحياء (Biology)
والتكنيكا (Technic) والتاريخ والحقوق والفلسفة والأدب ، ويرتبط بالمجمع
أكثر من ٥٠ مؤسسة للبحوث العلمية ، و ١٦ ملحقا لها مقرها في نواحي البلاد
النائية ، كما أنه يشرف على ٣ مرصد جوية و ١٧ مختبرا .

وللمجمع علوم الاتحاد السوفيتي الصلة الوثيقة بمجامع جمهوريات الاتحاد . ويشرف
المجلس الأعلى على إحكام الصلة ما بين أجزاء هذا الجهاز الهائل ، فيجتمع سنوياً
في موسكو وينظم الخطط اللازمة الرامية الى تحقيق البحوث العويصة والعظيمة .
وعلى ذلك فقد زاد عدد المشتغلين من رجاله ٦٠ ضعفا عما كان عليه قبل الثورة
وارتفع رقم الموازنة ٧٠٠ ضعفا .

وتدير الأعمال لجنة تتألف من رؤساء الملاحق ويعمل تحت إشرافها الآن
(١٩٥٤) ٤٠٠٠ باحث لتحضير الأطروحات .

وان في جانب مجمع العلوم السوفيتي مجامع للزراعة والطب والفنون الجميلة .
والصلات بين هذه المجامع متينة ، إذ يشترك معظم الأعضاء في الهيئة العليا
المشرفة على إدارة البلاد (اللجنة المركزية للحزب الشيوعي) .
ويمنح المجمع جوائز سنوية قدرها ٣٠٠٠٠٠ روبل ^(١) في الدرجة الأولى
و ١٠٠٠٠٠ في الدرجة الثانية و ٥٠٠٠٠ في الدرجة الثالثة .

وللمجمع العلوم السوفيتي ٥٠ مجلة علمية وقد بلغ عدد المطبوعات والنشرات
التي تم طبعها في هذه السنة ٣٠٠٠٠ .

وقد علمت أن الهيئة العليا للمجمع العلوم السوفيتي تضم بين أعضائها طيبيين
أحدهما يرأس شعبة بحوث الجلمة العصبية (وقد زرنه في اليوم السابق) والثاني
أستاذ الفيزيولوجيا في كلية الطب .

(١) يساوي الدولار الأمريكي ٤ روبلات في ذاك الحين ، وقد طبعت هذه القبة
عن ذي قبل الآن .

معهد الآداب الأجنبية :

زرنا هذا المعهد في السادس من تشرين الثاني ، وقد راعنا فيه حفظ مخطوطات غوركوي ومخطوطاته وما الى ذلك من الآثار بطريقة فنية دقيقة بقيها البلى والفساد مع تقادم العهد وتطاول الزمن ، فضلاً عن الترتيبات المتخذة ضد الحريق .

دار كتب لينين :

يعنى أولو الأمر في بلاد الاتحاد السوفيتي عناية فائقة بفشر العلوم وتهوين السبيل للبحث والمطالعة فما زرنا مؤسسة من المؤسسات التي زرناها في شتى أنحاء البلاد إلا رأينا فيها مكتبة عامرة ، كما ان لكل معمل من المعامل بناءً ضخماً في قربه يدعى بقصر الثقافة (Palais de Culture) يضم فيما يضمه مكتبة تحوي من الكتب ما يرفع مستوى العامل وينيح له أن ينمي معلوماته ويستزيد علمك مما يفسح له المجال الى زيادة الأجر ونوال التقدير ، في جانب ما يضمه المبنى المذكور من مسرح للتمثيل وقاعة للسينما وملعب للرياضة .

ولقد تراءى إلينا أن عدد المكتبات العامة في بلاد الاتحاد قد بلغ ٣٦٨ ألف (سنة ١٩٥٤) منها زهاء ألف في العاصمة وحدها . ومما يباهي به رجال هذا العهد أن موسكو لم يكن فيها عام ١٩١٣ سوى ١٢ مكتبة عامة عدد المجلدات فيها ٨٥ ألف وارتفع في هذه السنة الى ١٥٠ مليوناً .

ولدار كتب لينين في العاصمة السوفيتية المقام الأول وهي من مفاخر هذه البلاد حقاً ولم أر مثيلاً لها في المكتبات التي زرتها في عواصم بلاد الغرب المختلفة . زرناها في السادس من الشهر وقد استقبلنا القيم عليها وأدلى إلينا بالمعلومات التالية : يعود تأريخ تأسيس هذه المكتبة الى سنة ١٨٦٣ ولم يكن عدد مائتة من عليه من كتب لي تجاوز قبل الثورة ١٠٠٠٠ مجلدة واقتصر عدد القاعات فيها على ٢٠ حتى سنة ١٩١٢ ، أضيف إليها ١٤ قاعة ، ومرعان ما ارتفع عدد

الكتب الى مليونين وأصبح الآن (سنة ١٩٥٤) ٧٧ مليون و ٢٠٠ ألف ^(١) وارتفع عدد الموظفين فيها من ٤٥٠ الى ١٧٥٠ وان مجموعة نادرة من الصحف تحويها المكتبة في جانب المخطوطات والطبعات الأولى من مطبوعات القرنين الثالث عشر والرابع عشر والتي تعد الوحيدة من نوعها ولا سيما فيما يختص بالأستاذة الروس من أدباء وعلماء .

ويشتمل فرع الكتب النادرة على مجموعة عظيمة من المنشورات الروسية من العصر السادس عشر الى العصر التاسع عشر وان من بين هذه الكتب ما كان منوعاً اقتناؤه في العهد القيصري وتم طبعه بصورة سرية .

وتحفظ المكتبة باحترام كلي الطبقات الأولى لماركس (Marx) وأنجل (Engels) كما انها قد جمعت فيها الطبقات الأولى لمؤلفات لينين (V. Lenin) وستالين (J. Staline) .

وايست موجودات المكتبة باللغة الروسية وحدها بل ان فيها كتباً كتبت بـ ١٦٦ لغة . وهي تتبادل المطبوعات مع معظم مكتبات العالم وترد اليها مطبوعات الاتحاد السوفيتي بالجان ، تقني ما صدر منها خارج بلاد الاتحاد إما عن طريق التبادل أو الشراء ، وقد قيل لنا ان عدد الكتب النادرة يبلغ ١٨٠٠٠٠ وعدد ما فيها من كتب عربية ٣٥٠٠ ، منها ١٥٢ مخطوطة . والمكتبة مشتركة بـ ٩٠ صحيفة و ٨٠ مجلة واشتركت سنة ١٩٥٤ بـ ٨٦ من مصر ولبنان وفيها ٦٢ ألف ميكروفيلم .

ولا أدل على عظمة هذه المكتبة من أن طول الرفوف التي نضدت الكتب فوقها يبلغ مجموعه ٢٠٧ كيلو متر ، وأن ثقل الكتب من مستودعها الى قاعة التوزيع ليتم بحافلة كهربائية خاصة .

(١) لقد حاولت عبثاً الحصول على معلومات حديثة عن هذه المكتبة وعن جامعة موسكو سواء بالكتابة أو بتكليف من لهم صلة من السوفييتين ، مما يشير الى استمرار التحفظ الشديد في اقامة الصلة بالأجانب ، شأنهم فيما مضى دون اي تغيير .

تفتح المكتبة أبوابها للقراء من التاسعة صباحاً حتى الثالثة والعشرين والنصف ليلاً ويختلف عدد القراء فيها من ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ في اليوم . موازنتها ٥٠ مليون روبل .

وإن مما جلب انتباهنا فيها القاعة المخصصة للأولاد ، والجهاز الفني الذي يشتمل على ٣ مختبرات للكيمياء ومختبر واحد للبحث الفطري (Mycology) وفيها فهرس يشتمل على جميع الكتب التي طبعت في بلاد الاتحاد السوفيتي . وإن المكتبة تتبادل الكتب مع ٥٢٥ مؤسسة منها ٧٤ في الولايات المتحدة و ٣٤ في المملكة المتحدة و ٣٣ في فرنسا . وتصدر نشرة سنوية عن الكتب الأجنبية . وإن مما قاله قيم المكتبة لنا إن في النية توسيع المكتبة في السنة القادمة ، وإن لما ٣ ملاحق اثنان منها في موسكو وواحد في بالطة .

هذا وبالإضافة الزائر للمكتبة الهدوء والسكون اللذين يجنيان على من فيها من موظفين وقراء بما فيهم الأولاد وتنظيم العمل في استقدام الكتب في متتهى السرعة ، إذ لا يستغرق طلب الكتاب من مستودعه ووصوله إلى قاعة المطالعة بالحافلة الكهربائية أكثر من بضع دقائق .

العرض العسكري :

وهو العرض العسكري المذكور ٢٧ لثورة ١٥ تشرين الأول بquam في صباح السابع من تشرين الثاني الآن (بعد أن بدل التاريخ الشرقي السابق بالتاريخ الغربي) ويقام نظيره في الأول من أيار من كل سنة وكلاهما يوم عيد وطني تعطل فيه جميع الأعمال والمصالح في أنحاء الاتحاد السوفيتي كافة .

”بنينا مساء اليوم السابق بالدعوة التي وجهت إلينا لشهود العرض العسكري ولم نلِ إلينا بطاقات الدعوة إلا صباح هذا اليوم نفسه . وقد أعلننا بلزوم ترك الفندق قبل موعد العرض بساعتين وأن علينا أن نذهب إلى الساحة الحمراء (مكان العرض) مشياً على الأقدام لأن وسائل النقل بما في ذلك السيارة

المخصصة لركوبنا معطلة . خرجنا من الفندق صحبة الترجمانة فألفينا الأسواق التي مررنا بها كلها مغلقة الأبواب ، ولم نر أية سيارة في الطرق جميعها ، وكانت شراذم من الجند ترابط بها عند كل مفترق للطرق ، والغريب من هؤلاء الجنود أنهم لا يحملون أي سلاح . اضطررنا للوصول الى الساحة الحمراء أن نسلك سبلاً ملتوية غير مستقيمة حتى استغرق وصولنا اليها ٥٠ دقيقة بينما لا يتجاوز هذا ١٥ دقيقة في الايام الأخرى .

وكنّا نسال عند كل مكان ترابط فيه الجنود عن بطاقات الدعوة التي نجمعها وعن هوياتنا وقد أحصيت عدد المرات التي فقت فيها تلك البطاقات قبلت الثانية ، ولكم لقينا في خلال مرورنا من تلك الطرق الخاوية من ممانعة من الجنود بالمرور طالبين البنا المرور من طريق أخرى لولا كلمات كانت تهمس بها ترجمانتنا ودليلتنا في أذن رئيس تلك الشرذمة من الجنود فيفسح لنا المجال بالمرور دون سوانا من المشاة الذين لبس لهم إلا سلوك الطرق الأخرى .

وصلنا الى الساحة الحمراء في الساعة التاسعة وعشر دقائق ، فوجدناها غاصة بآت الاثوف من البشر ، وقادنا أحد الرتباء الى المكان الذي خصص لجلوسنا وكان رقمه ٦ يبعد عن المنصة الرئيسية قليلاً ويظن أنه مخصص للأجانب وبعض أساتذة الجامعة وأعضاء الجامع ، فقد عرفت من بين هؤلاء أحد الأطباء الذين زرتهم في اليوم السابق في المعهد الطبي الذي يشرف عليه .

وابتدأ العرض العسكري في تمام الساعة العاشرة بقدوم المارشال بولغانين الذي كان إذ ذاك وزيراً للدفاع ، راكباً سيارة مكشوفة وواقفاً فيها لتأدية التحية العسكرية للجموع المحتشدة في جانبي الطريق التي اخترقتها سيارته منطلقاً من أحد أبواب الكرملين ، وتلقاه في آخر الساحة قائد موقع موسكو وهو واقف في سيارة مكشوفة أيضاً .

وكانت تتقدم الجموع الغفيرة المحتشمة في الساحة الحمراء صفوف من الجند

تمثل القطع المختلفة من رجال الجيش من مشاة وبحارة وطيارين وصف ضباط ، وكما مرّ وزير الدفاع بسيارته أمام القطعات كان يجهر بكلمات التهنئة بالعيد الكبير فيتلقى الجواب من الجند بصوت جهوري . وما ان وصل أمام المنصة الرئيسية حتى عرفت جوقه الموسيقى (وقد قدرت عدد أفرادها بـ ١٠٠٠) التشيد الوطني ، ومرعان ما قصفت المدافع من فوق أسوار الكرملين ، وألقى المارشال بولطانين كلمة لم يتجاوز إلقاؤها ١٠ دقائق عدد فيها الأعمال التي تمت في خلال السنة المنصرمة من إثناء في الاقتصاد وازدهار في الزراعة ، ثم تطرق الى السياسة الخارجية مقتصرأ على الخطوط الرئيسية . ونقلت ترجمائنا نصها الى الفرنسية . وبعد الانتهاء من هذه الخطبة المقتضبة ابتداء العرض العسكري بمرور القطعات المختلفة الواحدة تلو الأخرى بنظام بديع^(١) وترتيب فائق يخيل الى الرائي كأن صفوف الجند (وعددها ٣٢) تتحرك حركة موافقة كشخص واحد . فثلا مرور المشاة والخيالة المدفعية والآليات من خفيفة وثقيلة ومدافع مما لم يقع نظرنا على أمثالها بينما كان هدير الطائرات يملأ الفضاء .

وما أن انتهى استعراض الجنود وقد دام زهاء ساعة ونصف الساعة ، حتى تبعه مرور المنظمات الرياضية ونوادي الشباب من ذكور وإناث بأعلامها وشاراتهما المختلفة بنظام لا يقل عما شاهدناه في الجند والكل بهزج الأهازيج الحماسية . والاستعراض الذي بدأ في تمام الساعة العاشرة استمر حتى الرابعة عشرة ، وفضلت وصحبي الانسحاب والعودة الى الفندق ، ولم تقسنّ لنا هذه إلا بشق الأنفس مجتنبين الطرق التي رسم لقوافل الناس أن يجتريها .

(١) كنت أظن أن مثل هذه الاستعراضات العسكرية انما تتم بنت يومها دون استعداد سابق ، إلا اني في رحلتي الثانية الى موسكو والتي تمت قبيل العيد الوطني بأيام لاحظت في جانب التحضيرات التي ترتب آتاء النهار ، ترتيبات عسكرية وتأمين تقوم بها قطعات الجند قبيل منتصف الليل عندما يخف المروء من الشوارع المؤدية الى الساحة الحمراء .

متحف تريتييا كوف (Tretyacov) :

وهو متحف اللوحات الزينية التي تمثل الفن الروسي للنصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين . يحمل اسم المثري الذي أسسه غواية منه في هذا المضمار ثم وهبه للشعب . أتيح لي أن أزوره مرتين الأولى سنة ١٩٥٤ والثانية سنة ١٩٥٦ ، وأن أمتع الطرف في كليتها بما يزين قاعاته الاثنتين والخمسين من صور زينية رسمها وصورها نوابغ الفن الروسي ، ولطالما شاهدنا ما نقل عنها من مثيلات تزين جدران أبناء المؤسسات والدور والفنادق في جانب اتخاذ بعض البيوتات التجارية لبعض الصور شعاراً تجارياً لها .

بعد السوفيت النصف الثاني من القرن التاسع عشر العصر الذهبي للفن الروسي في نواحيه المختلفة ، ففيه ظهر نبغاء الكتاب والموسيقين والرسمين والنحاتين الذين يمثلون ما يدعونه بالفن الديموقراطي الواقعي (Democratic and realist art) . لذا يعتبرون هؤلاء وأولئك باعني البقطة في روح الشعب ومذكي نار الثورة والانتفاض ، وان ما أتوا به من روائع الفن لتنجاب مع ما يكن في قراة نفوس سواد الناس من تأهب للثورة والانتفاض على الطبقة الارستوقراطية وطفانها الغاشم .

وعلى ذلك كان دليلنا في زيارة متحف تريتييا كوف بفسر لنا مدلول كل لوحة من اللوحات بما بأتلف والفكرة السالفة ولكم خاسرنا الشك في بعض ما ذهب اليه إذ لا بعقل أن تنصب مشاعر جميع المتفنيين على احترام نار الثورة وأت تحلو تلك اللوحات بما يجد العهد السالف متغاضية عن بعض محاسنه (وإن قلت) وأن لا يرى أي أثر للأثرة من مآثر تلك الامبراطورية التي كان لها شأنها حيناً من الدهر . فشكل اجتماع شعبي تمثله إحدى اللوحات على رأي الدليل كان تفسيره تنادي الطبقة الكادحة والفقيرة من الشعب ومطالبتها بحقها السليب ،

مضى كان تاريخ تلك اللوحة يعود الى عهد القيصرية وإلا فهي تقيض ذلك تفسر بالتأييد والدعم .

ويعود تاريخ أقدم اللوحات الى ١٨٦١ وأحدثها الى ١٩٣٠ ورأينا بين اللوحات لوحة الرسام بيروف (Perov) وتاريخها ١٨٦٥ وعنوانها تشييع الميت الى المقبرة كيف أن الأرملة التاكل تفقد الحفة الثلجية التي تحمل نعش زوجها مقوسة الظهر تمسك بعنان فرس هنبل على أرض كساها الثلج وبهاها يسكن بجاني النعش ، فهي ترمز ولا شك الى منتهى الشقاء والفقر والحرمات .

والرسام نفسه لوحة لها شهرتها في جميع البيئات عنوانها الصيادون حين الراحة ويبدو فيها ثلاثة صيادون اثنان منهم في سن متقدمة والثالث شاب حديث العهد في هذه (الهواية) يسرد أحد العجوزين مغامراته الفذة والمبتدئ يصفي اليه بانتباه بينما العجوز الآخر مضطجع على جنبه ينسم لثلك الأفايص وينم على شكه بصحتها ومباقة الراوي لها حكة بيده خلف أذنه .

ومن اللوحات التي تندد بالعمود السالفة لوحة نافرف (Nevrev) سنة ١٨٦٦ ويرى فيها الناظر مشهد المساومة على بيع الفتاة الحسنة بين رب المقاطعة والمثري المشتري ، وأهلواها واقفون مشدوهون منتطرون مصير فلذة كبدهم ، وكذلك لوحة بور كيروف (Purkirov) سنة ١٨٦٢ وفيها صورة من مراسم إكليل الزواج بين كاعب في ريمان الصبا وشيخ بلغ من الكبر عتيا يظهر من سماء ثراؤه وانتاؤه الى الطبقة الارستوقراطية .

وإن اللوحات التي تندد بويلات الحروب وما يتبعها من دمار لكثيرة ، الجزء الكبير منها تصور غارات التتر والامترك والمواقع التاريخية الشهيرة التي تم النصر فيها للروس منها لوحة فرشناغين (V. V. Vercshahagin) الذي عرف بأنه رسام المعارك الحربية وقد طاف في أنحاء القفقاس وآسيا الوسطى والهند وفلسطين واليابان وغيرها من البلاد ، تعرف اللوحة بمجد الحرب (Apotheosis of war)

كادعاهما بمجد تيمورلنك (Ap. of Tamerlane) أيضاً ويرجع تاريخها الى سنة ١٨٧١ ،
 صور فيها هرمًا من الجماجم يرتفع فوق صحراء تلتفحها الشمس ووراءه خرائب
 مدينة قديمة ، وأراد الرسام بعد ذلك أن يضيف على لوحته الزينية معنى سياسيًا
 فقدمها هدية الى جميع الفاتحين في العصر الحاضر وفي الماضي والمستقبل شأن
 ما يبدو في الكتابة البادية على اطار اللوحة . ومع أنه لم يكن من أنصار
 الحرب فقد أشاد ببطولة الجندي الروسي وشجاعته . ورأينا في إحدى اللوحات
 التي تمثل المعارك التي دارت رحاها بين الجيش الروسي والأتراك (١٨٧٣)
 كيف كان جواب الجيش الروسي المحاصر لطالبي الاستسلام اذهبوا الى الشيطان
 (Go to the devil) كما يبدو في أسفل اللوحة ، وكذلك لوحات تمثل الجيش
 الروسي قبل المعركة مع الأتراك وبعدها والجثث الكثيرة التي تملأ الأرض .
 ومن اللوحات التي تمثل الحياة في آسيا الصغرى اللوحة التي يبدو فيها مشهد بيع
 الرقيق وباب تيمورلنك (١٨٧٣) ، ومن لوحاته في الهند ضريح تاج محل في
 آغرا . ورسم عدا ذلك بعض اللوحات التاريخية التي يضمها مخفف التاريخ في
 موسكو كنيابوليون في روسيا والتي تمثل بطولة الجيش الروسي في الحرب الوطنية
 (١٨١٢) . لذا يعد الناس لوحات هذا الرسام مصداقًا على كرهه حرب العدوان
 ودليلاً على وطنيته الملتزمة .

والرسام فازنتزوف (V. Vasentsov) لوحة رائعة (١٨٨٠) عنوانها بعد
 المعركة وهي المعركة التي دارت رحاها بين الجيش الروسي والمغيرين من رجال
 القبائل ، فترى في هذا المشهد جثث القتلى مبعثرة فوق الأديم والقمر في كبد
 السماء يضيء ساحة الوغى بنوره الباهت والنسور تتسابق على التهام أولئك الضحايا
 وكأنها بتطاحنها فوقها في معركة تلتحم فيها الانفجحة بعضها في بعض مما يضيف
 على اللوحة المذكورة التي طار صيت الرسام بسببها روحًا شاعرية سامية .

ولوحة الرسام نفسه المعروفة بالبواسل (Warriors) الثلاثة من اللوحات

التي استنسخت وتراها تزين الكثير من قاعات الاستقبال حتى ان شركة من شركات صنع اللقائف قد اتخذتها شارة لمصنوعاتها .
وانتهى بنا الطواف في قاعات هذا المتحف الى زيارة قاعة أوكرانيا وفيها الصور الزيتية الرائعة وفي مقدمتها اللوحة الكبيرة التي تغطي أحد الجدران وفيها مشهد حفلة ذكرى التحاق أوكرانيا بروسيا و مرور ٣٠٠ سنة عليه .

جامعة موسكو :

وهي الجامعة الجديدة التي بنيت في مكان يعرف بهضبة لينين والتي هي أول ما يراها القادم من المطار في طريقه الى العاصمة ، وبعد مظهرها مع الكرملين أجمل طابع لعاصمة السوفيت . وتحمل الجامعة اسم العالم الروسي لومونوسوف (Lomonosov) الذي رأبنا في ليننغراد متحفاً خاصاً به يشتمل على ما يمثل تاريخ حياته نحتاً ورسمًا .

ويعود تأسيس هذه الجامعة الى سنة ١٧٥٥ (وعلى ذلك فقد احتفل بمرور ٢٠٠ سنة على التأسيس في أيار سنة ١٩٥٥) ولقد كان مقرها في المبنى الذي يشغله معهد الآداب الأجنبية الآن والكليات التابعة لها مبعثرة في أنحاء مختلفة من العاصمة . وبوشر في بناء هذا الصرح الضخم سنة ١٩٤٩ وانتهى البناء سنة ١٩٥٣ وقد قيل لنا ان تكاليف البناء المذكور قد بلغ مليارين من الروبلات والمساحة التي تشغلها الجامعة ٣١٧ ألف هكتار .

ويرى الداخل الى باحتها الفسيحة جداً مبنى مركزياً له جناحان ووراء عدة مباني . فالجزء المركزي شاهق يشتمل على ٣٢ طبقة وارتفاعه ٧٨٧ قدماً (وبعد لذلك أعلى من أي مبنى في الولايات المتحدة ما عدا المباني الستة في مانهاتان (Manhattan) أما جناحها المبنى المذكور فيشتمل كل منهما على ١٧ طبقة ، وحول هذه الأجزاء الثلاثة عدة أبنية للكليات والمختبرات ومرصد الجو .

ولا أدل على عظمة هذه الأبنية بمجموعها (وربما عدت أكبر جامعة في العالم) من أن ٥٠٠ مجموعة من الشركات قد اشتركت في إنجاز البناء وان فيها ١٠٠٠ قاعة للتدريس والاختبار وان مجموع سطح السقف فيها يبلغ ٤٢٥٥ هكتار وانه يقتضي لزيارة جميع الأماكن فيها اجتياز مسافة ١٤٥ كيلومتراً ، وان مجموع طول الممرات التي فيها يبلغ ١١٠ كيلومترات .

ويزبد الدليل على ذلك ان ماحويه من ١٢٠ ألف غرفة لو أُنِج للوليد أن يبيت منذ ولادته ليلة واحدة في كل غرفة من الغرف في الجامعة لما انتهى قبل أن يبلغ الستين من العمر .

وللجامعة في الوقت الحاضر ١٢ كلية و ١٨٠ رئيساً للتدريس وعدة مراكز للبحوث العلمية ، وتحتوي ٩ معاهد للبحوث بينها معهد سترنبرغ (Sternbug) الفلكي وحديقة النبات التي تعد أقدم حديقة من نوعها في البلاد .

وترتبط جامعة موسكو بوزارة التعليم العالي ولا ترتبط كلية الطب بها ، فيها زهاء ١٨٠٠٠ طالب ^(١) بدرسوا على أبدي ٢٠٠٠ أستاذ ومساعد منهم ٢٠ أعضاء في المجامع العلمية .

وتعنى الجامعة بمزج التعليم النظري بالتطبيق العملي ، ويستهدف البحث في المختبرات ومراكز الاختبار البحث بكل ما يتصل بالاقتصاد الوطني . وفي الطبقة العليا من البناء المركزي قاعات متحف علم طبقات الأرض مع ما يحويه من معروضات تمثل الثروة المعدنية في البلاد .

ومن السهل الارتقاء الى الطبقات العليا والوسطى من هذا البناء الضخم بالمصاعد الكثيرة التي تخترق أرجاءه وعددها ١١٤ منها ما يصعد به حتى الطبقة ٢١ ثم يرتقى بمصعد آخر حتى الطبقة العليا . وبعد انتهاء الزيارة هبطنا بمصعد واحد حتى الأرض وكانت السرعة زهاء ٣٥٥ متر في الثانية .

(١) وقد ذكر لي الزميل الدكتور جميل صليبا أن هذا الزم قد أصبح ٢٣٠٠٠ في هذه السنة (١٩٥٧) .

وتبلغ مساحة حديقة النبات ٤٢ هكتاراً في منتصف باحتها الفسيحة بناءً
 ذو أربع طبقات لكلية الأحياء (Biology) وعلم الطفولة (Pedology)
 ونضم عدة مبانٍ أخرى للبحوث وإثراء النبات والافليم الاصطناعي .

وقاعة الاحتفالات على غاية من الترتيب والتنظيم تستوعب لـ ١٥٠٠ و ٢٠٠٠
 سقف الممرات في الطبقة الأولى بصور مشاهير العلماء في العالم لاحظنا بينهم صور
 لبعض العلماء العرب وطبيعي أن يكون معظم العلماء ممن يفتحون بصلة إلى الاتحاد .
 وفي الجامعة ٤ مطاعم يستوعب كل واحد منها ١٠٠٠ و ٣٥ مقصفاً (بوفيه)
 وذكر لنا أن ثمن الوجبة من الطعام يختلف بين ٢٥٥ روبل و ٥ روبلات .
 والكتب المدرسية تعطى إلى الطلاب بالمجان .

وإن مما خصص للطلاب من مساعدات ١٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية
 الآداب و ٢٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية التاريخ الطبيعي . ولا يطلب
 من الطالب سوى دفع ٤٠٠ روبل سنوياً مع إعفاء أبناء مشوهي الحرب والمتقاعدين
 والفقراء من الدفع .

وإن من الطلاب من يتلقى عوناً مادياً يختلف بين ٢٥٠ و ٥٥٠ روبلاً في
 الشهر يرفع العون إلى المتفوقين ٢٥٪ وعندما ينال أحدهم إحدى الدرجات يصبح
 العون المادي المذكور ٧٨٠ - ٩٠٠ روبل وإن في مكتبة الجامعة ٥ ملايين
 مجلدة وتعد في المرتبة الثالثة من دور الكتب للاتحاد السوفيتي ، فضلاً عن
 المكتبات الخاصة لكل كلية أو مؤسسة . وقد قيل لنا إن الطلاب الذين يدرسون
 في الجامعة ينتحون إلى ٥٩ قومية^(١) . والانتساب إلى الجامعة تابع إلى مسابقة
 تعد فيها علامة النجاح ٣ من خمس علامات ، في جانب اختبار الطالب نفسياً واجتماعياً .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سنج

(١) إن ما هو متبع في بلاد الاتحاد السوفيتي أن التعليم الابتدائي اللغة فيه هي اللغة
 المحلية لكثرة سكان تلك الجمهورية ، وفي المرحلة الثانوية يصبح التعليم بالروسية
 إلزامياً وكذلك في الجامعة . ومع أن لغة التعليم الابتدائي باللغة المحلية فإن
 كتابة كل اللغات إنما يكون بالأحرف الروسية وحدها .

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ١ -

١ - المقدمة

الموضوع :

أبو بكر محمد بن يحيى الشهير بابن الصائغ وابن باجة^(١) (المتوفى سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م) هو رئيس فلاسفة العرب في المغرب ، وإنه وإن اشتهر في عهده بأنه أكبر الشراح لفلسفة أرسطاطاليس بعد ابن سينا^(٢) ، وأنه سابق لابن رشد المعروف عند الأوربيين « بالشارح الفاضل » ، فذوو العلم لم يعرفوا فضله حق المعرفة ، ولم يُنشر من مؤلفاته إلى الآن سوى كتابه (تدبير المتوحد) ، وبضع رسائل مختصرة . أما كتاب (تدبير المتوحد) فقد عُرف منذ القرون الوسطى ، وكان نقل إلى العبرية في القرن الثاني عشر ، وله ترجمة بالألمانية نُشرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

وكانت كتب ابن باجة محفوظة في مخطوطين عتيقين في خزانتي أكسفورد

(١) لترجمة ابن باجة راجع بروكلمان (Brockelmann) : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٦٠١ ، ضميمه ج ١ ص ٨٣٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopaedia of Islam) ج ٣ ص ٣٦٦ ؛ سارطن (Sarton) : Introduction to the History of Science القسم ١ ج ١ ص ١٨٣ ، والمقري : نفع الطبيب ج ٤ ص ٢٠١ - ٢٠٦ .

(٢) انظر مقدمة المخطوطة (بودليانا ، نمبر ٣٠٦ بوكك ، Pock) لابن الإمام ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ ؛ ابن طفيل : حي بن يقظان ، تحقيق جوثيه (Gauthier) ص ١٢٠ .

وبرلين . فأخذت في مطالعة (كتاب النفس) في مخطوط بودليانا (اكسفورد) على أمل أن أقابله بمخطوط برلين ، ولكنني علمت من مراسلتي لمدير خزانة برلين ان المخطوط مفقود . وبعد هذا ظهر لي بواسطة الأستاذ بال كالي (Prof. P. E. Kahle) ان المخطوط كان قد نقل من خزانة برلين الى الشرق في زمان الحرب العالمية الثانية فغاب أثره .

والآن ليس لي معذرة في تحقيق هذا الكتاب معتمداً على مخطوط واحد إلا أن أقول إنه وإن تعمّر تحقيق كتاب دقيق ، وخصوصاً تحقيق كتاب في علم ذهني كالفلسفة بالاعتماد على نسخة واحدة ، لكنه من المعلوم أنه لا يوجد عندنا إلا مخطوط واحد ، فإن أريد تحقيق هذا الكتاب فلا بدّ من الاعتماد على هذا المخطوط وحده ، وهو مخطوط بودليانا ليس غير .

وحينما عنيت على التحقيق لم أجِدُ بداً من مطالعة المخطوط المذكور من أوله إلى آخره ، وهو مشتمل على ٢٢٢ ورقة ، فقابلت أكثر العبارات من (كتاب النفس) بالعبارات المترادفة التي وجدتها في مواضع أخرى ، وبذلت جهدي في تصحيح الكتاب على قدر الطاقة .

وقد أتمّ ابن باجة كتابه هذا ، ولكنه نقص مقدار يسير من آخر الكتاب من عند تلميذه العزيز الوزير أبي بكر الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بابن الإمام ^(١) . وإنما وصلت كُتُب ابن باجة إلينا عن ابن الإمام هذا . فإنه جمع جميع ما كتبه ابن باجة في مجلد ضخم ، فنقل منه تلاميذه . وقد ذكر ابن الإمام هذا النقص متأسفاً عليه ^(٢) ، وإلى هذا أشار ابن طفيل ، معاصر

(١) ترجمته في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ، تحقيق . مولي (Müller) ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) راجع مخطوط بودليانا (Poc. 206. Fol. 4 A) ورقة ٤ ألف « وكتاب النفس ينقص

منه مقدار يسير ذكر الوزير انه سقط منه بعد وقوعه اليه » ، أيضاً ورقة

١٢٠ ب : « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير انه سقط منه

بعد وقوعه اليه » .

ابن باجة ومصنف قصة حي بن يقظان ، في مقدمة قصته المشهورة حيث قال : ^(١) « وأكثر ما يوجد له من التأليف إنما هي غير كاملة ومخرومة من أواخرها ككتابه في النفس وتدبير المتوحد ، وما كتبه في المنطق وعلم الطبيعة » .

كتاب النفس — تأليف مستقل :

بذكر ابن باجة كتاب النفس كما يذكر كتاب تدبير المتوحد ، بألفاظ تدل على أنه تصنيف على الأصل ، وكتاب بنفسه . فإنه يذكر تأليفاته الأخرى بعبارة دالة على أنها مشروحة لكتيب أرسطاطاليس ^(٢) . فهذا التأليف تأليف مستقل ليس بشرح ولا تلخيص لكتاب آخر .

ولما وافق هذا التأليف كتاب النفس لأرسطاطاليس ، لاسمها الباب الثاني والباب الثالث منه ، في ترتيب المضافين وتوضيح أكثر المسائل من علم النفس ، لا يكاد يستبعد أن يقال أنه تأليفٌ لخصه ابن باجة من الكتاب المشار إليه آنفاً ، وأضاف إليه مسائل أخرى .

أسلوب ابن باجة في كتابه :

نعرف ابن باجة في عصره بفصاحته في شعره وجماله في الغناء والموسيقى ^(٣) ، غير أن أسلوبه في كتبه الفلسفية دقيق ، وعباراته عويصة غامضة لا تخلو من الإغلاق والصعوبة . ولكن تليذه وتديمه ابن الإمام يرى رأياً مختلفاً ، فقد نطق بفضل بواعثه في الإلهام والفهم ، وبحسن فهمه لكتب أرسطاطاليس ^(٤) . وقد يشهد كتابه في النفس على أنه سهل ممتنع في كثير من مواضع هذا الكتاب .

(١) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه ص ١٢ - ١٣ .

(٢) راجع المخطوط نفسه ، ورقة ١١٣ ب : « كتبنا في كتاب النفس » ، ورقة ٣٢٠ أ : « وقد لخصنا في كتابنا في النفس » ، ورقة ٨٩ أ : « كتبنا في شرح الرابعة من الآثار » .

(٣) راجع ابن خلدون : تاريخه ، ج ١ ، نشر بولاق ، ص ٥١٩ : المقري :

نفع الطيب ج ٤ ، ص ٢٠١ - ٢٠٦ ، سارطن : مقدمة ، ج ١ ص ١٨٣ .

(٤) انظر الصفحة التالية .

وكما أن الفارابي ، وعلى كتبه كثيراً ما يعتمد ابن باجة ، يمدّ عبارته كلما ينشوق الى توضيح مقاله ، ابن باجة ايضاً يخلّ بالمعاني حينما يميل الى تفصيل قوله بأسهل عبارات . وله اعتراف بهذا التقصير ، وكثيراً ما تأصف لعجزه عن تبديل العبارات لضيق الوقت ^(١) . فأحياناً نجد عباراته لا توافي قواعد علم النحو ، خصوصاً الضمائر التي تختلف عن المراجع في التذكير والتأنيث ، والأمثال كثيرة لا تكاد تؤدول جميعها الى الكاتب وحده . وكاتب المخطوطة نفسه عالم بالأدب ، وكان وليّ القضاء وطارت شهرته ، في ذلك العصر ، في الأدب والعلوم الفلسفية ، وهو من تلاميذ ابن الإمام ، فلا يمكن أن يقال انه أخطأ في الكتابة في سائر مواضع الأغلاط ^(٢) . ولقد أصاب ابن طفيل ، معاصر ابن باجة الأصغر ، حيث يقول ^(٣) : « وقد صرّح هو نفسه بذلك ، وذكر أن المعنى المقصود برهانه في رسالة الاتصال ليس يعطيه ذلك القول اعطاءً بيناً إلا بعد عسر واستكراه شديد ، وان ترتيب عبارته في بعض المواضع على غير الطريق الأكمل ولو اتسع له الوقت مال لتبديلها » .

أثر ابن باجة على معاصريه :

على رغم هذا لقد أثر تفكير ابن باجة على معاصريه تأثيراً عميقاً ، وخصوصاً على ابن رشد وابن طفيل . وظاهر ان ابن رشد كتب جوامعـه أي جوامع

(١) راجع الأندلس ، ١٩٤٢ م س ٢٢ و ٢٣ : تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، تحقيق الدكتور احمد نوّاد الالهواني ، س ١١٧ : اثبت هذا القول في زمان متنص بالداخل اليّ والخارج عني . فلما قرأته رأيت فيه تفصيلاً عن افهام كنت اردت افهامه ، فان المعنى المقصود برهان ليس يعطيه هذا القول اعطاءً بيناً الا بعد عسر واستكراه شديد وكذلك وجدت ترتيب العبارة في مواضع على غير الطريق الأكمل ، ولم يتسع الوقت لتبديلها .

(٢) المخطوط نفسه ، ورقة ١٢٠ ب : قال القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النصر وهو المعروف بالأديب .

(٣) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه س ١٣ .

كتب أرسطاطاليس التي قد انطبعت بأجمعها ، سوى (كتاب الحس والمحسوس) ،
 بميدرا باد (هند) تحت عنوان « رسائل ابن رشد » بعد مجموعة ابن باجة
 التي جمعها ابن الإمام تحت عنوان « مجموعة من كلام الشيخ الإمام الوزير أبي بكر
 محمد بن باجة الاندلسي » محتوية على شروحه على كتب أرسطاطاليس في
 الطبيعيات ، والآثار العلوية ، والحيوان ، وعلى رسائل أخرى ، ولذلك نجد
 مصنفات ابن رشد وابن طفيل متأثرة بمصنفات ابن باجة .

ولقد أقرّ ابن رشد نفسه في كتابه - تلخيص كتاب النفس ^(١) - بأوضح
 عباراته - أن كل ما بينه في بحث العقل هو رأي ابن باجة . ولكنه أحياناً ينتقد
 على ابن باجة في أفكاره ، كما ينتقد على الفارابي وابن سينا في بعض من أفكارهما ^(٢) .
 والفوائد الموضحة التي أضفها إلى نص الكتاب بأسفل الصفحات قد تفصح عن
 قدر ما اقتبسه ابن رشد .

قيمة كتاب النفس :

كتاب النفس لابن باجة ، له قيمة في تاريخ علم النفس عند المسلمين ،
 فإنه يطلعننا على بعض ما أخذ كتب ابن رشد ومراجعها ، وأيضاً يملأ الفراغ
 بين الفارابي وابن رشد .

لقد ترجم اسحاق بن حنين كتاب النفس لأرسطاطاليس في القرن التاسع
 الميلادي ^(٣) بالعربية ، وإنهم عثروا في هذا العصر على نسخة من هذه الترجمة
 باستانبول ، ولم تنشر بعد . وأعد الاسكندر الافروديسي تلخيصاً لهذا الكتاب
 (الموجود باليونانية والعبرية) ، وكتب الفارابي شرحاً عليه ^(٤) ولم يعثر عليه

(١) تحقيق الدكتور الاهواني ، ص ٩٠ ، وهذه العبارة غير موجودة في نسخة
 حيدرآباد المطبوعة .

(٢) انظر رسائل ابن رشد ، حيدرآباد ، ١٩٤٦ ، ص ١١٠ .

(٣) الفهرست لابن التديم ، تحقيق فلوغل (Flügel) ، لپسك ج ١ ص ٢٥١ ،

تاريخ الحكماء للقفطي ، نشر لپرت (Lippert) ص ٤١ .

(٤) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٩ .

أحد إلى يومنا هذا . وابن النديم يذكر لنا أن شروحا لثامسطيوس ، وسيحقليقيوس ما عدا الشروح السالف ذكرها كانت موجودة بالعربية ^(١) . والذي يتراءى أن ابن البطريق أول من كتب « جوامع » كتاب النفس ، وهناك رسائل أخرى عديدة لها عنوان كتاب النفس ذكر ابن النديم في الفهرست أنها كانت موجودة باللغة العربية ، وهي تحت تاؤفرسطس (ص ٢٥٢) ، الاسكندر الافروديسي (ص ٢٥٣) ^(٢) ، ثامسطيوس (ص ٢٨٣) ، فلطرخس (٢٥٤) ^(٣) ، وارسطن (ص ٢٥٥) ، ولكن لم نطلع على مخطوطة من هذه الرسائل إلى الآن . وقد نشر الدكتور أحمد فؤاد الأهواني المصري مع تلخيص كتاب النفس لابن رشد نصاً عربياً تحت عنوان « كتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين » ، والظاهر أنه ليس بترجمة ولكنه شرح على كتاب النفس ، كتب ، كما أظنه ، قبل اسحاق بن حنين ، وله ترجمة فارسية قد عثرت على عدة نسخ منها في مكتبة بودليانا ^(٤) ، والمتحف البريطاني ، ونشرت مقالة ، فيها قابلت هذه المخطوطة الفارسية بالنص العربي في مجلة المجمع الملكي الآسيوي البريطاني بلندن ^(٥) .

إلى هذا اليوم لم ينشر شرح على كتاب النفس لارسطاطاليس سوى النص العربي الذي أشرت إليه آنفاً ، فكتاب النفس لابن باجة له منزلة أخرى من ناحية التقدم ، فإنه أول نص بلخص لنا سائر ما يوجد في الأبواب الثلاثة لكتاب النفس لارسطاطاليس .

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥١

(٢) الفطلي : تاريخ الحكماء ، ص ٥٤ .

(٣) أيضاً ، ص ٢٥٧ .

(٤) مخطوط بودليانا (Mss. Ous 95) ورقة ٤١ ب - ٥٢ ب ، وفي آخر المخطوطة : « تمام شد مقالة سيوم وبتامی آن کتاب نفس منسوب لارسطاطاليس در وقت غروب خورشيد روزيكشنبه و رقم بتاریخ شهر جادی الثاني سنة ١٠٣٩ - ١٦٦٩ ، والحمد لله رب العالمين »

(٥) The Journal of the Royal Asiatic Society, London, April, 1936

والعجب أن ابن باجة يذكر في كتابه الفارابي والاسكندر الافرديسي ، وجالينوس وثامسطيوس ، كما يذكر أرسطاطاليس وأفلاطون ، ولكنه لم يذكر ابن سينا الذي هو متقدم عليه ، مع أن ماسرده ابن الامام ، تليذه الرشيد ، مقدمة للمجموعة ، يشهد بأن ابن سينا كان معروفاً بين العلماء بأرض الأندلس وكانوا معترفين بفضل ، حيث يقول ^(١) (ورقة ٤ ألف) :

« ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم ، فإنه إذا قوت أفاديله فيها بأقوايل ابن سينا والغزالي وهما اللذان فتح عليهما بعد أبي نصر في المشرق في فهم تلك العلوم ، ودوّنّا فيها ، بأن لك الرجحان في أفاديله وفي حسن فهمه لأقوايل أرسطو ، والثلاثة أئمة دون ريب ، وآتون ما جاء به من قبلهم من بارع الحكمة عن يقين يمتاز به أقوايلهم ويتواردون فيها مع السلف الكريم » .

النفس وقواها :

يعرّف ابن باجة « النفس » في كتابه ، كما عرّفها أرسطاطاليس ، بأنها استكمال أولي لجسم طبيعي آلي ، ويفصل القوى الثلاث للنفس - الغاذية والحساسة والتخيّلة - ، ويقول عن الناطقة بأن النفس يقال عليها بنوع من الاشتراك . والنفس عنده من المتفكة أقوالها ، فلهذا لا يمكن تعريفها من جهة واحدة . وتعرف بنحو من الاشتراك فقط . وإنما يتعلق فحده عن النفس ، بالجملة ، بنفس الحيوان .

القوة الغاذية :

القوة الغاذية عرفت بأنها استكمال أولي للجسم الآلي المختذي ، وتساعدنا قوتان - التامية والمولدة .

(١) وهذه العبارة نقلها أيضاً ابن أبي أصيمة في طبقاته : عيون الأنبياء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ .

فالغاذية تعد من الغذاء في المعتدي ما يستعمل لحفظ البدن ونموه وآخر للتناسل . وكما أن الغاذية تصنع الغذاء جزءاً لأعضاء المعتدي ، تصنع المولدة في البدن جسماً من نوعه ، وتولده .

ولما كان محرك المولدة عقلاً بالفعل لا يختلط الأمر عليها ولا تولد إلا من نوع بدنها . وهذا التناسل قد يكون عن « حركاتٍ أخرى مثل الغفوة في الحيوان الذي يتكون عنها » .

القوة الحساسة :

وعرفت القوة الحساسة بأنها استكمال أوّلي لجسم آلي حاس ، وهي تدرك الصور المحسوسة ، ولها حواس ، ولكل حاسة آلة ، فلهذا يقول ابن باجة إنها النفس ^(١) . وهذه الحواس هي البصر والسمع والشم والطعم واللمس والحس المشترك . والقوة المحركة التي أشار إليها ^(٢) ولكنه لم يفصل عنها ، هي ، في ظني ، القوة النزوعية التي قد فصلها ابن باجة في رسالة مستقلة ، وقد بين فيها أن النفس النزوعية جنس لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، والنزوعية بالنفس المتوسطة ، والنزوعية التي تشعر بالنطق . والأوليان مشتركتان عنده في الحيوان وبها تكون التربية للأولاد والتحرك إلى المكان والأشخاص والألف والعشق ، والغذاء والديار . والثالثة يختص بها الإنسان فقط ^(٣) .

(١) راجع النص : والخمس التي هي الحواس بين من اسمها أنها أنفس .

(٢) أيضاً : والسابعة هي القوة المحركة .

(٣) راجع مخطوط بودليانا ، ورقة ١٣٩ ب : والنفس النزوعية إما أن تكون جنساً لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، وبها يكون التربية للأولاد والتحرك إلى أشخاص المكان والألف والعشق وما يجري مجراه ، والنفس النزوعية بالنفس المتوسطة وبها نشاق الغذاء والديار ، وجميع الصنائع داخلة في هذه ، وهاتان مشتركتان للحيوان ، ومنها النزوعية التي تشعر بالنطق وبها يكون التعليم ، وهذه يختص بها الإنسان فقط .

وعلى غير منهج الفارابي ، إن صحت نسبة رسالة الفصوص له ^(١) ، وعلى غير منوال ابن سينا ^(٢) ، ابن باجة لا يصف الحواس قط بأنها « ظاهرة » أو « باطنة » ، ولا يذكر « المصورة » وإن نسب « الحفظ » للحس المشترك ^(٣) .
وأما كيف يقع الإدراك وكيف يكون الحس ؟ فإنه يبين ، تباعاً لأرسطاطاليس ، أن الإدراك هو قبول صور المحسوسات . ولما كانت الصورة مخازنة بالمادة أوضح أن المراد من الصورة هنا هي نسبة تخصها ، وهي هيولى بالتقديم وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتأخير . ولما كانت المعاني المدركة لها علاقة بالمادة فنحن نقدر على إدراك الخواص الهيولانية .

القوة التخيلية :

قوة التخيل هي استكمال أولي لجسم مخيل آلي ، والتخيلة تتقدم عليها الحاسة فإنها تستخدمها بتقديم المواد إليها ، ولهذا يوصف التخيل والحس بأنها نوعان من إدراك النفس ، والفرق بينهما ظاهر فالحس خاص والتخيل عام .
والقوة التخيلية تنتهي الى القوة الناطقة التي بها يفصح الإنسان عما في ضميره ، وبها يكون التعلم والتعليم .
والحاصل أن النفس ، كما بينها ابن باجة نفسه ^(٤) ، هي القوة الفاعلة ، لها

(١) رسالة الفصوص ، نشرها ديتريسي (Dieterici) : Al - Farabi's Philosophical Abhandlungen, 73, 74 - وقد أثبت خليل الجرجاني (Khalil Geor) في مقالته في Revue des Etudes Islamique, 1941 - 46, 31 - 39 أن نسبة الرسالة الى الفارابي خطأ ، وإنما هي من مصنفات ابن سينا .

(٢) راجع الشفاء مخطوط بودليانا ، الأوراق ١٦١ ألف ، ١٨٢ ألف ، ١٨٣ ألف ، وفضل الرحمن : Avicenna's Psychology

(٣) النص

(٤) مخطوط بودليانا ، ورقة ٢٢٠ ب : فان النفس الفاعلة ، وذلك لأن النفس يقال على نحوين كما نلخص فيما كتبناه في النفس ، فالنفس إذا قيلت على الكمال الأول كانت قوة منفعة ، وإذا قيلت على الكمال الأخير كانت قوة فاعلة .

طبع مزدوج ، فحينما يقال ان النفس استكمال أولي فهي قوة منفعة . وحينما يقال انها استكمال أخير فهي قوة فاعلة . وقد أوضحت اثنتان « المادة والصورة » و « المحرك والمنحرك » و « الفعل والانفعال » ، و « الأول والأخير » - وهي منزلة معروفة لفلسفة أرسططاليس - أصلاً طبيعياً لسائر الحجج التي مررها ابن باجة في هذا الكتاب .

ويقول ابن باجة في رسالة أخرى في النفس الناطقة انها « موهبة إلهية » بها تبصر النفس الناطقة « الموهبة » نفسها كما انها « ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس » ^(١) ، وقال في موضع آخر : « إن هذه الموهبة هي الاتصال بالعقل الفعال » ^(٢) .

وله سوى هذه الرسالة رسائل أخرى في تفصيل نواح شتى من النفس خصوصاً « النفس الزوعية » و « الوقوف على العقل الفعال » ، و « ماهية الشوق الطبيعي » وغيرها ، وفيها بين أفكاره في العقل ، والنبوة والوحي ومسائل أخرى . فأخذ ابن باجة بوضح علم النفس على منهج أرسططاليس وانتهى أخيراً إلى مسألة النبوة كما وصل اليها ابن سينا ، وكما فصّلها الإمام الغزالي في رسائله

(١) ايضاً ، ورقة ١٣٦ ب : ورأى بقوته الناطقة حين فاضت عليها الموهبة ، تلك الموهبة كما ترى بقوة الدين ضوء الشمس بضوء الشمس ، والسبب القريب في إدراك العقول وحصول القوة الناطقة بالفعل هو الموهبة التي هي مثل ضوء الشمس ويصير بها ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون من يؤمن بالله وملائكته وكتبه الخ . ورقة ١٣٧ ألف : والتفاضل في موهبة الله التي بها تبصر القوة الناطقة متقارب بسبب ما يعطيه الله ايضاً في اول خلقه الانسان من الاستعداد لقبول الموهبة التي بها تبصر القوة الناطقة

(٢) ايضاً ، ورقة ١٣٦ ب : ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون كتبه ورسله والدار الآخرة ايماناً يقيناً فيكون من الذين يذكرون الله فيأمنوا وقصوداً وعلى جنوبيهم ويتشكرون في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ولا فكرة إلا بتلك الموهبة ، وتلك الموهبة هي اتصاله بالعقل الفعال .

(مشكوة الأنوار) ، وقد اعترف ابن باجة بفضل الإمام الغزالي وذكره بالاحترام والإكرام^(١) .

واللتزم في الشرح يجمع المواد التي يتيسر بها فهم النص العربي . وبعد أن ذكرت الشواهد والمترادفات من كلام ابن باجة أشرت إلى مآخذ الأفكار في فلسفة أرسططاليس ، وفي كتب الفارابي وابن سينا وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين والمسلمين .

ولعدم مهارتي بالأغريقية اعتمدت على الترجمة الانكليزية للكتب اليونانية وخصوصاً لكتب أرسططاليس التي نشرت باكسفورد .

هذا ونشكر لحضرات الأستاذ ح ٠ ١٠ ر ٠ جب (H. A. R. Gibb) ، والأستاذ ريجرد والسر (Richard Walzer) ، والأستاذ واندن برك (Van Den Bergh) على ما بذلوه معي من عناء في تصحيح الكتاب وما علفت عليه من التعاليق ، وحضرات أمناء خزانة بودليانا باكسفورد ، فلمؤلاء جميعاً عاطر الشناء .

* * *

(١) أيضاً ، ورقة ١٢٣ ب : والطريق قصوفية المستمدين للقبول ، وطريق الغزالي من الطرق الموصلة والطرق المأخوذة أولاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم . ورقة ١٢٤ ب : وانظر مع نظورك في مقالات الخير في عبون المسائل ، ثم في قول أبي حامد نجد الكل من نط واحد والكل في التأويل مع الكتاب العزيز متفق

ورقة ١٢٥ ألف : انظر إلى قول الغزالي في آخر كتاب المشكوة فانه يتمتع ان الأول فطر جميع الفاعلين ان يفعلوا ، والمنفعلين ان يفعلوا ، وانظر إلى قول أبي نصر في عبون المسائل يقول : ان نسبة جميع الأشياء إليه من حيث انه مبدعها (ورقة ١٢٥ ب) او هو الذي ليس بينه وبين مبدعها واسطة

٢ - المخطوطة:

كتاب النفس لابن باجة جزء من مخطوطة موجودة بمكتبة بودليانا تحت رقم بوكك ٢٠٦ (Pocock 206) ، وعنوانها «مجموعة من كلام الشيخ الإمام العالم الكامل الفاضل الوزير أبي بكر محمد بن باجة الأندلسي رضي الله عنه» ، عدد أوراقها المكتوبة ٢٢٢ (اثنتان وعشرون ومائتان) ، كل صفحة « $3\frac{3}{4} \times 7\frac{1}{4}$ » ، وتحتوي على ٢٧ وأحياناً على ٣٢ (اثنين وثلاثين) سطراً ، وكاتب النسخة رجل عالم وهو الأديب القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر الذي انتسخها بقوص في شهر الربيع الآخر سنة ٥٤٧ هـ . ش . (١١٥٢ م) ، وقابلها بالنسخة الأصلية لابن الإمام الذي قرأ نسخته على المصنف ، وقد أتم القراءة في الخامس عشر من رمضان المبارك سنة ٥٣٠ هـ . ش . (١١٣٥ م) ^(١) - أي قبل موت ابن باجة نفسه بثلاث سنين . فهذا التاريخ يحكم قطعاً بأنه رحمه الله تعالى مات سنة ٥٣٣ هـ / ش / ١١٣٨ م ، أي بعد

(٢) وهو ظاهر من عبارة المخطوطة ١٢٠ ألف :

«وحيث انتهيت إل مثل هذا الموضع من الأصل وجدت مأمثاله : قابلت بجميع ما في هذا الجزء جميع الأمل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الورع الزاهد البر العدل النقي عصمة الأخيار وصفوة الأبرار السيد الوزير أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام المرسطلي وهو ينظر في أصله الخبوء به من يد فريد دهره وبشير عصره ونادرة الفك في زمانه أبي بكر محمد بن يحيى بن الصايغ المعروف بابن باجة قراءة بقراءة على المصنف باشييلة والعزير المذكور ادام الله عزه يومئذ عامل عليها ومستأد لخراجها وما اضيف من العمل إليها ، وكان فراغ الوزير من قراءة هذا الجزء عليه في تاريخ اخرة اليوم الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثلثين وخمس مائة . وكتب الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر بقوص في شهر ربيع الآخر سبع واربعين وخمس مائة ، نسأل الله سبحانه علماً نافعاً في الدنيا والآخرة إنه على ما يشاء قدير .»

٥٥٣٠ ش / ١١٣٥ م ، لا في سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م كما زعمه بعضهم ^(١) .
وفي صفحة ١١٨ ألف عبارة أخرى تؤثق التاريخ الأول وتدل على أن
الكاتب الحسن بن النضر نقل هذه النسخة الى الورق المذكور في آخر الربيع
الأول سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م وقابل النسخة بالأصل المكتوب بيد أبي الحسن
علي بن عبد العزيز بن الإمام :

« وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت ما مثاله : فابلت
جميع ما في هذا الجزء من الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الأوحى
الكامل الفاضل الزاهد أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام وكل بقوص
في صلب شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وخمس مائة ، وكتب الحسن بن
النضر في التاريخ المذكور (المخطوط : المذكور) » .

ونسخة برلين كما يظهر من فهرس اهلوت (Ahlwardt) ج ٤ رقم ٥٠٦٠ ،
تاريخ كتابتها الجادى (الأولى) سنة ٥٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م . هذه النسخة
تتمايز عن نسخة بودليانا في أنها احتوت على مصنفات ابن باجة في الطب والأدوية
والنجوم وغيرها أيضاً ، وعلى مقالات الاسكندر الافروديسي في البصر واللون
التي خليت منها نسخة بودليانا . وفي تحقيق اهلوت (Ahlwardt) هذه النسخة
مبنية على نسخة ابن الإمام ، ولكن المحتويات ترشد الى أن سائر ما وجد في
نسخة بودليانا كان موجوداً في نسخة برلين سوى كتاب تدبير المتوحد والمقالات
في المنطق . وإن نسخة برلين كانت أوفى وأكمل فهي مشتملة ، كما ذكرت
آنفاً ، على مقالات شتى في فنون أخرى ، بخط مغربي حسن .

و (كتاب النفس) في نسخة بودليانا جاء في ست وعشرين ورقة ونصف صفحة
من ورقة . (من ورقة ١٣٨ ب الى ورقة ١٦٥ ألف) ، والنسخة قد أصيبت

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، اثر Wüstenfeld ج ١ - ٧ ، نمبر

في مواضع كثيرة بالرطوبة الخارجية فتلاصقت الأوراق بعضها ببعض . وإنها وإن كانت في خط حسن نسجي إلا أنها كانت أحياناً غير متقوطة وغير معربة كما هو عام في المخطوطات الفلسفية . والأسلوب في الكتابة غريب فالألف والكاف واللام مكتوبة في شكل واحد لا يتميز للقارئ أحياناً تمييزها . هذا مع أن النسخة مملوءة بالأغلاط النحوية التي صيرت النسخة عويصة جداً ، لا يسهل فهمها للأذهان ^(١) .

وبعد أن قابلت كتاب النبات بتمامه ، ورسالة الوداع ، ورسالة اتصال العقل وهما ناقصتان في نسخة بودليانا ، (وقد نشر الرسائل الثلاث المرحوم الأستاذ آسين بلاسيوز (Prof. Asin Palacios) من النسخين ^(٢)) ، بنسخة بودليانا ظهر لي أن نسخة برلين كانت مفيدة جداً لمن أراد التحقيق في أجزاء من المجموعة ، فالنسختان قد تختلفان في النص ، فان فقد لفظ في نسخة أحياناً ، زبد لفظ في الأخرى ^(٣) .

على أني قد اختلفت في مواضع كثيرة من الرسائل المذكورة من قراءة الأسناد المذكور ^(٤) ،

(١) مقالة دنلوب (Mr. Dunlop) المنشورة في J. R. A. S. 1945. p. 62 .

(٢) انظر مجلة الأندلس ، ميدرد 1940, 42, 43 . Al-Andalus

(٣) مثلاً « النزوعة » لا توجد في نسخة برلين ، ويوجد في حاشية نسخة اكسفورد ؛ انظر الأندلس ١٩٤٢ ، ص ١٢ (رسالة الاتصال) . وإن اردت الأمثال فانظر الأندلس ج ٥ ، ١٩٤٠ ، ص ٢٦٦ - ٢٧٨ (كتاب النبات) وقابل بالمخطوطة .

(٤) مثلاً قرأ الأستاذ آسين « القوة الثمنية » في موضع « القوة المنية » ، انظر الأندلس ج ٧ ، ١٩٤٢ ص ١٢ ؛ أيضاً ١٩٤٠ ، ص ٢٦٧ : « فان كان للنبات ذكر واثي فانما يجب ان يكون ذلك في التميز فقط فأما ما ليس بتميز . . . » وقرأني « الثمرة » و« بثمر » في الموضعين ، في نسخة اكسفورد : « التميز » و« بثمر » .

وقد ترك أيضاً بعضاً من الألفاظ سهواً^(١) . وأما (تدبير المتوحد) الذي نشره الأستاذ المذكور فإنه أحسن تحقيقاً من الورقات التي نشرها من الكتاب السالف ذكره المستشرق دنلوب (D. M. Dunlop) فإنه مثلاً، قرأ «النشكيك» «تشكيلاً» ، و «المشككة» «مشككة» . وهكذا قرأ «المهين» موضع «المهين» ، و «رؤف» موضع «ردف» ، و «لهتين» موضع «لهذين» ، و «لذلك لا يرد» والجهور» موضع «ولذلك لا يردف الجمهور» ، و «الأمر الحرية» موضع «الأمر الجزئية»^(٢) .

والنص على ما ذكرت مملوء من الأغلط التي وقعت إما من الكاتب أو كانت في الأصل الذي كان يخط ابن الإمام . واجتهدت في تصحيح كثير من الأغلط في النص وأثبت ألفاظ المخطوطة في الأسفل في كل من الصفحات . والألفاظ التي أضفتها من عندي لتوضيح العبارة أو المعنى وضعها بين قوسين هكذا : < > . وقد وجدت فراغاً في مواضع عديدة فبذلت جهدي في سدّ هذا الفراغ في كثير من المواضع الحالية . ورغمما عن هذا يمكن أني سهوت عن بعض الفراغ فبقي غير مسدود .

وكما ذكرت من قبل ، هذه النسخة عتيقة جداً فصارت رديئة في كثير من المواضع في أوراق كثيرة ، فكثيراً ما تلاصقت الأوراق للرقوية التي لحقتها ، وعندما فرقوا الأوراق ضاع كثير من الحروف أو الألفاظ بأمرها ، فالعبارة

(١) انظر مثلاً ، الأندلس ، ١٩٤٢ ص ١٢ : السطر الأخير : «عالمنا يكون حينئذ انساناً بالقوة» ، في نسخة اكسفورد «بالقوة الفكرية» (ورقة ٢١٦ ب) : ١٩٤٣ ص ٣٧ : «وذلك في اليسار ليكون كالحاكم» وفي المخطوطة : «... فيكون كالحاكم» : ص ٤٠ : «إذ هو منقسم» ، في المخطوطة : «إذ هو جسم منقسم» .

(٢) انظر J. R. A. S. 1945. p. 64

بقيت نافذة لا يتضح معناها . لقد أثبتت هذه العبارات بعد جهد بليغ ومقابلة بعبارات مترادفة وجدتها في تلك الرسالة والرسائل الأخرى من المجموعة ووضعتها بين قوسين شككها هكذا : [.] .

ولم يُنشر جزء من هذه المخطوطة من قبل ، ولم يحقق إلى هذا الآن سوى ما نشره الأستاذ المرحوم آسين بلاسيوز من كتاب (تدير المتوحد) ، (كتاب النبات) ، (رسالة الوداع) ، (رسالة اتصال العقل بالإنسان) ، وأما ما كتبه أوكلي (Ockley) في ترجمته الانكليزية لحي بن يقظان لابن طفيل (انظر حاشية الترجمة المذكورة التي نشرت بمصر) ، أن جميع المخطوطة لابن باجة حقه ونشره الأستاذ ادورد بوكك (E. Pocock) ، فليس له حقيقة ^(١) ، إذ لم ينشر الأستاذ بوكك شيئاً من المخطوطة ولم يذكر هذا في مقدمة ترجمته لحي بن يقظان اللاتينية التي سماها (المقدمة) Elenchos Scriptorum (فهرس المصنفين) ونشرها مع الترجمة ، Philosophus Autodidactus ^(٢) ، وما ادّعى قط أنه فعل هذا .

محمد صغير حسن المعصومي

(يتبع)

جامعة داکا ، باكستان الشرقية ، ايلول سنة ١٩٥٧



(١) انظر ترجمة حي بن يقظان الانكليزية ، طبع القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٨ في أسفل الصفحة .

(٢) اكسبرد ، ١٦٧١ ، ص ٨٢ .

التعريف والنقد

المغرب في حلي المغرب لابن سعيد المغربي

حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف

طبع دار المعارف بمصر في أكثر من (٥٥٠) صفحة بالفهارس

كنت قبل هذا بمدة ، كتبت تقريظاً نقدياً للجزء الأول من هذا الكتاب القيم ، الذي نشره الأستاذ المحقق الدكتور شوقي ضيف ، ونوهت بعمله العظيم ، وأشرت الى بعض المآخذ ، وعلى التحقيق بعض الكلمات التي خالف رأيي رأيه في قراءتها أو هو لم ينتبه الى تصحيحها ، من غير أن أغفل مطلقاً عن الاعتراف بمجهود الجبار الذي أخرج به ذلك النص المهم في حلة قشبية من التحقيق والضبط والتعليق تعجز الكثير من أئمة هذا الشأن .

وغبرت مدة اقتنيت فيها الجزء الثاني ، وكنت متشوقاً لظهوره ، ولكنني لم أستطع قراءته متعلّياً مستفيداً ، لما كنت منهكاً فيه من الأعمال والتبجمات ، حتى أمكنتني الفرصة الآن ، وقد تخففت من تلك الأعباء الثقالة ، فكان هو من أول الكتب التي سارعت الى منادمتها والاستمتاع بها . ولا أكذب القارئ أنني زدت إعجاباً وتقديراً لعمل الدكتور الفاضل فلا أدري أكان عمله في هذا الجزء أكثر تدقيقاً منه في الجزء الأول أم أن تجربة ثلاث سنين^(١) وخبرتها هما اللتان جعلتاني أقدر أعمال الناس وأزنها بميزانها الحقيقي أكثر من ذي قبل . وعلى هذا السنن العلمي اللاحب ، أردت أن أتم ذلك التقرّيز - ولا خير

(١) نشر تقرّيز الجزء الأول في ج ٤ من مج ٢٩ من هذه المجلة الصادر في أكتوبر ١٩٥٤ (ص ٥٨٠ - ٥٩٣) .

في تقرير لا يكتب بروح نقدية - بالتنبيه على بعض الهنوت ولا أقول الهفوات ،
فانني أؤكد أن بعض الكلمات التي ينتبه اليها القارئ هي في الغالب مما يغفل عنه
الكاتب ، فلا يكون إهمالها من باب الخطأ الذي يلزم المؤلف . وهي لذلك عندي
من الهنوت التي لا مصدر لها ، لا من الهفوات التي تؤخذ على الكاتب . .
ومن الطبيعي أن أغض الطرف عن بعض الشكالات التي تزحلق عن محلها ،
أو وضعها الطابع خطأ على غير وجهها ، فإن من سبق له أن نشر كتاباً أو مقالاً
أو قصيدة فيها بعض الشكل لا بد أن يكون قد صدم ببعض هذا التغيير .
وبعض القراء يجهلون ذلك فيأخذون به المؤلف ، ولكنهم أحرياء أن يعرفوا من
سياق العمل أن مثل هذا المؤلف أو ذاك ليس ممن يجبل أن الفاعل مرفوع
وأن مضارع الثلاثي غير مضموم الأول الخ ، وهكذا نحن لم نتبع شيئاً من
الموس الذي يتورط فيه بعض الكتاب .

ولا أحتاج أن أقول . . انني بهذا التنبيه إنما أتعاون مع حضرة الناشر
على خدمة هذا الكتاب ، وأتمم ما بدأت به في الجزء الأول من التقرير والنقد ،
عتابة بهذا الاثر النفيس الذي كانت المكتبة العربية في أمس الحاجة اليه .
ولذلك أرفئ من جديد عرائس التهنائي للدكتور شوقي ضيف على توفيقه وتبريزه
في خدمة الأدب العربي سواء بالتأليف أو النشر أبقاه الله وأدام النفع به .
وهذه هي تلك الهنوت المشار اليها . .

وقع في ص ٨ ضبط كلمة موصطة بفتح الميم والسين . ونص العبارة التي جاء
فيها « وهي في الاقليم الخامس موصطة » ، والضمير يرجع الى مدينة طليطلة .
وأظن أن هذه الكلمة وقعت في الجزء الأول بهذا الضبط أيضاً . وكنت توقفت
فيها . ولما كنت بعيداً عن منزلي ومكتبتي لم يمكنني تحقيقها . ويعتقضي ما ذكره
الغويون من أن فعل وسط هو من باب وعد يظهر لي أن حقها أن تكون

بكسر السين ٠٠ على أن صاحب القاموس ذكر أن «وسط البيت بوزن مكرم هو ما كان في وسطه خاصة فليحذر .
وفي ص ١٦ عن أبي الخطاب الشاعر : « وكان في صلة الفضلاء الذين وفدوا على المتوكل بن الألفس » . ولعل الصواب : وكان في جملة الفضلاء . . .
وفي ص ٢٣ :

أطال نفسي بالمواعد والمشي وما العيش واللذات إلا محمد
بذاك سبا عقي وهاج لي الجوى ولم يسبه حور أو انس نهدي
وأظن أن صواب كلمة بذاك . . . فذاك بالفاء .

وفي ص ٥٢ : « وكان (ابن همشك) يردي أهل الجنائيات من حافة عظيمة »
وضبط الحافة هنا بتشديد الفاء ، والصواب تخفيفها فإن الحافة جانب الوادي مخففة .
ولعل الضبط خطأ مطبعي .

وفي ص ٦٧ ما نصه : « لا بعدم مال الكرم غارة من الأفضال (نسن) ، وعادة من الاحسان نسن » ويجب إجماع السين من (نسن) في الفقرة الأولى . وهو تطبيع .
وفي ص ١٠٣ : « ونهرها الكبير (يعني غرناطة) يقال له شنيل » بفتح الشين والتون مع تشديدها ، وتكرر هذا الضبط في شعر ورد في نفس الصفحة .
وعلى ما يظهر لي ، يجب أن يكون كل من الشين والتون في هذا الامم مكسوراً ؛ أما الشين فلا أنهم قد يكتبون هذا الامم بزيادة ياء بعده هكذا : شينيل ، ومعلوم أن اشباع الكسرة يولد الياء . وقال ابن زمرك في إحدى قصائده التي يصف بها بعض مصانع غرناطة كما في نفع الطيب :

يا قصر شينيل وربك أهل والروض منك على الجمال قد اقتصر

وأما التون فلا أنهم يذكرون في مفاخر غرناطة على سبيل النكتة الأدبية ، أن نهرها شنيل يعدل بألف من نيل مصر لأن عدد الشين في حساب الجمل ألف .
فاذا قلنا شنيل فكأنما قلنا ألف نيل . ومقتضى هذا كسر التون كما لا يخفى .
ويسمي الاسبان نهر شنيل Genil على عادتهم من قلب الشين العربية خاء في

بعض الأسماء . وعلى كل حال فهم قد كسروا الخاء المنقلبة على الشين والنون معا .

وفي ص ١٠٤ من موشح :

ورسولي قد تعرف منه بما أدري فخر

ولإقامة الوزن يجب حذف الباء من قوله بما .

وفي ص ١١٧ :

لا تلني بأن طربت لشدو يبعث الأنس فالكريم طروب

ليس شق الجيوب حق علينا إنما الحق أنت شق القلوب

وقد ضبط اللام في لا تلني بالفتح ، ولا شك أنه خطأ مطبعي وأن حقه الضم .

أما صدر البيت الثاني فيظهر أن صوابه أن يكون هكذا : ليس شق الجيوب

حقا علينا . ولا يحسن نصب شق ورفع حق لأن الأول هو المحكوم عليه .

وبعد كتابة ما ذكر رأيت كما ذكرت في نفع الطيب .

وفي ص ١١٩ في التعليق : « وذكر ابن ذاكور في شرحه على القلائد »

والصواب ابن ذاكور بالزاي . وأظنني نبت على هذا في الجزء الأول .

وفي ص ١٤٤ :

أنت الهوى لكن سلواي الهوى قصد ابن معن والحديث شجون

وأظن أنه (قصر ابن معن) بالراء كما بدل عليه ما بعده ، والبيت السادس بالخصوص .

وفي ص ١٥٦ :

عليك لنا فضل ومن وأنعم ونحن علينا كل مدح محبتر

وأعرف أنها محبتر ، وقافية الشعر مضعومة فهو الذي يناسبها بغير تكلف .

وفي ص ٢٢٥ : « ولهم فيه غل عظيمة » بضم الغين ، والصواب كسرهما .

وفيها عن الكاتب ابن طاهر : « أخبرني والذي أنه لم يزل مع الملك المذكور

عثمان بن عبد المؤمن في عز ونعمة ، إلى أن وقع له على رسالة بعثها إلى أخيه

أبي جعفر بن عبد المؤمن ملك اشبيلية فغار وسمه فمات » الخ . وقد ضبط فعل وقع

بالتشديد من التوقيع ، وأظن أن سياق القصة يعطي أنه بالتخفيف من الوقوع بمعنى العثور ، أي أنه عثر له على هذه الرسالة التي يخاطب بها أخ مخدومه ، يريد أن يلتحق به ، فغار مخدومه وقتله .

وفي ص ٢٣١ :

وان أحمد في الدنيا وان عظمت لوأحد مفرد في عالم أمم
بفتح همزة أمم وأظن أن الصواب ضمها ، ولعله تطبيع .

وفي ص ٢٥٣ :

أربأ بنفسك أن تكون متابعاً ما الحر إلا أن يوماً فيتنبع
ببناء يوم للمفعول فهو بمعنى يقصد ، وظهر لي أنه ربما كان يوم على صيغة المبني
للفاعل من الإيالة وتأني كلمة يتبع بعده أكثر تمكناً وأقرب مناسبة .

وفي ص ٢٥٥ :

الرز بـ القفا وخلعته فاخلع علينا من ذلك البر
وقد ضبطت كلمة بز بالفتح على أنها فعل ماض ، والصواب رفعها على أنها اسم
بدليل عطف وخلعته عليها ، ولا معنى لفعل بز هنا ، وربما (ورب للتكثير)
كان ذلك الضبط تطبيعاً .

وفيها ضبطت كلمة (ونهت) بضم الناء وهي من تاه ينيه ، فحقها الكسر ،
ولا يبعد أن يكون ذلك خطأ من الطبع .

وفي ص ٢٦٧ :

ثماني خصال في الفقيه وعمره وثنان والتحقيق في الأ (مرشيق)
وهذا من شعر البككي الشاعر الهجاء المشهور . ووضع الناشر الفاضل للحروف
الأخيرة في البيت بين عقتين بدل على أنها لم تثبت بالأصل وأنه هو الذي
تم البيت بها . وقد جاء البيت تاماً بما يقرب من عمل الناشر عند صفوان
ابن ادريس في زاد المسافر ونصه :

ثماني خصال في الفقيه وعمره وثنتان والتحقيق بالمرء البق
ومن آيات القطعة في المغرب :

وبكذب أحياناً ويحلف حائناً وبكفر تقليداً ويرثى و (يحق)

هكذا يتمم الناصر ، والبيت في زاد المسافر هكذا :

وبكذب أحياناً ويحلف حائناً وبكفر تقليداً ويزني ويسرق

وفي الصفحة بعض اللحن في بعض الأبيات الأخر ، ونظن أنه من خطأ الطبع .

وفي ص ٢٦٩ :

وصارم أبصرت ذي فلة فقلت يا صارم من فلأ

فقال لي لحظ غلام رنا ونهد عذراء كما فلأ

وقد ضبطت فلأ الثانية بالبناء للمجهول والصواب بناؤها للفاعل ، يقال فلأ

ندي الجارية وتفلأ . وما نظن الشاعر أتى بالبيت الأول إلا لاصطياد هذا

الجناس الكامل ، فلا يصرف عن قصده .

وفي ص ٢٧٧ : ذكر ابن سعيد في ترجمة أبي الحسن جعفر بن الحاج أنه

هو والد أبي محمد عبد الحق الذي ارتضاه أهل لورقة للقيام بأرضهم ، فلم يرض . .

وفي الصفحة قبلها ذكر في ترجمة أبي محمد هذا أن اسمه عبد الله . . ولم يحقق

الناصر الفاضل في ذلك ، مع أنه أحال على مصادر كثيرة لترجمة أبي الحسن بن

الحاج هذا ما بين خطية ومطبوعة . وبما أن الخطية التي أحال عليها ليست بيدنا

فاننا أيضاً لم نستطع أن نقول كلمة فاصلة في الموضوع ، لا سيما والضفي في البنية

وابن الابار في المعجم يسميان هذا الولد اسماً ثالثاً هو عبد الرحمن .

وفي ص ٢٧٩ ورد هذا البيت :

رويداً فلي قلب على الخطب جامد ولكن على عتب الأعبة دائب

بالدال المهملة في دائب ، ولا يخفى أن الصواب إعجام هذه الدال ، فكلمة

ذائب هنا واقعة في مقابلة جامد من عروض البيت ، ولا معنى للدووب على معاتبة

الأحباب بل المقصود ذوبان القلب من سماع عتابهم . وهذا كله إنما سببته نقطة سقطت من يد المنضد فيما نعتقد ، ولكنها نقطة هي مركز الدائرة في معنى هذا البيت .

وفي ص ٢٨٧ جاء هذا البيت :

وما هو غير أن أدعى وحسي حيا الإخوان أو موت الأعادي
بضم التاء من موت ، ولا شك أنه معطوف على حيا فحقه النصب . والشاعر
يتأسف على عدم إدراك مراده قبل الموت كما في البيت قبل هذا ، وما مراده
إلا ما ذكر . وفيها أيضاً هذا البيت :

أنكرت أن راع الزمان أدبي وهل رأيت ذا نهى مؤمنا
بنصب الزمان ، والصواب رفعه لأنه هو الفاعل الرائع .

وفي ص ٢٩٨ هذا البيت :

بلادي التي ريشت قويدني بها فريحا وأوتني قرارتها وكرا
وفيه تصغير قادمة على قويدية بزيادة الياء ، ولا تصح هذه الزيادة نحواً ولا عروضاً .
وفي ص ٣٠٢ وقع هذا البيت من قصيدة :

وأصدرت الرايات حمراً كأنها صدور حسان مسن عبير
وقد نوت فيه صدور وحسان على وصف للصدور ، وأملح من ذلك أن تضاف
صدور الى حسان لتفيد أن هذه الصدور لقوان حسان لا مطلق صدور حسان
قد تكون على حسنهما لرجال خشان .

وفي ص ٣٠٦ جاءت هذه العبارة : « إنه ما اختلف الليل والنهار إلا بنقص
وامرار » هكذا بالصاد في نقص وأظنه بالضاد .

وفي ص ٣١٠ أبيات في النوار المعروف بالخيري ويقول له العامة عندنا
الخلي ، منها :

لك الخير أتخفي بخيري روضة لا تنفاسه عند المجوع هبوب

أليس أدبُ النور يجعل ليله نهاراً فيذكو تحته ويطيب
والمقصود قوله أدب النور ، فانه بالنصب خبر ليس ، لا بالرفع كما ضبط في الكتاب ،
والشاعر يشير بذلك الى قولهم الليل نهار الأدب .
وفي ص ٣١١ من قصيدة في وصف بحيرة بلنسية :

إذا الناس حنوا للربيع وجدتنا بها في ربيع كل حسن من الزهر
هكذا ثبت هذا البيت باضافة ربيع الى كل حسن ، وبيان ذلك بقوله من الزهر ،
ويظهر لي أن صواب هذا البيت هو كما يلي :

إذا الناس حنوا للربيع وجدتنا بها في ربيع كل حين من الدهر
والضمير في بها يعود للخبرة ، فهي ، كما قال المؤلف وردد ذلك الشاعر في أبيات
أخرى ، تكسب بلنسية جمالاً طبيعياً وخضرة ونضرة بحيث تجعلها كأنها دائماً
في فصل الربيع . وبعد هذا البيت يقول الشاعر :

تهب نعامها فيفغم أنفنا بأنفاسنا الملوذة البرد في الحر
وقد ضبط فعل يفغم بالبناء للمجهول وأنفنا مرفوع على أنه نائبه ، ثم ضبط البرد
بعلامة الرفع أيضاً . ولا شك أنه بعد أخذ الفعل فاعله لم يبق إلا جر البرد
بالإضافة الى ما قبله إضافة لفظية . فإن أردنا أن نرفعه فعلينا أن نبيّن فعل يفغم
للمعلوم وننصب أنفنا على أنه مفعول له ويكون البرد حينئذ فاعلاً مرفوعاً .
وفي ص ٣١٢ يقول الشاعر في صفة مذئاب ماء ، من أبيات :

كالصل إلا أنه لا يتقى كالظل إلا أنه لا يرهب
ولا شك أن الظل هنا محرفة عن الصل بالصاد وهو الحية الخبيثة بدليل قوله
لا يرهب ، وتشبيه الماء الجاري بالصل معهود عندهم .

وفي ص ٣١٤ حكاية عن ابن عائشة الشاعر أنه كان يوماً مع ابن خفاجة
وجماعة من الأدباء تحت خوخة منشورة فهبت ريح صرصر ، أسقطت عليهم
زهرها . . الخ . وظاهر أنها خوخة منشورة لا منشورة .

وفي ص ٣١٦ وردت ترجمة الحافظ أبي الربيع الكلاعي ، وهو منسوب إلى
ذي الكلاع بفتح الكاف من أذواء اليمن ، فضم الكاف كما في الكتاب خطأ .
وأثبت له المؤلف أبياناً في مشط فضة ، منها هذا البيت :

‘مشط الحسان بعظم ظلم لعمرى عظيم’

وقد ضبط لفظ مشط بضم الميم ، وهو الآلة كما لا يخفى ، والمراد هنا الفعل
بدليل قوله بعظم ، فحق الكلمة إذن فتح أولها .

وفي ص ٣١٩ هذا البيت :

فبت لا حالة كحالي ضجيع بدر صريع سكر

يرفع اللام من حاله ، وصوابه لا حالة .

وفي ص ٣٣٩ هذان البيتان من قصيدة :

يا يوسف أزرى بحسن الذي آمن في الجب وقوع الهلك

قطعت أيدي نساء له فكم قلوب قطع الناس لك

ويظهر لي أن آمن صوابها أمن ، وأن البيت الثاني سقط من أوله حرف الشرط
والتقدير إن قطعت ، وذلك ليتزن ولكون الفاء من فكم واقعة موقعها من الجواب .

وفي ص ٣٤١ بيت من موشحة لابن حريق يقول فيه :

محمد اللسق يا غزالي يا صاحب العينين الصبار

وقد ضبط اللسق بالشدة المفتوحة على اللام ثم بتسكين النون والقاف معاً ،

وأظن أن الصواب تشديد اللام مع الضم وتسكين النون ورفع القاف ، أولاً -

لأنه بتسكين القاف يحتل وزن البيت . وثانياً - لأن اللسق لقب هذا الموصوف

وبه يعرف ، فحقه أن يكون تابعا في الإعراب لمحمد . وإنما قلنا إن اللسق لقب ،

لأن هناك من أعلام الأندلسيين من يعرف باللونكو ، فالغالب أن اللسق الذي

نحن بصده هو تعريب له . وانظر هل تكون هذه الكلمة (اللونكو) مأخوذة

من Long الفرنسية بمعنى الطويل ؟ .

وفي ص ٣٦٨ ورد هذا البيت ضمن قطعة :

والشمس تجنح للغروب مريضةً والبرق يرقى والقيامة تنفثُ
وضبط فعل يرقى بفتح القاف من الرُّقَى وهو بالكسر من الرُقْبَةِ كما لا يخفى
بدليل ما بعده .

وفي ص ٣٧٤ هذا البيت من قطعة :

فلا رحلت إلا بقلبي ظليمةً ولا حملت إلا ضلوعي هودجا
والظليمة المرأة المسافرة في المودج فهي الراحلة بقلبه وهي الفاعل برحلت ، فتحققها
الرفع لا النصب كما ثبت في الطبع .

وفي ص ٣٧٦ جاءت هذه العبارة من كلام الفتح في القلائد : « وكانت
عنده (مناهل) تزف فيها للمنى أبكار نواهد » وقد توقفنا في مناهل هذه ،
لا لاختلال السجع ولكن لعدم وضوح المعنى أيضاً معها . ورجعنا الى القلائد
فاذا بها : مشاهد .

وفي ص ٣٨٦ في ترجمة ابن مغاور الشاعر أن بعض الأعيان وهب له
نصيبه من السقيا في يوم ماء فسقى جنته ، وجاء في ذلك اليوم ضيف فكتب اليه
بستاقه خمرآ هذين البيتين :

سقيت أرضي بفيض ماء فاسقِ ضلوعي بفيض راح
واترك جفائي بذهب جفَاء واخفض جناحاً على مُجناحي

وقد علق الناشر الفاضل على صدر البيت الثاني بقوله : « هكذا الشطر في الأصل » .
وأظن أن هذا الشطر واضح لا غبار عليه ، فإن الشاعر أحسن بقلة اللوق في
كثرة السؤال فاعتبر ذلك جفَاء وعدم بر ، فقال لمخاطبه المسؤول : « واترك
جفائي بذهب جفَاء » أي غشاء كغشاء السيل مما لا يمتد به ، قال تعالى : « فأما
الزبد فيذهب جفَاء » فجفائي بفتح الجيم وجفَاء بضمها ، وهما كذلك عند
الناشر الفاضل ، إلا أن همزة جفَاء جاءت في الكتاب مضمومة ، وهو خطأ

مطبعي لا شك فيه ، فظهر أن الشطر صحيح المعنى واللفظ لا توقف فيه ، نعم
في قوله جفائي زحاف يمكن تجنبه يجعله جفائي ، وربما كان كذلك عند الشاعر .
وفي ص ٤٢٩ هذا البيت من قطعة :

مسروا كافتداء الطير لا الصبر بعدهم جميل ولا طول الندامة ينفع
ولم أنهم لا فتداء الطير بالقاف معنى . فرجعت الى (فلاندة العقيان) التي أحال
الناشر الفاضل عليها في تحقيق بعض ألفاظ القطعة ، فوجدتها كذلك ذكرت هذه
الكلمة ، وقد وقع في وهمي أنها ربما تكون محرفة من اغتداء بالغين ، والمعنى
أنهم مسروا بكرة كما تبكر الطير في نهوضها . وفي الحديث : « لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقتم كما توزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطانا » فهذا
هو اغتداء الطير . وفي شواهد البلاغة :

إذا أنكرتني بلدة ونكرتها خرجت مع البازي ، عليّ سوار

وفي ص ٤٤٥ ثبت هذا البيت :

وحقك ما تركت الشعر حتى رأبت الجبل قد أركى شهابه
بالبازي في أركى ، فقلت ياليت المنضد أبدل ذال زاكون يزاي أركى ، والذال
المعجمة كثيراً ما ترد في مطبوعات الشرق زاباً ، لأن بعض إخواننا الشرقيين
ينطقونها شبيبة بالبازي تماماً .

وفي ص ٤٥٠ ورد هذا البيت :

ثمرات الأنس ترناد عندي وهي من روضك 'تجنبي وتجنبي
بكسر همزة الأنس وحققها الضم ، وافتح تاء ترناد وحققها الضم أيضاً . وفي الصفحة
التي بعدها هذات البيئات :

أخطأت في بر الذي لم ترعه وغدا يلاحظني بقلعة ساخر
إن التواضع للذي يعتدّه ضعة لجهل ماله من عاذر
وترعه لا شك أنه تصحيف صوابه برعه ليرقى الكلام كله على الغيبة في غابة الانسجام .

وفي ص ٤٦٢ وقع هذا البيت :

يقولون لا يبعد والله دره وقد حيل بين العير والزوان
وقد ضبط يبعد فيه بضم العين وصوابه الفتح لأنه من البعد بفتحين بمعنى الهلاك ،
لا من البعد بالضم ضد القرب ، وبعض اللغويين يسوي بينهما ، والتحقيق التفرقة .
وفي ص ٤٥٤ ورد هذا المقطع من موشح :

بي جوى مضر ليت جهدي وقفه
كلا بذكى ففؤادي أفقه
ذلك المنظر لا بدأوى عشقه

وصواب بذكى كما لا يخفى بذكر وهو خطأ مطبعي ، وذكر المحقق الفاضل أن
هذه اللفظة وقعت في رواية دار الطراز يظهر وبأما أحسنها هنا ...
وفي ص ٤٦٢ من قطعة في عدم الاعتداد بالأحساب والأنساب إذا لم يكن
صاحبها ذا مال :

فحرام المجد والعلم إذا لم يكن عندك شيء من ذهب
وعلق الناشر الفاضل على كلمة فحرام أنها في الأصل حرام ... ولا شك أن
الفاء التي زادها الناشر قصد بها إقامة الوزن . ولكن صواب الكلمة هو ما كان
في الأصل ، على أن 'تقرأ : حرُّ أمِّ المجد والعلم ... بكسر الحاء وضم الراء من
حر مع إضافتها للفظ أم ، وغير خفي ما يقصد بذلك من الفحش والأوزراء .
وفي ص ٤٧٠ من بيتين في وصف الخيل :

هي الجور ولكن في كوائنها عند الكربة منجاة من الفرق
والمراد بكوائنها أعاليها لا أسافلها كما فسرت في التعليق على أن المراد بذلك
أرجلها ... وفي الحديث يضعون رماحهم على كوائن خيلهم ، قالوا هي من الفرس
يجمع كنفه قدام السرج . ويرشح هذا المعنى أن الشاعر جعلها منجاة من الفرق ،
شأن من يجنب الفرق أن يطلب العلو لا السفل .

وهنا ننتهي من هذه الملاحظات التي نرجو أن لا نكون أوغلنا فيها حتى
أسفنا وسفلنا ، على أننا قد تركنا بعض الكلمات لم يخامرنا شك في أن خطأها
من باب التطبيع . . وأما قبل وبعد فإن قصدنا هو خدمة هذا الكتاب القيم ،
ولو بجزء من ألف ، من العناية التي حظي بها من حضرة ناشره الفاضل ، فليقبل
منا جنبابه هذا التفضل على عمله العظيم مع أصدق التحيات وأخلص التقدير .

عبر الله كنون

محمّد

خريدة القصر وجريدة العصر

تأليف العماد الاصفهاني الكاتب

« قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ، في ٦٨٨ صفحة متوسطة ما عدا الفهرس ، عني بتحقيقه
الدكتور شكري فيصل ، وطبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م »

- ١ -

لا يزال المجمع العلمي العربي بدمشق دائماً على إخراج التراث العربي القديم
الزاهر بنشره رسائله ومخطوطاته ، في اللغة والنحو والأدب وتاريخ الأدب ،
ومن مآثره في هذا المجال إخراج الجزء الأول من القسم الثاني لشعراء « خريدة
القصر وجريدة العصر » للأدب الطائر الصيت قديماً وحديثاً « عماد الدين
الاصفهاني الكاتب » ، وقد أسندَ تحقيقه إلى الدكتور الأديب المحقق « شكري
فيصل » وهو أهل لثقة المجمع العلمي العربي في ذلك وأمثاله ، فحققه بطريقة
دلت على سلامة بحثه وبراعته فيه ، وطول باعه في معالجة هذا الكتاب العسير
النشر والتحقيق ، وهو لا يزال في عنفوان شبابه ، وقد طالعت هذا الجزء
مستفيداً مستجيداً ، ولم يستوقفني فيه استيقاف الراي ، عن المسير في الدمائم ،
إلا أشياء يسيرة أنا ذاكرها على الترتيب فأقول :

١ - جاء في ص « ٢٠ » قول الشاعر الغزي :

مَنْقَفَ الْأَسَلِ الظَّيَّانَ تُرْجِمُهُ دَرْعُ السَّكِيِّ حَطْبِيًّا دُونَ مُرَاتَشِفِهِ
يَجْمَلُ « ترجمه » رباعياً ، والفصيح الذي هو لغة القرآن « تُرْجِمُهُ » بفتح التاء ،
قال الجوهري في الصحاح : « رَجَعَ ^(١) بنفسه رجوعاً فَرَجَمَهُ غيره ، وَهَذَا يُقَالُ
تَقُولُ أَرَجَمَهُ . وقوله عن وجل : (يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ) أي
يَتَلَاوَمُونَ » . وقال الفيومي في المصباح المنير : « رَجَعَ من سفره وعن الأمر
يرجع رجوعاً ورجوعاً ورجعياً ومرجعاً . قال ابن السكيت : هو تقيض الذهاب ،
وبتعدى بنفسه في اللغة الفصحى فيقال : رَجَعْتُهُ عن الشيء وإليه ، وَرَجَعَتْ
الكَلَامَ وغيره أي رددته ، وبها جاء القرآن قال تعالى : فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ .
وهذيل يُعَدِّبُهُ بِالْأَلْفِ » .

فالفصيح هو الثلاثي ولم يكن الغزي شاعراً هذلياً فيصح أن تنسب إليه
لغة هذيل .

٢ - وورد في « ص ٢٤ » قول الشاعر الغزي أيضاً :

وَلَوْ حَصَلَ الْإِنْجَازُ لَمْ يَبْقَ مَطْمَعٌ وَجُودُ اشْتِعَالِ النَّارِ دَاعِي مُخَوِّدُهَا
بِفَتْحِ « الواو » من « وجود » واعتدادِهَا وَاوَّ ابْتِدَاءً ، والصواب عندي أنها
أصلية من كلمة « وُجُود » مصدر الفعل « وَجَدَ يَجِدُ وَوُجِدَ يُوْجَدُ » ، ولغة الشاعر
متأثرة بلغة المتكلمين ، ومنها كلمة « الوجود » . ألا تراه يقول بعد ذلك « ص ٢٥ » :
وَهَلْ سَالِبُ الْعُرْيَانِ إِلَّا مُنَبَّهٌ عَلَى عَدَمِ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُجُودِهَا ؟ !
ففراد الشاعر إذن هو أن الاشتعال إذا كان في النار سبب نخودها لائن

(١) وجاء في مختار الصحاح « رجع الشيء بنفسه من باب جلس ، ورجعه غيره من
باب قطع ، وهذيل تقول أرجمه غيره بالألف » . وقوله « من باب قطع »
خطأ لا أعلم أحداً قاله غير المختصر للصحاح هذا ، على أن مصدره وحده يشبه
مصدر « قطع » .

الحمود نتيجة الاشتغال ، فهو قد أراد مطلق الاشتغال والانتقاد ، ولم يشترط الكرم ولا الجودة .

٣ - وجاء في « ص ٢٥ » قول الغزي المقدم ذكره :

يقولون ما سَيرتَ ما يُنقى به مفانك غابت خات من أسودها
بيناء « يُنقى » للمجهول الغائب ، ولا ينتج عندي له وجه ، والراجح عندي
« ما يُنقى به » للمجهول ، وبأسناده الى مخاطب ، يعني : ما أطلقت أو قدمت
ما يخشاك به الناس ، ويقامون جانبك ، فحالك كغاية لاسد فيها ، ييوس
خلاهما الشجاع والجبان وبنات آوى والثعلبات .
٤ - وجاء فيها قوله :

فما يقتضي جدواك مود مدحقر لاسلافك الأثمان قبل ورودها
بفتح الحمزة من « أسلافك » ولا وجه له عندي وإنما هو « إسلافك » بكسر
الحمزة مصدر « أسلفه الشيء » أي أقرضه إياه بلا منفعة ، ومراد الشاعر بالبيت
هو أن ممدوحه لا يجعل جدواه مكافأة للشاعر المادح له ، بل يحسن إليه ابتداء
قبل أن يعلم ماله به ، وهذا تأويل البيت الذي جاء قبله :

وجدت ارتجالاً والغامة طالما تكرر يحدوها ضجيج رعودها
فالشاعر إذن لا يسلف الممدوح أثمان مدحه قبل ورود الجدوى عليه .

٥ - وجاء في « ص ٢٧ » قول الشاعر المذكور :

قَهْدٌ عُذِرَ مِنْ أَمْسَى تَزِيْفًا بترك الكأس في كف المدير
فقال الدكتور المحقق في الحاشية « التزييف : السكران » ولا أرى له موضعاً ،
وإنما المراد به العطشان ، الشديد العطش ، كقول الشاعر :

فلثمتُ فاهَا آخِذاً بقرونها شرب التزييف يبرد ماء الحشرج
ثم إن الشطر الثاني لا ينصر معنى « السكران » ها هنا ، لأن الكأس تركت
في كف المدير ، وتركها كذلك معطشة له . نسقي ، كما هو معلوم .

٦ - وجاء في «ص ٣١» قوله :

فلم يَبْقَ دينار سوى الشمس لم يَبْلُ ولم يَبْقَ غيرُ البدر في الناس درهم
وفي «ص ١١٧» قول القسراي :

قضية جائزة ما لها غيرُ محبر الدين مُستأصلُ
والصواب في كلا البيتين «غَيْرُ» بالنصب لأنه مستثنى مقدّم ، وهو كثير في
الشعر ولا يصلح لأنثر المرسل .

٧ - وورد في «ص ٤٣» قول الغزالي في وصف القلم :

وَأَنَّ الَّذِي يَسْقِيهِ حِينَ يَجْهِي لِحَانٍ وَعَافٍ مِنْهُ حَتْفٌ وَنَائِلُ
والصواب «تَسْقِيهِ» والذي تسقيه إياه هو الحبر ، فحين يُلْقِيهِ من فيه يكونُ
حتفًا للحياة ونوائل للعفاة . فلا وجه لـ «يَسْقِيهِ» لأن الذي يسقيه هو
الإنسان فكيف يَجْهِي من فيه ؟

٨ - وورد في ص ٥٩ قوله :

وما مشبُ المراء إِلَّا غُبْرَةٌ تَعَلَّقَتْ مِنْ رَكْضٍ عُمَرُ قَدْ غَبِرَ
بفتح الباء من «غَبَرَ» بمعنى «بقي» على الوجه الفصيح ، ولا وجه له ،
والصواب «غَبَرَ» بكسر الباء من باب «فَرِحَ» أي أصابه الغبار ، فالعمرُ
لما أصابه الغبار وهو سائر بقي من أثر ركضه الشيب الذي هو شعر أُغْبِرَ ،
والشيء يشبه أصله وهو معنى شعري ملوح .

٩ - وجاء في «ص ٦٤» قوله :

وَيَعْجُمُ الطَّلُ مَا يَحْطُ عَلَى صَفْحَتِهِ سَمٌّ شِمَالٍ وَصَبَا^(١)
يجمل «يَعْجُمُ» ثلاثيًا من باب نصر ، ولا وجه له عندي ، لأن مراد الشاعر أن

(١) أخذه منه بهاء الدين علي بن الساعاتي وزاد عليه فزاده جالاً بقوله من مقطوعة طائية :
والطلُّ في سلك الفصون كنؤلؤ رطب يضافه النسم فيدهط
والطير تقرأ والفدر صحيفة والريح تكتب والنفامة تنقط

الريح برورها على القدير تترك ما يشبه الخط على مائه فينزل الطل وهو المطر الضعيف
فينقط ذلك الخط ، فالصواب إذن « يُعْجِمُ » الرباعي من « أَعْجَمَ الخط » أي
أزال إعجامة بالنقط ومنه الحروف المعجمة كالباء والتاء .
١٠ - وورد في « ص ٦٩ » قوله :

ولما دخلتُ الريّ قلت لرفعتي 'خذوا حذرکم من داغرٍ وخَوّونِ'
« داغر » بالعين المعجمة ، والصواب « داغر » بالعين المهملة وهو الخبيث والشاطر ،
وهو من الدعارة أي الخبث والفسق ، والدُّعَار هم الشطار .
١١ - وورد في « ص ٨٨ » قول ابن منير الطرابلسي :

وكم له في كبدي لسعةٌ برودها الدرياق من فيه
يرفع « لسعة » والصواب نصبها ، قال أبو البقاء الحسيني في كلياته - ص ٢٩٩ - :
« وإذا فُصل بين كم الخبرية ومميزها نصب مميزها نحو : كم في الدار رجلاً » .
والشاعر قد فصل بين كم ومميزها . وقد كثر الدكتور الفاضل هذا الضبط في
« ص ٥٣٠ » في قول الشاعر « هذا وكم للدهر عندي نكبة » والصواب
« نكبة » .

١٢ - وجاء في « ص ٩٤ » قول ابن منير الطرابلسي ثراً : « بيد أن
يجري القدر باذهاب الجفا ، وتقذيف ما في العين من قذى » .
ولا وجه لقوله « تقذيف » عندي وإنما هو « التقذية » يقال « قَذَى العين
تقذية أي أخرج منها القذى » كما في الصحاح ومختار وغيرهما ، فهو من
الأفعال الرباعية الثلاثية الأصل ، التي ضَعُفَتْ عنها السَّلْب ، مثل
سَمَرَضَه تمرِضاً وعَلَّله تعليلاً وقَرَّده تقريداً .

١٣ - وورد في « ص ١٠٣ » قول العمد الاصماني : « وقد أثبت منها
ما عُدْتُ عليه خنصر الاختيار ، وثبتتُ إليه عنان الانتقاد » . وأسلوب العمد
المستجوع يستوجب « الانتقاد » بالراء دون « الانتقاد » بالdal ، وإن كان مقاربا

له في المعنى ، والانتقار يشاكل الاختيار ، قال الفيومي في « جفل » من المصباح المنير : « وَالْجَفَلُ عَلَى قَوْلِي » (يفتح الكل من ذلك) وهي أن تدعو الناس الى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص ، قال طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجفلي لا ترى الآدب فينا ينتقر
يقال : دعا فلان الجفلي لا التقرى ، والتقرى : الدعوة الخاصة ببعض الناس . فالانتقار الوارد في قول العماد الاصبهاني هو مصدر الفعل « ينتقر » الوارد في بيت طرفة آنفا .

١٤ - وجاء في « ص ١٠٩ » قول القيسراني :

فلا تحفلن بصول الذئاب وقد زار الأسد الباسل

يفتح الفاء من « تحفلن » والصواب كسرهما ، قال الرازي في مختار الصحاح : « حَفَلَ القوم من باب خَرَبَ » ، وقال الفيومي في المصباح : « حَفَلَ القوم في المجلس حَفْلاً من باب ضرب : اجتمعوا » . ذكرنا ذلك للبرهنة على كسر الفاء من مضارع « حَفَلَ » لأن معنى « لا تحفلن بكذا » : لا تهتم به ولا تباليه .

١٥ - وجاء في « ص ١١٠ » قوله :

أرى القس يأمل فوت الرماح ولا بد أن يضرب السابل

وأرى صواب القس « القمّس » أو « القمّص » كما جاء في « ص ١٥٨ » وهو قوله :

كما أهدت الأقدار للقمص أمره وأسمد قرون من حواه لك الأسر

قال الدكتور المحقق في الحاشية : ولعله يريد القمص صاحب طرابلس وكان ممن أمره نور الدين ، انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٩ هـ . قلت : هذا هو الصواب الذي بعثنا على المشاكلة بين اللقبين وتخطئة الرمم الأول .

١٦ - وجاء في « ص ١٢٤ » قوله :

إذا جاذبهن البوادي منزبة من الحسن شبّهن البراقع بالنقب

م (٩)

بفتح النون وتسكين القاف من «النقب» ، والصواب ضمّ النون وهو جمع «النقاب» بكسر النون . وهو القناع يجعله المرأة على مارن أنفها وتستبر به وجهها ، فالبراقع للبدويّات «والنقُب» للحضريّات ، وتسكين القاف من «النقُب» جمع النقاب جائز في النثر فضلاً عن الشعر .

١٧ - وجاء في «ص ١٣٧» قول القيسراني أيضاً :

بما يعطيك من يَمَرٍ ومن صَافٍ مَنْ دَلَّ ذلك يا هذا على تَلَفِّي ؟
ولا نرى لاسم الإشارة «ذلك» موضعاً ها هنا ، والصواب «مَنْ دَلَّ ذلك» وهو من قولهم «دَلَّت المرأة دَلاً ودَلاًلاً تَعَجَّت» . وكان القيسراني مغرماً بالجناس ، ولا يخفى ما بين الفعل «دل» و «الدل» المصدر من التجانس اللفظي .

١٨ - وورد في «ص ١٤٤» قوله :

ذاك على سَفَكٍ دمي مُحِبِّبٍ أنا القَتِيلُ مُغْرَمٌ بِنَ قَتَلٍ
يرفع «مُغْرَمٌ» ، والوجه نصبه لأنه حال من «القتيل» ، يعني أن حبيبه قتله وهو مغرم بذلك الحبيب . فان كانت النسخة الأصل قد جاءت بهذا الرفع فهذا خطأ قديم .

١٩ - وجاء في «ص ٢٠١» قول العماد في ترجمة عرقلة السكبي : «وله من قطعة كتبها الى ابن السديد وقد سافر الى بغداد يطلب منه شِقة» بضم الشين وكسرهما من «شِقة» ، والصحيح كسرهما لأنها في الأصل مصدر ثلاثي للهياة مثل «القطعة من كل شيء» والرزمة من الثياب والخِرقة من خرق الثوب ، والصبغة من الصبغ والطبيلة من الطول . والشقة هي قطعة من النسيج طويلة ، أحسبها تسحق اليوم ببغداد «طاقة» .

٢٠ - وجاء في «ص ٢١٧» قول عرقلة المقدم ذكره «ومن الشقيق جهنمٌ لا تَحْرُقُ» بكسر الراء من «تحرق» ، وورد في «ص ٣١١» قول المذهب الدهشقي «تُرْدِي شياطين الرجوم وتَحْرُقُ» بضم الراء ، والصواب الثاني

دون الأول لأنه بمعنى «يُحرق» الرباعي ، ولا يجوز كسر الراء إلا إذا كان «حَرَقَ» بمعنى «حَكَّ» كحَرَقَ نَابَهُ عَلَى فُلَانٍ : كناية عن شدة غيظه ولا محلَّ له في البيت المذكور .

٢١ - وجاء في «ص ٢٣١» قول نصر الهبتي من هيت حوران «نطوى وتُنشر والأُدناسُ تَشْمَلُهَا» بضم الميم وكسرها كأنه من «شَمَلُ العَنَزِ بِشَمَلِهَا» أي غطى ضرعها بشيء يشبه الخلالة ، ولا وجه له هاهنا بعد قوله «وتُنشر» ، فالصواب «تَشْمَلُهَا» بضم الميم وفتحها من «شَمَلَهُمُ الْأُمَرَاءُ» كفتح ونَصَرَ أَي عَمَّهُمْ» كما جاء في قاموس الفيروزآبادي وغيره من معاجم اللغة .
٢٢ - وورد في «ص ٢٤٥» قولُ وَحَيْشُ الْأَسَدِيِّ «قَوْمُوا انظُرُوا حَسَنَهُ أَكْبَرُ» فقال الدكتور المحقق في الحاشية : «كذا في الأصلين ولعلها : فَحَسَنُهُ ، لِبَسْتَقِيمِ الْوِزْنِ» . قلت : ولا يسلم البيت مع ذلك من الزحاف ، والذي أراه أن ضميراً أسقطه الناسخ من الشطر وأن الأصل «قَوْمُوا انظُرُوا حَسَنَهُ أَكْبَرُ» .

٢٣ - وجاء في «ص ٢٥٢» قول فتية الشاغوري «ولا غروَ إنْ جادتْ جَفُونِي بِأَمَائِهَا» بكسر همزة «إنْ» . والغَرَوُ : العجبُ فينبغي أن يأتي معه متعجبٌ منه مجرورٌ بـ «وَقَدْ تُحَذِّفُ لِلتَّخْفِيفِ وَالتَّلَطُّيْفِ» فالصواب «ولا غروَ أنْ جادتْ . . .» بفتح همزة «انْ» لأنَّ «أنْ» والفعل الذي يليها جاء في تأويل مصدر مجرور في الأصل بـ «مِنْ» ثم حذفت «مِنْ» للتخفيف ، والتقدير «فلا غروَ مِنْ أنْ جادتْ» .

٢٤ - وجاء في «ص ٢٦٧» قول المشتعي الدمشقي :

يَا أَهْلَ تَنْبَيسٍ وَتُونَةَ قَايَسُوا كَمْ بَيْنَ طَرْزِ كُمُ وَطَرْزِ الْبَارِي
وقال الناشر المحقق في الحاشية «في نسخة ح : طَرْزُكُمْ» . وأرى أن يضاف إلى قوله جملة «وهو الصواب» ، لأنه أراد جمع «طرارز الثوب» وهو عَلَمُهُ ،

ويجوز على بُعد إرادته المواضع التي تنسج فيها ثياب 'نونة' وتنس على سبيل
المجاز لأنها مصدر ذلك النسج ، وضبط الناشر «الطرز» بفتح الطاء دون
كسرها ترجيح بلا مرجح ، وأحسب الفيومي صاحب المصباح التزم وحده الفتح .
٢٥ - وجاء في «ص ٣٢٣» قول ابن الزغلانية :

قَنْ بُنَاوُكْ فِي هَذَا الْأَنَامِ وَفِي عَيْنِكَ الْمَاضِيَاتِ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ

يجزم «بناؤك» بغير جازم ، وذلك ضرورة شعرية لا داعي لها ، فالشاعر ، فيما
أرى ، سهّل همزة «بناوى» فصار «بناوي» فالأصل «قَنْ بُنَاوِيكَ . . .»
ولا ضرورة معه .

٢٦ - وجاء في «ص ٣٤٦» قول المهذب الدمشقي : «بناغي الفسائم بنغمة
مزماره ، ورنه أوتاره» ودساتين حناجر كالخناجر ، وألحان أعذب من نقرات
المزاهر» . فقال الناشر الفاضل : «الدستان في اصطلاح أصحاب الموسيقى : الوتر من
العود أو ما يقابله في سائر الآلات» . ولم يحل في نقل هذا الشرح على كتاب
لفقه حتى يسلم من تبعة النقل والعمدة ، وأراه قد نقله من «المنجد» للناقل
الأب لويس معلوف البسوعي . وهو خطأ لا شك فيه ، والصحيح أن «الدساتين
هي ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمه وهي كلمة فارسية» . وقيل إن عربيها
«العَتَب» ^(١) . وفي القاموس : «العَتَب . . . والعِيدان المعروضة على وجه
العود منها تمتد الأوتار الى طرف العود» . وكلام المهذب بعينه ينبغي أن
تكون «الدساتين» أوتاراً ، ألا تراه يقول «ورنه أوتاره ودساتين حناجر
كالخناجر» عطف الدساتين على الأوتار وشبهها بالخناجر ، والأوتار لا تشبه الخناجر .
٢٧ - وجاء في «ص ٣٦٢» قول الأمير يفرح بن عيسى : «وَتَقَاصَى

(١) راجع الأغاني «٥ : ٢٨١» طبعة دار الكتب المصرية وفيه «ويده تصمد
وتتهدر على الدساتين» .

أكثر النهار ، ولاح علينا دلائل الفرار » فقال الدكتور المحقق في التعليق على الفرار : « كذا في الأصل ولعلها : الفرار : القليل من النوم » . وأرى أنه « الفرار »^(١) وهو ضد الحركة والانتزاع ، ومقتضى الحال لا يتحمل القليل من النوم ، كما دل عليه سياق الخبر ، وقد يكون غير « الفرار » الذي ذكرناه ، إلا أنه لا يكون « الفرار » الذي اقترحه الناشر الفاضل .

٢٨ - وورد في « ص ٣٦٥ » قول الأمير المقدم ذكره : « ومن حصاص كحصن ، أو يرق في مزن ، ومن سجر ذات سجر . . . » . فقال الناشر في الحاشية « الحجر : الأثني من الخيل » وفتح الحاء أيضاً ، والصواب كسر الحاء أي « الحجر » ، قال الفيومي في المصباح : « والحجر بالكسر أيضاً : الفرس الأثني وجمعه مجور وأحجار ، وقيل الأحجار جمع الإثنا من الخيل ولا واحد لها من لفظها . وهذا ضعيف لثبوت المفرد » . وجاء في القاموس بعد ذكره « الحجر » : « وبالكسر : العقل . . . والأثني من الخيل وبالحاء لحن جمعه مجور ومجورة وأحجار » .

٢٩ - وورد في « ص ٣٦٨ » قوله « والحجل قد فارق تبجته » وضيع مدخله ومخرجه » والصواب « تبجته » كما ورد في « ص ٣٨١ » وهو في قوله « وعائين الدراج مدرجا » ورأى تبجاً ، وعزم على النزول به » قال الناشر الفاضل : « وفي أرجوزة أبي فراس الحمداني :

إن لزها الباز أصابت تبجاً أو سقطت لم تلق إلا مدرجا »
نقل ذلك لشرح كلمة « التبج » وهو الصواب ، فيجب أن تضبط الكلمة الأولى كالثانية .

(١) ويؤيد هذا الرأي قوله بعد ذلك « فحيث قررنا الفرار واطمأنت بنا الدار » ، ففي الأول لاحت دلائل الفرار » ثم حق الفرار .

٣٠ - وجاء في «ص ٤١٣» قول سَعَادَة ^(١) الأعمى :

وحولهم عُزْلٌ لو أنهم قَصَدُوا أُنْصَحِيَ الفَنَاءَ وهو في لَبَّائِهِمْ قَصَدٌ
وجاء في «ص ٤٢١» قوله أيضاً :

وبنثني ولها في كَفْتِهِ قَصَدٌ يثني عليه ثناءً غير مُنفصل
يفتح القاف من «قصد» في البتين ، وهو خطأ والصواب كسر القاف اسم جمع
«القَصْدَة» وهي كِسْرَة الرمح المكسَّر ، قال الفيروزآبادي في القاموس
«والقَصْدَة بالكسر : القطعة مما يُكسَّرُ جمعه (قَصَد) كَعَيْنَبَ ورمح
قَصِدٍ وقَصِيدٍ وأقصاد متكسَّر ^(٢)» .

٣١ - وجاء في «ص ٤١٩» قول سَعَادَة أيضاً :

ملوك جُور الأَرِيحِيَّاتِ مَذْنُوشَا مُهَوِّدُهُ والمكْرَمَاتِ لَهْمُ قِطْ
بكسر القاف من «قِط» والصواب ضمها لأنه جمع «قِطاط» وهو خرقة عريضة
تلف على الطفل إذا كان في المهد ، وسَكُنَّتْ مِم «القِطَط» جوازاً من
أجل وزن الشعر ، ولا وجه للقِطَط الذي تُشد به قوائم الشاة للذبح كما هو
ظاهر للناظر .

٣٢ - وورد في «ص ٤٥٤» قول ابن قسيم الحموي :

فَأَنَارَ ذَلِكَ مِنْ زَنَادِقَةٍ حَسَدًا فَسَمَّوْا حُبَّهُمْ رِفْضًا
بكسر الراء من «رفضاً» والصواب فتحها ، لأنه مصدر «رفض» الثلاثي ولم
يسمع فيه وجه كسر الراء ، وقد أطلق اصطلاحاً على طائفة معلومة وهم «الرافضة» .

(يتبع)

مصطفى جواد

~~~~~

- (١) ترجمه الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات كما أشار اليه الشارح الناشر ، ولم يشر  
إلى أنه ترجمه باسم «سعيد بن عبد الله الحمصي» في كتابه نكت الهميان في  
نكت الهميان «ص ١٥٧» ، ونقل من الخريدة أيضاً .  
(٢) كذا ورد قول الفيروزآبادي والصواب «مكسَّر» لأن التكسّر ما يتكسر بنفسه .

مقدمة ابن خلدون (\*)

- ٢ -

ونترك الآن الكلام على ما سُبِّه علينا من الكلمات والتعبيرات في هذه ( المقدمة ) على أن نعود إليها بعد أن نشير إلى بعض ما جاء من الأعلام مهملًا بلا ضبط ، ومضبوطًا على غير وجهه الصحيح . جمعناها الى بعضها ، وذكرنا صفحاتها في الطبعة القديمة ، وفي الطبعة الحديثة ، تسهيلًا للمراجعة :

| المشهور                          | الطبعة الحديثة     | الطبعة القديمة    |
|----------------------------------|--------------------|-------------------|
| بفتح وضم وسكون الواو             | مَيُورِقَة ٧٥ :    | مَيُورِقَة ٤٦ :   |
| والراء (فيلقي فيها ساكنان)       | مايِرِقَة ١٠٩ :    | مايِرِقَة ٦٥ :    |
| بفتح فضم فسكون ...               | مَنُورِقَة ١٠٩ :   | مَنُورِقَة ٦٥ :   |
| بفتح .                           | مَرْدَنِيَّة ١١٢ : | مَرْدَنِيَّة ٦٥ : |
| على ما في الطبعة القديمة         | هَرَقْلَة ١١٢ :    | هَرَقْلَة ٦٥ :    |
| بضم                              | جُدَّة ٧٦ :        | جُدَّة ٤٧ :       |
| على ما في الصفحة ٦٦ من القديمة . | سُفَالَة ٧٦ :      | سُفَالَة ٤٦ :     |
|                                  |                    | سُفَالَة ٥٧ :     |
| بفتحه بعدها ساكن .               | مَدِين ٧٦ :        | مَدِين ٥٧ :       |

- (\*) انظر القسم الأول : ( مج ٣٢ ، ج ٤ ، ص ٦٧٢ - ٦٨٠ ) .
- (١) مَنُورِقَة ومَيُورِقَة : أولاهما بالنون والأخرى بالياء : جزيرتان شرقي الأندلس .
- (٢) مَرْدَنِيَّة : جزيرة في بحر المغرب . وقال بعضهم : انها مدينة في صقلية .
- (٣) مدينة ببلاد الروم .
- (٤) جُدَّة : فرضة مكة .
- (٥) آخر مدينة تعرف بأرض الزنج .
- (٦) مدينة بين المدينة والشام .

| المشهور                                                  | الطبعة الحديثة | الطبعة القديمة |
|----------------------------------------------------------|----------------|----------------|
| الشجر <sup>(١)</sup> على ما في القديمة                   | ٧٧ :           | الشجر ٥٧ :     |
| ظفار <sup>(٢)</sup> بفتح وفاء مخففة                      | ٩٥ :           | ظفَّار ٥٧ :    |
| ودَّان <sup>(٣)</sup> بالذال المهملة المشددة             | ٩٦ :           | ودَّان ٥٨ :    |
| السَّراة <sup>(٤)</sup> بالفتح                           | ١٠٣ :          | السَّراة ٦٢ :  |
| لَمْطَة <sup>(٥)</sup> بفتح فسكون                        | ٩٦ :           | لَمْطَة ٥٧ :   |
| الضَّمان <sup>(٦)</sup> بكسر أوله                        | ١٠٤ :          | الضَّمان ٦٢ :  |
| القَفْص <sup>(٧)</sup> بضم فسكون                         | ١٠٥ :          | القَفْص ٦٣ :   |
| كُرمَان <sup>(٨)</sup> بفتح فسكون، وربما كسرت كافه       | ١٠٥ :          | كُرمَان ٦٣ :   |
| الخُتَل <sup>(٩)</sup> بضم أوله بعدها ثاء مشددة مفتوحة   | ١٠٧ :          | الخُتَل ٦٣ :   |
| التَّبَت <sup>(١٠)</sup> بضم أوله بعدها باء مشددة مفتوحة | ١٠٧ :          | التَّبَت ٦٤ :  |
| البُتْر <sup>(١١)</sup> بضم أوله بعدها ثاء مشددة مفتوحة  | ١٠٧ :          | البُتْر ٦٤ :   |

(١) صُقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن .

(٢) ظفار بمنزلة قَطَام وحَذَار : مدينة باليمن .

(٣) ودَّان هذه : مدينة بإفريقية افتتحها عقبة بن عامر سنة ٤٦ .

(٤) السَّراة : جبل مشرف على عرفة .

(٥) لَمْطَة : أرض بأقصى المغرب سميت باسم قبيلة من البربر .

(٦) لم أجِد الضَّمان الواردة في الطبعة الجديدة ، وأما الضمان في الطبعة القديمة : فوضع من

نواحي الشام بظاهر البلقاء . وما أحسب ابن خلدون أراد ، وهو يقول : . . . والاحساء ،

وفي غربها اخطب والضَّمان ( على ما في الطبعة القديمة ) والضَّمان ( على ما في الطبعة

الجديدة ) والأقرب أن يكون الضَّمان وهو موضع بين نجد واليامة ولا سيما أن ابن خلدون

يتابع كلامه هنا فيقول : وبقي أرض اليامة .

(٧) القَفْص : وردت في مادة ( بلوس ) من معجم البلدان ، مضبوطة بالحركات لا بالحروف :

بضم القاف ومكون الفاء والقَفْص : جبل كالأكراد وجبال القفص تعرف بهم .

(٨) ولاية من بلاد فارس .

(٩) كورة مما وراء النهر على تخوم السند .

(١٠) بلد بأرض الترك .

(١١) حصن ببلاد فرغانة .

| المشهور                                          | الطبعة الحديثة    | الطبعة القديمة   |
|--------------------------------------------------|-------------------|------------------|
| الصُّغْد <sup>(١)</sup> بالضم                    | الصُّغْد : ١٠٧    | الصُّغْد : ٦٤    |
| امروشنه <sup>(٢)</sup> بنون مخففة                | امروشنه : ١٠٧     | امروشنه : ٦٤     |
| فرغانة <sup>(٣)</sup> بالفتح                     | فرغانة : ١٠٧      | فرغانة : ٦٤      |
| مالقة <sup>(٤)</sup> بلام مفتوحة و قاف مخففة     | مالقة : ١١٠       | مالقة : ٦٦       |
| المُنْكَب <sup>(٤)</sup> بضم اوله وكاف مشددة     | المُنْكَب : ١١٠   | المُنْكَب : ٦٦   |
| المَرِيَّة <sup>(٤)</sup> بفتح وراء مشددة مكسورة | المَرِيَّة : ١١٠  | المَرِيَّة : ٦٦  |
| إشيلية <sup>(٤)</sup> بكسر أوله وياء مخففة       | إشيلية : ١١٠      | إشيلية : ٦٦      |
| غَرْنَاطَة <sup>(٤)</sup> بالفتح                 | غَرْنَاطَة : ١١٠  | غَرْنَاطَة : ٦٦  |
| وادي آش <sup>(٤)</sup>                           | وادي آش : ١١٠     | وادي آش : ٦٦     |
| سَرْقُسْطَة <sup>(٥)</sup> بفتح اوله وضم ثالثة   | سَرْقُسْطَة : ١١١ | سَرْقُسْطَة : ٦٦ |
| جَبَلَة <sup>(٦)</sup> بالتحريك                  | جَبَلَة : ١١٣     | جَبَلَة : ٦٨     |
| مِصْيَاب <sup>(٧)</sup> آخره فاء أو باء مصيـاب   | مِصْيَاب : ١١٣    | مِصْيَاب : ٦٨    |
| عين زُرْبَة <sup>(٨)</sup> بفتح أوله             | عين زُرْبَة : ١١٣ | عين زُرْبَة : ٦٨ |
| المِصْيَصَة <sup>(٩)</sup> بتشديد الأولى         | المِصْيَصَة : ١١٤ | المِصْيَصَة : ٦٨ |

(١) الصُّغْد وقد تكتب بالسين . وهما صُغْدَان : صُغْد سمرقند ، وصُغْد بخارى .

(٢) امروشنه أو اشروشنه كلاهما بالنون المخففة : بلدة كبيرة بما وراء النهر .

(٣) مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تركستان .

(٤) من مدن الأندلس .

(٥) مدينة بجزيرة صقلية .

(٦) مدينة بساحل الشام .

(٧) مدينة من أعمال اللاذقية بالساحل الشامي . وكانت حصناً للإسماعيلية .

(٨) عين زُرْبَة أو زَرَبِي : نهر قرب المصيصة .

(٩) المِصْيَصَة : وفي رواية مرجوحة بتخفيف الصادين : مدينة على شاطئ جيهان من ثغور

الشام بين الطائفة وبلاد الروم .

| المشهور                                                              | الطبعة الحديثة   | الطبعة القديمة    |
|----------------------------------------------------------------------|------------------|-------------------|
| حَرَآن <sup>(١)</sup> بالفتح وتشديد الراء                            | حَرَآن : ١١٤     | حَرَآن : ٦٨       |
| اللَّكَّام <sup>(٢)</sup> بالضم وتشديد الكاف                         | اللَّكَّام : ١١٤ | اللَّكَّام : ٦٨   |
| سَمِيسَاط <sup>(٣)</sup> بضم أوله                                    | سَمِيسَاط : ١١٤  | سَمِيسَاط : ٦٨    |
| هَيْت <sup>(٤)</sup> بالكسر                                          | هَيْت : ١١٥      | هَيْت : ٦٩        |
| صَيَمَرَة <sup>(٥)</sup> بفتح أوله وباء ساكنة ثم ميم مفتوحة          | صَيَمَرَة : ١١٦  | صَيَمَرَة : ٦٩    |
| خَوَنْجَان <sup>(٦)</sup> بالضم وفتح النون                           | خَوَنْجَان : ١١٦ | خَوَنْجَان : ٦٩   |
| بُنْدُكَان <sup>(٧)</sup> بضم أوله وثالثه                            | البُدْقَان : ١١٦ | البَيْدَقَان : ٧٠ |
| طَبَرِستان <sup>(٨)</sup> بكسر الراء                                 | طَبَرِستان : ١١٧ | طَبَرِستان : ٧٠   |
| مِهْرَجَان <sup>(٩)</sup> بكسر أوله وثالثه . وبكسر أوله وفتح ثالثه . | مِهْرَجَان : ١١٨ | مِهْرَجَان : ٧٠   |
| خَوَارِزْم <sup>(١٠)</sup> بكسر الراء                                | خَوَارِزْم : ١١٨ | خَوَارِزْم : ٧١   |
| حَجَنْدَه <sup>(١١)</sup> بضم أوله وفتح ثانيه                        | حَجَنْدَه : ١١٨  | حَجَنْدَه : ٧١    |
| هَرَمِز <sup>(١٢)</sup> بضم أوله وثالثه                              | هَرَمِز : ١٠٥    | هَرَمِز : ٦٣      |

\* \* \*

(١) قصبة ديار مفر بين الزها والرفعة .

(٢) اللَّكَّام : الجبل المشرف على انطاكية . وهو مخفف اللكاف في شعر المتنبي :

بها الجبلان من صخر وفخر أناذا ذا المنيث وذا اللكَّام

(٣) مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم .

(٤) بلدة على الفرات من نواحي بغداد .

(٥) موضع بالبصرة على فم نهر مَعْقَل .

(٦) قرية باصهبان .

(٧) من قرى مرو .

(٨) من بلاد فارس .

(٩) مِهْرَجَان : بكسر أوله وثالثه : كورة . وبكسر أوله وفتح ثالثه قرية في بلاد فارس .

(١٠) مواضع مشهورة .

وقعت الطبعة الجديدة في خطأين :

- ١ - أهملت ضبط أعلام كان من الواجب ضبطها .
  - ٢ - سايرت الطبعة القديمة مسaire مطلقاً في ضبط الأعلام الأخرى .
- فأخطأت الجديدة في ما أخطأت فيه القديمة . وضبط هذه الأعلام ضبطاً تاماً صحيحاً ، كان ممكناً ، وإن كان متعباً ، وذلك بالرجوع الى دواوين اللغة ، ومعاجم الأعلام ، وكتب السير . وهو ما نرجو أن يكون في طبعة مقبلة إن شاء الله .
- عزرة النص
- حارث النكري

### ثلاثة أزهار في معرفة البحار

لأحمد بن ماجد ، الملاح العربي

توافرت الأبحاث الحديثة عن الربان العربي شهاب الدين أحمد بن ماجد ، فزاحت الستر عن آثاره المغمورة ، وأظهرت ماله من فضل على حركة الاستكشاف في القرن الخامس عشر . وقد سبق لمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق أن عرّفت بابن ماجد ، ونوّعت برسائله العديدة في الملاحة ، ولا سيما « كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد » . وكان المستشرق الفرنسي فرّان ( G. Ferrand ) قد نشر الكثير عن « أسد البحر المأنج » ، وأوضح ارتفاع البرتغاليين به في رحلاتهم ، وعرض للمصطلحات الملاحية العربية ، ورجع بها الى أصولها . وأخرج الأستاذ محمد ياسين الحوي عام ١٩٤٧ بدمشق دراسة مستوفاة احتوت جملة ما بلغه الاستقصاء عن هذا النوتي العظيم .

وتتوثق معرفتنا بابن ماجد بهذا الكتاب الجديد الذي نشره في مطلع عام ١٩٥٧ معهد الاستشراق في المجمع العلمي للاتحاد السوفياتي . وعنوان الكتاب المثبت على الغلاف هو : « ثلاثة أزهار في معرفة البحار » . أما العنوان المطبوع على الصفحة الأولى فهو :

## « ثلاث راهنانجات المجهولة »

وقد جاء تحت هذا العنوان :

لأحمد بن ماجد ربان رحلة فاسكو دي جاما

وهي مأخوذة عن النسخة العربية الفريدة

التي توجد في مكتبة معهد الاسكسراق

عني بنشرها وتحقيقها وترجمتها

الى اللغة الروسية ووضع الفهارس

نيودور شوموفسكي

ويبدو لي أن العنوان الثاني من وضع الأستاذ الناشر . ولعل الصواب فيه :

## « ثلاثة راهنانجات مجهولة »

وفي القاموس المحيط : الراهنانج كتاب الطربق ، وهو الكتاب يسلك به

الربانة البحر ، ويهتدون به في معرفة المرامي وغيرها . وهو يقابل كلمة

( Itinéraire ) بالفرنسية .

والقسم الأول من الكتاب يتضمن تصويراً فوطوغرافياً لهذه الراهنانجات ،

وهي ثلاث رسائل مخطوطة منظومة شعراً . وأحسب أن القارئ العربي يود

لو كانت هذه الرسائل قد نُشرت بالحرف الطباعي ، مع الاجتهاد باتمام نقصها ،

واصلاح خطأ النساخين فيها ، وتذيلها بهوامش موضحة تلقي الضوء على ما فيها

من مصطلحات بحرية وفلكية ، ونضبط أسماء الأماكن وتحدد مواقعها ،

وتشير الى ما يقابلها في هذا العصر .

وقد ألحق الأستاذ المحقق بهذا القسم مصوراً ملوناً لمراحل الرحلات التي

تضمنتها الرسائل ، كتب عليها : « صورة بحر الهند ولها البنادر التي ندخها

أحمد بن ماجد » . وفي القاموس ندخ : صدم ، يقول راكب البحر : ندخنا

ساحل كذا ، وأندخنا المركب الساحل ..



ويطوب لي أن أطري الجهد الفذ الذي اضطلع به الأستاذ الناشر في عمل هذا المصوّر ، ووضع الأسماء عليه في مواضعها المحققة أو الموهومة ، معتمداً في ذلك على بعض الباحثين أحياناً ، وعلى التخرّي الذاتي أحياناً أخرى . ويزيد من فضله أن المعاجم الجغرافية المتوفرة لا تذكر إلا القليل من هذه الأسماء . ومعجم البلدان يافوت يرجع الى أوائل القرن الثالث عشر ، ولا نجد فيه سوى التزّر من الأماكن الواردة في رسائل ابن ماجد .

ونجّيل إليّ أن الكسب العلمي من هذا المصوّر يزودج لو أن واضعه الفاضل أرفق بكل اسم قديم مقابله في عرف الجغرافيين المحدثين ، إذن لكنّا عرفنا مثلاً أن جزيرة الغور هي فورموزة ، وأن الغالات ليست سوى جزر لاكديف ، ودييجات هي جزر مالديف ( وكان ابن بطوطة يسميها جزائر ذيبة المهمل ) ، وأن جزيرة القمر هي مدغسكر<sup>(١)</sup> .

وليغفر لي الأستاذ الناشر أن أخالفه في تحقيق بعض المواقع ، كما أثبتتها على المصوّر ، اجتهاداً منه أو اقتباساً . فقد جاء بين يدي رسالة ابن ماجد الأولى ذكر ساحل الهند الغربي ، وما عليه من الكوّر والفرض ، بدءاً من جنوبه حتى شماله ؛ وقد عدّ عليه من الأسماء بالترتيب : مليبار (مالابار) وكبلن ، وجوزرات والسند ؛ ورسمت كبلن مهملّة الباء ، فأثبتها الناشر كتبّلتن ووضعها في جزيرة جاوة ، على آلاف الكيلومترات من الهند . والذي بترأى لي أنها كتبّلتن ، ورسمها بالفرنسية Kalyan ، وهي الى اليوم قائمة شمال ساحل الملابار قرب بومباي . وغير بعيد عنها في الشمال تقع كورة الكُجّرات (Gujarat) ، ولا مجال للشك في أنها هي الجوزرات ، وتليها بلاد السند .

(١) يذكر يافوت في معجمه ( المجلد السابع ، ص ١٥٩ ) أن القمر جزيرة في وسط بحر الزنج ليس في ذلك البحر جزيرة أكبر منها . ولا يزال اسم القمر يطلق على مجموعة جزر صغيرة قائمة في شمال مدغسكر ( Comores ) .

ويبدو لي أيضاً أن مرافاً سَحْرَضَ وجزر الفُصَيْلِيَّات في البحر الأحمر قد رُفِعت على المصور الى أواسط الحجاز ، وهي من ساحل اليمن الشمالي أو العسير . فالفصيليات تقع إزاء مرافاً شُقِيق ، وتعرف الآن بالوَصَلِيَّات . وأما حمضة فيذكرها ياقوت في أكثر من موضع ، ويقول انها في أرض اليمن من جهة قبلتها <sup>(١)</sup> ، وقد وضعها الأستاذ الناصر محل فرضة الليث جنوبي جدة . وهي الى ذلك مشكولة في فهرس الأماكن حمضة ، وعند ياقوت بكسر الميم . وأرى من ناحية أخرى أن الالف واللام يجب إسقاطهما من كلمة القَزُم في جملة « بحر القَزَم العرب » المطبوعة على المصور فوق البحر الأحمر .

ويزدان القسم الأول من الكتاب أيضاً بدائرة الجهات الأصلية والفرعية بالنسبة الى مواقع النجوم ، استنتاجاً من رسائل ابن ماجد . وهي الجهات التي تدل عليها الابرة المغناطيسية أو الحُك <sup>(٢)</sup> . وقد ذُبل الناصر هذه الصورة بجملة لا نسلم من لبس ، فكتب : « ٣٢ خناً من الجدول أو دائرة الأرياح العربية » . والخن هنا هو الخانة أو الموقع ، ويستعملها ابن ماجد مجموعة على أختلاف ، وليس له بهذا المعنى أصل في العربية . والأرياح هي كالرياح جمع للريح . والقصد منها هنا مهاجتها بالنسبة الى منازل النجوم والقمر . واصطلاح « دائرة الرياح » أو « وردة الرياح » مألوف عند المحدثين بمعنى دائرة الجهات ( Rose des vents ) ، وتنقسم الى ٣٢ قسمًا .

والقسم الثاني من الكتاب يشتمل على ترجمة رسائل ابن ماجد الى الروسية ، وعلى عرض لتصانيفه ؛ وينتهي بفهارس للمصطلحات الملاحية والاسماء الجغرافية والفلكية الواردة في الرسائل ، وجدول بالقوافي والأوزان الشعرية ، وثبت بالمصادر التي رجع اليها الناصر واعتمد عليها . وغنوة هذا القسم مقصورة على من يعرفون اللغة الروسية . وليس يوسعنا أن نعلق عليه بشيء .

(١) المجلد ٣ ، ص ٣٤٢ ، المجلد ١٠ ، ص ٥٢٣ .

(٢) في القاموس المحيط الحُك : إبرة الملاحين .

أما الرسائل المصوّرة فلا يعسر على القاري الجزم بأنها متفاوتة الخطوط ،  
ومجانفة في أكثر أبياتها لأبسط قواعد اللغة وموازين العروض . وصيتحقق  
القاري بنفسه أن الخطأ فيها لا يقع وزره على الفسّاحين - في الغالب - ،  
بل على صاحب الرسائل . وهي - إن صحّت نسبتها إليه - لا تشهد بأنه « شاعر  
القبيلتين » كما كان يجب أن يلقب نفسه . .

ولا ندري ما قصد إليه المؤلف في نعته نفسه برابع الثلاث و رابع الليوث  
في المقدمات التي استهلّ بها رسائله . ولعله أراد من سبقه من البحارة المغامرين ،  
أو أنه عني أجداده ، وكلهم ملاح بارع .  
وامم الرسالة الأولى « الأرجوزة السُفالية » نسبةً الى سُفالة ( Sofala ) ؛  
وهي الى اليوم مدينة على شفير افريقية الشرقية البرتغالية ( موزامبيق ) ، قبالة  
جزيرة مدغسكر . ويقول عنها يافوت انها آخر مدينة تُعرف بأرض الزنج  
( ج . ص ٨٨ ) .

ونستهدف هذه الأرجوزة هداية الربانة عبر المحيط الهندي ، بين ساحل  
المند وسواحل افريقية الشرقية ، وتبيان ما يقتضي ذلك من معرفة الاتجاهات  
( الأخنان ) والقياسات والمراحل ( المجاري ) والطرق ( الدير ) . وهي تشتمل  
على ٨٠٥ أبيات من بحر الرجز ، مطلعها :

الحمد لله الذي أنشأ الملا من عدم جلّ تعالى وعلا  
ويضيّق بنا المجال عن تسقط زلّات المؤلف في هذه الرسالة ، وتتبع ما خالف  
به أقيسة اللغة وأبحر النظم ، حتى ليتردى أحياناً كثيرة الى مستوى الشعر  
العامي الفج ، بالاضافة الى مامسخته الناصخون وما استعمله الناظم نفسه من  
كلمات عامية أو أجنبية .

والحدس بأن المؤلف توخّى عن قصد فائدة جمهرة الملاحين ، فكتب لهم  
بلغتهم ، وخاطبهم وفق مداركهم ، وانه لم يرد أن يُخرج للمثقفين تحفة فنية

أو أدبية ، وإن تسكين أواخر الكلام ليس إلا من دواعي هذه المحاولة في التبسيط ، أقول إن هذا الخدس يضعفه هنات أصيلة في النص . ما كان تقوؤها يحول دون الغاية المرجوة . ولعل ابن ماجد كان في الواقع خربت بحار ، لا صانع أشعار ، وإن رُويت له أبيات قليلة نسحو إلى مرتبة الشعر الجيد .

وهذه بعض الأمثلة من أوائل الأرجوزة :

|                             |                                                |
|-----------------------------|------------------------------------------------|
| الى السواحل* ونواحي القمر   | الى سفالة* استمع واحرر (ب٦)                    |
| بحراك في الجوزا معاً والثير | على قَدَرٍ ريمك في المسير (٨)                  |
| أورَحن أو طوفان أو أمطار*   | فذاك بالتدبير بالأسفار* (١٣)                   |
| واجر على السحاك ثم الكاثر*  | حتى يزيد الجاه اصبع* وافر* (٢٢)                |
| موسمه السبعين في خروجه*     | وفي الثمانين يكون ولوجه* (٢٥)                  |
| ولم بلج من صار في التسعين   | إلا أن يكون في نادر السنين (٢٦)                |
| تلقا به السهيل والظلم       | سنة* ونصف كن به عليم* (٢٩)                     |
| أربع أصابع في قياس واحد*    | وثلاث أيضاً فوقهم زوايد* (٣٢)                  |
| ورتب الجرا مع القياس        | في نسخة <sup>(١)</sup> البر فككن ذوا بامي (٣٣) |
| ربان لا ينقص ولا يزيد*      | ورد في الاكليل بالكوكيد* (٤٣)                  |
| يزيد في المرزَم في التريفا  | اصبع* إلا ربع* باحرر (٦٦)                      |
| وقس على المعقل والمربع      | فهن معلومات* معكم ومعى (٦٩)                    |
| يكون ستة* ثم الأربع اصبع*   | مثل قياس الأصل فسه واسمع (٧٩)                  |
| ان قياس النجوم الطالعة*     | والغاربات فيهم المنازعة* (٨٠)                  |
| ذكرتهم لتعرف الأفلاك !      | وسيرذي الكواكب الزواكي (٨٣)                    |

والقصيدة الثانية هي المعلقة ، وذلك نسبة الى معلقة (ملقة) ، أي شبه جزيرة مالاقا ، يستعمل ابن ماجد هذه التسمية أيضاً . وهو بعدد المراحل

(١) يستعمل ابن ماجد نَسَحَ بمعنى تَدَخَّ أي وسا .

اليها من الهند ، فيقول في مقدمتها : من بر الهند الى بر سيلان ، وناك باري  
( وقد رسمها الناشر على المصور نال باري ، والأصل أصح ، وهي تُعرف الى  
اليوم بجزر نيكوبار ) ، وشمطرة ، وبر السيام ، وملقة ، وجاوه ، وما كان  
في طريقهم من الجزر والشعبان ومناخهن وصفتهن والبلد فيهن ، وقفاصي ( مضيق  
مالاقا ) وغيرها ، وجميع ما يتعلق به المشارق والجنوب والغور والصين ، الى  
حدود الحرات الشارفة على البحر المحيط الذي لا خلفه سوى جبل قاف ( امريكا ؟ ) .  
وأبيات القصيدة ٢٧٣ ، وهي من الرجز أيضاً ، ومطلعها :

عزمت والعزم حميد في السفر لا سيما من بلدة فيها ضرر  
وهي كأنختها الأولى أشبه بزل العوام ، وتماثلها في ضعف السبك وعوج الالفة  
وتعثر النظم ، وتزبد عليها في إقحام ياخي ( يا أخي ) وياخواني ( يا إخواني )  
في عشرات المواضع . . . وحسب القارئ هذه الأمثلة :

إن كان في هذا النجوم نفساً شرقاً وأشميل لا تكون آخرها ( ١٤ )  
وان تكن ياخي بعيد عنها ( ١٨ )

وفيهم الضيق فكن بالعالم حتى تكون للطريق لازمي ( ٣١ )  
أرمي بها إن شئت أخذ الماء والماء تحت القطعة الكبرا ( ٩٩ )  
وفوقها جبلاً معروفاً له سنام وبه موصوفاً ( ١٥٠ )  
والماء يسقي داخل كن عارف عندك وإلا اطرح ولا يخالف ( ١٩٠ )

الخ . . .

وآخر الرسائل وأفسرها هي الثانية ، ونصف طريق الملاحه بين جدة وعدن  
( تحضة ، التفصيليات ، حبيان ، الحديدة ، أرض الحُصَيْب [ زبيد ] موشج ،  
بقعة ، جزيرة زُقر ، عارة ) . وتقع في ٥٥ بيتاً ، وبحرها الطويل ، ومطلعها :  
مررت نسمة الفردوس من أرض مكة بريح الصبا فاشتأفت السير حلبي  
م ( ١٠ )

وهي بالجملة أقوم لغة ، وأمنن رصفاً ، ولكنها لا تبرا من سقط ، أمثال :  
 مسافتهم زامين والريح طيب كذا سنة للزفر كن مثلت (٣٢)  
 خصوصاً إذا ما كان ليالك ظلمي (٣٥)

\*\*\*

وبعد ، محمد العروبة الأستاذ شوموئسكي توفره على بعث تراثها ونشر  
 مآثرها ، وقد بذل في إخراج هذا الكتاب أكرم الجهد .

(دمشق) الدكتور عزة النصي

•••••

رسالة الغفران<sup>(١)</sup>

لأبي العلاء المعري

تحقيق الدكتورة بنت الشاطئ

« الطبعة الثانية ، دار المعارف في القاهرة سنة ١٩٥٧ ، في ٦٢٤ صفحة »

— ٢ —

٤ — أورد أبو العلاء ص ١٦٨ قول الأعشى :

محبا زكرة وخبز رفاق وحباقا وقطعة من نوب

وقال : « يعني بالحباق جرزة البقل » . ومترحت المحقة الحباق بأنه نبات طيب  
 الرائحة<sup>(٢)</sup> ، وما قاله الشيخ أولى وأجود ، يشهد لذلك أن البيت ورد في  
 الأغاني ١١٩/٢ ( طبعة السامي ) في جملة أبيات عزاها لحنين الجبري ، وروايته :

محبا ركوة وخبز رفاق وبقولا وقطعة من نوب

(١) انظر القسم الأول : ( مج ٣٢ ، ج ٤ ، ص ٦٨٥ - ٦٨٧ ) .

(٢) الحباق وزن كتاب جمع حَبَّقَ عن ابن خالويه كما في اللسان ومستدرك التاج ،  
 والحبق أنواع كثيرة ذكرها الأمير الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية . ( لجنة المحلة )

٥ - أورد الشيخ ص ١٨٥ آياتاً من قافية عدي بن زيد ، فيها :  
لم يعبه إلا الأداحي فقد وبَّـر بعض الرئال في الأغلاق  
وضبطت المحققة ( الأداحي ) بتشديد الياء وضمتها ، والصواب - هنا - تسكينها  
ليتزن البيت .

٦ - أورد أبو العلاء ص ٢٦١ آياتاً من الرجز في وصف رحي اليد ، وهي :  
أعددت للضيف وللجيران حريتين تنعم - اوران  
لا ترأمان وهما ظئران

وقالت المحققة في كلتا الطبعتين : « . . . أما الحربة فلم نجد من معاني المادة ما يناسب المقام ، . . . ويمكن أن تكون ( حريتان ) هنا مثنى حُرْبَةٍ تصغير حراة وهي الجانب والشق والناحية ، وقد يفرض - على بعد - أنها ( رُحْبَتَان ) لا ( حريتان ) مثنى رُحْبَةٍ مصغر رحي ، صحفها الناصخ تقدم الحاء على الراء ، وهذا الاحتمال الثاني لا قوة له ، لأن المعنى إنما يقوم على ما بين حجرى الرحي من التلازم دون التراؤم » .

ثم عقت - في الطبعة الجديدة - بذكر ثلاثة آراء في ضبط الكلمة وتوجيهها ، أحدها رأيي وخلاصته أنها ( حَرِيَتَيْن ) مثنى حَرْبَةٍ ، نسبة للحرة ، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ، أي أن هذه الرحي متخذة من حجارة الحرة . والآخر للدكتور محمد يوسف ، أدلى به في كلمة عقب بها على مقالتي في مجلة الكتاب عدد تموز ( يولية ) ١٩٥١ ، وخلاصته أنها مصحفة عن ( جَرِيَتَيْن ) ، والثالث للأستاذ السيد أحمد صقر ، ذهب فيه إلى أنها مصحفة عن ( خِدْبَتَيْن ) . وما كنت قلته - سنة ١٩٥١ - اجتهاداً قد وجدته مؤخراً منصوصاً عليه ، فقد أورد ابن فتيبة الأبيات - مع خلاف في بعض اللفظ - في المعاني الكبير ص ٣٧٦ وقال : « يعني رحيين من الحرة » . وقطعت جهبزة قول كل خطيب :

٧- أورد الشيخ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ أبيتاً من قصيدة حائية متدافعة بين  
أوس بن حجر وعبيد بن الأبرص ، منها :  
كَأَنَّ رُبْعَهُ لَمَّا عَلَا شَطْبَا أَقْرَابَ أَبْلَقِ بَنِي الْخَيْلِ رَمَاحَ  
وكانت المحققة ضبطت - في الطبعة الأولى - كلمة (شُطْبَا) بضم الشين وفتح  
الطاء ، وشرحتها بأنها جمع شطبة وهي السعفة الخضراء . فصححت - في  
مقالي السابق - ضبط الكلمة ، وذكرت أنها ينبغي أن تضبط (سُطْبَا) بفتح  
الشين وكسر الطاء ، أو بالتحريك ، بالاعتماد على القاموس المحبب والآلي  
ومعجم البلدان ، وهو اسم جبل . فأصلحت المحققة - في الطبعة الجديدة -  
الشرح على ما جاء في مقالي ، على حين أبتت الكلمة في متن الكتاب مضبوطة  
كالسابق (سُطْبَا) .

٨- أورد الشيخ ص ٢٧٦ بيتاً من رائية الأفوه الأودي ، وهو :

رَبِّشْتَ جَرْمَ نَيْلَا فَرَمَى جَرْمَهَا مَنِينٌ فَوْقَ وَغَرَارِ

ثم أورد منها ص ٢٨٩ بيتاً آخر وهو :

كَشَاهِبِ الْقَذْفِ يَرْمِيكُمْ بِهِ فَارِسٌ فِي كَفِّهِ لِلْحَرْبِ نَارِ

وضبطت المحققة الردي في كلا البيتين بالسكون ، والصواب الضم ، فالبيتان  
من قصيدة مطلقة الروي (انظرها في ديوانه ص ١١ - ١٣ في مجموعة الطرائف  
الأدبية) وفيها :

يَحْلُمُ الْجَاهِلُ لِلْسَلَمِ وَلَا يَقْرَأُ الْحَلْمُ إِذَا مَا الْقَوْمُ غَارُوا

ومثل هذا البيت لا يمكن تقييده لأنه موصول بواو الغائبين .

٩- وقال ص ٣١٨ : « وكان سيبويه ينشد هذا البيت بكسر المحزة :

أَحِبَّ لِحَبِهَا السُّودَانَ حَتَّى أَحِبَّ لِحَبِهَا سُودَ الْكَلَابِ »

وضبطت المحققة (أحب) الثانية بالنصب ، وكنت اقترحت - في مقالي

السابق - ضبطها بالرفع . فدفعت المحققة هذا الوجه . وحجتي في الموضوع أن



المضارع إنما ينصب بعد حتى إذا كان مستقبلاً بالنسبة إلى ما قبلها ، وأما إذا دلّ على الحاضر - كما هو الحال في هذا البيت - فالوجه الرفع .

١٠- أورد أبو العلاء ص ٣٢١ قول علقمة بن عبدة :

يهدي بها أكلف الخدين مخبر من الجمال كذير اللعم عيشوم  
ثم قال : « فروي [ يهدي ] بالدال غير معجمة » .

وضبطت المحققة ( غير ) بالكسر ، والصواب فتحها ، فهي منصوبة على الحال ، ولا يصح - هنا - الوصف إذ لا توصف المعرفة بنكرة .

١١- أورد الشيخ ص ٣٢٣ بيتين من معلقة عمرو بن كلثوم ، وهما :

فما وجدت كوجدي أم سقب أضلته فرجعت الحنينا  
ولا شمطاء لم بترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا

وذكر أن ( شمطاء ) - في البيت الثاني - يجوز عنده نصيبها من وجهين ، ذكر أولها ثم قال بذكر الآخر : « والآخر أن يكون من ولاد المطر . . » ويقلب على الظن أن في الكلام سقطاً ، وأن الأصل « والآخر أن يكون [ ولي ] من ولاد المطر . . » ، ليستقيم وجه الكلام .

١٢- أورد ص ٣٢٤ قول الراجز :

دار لظحميا وأين ظحميا أهلكت أم هي بين الأحميا

والصواب ( دار لظحميا . . ) ليتزن البيت .

١٣- ذكر أبو العلاء ص ٣٢٩ ميمية المرقش المفضلية ( هل بالدبار أن تحيب صمم ) ثم قال : « على أن مرقشا خلط في كنهه فقال :

ماذا علينا أنت غزا ملك من آل جفنة ظالم مرغيم »

وقالت المحققة في الطبعة الأولى : « الشاهد هنا في كسر حركة ما قبل الروي ( مرغيم ) وهو في بقية القصيدة بالفتح ، وهذا عيب في القافية سماء أبو العلاء هنا خلطاً » . وأما في الطبعة الثانية فقد أشارت إلى ما قالته في الطبعة الأولى ،

ثم أشارت إلى رأيي ، وخلاصته أن ما عناء أبو العلاء بالخلط هنا إنما هو محيى البيت من البحر الكامل الأُخذ المضمر ، لأن قوله ( نة ظالم ) وزنه ( متفاعن ) على حين أن سائر الأبيات من السريع . ولم تقطع المحققة بأحد الوجهين . وقد انخرفت المحققة في التعبير عن رأيي ، فذهبت إلى التي قالت : إن وزن البيت ( مستفعان مستفعان متفاعن ) وهذا شيء لم أقله ، وهذه الصيغة التي جاءت بها ليست من الكامل الأُخذ في شيء . وكل ما ذكرته ما سقته آتفاً من أن قوله ( نة ظالم ) وزنها ( متفاعن ) . فخرج البيت بذلك إلى الكامل المضمر الأُخذ .

وهذه النقطة تحتاج إلى شيء من البسط ، فالرأي الذي أبديته ما أزال مصرأ عليه . والعيب الذي أشارت إليه المحققة هو ما يسمى في مصطلح القوافي ( سناد التوجيه ) ، ومن عادة أبي العلاء أن يسمي السناد - على مختلف أنواعه - باسمه الصريح ، كما فعل ص ٣٢٢ عندما عرض للسناد في معلة عمرو بن كلثوم ، ثم إن مرشداً قد ساند في معظم أبيات القصيدة بالضم والكسر ، فلم عني أبو العلاء بذكر هذا البيت خاصة ؟ ومن هنا يبدو أنه إنما عني ظاهرة في هذا البيت لا يشاركه فيها سائر الأبيات ، وهو ما ذكرناه .

١٤ - قال أبو العلاء ص ٣٥٥ يحكي قول ابن دريد في بيتين بنسب إلى آدم عليه السلام في ثانيهما إقواء - : « فقال أول ما قال : أقوى » .

هكذا ضبطت المحققة هذه العبارة جعلت النقطتين بعد ( قال ) الثانية ، فجعلت ( أول ما قال ) ظرفاً لـ ( قال ) الأولى ، والصواب وضعهما بعد ( قال ) الأولى ( قال : أول ما قال أقوى ) فيكون ( أول ما قال ) ظرفاً لـ ( أقوى ) وداخلاً في مقول ابن دريد . والمعنى أن آدم قد وقع في الإقواء أول ما أخذ بقول الشعر . ويشهد لما ذهب إليه أن الشريف ابن الشجري أورد القصة في أماليه ١ / ٣٨٤ ( طبعة حيدر آباد ) ، وعبارته في حكاية قول ابن دريد :

« هذا شعر قد قيل في صدر الدنيا وجاء فيه الإقواء » والقصة أيضاً أوردتها ياقوت في معجم الأدباء ١٨٦/٨ وعبارته في حكاية قول ابن دريد : « أول من أقوى في الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله » ثم أنشد البيهقي .  
١٥ - أورد أبو العلاء ص ٣٥٨ أبيات النابغة التي يذكر فيها قصة الحية « ذات الصفا » وفيها قوله :

كما لقيت ذات الصفا من خليلها      وكانت تدبى المال غبا وظاهره  
وكانت المحققة ضبطت ( غبا ) في الطبعة الأولى بكسر الغين ، وذهبت في مقالي - اعتماداً على ما ورد في الديوان ص ٦٢ ( طبعة بيروت ) - إلى أنها بضم الغين ومعناها : ما غمض من الأرض ، وهذا وهم قد وقعت فيه ، وتابعتني المحققة في طبعتها الجديدة ، والصواب أنها بكسر الغين ، والغيب أن ترعى الأبل يوماً وتزد من الغد ، والظاهرة أن ترد كل يوم نصف النهار . وقد وردت الكنان في حكاية المعري نفسه للقصة ص ٣٥٦ وشرحتها المحققة ثمّة شرحاً صحيحاً ، إلا أنها في شرح بيت النابغة تابعتني في الوهم الذي كنت انسقت إليه .  
١٦ - عرفت المحققة ص ٣٦٦ بعذافر بن أوس قالت : « لعله عذافر الفقيمي » أورد ابن قتيبة في ( أدب الكاتب ) رجواً له وقال : « وليس بجعة - وهو فقيمي » وكان بكري إبله إلى مكة » . وهذا يوهم أن العبارة السالفة كلها من كلام ابن قتيبة ، وهو لم يقل إلا « وليس بجعة » ، وأما سائر الكلام فلناشر الكتاب الأستاذ محيي الدين عبد الحميد في حاشية الكتاب . انظر ( أدب الكاتب ص ٣٩٩ ) .

١٧ - أورد أبو العلاء ص ٤٢٦ قول أبي نواس :

نديم قيل محدثه ملك

وضبطت المحققة الناء من ( محدثه ) بالضم ، والصواب الفتح ، لأن الأصل ( محدثه ملك ) وهذه الهاء مزبدة للمبالغة كما هي في علامة ونسابة وراوية لا للتأنيث ، وسكنها الشاعر للضرورة .

١٨ - أورد أبو العلاء ص ٤٢٧ بيتاً من الرجز وهو :

يا بيذره\* يا بيذره يا بيذره

وكانت المحققة في الطبعة الأولى جعلته ثراً ، وكنتُ نهيتُ إلى ذلك في مقالتي ، ولكن هذا التنبيه أسقط في جملة ما أسقط من المقال . وأزبد الآن أن البيت من أبيات في جهرة ابن دربد ٢٣/١ ، و ٢١٩ وروايته (يا بيذره) بالدال المهملة .

١٩ - قال الشيخ ص ٤٥٧ : « . . . يقنت على رهط الإيجابار ويسند إلى

عبد الجبار » .

وشرحت المحققة القنوت بما لا يفهم منه المقصود تماماً ، ومعنى العبارة - فيما نرى - أنه يقنت في صلاته ويدعو على الجبرية . وهذا ما كنت ذهبت إليه في نقدي للطبعة الأولى ، إلا أن المحققة لم ترضه ، وعاشت بقولها : « . . . صرف القنوت إلى الدعاء على فئة لا وجه يرجحه . والسباق أن الرجل مرء كاذب التدين يتعبد على طريقة رهط الإيجابار ، ويروي أو يعتقد على طريقة المعتزلة » . ويشهد لما ذهبت إليه ما أثر عن رسول الله (ﷺ) أنه كان يدعو في قنوته لأسلم وغفار ، ويدعو على عضل والقارة . وما قالته المحققة من أن أبا العلاء أراد أن يصف الرجل بأنه مرء صحيح ، ولا يتنافى ما قلت ، لأن أبا العلاء وصفه بأنه « . . . ما يزال يحتجب من المآثم عظام » . فهو يدعو على مخالفيه من الجبرية ويقول بمقالة المعتزلة ، مع عكوفه على المآثم ، وهي - في نظر المعتزلة - تجعل الإنسان لا مؤمناً ولا كافراً وإنما في منزلة بين المنزلتين .

٢٠ - قال الشيخ ص ٥٢٣ « . . . فأخذ - أي ابن القارح - عن الكتابي

سور التنزيل » .

وكانت المحققة في الطبعة الأولى ص ٤٨٩ ذهبت إلى أنها (الكتابي) مستظهرة بقول أبي العلاء : « وما عنت بالكتابي من نسب إلى تورا وإنجيل ،

دون من نسب إلى القرآن المجيد » . وذكرت أن نيكلسون قرأها ( الكتاني )  
 - بالنون - ولكنه أخطأ معرفة المعنى بذلك ، وقالت المحققة : « وإذا صحت  
 قراءة نيكلسون تعين أن يكون الكتاني هنا أبا حفص الكتاني أحد شيوخ  
 ابن القارح . . . ولكن يبقى بعد هذا سؤال هو : لم عني أبو العلاء بذكر  
 الكتاني دون بقية الشيوخ الذين ذكرهم ابن القارح وهم جميعاً من الأعلام ؟ »  
 وكنت علقت - في مقالي السابق - على هذا الكلام بقولي : « ما قرأه نيكلسون  
 هو الصحيح ، وإن كان لم يوفق إلى معرفة المعنى بذلك ، وما قالته المحققة من  
 أنه يتعين - إن صحت قراءة نيكلسون - كونه أبا حفص الكتاني صحيح أيضاً ،  
 أما الجواب على سؤالها فغاية في البساطة ، وهو أن أبا حفص هذا شيخ ابن القارح  
 في القراءة ، ويتضح هذا من قول ابن القارح في رسالته : « . . . وأبي حفص  
 الكتاني صاحب أبي بكر بن مجاهد . . » وأبو بكر هذا إمام القراءة سيف  
 المئة الرابعة ، وهو الذي اختار القراءات السبع المعروفة .

هذا ما كنت كتبه في تلك الأيام ، إلا أن مجلة « الكتاب » أسقطته  
 فيما أسقطت ، ويظهر أن المحققة رأت أصول المقال ، فعلمت في الطبعة الثانية  
 مرجحة قراءتها ( الكتاني ) قالت : « . . وهي بلا ريب أقوى وأرجح . . »  
 والكتاني هذا ذكره ابن الجزري في طبقات القراء فيمن أخذوا عن ابن مجاهد ،  
 ثم ترجم له أيضاً وذكر من أخذوا عنه ، إلا أنه لم يذكر ابن القارح فيهم .  
 ٢١ - أورد الشيخ ص ٥٣٤ آياتاً قيل إنها لطيف الغنوي يمدح رسول الله  
 ( ﷺ ) ، وأولها :

وأبيك خير إن إبل محمد غزل تناوح أن تهب شمال  
 هكذا جاء ضبطه في كلتا الطبعتين ( خير ) و ( غزل ) وصوابه كما رواه  
 المرنفي في أماليه ١١٦/٢ :

وأبيك خيراً إن إبل محمد غزل تناوح أن تهب شمال  
 ورواه أيضاً ابن رشيقي في الصمد ٩٨/٢ وروايته :

وأبيك حقاً إن إبل محمد عزل نوانح أن تهب شمال  
 وشرح المرتضى البيت قال: «أراد: أهلك الخير، فلما طرح الألف واللام نصب.  
 والعزل: التي لا سلاح معها، وسلاح الإبل سنامها وأولادها، وإنما جعلوا  
 ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها إذا رأى سمها وحسن أجسامها ورأى  
 أولادها تنبعمها نفس بها على الأضياف فامتنع من نحرها، فلما كان ذلك صادراً  
 عن الذبح، ومانعاً منه، جرى مجرى السلاح لها، فكأنه يقول: هذه الإبل  
 وإن كانت ذوات سلاح، من حيث كانت شحنة سمينة فهي كالعزل إذ كان  
 سلاحها لا يغني عنها شيئاً ولا يمنع من عقرها». وانظر حول هذا المعنى وأمثاله  
 المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٣٩١ - ٣٩٢ وسقط اللآلي ٦٣١ - ٦٣٢،  
 وأساس البلاغة ولسان العرب (رمح).

٢٢ - قال أبو العلاء ص ٥٦٢ «... ولا كالدبنار في البيت الذي أنشده  
 أبو عمر الزاهد...»

وترجمت المحققة - في كلتا الطبعتين - لأبي عمر الزاهد هذا على أنه «أبو عمر  
 الزاهد الدمشقي من كبار مشايخ الصوفية وساداتهم...» وكنت استدركت  
 في مقالتي السابق على المحققة هذا وقلت: «ولا شأن لأبي عمر الزاهد هذا في رواية  
 الشعر... والمراد هو أبو عمر الزاهد غلام ثعلب» وعلقت المحققة على كلامي بقولها:  
 «الذي بدا لي أن هذا البيت بأبي عمر الزاهد المتصوف أشبه...» ولكن هذا  
 لا ينهض حجة على ما قلنا، فالمعروف في الرواية واللغة إنما هو غلام ثعلب.

\* \* \*

هذا ما عن لي من خواطر حول الطبعة الجديدة من رسالة الغفران، وإني  
 لأشكر من رأى فيها أبدت خطأ فردني إلى الصواب، كما أشكر المحققة  
 الأدبية جهدها وخدمتها للأدب ولغة العرب.

راتب النفاخ

## مجموعة خطب الرئيس شكري القوتلي

رئيس الجمهورية السورية

خلال عامين من رئاسته (من ايلول ١٩٥٥ الى ايلول ١٩٥٧)

طبعت في دمشق عام ١٩٥٧ في ٢٢٨ صفحة من قطع الوسط

ويلي النص مجموعة من الصور التذكارية

رافق فخامة الرئيس الأول الفكرة التحررية منذ نشأتها وناضل مع المناضلين الأحرار في سبيل بعث القومية العربية وتحقيقها ، ولم يتطرق الى نفسه رغم وعورة مسلكها اليأس ولا خامرها الوهن ، جالده الإرهاب وصاير الاضطهاد ، وقارع بأس الاستعمار في عنفوان سلطانه ، وله في كل مرحلة من مراحل نضال الأمة ونهضتها مآثر حميدة وقبس منير ، سارت بهديه البلاد ، وجنت بقيادته الرشيدة أطيب الثمرات .

أخلص فخامته لشعبه بأفعاله ، وصدقه القول ، ولم يخلف له وعداً ، ولم يبحث له بعهد ، فهو له الصادق الأمين والمرشد الحكيم ، شارك شعبة في آماله وآلامه ، وأفراحه وأتراحه ، ومنحبه الأمة ثققتها طوعاً ، وألفت اليه باختيارها مقابله أمورها .

ومن حسناته السماح بجمع هذه الخطب ونشرها للملا للذكرى وشحذ المهيم ، وهي صفحات مشرقة نقية ، رائدها الصراحة والإخلاص والوفاء ، مجموعة خطب بل مجموعة حكم ألقاها فخامته خلال عامين اثنين في مناسبات مختلفة وأحداث هامة في حياة الشعب السوري ، وهي كما وصفها في مقدمته ناشر هذه المجموعة : « سجل وقائع ، وتوضيح مناهج ومبادئ ، ودعوة في كل مناسبة إلى النضال والعمل ، والدأب في سبيل حرية العرب ووحدتهم ، وفي سبيل تأمين حياة كريمة عزيزة ، موفورة الرخاء في ظل العدالة الاجتماعية لكل سوري ولكل مواطن عربي » .

أمد الله في حياته لأداء رسالته وتحقيق آماله .

جعفر الحسني

# آراء وأبناء

انتخاب

رئيس المجمع العلمي العربي

انتهت مدة انتخاب معالي الأستاذ الرئيس السيد خليل  
مردم بك في ٣١ تشرين الأول سنة ١٩٥٧ ، فعقد المجمع العلمي  
العربي جلسة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ ووجدد بالإجماع  
انتخابه لمدة أربع سنوات . وقد صدر بذلك مرسوم جمهوري  
رقمه ٣٥١٤ بتاريخ ١٢ كانون الأول سنة ١٩٥٧ .

—••••—



## أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م

### أعضاء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

|    |                                     |   |                                       |
|----|-------------------------------------|---|---------------------------------------|
| ٩  | الأستاذ عارف النكدي                 | ٢ | الدكتور اسعد الحكيم                   |
| ١٠ | عز الدين التتوخي                    | ٣ | الأستاذ جعفر الحسني (أمين السر العام) |
| ١١ | فارس الخوري                         | ٤ | الدكتور جميل صليبا                    |
| ١٢ | الشيخ محمد بهجة البيطار             | ٥ | حسني سبح                              |
| ١٣ | الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي    | ٦ | حكمة هاشم                             |
| ١٤ | مرشد خاطر                           | ٧ | سامي الدهان                           |
| ١٥ | الأستاذ مصطفى الشهابي (نائب الرئيس) | ٨ | الأستاذ شفيق جبيري                    |

١٦ - الدكتور منير العجلاني

### أعضاء المراسلون

|    |                                 |    |                                  |
|----|---------------------------------|----|----------------------------------|
| ١٢ | الأب اس. مرمجي الدومنيكي فلسطين | ١  | الدكتور عبد الرحمن الكيالي سورية |
| ١٣ | الأستاذ قدري حافظ طوقان .       | ٢  | الأستاذ عمر ابوريشة              |
| ١٤ | محمد الشربقي                    | ٣  | الأستاذ محمد سليمان الأحمد       |
| ١٥ | أحمد حامد الصراف العراق         | ٤  | الدكتور قسطنطين زريق             |
| ١٦ | الدكتور داود الجليبي            | ٥  | الأستاذ أنيس المقدمي لبنان       |
| ١٧ | الأستاذ ساطع الحصري             | ٦  | بشارة الخوري                     |
| ١٨ | طه الهاشمي                      | ٧  | الشيخ سليمان ظاهر                |
| ١٩ | عباس العزاوي                    | ٨  | الدكتور صبحي الحمصاني            |
| ٢٠ | الشيخ كاظم الدجيلي              | ٩  | عمر فروخ                         |
| ٢١ | الأستاذ كوركيس عواد             | ١٠ | الأستاذ مارون عبود               |
| ٢٢ | الشيخ محمد بهجة الاثري          | ١١ | الدكتور نقولا فياض               |

|    |                                             |         |    |                                      |                  |
|----|---------------------------------------------|---------|----|--------------------------------------|------------------|
| ٢٣ | الاستاذ محمد رضا الشبيبي                    | العراق  | ٤٩ | الاستاذ أبو الحسن علي الحسيني الندوي | الهند            |
| ٢٤ | الدكتور مصطفى جواد                          | "       | ٥٠ | عبد العزيز الميمني                   | باكستان          |
| ٢٥ | الاستاذ منير القاضي                         | "       | ٥١ | يوسف البنوري                         | "                |
| ٢٦ | احمد حسن الزيات                             | مصر     | ٥٢ | الدكتور بلاشير (رجيس)                | فرنسة            |
| ٢٧ | الدكتور احمد زكي                            | "       | ٥٣ | الاستاذ دوصو (ربنه)                  | "                |
| ٢٨ | الاستاذ احمد لطفي السيد                     | "       | ٥٤ | كولان (جورج)                         | "                |
| ٢٩ | خليل ثابت                                   | "       | ٥٥ | لاوست (هنري)                         | "                |
| ٣٠ | الدكتور طاه حسين                            | "       | ٥٦ | ماصه (هنري)                          | "                |
| ٣١ | الاستاذ عباس محمود العقاد                   | "       | ٥٧ | ماسينيون (لويس)                      | "                |
| ٣٢ | الدكتور عبد الوهاب عزام                     | "       | ٥٨ | أريري (أ. ج. ٠)                      | بريطانية         |
| ٣٣ | الشيخ محمد الخضر حسين                       | "       | ٥٩ | جيب (٠. ١٠. ٥. ر.)                   | "                |
| ٣٤ | الدكتور منصور فهجي                          | "       | ٦٠ | غليوم (الفرد)                        | "                |
| ٣٥ | الأمر يوسف كمال                             | "       | ٦١ | ريتر (هلموت)                         | المانية          |
| ٣٦ | الشيخ محمد نور الحسن                        | السودان | ٦٢ | هارتمان (ريشارد)                     | "                |
| ٣٧ | الأستاذ حمد الجاسر المملكة العربية السعودية | "       | ٦٣ | ديدرنغ (س. ٠)                        | السويد           |
| ٣٨ | خير الدين الزركلي                           | "       | ٦٤ | الدكتور ضودج (بيارد)                 | الولايات المتحدة |
| ٣٩ | علي الفقيه حسن                              | ليبية   | ٦٥ | الاستاذ فيليب حني                    | "                |
| ٤٠ | حسن حسني عبد الوهاب تونس                    | "       | ٦٦ | غومز (اميليو غارسيا)                 | اسبانية          |
| ٤١ | محمد الطاهر بن عاشور                        | "       | ٦٧ | الدكتور اشتولز (كارل)                | النمسة           |
| ٤٢ | محمد البشير الابراهيمي                      | الجزائر | ٦٨ | الاستاذ موجيك (هانز)                 | "                |
| ٤٣ | عبد الحفي الكتافي                           | مراكش   | ٦٩ | ماهلر (ادوارد)                       | المجر            |
| ٤٤ | عبد الله كنون                               | "       | ٧٠ | جبرابلي (فرانشيسكو)                  | ايطالية          |
| ٤٥ | علال الفاسي                                 | "       | ٧١ | الدكتور شخت (يوسف)                   | هولاندة          |
| ٤٦ | احمد اتش                                    | تركية   | ٧٢ | الاستاذ بدرسن (جون)                  | الدانيمرك        |
| ٤٧ | الدكتور علي أصغر حكمت                       | ايران   | ٧٣ | كرسيكو (يوحنا هنتن)                  | فنلاندة          |
| ٤٨ | الاستاذ آصف علي آصف                         | الهند   | ٧٤ | رشيد سالم الخوري                     | البرازيل         |

## أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

|       |                              |       |                                |
|-------|------------------------------|-------|--------------------------------|
| سورية | ٢٤ الشيخ راغب الطباخ         | سورية | ١ الشيخ طاهر الجزائري          |
| =     | ٢٥ عبد الحميد الجابري        | =     | ٢ سليم البخاري                 |
| =     | ٢٦ عبد الحميد الكيالي        | =     | ٣ مسعود الكواكبي               |
| =     | ٢٧ محمد زين العابدين         | =     | ٤ الاستاذ الياس قديمي          |
| =     | ٢٨ الدكتور صالح قنباز        | =     | ٥ أنيس سلوم                    |
| =     | ٢٩ الشيخ سليمان الأحمد       | =     | ٦ جميل العظم                   |
| =     | ٣٠ الاستاذ ادوار مرقص        | =     | ٧ سليم غنغوري                  |
| =     | ٣١ الشيخ سعيد العرفي         | =     | ٨ عبد الله رعد                 |
| =     | ٣٢ البطريك ماراغناطيوس افرام | =     | ٩ رشيد بقدونس                  |
| لبنان | ٣٣ الاستاذ حسن بيهم          | =     | ١٠ اديب التقي                  |
| =     | ٣٤ الأب لويس شينغو           | =     | ١١ الشيخ عبد القادر المبارك    |
| =     | ٣٥ الشيخ عبد الله البستاني   | =     | ١٢ الاستاذ معروف الأرناؤوط     |
| =     | ٣٦ الاستاذ جبر ضومط          | =     | ١٣ السيد محسن الأمين           |
| =     | ٣٧ عبد الباسط فتح الله       | =     | ١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي |
| =     | ٣٨ الشيخ عبد الرحمن سلام     | =     | ١٥ محمد البزم                  |
| =     | ٣٩ مصطفى الغلاييني           | =     | ١٦ سليم الجندي                 |
| =     | ٤٠ الاستاذ عمر الفاخوري      | =     | ١٧ الشيخ عبد القادر المغربي    |
| =     | ٤١ بولص الخولي               | =     | ١٨ الأب جرجس شلحت              |
| =     | ٤٢ امين الرنجاني             | =     | ١٩ جرجس منش                    |
| =     | ٤٣ الامير شكيب ارسلان        | =     | ٢٠ الاستاذ قسطنطين الجمعي      |
| =     | ٤٤ الشيخ ابراهيم المنذر      | =     | ٢١ الشيخ كامل الغزي            |
| =     | ٤٥ الاستاذ جرجي بني          | =     | ٢٢ الاستاذ ميخائيل الصقال      |
| =     | ٤٦ الشيخ احمد رضا            | =     | ٢٣ الشيخ بدر الدين النعساني    |

|    |                                   |    |                                   |
|----|-----------------------------------|----|-----------------------------------|
| ٤٧ | الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف لبنان | ٧٢ | الاستاذ داود بركات مصر            |
| ٤٨ | = فيليب طرازي =                   | ٧٣ | الدكتور امين المعلوف =            |
| ٤٩ | = الشيخ فؤاد الخطيب =             | ٧٤ | الاستاذ مصطفى صادق الرافعي =      |
| ٥٠ | الشيخ سعيد الكرمي فلسطين          | ٧٥ | الشيخ عبد العزيز البشري =         |
| ٥١ | = الاستاذ نخلة زريق =             | ٧٦ | الدكتور احمد عيسى =               |
| ٥٢ | = الشيخ خليل الخالدي =            | ٧٧ | الأمر عمر طوسون =                 |
| ٥٣ | = الاستاذ عبد الله مخلص =         | ٧٨ | الشيخ مصطفى عبد الرازق =          |
| ٥٤ | = محمد اسعاف النشاشيبي =          | ٧٩ | الاستاذ انطون الجميل =            |
| ٥٥ | = عادل زعبيتر =                   | ٨٠ | = خليل مطران =                    |
| ٥٦ | = محمود شكري الآلومي العراق       | ٨١ | = ابراهيم عبد القادر المازني =    |
| ٥٧ | = جميل صدقي الزهاوي =             | ٨٢ | = محمد لطفي جمعة =                |
| ٥٨ | = معروف الرصافي =                 | ٨٣ | الدكتور احمد امين =               |
| ٥٩ | = طه الراوي =                     | ٨٤ | الاستاذ عبد الحميد العبادي =      |
| ٦٠ | = الاب انتاس ماري الكرمل =        | ٨٥ | الشيخ محمد بن ابي شنب الجزائر     |
| ٦١ | الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي مصر  | ٨٦ | الاستاذ محمد الحنجوي مراکش        |
| ٦٢ | = رفيق العظم =                    | ٨٧ | = زكي مغامر توكية                 |
| ٦٣ | = احمد كمال =                     | ٨٨ | الشيخ ابو عبد الله الزنجاني ايران |
| ٦٤ | = احمد تيمور =                    | ٨٩ | الاستاذ عباس اقبال =              |
| ٦٥ | = احمد زكي باشا =                 | ٩٠ | الحكيم محمد أجمل خان الهند        |
| ٦٦ | = الدكتور يعقوب صروف =            | ٩١ | الاستاذ فران ( جبرئيل ) فرنسا     |
| ٦٧ | = السيد محمد رشيد رضا =           | ٩٢ | = هوار ( كليمان ) =               |
| ٦٨ | = الاستاذ حافظ ابراهيم =          | ٩٣ | = بوفان ( لوسيان ) =              |
| ٦٩ | = احمد شوقي =                     | ٩٤ | = مانججو =                        |
| ٧٠ | = الشيخ احمد الاسكندري =          | ٩٥ | = كي ( أ . ) =                    |
| ٧١ | = الاستاذ اسعد خليل داغر =        | ٩٦ | = باسه ( رينه ) =                 |

|                                            |         |                                          |
|--------------------------------------------|---------|------------------------------------------|
| ٩٧ الاستاذ ميشو بلالير                     | فرنسة   | ١١٥ الاستاذ آسفين بلاسيوس (ميكل) اسبانية |
| ٩٨ = مارسيه (وليم)                         | =       | ١١٦ = لويس (دافيد) البرتغال              |
| ٩٩ = مرجليوث (د. س. ٥) بريطانية            | =       | ١١٧ = جويدي (اغنازيو) ايطالية            |
| ١٠٠ = بفن                                  | =       | ١١٨ = فالينو (كارلو)                     |
| ١٠١ = براون (ادوارد)                       | =       | ١١٩ = غريفي (اوجينيو)                    |
| ١٠٢ = كرينكو (فريتز)                       | =       | ١٢٠ = مونته (ادوارد) سويسرة              |
| ١٠٣ = هومل                                 | المانية | ١٢١ = هنس (ج. ج. ٥)                      |
| ١٠٤ = ساخاو (ادوارد)                       | =       | ١٢٢ = كوفالسكي (ت. ٥) بولونية            |
| ١٠٥ = هوروفيتز (يوسف)                      | =       | ١٢٣ = موزل (الوا) تشكوسلوفاكية           |
| ١٠٦ = هارتمان (مارتين)                     | =       | ١٢٤ = هورغرينيه (سنوك) هولاندة           |
| ١٠٧ = ميتفوخ (اوجين)                       | =       | ١٢٥ = اراندوك (ك. ٥)                     |
| ١٠٨ = بروكين (كارل)                        | =       | ١٢٦ = هوتسما (م. ت. ٥)                   |
| ١٠٩ « غولد صير (اغناطيوس) المجر            | =       | ١٢٧ = بوهل (ف. م. ٥) الدانمارك           |
| ١١٠ « ماكديفالد (د. ب. ٥) الولايات المتحدة | =       | ١٢٨ = استروب (ج. ٥)                      |
| ١١١ = هرزفلد (ارنست)                       | =       | ١٢٩ = سترستين (ك. ف. ٥) السويد           |
| ١١٢ = سارطون (جورج)                        | =       | ١٣٠ = سعيد ابو جرة البرازيل              |
| ١١٣ = كراتشكوفسكي (أ. ١) الاتحاد السوفياتي | =       |                                          |
| ١١٤ = برنلز (افيكين)                       | =       |                                          |



## وفاة الأستاذ . ايفيكين برتلز

( ١٨٩٠ - ١٩٥٧ )

نحن إيلينا معهد الدراسات الشرقية في موسكو الفقيد ١٠١٠ برتلز أحد أساتذة المعهد البارزين ، والعضو المراسل للمجمع العلمي العربي ومجمع العلوم السوفياتي ، والعضو الفخري في مجمي العلوم الإيراني والتركي . وقد خسر بوفاته الاستشراق علماً من أعلامه العالمين . وكان الفقيد كأستاذ وصنوه المرحوم كراتشكوفسكي حجة في اختصاصه ، عميق الغور في أبحاثه ، شملت معارفه ودراساته رقعة واسعة من العالم الإسلامي الآسيوي ، وتعددت بقدرها خصائصه وتنوع مواضيعه .

ولد الفقيد برتلز في عام ١٨٩٠ ، وهو ابن طبيب من بطرسبورغ ، انصرف في بادئ أمره الى العلوم الطبيعية ، وألف على حدائنه أبحاثاً فيها ، ثم درس الحقوق وانتسب في ذات الوقت الى المعهد الموسيقي ثم توجه أخيراً الى الاستشراق ، فدخل في عام ١٩١٨ الكلية الشرقية في جامعة بتروغراد ، وكانت من أبرز أساتذته : بارتولد وكراتشكوفسكي وفرمان وروماسكيفتش وسبيرنوف وغيرهم من أفاضل المستشرقين ، فنال منها شهادة الدكتوراه في علوم اللغات . وما كاد يتخرج من الكلية الشرقية حتى لمع اسمه وتبوأ مركزاً سامياً بين علماء الاستشراق وتميز عنهم بتعدد اللغات التي يحسنها ، وكان يتقن أربعاً وعشرين لغة غربية وشرقية استعملها في أغراضه العلمية . وعهد اليه في سنة ١٩٥٠ مديرية شعبة تاريخ الشرق السوفياتي وثقافته ، ومنح تقديراً لعملة جائزة ستالين .

وقد يطول بنا سرد مفردات مؤلفات الفقيد البالغة ( ٢٣٠ ) بحثاً أكثرها باللغة الروسية ونقتصر على التعريف بموضوعاتها :

ترجم كثيراً من النصوص العربية والسنسكريتية والطاجيكية والبوشتو والاوزبكية والتركانية والازربيجانية والفارسية والتركية ، ووضع كتابين في قواعد اللغتين الفارسية والبوشتو ، وأشرف على وضع المعاجم التالية : روسي طاجيكي ، وطاجيكي روسي ، وأفغاني روسي ، وله دراسات واسعة عن تاريخ الأدب الفارسي والطاجيكي والاوزبكي والتركاني والأدب العربي في القرون الوسطى . وله أبحاث طويلة عن التاريخ الإسلامي والمذهب الصوفي .

ويعتبر الفقيه رحمه الله باعث النهضة الثقافية بين شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس . وكان في طليعة المستشرقين العاملين إنتاجاً ومن أوسعهم آفاقاً ، وإفاه أجله قبل أن يستنفد نشاطه وتفتر همهته فأدّى على أكمل وجه رسالته ، وخلد بتصانيفه ذكره .

رحمه الله رحمة واسعة .





المرحوم الأستاذ عادل ابن الشيخ عمر زعيتر  
( ١٨٩٧ - ١٩٥٧ )



## وفاة الأستاذ عادل ابن الشيخ عمر زعيتر

فجع المجمع العلمي العربي في دمشق بعضو من خيار أعضائه المراسلين في فلسطين ، وهو المرحوم عادل زعيتر ، وخسرت الثقافة العربية بفقد أحد أعلامها العاملين ، كان رحمه الله من رجال القانون اللامعين والساسة المناضلين المخلصين ، اكنسب في فلسطين ثقة مواطنيه وتقديرهم .

ولد الفقيه في نابلس سنة ١٨٩٧ وأتم فيها دراسته الابتدائية ، ثم انتقل الى المدرسة الاعدادية في بيروت وحصل الآداب في الكلية السلطانية بالآستانة .

دُعي الى الجندية في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ ، وكان من ضباط الاحتياط في الجيش العثماني . ولما اضطهد الترك العرب انضم الى الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل بن الحسين ، فحكم عليه الترك بالإعدام غيياً سنة ١٩١٧ . ناب في عام ١٩١٩ عن نابلس في المؤتمر السوري ، وكان في جملة من نادوا بملكية فيصل على سورية ، وساهم في وضع دستور المملكة السورية لذلك العهد ، واشترك في جميع المؤتمرات الفلسطينية .

دخل في سنة ١٩٢١ كلية الحقوق في جامعة باريس ونال في سنة ١٩٢٥ شهادتها ، ثم عاد سنة ١٩٢٧ الى فلسطين وامتنن فيها المحاماة ، ودرّس من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣٦ الاقتصاد السياسي والمالي والفقه الدستوري والدولي وقانون المرافعات المدنية والجزائية في معهد الحقوق بالقدس . ثم استقال من التدريس وانقطع الى العلم والأدب والسياسة المثالية . انتخب في سنة ١٩٥٣ عضواً في المجمع العلمي العراقي ، وانتخب في سنة ١٩٥٥ عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق .

ونقل الى العربية من روائع المؤلفات الغربية الكتب التالية :

- |                                   |                                      |
|-----------------------------------|--------------------------------------|
| ١٧ - ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية | ١ - روح الشرائع (جزآن) لمونتسكيو .   |
| • لبوتول                          | ٢ - العقد الاجتماعي .                |
| ١٨ - النيل                        | ٣ - أصل التفاوت بين الناس .          |
| ١٩ - البحر المتوسط                | ٤ - إميل أو التربية لجان جاك روسو .  |
| ٢٠ - كليوباترة                    | ٥ - حضارة العرب .                    |
| ٢١ - بسمارك                       | ٦ - حضارات الهند .                   |
| ٢٢ - نابليون                      | ٧ - روح الجماعات .                   |
| ٢٣ - ابن الإنسان                  | ٨ - السنن النفسية لتطور الأمم .      |
| ٢٤ - الحياة والحب لإميل لودفيغ    | ٩ - فلسفة التاريخ .                  |
| ٢٥ - حياة محمد لإميل درمنغم       | ١٠ - روح التربية .                   |
| ٢٦ - تاريخ العرب العام لسيدبو     | ١١ - حياة الحقائق .                  |
| ٢٧ - الآلهة عطاش                  | ١٢ - الآراء والمعتقدات .             |
| ٢٨ - حديقة أبيقور لانتول          | ١٣ - روح الثورات والثورة الفرنسية .  |
| • فرانس                           | ١٤ - روح الاشتراكية .                |
| ٢٩ - كنديد أو التساؤل لثولتر      | ١٥ - روح السياسة .                   |
| ٣٠ - أصول الفقه الدستوري          | ١٦ - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى |
| • لايسمن                          | • افوستاف لبون                       |

وله في الموضوعات التي ألقاها في معهد الحقوق بالقدس مؤلفات لم تطبع .  
كان الفقيه في طليعة المترجمين ، أميناً في نقله ، سليماً في أسلوب إنشائه ،  
رحمه الله رحمة واسعة .

## مؤتمر الأدباء العرب

خلال الأسبوع الثاني من هذا الشهر ( ٩ - ١٥ كانون الأول سنة ١٩٥٧ ) انعقد في القاهرة المؤتمر الثالث للأدباء العرب ، وقد دعت إليه جمهورية مصر ، ولبت الدعوة وفود الدول العربية ، وجمعت مقرها قاعة المتحف الزراعي ، واتخذت موضوعها « الأدب والقومية العربية » يتحدث فيه الأدباء من كل قطر عربي خلال ستة أيام كان أولها الافتتاح وآخرها للاختتام ، وفيها بينها انقسمت الأحاديث إلى عناوين أربعة هي : الشعر ، والنثر ، والنقد ، وحماية الأديب ، وصلتها كلها بالقومية العربية .

وكان لا بد أن يذهب الأدباء مذاهب شتى في فهم هذه العناوين والتعبير عنها ومناقشتها ، يحملون في أفواههم ثقافة فطريهم ومشربهم ومنحاهم ، يختلفون باختلاف أَسنانهم من شباب ، وكهولة ، وشيخوخة ، ومن انصراف إلى بعض الأدب القديم ومتانته وروعته إلى عكوف على بعض الأدب الحديث في سهواته وطرافة ألوانه وغرابة فنونه ، ومن نظرة إلى لغة العرب على أنها مقدسة كريمة من نبع عظيم ، ونظرة أخرى على أنها واسطة للتعبير ليس غير ، صالحة للتلوين والتبديل لعلها تشبه الألوان المستحدثة في لغات الغرب .

وكانت فرصة لمؤرخ الأدب العربي الحديث أن يستمع إلى شباب يجدون الشعر في أقوال لا يربط بينها وزن ولا يحدها بحر ، ولا يصلها معنى بمعاني الشعر العربي الموروث . ويستمع إلى آخرين يريدون العامية في الحديث والكتابة ، ويرون أن المسرحية أو القصة تسقط حين تكتب في الفصحى ، وتسحو إلى ذرى القوة حين ترمم في العامية ، ثم يستمع إلى نقد هذه الآراء كلها . وكانت كذلك مناسبة فريدة أن يستمع مؤرخ العصر إلى ألوان الفهم عند الشباب وغير الشباب في موضوع القومية العربية ، فهي ترتبط حيناً بالدين ،

وحينما بالعرف ، وأحياناً بالعنصرية والتاريخ . فبعض يرى القومية في تراث العرب ، وبعض يراها في اتحاد المسلمين ، وبعض يرى أن تكون في أهدافها إنسانية عالمية تجمع العالم بأقوامه وأقطاره .

وطبيعي أن يتحدث الأدباء عن نظريات الأدب المختلفة في قوالبه الجمالية والثالية ، أو في خدمته وأنواعه ، وأن يتطرقوا إلى نظرية الفن للفن أو الفن للشعب . وأن يتساءلوا هل يرتفع الأدب إلى مستوى المثالية ، ويرفع إليه قراءه من الشعب ، أم ينزل من مستواه إلى أبناء الشعب ليفهموه ويدركوا أقواله . وقد تحدث الدكتور طه حسين عن القومية العربية في الشعر القديم ، ورأى أن نمسك بالقطامي والأخطل لأنها عرييان ، ثم نظر إلى الأدب فجعل له الحربة في فمه وقوله لأن انتاجه وعبقريته ونبوغه مفخرة لقومه وأمتة فلا سبيل إلى أن تفرض على الفنان طريقة أو منهجاً . ولكنه رأى أن يقوم الأدب بواجبه نحو أبناء وطنه يشعر بشاعرهم ويتحسس بآلامهم ، وأن تنهض الأمة بواجبها نحو أدباؤها . وتحدثت الدكتورة سهير القنادي عن تطور القومية العربية وصلتها بالأدب فرسمت السبل الواضحة البينة لأدب المستقبل . وارتفع الأستاذ محمود السعدي إلى ذروة النقد والفن المثالي في تحليل الأدب والقومية العربية وحرية الفنان وصلته بالإنسانية ، فكان مع زميليه اللذين ذكرنا واسطة العقد من هذا المؤتمر . واشترك في الخطابة أدباء وعلماء كالشيخ محمد بشير الإبراهيمي عن الجزائر ، والأستاذ عبد الله كنون عن المغرب ، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين عن العراق ، فكانوا في مباحثهم على هدوء العلماء وأناة الباحثين وعمق المفكرين الناقدين ، فاستحقوا إعجاب السامعين وثناءهم .

وكان من الطبيعي كذلك أن يتحدث المؤتمر عن الوعي القومي والسياسة التحررية والنضال الشعبي والحياد الإيجابي ، وموقف الأدباء العرب من هذه المفاهيم المستحدثة في ألفاظها ، القديمة في ألوائها ، وتطرقوا إلى الأوطان السليبة والربوع المهدة كالجزائر الحبيبة وفلسطين المنكوبة ، وسورية ومصر

المجاهدين ، مما استثار الحماسة والأسمى والوطنية ، وانتهى بالسامعين إلى قرار الدفاع عن الوطن العربي بأقلام الأدباء والكتاب للحفاظ على قوميتنا وتراث شعبنا . ولا شك في أن هذا المؤتمر كان سوقاً للشعر والخطابة والحديث والمناقشة ، يستحق التسجيل على أنه يمثل بعض التيارات المعاصرة ، ويصور بعض الآراء المستجدة في النصف الأول من القرن العشرين ، ولعل هذا بذية الأذهان إلى ضرورة البحث والدرس والتأليف ، ويدفع إلى التفكير بانشاء فروع في الجامعات العلمية العربية بدمشق والقاهرة وبغداد لبحث هذه النظريات ، وتأليف كتب في تأريخ القومية العربية ومختارات للأدب العربي القومي نثره ونظيمه ، في أناة عاقلة وحكمة بالغة ودرس طويل . فليس الارتجال طريقاً إلى صنع المناهج الدائمة ، وليس النقاش السريع من أسس البحث المنظم العاقل ، لأن نتائجه تذهب بذهاب الزمن الذي قيلت فيه . ولعل مجامعنا العربية تصغي إلى ندائنا فتقدم للشباب خيرة دراساتها وعميق فحها وواسع اطلاعها ، لعلمهم يستنبطون يهديها وبأخذون بنظمها ، قبل أن تستولي عليهم بعض منازع الفكر الأجنبي المرتجفة وثورات الأدب العصبية فتبعدهم عن جذور التراث الكريم ، وتربطهم بفرع من فروع التفكير التي لا تنصل بآضبتنا ولا تصالح لحاضرنا ولا تمكن للأسس السليحة في مستقبل أدينا وقوميتنا .

الركنور سامي الدفان

•••••

ابن سيدنا الشاعر

الشيخ الرئيس ، وإن كان رجل حكمة وفلسفة وطب ، اشتهر اسمه بها ، وقبس به سواء فيها ، حتى قال ابن عنين ، أدب الشام ( المتوفى سنة ٨٦٣٠ هـ ) يمدح الإمام فخر الدين الرازي ، في قصيدته اللامية :

غلط امرؤ بأبي علي قاسه هيهات قصر عن مداه أبو علي <sup>(١)</sup>

(١) ديوان ابن عنين ( طبعة دمشق ١٣٦٥ ) ص ٥٤ ، من كلمته التي أوتها :  
ريح الشمال عساك أن تتحملي خدمني إلى المولى الإمام الأفضل .

هو أيضاً ، متظرف يطرب إلى الأدب ، ماجن لا يلهيه الدرس عن الشراب <sup>(١)</sup> والغناء .

رزق الشيخ ابن سينا صفاء الأدباء ، وتخلق بأخلاق أولي الظرف ، وقد أوتي حسن الطبع ، وبلاغة المنطق ، وفصاحة الكلام ؛ فنعاطى القريض ، وقال الشعر ، وعالج النظم . فقد حدثنا - وهو صادق - أن والده أحضر له معلم الأدب - وهو في غضاضة الغصن - وأنه بلغ ما بلغ أولو الكمال ، وهو في أوائل الصبا <sup>(٢)</sup> .

ثم أتبع له أن يظفر بخزانة نوح بن منصور ، التي فُتحت له أبوابها في بخارى ، فقرأ ما بها من كتب العربية ، واطّلع على مجموعات الأدب ، ودواوين الشعر ؛ وهو لم بكل ثماني عشرة حجة <sup>(٣)</sup> . وقد كان الشعر فسحته إذا ناب خطب ، وعودته إذا اشتدّ زمان ؛ بنفس به كربه ، وبفرج بأشاده همه <sup>(٤)</sup> ؛ فقد قال - وهو يعاني ما بنوه بأمثاله من الغبن - :

لما عظمت فلبس مصر واسمي      لما غلا ثمني عدمت المشتري  
وقال - وهو في السجن - :

دخولي في اليقين كما نراه      وكل الشك في أمر الخروج  
وقد كان - على فضله - ماجناً ( كما مر ) ؛ قال تلميذه الجوزجاني : إنه كان يجمع تلاميذه في داره كل ليلة ، فكانوا إذا فرغوا ، حضر المقتنون والشراب <sup>(٥)</sup> . لقد بلغ هذا الطبيب الأديب - على كل حال - مرتبة أكابر أئمة اللغة المحققين ، وقضته مع أبي منصور الجبان ، شاهد عدل ؛ استطاع أن يكتب ما يصحّ

(١) اعتذر ابن سينا عن نفسه بأنه كان يشربها تدابوا . ( لجنة الترجمة )

(٢) سرگندشت ( طبعة طهران ١٣٣١ ش ) ص ١ .

(٣) المرجع المذكور ص ٤ - ٥ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .

(٥) سرگندشت ص ٧ - ٨ .

انسابه إلى الصائبي ، والصاحب ، وابن العميد ، ونظم أشعاراً في الغريب ، وألف مجماً سماه ( لسان العرب ) <sup>(١)</sup> ، وصنف رسالة في أسباب حدوث الحروف ومخارجها ، وعمل القصيدة المزدوجة في المنطق <sup>(٢)</sup> ، ومعتصم الشعراء في العروض <sup>(٣)</sup> ، وله خطب وتحميدات وأسماج كثيرة <sup>(٤)</sup> ، تنم على وفور فضله ، ونظم القصائد والأشعار في الزهد ، يصف فيها أحواله <sup>(٥)</sup> ، كما تضاف إليه أراجيز في الحكمة والمنطق والطب <sup>(٦)</sup> ، وله - كذلك - رسائل بارعة بالعربية والفارسية ، ومخاطبات ، ومكاتبات ، ومراسلات ، وهزليات ، وبعثون في رسائله ( كتاب الملح في النحو ) <sup>(٧)</sup> .

وقد استشهد الرضي الاستربادي - المتوفى سنة ٦٨٦ - بشيء من شعره في باب الحروف العاطفة من كتاب ( شرح الكافية ) <sup>(٨)</sup> ؛ وهو قوله :

سيان عندي إن يروا وإن فجروا إذ ليس يجري على أمثالهم قلم <sup>(٩)</sup>  
وهذه منزلة رفيعة ، لم يرقها إلا الأقدمون من فحول الشعراء ، قبل طبقة  
بشار بن برد .

(١) فهرست نسخه های مصنفات ابن سینا ص ٢٠٩ .

(٢) سرگذشت ص ١٦ .

(٣) المرجع المذكور ص ١٧ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .

(٥) المرجع نفسه ص ١٨ .

(٦) تراجع فهرست نسخه های مصنفات ابن سینا ، تأليف محيي مهدوي ( طبعة طهران ١٣٣٣ ش ) ص ٢٥ - ٨ ، ومؤلفات ابن سینا ص ١٧١ - ١٨٠ ، و ص ٢٢٥ .

(٧) سرگذشت ص ١٨ .

ومما يؤكد اهتمامه بالأدب والشعر ، ما قاله ابن ماكولا : انه رأى ديوان شعر الإمام أبي بكر الزاهد ، وأكثره بخط ابن سینا ( تراجع الجواهر المضية في طبقات الحنفية طبعة حيدر آباد الدکن ١٣٣٢ ، ج ١ ص ١٩٥ ) .

(٨) شرح الكافية ( طبعة استانبول ١٣١٠ ) ج ٢ ص ٣٧٦ ، وتراجع خزانة الأدب للشيخ عبد القادر البغدادي ( مصر ١٢٩٩ ) ج ٤ ص ٤٦٤ .

(٩) البيت من كلمته الطويلة التي أوتها :

ياربع نكترك الأحداث والقدم نصار عينك كالآثار نهم

تراجع خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٦٥ - ٦ .

هذه نبذة صغيرة من مقام الرجل في العربية والأدب ، وهو الذي قال في  
كلمته التي منها الشاهد المذكور آنفاً :

أما البلاغة فاسألني الخبير بها أنا اللسان قديماً والزمان قم<sup>(١)</sup>  
أما الشعر فإنه ذو اللسانين ، وله شعر جيد في العربية والفارسية<sup>(٢)</sup> . ويوجد  
في أياصوفية ديوان صغير جداً<sup>(٣)</sup> عدته ١٠ صفحات ، قوامه ١٨٨ بيتاً .  
هذا وقد نسبت إلى ابن سينا أراجيز مختلفة ، وشعر كثير ، منه الرائية  
الطويلة التي أولها :

بربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار  
وهي ٥٠ بيتاً ، وقائلها ، هو أبو علي الحسين بن عبيد الله بن يوسف بن أحمد  
ابن شبل ، البغدادي ، المتوفى سنة ٤٧٤ هـ<sup>(٤)</sup> . والأرجوزة التي ذكرها الدميري  
المتوفى سنة ٨٠٨ في كتاب ( حياة الحيوان ) ، وقال : قيل إنها لابن شيخ حطين<sup>(٥)</sup> .  
أما عينيته التي عني بها الناس قديماً وحديثاً ، فلعل أقدم أصولها الموجودة ،  
يرجع إلى حدود سنة ٥٨٠ هـ<sup>(٦)</sup> ، وهي عشرون بيتاً . وقد قال ابن أبي الوفاء ،  
المتوفى سنة ٧٧٥ هـ : إنها ١٦ بيتاً<sup>(٧)</sup> .

(١) ديوان ابن سينا ( وستأتي صفته ) الورقة ٤٣ أ .

(٢) خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٦٧ .

(٣) المجموعة المرقومة ٤٨٤٩ [ الرسالة الثامنة ] الورقة ٤١ أ - ٤٥ أ نسخة ( أياصوفية  
كتبخانه سي ) وقد تفضل صديقنا المحقق الجليل الأستاذ مجتبی المينوي فأذن لي  
وصورتها على المايكروفلم الموجود عنده في خزانته ب طهران ، وقد نحن هو  
تاريخ كتابتها سنة ( ٥٨٠ - ٦٠٠ هـ [ ظ ؟ ] ) . ويراجع كتاب مؤلفات ابن سينا  
للأب جورج شحاته قنواقي ( مصر ١٩٥٠ ) ص ١٢١ - ٢ .

(٤) ارشاد الأريب لباقوت الحموي ( طبعة مرغليوث ١٩٢٧ ، ج ٤ ص ٣٨ - ٤١ )  
ونسبها إلى الشيخ ابن سينا من المتأخرين الشيخ محمد علي بن علي بن محمد عز الدين  
الشامي الداملي الحناوي الصوري المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ في الجزء الأول من كتاب  
( سوق المعادن والحلل وكل ما يسر الأئمة ويقر المفل ) نسخة الشيخ عبد الله  
السبيتي في الكاظمية . ويراجع - أيضاً - كتاب مؤلفات ابن سينا ص ٣٢١ .

(٥) حياة الحيوان الكبرى للكمال الدميري ( مصر ١٣١١ ) ج ٢ ص ٣٢٨ .

(٦) المجموعة المرقومة ٤٨٤٩ في أياصوفية / الرسالة الثامنة - الورقة ٤٤ ب - ٤٥ أ .

(٧) الجواهر المضية ج ١ ص ١٩٥ .



وقد رواها : يحيى الدين بن عربي<sup>(١)</sup> ، وابن أبي أصيبعة<sup>(٢)</sup> ، وابن خلكان<sup>(٣)</sup> ،  
والياقعي<sup>(٤)</sup> ، وابن كثير<sup>(٥)</sup> ، والدميري<sup>(٦)</sup> ، والبيهقي<sup>(٧)</sup> ، وعبد الرؤوف  
المنائوي<sup>(٨)</sup> ، وابن العماد<sup>(٩)</sup> ، والسيد نعمه الله الجزائري<sup>(١٠)</sup> ، والسيد عباس  
الموضوي المكي<sup>(١١)</sup> ، والحاج ملا هادي السبزواري الحكيم<sup>(١٢)</sup> وفئة كثيرة  
من الآخرين<sup>(١٣)</sup> .

وقد شرحها طائفة من الأفاضل<sup>(١٤)</sup> ، وقلدها كثير من الشعراء ، ورد عليها

- (١) عاضرة الأبرار ومسارة الأخيار ( مصر ١٣٠٥ ) ج ١ ص ١١٩ .
- (٢) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ( مصر ١٢٩٩ ) ج ٢ ص ١٠ - ١١ .
- (٣) وفيات الأعيان ( مصر ١٢٦٧ ) ج ١ ص ٤٢٢ - ٣ .
- (٤) سرآة الجنان وعبرة اليقظان ( حيدر آباد الدكن ١٣٣٨ ) ج ٣ ص ٥٠ .
- (٥) البداية والنهاية ( مصر ١٣٥٨ ) ج ١٢ ص ٤٢ - ٣ .
- (٦) حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ٣٢٨ .
- (٧) الكشكول ( مصر ١٢٨٨ ) ص ٢٤٥ - ٦ ، و ( طهران ١٢٩٦ ) ص ٢٦٣ .
- (٨) شرح قصيدة النفس ( مصر ١٣١٨ ) ص ٢٧ - ١٤٤ .
- (٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ( مصر ١٣٥٠ ) ج ٣ ص ٢٣٦ - ٧ .
- (١٠) مقامات النجاة ( نسخة حكمت آل اقا . في طهران ، المخطوطة سنة ١٢٢٨ )  
الورقة ١٤٤ ب .

- (١١) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ( مصر ١٢٩٣ ) ج ٢ ص ٢٢٠ .
- (١٢) أسرار الحكم ( طهران ١٢٨٦ ) ص ٢٩٠ - ٣٠١ .
- (١٣) دانشنامه نامري ( طهران ١٢٩٦ ) ص ٧٩ ، وتقع رسائل في الحكمة والطبيعية  
( قسطنطينية ١٢٩٨ ) ص ١٢٩ - ٣٠ ، وكتاب بلوهر وبوذاسف ( بمبي ١٣٠٦ )  
ص ٢٨٧ - ٨ ، ومنطق المشرفين ( مصر ١٣٢٨ ) المقدمة صفحة كب - كج ،  
ومطرح الأنظار في تراجم أطباء الأعصار لعبد الحسين الطيب التبريزي ( تبريز  
١٣٣٤ ) ج ١ ص ١٤٤ - ٥ ، وجشن نامه للدكتور ذبيح الله صفا ( طهران  
١٣٧١ ) ج ١ ص ١١٦ - ٧ : وشرح هنية ابن سينا بتحقيق الدكتور حسين علي  
محفوظ ( طهران ١٩٥٤ ) ص ٣ - ١٢ .
- (١٤) تراجع فهرست لسخه هاي مصنفات ابن سينا ص ١٩٥ - ٧ ، وكشف الظنون  
( طبعة تركية ١٩٤٣ ) ج ٢ ص ١٣٤١ - ٢ ، ومؤلفات ابن سينا ص ١٥٢ - ٥ .

بعض أشياخ الحكمة ، وأجازها شروحة من فحول الأدب والشعر ، وأكاد أميل الى القول ان خير من ردّ عليها ، الأديب العراقي ، الشيخ عبد علي الحويزي المشعشي ، البصري <sup>(١)</sup> ، في قصيدته المشهورة ، التي أولها :

لا ابتداء إلا له إنتهاء جلّ من كلّ شأنه ابتداء <sup>(٢)</sup>

وقد كنت عنت أنا بإخراج العينية وتحقيقها في مهرجان ابن صبنا الأفي بطهران سنة ١٣٧٣ هـ ، كما وازنت بين أشعار الشيخ العربية والفارسية ، والظن كل الظن أن أشعاره الفارسية - وإن كانت قليلة - خير من شعره العربي ، وفور معان ، وجودة إنشاء ، وفصاحة بياض .

المركنور حسين علي محفوظ



- (١) هو الشيخ عبد علي بن ناصر بن رجة الحويزي ، من أفاضل تلامذ جاء الدين العاملي . كان فاضلاً بارعاً ، شاعراً فائقاً ، من أشياخ الأدب في عصره ، ويعدّ من الطراز الأول في صناعة الكتابة ، قرّبه ولاية البصرة ، وأحسنوا إليه ، فلازمهم حتى مات بها في أواخر القرن الحادي عشر ، وخلف آثاراً جليلة كثيرة . له ترجمة في سلافة العصر للسيد علي خان المدني (مصر ١٣٣٤) ص ٥٤٦ - ٥٤٨ (وريجانة الأدب لمحمد علي التبريزي الحياياني المدرّس (طهران ١٣٦٦ - ٧١) ج ١ ص ٣٥٧ - ٨ ، وروضات الجنات للسيد محمد باقر الخوانساري (إيران ١٣٦٧) ص ٣٥٤ - ٥ ، وأمل الأمل لمحمد بن الحسن الحر العاملي (إيران ١٣٠٧) ص ٤٨١ - ق ٢ ، وخلاصة الأثر للهي (مصر ١٢٨٤) ج ٢ ص ٤٢٧ - ٣٢ ، وفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي (طهران ١٣٣٩ ش) ج ١ ص ٢٣٧ - ٨ ، والتأسيس للسيد حسن الصدر (بغداد ١٣٧٠) ص ١٨٢ .
- (٢) أثبتتها الشاعر نفسه في باب (حلي الأفاضل) من كتابه كلام الملوك ملوك الكلام ص ١٤٧ - ٨ نسخة دار الكتب الوطنية (كتابخانه ملي) بطهران ، المرقومة ٩٠٧ / مخطوطات . المكتوبة سنة ١٢٨٤ هـ .

## (الفواهيق)

في البيت السادس من عينية عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، القائل :  
 فَخَالَفَهَا عَارِي الْفَوَاهِقِ سَنَسِبَ أَخُو قَفْرَةٍ أَضْحَى وَأَمْسَى مُجَوِّعًا  
 جاء التعليق على كلمة « الفواهيق » في الحاشية كما يلي : « كأنه أراد بالفواهيق  
 جمع فهقة ، وهي عظم عند مركب العنق ، ولكن جمعها فهاق ، ولذلك رأى محقق  
 الطبعة المصرية أنها مصحفة عن « النواهيق » وقال : « النواهيق : العظام الشاخسة بجوار  
 العين . » ولكن يرد على ذلك أن « النواهيق » لدواب الحافر وليست للسباع المفترسة .  
 وأرى أنها « الفواهيق » لا تصحيف فيها ولا لبس . وهي جمع « فاهقة »  
 وقد جرت على القياس المعروف في جمع « فاعلة » . والفاهقة هي الفهقة ذاتها .  
 يعزى ذلك أن كثيراً من أنحاء الشوف بلبنان ولا سيما بلدتنا ، تجري فيها هذه  
 الكلمة « الفاهقة » على السنة الكبار والصغار ، حقيقةً ومجازاً . ولست أذكر أنني  
 سمعتها من أحد إلا بهذا اللفظ . يقول من يأتي الماء في يوم حر : « لفت  
 الماء على وجهي وفاهقتي » . ويقول المغيظ المحنق : « امتلأت إلى فاهقتي » .  
 إن المتكلمين باللغة العامية بغلب أن ينقلوا الألفاظ عنهم نقلاً أميناً ،  
 جيلاً بعد جيل . وفيما نعلم أن عائلتنا جاءت لبنان من نواحي الأردن من نحو  
 أربعائة سنة . وإن أجدادنا من « هوازن » نزلوا في بعض أنحاء الأردن منذ  
 الفتح العربي ، في مكان غير بعيد عن « الفلججة » موطن الشاعر الحارثي .  
 وعندني أن تلك الجماعات المتجاورة قديماً استعملت « الفاهقة » وتناقلتها بهذا اللفظ ،  
 بدليل ورودها في قصيدة عبد الملك ، وبقاتها محفوظة متناقلة عندنا إلى هذه  
 الأيام . وأرى أنه لا يقدح في هذا كون الكلمة لم ترد في المعاجم بهذا المعنى .  
 وورد في البيت الثالث ص ٥٦٦ : « فما شقَّ ضوء الفجر حتى تصدعت » .  
 وهنا استعمل فعل « شقَّ » على نحو ما تحكيه جماعتنا باللغة العامية ، إذ تقول :  
 « شقَّ الضوء ، وشقَّ الفجر » ، وقت « شقة الفجر ، الخ » . لعل في هذا سنداً لذلك ،  
 والله أعلم .

عارف أبوشقرا

~~~~~

فهرس الجزء الأول من المجلد الثالث والثلاثين

صفحة

٣	جبهة الإسلام ذات النثر والنظام	للأستاذ خليل سرمد بك
٢١	مصلحات الاجتماعيات البنائية	للأستاذ مصطفى الشهابي
٣٦	خود جديد على دانتى والإسلام	بحث للأستاذ فرنسكو غارزيلي ترجمه الأستاذ موسى الحوري
٥٦	العقل والنقل عند الإمام ابن تيمية (٢)	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٨٠	ما سمعت وما رأيت في بلاد السوفيت (٤)	للككتور حسني صبح
٩٦	كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (١)	للككتور محمد صغير حسن المصري

التعريف والتقد

١١٢	المغرب في حلق المغرب لابن سعيد المغربي	للأستاذ عبد الله كتون
١٢٤	خريدة القصر وجريدة العصر (١)	للككتور مصطفى جواد
١٣٥	مقدمة ابن خلدون (٢)	للأستاذ عارف النكدي
١٣٩	ثلاثة أوزار في معرفة البحار	للككتور عزة النمس
١٤٦	رسالة القفران لأبي الملاة المغربي (٢)	للأستاذ راتب النفاخ
١٥٥	مجموعة خطب الرئيس شكري القوتلي	للأستاذ جعفر الحسني

آراء وأنباء

١٥٦	انتخاب رئيس الجمع العلمي العربي	
١٥٧	أعضاء الجمع العلمي العربي المائلون لعام ١٣٧٧ = ١٩٥٨ م	
١٥٧	أعضاء الجمع العلمي العربي المراسلون	
١٥٩	أعضاء الجمع العلمي العربي الراحلون	
١٦٢	وفاة الأستاذ أ. إيديكين برلر	
١٦٥	وفاة الأستاذ عادل زعتر	
١٦٧	مؤتمر الأدباء العرب	للككتور سامي الدهان
١٦٩	ابن سينا الشاعر	للككتور حسين علي محفوظ
١٧٥	الفواهي	للأستاذ عارف أبي شعرا

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٨ م

١١ شهر رمضان سنة ١٣٧٧ هـ

الأخطل

هو أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب ، وتغلب من ربيعة من العرب العدنانية . وبلاد تغلب بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين بين الخابور والفرات ودجلة ، وتعرف ديارهم بديار ربيعة . وكانت تغلب بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلا القليل بالكوفة ، وكانت النصرانية غالبية عليهم لمجاورتهم للروم . والأخطل لقب غلب عليه تلخث لسانه في صغره ، ومعنى الأخطل السفيه .

وكانت الجزيرة منذ زمن الأخطل معدودة من الشام أو ملحقة بالشام وكان الأخطل يعتبر شامياً ، قال الفرزدق ^(١) :

فمن ^(٢) شاركني المأورُ بعدم وأخو هوازِنَ والشّامي الأخطلُ

كان الأخطل نصرانياً ، قال الشعر وهو غلام ، وهجا كعب بن جعيل

(١) شرح ديوان الفرزدق لعبد الله الصاوي ج ٢ ص ٧٢١ .

(٢) أي في القصائد .

شاعر تغلب ، واتصل بيزيد بن معاوية ومدحه في حياة أبيه ، وكان سبب اتصاله به أن يزيد طلب إلى كعب بن جعيل أن يهجو له الأنصار لأن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري شجب بأخته رملة ، فامتنع كعب تخرجاً لأنه مسلم ، ودله على الأخطل فهجاهم الأخطل بقصيدة منها :

ذهبت قريش بالسماحة والندى واللؤم تحت عمام الأنصار
فدعوا المكارم لسم من أهلها وخذوا مساحيكم بني النجار
ومنذ ذلك الحين اختص ببني أمية بمدح خلفاءهم وأمرأئهم وبغد عليهم إلى دمشق ، وبدعو إليهم ويهجو خصومهم . فقربه بنو أمية وآثروه ولا سيما عبد الملك ابن مروان فقد كان الأخطل عليه دالة عظيمة ، ذكروا أنه كان يدخل عليه وقد علق على صدره صليباً ولحيته تنفض خمراً ، ووقعت مهاجاة بينه وبين جرير طال أمرها ولم تنته إلا بموت الأخطل . وظل الأخطل أثيراً عند بني أمية حتى توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة خمس وتسعين وقد نيف على السبعين .

شعره :

الأخطل أحد فحول الشعراء الإسلاميين ومن أشهر الشعراء في العصر الأموي ، يمتاز شعره بالاستواء والصقل والتهذيب من غير عمل أو تكلف ، وأثر الطبع فيه شديد الظهور ، روي عنه أنه كان ينظم القصيدة تسعين بيتاً فما يزال يعود عليها بالتهذيب والتهذيب حتى يسقط الستين ويبقى على الثلاثين . وقد يمين بالتنقيح والتحكيك حتى يسالغ في نظم القصيدة حولاً كاملاً . روى صاحب الأغاني أن الأخطل قال لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة (جرير) أنه يبلغ مدحك في ثلاثة أيام ، وقد أقيمت في مدحك :
خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا (وأزعجتهم نوى في صرفها غيرُ)
سنةً فما بلغت كل ما أردت .

وأكثر شعره يسير فيه الطبع والتبذيب شرعا، وقد شبهوا الأخطل بالنابغة
الديلمية لصحة شعره ، والحقيقة إنه يشبه النابغة من عدة وجوه ، فكلاهما يجمع
بين الطبع والشفيف ، وكلاهما يجيد المدح والوصف ، وحوادث حياتهما متشابهة ،
فكل منهما اتصل بالملوك وحظي عندهم ، وكل منهما أسهم في شؤون قبيلته إلى
حد بعيد ، واتخذ من شعره وسيلة لمصلحتها . ولا مربة في أن الأخطل كان
يترسم خطي النابغة ويطبع على غرارها في طائفة صالحة من شعره ، وقد يعارضه
في النسيج والوزن والروي ، ويسترفده المعنى والتصور والتصوير ، من ذلك
قصيدته التي أولها ^(١) :

تغيرَ الرممُ من سلى بأحفارٍ وأفقرتُ من صليبي دمنةُ الدارِ
فإنه عارض بها قصيدة النابغة التي أولها ^(٢) :

عوجُوا فخيُّوا لنعمِ دمنةِ الدارِ ماذا تحبون من نُويٍّ وأحجارِ
ففي قصيدة الأخطل كثير من معاني النابغة وألفاظه ولا سيما وصف نور الوحش .
ومن ذلك قوله يشبه الممدوح بالفرات ^(٣) :

وما الفراتُ إذا جاشتُ حوالهُ في حافتيه وفي أوساطه العُشْرُ
وذذعته رياح الصيف واضطربتُ فوق الجآجي من آذيه غُدرُ
مسحفرُ من جبال الروم يستره منها أكافيف فيها دونه زورُ
يوماً بأجود منه حين نسأله ولا بأجهر منه حين يجهتُ

وكرر هذا المعنى في عدد من قصائده فقال ^(٤) :

وما مزيدُ بعلو جزائرِ حاصرٍ يشق إليها خيزراناً وغرقدا الخ

(١) ديوان الأخطل ص ١١٢ .

(٢) ديوان النابغة الديلمية ص ٤٩ .

(٣) ديوان الأخطل ص ١٠١ .

(٤) ديوان الأخطل ص ٩٦ .

وقال ^(١) :

وما مزبد الأطواد من دون عانق
يشق جبال الغور ذو حدب غمر الخ
وقال ^(٢) :

كانه مزبد ربات منتجع
وكل ذلك مأخوذ من قول النابغة ^(٣) :

فما الفرات وإن جاشت غواربه
تومي أواذيه العيرين بالزبد
يمده كل واديه مترع كلب
فيه ركام من الينبوت والخصد
يظل من خوفه الملاح معتصماً
بالخيزانة بين الأبن والتجد
يوماً بأجود منه سب نافله
ولا يحول عطاء اليوم دون غد
على أن للفرات في نفس الأخطل أثراً
بليغاً لأنه نشأ في سقيه وعاش
بالقرب منه .

* * *

كان الأخطل يستلهم شعره من البادية لأنه نشأ في بادية الجزيرة الفراتية ؛
وأثر الحاضرة ضئيل في شعره على كثرة وفوده على الخلفاء بدمشق ، فقد كان
يفضل حياة البداوة على حياة الحضارة قال ^(٤) :

من العربيات البوادي ولم تكن
تلوحها حمى دمشق ومومها ^(٥)
لذلك فبادية الجزيرة الفراتية يجيئها سهولها وأوديتها وأنهارها - ولا سيما
الفرات - وأجوائها وأنوائها ونباتها من شيع وقيصوم وخزامى ووحشها وطيرها

(١) ديوان الأخطل ص ٢١٤ .

(٢) ديوان الأخطل ص ١٧٢ .

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٣١ .

(٤) ديوان الأخطل ص ١٢١ .

(٥) المسوم : أشد الجدري .

مائلة في شعر الأخطل ، منها يستمد وعليها يعتمد والشواهد على ذلك كثيرة منها قوله ^(١) :

وبيداء زحاحل كَأَنَّ نعامها بأرجائها القُصوى أَبَاعِرُ هَمَلٍ
تري لامعاتِ الآل فيها كأنها رجالٌ نَعْرَى نَارَهُ وَتَسْرِبُلُ
وجوزٍ فلاقٍ ما يغتض ركبتها ولا عينٌ هاديتها من الخوف تغفلُ
بكل بعيد القول لا يهتدى له بعرفان أعلام وما فيه منهل
ملاعب جَنَانٍ كَأَنَّ ترائها إذا أُطْرِدَتْ فيه الرياح مغربل
وقد سبق إيراد أمثلة من شعره ذكر فيها الفرات ومثلها قوله ^(٢) :

إذا غاب عنا غاب عنا فرائنا وإن شَهِدَ أَجْدَى فيضه وجدَّ أوله
وقوله ^(٣) :

وإذا عدلت به رجالاً لم تجدد فيض الفرات كراشح الأوشال

* * *

وأثر النصرانية في شعره ضئيل جداً لم يرد ما يشير إليها أو يدل عليها
في كل شعره إلا قوله ^(٤) :

حَلَمِي يَشِبُّ بِإِيَّاسِ النَّحْرِ وَقِدْهُ كَأَنَّ تَصَوَّرُ في الدَّيرِ التَّائِبِلُ
وقوله ^(٥) :

إني ورب النصارى عند عيدهم والمسلمين إذا ما تَخَمَّهَا الْجُمَعُ ^(٦)

(١) ديوان الأخطل ص ٦ .

(٢) ديوان الأخطل ص ٦٤ .

(٣) ديوان الأخطل ص ١٦٠ .

(٤) ديوان الأخطل ص ١٢ .

(٥) ديوان الأخطل ص ٧١ .

(٦) هذا مأخوذ من قول كعب بن جعيل التغلبي وهو مسلم :

إني ورب النصارى في كنائسها والمسلمين إذا ما جتمعوا الجُمَعَا

والقائم الليل بالإنجيل يدرسه لله تسبح عباده ، إذا ركعا

انظر مجلة النجم العلمي العربي م ١٩ ص ١٠٦ .

ورب كل حبسٍ فوق صومعةٍ يمسي ولا همه الدنيا ولا الطمع
وقوله ^(١) :

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طوعاً ولستُ بآكلٍ لحمٍ الأضاحي
ولستُ بقائمٍ أبداً أنادي قبيل الصبح حيّ على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً وأسجد عند منبلج الصباح
وقوله ^(٢) :

لما رأونا والصلب طالما ومآرَ مَرَجيسَ وسمّا نافعا
ويظهر أن الأخطل لم يعرف من مزايا النصرانية إلا أنها تبيع الخمر ولا
تفرض صوم شهر رمضان ؟ ورد في الأغاني أن عبد الملك بن مروان قال
للأخطل يوماً : لم لا تسلم يا أخطل ؟ قال إن أنت أحلت لي الخمر ووضعت
عني صوم رمضان أسلت ؟ فقال له عبد الملك : إن أنت أسلت ثم قصرت في
شيء من الإسلام ضربت الذي فيه عنقك . وقال له مرة : ألا تسلم فنفرض
لك ألفين في عطائك وتوصل بعشرة آلاف درهم ؟ قال فكيف بالخمر ؟
قال وما تصنع بها ؟ وإن أولها لم وإن آخرها لسكر ، قال أما إن قلت ذاك
فإن بينها منزلة ما ملكك فيها إلا كعقة من ماء الفرات بالإصبع ؟ فضحك
عبد الملك .

ويرى الأستاذ نيكسون صاحب تاريخ الأدب العربي ^(٣) أن نصرانية
الأخطل لم تكن عن إخلاص وإيمان بل عن أهواء نفسية لأنها تبيع له الخمر ،
ويشهد متهكماً على تقواه بما رواه صاحب الأغاني قال : كانت امرأة الأخطل
حاملًا - وكان متمسكاً بدينه - فرأى به الأسقف يوماً ، فقال لها الخفية

(١) ديوان الأخطل ص ١٥٤ .

(٢) ديوان الأخطل ص ٣٠٩ .

(٣) A Literary History of the Arabs, 240

فتمسحي به ، فعدت فلم تلحق إلا ذنب حماره فتمسحت به ورجعت ، فقال لها :
هو وذنب حماره سواء .

ويرى الأب لامنس اليسوعي في الفصل الذي كتبه على الأخطل في دائرة
المعارف الإسلامية أن هجاء جرير الأخطل أدل على نصرانية الأخطل من
شعره نفسه ، وأنه لم يكن نصرانياً مستقيماً لأنه طلق امرأته وتزوج امرأة مطلقة .
وفي ذلك يقول ^(١) :

كلانا على همز بيت كأنما يجنبه من مسّ الفراش فروح
على زوجها الماضي تنوح وإني على زوجتي الأخرى كذاك أنوح
وعربية الأخطل أظهر كثيراً في شعره من نصرانيته ، فقد كان يحلف باللات
والعزى وهما صنان من أصنام العرب في الجاهلية ، ورد في الأغاني ج ٧
ص ١٧٣ « أخبر شيخ من قريش قال : رأيت الأخطل خارجاً من عند عبد الملك ،
فلما انحدر دنوت منه فقلت : يا أبا مالك من أشعر العرب ؟ قال هذان السكبان
المتعافران من بني تميم (الفرزدق وجرير) فقلت فأين أنت منهما ؟ قال : أنا
واللات أشعر منهما » وورد أيضاً أن « عاصم بن شبل الحرمي سأل الأخطل عن
هذا فذكر نحوه وقال : واللات والعزى » .

وتمدح الخليفة الأموي بحروبه للروم وانتصاره عليهم وإثخانهم فيهم وهم نصارى
من ذلك قوله : (ديوان الأخطل ص ١٩) :

إليك أمير المؤمنين رحلتها على الطائر الميمون والمتمزل الرحب
إلى مؤمن تجلو صفحة وجهه بلابل نقش من هموم ومن كرب
وفي كل عام منك للروم غزوة بعيدة آثار السنايك والسرب

وقوله : (ديوان الأخطل ص ٢٠٤) :

قتلت الرومَ حتى شذَّ منها عصابُ ما تُحرِّزُها القصورُ

وقوله : (ديوان الأخطل ص ٢١٨) :

وإِن أتعرض للوليد فإنه نمنه إلى خير الفروع مضاربة

وما بلغت خيلُ امريءٍ كان قبله بحيث انتهت آثاره ومحاربه

وتضحى جبال الروم غبراً فجأجها بما أشعلت غاراته ومقانبه

من الغزو حتى انضم كل ثميلة وحتى انطوت من طول قوٍر جنائبه

وللإسلام أثر في شعر الأخطل ، فقد كان يحلف بالكعبة والحرم وزمزم

والحج ومناسكه ، وبذكر الإسلام مقروناً بالعفة والتقوى ، وينصح للخليفة بأن

لا بقبل طاعة قيس لأنهم غير مخلصين في إسلامهم من ذلك قوله ^(١) :

ولقد حلفت برب موسى جاهاً والبيت ذي الحرمات والأستار

وقوله ^(٢) :

إني حلفت برب الرافصات وما أضحي بمكة من حجب وأستار

وبالهدى إذا احمرت مذارعها في يوم نسكٍ وتشريقٍ وتجار

وما يزمن من شططٍ محلقةٍ وما يثرب من عوفٍ وأبكار

وقوله ^(٣) :

وقد حلفت يميناً غير كاذبة بالله رب ستور البيت ذي الحجب

وكل موفٍ بنذرٍ كان يحمله مضرعٍ بدماء البدن مخضب

(١) ديوان الأخطل ص ٧٨ .

(٢) ديوان الأخطل ص ١١٩ .

(٣) ديوان الأخطل ص ١٨٤ .

وقوله (١) :

كأنت المشرفية في ذراه ونيران الحجيج لها صغير
حلفت بمن تساق لها الهدايا ومن حلت بكميته النذور

وقوله (٢) :

لقد حلفت بمن أسرى الحجيج له والناذرين دماء البدن في الحرم
وقوله (٣) :

بيطرون ذا الشيب والإسلام ممتة ويستفيد لمن الأهيف الروق
وقوله (٤) :

فإن تك قيس يا بن مروان بابت فقد وهلت قيس إليك من العذر
على غير إسلام ولا عن صبرة ولكنهم سيقوا إليك على صفر
ولما تبينا ضلالة مضعب فتحنا لأهل الشام باباً من النصر
وقد يقتبس من آي القرآن من ذلك قوله (٥) :

(فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) كأنهم من بقايا أمة ذهبوا
والآية (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) في سورة الأحقاف .

* * *

- (١) ديوان الأخطل ص ٢-٢ و ص ٢٠٤ .
- (٢) ديوان الأخطل ص ٢٦٤ .
- (٣) ديوان الأخطل ص ٢٦٠ .
- (٤) ديوان الأخطل ص ١٣٣ .
- (٥) ديوان الأخطل ص ٣٨ .

فنون شعره

أحسن الأخطل في المدح ووصف الخمر والنساء ووصف الثيرات والخمر الوحشية ؛ فلقد قيل : إن الأخطل أمدح العرب ، وسئل جرير عنه فقال : كان أشدنا اجتزاءً بالقليل وأنعمنا للخمر والخمر .

كان هوى الأخطل السيامي مع بني أمية يرى أنهم أحق قرش بالخلافة وأجدر العرب بالملك ، واتفق أن قبيلة قيس التي حاربت بني أمية أغارت على تغلب قبيلة الأخطل فكان من الطبيعي أن يكون الأخطل مع بني أمية بحكم مصلحة قبيلته ، يشيد بمدحهم ويحرضهم على أعدائهم ويرى أن نصرهم نصر لقبيلته ، كما أنه ينكر على كل من خرج عليهم كعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب ، فلا عجب إذا جوّد في مدحهم للأسباب التي مرّت ، ولأنه لقي من إحصائهم ما لا يمكن أن يلقاه من غيرهم .

كان الأخطل يمدح بني أمية بالشرف والكرم والحزم والقوة وشدة البطش في الحرب وسعة الحلم والعفو عند المقدرة ، وأنّ لهم حقاً في الخلافة أخذوه وقاتلوا دونه وحافظوا عليه بسيفهم ، مشيراً إلى أيامهم الكثيرة ووقائعهم العديدة في سبيل ذلك ، مدلاً بما لقبيلته من البلاء الحسن في نصرتهم قال ^(١) :

وقد نصرت أمير المؤمنين بنسا لما أتاك يبطن الغوطة الخبز
أضف الى ذلك الجود العميم وكثرة العطايا وإطعام الطعام وما إلى ذلك من الصفات التي اعتاد أهل البادية أن يمدحوا بها .

ولعل الأخطل لم يعتن بشيء من شعره كعتائنه بهذا الباب ، فلقد روي عنه أنه قال لعبد الملك : أمت في مدحتك « خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا » ^(٢) .

(١) ديوان الأخطل ص ١٠٥ .

(٢) ديوان الأخطل ص ٩٨ .

سنة . وشعره في المدح شديد الأمر قليل السقط حسن الديباجة شريف المعاني
واضحها مذهب منقح من ذلك قوله ^(١) :

فأله لم يرض عن آل الزبير ولا
بعاظمون أبا العاصي وهم نفر
بيض مصاليت أبناء الملك فلن
إن يحلوا عنك فالأحلام شيتهم
كانهم عند ذاك لم يلبس بينهم
كانوا موالي حتى يطلبون به
إن بك للحق أسباب يمد بها
هم سموا لابن عقان الإمام وهم
حرباً أصاب بني العوام جانبها ^(٢)
وقوله ^(٤) :

نفسى فداء أمير المؤمنين إذا
مفترش كافتراش الليث كللكه
في نبع من قريش يعصبون بها
محشد على الحق عيافو الخنا أنف
شمس العداوة حتى يستقاد لهم
لا يستقل ذوو الأضغان حريمهم
أبدى النواجذ يوماً عارم ذكرو
لوقعة كائن فيها له جزر
ما إن يوازي بأعلى نبتها الشجر
إذا أكت بهم مكروهة صبروا
وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا
ولا يبين في عيدانهم خور

(١) ديوان الأخطل ص ٣٨ .

(٢) التذب : الشوك والفتن .

(٣) كذا في الأصل ولعل الصواب « جاحها » والجاحم : الحجر الشديد الاشتغال
والجاحم من الحرب : معظمها وشدة القتل في معركتها يقال اصطلى فلان
بجاحم الحرب

(٤) ديوان الأخطل ص ١٠٣ .

'مُ' الذين يارون الرياح إذا
 بني أمية نَعَمَّاكُمْ مجلّة
 بني أمية قد ناضتْ دونكم
 أغمت عنكم بني النجار قد علمتْ
 حتى استكانوا وهم مني على مضض
 بني أمية إني ناصح لكم
 إن الضغينة تلقاها وإن قدمت
 وقوله ^(١) :

المنعمون بنو حرب وقد حَدَقَتْ
 قومٌ إذا حاربوا شدوا مآزرهم
 وقوله ^(٢) :

ونفسي تمنيني العراق وأهله
 أبوك أبو العاصي عليكم تعظفتْ
 أبي أن يكون التاج إلّا عليكم
 بكم أدرك الله البرية بعدما
 وقوله ^(٣) :

لا يسمع الجهلُ يجري في تدبيرهم
 تمتْ جدودهمُ والله فضلهم
 'مُ' الذين أجاب الله دعوتهم

(١) ديوان الأخطل ص ١١٩ .

(٢) ديوان الأخطل ص ١٢٢ .

(٣) هو بشر بن مروان ولام أخوه عبد الملك إمرة العراقين .

(٤) ديوان الأخطل ص ١٧٢ .

ليست تنال أكف الناس بسطمتهم وليس ينقض مكر الناس ما عقدوا
قوم إذا أنعموا كانت فواضلهم سيباً من الله لا من ولا حسد

* * *

أما وصفه الخمر فجيد بالغ ، سبق به جميع من تقدمه من الشعراء كالأعشى
وأبي محجن الثقفي ، وخلا له الجو في عصره لأن الشعراء الإسلاميين كالفرزدق
وجرير وكثير وذو الرمة لم يصفوا الخمر تخرجاً وتأمناً ، أما هو فقد كان مدمناً
لا يخرج من تماطيلها ووصفها لأنه نصراني بل كان يستعين بها على قرض الشعر
وإنشاده وأصبح وصفه لها أعظم خصائصه التي امتاز بها .

يصف الأخطل الخمر بدقة وبراعة واستقصاء ، فيصور يربقها وتوجهها في
الكأس ، وما يطفو على وجهها من الحب ، ويسمك هديرها وما يغور من
رشاشها ، ويصف رائحتها وطعمها وديبها في الأعضاء وما تبعثه في الشارب من
النشوة والأريحية . ويحلو له التحدث عنها والتفني بها فيسلسلها منذ كانت عناقيد
في الكرم على شاطئ الفرات ، وكيف تمهدا الأكرة بالسقي إلى أن قطفت
وعصرت وعقت في دنائها وطال عليها الأمد ونسج عليها العنكبوت وتعالى بها
التجار وتنافس بها المتنافسون فحملت إلى الأفطار النائية . ويتناول بالوصف
أيضاً زقاقها ودنانها وزجاجاتها وكؤوسها ويثفن في تصوير مجالسها وشرابها وما
فيها من قين وساق وشارب ملتخ ، ويعجبه بمجاجة وصف السكران والمربدين
في فتور أجفانهم ولججة أسننهم وتحاذل أعضائهم وإسرافهم على أنفسهم في معاقرة
الخمرة . ولقد لمج الأخطل بالخمر وما يتصل بها فذكرها في مناسبات شتى
في كثير من قصائده فتارة يفتتح بها ، وأخرى يشب إليها وثباً ، وطوراً
بذكر ما اعتراه من الدهول حين فارق أحبابه فيشبه نفسه بالشارب التل فيجد
مخرجاً للإفاسة بنعوتها ، وحيناً يفنخر بمعاطاتها مع ندمائهم وأصحابه ؛ كل ذلك
براعة فائقة وأسلوب أخاذ وتخييل جميل وتشبيه بديع وطبع مؤات ولعل إحسانه

في هذا الباب يفوق إحسانه في جميع الأبواب التي قال الشعر فيها ، والشواهد على ذلك كثيرة منها قوله ^(١) :

صريعٌ مدامٍ يرفع الشربُ رأسه
تهاديه أحياناً وحينئذٍ تجره
إذا رفعوا عضواً تحامل صدره
وجاءوا بيسانيفٍ هي بعدما
تمر بها الأيدي سفيحاً وبارحاً
وتوقف أحياناً فيفصل بيننا
فلقدت لمرتاح وطابت لشاربٍ
فما لبثتُنا نشوةً لحقت بنا
تدبُ ديباً في العظام كأنه
فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها
رَبَّتْ ورباً في حجرها ابن مدبنةٍ
إذا خاف من نجمٍ عليها ظهارةٍ

ليجيا وقد مانت عظامٌ ومفصلُ
وما كاد إلا بالحشاشة يعقلُ
وآخر مما نال منها مخجلُ
يُعلُّ بها الساقى الدُّ وأسهلُ
وتوضع باللهم سحيٌّ ومُحَمَّلُ
غناه مَقْنٍ أو شِواءٍ مرعبلُ
وراجعني منها مراحٌ وأخيلُ
توابعها مما نُعلُّ ونُهَلُ
ديبٌ نال في نقا بتميلُ
فأطيبُ بها مقتولةٌ حين نُقتلُ
يظل على مسحاته ينركلُ
أدبٌ إليها جدولاً بتسلسلُ

وقوله ^(٢) :

إذا ما ندمني علني ثم علني
جعلتُ أجر الدبل زهواً كأنني

وقوله ^(٣) :

وكأنَّ مثل عين الديك صرفٌ

(١) ديوان الأخطل ص ٢ .

(٢) ديوان الأخطل ص ١٥٤ .

(٣) ديوان الأخطل ص ٣٧١ .

إذا شرب الفتي منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشياً لا شك فيها وأرخی من مآزره الفضولا
وقوله (١) :

تري الزجاج ولم يُطَحَّثْ يطيف به كأنه من دم الأجواف مخضب
حتى إذا افتض ماء المزن عذرتها راح الزجاج وفي أوانه صَبْ
تنزو إذا تشبَّها بالماء مازجها تزو الجنادب في رمضاء تلتب
راحوا وهم يحسبون الأرض في فلك إن صرعوا وقت الراحة والركب

* * *

وما جؤد به الأخطل وصف الثيران والجر الوحشية فإنه يصورها صورةً
واضحةً متحركةً في أشكالها وألوانها ومسارحها ومراتمها ، ويصف صيدها وصفًا
دقيقًا فيريك معركةً حاميةً بينها وبين كلاب الصيد الضارية التي تطاردها ،
وكيف يهيج الثور فيكر عليها مستبلاً فينال منها بقرنيه ما ينال الفارس يرمحه
من خصمه ، الى ما هنالك من المشاهد المتتابعة في مثل تلك الوقائع . ولهذا
الصورة أثر عميق في مخيلة الأخطل فإنه كررها غير مرة في شعره ، وهي تشبه
كثيراً أو هي مأخوذة من الصورة التي رسمها النابغة الذبياني لثور الوحش في
قصيدته الرائية التي أولها :

عوجوا فحيوا لنعم دمت الدار ماذا تحيوت من نؤي وأحجار
والأخطل يرسم خطى النابغة في كثير من مناحي شعره . وإكثار الأخطل
من وصف الوحش أثر عميق من آثار البادية في نفسه ، ولغته في هذا الباب
أجزل ، وأسلوبه بدوي ، وقوافيه مكينة رصينة . من ذلك قوله (٢) :

(١) ديوان الأخطل ص ٣٧٨ .

(٢) ديوان الأخطل ص ١١٤ .

... فبات في جنب أرطاة تكفته ريح شامية هبت بأطار
 يجول ليلته والعين^(١) نضربه منها بغيث أجش الرعد تيار^(٢)
 إذا أراد بها التخميض أرفه سيل يدب يهدم الترب موار
 كأنه إذ أضاء البرق بهجته في أصفهانية^(٣) أو مصطي نار
 أما السراة فن ديباجة لهن^(٤) وبالقوائم مثل الوشم بالفسار
 حتى إذا انجذب عنه الليل وانكشفت سماءه عن أديم مضجر عار
 آنس^(٥) صوت قنيص إذ أحس بهم كالجن يهفون من جرم وأغار
 فانصاع كالكوكب الدرّي مبعته غضبان يخالط من متعج وإحزار
 فأرسلوهن يذرّين التراب كما يذري سباح فطن دف أوتار
 حتى إذا قلت نالته سوابقها وأرهقه بأنياب وأظفار
 أنحى اليمن عيناً غير غافلة وطمن محقر الأقوات كراء
 فعفر الضاربات الاحقات به عفر الغريب قداحاً بين أيسار

وكرر الأخطل هذه الصورة في عدة قصائد من شعره تجدها في ديوان
 الأخطل ص ١٣٨ و ص ١٦٩ و ص ٢٣٠ و ص ٢٦١ وكلها مأخوذة من
 الصورة التي رسمها النابغة الذبياني في قصيدته الرائية التي سبقت الإشارة إليها .
 أما البادية فإن روحها شائعة في جميع شعره ومع ذلك فقد خصها بالوصف
 في كثير من قصائده ولا عجب إذا جوّد فانه ابنها ، ومن شعره في وصف
 القطا في البادية قوله^(٦) :

(١) العين : السحاب .

(٢) التيار : الشديد الانصباب .

(٣) أي حلة أصفهانية .

(٤) أي شديد البياض .

(٥) الضمير من آنس للكلاب . ومن أحس لاثور . وقوله بهم : أي الصيادين من قبيلي

جرم وأغار .

(٦) ديوان الأخطل ص ٢٤٧ .

... على آجن. أبقت له الريح دمنة
إذا صدرت عنه حمام تركته
تراها إذا راحت رواء كأنها
تأدب زغباً بالفلاة تركنها
إذا نهتهم الروافد بالقوى
يفهم قيطي الفراخ كأنما
ثنين عليه الريش حتى تلاحقت
فطارت شلالاً وأبذعرت كأنها
وتناول بالوصف السفن التي كان يراها بالفرات فقال ^(٤) :

يفارقن الخلبط على سفين
تري الملاح محتجراً بليف
إذا التبان قلص عن مشيح
بمعج الماء تحت مسخرات
بعمن على كلا كان فيه
وإما اضطهرن إلى مضيق
تتابع صرمة الوحدي تأوي
دجن بحيث تنسغ ^(٥) المطايا
إذا ألقوا مراسيم حلوا

يشق بين أمواجاً صعباً
يؤم بين آجاماً وغاباً
صدفن ولم يردن له عتاباً
يصك القار والخشب الصلاباً
ولو يزجي إليه الفيل هاباً
وموج الماء يطرد الحباباً
لأولاهها إذا الراعي أهاباً
فلا بقاً يخفن ولا ذباباً
ديب السبي يبتدر النقباب ^(٦)

* * *

- (١) الختم : الجرار الحضر .
- (٢) يريله « قبضا » والقبض قشر البيض .
- (٣) طارت شلالاً : أي متفرقة . وأبذعرت : أسرع في تفريقها . وشع : أي تفرق هارباً .
- (٤) ديوان الأخطل ص ٥٢ .
- (٥) تنسغ : تتباعد .
- (٦) النقباب : الطاريق في القلظ .

وللأخطل في الهجاء قدم راسخة شبّ عليه واكتهل وشاب وكان من أول ما قال من الشعر وهو صبي إذ هجا كعب بن جعيل شاعراً تغلب فقال :

سُمِّيتَ كعباً بشراً العظام وكان أبوك يسمى الجمل
وإنّ محلك من وائل محل القراد من أمت الجمل

وبالهجاء نال الخطوة عند يزيد بن معاوية ، إذ هجا له الأنصار ، ثم عند خلفاء بني أمية بهجائه خصومهم . وهو أحد الشعراء الذين طالت ألسنتهم وجعلوا الهجاء من أهم أبواب الشعر وأمضى سلاح يتخذه الشاعر في كل أغراضه ، واقد لج الهجاء بينه وبين جرير زمناً طويلاً ، وكان من قادة جيش الشعراء الجرار الذين هاجموا جريراً بهجائهم فظهر عليهم جرير وانهمزوا أمامه ولم يثبت له منهم إلا الفرزدق والأخطل ولم يكف لسانها عنه إلا الموت . وسبب تهاجي جرير والأخطل أن الأخطل سمع بالضجة التي كانت قائمة حول الفرزدق وجرير وتهاجيهما واتفاق الناس على تقديمها واختلافهم في أيهما أشعر وروايتهم لتناقضها ، فقال لابنه مالك وهو أكبر ولده انحدر الى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما ، فانحدر مالك حتى لقيهما وسمع منهما ثم أتى أباه ، فقال له كيف وجدتهما ؟ قال وجدت جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر . فقال الأخطل : الذي يغرف من بحر أشعرهما ، وقال بفضل جريراً على الفرزدق ^(١) :

إني قضيت قضاءً غير ذي جنفٍ لما سمعت ولما جاءني الخبرُ
أنّ الفرزدق قد شات نعامه وعصّه حيةً من قومه ذكر

فلما قدم الأخطل على بشر بن مروان في الكوفة بعث إليه قوم الفرزدق بهدايا وقالوا له : لا تمن على شاعرنا ، واهج هذا الكلب الذي يهجو بني دارم ،

فإني قد قضيت على صاحبنا ، فقل أياتاً واقض لصاحبنا عليه فقال الأخطل
فصيدة أولها ^(١) :

أجرير إنك والذي نسحو له كاسيفه نقرت بجديج حصان
وقال جرير يرد حكومة الأخطل في فصيدة طويلة أولها :
لمن الديار يبرقة الرياح إذ لا ينبع زماننا بزمان
وهي طويلة يقول فيها :

ياذا الغداة إن بشرآ قد قضى أن لا تجوز حكومة النشوان
ثم استطار بينها الهجاء :

وروى صاحب الأغاني « أن رجلاً من بني شيبان جاء الى الأخطل فقال له :
إنا وإن كنا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتصال الحرب والعداوة تجمعنا
ربعة ، وإن لك عندي نصحاً ؟ فقال هاته فما كذبت ؟ فقال إنك قد هجوت
جريراً ودخات بينه وبين الفرزدق وأنت غني عن ذلك ، ولا سيما أنه يبسط
لسانه بما ينقبض عنه لسانك ، ويسب ربعة سباً لا تقدر على صب مضر بمثله ،
والملك فيهم والنبوة قبله ، فلو شئت أمسكت عن مشاركته ومهارته . فقال صدقت
في نصحك ، وعرفت مرادك ، وصلتك رحم ، فوالصليب والقربان لا تخلص
الى كليب خاصة دون مضر بما يلبسهم خزبه ويشملهم عاره ، ثم اعلم ان العالم
بالشعر لا يبالي وحق الصليب إذا مرّ به البيت العائر السائر الجيد أمسلم قاله
أم نصراني » .

وهكذا كان فقد تخلص إلى كليب دون أن يمس مضر فاجتمع من تنهاجيهما
نقائض طبعتم في ديوان على حدة .

وهجاء الأخطل على قلة إقذاعه وضيق مضطربه مرّ لا ذع ، هجا قديماً وفيس

من مضر ومن مضر قريش وفيهم النبوة والخلافة فتصرف تصرف حاذق لبك
وبلغ ما أراد ، وهجا جريراً ونحاز إلى الفرزدق ، وجرير ابن عم الفرزدق كلاهما
تمنحي من مضر . وكان جرير يستبيح من هنك حرمة الأخطل ما لا يستبيحه
الأخطل في الرد عليه ، ومع ذلك فقد أحسن التصرف وثبت ولم يتقهقر .
وطريقته في الهجاء أن يقذف المهجو وبنال منه ، وبذكر مخازي قبيلته ويرميها
باللؤم والجبن والشح وسقوط المروءة والدناءة ، ويعيرها الأيام التي كانت عليها ،
وقد بنال من نساء القبيلة فيعلمن قبيحات قذرات غير مصونات ، ويتخذ لذلك
صوراً فيها حذق وفن ، ويستعين بالتهكم والسخرية ، ويختلق المعاييب والمسايي ،
والتقائص والمثالب ، وتراء إلى جنب ذلك يعلو بالفخر بقبيلته ، فينوه بآسائها
ويشيد بفضائلها وينسب إليها كل مكرومة ، ويوازن بينها وبين قبيلة المهجو
— والميزان بيده — فتراجع الأولى وتشيل الثانية ، والأمثلة على ذلك كثيرة
منها قوله ^(١) :

أما كليب بن يراوع فليس لهم	عند التفارط ^(٢) إيراد ولا صدر
مخلفون ويقضي الناس أمرهم	وهم بغيب وفي عمية ما شعروا
بئس الصحاة وبئس الشرب شرهم	إذا جرى فيهم المزا والسكر
قوم أنابت إليهم كل مخزبة	وكل فاحشة سببت بها مضر
الآن تكون خبيث الزاد وحدهم	والسائلون بظهر الغيب ما ظهروا
ثم الإياب إلى سود مداسة	ما تستحم إذا ما احتكت النقر
وأقسم الحمد حقاً لا يحالفهم	حتى يحالف بطن الراحة الشعر

(١) ديوان الأخطل ص ١٠٩ .

(٢) التفارط : التقدم في طلب الماء .

وقوله ^(١) :

ما زال فينا رباطُ الخيل مُعَلِّمَةً وفي كليبٍ رباطُ الدلِّ والعارِ
النازلين بدارِ الدلِّ إنْ نزلوا وتُسَنِّجُ كليبٌ مَحْرَمَ الجارِ
والظاعنين على أهواءِ نسوتهم وما لهم من قديمٍ غيرِ أعيارِ ^(٢)
قومٍ إذا استنبح الأضيافُ كلبُهم قالوا لأهمهم بولي على النارِ
لا يثأروُنَ بقتلهم إذا قُتِلوا ولا يكرُّونَ يوماً عندَ إجمارِ ^(٣)
ولا يزالون سَتْسَى في بيوتهم يسمعون من بين ملهوفٍ وفَرَارِ

ومثل هذا المجهاء تجده في ص ٥٠ و ٨٩ و ٢٧٣ و ٢٧٥ من ديوانه ، وفي بعضه ينتصر للفرزدق فيمدح قبيلته مغايضةً للجرير .

ومما يجب التنبيه إليه أن الأخطل من أقل الشعراء المهجائين إقذاعاً في العصر الأموي حتى قال هو عن نفسه : « ما هجوتُ أحداً قط بما تستحي العذراء أن تنشده أباهما » وقال عمر بن شبة : « كان الأخطل أخبثهم هجاءً في عفاف عن الفحش » فوقر في النفوس أن الأخطل لا يقدح ولا يفحش في هجائه ، ولكن الواقع أنه أقل إقذاعاً وإفحاشاً من غيره ، ومن هجائه الذي تستحي العذراء وغير العذراء أن تنشده قوله ^(٤) :

فلا تدخلُ بيوتَ بني كليبٍ ولا تقربُ لهم أبداً رجلاً
تري منها لوامعَ مُبرقاتٍ بكدن (بنان) ^(٥) بالحدق الرجالا
قصيرات الخطى عن كل خيرٍ إلى السواتِ مسمحةً رجلاً

(١) ديوان الأخطل ص ٢٢٤ .

(٢) الأعيار : جمع عار .

(٣) الإجمار : الإلجام والاضطراب .

(٤) ديوان الأخطل ص ١٦٥ .

(٥) حذفنا شكاة السكاف من هذه السكامة .

وقوله ^(١) :

خفافس أدلجت لمبيت سوء ورثن فراش زانية وزان
وما أم ربوت على يديها بطاهرة الثياب ولا حصان
كان عجائبها لحيا جزور تحسر عنها وضر الجران

وقوله ^(٢) :

وما تركت أسيا فنا حين جرّدت لا عدائنا فيس بن عيلان من عذر
وقد عرّكت بابني دُخان فأصبها إذا ما أحرألاً ^(٣) مثل باقية البظر

وقوله يهجو امرأة من قومه هجته اسمها الدلاء ^(٤) :

ألا أبلغ أبا الدلاء عني بأن سنات شاعر كم قصير
فإن يطمع فليس بذئ غناء وإن يطمع فطمعه يسير
منى ما ألقه ومعى صلاحه يخرّ على قفاه لا يحير

وقوله ^(٥) :

هجاني المننات أبنا جُعيل هجائي الناس بقتله الهجاء
ولدت بعد إخوانكم من أمّته فهلاً جئتم من حيث جاءوا

وقال له كعب بن جعيل ^(٦) :

« ويلٌ لهذا الوجه غب الجمه »

فقال الأخطل :

« فقال ^(٧) كعب بن جعيل أمه »

(١) ديوان الأخطل ص ١٩٢ .

(٢) ديوان الأخطل ص ١٣٢ .

(٣) أحزأل : ارتفع .

(٤) الأغاني ج ٧ ص ١٧١ .

(٥) الأغاني ج ٧ ص ١٦٢ .

(٦) خزانة الأدب للبندادي ج ١ ص ٢٢٠ .

(٧) حذف همزة الكاف .

وهناك أمثلة أخرى من هذا النوع تجددها في ديوانه ص ١٦٦ و ٢٨٦ و ٣١٩ .

* * *

والأخطل غزل عذب يفتح به كثيراً من قصائده ، وهو غزل بنم يحمله على نفس مرحة طروية مبالغة إلى اللهو والصبوة ، خبيرة بأخلاق الغواني وأهوائهن ؛ والأخطل في نسبه ونشأته يكشف الغطاء عن كيد النساء ويحل طلاسم سحرهن ويدل على حباثلن شأن من طالت صحبته لمن فقتلن علماء كما قتلته حبا ؛ وهو إلى ذلك مدل بشبابه وسيلته إلين وشفيعة عندهن ، فإذا جلله الشيب وأصبح يوقر ولا يحب — وهو القائل :

وإذا دعوتك عمه فانه نسب يزدك عندهن خبالا —
استعاد ذكربانه العذبة الشجية بنفحة ملوذة تحسراً وتلهفاً . ومن جيد غزله قوله ^(١) :

ما إن رأيت كمكرهن إذا جرى	فينا ولا تجالهن خبالا
المهديات لمن هوين مسبة	والمحسنات لمن قلبن مقالا
إن الغواني إن رأيتك طاوبا	برد الشباب طوين عنك وصالا
وإذا وعدتك نائلا خلفته	ووجدت عند عدائهن مطاللا

وقوله ^(٢) :

وإذا هممن بغدرة أزعمتها	خلفاً فليس وصالحن بدوم
ورأين أني قد علتي كبرة	فالوجه فيه تضعر وسهوم
وطوين ثوب بشاشة أبلينه	فلمن منك همامس وموم
ولقد يكنن إلي صوراً امرأة	أيام لون غدائري يخموم
ولقد أكون من الفتاة بمنزل	فأيت لا حرج ولا محروم

(١) ديوان الأخطل ص ٤٢ .

(٢) ديوان الأخطل ص ٨٣ .

وقوله (١) :

يُبرقن بالقوم حتى يمتلئهم
يا قاتل الله وصل الغائب إذا
أعرضن لما حنى قومي موثرها
ما يرعوين إلى داعٍ لحاجته
ورأين ضعيف حين يُجَنَّبَرُ
أيقن أنك ممن قد زها الكبرُ
وأبيض بعد سواد اللمة الشعر
ولا لمن إلى ذي شيبة وطر

وقوله (٢) :

وقد أكون عميد الشرب نُسَمِنَا
من القيان هتوف طالما ركبتُ
فبان مني شبابي بعد لذه
إذ لا أطاوع أمر العاذلات ولا
تجاء نسمع في ترجيعها صحلا
بفتية يشتهون اللهو والغزلا
كأنما كان ضيفا نازلا رحلا
أبقي على المال إن ذو حاجة سالا

وقوله (٣) :

وقد أحدث أروى وهي خالية
ليست تدأوبك من داء تخامره
كأن فارة مسك غار تاجرها
على مقبل أروى أو مشعشة
فلا الحديث شفانها ولا النظرُ
أروى ولا أنت مما عنده تقرُ
حتى اشتراها بأغلى سعرها التجيرُ
يعالو الزجاجة منها كوكب خصرُ
ومثل ذلك أبيات تجدها في ديوانه ص ١٤٦ وله قصيدة قسمها بين الغزل
والفخر أولها :

طرق الكرى بالغائب وربما
طرق الكرى منهن بالاهوال
ذكر بها الطيف ووصف محاسن محبوبته وصفا حسنا تجدها في الديوان ص ٣٢٢ .

* * *

(١) ديوان الأخطل ص ٩٩ .

(٢) ديوان الأخطل ص ١٤٢ .

(٣) ديوان الأخطل ص ٢٥٢ .

والأخطل فخور بنفسه ولكنه بقبيلته أشد فخرآ ، وله شعر في الفخر غير قليل ولا سيما في النقائض ، فقد كان يهجو جريراً ويرمي قبيلته بكل نقیصة ، وبدعي كل مكرمة لتغلب فيفتخر بكرم أصلها وشدة بأسها ، ويذكر أياها ووفائهما في العرب وقد سبقت الإشارة الى ذلك . ومن فخره قوله ^(١) :

ونحن رفعتنا عن سُلُولِ رماحنا وعمداً رغبتنا عن دماء بني نصر
ولما تبنينا ضلالةً مُصْعَبٍ فنجنا لأهل الشام باباً من النصر
سمونا بعمرنين أشم وعارض لنمنح ما بين العراق الى البشر
فأصبح ما بين العراق ومنبج لتغلب تردى بالدينية السمر
ولم يرو عنه في الرثاء إلا أربعة أبيات رثى بها يزيد بن معاوية . وله في الأدب والحكمة أبيات سارت مسير المثل لصحة معانيها وحسن سبكها ولكنها قليلة منها قوله ^(٢) :

والناس مهممُ الحياة وما أرى طول الحياة يزيد غير خبال
وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال
وقوله ^(٣) :

وإن امرأ لا ينتمي عن غواية إذا ما اشتتها نفسه للجوول
وقوله ^(٤) :

لن يرجع الشيبُ شاباً ولن يجودا
إن الشباب لمحمودٍ بشاشته
عدلَ الشباب لهم ما أورد العودُ
والشيبُ منهرفٌ عنه ومصدود

(١) ديوان الأخطل ص ١٣٢ .

(٢) ديوان الأخطل ص ١٥٨ .

(٣) ديوان الأخطل ص ٢٥٨ .

(٤) ديوان الأخطل ص ١٤٧ .

وقوله (١) :

حتى استكانوا وهم مني على مضضٍ والقول ينفذ ما لا تنفذ الأبر
إن الضغينة تلقاها وإن قدمت كالأمر يكن حيناً ثم ينتشر

* * *

وبعد فالتائع المنعارف أن الأخطل مع الفرزدق وجريز طبقة واحدة ، وأنهم
أشعر الإسلاميين ، ولكل واحد من هؤلاء جماعة يقدمونه ويتعصبون له . ولكن
هناك جماعة من النقاد يرون أن الأخطل دون الفرزدق وجريز ولا يقرنونه بها ،
ويقولون إن قبيلة الأخطل رفعت من شأنه وأزله فوق منزلته لقلة الفحول من
الشعراء فيها ، وقديماً عرفت تغلب بالإفراط بتنجيد شعرائها كما فعلت بعمر
ابن كلثوم قبل الأخطل فروت قصيدته التي أولها :

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

وتناشدها وتغنى بها كبار التغليبين وصغارهم حتى هجوا بذلك وقيل فيهم :

ألمى بني تغلب عن كل مكرمة فصيده قالمها عمرو بن كلثوم
يروونها أبداً مذ كانت أولم بالرجال لشعر غدير مسثوم

وبدل على قلة الفحول في تغلب قول الفرزدق بعد أن مات صديقه الأخطل (٢) :

أمسى لتغلب من تميم شاعرٌ يرمي القبائل بالقصيد الأثقل
إذ غاب كعب بني جُعيلٍ عنهم وتنمر الشعراء بعد الأخطل
ينباشرون بموته ووراءهم مني لهم قطع العذاب المارسل

(١) ديوان الأخطل ص ١٠٥ .

(٢) ديوان الفرزدق ٢ / ٧٠٨ .

وروى المرباني في الموشح ص ١٣٨ عن بشار بن برد أنه قال :
 « والله ما كان الأخطل مثل جرير والفرزدق ، ولكنها كانا من مضر ،
 فكهرت ربيعة ألا يكون منها مثاها فتعصبت له ورفعت منه » .
 وقال صاحب الأغاني ^(١) : « والفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو
 وجرير والأخطل ، فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينها وبين الأخطل
 لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر ، ولا له مثل ما لهما من فنونه ، ولا تصرف
 كنصرفها في سائر ، وزعموا أن ربيعة أفطت فيه حتى ألحقته بها » .

خليل مردم بك



بدء الأدب الحديث

إذا لم يبلغ الأدب في القرن الثامن عشر ما بلغه في القرن التاسع عشر من القوة والنضج فليس معنى هذا أن القرن الثامن عشر لم يظهر فيه نثر أو شعر فالجبرتي مثلاً صاحب التاريخ المشهور ولد في منتصف القرن الثامن عشر وفي لبنان والشام وربما في غيرهما من بلاد العرب كالعراق ونحوه ظهر شيء من الشعر ولكن من الثابت أن هذا كله كان ضعيفاً فالشعر كان أكثره في تهينة أو رثاء أو مدح أو في بعض الوصف ، تكاد الشاعرية تموت فيه وتغلب عليه صنعة لفظية .

وقد يكون من جملة الأسباب في ضعف الأدب في تلك الأيام بحسب رأي بعض المؤرخين قلة المدارس على أنه قد نشأت كتائب ومدارس صغيرة في الشام أو لبنان أما في مصر فقد كان فيها الأزهر ولكن الكتب التي كانت تدرس فيه كانت تجوز في العقائد والتوحيد والتصوف والنحو والصرف فالأدب على الشكل الذي نفهمه اليوم لم يكن له ظل .

وكما كانت المدارس قليلة كانت الكتب قليلة فالخطوط كانت بدلاً من المطبوعات لأن المطابع لم تكثر إلا في القرن التاسع عشر ولما جاء نابليون مصر جاء بأدوات مطبعية ولكنها لم تطبع كتباً ذات شأن .

على الرغم من ضعف الأدب وقلة المدارس والكتب ظهر كتاب في دواوين الحكومات في مصر والشام ولبنان كانوا يتولون الإنشاء على أيام الجزائر والأمير الشهابي ومحمد علي وابنه إبراهيم .

متى نشأ الأدب الحديث ؟

نشهد في هذا العصر حيرة في تحديد أولية الأدب الحديث لا بدء من الإشارة إليها قبل التعرض للموضوع .

سبب بنا قريباً أن الأدب الحديث وفقاً لما قرره طائفة من المؤرخين ظهر بظهور نابليون في مصر أي في آخر القرن الثامن عشر وأول القرن التاسع عشر ولكن بعض المفكرين لم يروا للنابليون فضلاً في ذلك وإنما ردوا الفضل كله في بدء الأدب الحديث إلى محمد علي وحده ، ثم وقع الانقلاب الأخير في مصر وحدثت النقمة على محمد علي وأمرته فنزعت بعض الأقلام إلى تصوير محمد علي في أفصح صورة بحيث جعلوه لافضل له في النهضة الحديثة وعلى هذا نكاد نضيع في مهاب مختلفة من الآراء على انا ستعالج موضوعنا في عزلة عن هذه المهاب على قدر الامكان .

نرجع الى سؤالنا : متى نشأ الأدب الحديث ؟

ليس الجواب عن ذلك بسيط لأن الأدب الحديث نما في بيئات مختلفة نما في مصر ولبنان والشام والحجاز واليمن والعراق ، هذا اذا جاوزنا افريقية فليس من المهن الا حاطة ببلاد الأدب في هذه البلاد كلها على أن النهضة بدأت في الشام ولبنان ومصر على نحو ما ذكره جرجي زيدان وامتدت منها الى سائر الأطراف ، ففي كل بقعة من هذه البقاع آثار من الأدب في النثر والشعر ولكن ليس من اليسير الكلام على هذه الآثار كلها ففي بعضها تموزنا أمور كثيرة نعيننا على التوضيح وكيف كانت الحال لا بدء قبل الشروع في دراسة الأدب الحديث من معرفة أوليته .

اعتاد أصحاب التاريخ الأدبي أن ينطلقوا في تحديد تاريخهم من أمر معين قد يكون هذا الأمر في بعض الأحوال ظهور دين جديد ، فاذا رجعنا الى

أدبنا القديم وجدنا أن ظهور الإسلام كان بدء أدب جديد في العرب
قال ابن فارس في كتابه الصحابي :

« كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم
ونسائلكهم وقرابينهم فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت
ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع الى مواضع أخر بزيادات
زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت ففنى الآخر الأول » .

من هذا يتبين لنا أن الإسلام نقل العرب من حال الى حال ، نقل تفكيرهم
وشعورهم وعواطفهم وعاداتهم وأخلاقهم فحلب لهم تفكيراً جديداً وشعوراً جديداً
وعواطف جديدة وعادات جديدة وأخلاقاً جديدة فكان لا بد لهذه الحياة
من صيغ تفرغ فيها صورها ، هذه الصيغ الحديثة كانت بدء أدب حديث
في العرب .

قد يكون هذا الأمر أظهر الأمور في تاريخ أدبنا واذا شئنا أن نبحث
عن أمور ثانية وجدنا في حرب العرب والروم على أيام سيف الدولة بدءاً لنزعة
جديدة في الأدب وان كان المؤرخون لا يبالون كثيراً في تاريخهم بهذه النزعة
التي صبغت حرب العرب والروم بصباغ ديني ظهر منه أثر قليل على شعر الشعراء
الذين أحاطوا بسيف الدولة ولكن الأثر الواضح الذي ظهر على شعر أولئك
الشعراء إنما هو الصباغ القومي فكانت كلمة العرب تملأ الشعر الذي قيل في تلك
الحروب وفي سيف الدولة نفسه فهذا الصباغ القومي قد يجوز أن يكون نزعة
جديدة من نزعات أدبنا القديم . وربما كانت حرب صلاح الدين والصليبيين
أظهر أثراً في الشعر من حرب سيف الدولة والروم فيصح الرجوع الى الشعراء
الذين عاشوا على أيام صلاح الدين حتى نرى على شعرهم آثار تلك الحرب .
أقد عمدت الى هذا المثل على ضعفه ولكني اذا عمدت الى أمثال ثانية
كانت بدء أدب جديد في تاريخنا وجدت منها أشياء كثيرة فقد تعودنا أن

نقسم عصور أدبنا القديم بحسب دولنا القديمة مثل دولة بني أمية ودولة بني العباس وان كانت الاعتراضات وردت على هذا التقسيم .

وإذا انتقلنا من أدبنا الى أدب آخر وجدنا أن المؤرخين يقسمون هذا الأدب أقساماً مختلفة بحسب نزعات خاصة فالأدب الذي ظهر في فرنسا في القرن السابع عشر كان طابعه العقل فالعقل كان له في الأدب السلطان الأكبر فكانت غلبة الكاتب أو الشاعر الإفصاح عن الحقيقة الخلقية . هذه النزعة كانت في الأدب الفرنسي بدء أدب حديث اصطلاحوا على تسميته الأدب المدرسي ولكن معناه يحملنا على تسميته أدب العقل .

لا ينبغي أن يستنتج من ذلك ان كل انقلاب في السياسة أو في الاجتماع أو في الدين أو في غير مظهر من مظاهر الحياة يصح أن يكون بدء أفق من الآفاق الأدبية فإذا أدى هذا الانقلاب الى أفكار جديدة وعواطف جديدة وشعور جديد تستلزم صيغاً جديدة غير الصيغ التي كانت مألوفاً قبل الانقلاب كان الانقلاب بدء أفق جديد ولكنه إذا كان متمماً للحياة التي كانت قبله ولم يحدث فيه حادث فلا معنى لجملة بدء أفق جديد ، فإذا فرضنا أن شعراء دولة بني العباس استمروا في شعرهم في النقي بما كان يتغنى به شعراء دولة بني أمية فلا يصح أن تكون دولة بني العباس بدء عهد جديد في الأدب ولكن اذا شهدنا أن النزعة القومية ضعفت في عهدها وكثرت الشعبية وكثر النقي بآثار الفرس والطن على العرب لزمنا أن نعتبر الدولة العباسية بدء عهد جديد لأن الشعر العربي دخلته في عهدها صيغ جديدة لم يكن لها أثر في الماضي .

لا نريد أن نتبسط في المقدمة وضرب الأمثال وانما نريد الوصول الى بدء أدبنا الحديث . أين بدء هذا الأدب في تواريخ أدبنا الحديث ؟

من هذه التواريخ تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر للأب لويس شيخو اليسوعي ، اعترف المؤلف في مقدمة مؤلفه بأن اللغة العربية ليس لها تاريخ

أدبي حتى أحسّ هذا الأمر فئة من المستشرقين في فرنسا وألمانيا وإنكلترا وروسيا وإيطاليا فآلفوا بعض التآليف أودعوها وصف العلوم العربية وتراجم أصحابها وقائمة كتبهم التي صنفوها ولكن هذا كله لا يفتي عن تاريخ الأدب شيئاً فان هذه التآليف كلها لبست إلا بواكبر أعمال .

كتب الأب لويس شينو في مجلة المشرق فصولاً في الآداب العربية في القرن الأخير تمهيداً لمن تحدّثه نفسه بوضع تاريخ أدبي وجمع هذه الفصول في كتاب مستقل كان تاريخ الآداب العربية من أول القرن التاسع عشر حتى ١٨٧٠ . لم أجد في هذا التاريخ إشارة الى انقلاب كان بدء الأدب الحديث وانما قال صاحبه : وراجت أسواق العلوم بعد كسادها حتى بلغت ما نراه اليوم من أمرها في ظل الذات الشاهانية أيد الله شوكتها .

أشار الأب شينو في بدء تاريخه الى الكتب والمخطوطات والمطابع في أول القرن التاسع عشر والى المنشئين في دواوين ولادة الدولة العثمانية في بلاد العرب والى بعض طوائف النصارى وتكلم على الآداب العربية في أوروبا في بدء القرن التاسع عشر .

ثم رجع الى تفصيل الكلام على الأدب الحديث في أول القرن التاسع عشر فقال : كان افتتاح القرن التاسع عشر في أيام السلطان الغازي سليم خان الثالث . ثم تكلم على مصر في عهد محمد علي وعلى بعض الأدباء في غير مصر بصورة مختصرة ثم ذكر شيئاً من تراجمهم وآثارهم .

هذا شيء مجمل مما ذكره الأب لويس شينو اليسوعي في تاريخه : الآداب العربية في القرن التاسع عشر وإذا دخلنا في التفاصيل وجدنا أنه زاد في تاريخه ان دراسة اللغات الشرقية قوبت في أوروبا من القرن الثاني عشر حتى عظمت حركة المستشرقين على نوالي السنين كما عظمت حركة الجمعيات الآسيوية وفي أوائل القرن التاسع عشر طبعت كتب عربية في الآستانه ومصر وأكبر الذين

اشتهروا في تلك الأيام لم يتعلموا في مدارس منظمة بل نبغوا لتحصيهم الخاص مهتدين بفتة من كتاب الدواوين .

أما جرجي زيدان فقد تكلم في تاريخه على العرب قبل بدء الأدب الحديث تكلم على العرب في مصر وسورية وذكر طائفة من الأدباء ثم انتقل الى الكلام على بدء الأدب الحديث فجعل هذا البدء سنة ١٧٩٨ وهي السنة التي دخل فيها نابليون مصر فقال في جملة ما قال : إن أبرز مظهر هذه النهضة تأثير أوروبية في هذا العصر .

إذا اهتمنا بما جاء في تاريخ جرجي زيدان من الكلام على المكتبات بـ بدء أدبنا الحديث وعلى المجالات والجرائد والجمعيات والتمثيل والموسيقى وغير ذلك نجد بنا أن نهتم بالأدب ، شعره ونثره ، فقد أحصى زيدان في تاريخه فريقاً من الشعراء في مصر وسورية ولبنان وحتى في تونس وأتى على ذكر بعض الأدباء . لقد نجد في هذا التاريخ بعض نظرات عامة في الأدب الحديث وبعض تراجم مختصرة ولا تخلو هذه النظرات في بعض الأحيان من شيء من الصواب فإذا تكلم زيدان على الإنشاء وأشار الى ميل الكتاب الى السجع والبديع في أواخر العصر العثماني تكلم بعد ذلك على تأثير حضارة الغرب في الإنشاء فأشار الى ما كان للطبيعيات والرياضيات من تأثير في تعديل ميل المنشئين الى السجع والبديع وترغيبهم في مجرد الحقيقة ولم يغفل عن الإشارة الى تحدي الكتاب لـ صالبي الباغاء من المتقدمين مثل ابن المقفع والجاحظ .

ونجد في كتاب صدير ألفه الياس أبو شبكة سماه «روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجية» إشارة الى بدء أدبنا الحديث في مصر وسورية قال المؤلف : « جاء نابليون الى مصر في العام ١٧٩٨ وفي نفسه من الشوق الى نفص غبار القرون عن موطن الفراعنة ما فيها الى فتح طريق الهند وكان في ركابه طائفة من العلماء الأعلام كـونج وبرنوله وفوربه فما كاد يفتح القاهرة حتى أنشأ فيها

مؤسسة علمية ولى ادارتها جماعة من العلماء الدين رافقوه في حملته وكان عددهم مئة وثلاثة وأربعين بينهم العالم والأديب والفنان والطابع .

أما بدء أدبنا الحديث في سورية فقد قال فيه أبو شبكة : « وان بكرن بونابرت قد فشل في فتح سورية فقد تولى هذا الفتح مكانه أعلام الفرنسيين من رجال الأدب والعلم فمن ذلك الاحتكاك الجديد بين الشرق والغرب نشأ في نفوس أدباء فرنسا وشعرائها شوق ملح الى زيارة الشرق وعلى أثره نشطت حركة الرسائل التي كان لها الفضل الأكبر في تحويل الشرقيين الى منابع الثقافة الفرنسية » .

فهذا كلام واضح يدلنا على أن صاحبه جعل بدء الأدب الحديث في مصر دخول نابليون مصر وجعل بدء الأدب الحديث في سورية انتشار البعثات الغربية فيها .

أما جرجي زيدان فقد قال في النهضة في سورية :

« لكن نوراً ضئيلاً ظهر في سورية في أواخر القرن السابع عشر على أثر قدوم الإرساليات الدينية وانتشار الرهبنة الكاثوليكية » .

وقد نبغ في القرنين الأخيرين قبل هذه النهضة طبقة من العلماء أكثرهم من رجال الاكليروس واشتغل قسم منهم بالأدب واللغة والتاريخ .

على هذا الوجه يختلف بدء الأدب الحديث في سورية عن بدئه في مصر . هذا على وجه الإجمال ما يتصل بأولية الأدب الحديث فليس في الآراء التي بسطناها في بدء هذا الأدب شيء من الشطط ، فالذين يقولون ان الأدب الحديث نشأ قبل دخول نابليون مصر لا ينحرفون عن الحق الا أن الأدب كان ضعيفاً في شعره ونثره والذين يقولون ان دخول نابليون مصر كان فاتحة الأدب الحديث لا يقولون شططاً فان نابليون مهد في مصر سبيلاً الى تفتيح العقول على الرغم من أن غايته كانت الاستعمار فان مجيء العلماء معه قد أبقى

آثاراً في نواحي الفكر وإذا قلنا ان هذه الآثار قد انبسطت في زمن محمد علي قلنا حقاً لأن مصر اتصلت بالغرب عن طريق البعثات والرحلات .

والخلاصة ان لاتصال الشرق بالغرب في أوائل القرن التاسع عشر وانشوء المدارس الأجنبية في سورية ولبنان فضلاً عظمياً في استفادة العقول من مراقدها فقد أنشئت الجامعة الأميركية في بيروت ثم الجامعة اليسوعية كما أنشئت مدارس وطنية وأجنبية وكثرت الجرائد والمجلات وفي مقدمتها المقتطف فقد ظهرت هذه المجلة العظيمة أول الأمر في بيروت ثم ضعفت حرية الرأي فنقلها أصحابها الى مصر وقد كان لها فضل عظيم في بلاد العرب من حيث تفتيح العقول والتمهيد لموضوعات العلم فقد كان أصحابها يبسطون العلم ويعممونه ، كانوا يلجأون الى أدق المباحث العلمية أو المحاضرات التي تلقى في الغرب فيلخصونها بأسلوبهم العلمي السهل حتى تستقر في أذهان الناس والذين كانوا يطالعون المقتطف في تلك السنين كانوا خاصة الخاصة .

في القرن التاسع عشر اختم الأدب والشعر والنثر وظهر كتاب كبار وشعراء كبار في مصر ولبنان وسورية أما في مصر فقد عنوا في صدر النهضة بالعريب فنقلوا فئة من كتب الغرب الى لغة العرب ودرّسوها في المدارس وبعد أن نشأت الثورة العراقية في غضون القرن التاسع عشر كثرت في مصر المدارس الأجنبية والمجلات والجرائد والمطابع وطبعت كتب اللغة والتاريخ والأدب ودخل على الأزهر كثير من الإصلاح .

وكذلك في لبنان وسورية فقد كثرت المدارس الأجنبية وعكف الأدباء على اللغتين الفرنسية والانكليزية واقتبسوا عن أدبها فنقلت الى العربية روايات من القرن السابع عشر الفرنسي وانطلقت الأقلام في موضوعات الاجتماع فكتب الكتاب في الحرية والأخلاق وتعليم المرأة والقومية وغير ذلك ثم رحل فئة من رجال الأدب والفكر الى أوروبا فاشتد اتصال الشرق والغرب واطلع

كتاب الشرق على أخلاق بعض أمم أوروبة وعلى عاداتهم وأطوارهم وما كلفهم ومشاربهم وقابلوا بين الشرق والغرب في كثير من الأمور فانعكست آثار هذا كله على كتابتهم ومن أبرز الذين زاروا أوروبة أحمد فارس الشدياق فأدرك الأدب حق إدراكه وثار بأدبه على كثير من أوضاعنا ، على جهل الحكم وضعف الثقافة ، وعادات الناس ، وجهل المرأة ، كما ثار على رجال الدين في لبنان ، وذهب مذاهب أبعد فمال الى الأدب المجرد في بعض كتاباته فصور أموراً لم يتعود أدبنا أن يصورها .

وجلة القول إن أدبنا الحديث نشأ عن اتصال الشرق بالغرب إما على أيدي المدارس الأجنبية في مصر ولبنان وسورية ودراسة اللغات الأجنبية وإما على سبيل الرحلات وكان نشوءه وقوته من أول القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا ولقد نشهد أمراً عجيباً في انتقاله من طوره الذي نشأ عليه الى الطور الذي قوي فيه أو نضج بعض القوة والنضج ، فان الذي يقابل بين بعض نماذج من المراسلات والمكاتبات الرسمية قبل القرن التاسع عشر وبعض بلاغات في صدر القرن التاسع عشر وبين آثار طائفة من كتاب القرن التاسع عشر وشعرائه لا يكاد يصدق أن الأدب قد تكامل في هذه الفترة من الزمن ، فقد غلب عليه في القرن الثامن عشر مجمع مخيف وتفكك ورخاوة ثم أصبح بعض الكتاب والشعراء في القرن التاسع عشر يقدون أساليب بلغاء كتابنا وشعرائنا المتقدمين كالجاحظ وابن المقفع وأبي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم وبعضهم ظهرت على كتاباتهم آثار كتاب القرن الرابع كالحريري والبديع والحوارزي وبكاد يكون هذا الأمر أعجب أمور أدبنا في القرن التاسع عشر .

متنبي جبري



ينابيع المعرفة

عند ابن سينا (٩٨٥ - ١٠٣٧)

جاء ابن سينا الى الحياة وب نفسه ظمأً قاتل وحر مذبذب ورأى ينابيعها الصافية تنساب مترفة جذلى فأقبل يشرب منها بكوؤوس متبعة ولكن هذه النفس لم تروى من كل هذه الينابيع العذبة بل راحت تعباً براحتها من الفدرات الملامى بالآفات كأنها آتية من الصحراء القاحلة ولا غرو فالنفوس الكبيرة لا بقنعمها شيء قليل والقلوب العظيمة لا تروىها كل أمواه الحياة . وكما كانت شفتاه لا ترويان من لذات الدنيا ونفسه لا تشبع من متع الحياة كذلك كان عقله المتألق يريد الاوحاطة بكل أنواع المعرفة . فأربناه بحوم فوق رياضها كما تحوم النحلة الظمأى فوق الزهور فيرشف منها رشقات عامرات ويسكب كل ذلك في خليته العظمى ولما تمتلئ .

إذا تأملنا المعرفة عند ابن سينا نجدها بحراً واسعاً وحوله الأنهار نصب فيه الماء صباً فيجرها اليه ولا يمتلئ . فحنده تجمعت معارف الأوائل والمتأخرين وفي محرابه مسجد كل الفلاسفة والمتكلمين . كيف لا ولديه خلاصة الغلاصات من علوم اليونان وحكمة الهند وفارس والمعية السريان وفصاحة العرب وخطابة الرومان وكأني به وضع كل هذه المعارف في بودقة واحدة كبرى فصرها وأعد منها ذوباً صافياً مثل اللجين هو ذوب نفسه الكبيرة وعصاره قلبه العبقري .

خلق ابن سينا ليكون ذا حكمة بالغة ومعرفة متألفة وقد توصل الى شيء من الحصول العلمي والفلسفي وما يؤسف له تقصيره في الغوص الى أعماق نفسه للبلوغ الى ينبوع الأصيل الحكمن في قرارته العاقلة واستخراج روائع العبقرية

الحقيقية كما انه لم يكن كثيراً بالبحث العميق في مذاهب الفلاسفة الكبار بل اكتفى بشرحها السطحية وهي من محصول المعلقين والشرح السابقين وذلك لانصرافه الى أمور من شأنها إخماد جذوة الحكمة وإطفاء أنوار المعرفة ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نسجل له أي ابتكار فكري أو مذهب فلسفي خاص شأن الفلاسفة الحقيقيين إلا أننا نعجب لسمعة إدراكه وتوصله الى نتائج حاسمة حفظها له التاريخ الفكري بمداد التجربة والاكبرار ، مما لا يتوصل إليه إلا الأفاضل من المتتبعين .

أعجب المشاركة بفلسفة أرسطو منذ تعرفهم به وراحوا يتناولونها من جميع النواحي درساً وتحقيقاً وشرحاً وتعليقاً بل راح كثيرون منهم على منواله ينسجون وفي حبله يحطبون ومن يجره بغتفون وبآرائه وأفكاره بتقيدون وكأني بهم أمرتهم عبقرية المعلم الأول فلم يجيدوا عنها كلمة أو يسرة إلا ما كان لديهم مناهضاً ولحقهم مناقضاً . وقد صرح بتناقضه كثيرون منهم ولا سيما الفيلسوف ابن كيفا في بحوثه النفسية ^(١) . أما فيلسوفنا فلم يكن إلا أحد هؤلاء الفلاسفة وقد نسج على منوال أرسطو في مبادئه وأصوله وصار معه جنباً إلى جنب إلا في ما كان مخالفاً للوحي والتزبل وكأني به حاول إخضاع أرسطو وفلسفته لغاياته وأهدافه وهذه هي منتهى العبقرية عند ابن سينا ولكننا نلاحظ أن الشيخ الرئيس بعد بنائه على أسس أرسطو انتهى به المطاف الى مذهب أفلاطون والأفلاطونية الجديدة دون قصد منه ولذلك ثلاثة أسباب :

- ١ - استمقاؤه فلسفة أرسطو بمزوجة بهاتين الفلسفتين وقد حدث ذلك إبان القرن السابع يوم اشتغلت مدرسة قفسرين الفلسفية بمبادئ المعلم الأول ، فأشربتها بمبادئ يوحنا فيلوفونوس وأفلاطون والأفلاطونية الجديدة ^(٢) .

(١) ابن كيفا في بحوثه النفسية وعلم النفس باب ٤ الباب ٢٠ .

(٢) الأقاؤ المتشور ص ١٥٦ .

٢ - تشربه بالأفكار الفلسفية القديمة التي نشأت في الشرق ولا سيما الهند

وفارس وهذه تتفق أحياناً مع مبادئ الفلسفتين المشار إليهما .

٣ - محاولته تسخير الفلسفة المشائية ذاتها لمبادئه الدينية كما فعل من قبله

أستاذه الفارابي في الجمع بين الحكيمين ^(١) .

وأما تصريحه في مناهضة بعض آراء أرسطو ومدرسته ^(٢) ، فذلك طبيعي

في فيلسوف مثله إذ ليس من الممكن أن يسلم في جميع آرائه ولديه الدين

والوحي والمثل الشرقية المعروفة ناهيك عن أن هذه هي خلة الجبروت والكبرياء

في هذا العبري فقد أثبت نفسه العظيمة أن تظهر خضوعها المطلق للمعلم الأول

وأرادت التظاهر بتخديه طمعاً في حفظ كرامتها وصون عظمتها . وقد رأينا

ابن سينا يبالغ في إطراء نبوغه غير مرة ^(٣) .

أما الذين درسوا كتبه وقابلوها بنتوج المعلم الأول فقد قرروا أنه كان

مشائياً صريحاً وهذا ابن العبري الذي أعجب به أكثر من إعجابه بجميع الفلاسفة

الشرقيين يؤيد ذلك فيصرح (أن ابن سينا لما أخذ وزنة أرسطوطاليس (فلسفته)

لم يزد عليها خمسا لكن أكثر من خمسين وزنة) ^(٤) وناهيك بفيلسوف كابن العبري

تعمق في درس المعلمين أرسطو والشيوخ الرئيس وأصدر هذا التقرير الصريح

الأمير الذي لا بدع مجالاً للشك في أن ابن سينا كان أرسطوطاليسياً في جميع

دراساته الفلسفية .

ومع هذا نجد إعادة معرفة ابن سينا الى بناييعها الأصلية ليست من الهنات

الهيئات بل هي مجازفة كبرى في وسط كهذا يجتمع فيه أفاضل العلماء وأساطين

المعرفة في الشرق والغرب .

(١) الجمع بين الحكيمين ص ٥ .

(٢) الشفاء : الفن ٥ المقالة ٢ الفصل ٣ طبعة طبران ١٣٠٣ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء القاهرة ١٨٨٢ ج ٢ ص ٢ ولله أيضاً ص ٣ .

(٤) ابن العبري : تاريخ الدول السرياني ص ٢١٩ .

- ١ -

إذا تدبنا منطق ابن سينا من ألفه الى يائه لا نجد له إلا منطق أرسطو بعينه إلا ان ابن سينا لم يستقمه من ينبوعه الأصيل بل تلقاه من كؤوس غير كؤوس أرسطو . ومع ذلك حفظت فيه الصفات الأصلية التي تناقلها المترجمون والشراح جيلاً بعد جيل .

هذا منطق ابن سينا بين أيدينا وهذه تفاصيله وفي إمكاننا استعراض بعضها للوصول الى ينبوعه الحقيقي والسواقي التي جرت فيها مياهه حتى وصلت الى جنيئة الشيخ الرئيس .

العقل البشري عند ابن سينا ناقص محدود ولذلك هو بحاجة الى موجه أمين يقوده الى الحق ^(١) والمنطق هو ذلك الموجه فبدونه لا يستطيع معرفة الطريق الى الحق ولا الوصول الى الهدف ، والمنطق ينتقل بالعقل البشري من المعلوم الى المجهول ^(٢) ويعتقد ابن سينا ان كل انسان بحاجة ماسة الى المنطق إلا الأنبياء المؤيدين بالوحي الإلهي ^(٣) وهذا رأي ابن العبري المنقول عن أرسطو ^(٤) . وأهم التفاصيل التي تميز بها ابن سينا في منطقته بعد المقدمات المعروفة هي الحد والجنس والفصل والأمور المحدودة والبسيطة والمركبة . والرسم والانفعال والانفعالات والحد والماهية والتركيب وشرائط الوجود والماهية ومفهوم الذات ووجود الذات ^(٥) .

وإذا تأملنا هذه التفاصيل وشروحها وأهدافها نجدها تسير بحسب طريقة الفارابي

(١) حي بن يقظان طبعة ليدن ص ٣ .

(٢) النجاة ص ٦ .

(٣) منطق المشرقيين ص ٧ .

(٤) كتاب « الأحداق » في المنطق - المقدمة .

(٥) منطق المشرقيين مطبعة المؤيد القاهرة ١٩١٠ ص ٢٤ - ٢٦ .

وأصول منطقته وتتفق معها الاتفاق كله فيكون ابن سينا والحالة هذه تلميذ الفارابي في المنطق كما هو تلميذه في فهم ما وراء الطبيعة .

وأما انتقال طريقة الفارابي إلى ابن سينا فكان بواسطة (التعليم الثاني) وقد استقاه الفارابي من مؤلفات الفلاسفة الذين سبقوه بمدة قليلة وقد حدثنا حاجي خليفة في كشف الظنون : أن الفارابي جمع التراجم الفلسفية التي عملت في عصر المأمون وجعل منها ترجمة ملخصة محررة مهذبة مطابقة لما عليه الحكمة وسمى كتابه بالتعليم الثاني فلذلك لقب بـ (المعلم الثاني) ثم يذكر أن هذا الكتاب ظل مسوداً بخط الفارابي في خزانة المنصور حتى اطلع عليه ابن سينا وخلص منه كتاب (الشفاء) ^(١) .

وقد طعن البعض في قول حاجي خليفة هذا بصورة خفيفة ولكن معهما كان الأمر فانه قول حقيقي مسلم به الآن (الشفاء) هو بحق ملخص (التعليم الثاني) هذا من جهة ومن جهة ثانية أن ابن سينا لا يقر بالفضل لأي فيلسوف ما عدا الفارابي مما يدل على حفظه لجليل المعلم الثاني .

أما الفارابي فما عدا تلقيه العلوم الفلسفية على بوحنان بن حبلان ^(٢) وكان هذا على مذهب أرسطو فانه لخص جميع الترجمات الفلسفية التي خلفها أرسطو إلى العربية وعلمناه متمشقا لأرسطو وكتبه وهذه شروحه الكتب أرسطو المنطقية تؤيد ذلك ^(٣) ولا نشك أبداً أن هذه الشروح وغيرها وصلت إلى سينا فاستقى منها منطقته .

ومنتقى أرسطو إلى أن وصل ابن سينا مرء بأربعة أدوار هامة بدأت في أواسط القرن الخامس المسيحي وانتهت في نهاية القرن التاسع .

(١) كشف الظنون طبعة ليتبرغ ١٨٣٠ ج ٣ ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) تاريخ الحكماء للفطحي طبعة ليتبرغ ١٣٢٠ ص ٢٢٧ والمسمودي : التنبيه

والإشراف طبعة ليدن ١٨٩٧ .

(٣) تاريخ الحكماء للفطحي مطبعة السعادة ١٣٢٦ ص ٢٧ - ٢٩ .

الدور الأول : هو دور الترجمة الأولى من اليونانية الى السريانية وأول مرة تعرف السريان بمنطق اليونان كان حوالي سنة ٤٥٠ حيث ترجم هيبا مطران الرها (٤٣٥ - ٤٥٧) ايساغوجي برفيريوس الى السريانية لفائدة طلاب مدرسة الرها التي أخذت تدرس العلوم عن طريق الترجمة ثم أعقبته الكلية نفسها ترجمتين أخريين لايساغوجي برفيريوس وفي الوقت نفسه ترجم فروبا الايساغوجي ترجمة رابعة ثم قام كومي الرهاوي بترجمة كل كتب أرسطو الى السريانية^(١) وعندها أصبح السريان يعرفون أرسطو معرفة حقيقية وتلك المعرفة كانت أصلاً وأساساً لجميع المعارف الشرقية المستقاة من اليونانية . وفي أوائل القرن السادس نبغ مرجيس الراسعيني الفيلسوف والطبيب الشهير (٥٣٦ +) فأعاد ترجمة ايساغوجي برفيريوس الصوري وألحقه بمقولات أرسطو من كتبه المنطقية كما ترجم كتاب النفس أيضاً برمته^(٢) وهذه ساعدته على بلوغ ذروة الإبداع في العلوم الفلسفية .

وفي القرن السابع نبغ الفيلسوف الرياضي والفلكي ساديرا سابوخت أسقف دير قنسرين (٦٦٧ +)^(٣) وأنعش العلوم اليونانية من لغوية ومنطقية وفلسفية وفلكية ورياضية في كلية قنسرين الشهيرة واشتغل بالترجمة فوصلنا من أعماله ترجمة كاملة لأنالوطيقي الأول (تحليل القياس) ونبغ بعد مدة تلاميذه الثلاثة المشاهير اثناسيوس البلدي^(٤) (٦٨٦) ويعقوب الرهاوي^(٥) (٧٠٨) وجرجس أسقف العرب^(٦) (٧٢٥) فترجموا عدا الايساغوجي كتاب مقولات أرسطو

(١) الأوّل المنشور بالطريق الانطاكي مار افرام الأول من ١٢٦ .

(٢) الأوّل المنشور من ١٢٧ و ٣٢٦ .

(٣) الأوّل المنشور من ٢٨٣ - ٢٨٥ .

(٤) الأوّل المنشور من ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٥) الأوّل المنشور من ٢٩١ - ٣٠٦ .

(٦) الأوّل المنشور من ٣٠٩ .

والسكيات الخمس وكتاب الأورغانون وهكذا انتهى عهد الترجمة المبكر .
وينتهي بانتهائه الدور الأول .

والدور الثاني : هو دور التعليق والشرح والتأليف أخذاً عن أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان وذلك باللغة السريانية وأشهر الشراح والمعلقين والمؤلفين مرجس الراسعيني الفيلسوف الآنف الذكر وسابوخت والبلدي ولا سيما في المواضيع المنطقية^(١) .
والدور الثالث : هو دور النقل الى العربية من السريانية مباشرة أو من اليونانية الى السريانية فالعربية وقد عربت في هذا الدور كتب أرسطو في المنطق وأشهر نقلتها حنين بن اسحق وابنه اسحق بن حنين بن اسحق وثيودور وأبو بشر متى ويحيى بن عدي والدمشقي وابراهيم بن عبد الله وابن ناعمة^(٢) ؛ على أن أجودهم نقلاً وأفصحهم عبارة وأشدّهم تدقيقاً للمعاني كان يحيى بن عدي الذي أصلح لكثيرين من العربيين الذين نوهنا بهم هنا .

والدور الرابع : هو دور التعليق في العربية وقام بأعبائه العربون الآنفو الذكر وبضاف اليهم أبو نصر الفارابي الذي أخذ عنهم كثيراً^(٣) .

هذه هي الأدوار التي مرت بها العلوم المنطقية حتى وصلت فيلسوفنا ابن سينا وأنت تعلم ما هي الطواري التي تصيب كل علم إذا مر بأربعة أدوار كهذه وتناقضه الأيدي جيلاً بعد جيل إلا أننا نرى أن هؤلاء النقلة والشراح والمعلقين كانوا أميين في واجبههم لأنهم حافظوا على جوهر هذا العلم الجليل ونحن نعلم أن السبب في بقاء المنطق سالمًا على حالته الأولى هو كونه قواعد التفكير المحدودة المقررة التي لا تبدل وهو لغة الحق وضابط العقل البشري .

لا حاجة بنا الى مقابلة منطقي ابن سينا بما تركه التراجم والمعلقون والشراح

(١) الأوّل المنشور من ١٢٧ .

(٢) تاريخ الحكماء للفطحي مطبعة السعادة من ٢٧ - ٢٩ .

(٣) تاريخ الحكماء للفطحي من ٢٨ .

والمؤلفون لأن المنطق هو هو في كل الأجيال ولم يزد عليه هؤلاء العلماء حرفاً واحداً غير الشرح والتعليق وهذا معصوم بين أئمتنا باللغتين السريانية والعربية ففي العربية لدينا البحوث الوافية للمؤلفين الذين ذكرنا بعضهم في هذه العجالة ولا سيما لفيلسوفنا ابن سينا وأما في السريانية فلدينا الشيء الكثير الذي خلفه لنا أولئك الأعلام وقد جمعه وشرحه عثمان كبيران من أعلام الفلسفة عندنا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وهما ابن الصليبي مطران آمد (١١٧١ م) وابن العبري مفران المشرق (١٢٨٦ م) .

ان ابن الصليبي قام بعمل جبار تجاه المنطق فانه شرحه شرحاً وافياً سنة ١١٤٨ م مجللاً شروح جميع المفسرين السابقين وقد حفظت شروح كثيرة في مؤلفه بينما فقدت في أصولها وفصولها . وقد أولى اهتمامه في جميع شروح الإيساغوجي بثلاثة فصول مسهبة والمقولات وقدم خمسة فصول على شرح (العبارة) ثم شرح تحليل القياس (الانالوطيقا) ووضع فصولاً شتى في حل مغلفاته ثم (البرهان) (انالوطيقا الثانية) ^(١) وحفظ كتابه الجليل هذا ويقع في ٧٧٠ صفحة كبيرة للخط السرياني الدقيق ^(٢) .

أما ابن العبري فان دراساته المنطقية قد جمعها في كتبه الثلاثة المعروفة وهي : الجزء الأول من كتابه الفلسفي الجليل (زبدة الحكم) وتناول فيه أقسام المنطق الثانية يومتها مع شرحها شرحاً وافياً وكتبه الصغير (الأحداق) ودرس فيه بصورة موجزة الإيساغوجي (وباري ارميناس) (العبارة وانالوطيقي الأولى والثانية) (القياس - البرهان) وطويقي (الجدل) والسوفسطيقي (السفسطة) وترك المعلمين الآخرين (ريطوريقي) الخطابة و (فويطيقي) الشعر لأنه أشبعهما درساً وشرحاً وفي كتابه الأول (زبدة الحكم) ثم كتاب (حديث الحكمة) وقد استعرض

(١) الأول المنشور ص ٣٨٢ .

(٢) كمبرج رقم ٢٠١٦ .

فيه بصورة غابرة (المقولات) (فاطيقورياس) والقياس والبرهان (اناطوبي) الأولى والثانية) وهذه كلها ما زالت بلفتها السريانية ماعدا الأخير (حديث الحكمة) فقد ترجم الى العربية ونشر لأول مرة سنة ١٩٤٠ .

إن هذه الكتب المنطقية تعطينا فكرة واضحة عن منطق أرسطو من جهة وعن الشروح التي قام بها السريان من جهة ثانية . وعن مطابقة منطق ابن سينا لمنطق أرسطو . ومنطق المترجمين والمؤلفين السريان الأولين من جهة ثالثة كما انها تعطينا النتيجة الحاسمة . ان هذه الأعمال الفلسفية التي ظهرت اعتباراً من القرن الخامس فما بعد هي أساس العلوم الفلسفية عند جميع الشرقيين وان منطق ابن سينا منحدر عنها بالطرق التي علمناها الآن وبالتالي ان ابن سينا استقى منطقاً من هذه الينابيع .

- ٢ -

علمنا ان ابن سينا سار في منطقته على طريقة الفارابي ومناطق المشرق قبله وبالتالي أرسطو فقد تأثر خطواته خطوة بخطوة شأن بقية علماء المنطق الشرقيين وكذلك في النفس يعتمد على الأسس التي وضعها أرسطو ولكنه يخالفه في ما يخالف النظرية الدينية واللاهوتية وهذه المخالفة أضفت على بحوثه مسحة من مبادئ أفلاطون ولكنك إذا صرت معه خطوة بخطوة تظن أن أرسطو يتكلم ولكنه أرسطو من نوع جديد .

كان ابن سينا طبيباً وعالج أسقام الجسد معالجة فعالة وحاول أن يكون طبيباً للنفوس أيضاً وصرف عناية كبرى لمعالجة أسقامها وحملها الى العودة بطريق خاص الى ينبوع الأصلي وهذه الفكرة وإن كانت تبدو أفلاطونية أو أفلاطونية جديدة إلا أنها فكرة دينية توصل اليها ابن سينا بواسطة فلسفة أرسطو نفسها وقد سخر والحالة هذه أرسطو نفسه الى بلوغ أهدافه الدينية .

فما النفس يا ترى ؟ وما هذه القوة الجبارة التي منحت لهذا المخلوق العاقل ؟ يقول ابن سينا (انها كمال أول الجسم طبيعي آلي ^(١)) وهذه فكرة أرسطو ذاتها حفظها ابن سينا وسخرها للبلوغ الى غاياته بعد أن صبغها بألوان دينية صرفة أوحتها اليه عقيدته الروحانية المستقاة من صميم الروح الشرقية .

رضي ابن سينا أن يبني عقيدته على دعامة أرسطو هذه بينما حسبها قبله فلاسفة الشرق دعامة واهية لأنها مبهمه غائصة في ظلام دامس وقد يمكن أن يكون هذا (الكمال) على ضربين متباينين الأول : أن تكون كمالاً للجسم تسيره تحت سيطرتها وبزواله تحافظ على بقائها وخلودها كالملاح بالنسبة الى السفينة ، والثاني : أن تكون كاللون الخارجي بالنسبة الى السفينة وهذا يزول بزوالها . وقد تحدى فلاسفة الشرق أرسطو في هذه النظرية وقالوا اذا قصد أرسطو الضرب الأول من الكمال يكون صادقاً وأما اذا قصد المعنى الثاني يكون مخطئاً . وقد عقد ابن كيفا الفيلسوف اللاهوتي فصلاً خاصاً لتسفيه رأي أرسطو هذا ^(٢) مع أنه يأخذ بآرائه في مواضع نفسية أخرى .

وهذه النفس عند ابن سينا (قوة) وهذه القوة منقسمة الى قوتين إحداهما (القوة العاملة والثانية العاملة ^(٣)) ومبدأ تجزئة النفس مبدأ أرسطو بعينه وقد قبله ابن سينا وأثبتته وتخطى منه إلى مبدأ خلقي صريح وانتهى الى جعل نزاع هائل بين قوتي النفس الأولى تقود البدن وتحته على الرذيلة والثانية تريد الارتفاع به الى المثل العليا ^(٤) وكان يغني عن ذلك لو لم يعتمد على فكرة أرسطو في التجزئة وقد استعرض ابن كيفا الفيلسوف هذه التجزئة استعراضاً كاملاً وأسندها

(١) النجاة ص ٢٥٨ مطبعة السعادة - القاهرة سنة ١٣٣١ .

(٢) علم النفس لابن كيفا الباب ٤ - تفنيد عقيدة أرسطو .

(٣) النجاة ص ٢٥٨ .

(٤) النجاة ص ٢٦٨ .

الى أرسطو ثم فندها ببراين عقلية لا تقبل الاعتراض وأثبت وحدة (القوة) في النفس ونسب جنوحها تارة الى الفضيلة وطوراً الى الرذيلة الى إرادتها الخاضعة وخضوع هذه الإرادة الى الميول الصالحة أو الطالحة بحسب الظروف المادية والأدبية المحيطة بها ^(١) .

ويأخذ ابن سينا بمبدأ أرسطو في التجزئة مرة أخرى فيقسمها وهي عنده (جنس واحد) بضرب من القسمة الى ثلاثة أقسام وهي النباتية والحيوانية والانسانية وكل منها (كمال أول لجسم طبيعي آلي) الأول من جهة ما يتولد ويروى ويفذو والثاني من (جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة) والثالث (من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختبار الفكري والاستنباط بالرأي ومن جهة ما يدرك الأمور ^(٢)) وبعد هذا هل يستطيع ابن سينا أن يتهرب من مبادئ أرسطو ونتائجها ؟ وهذه مبادئ واضحة في قراراته النفسية هذه يشرحها ثم يثبتها بعد أن يجمع حولها البراهين وقد أخذ بها بعض الفلاسفة السريان وشرحوها شرحاً وافياً ولا سيما العلامة ابن العبري ^(٣) الذي يمثل كل أدوار الفلسفة عند قومه السريان .

وقد تمسك ابن سينا بهذه الأقسام تمسكاً شديداً فشرح قواها واحدة واحدة تبعاً للشروح التي علقت على معارف أرسطو فللنفس النباتية ثلاث قوى هي الغاذية والنممية والمولدة ^(٤) وللنفس الحيوانية قوتان محركة ومدركة وكل من هاتين القوتين تنقسم أيضاً الى قسمين آخرين ثم يتطرق الى شرح القوة الحسية بما فيها الخيلة والإدراك والحافظة والذاكرة ويعين محلاً خاصاً من الدماغ لكل من هذه القوة وهكذا كان بنادي المعلم الأول حسياً نستفيد ذلك من النقول السريانية ^(٥) .

(١) علم النفس لابن كيفا الباب ٤ - تفنيد آراء الفلاسفة .

(٢) النجاة ص ٢٥٨ .

(٣) متارة الأنداس الركن ٨ المقدمة المقصد الثاني وزبدة الحكم الكتاب ٨ في النفس

الباب ٤ الفصل ١ .

(٤) النجاة ص ٢٥٨ .

(٥) النجاة ص ٢٦٤ - ٢٦٧ .

وإذا أردنا السير بجانب الفيلسوفين اليوناني والشرقي نجد الثاني يسير مع الأول خطوة بخطوة حتى يبلغ الى كيان النفس العاقلة وهذه عنده مفارقة للجسم تبقى بعد فنائه فيتركه ويعود ادراجه الى عقيدته الخاصة وهي تقرير روحانية النفس وخلودها الأمر الذي أنكره باعتقاده أن (الصورة لا تقوم إلا بالمادة) .

وقد استعرض الفلاسفة الشرقيون آراء أرسطو هذه منذ القرن السادس المسيحي حتى نهاية القرن الثامن أو بالحري قبل وجود ابن سينا بقرن كامل ودرسوها بدقة وإتقان وقابلوها مع معتقداتهم اللاهوتية فأخذوا ببعضها ونبذوا البعض الآخر ولا سيما ما لا يتفق والتقارير اللاهوتية الخاصة بالروحانية كما عمل ابن سينا تماماً فهذا ابن كيف المتوفى سنة (٩٠٣ م) أي قبل ولادة ابن سينا باثنتين وثمانين سنة جمع معارف اليونان والسربران في النفس واتفق مع أرسطو في بعض نظرياته وناهضه ونقض آراءه في البعض الآخر ولا سيما في ما لا يتفق والعقيدة المسيحية في النفس وكيانها وروحانيتها وخلودها ^(١) .

ولا حاجة للسير مع ابن سينا في جميع نظرياته النفسية لأن الشيء المهم لدينا هو ينبوع هذه النظريات وقد علمنا من هذه النظريات العابرة أن ابن سينا يتمشى مع أرسطو جنباً الى جنب في جميع المراحل ماعدا ما يناهض الوحي الأمر الذي بناهضه ابن سينا وينقضه ويمنح الى ما يجعلنا نتصور أنه يأخذ بنظريات أفلاطون والأفلاطونية الجديدة وهو وإن كان فيه شيء من الاحتمال إلا أن الشيخ الرئيس حافظ على مبدئه الديني كسلم يؤمن بالله وبالروحانية والخلود ، وإذا سلمنا أن الإسلام قد جاء بكل هذه التعاليم وأقرها بصراحة فلا حاجة لأخذها من مصدر آخر فالأفلاطونية الجديدة مع ما فيها من الروحانية والسمو المثالي نَجدها في أمور كثيرة تخالف الدين أيضاً ولكنها أقل خطراً من نظريات

(١) علم النفس لابن كيفا الباب ١٢ و ١٣ .

أرسطو وقد نجد ابن سينا أفلاطون فسيما (الآلهي) بضع مرات ^(١) كما كان يسميه فلاسفة السرياني من قبله .

وقد استفاد ابن سينا في بحث (الشعور) وأولاه اهتماماً عظيماً ، مما حمل بعض الباحثين على الاعتقاد أن ابن سينا هو أول فيلسوف شرقي طرق بحث الشعور ولكننا نجد الفيلسوف ابن كيفاً يفرد له باباً خاصاً في كتابه ويشبعه درساً وتشريحا ^(٢) قبل ابن سينا بقرن كامل . وقد ألف كتابه هذا باللغة السريانية وأخذت منه أفكار كثيرة وترجمت الى العربية بعد وفاته بمدة وجيزة ولا نحتاج هنا أن ابن سينا اطلع عليها مع وجود احتمال ذلك ولكننا نجزم أن ابن سينا ليس أول فيلسوف شرقي بحث الشعور كما أننا لا نقرر ان ابن كيفاً هو أول من بحثه فقد نجد شتاته مبثوثاً في المؤلفات النفسية عند الفلاسفة السريان .

أما معارف ابن سينا النفسية فقد تخطت الأجيال الطويلة حتى وصلته بالطريقة التي وصلته فيها المعارف المنطقية سواء بسواء لأن علم النفس لأرسطو ترجم في القرن السادس الى السريانية بقلم الفيلسوف الطبيب مرجيس الراسعيني ^(٣) وكان مرجيس أميناً في النقل فاهماً موضوعه حق الفهم ، وهو الذي منح قوة التعبير الصحيح عن مراحم المؤلف اليوناني .

ولم يتوقف الفلاسفة السريان عند الترجمة وحسب ، في علم النفس بل أخذوا يؤلفون المجلدات الضخمة في هذا العلم الجليل وأشهر أولئك الأعلام آحودامه جاثاليق الشرق (٥٧٥ +) الذي يعد مؤلفه في النفس أجود مؤلف في اللغة السريانية لأنه يدرس النفس درساً دقيقاً والانسان باعتباره عالماً صغيراً وفي تركيب الانسان من نفس وجسد وبعد آحودامه الفيلسوف مبتكراً في هذا الموضوع

(١) النجاة ص ٣٤٩ .

(٢) علم النفس لابن كيفا الباب ١٦ .

(٣) المؤلف المنثور ص ١٥٧ .

لأننا لم نقرأ لغیره من الفلاسفة بهذا المعنى حتى القرن التاسع عشر حيث أعطانا صورته المصغرة الفيلسوف الألماني هرور بعد ثلاثة عشر قرناً وهذا لعمری شرف عظیم بولیه هذا الفيلسوف للغة السريانية خاصة والفلسفة الشرقية عامة ؛ وفي القرن السابع وأوائل الثامن نبغ في العلوم الفلسفية بوحننا الانباري وصنف كتاباً جليلاً في النفس البشرية ما زالت نسخته الوحيدة موجودة ^(١) وقد نقلها العلامة أياوینس الداري في كتابه في النفس ^(٢) وفي القرن التاسع نبغ الفيلسوف أياوینس الداري (٨٦٠ +) فقدم مؤلفاً جليلاً آخر في النفس ما زالت منه ثلاث نسخ قديمة في أشهر خزائن الكتب الغربية ^(٣) على أن أعظم مؤلف في علم النفس باللغة السريانية هو موسى بن كيفا (٩٠٣) في منصرف القرن الثامن وقد اهتم السريان بهذا المؤلف النفیس فدرسه كثيرون من علمائهم وأكثروا من نسخه ونقله يرون الى الألمانية سنة ١٨٩١ م .

وقد ترجم كتاب أرسطو في النفس الى العربية في هذا العهد كما أننا نعتقد أن التراجمة السريان الذين عاشوا في القرنين الثامن والتاسع نقلوا وعلقوا على هذه الكتب بالعربية حتى كونوا منها مجموعة صالحة في علم النفس أخذت تتداولها الأيدي في بغداد وغيرها فأخذ بها الفارابي ثم ابن سينا وغيرهما من فلاسفة هذه الحقبة .

وقد حفظت خلاصة المؤلفات النفسية اليونانية والسريانية في كتب العلامة الفيلسوف ابن العبري ، وأنا نخوز جميعها وقد ألف هذا العالم الجليل عدة مقالات في النفس البشرية منها المقالة الثامنة من كتاب منارة الأقداس والكتاب الثامن

(١) خزانة بوسطن عدد ٣٩٧٣ قرن ١٣ .

(٢) بوسطن ٣٩٣٣ والفاتيكان عدد ١٠٠ وعدد ١٤٨ خطت سنة ١٢٣٤ .

(٣) الفاتيكان عدد ٤٠ والزعفرانية ١١١ والبطريركية الانطاكية بمصر وفي الموصل عدة نسخ منه .

من الموسوعة الفلسفية الكبرى (زبدة الحكم) والمقالة السادسة من كتاب (الاشعة) هذا بالسريانية ولم تزل مخطوطة . أما بالعربية فلهذا الفيلسوف رسالة ضافية في النفس أنشأها بقلمه وقد نشرت .

وإذا تأملنا تعاليم ابن العبري النفسية نجدها خلاصة الخلاصات في ما كتب في هذا العلم الجليل من مؤلفات يونانية وسريانية وإذا استمد ابن العبري بعض نظريات ابن سينا في النفس فانما عمل ذلك لتعشقه فلسفة أرسطو والشيخ الرئيس بأن واحد ، ولولا مؤلفاته لفقدنا معلومات كثيرة في هذا الباب .

فتكون الدروس النفسية عند ابن سينا إذن صادرة عن المؤلفات اليونانية والسريانية التي سبقتهما بمهد طويل أخذها عن طريق الترجمة والمؤلفين الذين نبغوا بالعربية قبل عصره بمدبرة ولولا ضيق المقام لكان علينا أن نقابل بينه وبين الدراسات النفسية في اللغة السريانية وإن كنا قد ذكرنا بعض شذور من هذه المقابلة .

أما دراسات ابن سينا في ما وراء الطبيعة فانها تكون مزيجاً عجيباً من آراء أرسطو وأفلاطون والدين إنما الأساس من حجارة نحتها يد أرسطو وقدمتها يد ابن سينا بناء شامخاً بآراء أفلاطون وكل ذلك ليستظل به الدين أو بعبارة أكثر صراحة ان ابن سينا حاول التوفيق بين الفلسفة والدين بل أراد إخضاع الفلسفة لخدمة الدين وإثبات نظرياته اللاهوتية ويظهر أنه في عصر ابن سينا شاعت هذه الطريقة بين الفلاسفة وهي التوفيق بين الفلسفة والدين وإخضاع الفلسفة لتعاليم الدينية لأننا نجد فيلسوفاً مسيحياً معاصراً لابن سينا هو الحسن بن النخار الذي كان موجوداً سنة ٩٩٧ يعالج الموضوع بنفس الطريقة التي عالجها ابن سينا وألف كتاباً في التوفيق بين رأي الفلاسفة والنصارى^(١) وهذا ما عمله قبل هذا التاريخ أيضاً بمدة فرون كثيرون من فلاسفة الشرق الذين كتبوا

باللغة السريانية فانهم هم الذين ابتكروا هذه الطريقة في البحث اللاهوتي فاستمدها بعض الفلاسفة في عهد الترجمة والتعليق الى اللغة العربية وأدخلوها مؤلفاتهم اللاهوتية أمثال يحيى بن عدي وابن الخمار الآنف الذكر وغيرهما من المؤلفين فجاء ابن سينا يحنذيها وليستمدها منهم . ولكنه كان ناجحاً فيها نجاحاً عظيماً .

وابن سينا مدين بالفضل للفارابي في دراسات (ماوراء الطبيعة) فانه بعد تبحره في المنطق والطبيعات رغب في الإلهيات فوجد طريقه شائكاً وأقبل على كتاب (ما بعد الطبيعة) لأرسطو يطالعه وبعميده زهاء أربعين مرة حتى (صار محفوظاً) ولكنه كان لا يفهمه وأوشك اليأس أن يحمله على تركه حتى عثر على كتاب (أغراض كتاب ما بعد الطبيعة) لأبي نصر الفارابي وما أجال نظره فيه حتى انفتحت عليه أغراض هذا العلم ^(١) .

ولا حاجة للتعليق على هذه الحادثة الهامة فانها توضح لنا أمرين هامين الأول ان ابن سينا استمد دراساته في ماوراء الطبيعة من أرسطو وان كان قد استمد من غيره والثاني ان الفارابي أستاذ الوحيد في فهم هذا الموضوع والفارابي أيضاً بدوره استمد حل مشكلاته عن أساتذته وعن العلماء الذين سبقوه وأضاف الى تفاسيره ما استمده من اجتهاده الخاص فجاء عمله مستوفياً شروطه العلمية . لم يكن ابن سينا فيلسوفاً جامداً ولكنه كان حر التفكير طليقاً يستمد من هذا الفيلسوف ما يفيد ثم يتركه وينذهب الى الآخر حتى يؤلف مجموعة كاملة من الفكر الراجحة التي تعينه على إثبات نظريته فيخرج من هذا الميدان ظافراً وهذه طريقة دقيقة تحتاج الى لباقة وذكاء . وكان ابن سينا مؤهولاً في كليهما . واذا استعرضنا نظريات ابن سينا في ماوراء الطبيعة نجدها تأخذ مبدأها من العلم الأول وتمر على أفلاطون وغيره من الفلاسفة الروحانيين وتنتهي عند عتبة الدين وكأني بالشيخ قد استخدم كل تلك الفلسفات لصالح الدين وإثبات نظرياته الروحية .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣ والقفطي مطبعة السعادة ص ٢٧٠ .

والشيء الحقيقي الذي يمكن قوله في جنوح ابن سينا الى العقائد الأفلاطونية والأفلاطونية الجديدة هي تشبعه من ترجمات أرسطو نفسها الى العربية فان هذه الترجمات عندما ترجمت أولاً الى السريانية وعلق عليها معلقون وشرّاح من السريان دخلتها عناصر فلسفة أفلاطون والأفلاطونية الجديدة بمعرفة الشرّاح أو بدون معرفتهم وذلك لأن السريان جنّحوا الى هاتين الفلسفتين لتشبعهما بالروح الدينية والمثل الزهيدة العليا وهذه أديارهم تملأها هذه الروح وكان من الطبيعي أن تتمدى الى تفاسيرهم وشروحهم لأرسطو أو لغيره من الفلاسفة اليونانيين وعندما ترجمت الترجمات السريانية في ما وراء الطبيعة واللاهيات على الأخص الى اللغة العربية احتفظت بعناصرها الجديدة التي درسها الشرّاح والمعلقون فاستطاعوا العرب بدورهم فرأيانها تظهر في نتاجهم الفلسفي ولا سيما الشيخ الرئيس واليك تفصيل ذلك .

فاذا أراد ابن سينا إثبات وجود الإله أخذ مبدءاً براهينيه من أرسطو لأنه يرى (ان المبدء المفارق) انما هو مفارق الهيولى ^(١) واستناداً على دعائم قديمة يورد ابن سينا براهين كثيرة لإثبات عقيدته بوجود الإله ويرى أنه لا ينبغي التماس البرهان على وجود الإله بشيء من مخلوقاته بل إمكان ما هو موجود وما يجوز في العقل وجوده موجوداً أولاً واجب الوجود وجوده عين ماهيته .

وهناك طريقتان لإثبات واجب الوجود الأولى خاصة بالتكلمين وهي الاستناد الى الحدوث والثانية خاصة بالفلاسفة وهي الاستدلال على الواجب بامكان الممكنات ^(٢)

وابن سينا يختار طريقة الفلاسفة ممزوجة بقضية عدم وجود ووجود بعد عدم ويعود الى الإثبات بأن العالم (ممكن) وهو بحاجة الى علة تخرجه الى الوجود ^(٣)

ولست هذه الطريقة جديدة في إثبات (واجب الوجود) فقد رأيناها عند الفلاسفة الشرقيين منذ القرن السابع ، فان يعقوب الرهاوي الفيلسوف السرياني الكبير

(١) الإشارات ص ١٥١ .

(٢) النجاة ص ٣٤٧ .

(٣) النجاة ص ١٤٦ .

المتوفى ٧٠٨ م ألف كتاباً نفيساً في هذا الموضوع وسماه (بالعلة الأولى) ويرهن فيه على وجود واجب الوجود بواسطة العلية والعالم لديه (ممكناً) وهو بحاجة الى علة (أولى) تخرجه من الإمكان الى الوجود وأحياناً من العدم الى الوجود^(١) وانتشرت هذه الطريقة من البرهنة على وجود واجب الوجود فأخذ بها جميع الباحثين الذين جاءوا بعد هذا التاريخ وقد وجدنا بحوثاً لاهوتية بالعربية للفيلسوف يحيى بن عدي في هذا المضمار لاشك ان ابن سينا تأثر بالترجمات العربية التي وجدها بين يديه في ما وراء الطبيعة ولا سيما إثبات واجب الوجود . وقد تناول يحيى بن عدي نظرية (الممكناً) بطريقة أخرى ووضع في نقضها كتابين أحدهما (إثبات طبيعة الممكن وأقوى الحجج على ذلك والتنبه على فسادها) والثاني في كتاب (الشبهة في إبطال الممكن)^(٢) .

وقد علمنا أن ابن عدي نقل كتاب (ما وراء الطبيعة لأرسطو) من السريانية العربية ذكره ابن العبري في تاريخ مختصر الدول^(٣) والففطي (في مادة يحيى بن عدي) .

وإذا قبلنا نظريات ابن سينا في إثبات الإله بما خلفه المؤلفون الشرقيون في هذا المضمار نصيب شيئاً من البحوث القديمة نستطيع جعلها أساساً للبحوث التي جاء بها فيلسوفنا وقد جمع الفيلسوف ابن العبري في كتاب (منارة الأقداس) خلاصة هذه النظريات ما عدا ما استنبطه من فكرته النيرة التي كانت له تعود على أسس أرسطو على وجه أخص وكذلك في كتابه (زبدة الحكم في قسم الأوليات)^(٤) . إذا عدنا مرة أخرى الى طريقتي المتكلمين والفلاسفة في إثبات واجب الوجود نجد ابن سينا سيفه باديء الأمر يعتقد مذهب المتكلمين مع أنه يعرض بهم

(١) الأول مؤشور ص ٣٠٣ .

(٢) الففطي مادة يحيى بن عدي وثبت مؤلفاته في مقدمة كتابه تهذيب الأخلاق ص ١٤ .

(٣) مختصر الدول ص ٣٩ والقفطي ص ٢٣٧ .

(٤) زبدة الحكم .

وبفتقدهم والأظهر أنه حاول السير على طريقه الفلاسفة في قضية (الامكان) ولكنه سقط في ما كان يحشاه فقال الى المتكلمين .

إن (واجب الوجود) عند ابن سينا واحد أحد لا كثرة في ذاته ولا تصدر عنه كثرة ولا تضاف اليه صفات إلا بطريقة السلب والايجاب خفية تعارضها مع وحدة الذات ^(١) وهذا الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد وهو (العقل الأول) وهذا (العقل) يصدر الكثرة بطريقة التسلسل فتعقله اعلته يصدر عنه (عقل ثالث) وهذا يدبر (الفلك الأقصى) ثم تعقله أيضاً لذاته تصدر عنه نفس بعقل فعله بتوسطها ثم يستمر الصدد على هذه الطريقة فكل (عقل) تصدر عنه ثلاثة أشياء (عقل ونفس وجسم) ^(٢) .

أما الإمكان فكل شيء تحت السماء (ممكن) صادر بطريقة التسلسل عن واجب الوجود وصدوره أزلي ومحله الهيولي والهيولي إمكان مجرد أزلي لجميع الموجودات ^(٣) وعند (الهيولي) يقف فعل العقل لأنه لا يؤثر فيها وهي مبدأ الكثرة في الجزئيات .

من أين لابن سينا هذه الآراء ؟ انها تظهر غريبة عن الإسلام والمسيحية بأن واحد على الأقل في ظاهرها اللفظي لأن (الإله) فيها قادر على كل شيء يقول للشيء - مهما كان - كن فيكون ، وإذا بابن سينا هنا بقيده ويحصر أعماله ويقصرها على اصدار (عقل) بواسطته يستحيل كل شيء في الامكان الى وجود فعلي وبالتالي يحدث الكثرة في الكائنات الموجودة وعندنا ابن سينا استقى آراءه هذه عن فلاسفة المسيحية الأولين الذين بحثوا في (العقل الأول) الذي سموه أيضاً (الكلمة) وطبقوه على الكتاب المقدس (بكلمة الله خالق السموات وبروح فيه كل جنودها) .

(١) صفات الواجب - النجاة ص ٣٦٩ و ٣٨٣ و ٤١١ ، والإشارات ص ١٤٤ - ١٤٧ .

(٢) رسالة في معنى الزيادة ص ٤٦ .

(٣) الإشارات ص ١٥١ .

وإذا ألقينا نظرة أعمق من ذلك وهي الأخيرة نجد هذه الآراء مستمدة من الملم الأول أخذها بعض فلاسفة المسيحية في العصور الأولى ثم انتقلت مع الترجمات الى العربية فأخذها الفلاسفة الذي كتبوا فيها وعنهم استمدتها ابن سينا بثوبها الطبيعي الذي وصله عن طريق الترجمة والشروح . والآن نجد هذه الآراء وما يتبعها من صفات الله (السلبية والايجابية) مجموعة في اللغة السريانية ويضاف اليها أيضاً ما علقه ثارمسطيوس على بعض كتب أرسطو في ماورداء الطبيعية وما أنتجه من شروح لبعض الآخر وذلك في الموسوعة الفلسفية الكبرى للعلامة غريغوريوس ابن العبري في هذا الكتاب يذكر أساس هذه النظريات ويعيدها الى أرسطو وقد صرح بذلك مرات كثيرة ^(١) .

واذا تطرق ابن سينا الى صفات (واجب الوجود) استمدتها من الصفات التي ذكرها أرسطو وأضفى عليها ثوباً من المبادئ الدينية المقررة في الوحي مشرباً بخطوط متماوجة من الأفلاطونية الجديدة وهي من محصول الشراح والمعلقين الأولين ثم بتطرق الى موضوع (الصفات الإلهية) ويحذر كل الحذر أن يؤثر شيء من الصفات على (الوحدة) في واجب الوجود الأمر الذي أقره المعتزلة واعتنقه الفلاسفة بعدم أمثال الكندي والفارابي وابن سينا .

إن نظرية الصفات بثوبها السلي والايجابي كانت معروفة قبل المعتزلة وقبل هؤلاء الفلاسفة بوقت طويل أخذ الباحثون أصلها من أرسطو وعدلوها بطريقة توافق البيانات المنزلة ونجدها بثوبها الحقيقي عند العلامة ابن العبري وقد حافظت على كيان (الوحدة) في الإله الحق ^(٢) وتقتض هذا الفيلسوف نظرية أرسطو

(١) ابن العبري (زبدة الحكم) كتاب الثيولوجي (اللاهوت النظري) وهو الثاني لا وراء الطبيعة الباب ٢ الفصل ٢ النظرية ٥ والباب ٣ الفصل ٣ النظرية ٤ والباب ٤ الفصل ٥ النظرية ٢ وفيه أيضاً النظرية ٣ والباب ٤ الفصل ٧ النظرية ٤ .
(٢) النجاة ص ٩٠-٩١ .
(٣) ابن العبري : زبدة الحكم الثيولوجي الباب ٢ الفصل ١ النظرية ٤ .

نقضاً منطقياً^(١) وتظهر على بجمته عناصر البحث الفلسفي الذي أضفاه المعلقون والفلاسفة في عصر الشرح والتعليق .

أما نظرية (العلم) في واجب الوجود فان ابن سينا شأنت بقية الفلاسفة الشرقيين خالف أرسطو فيها لأن المعلم الأول كان يقول إن الإله بعقل ذاته وبمقل الكليات فقط لأن معرفته بالجزئيات يضرر بكاله الواحداني بينما يصرح ابن سينا ان الله بعقل ذاته وبمقل الكليات كما يدرك الجزئيات ولكن بصفتها الكلية^(٢) وهو المسلم الذي نعلم ان الإله (لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في السموات ولا في الأرض^(٣)) وفي عقيدة ابن سينا ان تصريحه يتفق مع مقررات الدين هذه^(٤) .

واذا أردنا معرفة بذووع هذه النظرية نضع أمامنا نظرية أرسطو كأساس ثم نضيف إليها التعاليم الدينية المسيحية والاسلامية وما طلقه الفلاسفة الشرقيون على أرسطو منذ القرن السادس فما بعد ولا سيما ما كتبه الفيلسوف يحيى بن عدي في (ان الله يعرف الكليات والجزئيات والفرق بين العلمين)^(٥) وبعد ذلك نهتدي الى النتائج الحقيقية لهذه النظرية ونجد خلاصة ذلك في الموسوعة الفلسفية للعلامة ابن العربي يستعرض فيها نظرية أرسطو ثم يأتي بالبراهين المنطقية على نقضها تبعاً لآراء الفلاسفة السابقين^(٦) .

وبدرس ابن سينا (العناية الإلهية) ويحدداه بقوله (العناية هي كون

(١) منارة الأقداس الركن ٩ الباب ٢ الفصل ٢ المقصد ٢ الرد ١ .

(٢) الشفاء مقالة ٨ الفصل ٦ ص ٥٨٩ .

(٣) قرآن كريم سورة ب الآية ٣ .

(٤) الشفاء مقالة ٦ فصل ٦ ص ٥٩١ .

(٥) القفطي في مادة يحيى بن عدي ومقدمة كتابه (الأخلاق) ص ٦ .

(٦) زبدة الحكم الثيولوجي الباب ٢ الفصل ٤ النظرية ١ .

الأول عالمًا لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الامكان وراضيًا به على النحو المذكور فيمقل نظام الخير على الوجه الأبلغ في الامكان^(١)) ويجمل عقيدته هو كون الإله بما أنه خير كلي أبدع كل شيء خيرًا وكلاًّ وجمالاً ويمتقد ان الخير طبيعي ذاتي والشر عرضي طاري فكل وجود خير وكل عدم شر والإله يصرف عنايته على تأييد الخير ولكنه يسمح في وقوع شر قليل لإصابة خير كثير وهذا مذهب التفاضل الذي أخذ به بعض الفلاسفة الشرقيين ومن الذين أيّدوه وكتبوا في العناية الإلهية قبل زمن ابن سينا كثيرون أشهرهم يعقوب الرهاوي^(٢) (٧٠٨) وقرىاقس التكريتي البطريك^(٣) (٨١٨) واطنون التكريتي إمام الفصحاء (القرن التاسع)^(٤) وقد استمد ابن العبري آراءهم جميعاً في هذا الموضوع وكتب بحثاً ضافياً في (العناية) وجعل فيه الخير ايجابياً في الوجود والشر سلبياً وهو نقص الوجود أو عدمه ثم قرر أن الله يسمح في شر قليل استجابةً للخير الكثير^(٥) .

- ٣ -

والطبيعيات عند ابن سينا هي نفس طبيعيات أرسطو يبدأها على غرار أرسطو بالتفريق بين المادة والصورة والعلاقة بينهما وتركيب الأجسام والقوة والفعل وغير ذلك من المواضيع التي أخذ بها الفلاسفة الطبيعيون منذ عهد الترجمة والتعليق . ولم يصل إلينا شيء مهم من العلم الطبيعي في الترجمات السريانية القديمة سوى بعض الفصول التي لا تقني فتيلاً ولا نعتقد الا أن طبيعيات أرسطو ترجمت الى

(١) النجاة ص ٤٤٦ .

(٢) الاثنا عشر ص ٣٠٣ .

(٣) فيه أيضاً ص ٣٣٠ .

(٤) فيه أيضاً ص ٣٣٧ .

(٥) العناية الإلهية مناورة الأقداس الركن التاسع كله .

السريانية والعربية في عصر واحد وعلقت عليها الشروح أيضاً في الوقت نفسه ،
 ونجد أخبار هذه الترجمة والشروح عند جمال الدين القفطي ص ٢٨ - ٣١ .
 أما الطب عند ابن سينا فليس من موضوعنا مع العلم أن ترجمات طبية كثيرة
 وصلت إلينا ونبلغ أطباء كثيرون في الشرق نالوا شهرة واسعة أمثال مرجيس
 الراسعيني الفيلسوف الذي نقل طائفة من تأليف جالينوس في الطب ^(١) . كما
 نبغ غيره كثيرون في القرون الثلاثة السادس والسابع والثامن وقد كتبوا بلغتهم
 السريانية ثم جاء عهد الترجمة في العصر العباسي فامتلات خزائن بغداد بالكتب
 الطبية من مترجمة وموضوعة وطبعاً اعتمد ابن سينا على هذا التراث الضخم وعليه
 بنى طبه فأعطانا (كتاب القانون) وغيره من مؤلفاته الطبية .

- ٤ -

بقي علينا شعر أرسطو عند ابن سينا لم نتطرق إليه الى الآن وان كان تابعاً
 للكتب المنطقية عند المعلم الأول ذلك لأن أهميته قليلة بالنسبة الى بقية العلوم
 التي أخذ بها الشيخ الرئيس .

إن شعر أرسطو عند ابن سينا يظهر فيه الضعف وتحيطه الركاكة وقد فقد
 قيمته وأضاع روعته وطبعاً لا نستطيع لوم الشيخ الرئيس في هذه الهنات لأنه أبدع
 في كل المواضيع التي تناولها عن المعلم الأول بواسطة ترجماتها وشروحها أما
 تقصيره في هذا الموضوع فلا نظن يعود إليه وان كان ابن سينا ليس شاعراً
 بالمعنى الصحيح .

طبعاً وصل شعر أرسطو (فويطقي) الى ابن سينا عن طريق الترجمة ولكن
 هل كانت هذه الترجمة صحيحة تؤدي المعاني (للفويطقي) ؟ ذلك لانظنه
 لأن كتباً كثيرة ترجمت من اليونانية أضاع المترجمون معظم غايات المؤلف

(١) الأول المؤثور ص ٢٣٦ .

لجملهم طرق النقل من اليونانية الى اللغة التي نقلوا اليها أو لضعفهم في إحدى اللغتين أو في كليهما أو في أصول ذلك العلم نفسه .

وصلتنا ترجمة سريانية قديمة لفويطقي أرسطو ونعتقد أنها خرجت من قلم خبير باللغتين اليونانية والسريانية ولا شك أن الذي ترجم كتب أرسطو المنطقية بمرمتها ترجم معها الفويطقي لأن المعلم الأول وضعه كقسم قائم بذاته لمعارفه المنطقية وهو من مجهود القرن السادس يوم كانت الترجمة من السريانية الى اليونانية في أوجها بفضل الراسعيني وساويرا سابوخت وغيرهما من كبار النقلة .

إلا أن السريان حسبما يظهر لم يعنوا كثيراً في هذا الموضوع لعدم الحاجة اليه لذلك لا نجد في تأليفهم المنطقي شئاً له خطورة فيه بينما أولوا عناية هامة لـ (إلياذة) هوميروس فترجمت شعراً الى السريانية واستمد منها شذوراً كثيرة أنطون التكريتي الفصيح في كتابه (الفصاحة) وذكره زهاء عشر مرات وأورد آياتاً من الإلياذة المنقولة الى السريانية^(١) .

أما الترجمة السريانية للفويطقي فقد نقلت الى العربية مرتين الأولى بيد أبي بشر متى والثانية بيد يحيى بن عدي والراجح عندنا أن ترجمة أبي بشر هي التي وصلت ابن سينا فاقدة قوتها الأصلية لضعف عباراتها العربية وققدانها روعتها الأصلية والدليل الواضح على ضعف متى في النقل تولى يحيى بن عدي نفسه إصلاح كثير من نقوله حسبما يخبرنا جمال الدين القفطي وهذا واضح لدى كل مثبّع .

أما ابن سينا فباعتماده على نقل عربي ركبك من جهة وفاقد صفاته الأصلية من جهة ثانية جاءت أعماله في هذا الموضوع لا روح فيها ولا حياة ولا نستطيع اتخاذها كأثر ذي خطر علمي كبير ولا لوم على ابن سينا فاللوم على ناقل الترجمة التي اعتمد عليها .

(١) الفصاحة لأنطون التكريتي المقالة ٥ في الشعر القانون ١٢ وما بعده .

ولدينا الآن بالسريانية قسم (المأساة) من (فوطيقي) أرسطو أورده العلامة
سويريوس بعقوب البرطي في (كتاب الديالوغ) واذك لتجد في هذا القسم روح
الترجمة السريانية للمأساة وهي قسم مهم من الفوطيقي ^(١) فنعلم أن المترجم السرياني
قام بواجبه خير قيام ولو أخذت الترجمة العربية لشعر أرسطو بهذه الدقة والروعة
لما هفا بها فلاسفتنا العرب ولكن هو الإنسان . ولدينا ترجمة كاملة في (الفوطيقي)
بالسريانية أوردها العلامة ابن العبري في القسم الأول من موسوعته الفلسفية
(زبدة الحكم) ^(٢) .

هذا ما استطعنا قوله في (بتايح المعرفة عند ابن سينا) ومن كان لديه من
منيد فليزودنا والله الموفق .

(الموصول) غريغوريوس بولس بهنام

مطران الموصل وتوابعها للسريان الأرثوذكس



(١) الديالوغ المقالة ٣ - الجواب على السؤال العشرين .

(٢) زبدة الحكم المجلد الأول المقالة ٩ كلها .

الاتجاه القومي في التربية العربية

لو أن مؤرخاً أراد أن يكتب تاريخ حياتنا الحاضرة لما وجد فيها ظاهرة أدل على تطورنا من عناية الحكومات العربية المختلفة بنشر التعليم في جميع طبقات الشعب . فقد تنبّه العرب في هذه الحقبة الأخيرة من الزمان لما أصابهم من ضعف فطفتوا يؤسسون المدارس ، وينشرون العلم ، ويضمّون الى قديمهم ما جدّ من الحضارات ، وبوجهون مدنيتهم وجهة جديدة . وكما رفع كابوس الاستعمار عن قطر من الأقطار العربية نهض أبناؤه بتلحسون وسائل المعرفة والقوة بايمان وعزيمة ما كان يتأتى لهم تحقيقها في زمن استعبادهم . ذلك لأن ارتفاع كابوس الاستعباد يؤدي بطبيعة الحال الى تفجير القوى الكامنة في النفوس ، والى تيسير سبل المعرفة المؤدية الى رفع مستوى الشعب واستثمار أرض الوطن . فلا غرو إذا ازدادت عناية الأقطار العربية بنشر التعليم بازدياد تحررها ، ولا عجب أن يؤدي انتشار التعليم الى هذه النهضة المباركة التي نشاهدها اليوم في كل مكان .

لا أريد أن أتحدث الآن عن مبلغ انتشار التعليم في الأقطار العربية ، فهذا أمر قد تولته دوائر الإحصاء في وزارات المعارف وعملت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية على جمعه في حوليات خاصة . ومن راجع هذه الحوليات الثقافية وجد عدد تلاميذ المدارس في العالم العربي يزداد عاماً بمر عام ، حتى لقد أصبح عددهم الآن في بعض الأقطار العربية أكبر مما كان عليه قبل نصف قرن بمائتي مرة . ولو كان الغرض الذي أقصد اليه الآن غرضاً كمياً لعرضت على القاري جداول الإحصاء ، ولرسمت له خطوطاً بيانية تدل على سرعة انتشار التعليم ، ولكنني كما قلت آنفاً لا أريد أن أتحدث الآن عن الناحية الكمية ،

لعلني أنها لا تكشف عن جوهر التعليم ، ولا اعتقادي أن الأساس في التعليم إنما هو نوعه وكيفية لا مقداره ، وكميته . لذلك قصرت بحثي في هذا المقال على الناحية الروحية ، وأردت بالناحية الروحية الكلام على ماهية التعليم وحقيقته وعلى الاتجاهات الفكرية العامة المحيطة به .

إن لمعرفة هذه الاتجاهات العامة فائدة كبيرة ، لأنها تشعر القارئ على شؤون التربية بمقاصد أعمالهم وتعينهم على تنظيم الخطط والمناهج ، وتوجه سياسة التعليم توجيهًا صالحًا ، فلا ترتجل فيها الحلول ارتجالاً ، بل تنفذ وفقاً لخطّة مرسومة وفكرة واضحة معلومة . أضف الى ذلك أن في البلاد العربية أنماطاً كثيرة من المدارس ، واتجاهاتها تختلف باختلاف نزعاتها ومذاهبها ، فإذا لم توجه أهدافها ، ولم تعمل على تخرّيج تلاميذ متجانسي العقائد ، متحمدي الأفكار والعواطف ظلّ مثلنا الأعلى ممزقاً ، وشملنا شقيتين مفرقتين ، ووحدتنا القومية بجزأة مبددة .

لذلك رأيت أن أتحدث عن اتجاهات التربية في العالم العربي ، لعلنا إذا استنصنا بنورها نستطيع أن نلم شعثنا ، ونؤلف من نزعاتنا الفردية المتفرقة روحاً كلية عامة ، فما هي اتجاهات التربية العربية ، لا بل ما هو المثل الأعلى لتربيتنا القومية ؟

لا شك أن للتربية العربية الحاضرة اتجاهات كثيرة كالاتجاه الفردي ، والاتجاه الاجتماعي ، والاتجاه الديمقراطي ، والاتجاه الوطني ، والاتجاه القومي والإنساني . ومن الصعب لا بل من المحال أن يحيط الباحث بجميع هذه الاتجاهات ، وإن يوفيهما حقها من البحث في مقال واحد . فلا بد لنا إذن من الانقصار على اتجاه واحد وهو الاتجاه القومي وأثره في التربية العربية الحاضرة . وليس في هذا التحديد تضيق لنطاق البحث لأننا حينما نتكلم على الاتجاه القومي سنطلّ منه على الاتجاهات الأخرى . فما هو هذا الاتجاه القومي ، ما هي حقيقته ، وما هي غايته ؟

للجواب على هذا السؤال نقول أولاً إن الاتجاه القومي في اصطلاحنا هو اتجاه التربية الى تحقيق مبادئ القومية العربية . فما هي هذه المبادئ ، هل القومية

العربية مفهوم نظري مجرد ، أم هي حقيقة واقعية ، هل هي فكرة وأمل ، أم تجربة وعمل ، هل هي نزوع الى الماضي ، أم اتجاه الى المستقبل ، هل هي حقيقة ثابتة لا تتغير ، أم حقيقة متجددة ، هل هي إيمان عاطفي بكيان سيامي مستقل ، أم وثوق عقلي بكيان اجتماعي متكامل ، ثم ما هي العناصر التي تقوم عليها هذه القومية ، هل تقوم على وحدة اللغة والفكر ، والعقيدة ، أم تقوم على وحدة الجنس ، ووحدة المصالح الاقتصادية ، وبعبارة واحدة هل العروبة حفاظ عن مجتمع تقليدي راكد ، أم هي بعث وتجديد لمجتمع تقدمي متطور ؟

هذه أسئلة مختلفة تخطر ببال المفكر عند الكلام على القومية العربية ، فأنا لا أريد الآن أن أجيب عن كل واحد من هذه الأسئلة على حدته ، بل أريد أن أقول فيها قولاً عاماً ، وهو ان العروبة شيء من هذا كله ، فهي فكرة وعمل ، وعقيدة وأمل تجمع بين الاستمداد من الماضي والافتباس من الحاضر والنزوع الى المستقبل ، لا بل هي حقيقة متجددة ، وإيمان عاطفي ، ووثوق عقلي ، وتقدمية ديمقراطية وإنسانية تقوم على وحدة اللغة والفكر ، ووحدة التاريخ والمصالح ، ووحدة المشاعر والمنازع . فالعروبة التي نؤمن بها ليست فلسفة قومية ضيقة ، ولا هي عقيدة اجتماعية مغلفة ، مؤلفة من الكره والبغضاء والتهديم والشر ، وإنما هي فلسفة اجتماعية مثالية ، لا بل فكرة تقدمية مؤلفة من الحب والإبداع والعدل والنظام والانتاج والخير ، من مقوماتها محبة الوطن العربي ، ومحبة الإنسانية جمعاء ، ومن سياساتها العدل والانصاف داخل البلاد العربية وخارجها ، وغاية ما يرجوه العرب أن يسهموا في تقدم الحضارة ، وأن يتمموا رسالتهم التي بدأوها في الماضي ، وأن يكملوا القيم الإنسانية بما يضيفونه إليها من انتاجهم الثقافي ، إذ الإنسانية المعذبة محتاجة اليوم إلى عقل موجه يستمد مفاهيمه من عبقریات جميع الأمم لا من أمة دون أخرى . وربما كانت الأمة العربية أكثر الأمم إيماناً بالسلام العام . فكما أنها لا تريد أن تعتدي

على غيرها ، كذلك تأبى أن يعتدي غيرها عليها . ومن واجب التربية العربية في هذه الحالة أن توظف في التلاميذ العرب الشعور بالكرامة ، وأن تعدّهم لاسترداد حقهم المنصوب في فلسطين وغيرها . وهذا حق طبيعي لا يهتم المطالب به بأية رغبة في الاعتداء ، ولا بأيّ تنكر للسلام العام . قال رئيس الجمهورية السورية : « إننا نحمل أعباء رسالة قومية في هذا العالم هي في الصميم رسالة إنسانية ، مبعثها كل ما في ضمير هذا الشرق من أسنى مبادئ الدين القويم والخلق النبيل ، وليس في ديننا أو في أخلاقنا أو تقاليدنا إلا كل دعوة الى الخير والتسامح ، وعدم التفاضل بين الناس إلا بما يقدمون بين أيديهم من حسنات . ونحن العرب نؤمن بحق تقرير المصير لجميع الشعوب الطامحة الى حياة الحرية والكرامة ، ونؤمن بأن لا سبيل الى سلام عادل في الأرض ، إلا إذا احترم الأقوياء هذا المبدأ الإنساني الرفيع . فصراعنا مع قوى الشر والبغي والعدوان أينما كان هو صراع قومي وإنساني معاً » (١) .

وقصارى القول ان فلسفة العروبة تدعو الى الاعتزاز بالماضي والعمل على إصلاح الحاضر والتطلع الى مستقبل فيه من عناصر الحضارة أروعها ، ومن العلوم والصناعات أقواها وأرسخها ، ومن الأخلاق الفاضلة أكملها . من مبادئها أن العرب في جميع أقطارهم يؤلفون أمة واحدة ، وان هذه الوحدة تقوم على وحدة المنازع والمشاعر ، ووحدة اللغة والتاريخ والثقافة ، ووحدة المصالح الاقتصادية وغيرها . ومن مبادئها أيضاً أن العروبة فكرة تقدمية تهدف الى إنشاء مجتمع متجدد يضم إلى محاسن القديم ما تجددت من الحضارات وبهي لأفراد أممنا اجتماعياً وفردياً ، ويرفع مستوى حياتهم ، ويجهزهم بالعلم والصناعة ، وبقِيم علاقاتهم على أساس العدل والمساواة والحرية والكرامة . فاذا شئنا أن يكون تربيتنا الحديثة اتجاه قومي محقق وجب علينا أن نضمها جميع هذه المبادئ ، بحيث تهّي لنا جيلاً جديداً

(١) من خطاب رئيس الجمهورية السورية في عيد الجلاء يوم ١٧ نيسان ١٩٥٦ .

علماً بتاريخه معتزلاً بماضيه ، مؤمناً بوحدته القومية ، مدركاً لواجباته ، مشبعاً بروح التضامن والأخوة بين جميع أبناء البلاد العربية ، مجهزاً بالمعرفة ، قادراً على استثمار ثروته الزراعية والمعدنية ، مؤمناً بالمعدل الاجتماعي والحريّة والكرامة الإنسانية .

وهنا نتساءل هل استطاعت التربية العربية الحاضرة أن تحقق هذا الاتجاه القومي ، أم هي لا تزال حتى الآن تخطيط وتضطرب دون أن تهتدي الى أسلوب واحد يجمع شتات الأفكار والعواطف ويوحد المنازع والمشاعر ويوجه المواطن العربي الى غاية قومية واحدة . ذلك ما أربد الآن أن أستقصيه للاطلاع على ما بلغته تربيتنا القومية من تقدم نسبي في وسائلها وغاياتها .

لنستعرف أولاً ما تضمنته قوانين المعارف في بعض الدول العربية من الإشارة الى الأهداف القومية :

١ - لقد جاء في قانون المعارف السوري : « إن مهمة وزارة المعارف الأساسية هي تربية الجيل الجديد تربية صالحة من جميع الوجوه البدنية والخلقية والفكرية ، لينشأ كل فرد من أفراد قوي البدن ، حسن الخلق ، صحيح التفكير ، محباً لوطنه ، معتزلاً بقوميته ، مدركاً لواجباته ، مزوداً بالمعلومات التي يحتاج إليها في حياته ، قادراً على خدمة بلاده بقواه العقلية والبدنية وبجهوده الانتاجية » ، وجاء في الدستور السوري ان التربية والتعليم حق لكل مواطن ، وان التعليم الابتدائي إلزامي ومجاني في مدارس الدولة وموحد البرامج ، وان التعليم الثانوي والمهني مجاني في مدارس الدولة ، وان التعليم الديني إلزامي في جميع المدارس لكل ديانة وفق عقائدها ، وان على الدولة أن تجعل أولية في موازنتها لنشر التعليم الابتدائي والربيعي والمهني ، وتعميمه لتحقيق المساواة بين السوريين وإقامة للنهضة على أسس صحيحة ، وتسهيلاً لاستثمار أرض الوطن ، وإن التعليم يجب أن يهدف إلى إنشاء جيل قوي يجسمه وتفكيره ، مؤمن بالله ،

مقتل بالأخلاق الفاضلة ، معتر بالتراث العربي ، مجهز بالمعرفة ، مدرك لواجباته وحقوقه ، عامل للمصلحة العامة ، مشبع بروح التضامن والأخوة بين جميع المواطنين ، وأنه يجب على الدولة أن تعنى بتقوية الشخصية والحريات الأساسية ، وأن تثبتي الحركة الرياضية والكشفية والفتوة سيف المدارس والجمعيات والأندية ، وأن تحمي العلوم والفنون وترعى تقدمها وانتشارها وتشجع على البحوث العلمية وتحمي الآثار والأماكن الأثرية ، والأشياء ذات القيمة الفنية والتاريخية والثقافية .

٢ - وجاء في قانون المعارف الأردني : « إن مهمة وزارة المعارف الأساسية

هي إتاحة الفرص لتعليم الشعب وتربية شخصية المواطن وتنشئة جيل صحيح الجسم ، سليم العقيدة ، شديد التفكير ، قويم الخلق ، يدرك واجبه نحو الله والوطن ويتجه بالعمل الخير بلاده » . وفي الدستور الأردني مواد تؤيد هذه الأهداف وتتضمن مبدئين أساسيين هما القومية والديموقراطية . أما القومية فان الدستور الأردني يشير إليها بقوله إن المملكة الأردنية الهاشمية دولة عربية ، وإن الشعب الأردني جزء من الأمة العربية ، وأما الديموقراطية فتظهر في تصريح الدستور بأن الأردنيين أمام القانون سواء لا تميز بينهم في الحقوق والواجبات فالتعليم الأردني يهدف بحسب هذه النصوص الى تربية الطفل تربية كاملة تجمع بين صحة الجسم وقوة التفكير ومتانة الخلق وسلامة العقيدة على أساس قومي ديموقراطي .

٣ - وجاء في أنظمة التعليم العراقية ان واجب وزارة المعارف تهيئة أمة صحيحة جسمياً وعقلاً وخلقاً ، وأن هدف التعليم نشر الثقافة العامة في الجيل الناهض ، وتنشئة جيل مزود بما تتطلبه الحياة المدنية من معلومات عامة وتفكير صحيح وجسم قوي وأخلاق متينة وروحيات سامية وذوق سليم ويد عاملة وإخلاص وتضحية في سبيل الأمة والوطن . وإن على المدرس أن يوضح الروابط الجغرافية التي جعلت البلاد العربية وحدة متماسكة الأجزاء ، وكيف جاءت كلها متحدة في اللغة والثقافة ، وان عليه أيضاً أن يعود تلاميذه الاستقلال الذاتي في البحث

والتتبع ، وأن ينمي الروح العلمية فيهم ، ويعودهم التفكير المنطقي والملاحظة والتجربة ، وأن يدعوهم الى الاهتمام باللغات الأجنبية ، وبنشئهم على تحمل المسؤولية ، ويحبب اليهم المثل العليا الروحية والخلقية ، ويفرس فيهم حب الخدمة والتفاني في سبيل أبناء الشعب ، وأن يعمل على تنشيط أجسامهم وتقوية صحتهم ، وينمي فيهم الذوق الفني وجميع المواهب الخاصة التي تحبب اليهم مراوالة بعض الفنون . وجماع ذلك كله أن يعلم المدرس أنه مسؤول عن تنشئة شبان مزودين بأفضل ما يمكن أن تقدمه المدرسة من تربية وطنية وفكرية وروحية .

٤ - وما جاء في دستور لبنان ان التعليم حر مالم يخل بالنظام العام ، وينافي الآداب ، ويتعرض لكرامة أحد الأديان والمذاهب . وأن حقوق الطوائف من جهة إنشاء مدارسها الخاصة مكمولة على أن تسير وفقاً لللائحة العامة التي تصدرها الدولة . وفي البرامج اللبنانية إشارة الى أن الغاية المثلى من التعليم هي إعداد الإنسان الحق والمواطن البصير والعضو العامل في المجتمع إعداداً يبدو في التربية الروحية والعقلية والجسدية . أما التربية الروحية فتقوم على تبيان فكرة الإله الخالق وعلاقته بالخلوقات وعلى احترام الشخصية الانسانية ، وعلى الأخذ بتدرج القيم الصاعد من المادة الى العقل ، وعلى ضرورة التمسك بالفضائل السامية وتفهم حقوق الإنسان وواجباته . وأما التربية العقلية فتقوم على تعويد التلميذ صحة التفكير واستقامة القياس وقوة الملاحظة ودقة الانتباه . وأما التربية الجسدية فغايتها تقوية جسم التلميذ وتنميته على أسلوب رياضي يهدف الى الصحة والجمال . والحكومة اللبنانية تريد أن تربي النشء تربية وطنية صحيحة وأن توجهه توجيهاً صريحاً نحو الحرية والعزة والاستقلال ، وأن تبرز تدريس اللغة العربية في جميع المعاهد وفي جميع فروع العلوم وهي تريد أن تجعل التعليم موافقاً لوضع لبنان ومصالحته وحاجة أبنائه من جهة ومساراً لحركة الثقافة العالمية من جهة أخرى ، ولذلك عنت بالتنشئة الوطنية والبدنية والتربية

الخلقية والاجتماعية وباطلاع اللبناني على منافيه التاريخية دون ما تبجح أو تزيد فيعتز بماضيه ويفهم حاضره ويجفز لمستقبله ، ثم يعرف علاقاته باخوانه في الدول العربية فيقدر مركزه منهم ويقوم بواجباته نحوهم على حب وإخلاص يعززهما قيامهم نحوه بالواجبات نفسها .

• — وما جاء في مناهج مصر ان غاية التعليم الابتدائي تثقيف أبناء الشعب تثقيفاً عاماً يمدّمهم للحياة القومية ويوثق الصلة بينهم وبين مجتمعهم ، ويهيئهم للحياة في البيئة التي يعيشون فيها ، ويفسح لهم مجال النمو الجسدي والعقلي والخلقي ، وأن غاية التعليم الثانوي تنمية ثقافة الطالب وتقويم فكريه وتدقيق حسه وتدريبه على الإسهام في الأمور الاجتماعية وتزويده بشيء من الاختصاص العام الذي يمهده للدراسة العالية . والغرض الأساسي من هذا التعليم تكوين المواطن المستنير الدائب النزوع الى تحسين الواقع وتربية شخصيته تربية كاملة من الناحية العقلية والخلقية والجسمية ، بل التعليم الثانوي الذي يقتصر على تزويد الطالب بالمعلومات لا يبالغ غايته ، لذلك يجب أن تتوفر فيه عوامل أخرى تعين على تكوين شخصية الطالب ، وتسمى هذه العوامل بالنشاط المدرسي . وتهدف فلسفة التخطيط في وزارة التربية والتعليم في مصر الى تحقيق مبدأين هما : (١) العدل الاجتماعي (٢) وتكافؤ الفرص . وتحقيق هذه الفلسفة يتطلب أمرين : الأول توسيع قاعدة التعليم وتدريبها ، والمقصود من ذلك نشر التعليم الابتدائي في جميع طبقات الشعب وتوجيهه وتوجيهها تقديمياً بجعل مناهجه تدور حول موضوعات اجتماعية واقتصادية ذات صلة مباشرة بحياة التلميذ وتكوين شخصيته . والثاني تنويع التعليم الثانوي وتوجيهه للتلاميذ الى أنواعه بحسب استعداداتهم حتى يكشف عن الصالحين للقيادة في الميادين المهنية والاقتصادية ، والعناية بالتعليم الفني حتى يحقق أهدافه الخاصة من تكوين أيدٍ عاملة ماهرة مدربة منتجة . ومن المبادئ التي أعلنها مجلس الثورة في الدستور الجديد أن التعليم حر في حدود القانون

والنظام العام ، وأنه حق للمصريين جميعاً ، وإن الدولة تهتم بنمو الشباب البدني والعقلي والخلقي ، وإن التعليم في جميع مراحله مجاني في الحدود التي ينظمها القانون . وهو في المرحلة الأولى إلزامي ومجاني معاً .

٦ - وما جاء في أنظمة الكويت أن مرحلة التعليم الابتدائي تهدف إلى تعريف التلميذ ببيئته وتصور الحياة التي تحيط به ، والعناية بتنمية الاتجاهات والميول الضرورية لتربية المواطن المستنير السليم العقل والبدن ، وإيجاد أفراد قادرين على الإسهام في نصيبهم من الحياة المتطورة مع الاحتفاظ بخير ما فيها وتحسينها ، وتحقيق المساواة والقضاء على الفوارق الاجتماعية ، والاهتمام بالنواحي القومية والاجتماعية والعلمية ، والعناية باللغة العربية والدين ومرونة المناهج وارتباطها بالبيئة الطبيعية والاجتماعية وعدم التفريق بين مناهج البنين والبنات . ومن أهداف المرحلة المتوسطة تزويد الشعب بقدر مشترك من الثقافة القومية عماده إتقان اللغة العربية والإلمام بلغة أجنبية والإحاطة بتاريخ العرب وجغرافية بلادهم ومعرفة شيء من مبادئ العلوم التي تقوم عليها حضارة عصرنا ، وإتمام الكشف عن الميول والمواهب لتوجيه التلاميذ إلى ما يصلحون له والعمل على تربيتهم تربية خلقية واجتماعية بأشراكهم في أوجه النشاط الاجتماعي والثقافي والعناية بأجسامهم بتشجيع الرياضة البدنية والحركة الكشفية . ومن أهم ما جاء في خطة الدراسة الثانوية إبراز الناحية القومية العربية في دروس التاريخ واعتبار كل حادث من أحداث التاريخ العربي في أي قطر من أقطار العروبة حلقة مكملة لباقي الحلقات لا انفصام بينها . والفرض من ذلك أن يتضح للطالب العربي أن هذه الرقعة الفسيحة التي تعيش فيها الأمة العربية هي وطن لا يتجزأ ، وتاريخها لا يتجزأ ، كذلك الحال في دروس الجغرافية فقد عنيت بإبراز مقومات الوحدة العربية وأسسها التاريخية والجغرافية .

٧ - وما جاء في اتفاق الوحدة الثقافية المعقود بين مصر وسورية والأردن أن الدول المتعاقدة تتفق «على أن يكون هدف التربية والتعليم فيها بناء جيل عربي واع مستنير يؤمن بالله وبالوطن العربي ، ويشق بنفسه وأمنه ، ويهدف للمثل العليا في السلوك الفردي والاجتماعي ، ويستمسك بمبادئ الحق والخير ، ويملك إرادة النضال المشترك وأسباب القوة والعمل الإيجابي ، متسلحاً بالعلم والخلاق لتثبيت مكانة الأمة العربية المحجدة وتأمين حقها في الحرية والأمن والحياة الكريمة » (المادة الأولى) .

٨ - وأحسن ما يتجلى هذا الاتجاه القومي في الأسس العامة التي وضعها المؤتمر الثقافي العربي الأول ، فقد جاء في هذه الأسس أن التربية الوطنية في البلدان العربية يجب أن تهدف الى ما يلي :

أولاً : إبراز الانصال الجغرافي التام بين البلدان العربية في قارتي آسيا وإفريقية .
ثانياً : العناية باظهار أن هذه البلدان كانت مهداً لأقدم حضارات العالم وانها قدمت للحضارة العالمية أجل الخدمات .

ثالثاً : إبراز الاشتراك التاريخي بين هذه البلدان . ففي العصور القديمة كانت تربطها أوثق الصلات ، وكانت بمد ذلك خلال حقبة طويلة من الزمان وحدة سياسية تضمها امبراطورية عظيمة . كما ظلت في العصور الأخيرة مرتبطة بروابط قوية .

رابعاً : توكيد أن العروبة لم تكن في الماضي ولا في الحاضر مقصورة على طائفة من الطوائف أو دين من الأديان ، وان التعاد بين المواطنين العرب على تفاوت أديانهم كان قوياً في الماضي كما كان كذلك في النهضة العربية الحديثة .

خامساً : بيان أن التطور العالمي سائر نحو التكتل والاتحاد ، وان جامعة الدول العربية مظهر من مظاهر هذا التطور وليس معنى التكتل فقدان

شخصية الأجزاء المكونة له ، وانما المقصود منه أن تكون لهذه البلدان خطط مرسومة تنسق فيها جهودها لتحقيق الأهداف المشتركة .

سادساً : بيان ان الاستقلال حق طبيعي للشعوب ، وان الاستعمار ضرب من الرق يجب القضاء عليه .

سابعاً : نو كيد ان النظام الديموقراطي الصحيح أكفل الأنظمة لضمان الحرية والعدالة والمساواة ، وإتاحة الفرص المتكافئة للجميع ، والعمل على اتخاذ الروح الديموقراطية الصحيحة عقيدة راسخة في نفوس الناس .

* * *

هذا ما رأيت أن أذكره من أهداف التربية العربية المنصوصة في النظم والقوانين . وما ذكرت منها الا القليل ، لأن الكلام على ذلك لا يمكن استقصاؤه في مقال واحد . ونظرة مريعة الى ما جاء في هذه النصوص تكفي للاطلاع على الفلسفة التربوية التي تضمنتها ، فما هي هذه الفلسفة ، هل هي فلسفة تجريبية الى فلسفة عقلية ، أم فلسفة ذرائعية نفعية . اننا لا نستطيع الآن أن نجيب عن هذا السؤال بوضوح تام ، ولكننا نستطيع أن نستنبط من القوانين والنظم بعض الاسس الفلسفية العامة التي بنيت عليها تربيتنا القومية .

الاساس الأول هو إعداد الطفل للحياة الكاملة . فان التربية في نظرنا لا تبلغ غايتها إلا إذا عملت على إعداد الإنسان الحق . وهذا الإنسان الحق لا يكون كاملاً إلا كان قوي البدن ، حسن الأخلاق ، صحيح التفكير . وفي هذا الجمع بين تربية البدن وتربية العقل وتربية الأخلاق شاهد صادق على أن الإنسان الكامل في نظرنا هو الذي يعتقد أن الخير في الوجود غالب على الشر ، وان سعادة الآخرة متوقفة على سعادة الدنيا ، وان المعرفة بذاتها قيمة مطلقة ، وان هنالك بالإضافة الى القيم العقلية قيماً روحية ودينية لا يجمع الإنسان بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة إلا بالمحافظة عليها .

والأساس الثاني الذي نستند اليه في تربيتنا القومية هو الأساس الديمقراطي .
 إن للديموقراطية ثلاثة مبادئ وهي مبدأ سيادة الشعب ، ومبدأ المساواة ، ومبدأ
 الحرية الفردية . وهذه المبادئ الثلاثة مذكورة في أكثر دساتير البلاد العربية .
 فالسيادة للشعب لا يجوز لفرد أو جماعة ادعاؤها ، والمواطنون متساوون جميعاً
 أمام القانون في الواجبات والحقوق وفي الكرامة والمنزلة الاجتماعية ، والدولة
 تكفل الحرية والطائفة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين . وقد أدى تطبيق
 هذا المبدأ الديمقراطي الى إقرار إلزامية التعليم ومجانيته والى الأخذ بحرية التعليم
 والعمل على توحيد مناهجه . اننا نؤمن بالمساواة ونعتقد أن الطبيعة الانسانية
 واحدة في جميع أفراد النوع البشري ، لا بل إن مبدأ المساواة بين جميع المؤمنين
 مقرر في التربية الإسلامية القديمة (إنما المؤمنون إخوة) ، ولا فضل لعربي على
 أعجمي إلا بالتقوى . والدليل على ذلك أن المعاهد التي أسسها المسلمون في
 الماضي لم تفرق بين الغني والفقير ، ولا بين أبناء الطبقات العالية والطبقات الفقيرة ،
 بل كانت معاهد مجانية يؤمها الطلاب من كل حذب وصوب ، ويجدون فيها
 كل عون مادي . فلا غرو إذا نادينا اليوم بمبدأ المساواة في التربية وجعلنا
 التعليم إلزامياً ومجانياً .

والأساس الثالث الذي نستند اليه في تربيتنا هو الأساس القومي . إننا
 نريد أن ننشئ جيلاً جديداً معتزاً بقوميته فلا يدرس تاريخ حضارته القديمة
 إلا ليعتمد منها قياً روحية تحفزه الى المستقبل وتدفعه الى استعادة مكانته
 بين الأمم ، ولا يدرس جغرافية البلاد العربية إلا ليطلع على عوامل الوحدة
 التي جعلت منها وطناً واحداً ، بل الدروس التي يتلقاها الطالب في جميع مراحل
 التعليم يجب أن تعمل على إيقاظ وعيه القومي ، وإشعاره بأن العربي أخو العربي
 أحب أم كره ، وان المصلحة القومية العليا فوق المصالح الاقليمية والطائفية ،
 وان القومية العربية حقيقة لا ريب فيها ، وان الاستعمار ضرب من الرق يجب

القضاء عليه ، وانه ينبغي لجميع الأقطار العربية أن تتضامن وتتعاون لتحرير البلدان العربية التي لا تزال واقعة تحت نيره ، وانه ينبغي للمجتمع العربي أن يصبح مجتمعاً متجداً يضمن لأفراده مستوى كرمياً من العيش ، وبكفل لهم أمناً اجتماعياً وفردياً ، ويحقق لهم الحرية والعدالة والمساواة . ويجرهم من الفقر والمرض والجهل ، على أساس ديمقراطي يتيح الفرص المتكافئة للجميع دون أي تمييز بين الطبقات والمذاهب .

وفي مبادئنا التربوية أسس كثيرة غير هذه كالدعوة الى الوطنية الصحيحة ، والدعوة الى الخير والانسانية والتسامح ، والدعوة الى تقديس القيم الروحية والايان بالعلم والتقدم والتفائل ، والدعوة الى استثمار أرض الوطن ، وتنمية الانتاج القومي ، وتقوية الروابط الاجتماعية ، ولو مضيت أعداد ما اشتملت عليه نظمتنا التربوية من مبادئ مثالية لكتبت في ذلك أوراقاً كثيرة ، فلنقتصر إذن على هذا القدر الذي ذكرناه ، ولنسأل الآن هل استطعنا أن نحقق هذه المبادئ في تربيتنا الواقعية ، هل أنشأنا كما نقول أنظمتنا جيلاً جديداً قوياً بحسبه وتفكيره ، متخلياً بالأخلاق الفاضلة ، معترفاً بالتراث العربي ، مجهزاً بالمعرفة ، مدركاً لحقوقه وواجباته ، عاملاً للمصلحة العامة ، مشبعاً بروح التضامن والاخوة بين جميع المواطنين ؟

للجواب على هذا السؤال أقول إن التربية العربية لم تبلغ بعد غايتها بالرغم من التقدم النسبي الذي أحرزته حتى الآن ، وذلك لأسباب كثيرة منها حداثة النهضة في البلدان العربية ، واضطرابنا الى تعبئة جميع قواها لمكافحة الاستعمار ، وعدم نمو الحياة الاقتصادية في جميع الأقطار العربية في وزن واحد من الانساق ، وازدياد الاضطراب السياسي والاجتماعي ، وميلنا الى تقليد الحضارة الأوربية دون أن نوفق بينها وبين حاجتنا القومية . فنحن لا تزال حتى الآن أمام مشكلات اقتصادية كثيرة ومشكلات اجتماعية وصحية كثيرة ، ومشكلات سياسية وإدارية

كثيرة ، لم تغلب عليها لقلة تعاوننا ، وضآلة مواردنا ، وعجز وسائلنا . فلا غرو إذا ظلت تربيتنا الواقعية حتى الآن بعيدة عن الغايات السامية التي أشارت إليها نظمنا وقوانيننا ومناهجنا . ونظرة واحدة الى أوضاعنا الراهنة تكفي لإبراز ما انطوت عليه تربيتنا القومية من نقص ، وما أنا ذا أعرض على القارئ بعض هذه النقائص على سبيل المثال لعلنا إذا أدركنا أسبابها وعواملها نستطيع أن نتجنبها ونهيئ أسباب الإصلاح الذي نرجوه لأمتنا .

أولاً - ان تربيتنا القومية لم تبني على فلسفة قومية واضحة في الأذهان ولم تستمد من فكرة معينة أو غاية محددة . وإنما نظمت في أدوار متعاقبة سيطر عليها التقليد حيناً وحب التجديد حيناً آخر دون أن تبني على تجارب نفسية ودراسات اجتماعية مستمدة من تاريخنا وحاجاتنا . ان للحركات القومية في بلاد الغرب أئمة يبحثون في عناصر القومية ومميزاتها ووسائلها وغاياتها . ولبحوثهم النظرية أثر في توضيح غايات التربية وتحديد وسائلها . فإذا شئنا أن نبني جهادنا القومي على أساس واضح وجب علينا أن ننشئ لأنفسنا فلسفة قومية مستمدة من تراثنا الثقافي وحاجاتنا المتجددة ، وأن نهتدي في تربيتنا بهدي هذه الفلسفة فنوازن بين القوى الفاعلة والمنفعلة ونعمل على توجيه منازعنا الجنسية ومشاعرنا الدينية والاقليمية وآمالنا القومية الى غاية واحدة . إننا لانستطيع أن نربي أولادنا كما كان أجدادنا يربون أولادهم في العصر العباسي أو العصر الفاطمي ، ولو فعلنا ذلك لأنشأنا جيلاً لا يصلح للحياة في القرن العشرين ، وكذلك لانستطيع أن نربي أولادنا كما يربي البريطانيون أو الفرنسيون أو الأميركيون أولادهم . إن الزيتون لا ينبت إلا في المناطق المعتدلة وإذا زرعه في منطقة باردة يبس وألقي في النار ، فالمثل الأعلى الذي يجب علينا أن ننسج على منواله في تربيتنا القومية إنما هو مثل أعلى جديد متصل بماضينا ومبني في الوقت نفسه على حاجاتنا وآمالنا ومنازعنا .

ثانيًا — إن فلسفتنا القومية لا تزال حتى الآن مصطبغة بصبغة عاطفية نجعلنا نستمد تفكيرنا من القلب والعاطفة أكثر مما نستمد من العقل والنظر . وهذا الاعتماد على إلهام العواطف يجعل تفكيرنا القومي ذاتيًا ، فإذا أحببنا أمراً من الأمور عددناه حقاً ودينًا ، وإذا كرهناه عددناه باطلاً وكفرًا ، وكثيراً ما نزن الأشياء بميزان شخصي ، فنؤخذ بالعاطفة ، ونطلق حكماً على كل شيء حتى لو كانت الأشياء التي يشملها ذلك الحكم قليلة التشابه ، تؤثر فينا الحماسة السريعة الزوال أكثر مما يؤثر فينا الهوى العميق الثابت . ومع أننا نعلم أن المرء يساق بالغريزة إلى الموت وبالعقل إلى الحياة ، فإن سلوكنا الفردي والاجتماعي لا يزال في كثير من مواقفنا القومية مبنياً على العاطفة والغريزة . والسبب في طغيان العاطفة على سلوكنا قلة عنايتنا بالتربية العقلية المبنية على العلم والتجربة . فبنشأ طلابنا أميل إلى البلاغة والخطابة منهم إلى المنطق والنظر . فإذا كتبوا أو تكلموا استمدوا تفكيرهم من عواطفهم ، وإذا كذبهم الحوادث تعصبوا لرأيهم ، كان الوجود كله مصبوغ بعواطفهم ، وكان العاطفة عندهم معيار الوجود ، وكثيراً ما ينكرون الحقائق ويصدقون إلهامهم ، أو يخضعون للطبيعة لتصوراتهم بدلاً من أن يخضعوا تصوراتهم للطبيعة . فمن الواجب على المربي العربي أن يعمل على مكافحة هذا الاتجاه فيعود طلابه تفضيل حكم العقل على حكم القلب ، ويبعدهم عن التعصب الفكري ، وبكسبهم روح النقد فلا يصدقون أمراً إلا إذا استطاعوا أن يؤيدوه بالحجج العقلية والدلائل البرهانية ، ولا يقدمون على أمر إلا إذا أعدوا له العدة الكافية ونظموه وخططوه على أساس عقلي .

ثالثًا — ومن خصائص اتجاهنا القومي الاعتزاز بالماضي . لقد قلنا إن من أهداف التعليم في البلدان العربية إنشاء جيل معتز بماضيه ، معزز بترائنه العربي . فنحن نعلم حق العلم أن أجدادنا لعبوا في تاريخ الحضارة دوراً هاماً فنقلوا علوم اليونان إلى اللغة العربية ثم نقلوا هذه العلوم إلى أوروبا يوم كانت

تخبط في الظلمات . ونعلم حق العلم ان بلادنا كانت مهداً للنبوات ، وملقياً للحضارات ومقرّاً لامبراطورية عظيمة امتد سلطانها من أقصى الشرق الى أقصى الغرب . فلا عجب بعد هذا أن نحرص على إحياء تراثنا القديم وأن نفتخر بأجدادنا ونعبد أعمالهم ونعتزّ بهم . ولكن العجب أن نعيش في ماضينا ولا نعمل على تبديل حاضرنا . ان الانفجار بماآثر الأجداد ضروري جداً لإحياء الوعي القومي ، وإعادة الثقة بالنفس الى الجيل الجديد وحمله على الأخذ بما أخذ به السلف الصالح من عادات الايمان والصبر والإقدام والإخلاص والمروءة . ولكن اتجاهنا الى الماضي قد يبعدنا عن المستقبل ويمنعنا من مساهمة ركب الحضارة . وفرق بين أن يقف الانسان من ماضيه موقفاً سليماً منفصلاً ، وبين أن يقف منه موقفاً إيجابياً فاعلاً . إن الموقف السلبي المنفصل لا يفجر مكان القوة في نفوسنا بل يقتصر على إيقاظ شعورنا بماآثر أجدادنا فنظن أن ما فعلوه في الماضي كافر لنا في أيامنا هذه ، وأي نخر لنا إذا قلنا كان آباؤنا ، ولم نقل هانحن أولاء ، ألا يصدق علينا في هذه الحالة قول الشاعر :

ألمى بني تغاب عن كل مكرمه قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
لذلك كان من الواجب علينا أن نقف من حضارتنا القديمة موقفاً إيجابياً فاعلاً ، ونعني بهذا الموقف أن يكون شعورنا بماآثر أجدادنا حافزاً لنا على إكمال رسالتهم الخالدة بما نضمه الى قديتنا من جديد . فكما أنه ليس في مكننتنا أن نقطع صلتنا بماضينا . كذلك ليس في مقدورنا أن نتجاهل التطور الذي حدث في العالم وليس المعول في ذلك على إحياء الماضي ، بل المعول على الاستمداد من الماضي في سبيل إحياء الحاضر . والسبيل الى ذلك أن نضم الى هذا الماضي ما جد من الحضارات ، وأن يكون هذا الجديد الذي نضمه اليه ملائماً لمزاجنا الثقافي ولشاعرنا ومنازعتنا القومية :

وخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفسه حسباً جديداً

رابعاً — ومن صفاتنا في العمل القومي الاعتماد على الأساليب السلبية . لقد تعودنا هذه الطريقة السلبية خلال نضالنا القومي ضد الاستعمار ، لأننا كنا نرفض التعاون مع المستعمرين ونقف منهم موقفاً سلبياً ، فأدّت سياسة اللاتعاون هذه الى تقاص ظل الاستعمار عن ربوعنا ، وصار البطل كل البطل من يقول للمستعمرين (لا) ، والنذل كل النذل من يقول لهم (نعم) . ومع أن شاعرنا يقول :

حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم

فنحن لا نزال نقول (لا) في كل قضية من القضايا العامة ، والناس لم يغيروا اليوم هذا الموقف السلبي الذي تعودوه في زمن الاستعمار ، وإذا غيروه بالنسبة الى مشاعرهم ومنازعاتهم فانهم لم يستطيعوا التغلب عليه في تنظيم الأعمال العامة التي تتطلب تعاوناً إيجابياً بين الأفراد . فظل العربي سلبياً في وطنيته ، سلبياً في قوميته ، سلبياً في تضامنه وتعاونه مع أبناء وطنه . والدليل على ذلك أن المواطن العربي لا يزال حتى الآن حريصاً على أن يختص بالشيء من دون جميع المواطنين فلا ينسبه إلا إلى نفسه ، فهو فردي في أمرته ، فردي في مهنته ، فردي في حزبه وطاقته ، فلا تذوب إرادته في الإرادة العامة ، ولا ينخرط في كتلة أو جمعية إلا إذا اعتقد أن له فيها منفعة ، وفي تم انضمامه اليها حاول أن يكون مستقلاً عن المجموع . لذلك كان أول واجبات المربي العربي أن يحارب هذه الفردية السلبية ، وأن يكسب طلابه روح التضامن والتعاون ، وأن يعوّدهم العمل الجماعي المشترك حتى يصبحوا كتلة واحدة ذات إرادة واحدة .

خامساً — إن نمو الوعي القومي في أمة من الأمم يفرض على أبنائها أن يكونوا مدركين لحقوقهم وواجباتهم معاً . فإذا أدر كوا حقوقهم ولم يدركوا واجباتهم لم تكمل لهم شروط الوعي المطلوب . هل استطاعت تربيتنا الحديثة أن تنشيء جيلاً متصفاً بهذه الصفات ، انني أجيب عن هذا السؤال والآن لم يحز قلبي

بأن الجيل الجديد الذي تخرج على أيدينا أميل الى المطالبة بحقوقه منه الى القيام بواجباته . فهو جيل واع مدرك لحقوقه إدراكاً تاماً ، ولكن إدراكه لواجباته لا يزال ناقصاً . وهب أنه أدرك واجباته فإن ميله الى القيام بها أضعف من ميله الى المطالبة بحقوقه ، فاذا سأل عن حقه ألحف ، وإذا سئل عن واجبه سكت ، وهذا نقص عظيم لا تبلغ تربيتنا القومية غايتها إلا بتلافيه . والسبيل الى ذلك أن نعوّد طلابنا تقديس واجباتهم وأن نغرسهم على القيام بها في نظام ومحبة وإخلاص ، فلا يفرطون في شيء مما تقتضيه المصلحة العامة ولا يضحون بحقوق غيرهم في سبيل مصالحهم الفردية بل يعملون في نظام أساسه التقدم وسبيله الإخلاص والتعاون والحب .

سادساً — ومن خصائص اتجاهنا القومي أنه لا يزال اتجاهاً نظرياً غير منطبق على الواقع النفسي والاجتماعي إننا نتكلم عن القومية والإنسانية والحرية والعدل والمساواة والديموقراطية والسلام والتقدم وغيرها دون أن يكون لهذه الألفاظ في أذهاننا مدلول واضح . إن معاني هذه الألفاظ تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وما يسميه الغرب حرية بعده الشرق استعباداً ، وما يسميه المستعمرون عدلاً يسميه العرب ظلاً وعدواناً ، لاشك أن هذه الألفاظ معنى متعاليك يصدق على كل زمان ومكان ولكن مدلولها الواقعي يختلف باختلاف الأمم . فما هو معنى هذه الألفاظ عندنا . هل الحرية أن يفعل الإنسان ما يشاء ، أم أن يفعل ما تسمح به القوانين . وإذا كانت الحرية تابعة للقانون فما هي القوانين التي تضمن للعرب حق التمتع بحرياتهم الأساسية . لقد اخترنا أكثر قوانيننا عن الغرب دون أن نلأئم بينها وبين منازعنا القومية ، فاذا كان مفهوم الحرية أن يفعل الإنسان ما يأمر به القانون ، وكان القانون غير ملائم لمنازع الشعب لم يكن هنالك حرية حقيقية . هذا كله يدل على أن المفاهيم السياسية والخلقية التي تضمنها اتجاهنا القومي لا تزال حتى الآن مفاهيم نظرية مستعارة بعيدة عن الواقع العربي . ومن واجب التربية العربية أن توضح هذه المفاهيم وأن تجعل الشعور العربي المحيط بها مبنياً على المزايا التاريخية والخصائص النفسية

والاجتماعية لا على التقليد الاعمى . ولا يكفي أن نقول في دساتيرنا يجب أن تهدف التربية الى تقوية الحريات الأساسية . بل يجب أن نعرف قبل كل شيء الحريات الملائمة للمجتمع العربي المتجدد ، ماهي شروطها ، وما هي حدودها ، وما هي طبيعة القوانين المحيطة بها .

سابعاً - ومن خصائص تربيتنا القومية عدم ملائمتها لحاجات الانتاج ، فهي لم توجه التعليم نحو الحاجات الاقتصادية التي تجمع بين استثمار موارد الطبيعة وتنمية الصناعة وتحمين مستوى الحياة ، ولم تهي لنا المواطن المنتج القادر على استثمار ثروته الزراعية والمعدنية ، ان الذين يقصرون عملهم التربوي على إتمام الوعي القومي المجرد دون أن يربطوا بينه وبين نمو الانتاج لا يزالون متأخرين على زمانهم ، لأن القول باحياء الوعي القومي قد أصبح الآن من الأمور البديهية التي لا تحتاج الى برهان . ولكن الأمر الذي لم يصبح بعد بديهياً هو أن العروبة لا تتغذى بالعواطف والأحلام والآمال ، وإنما تتغذى بنمو الثقافة العقلية وتوجيه التعليم نحو الانتاج الاقتصادي ، بل التعليم الذي لا يكون عاملاً أساسياً في الانتاج القومي لا يبلغ غايته . إننا لا نزال نستعين بالخبراء الأجانب لإعماش زراعتنا وتسمية صناعتنا ، وإنشاء مرافقنا ، واستثمار ثروتنا المعدنية وتنظيم اقتصادنا . مع أن الاستقلال السياسي الذي لا يستند إلى أساس اقتصادي ثابت إنما هو استقلال وهمي ، فإذا شئنا أن نكون أمة حية قوية وجب علينا أن نعتنى بالتعليم الفني وأن نربط التربية بالانتاج القومي ، وأن نضع للتعليم تخطيطاً موافقاً لتخطيط الانتاج ، فإن الانتاج لا ينمو إلا إذا كان التعليم موافقاً لحاجات البلاد النفسية والاجتماعية والمادية ، وكل تعليم لا يهدف إلى تلبية حاجات الانتاج القومي مقصر عن غايته .

ثامناً وأخيراً - من خصائص تربيتنا القومية اصنادها إلى مبدأ الثقافة الصورية والتدريب الصوري ، وقوام هذا المبدأ أن القوى العقلية التي ينمىها علم خاص يمكن أن تنشط نشاطاً عاماً نستطيع معه استجداها في جميع العلوم الأخرى . كأن القوى العقلية أسلحة نشحذ باللسنين حتى نصلح لقطع كل

شيء ، أو كأنها عضلات تنمو بالرياضة أو ضرع بقوى بالامتراء دون أن يكون بينه وبين العوامل الخارجية أي رابط حيوي أو وظيفي . فكأن واضعي المناهج يعتقدون أن كل علم ينمي ملكة خاصة ، فالحساب للتفكير ، ومبادئ العلوم للملاحظة والمحفوظات للذاكرة . فإذا أصبحت هذه الملكات قوية بالتمرين أمكن استخدامها في كل شيء . ولا يشترط في هذا التمرين أن يشعر الطالب بميل إلى موضوعه ، بل كلما كان ميله إليه أقل كانت قيمته في التثقيف الصوري أعظم . لا جرم أن في هذا النمط من التعلّم رياضة عقلية ترفع المتعلّم من أفق المنفعة الضيق إلى أفق التجريد الواسع . ولكن هذه الرياضة على ما فيها من جهد فكري ، لا تنفع الطالب في حياته العملية ، لأنها تطلب منه أن يعمل للعمل نفسه لا للنتائج اللازمة عنه ، ولأن العلوم التي تُقَفّها ويرع فيها دون أن يطبقها عملياً لا تزبده عن الحياة إلا بعداً ، وكثيراً ما نجد عاجزاً عن قياس مساحة أرضه أو حساب أرباحه أو معرفة نباتات حديقته لا لجهله بالهندسة أو الحساب أو علم النبات ، بل لبعده المسافة بين علمه النظري وحياته العملية .



هذه بعض عيوب تربيتنا القومية ذكرتها هنا على سبيل الاختصار . وإذا كان لي في نهاية هذا البحث أن أجمل ما ذكرت قلت إن التربية العربية يجب أن تهدف قبل كل شيء إلى تنمية الوعي القومي في نفوس الأفراد ، ونعني بهذا الوعي القومي تنمية شخصية الفرد ، وتحريره من الفقر والمرض والهمى والمذات الرخيصة ، وتعويد روح الانتقادية ، والتفكير المنطقي وتجهيزه بالعلم والفن ، وإشباعه من روح التضامن والتعاون ، وحمله على تفضيل المصلحة العامة على المصلحة الفردية ، ودعوته إلى الإسهام الإيجابي في كل عمل وطني ، وإشعاره بكرمائه ومنزلته وكرامته ، وإيقاظ شعوره بالقومية العربية ، وبوحدة العرب في جميع أقطارهم ، وتنمية ثقافته العقلية ، وتعويد الاغتياب بالعمل وأداء الواجب والإقدام والاعتماد على النفس والكد لمصلحة المجموع . ولا يكفي لتحقيق ذلك أن نكتب الدساتير ونوضع القوانين والمناهج ونؤلف الكتب وننظم الامتحانات

وتمنح الشهادات ، فقد يتم هذا كله على أحسن وجه دون أن يؤدي الى تثقيف أبناء الشعب تثقيفاً حقيقياً ، وأي خير يرجى من أهداف قومية نكتب في الدساتير والقوانين ولا تطبق بالفعل ، لا بل أي نفع يؤمل من تعليم مدرسي لا بهيئته المواطن المنتج ، فقد ترقى النظم التربوية ولا ترقى الثقافة ، وقد تكون الثقافة راقية في أمة من الأمم دون أن تكون مناهجها المدرسية كاملة ، وكذلك الوعي القومي قد يكون شديداً في نفوس الأفراد دون أن يكون في القوانين والدساتير أية إشارة واضحة اليه . ومن واجب الحكومات العربية أن لا تقتصر في احياء الوعي القومي على التعليم في المدارس ، وانما يجب عليها أن تعمل على نشره وحيائه بتنظيم الثقافة الشعبية وتوجيه الصحافة والإذاعة ، والإشراف على الحياة الرياضية والكشفية والثقافية والفنية في الجمعيات والأندية . والمعول في ذلك كله على المعلم الذي ينفذ لآعلى المناهج الخرساء التي تخطط وترسم . ومتى صلح المعلم صلح كل شيء ، ومتى فسد فسد كل شيء . بل المعلم الصالح هو نقطة الارتكاز في كل اصلاح تربوي ، ومن شرط المعلم أن يكون محباً لتلاميذه ، مؤمناً برسائله القومية . ومن كان معلماً ولم يكن مؤمناً برسائله كان ضرره أشد من نفعه . وأعتقد أن الوسيلة الوحيدة لإحياء الوعي القومي واصلاح التربية العربية هي الإكثار من دور المعلمين والمعلمات ، التي تخرج قادة التربية ، وللمعلمة العربية في هذا البعث القومي واجب أبلغ من واجب المعلم . لقد انتصرت ألمانيا كما قال بسمارك بمعلميها ومعلماتها لا بضباطها وجنودها ، ولولا الإيمان القومي الذي نشره المعلمون والمعلمات في العالم العربي الحديث لما تحررنا من نير الاستعمار . وما قام به هؤلاء القادة حتى الآن من جهد في الميدان القومي بقوي أملنا بأن هلال القومية العربية الذي ولد في النصف الأول من القرن العشرين سيصبح في النصف الثاني منه بدرأ كاملاً .

مرسوم مملوكي شريف

بمخالفة عقيدة ابن تيمية

نعتقد أن كتابة التاريخ الإسلامي ، في مختلف وجوهه ، ينبغي أن تقوم بعد اليوم على الوثائق والأسناد الرسمية أكثر من اعتمادها على أقوال المؤرخين وحدهم . وذلك على نحو ما تجري كتابة التاريخ في الغرب . لأن هذه الوثائق أدعى إلى الاطمئنان ، وأصدق في التصوير ، وأبعد عن الاضطراب أو الاختلاق في سرد الحوادث الذي نجده في كتب المؤرخين . وقد دعونا صرنا إلى العناية بهذه الوثائق على اختلاف أنواعها ، وجمعها ، ونشرها ، واتخاذها أساساً لدراساتنا عن التاريخ الإسلامي .

وقد عثرنا على أربعة مراسيم مملوكية شريفة ، من القرن الثامن والقرن التاسع ، أصدرها سلاطين مصر بمخالفة عقيدة شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ^(١) ، وردع أتباعه عنها . وهذه المراسيم على جانب كبير من الشأن لأنها تبين رأي الدولة في عقيدة الشيخ ، في فترات مختلفة ، أثناء حياته وبعد مماته . فنحن نعلم أن حياة الشيخ كانت نضالاً مستمراً لم يهدأ ، لبث مذهب والدعوة إليه . فقد أثار ما تكلم به في ذات الله ووصفه ، وأنه يتكلم بالحرف والصوت ، وما ذكره عن التجسيم والاستواء والعلو والجهة والحيز وغير ذلك ، وما أفنى به

(١) عن ابن تيمية انظر المصادر التي ذكرناها في مقدمتنا لرسالة ابن قيم الجوزية عن « أسماء مؤلفات ابن تيمية » (دمشق ١٩٥٣) ص ٣ . وما تزال دراسات هنري لاوست H. Laoust أوسع وأحسن ما كتب عن شيخ الإسلام . وإذا استثنينا دراسة الأستاذ « أبوزهرة » عن « ابن تيمية » فغالب ما كتب عنه بالعربية جعل بأسلوب خطائي عاطفي بعيد عن النهج العلمي ، سواء كان معه أو عليه .

في مسألة الطلاق ، وزيارة القبور ، أثار جمهور القضاة والعلماء والفقهاء من كانوا لا يرون رأيه ولا يذهبون مذهبه . وكان هذا النضال يثير الناس بعضهم على بعض . فنسبوا لشيخ الفتنه ويقع الشغب ، وكان يشتد أحياناً فيؤدي بالشيخ الى السجن ، أو يعرض أصحابه للتشهير والتعزير والإهانة ، أو يؤلب عليه الأمراء ، أو ينتهي إلى غضب السلاطين عليه وإصدارهم مراسيم كثيرة بمنعه من الفتيا ، أو مخالفة عقيدته ، وإلزام أتباعه ، خاصة الحنابلة ، بالرجوع عن مذهبه .

ونحن نقدم هنا أحد هذه المراسيم التي عثرنا عليها ^(١) ، - وكلها لم تنشر بعد - . نقدمه لأنه يتعلق بعالم كبير من علماء دمشق ، وبناحية من تاريخ مدينتنا دمشق ، ولأنه يبين ما فعلته عقيدة الشيخ في المجتمع الإسلامي ، في مصر والشام ، من تزييه الناس أو إثارتهم ، حتى اضطرت الدولة الى منعها وإصدار المراسيم بمخالفتها .

وقد وجدنا نصه في مخطوط تاريخي نادر ألفه ابن أبيك الدواداري ، وكان معاصراً للشيخ ، وضمته أموراً دقيقة كثيرة شاهدها بنفسه أو سمعها من أقرانه .

* * *

صدر هذا المرسوم في سنة ١٢٧٠هـ / ١٣٠٥ م ، عن السلطان الناصر محمد ابن قلاوون في سلطنته الثانية ^(٢) . وكان نائب الشام يومئذ الأمير جمال الأفرم ^(٣) ، وقاضي قضاة الشافعية فيها نجم الدين بن صصري ^(٤) .

(١) وننشر الثلاثة الأخرى تبعاً .

(٢) انظر النجوم الزاهرة ، سنة ١٢٩٨ هـ : ٨ : ١١٥ .

(٣) انظر أمراء دمشق في الإسلام لصفدي (تحقيقنا) ص ١١ و ٢١٨ (مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٥) .

(٤) انظر قضاة دمشق لابن طولون (تحقيقنا) ص ٨٤ (مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٦) .

وقد كان نتيجة للثورة الثانية التي ثارها العلماء على الشيخ بعد صدور عقيدته الواسطية^(١) . فقد تكلم فيها على استواء الله على العرش وغير ذلك . فأقام العلماء والفقهاء ، وجرت أمور كثيرة نوجزها فيما يلي :

تكلم أحد أصحاب الشيخ بما ذكره في عقيدته . فعزّره ابن صصرى^(٢) وحبسه . فلم يرض ابن نبيمة بحكم القاضي فجمع أصحابه ودخل المجلس وأخرج صاحبه . فغضب ابن صصرى ، ووجد فرصة لامتحان ابن نبيمة في عقيدته . فعقد له وإصاحبه الذي أخرجه مجلساً لينافسه . ونوقش الشيخ في عدة مجالس . وبذكر الدواداري^(٣) الذي كان معاصراً للشيخ ، والمقريزي^(٤) ، وابن حجر^(٥) أن الشيخ كتب بخطه وأشهد على نفسه أنه شافعي المذهب ، يعتقد ما يعتقده الإمام الشافعي ، وأنه أشعري الاعتقاد . أي أن الشيخ رجع عن رأيه . فمعرفة أن الشافعي والأشاعرة لا يقولون قول الشيخ في عقيدته الواسطية بشأن تفسير الاستواء وغيره .

لكن البرزالي يقول إن المجلس انتهى بقبول العقيدة^(٦) ، بل يذهب ابن رجب « أنه وقع الاتفاق على أن هذه عقيدة صنية سلفية »^(٧) ويضيف البرزالي أنه بلغه أن العامة حملوا للشيخ عند عودته إلى منزله من المناقشة الشعم من باب النصر إلى القصاعين^(٨) .

(١) ثار الناس من قبل في سنة ٦٩٨ هـ بسبب الفتوى الحوية . لكن هذه الثورة

مضت بسلام . انظر ابن حجر ، الدور ١ : ١٤٥ .

(٢) في الدر الفاخر (مخطوطة أحمد الثالث) ورقة ١١٥ .

(٣) في السلوك . الجزء الثاني - القسم الأول ، ص ١٨ .

(٤) في الدر الكامنة ١ : ١٤٥ .

(٥) ابن كثير ، البداية ١٤ : ٣٧ نقلاً عن البرزالي .

(٦) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٩٦ (طبعة حامد الفقي) .

(٧) ابن كثير : البداية ١٤ : ٣٧ . عن مكان باب النصر والقصاعين انظر : مخطوط

دمشق القديمة ، لنا .

وأشاع أنصار الشيخ أن الشيخ قد انتصر ، وغضب خصومه فترثوا ثم رفعوا
الى نائب القاضي الشافعي أن أحد أصحاب الشيخ تكلم بما لا يوافقهم ، فعزّز .
وتلا ذلك أن قرأ المزي فصلاً من كتاب أفعال العباد للجاري بالرد على الجهمية .
فأمر القاضي بحبسه ، فتوجه ابن تيمية الى السجن وأخرج المزي . وكانت
المزي رفيقاً للشيخ عزيزاً عنده ^(١) . ثم اجتمع بابن مصري القاضي عند نائب
السلطنة فنشاجرا . واشتط ابن تيمية على القاضي ^(٢) .

وجرت إثر ذلك أمور كثيرة ، فقد أراد نائب السلطنة « إخماد الفتنة »
فروم بطلب من كثير كلامه من أنصار الشيخ وخصومه وأمر باعتقاله . ونودي
في البلد بمرسوم سلطاني : من تكلم بالمقائد حلّ ماله ودمه ، ونهبت داره ،
وهتكت عياله .

وعزل ابن مصري نفسه عن القضاء في مجلس جديد عُقد بالميدان الأخضر
لبحث العقيدة ^(٣) .

كل ذلك يجري في دمشق ، وقد كتب نائب السلطان الى مصر بهذه
الأمور .

وكان للشيخ في مصر خصوم كثير في الأشراف والقضاة والفقهاء والعوام .
منهم قاضي قضاة المالكية علي بن مخلوف ^(٤) ، والفقهاء الشافعي شمس الدين
محمد بن عدلان ^(٥) ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ^(٦) وكان هذا

(١) انظر عن رقة ابن تيمية المزي والبرزالي والذهبي ، مقدمتنا للجزء الأول من
سير النبلاء ص ١٩ (مطبوعات معهد المخطوطات العربية ودار المعارف بمصر ،
القاهرة ١٩٥٧) .

(٢) الدواداري ، ورقة ١١٦ : ابن حجر ، الدرر ١ : ١٤٦ .

(٣) الدواداري ، ورقة ١١٦ .

(٤) توفي سنة ٧١٨ هـ . انظر النجوم الزاهرة ٩ : ٢٤٢ .

(٥) توفي سنة ٧٤٩ هـ . انظر النجوم ٨ : ٢٦٢ .

(٦) هو الذي تسلم سنة ٧٠٩ هـ . انظر النجوم ٨ : ٢٣٢ .

من أنصار الشيخ نصر المنبجي . وهو فقيه متصوف كان معتزلاً عن الناس ،
 يتردد إليه الأكابر والأعيان . وكان يتغالي في محبة ابن عربي ^(١) . وكان
 ابن تيمية يطعن على ابن عربي وبلعنه وبكفّره فعاتبه الشيخ نصر فازداد ابن تيمية
 طعناً ، وصنّف كتاب النصوص على النصوص فأرسله إليه . فأغرى المنبجي
 الأمير يبرس الجاشنكير به . ووافقه القاضي المالكي ابن مخلوف وقال : انت
 ابن تيمية يقول بالتجسيم . وعندنا من اعتقد هذا الاعتقاد كفر ووجب قتله ^(٢) .
 فاجتمع هؤلاء وغيرهم على تحريض الأمراء على الشيخ . فصدر أمر سلطاني
 بأن يحمل الشيخ ابن تيمية ، مع أخيه شرف الدين ، والقاضي ابن مصري ،
 والوجيه ابن النجما إلى القاهرة .

لقد اجتمعت أسباب كثيرة أدّت إلى هذا . فتمرّد ابن تيمية على أحكام
 القاضي ، والاشتغاط عليه ، ثم دخوله السجن وإخراجه المحبوسين من أصحابه
 بغير علم نائب السلطان ولا موافقة القاضي ، ثم عقيدته في التجسيم التي قالوا
 « إنه أفسد بها عقول جماعة كبيرة من أهل الشام » ، ثم طعنه على ابن عربي
 وتكفيره ولعنه ، كل أولئك عمل على الخطّ عليه وإحضاره إلى القاهرة .
 ولما وصل الشيخ إلى مصر ، عقد له مجلس بقلعة الجبل حضره الأمراء ،
 والقضاة الأربعة ، وعدد من الفقهاء .

فادّعى الفقيه الشافعي ابن عدلان دعوى شرعية على الشيخ عند القاضي المالكي
 ابن مخلوف أنه يقول : إن الله فوق العرش حقيقة بذاته ، وإن الله يتكلم
 بحرف وصوت .

(١) توفي المنبجي سنة ٧١٩ هـ . قال عنه الذهبي « جلستُ مع الشيخ نصر بزاويته
 وأعجبني سمته وعبادته . قل أن ترى العيون مثله . » انظر الدرر الكامنة

٤ : ٣٩٢ ؛ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٤٤ .

(٢) الدواداري ، ورقة ١٢٣ .

فقام ابن نيمية وأراد أن يتكلم فتجلىج . ثم عاد فأراد أن يخاطب وبذكر الله ويشرح عقيدته .

فصاح القاضي المالكي : نحن أحضرناك للدعوى عليك ، ما أحضرناك خطيباً !
وقال الحاضرون : يا شيخ - أو يا فقيه - ! إن الذي بنقول معلوم ،
ولا حاجة للإطالة . أنت قد ادعى عليك هذا القاضي بدعوى شرعية .
أجب عنها .

فأعاد القول في التعميد ، ثم قال :

— عند من هذه الدعوى ؟

فقالوا : عند القاضي زين الدين المالكي .

فقال : عدوي - أو خصمي - ، وعدو مذهبي . كيف يحكم في ؟
فكرروا عليه القول فلم يزدحم على ذلك شيئاً .

عندئذ حكم القاضي المالكي باعتقاله إلى أن يرد جوابه على الدعوى .

فقال الشيخ : ﴿ رب ! السجن أحب إلي ﴾ مما بدعوني إليه ﴿ ^(١) ﴾
وأخرج من المجلس واعتقل ^(٢) .

* * *

وانتهى المجلس بأمر أربعة :

أ - امتحن القاضي الحنفي والقاضي الحنبلي بمصر في عقيدتهما . فتكلم
بدر الدين بن جماعة في مسائل من القرآن ، وبشيء من عقيدة الشافعي .
وقيل للحنفي : ما تقول في ذلك ؟
فقال : كذا أعتقد .

(١) سورة يوسف ، ١٢ ، الآية ٣٣ . قال ذلك يوسف لما راودته امرأة العزيز
عن نفسه فأبى .

(٢) الدواداري ورقة ١١٩ .

وسئل الحنبلي فتالجج . فلقنه ابن جماعة ما ينبغي أن بقوله فقال مثل قوله .
٢ - خلع على النجم بن صصرى وأعيد الى دمشق مع تقليد بقضاء القضاة
الشافعية ، وقضاء العسكر ، ونظر الأوقاف ، مع زيادة المعلوم .

٣ - أرسل مرسوم سلطاني ، وهو الذي سنقدمه ، بمخالفة عقيدة الشيخ
ابن تيمية ، وإلزام الناس بذلك خصوصاً الحنابلة . والتهديد بالعزل والسجن .
فنودي بذلك في أسواق دمشق . وقريء بسدة الجامع الأموي بعد صلاة
الجمعة . قرأه محمد بن الشهاب محمود الموقع . ثم جمعوا الحنابلة من الصالحية وغيرها ،
وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي . وهو قوله :
« آمنتُ بالله وما جاء عن الله من أمر الله . وآمنتُ برسول الله وما جاء
عن رسول الله عن مراد رسول الله » .

٤ - نودي بمثل ذلك في مصر . وجرى للحنابلة إهانة عظيمة ، وألزموا
بالرجوع عن عقيدة الشيخ وأن يقولوا :

« إن القرآن العظيم هو المعنى القائم بالنفس ، وإن ما في الصحف عبارة عنه ،
وإن ما في الصحف موجود ومحفوظ في الصدور ومقر بالألسنة مخلوق . وإن
القديم هو القائم بالنفس » .

وألزموا بنفي مسألة العلو والتصريح بذلك ، وأن جميع ما ورد من أحاديث
الصفات لا يجري على ظاهره بوجه من الوجوه ^(١) .

فتلك هي الأسباب التي دعت إلى إصدار المرسوم ، وفي هذه الأسباب
تبدو لنا صفحات من النضال في سبيل العقيدة ، في دمشق والقاهرة في القرن
الثامن الهجري .

أما نص المرسوم فهو :

(١) البواداري ، ورقة ١٢٤ . وقد فصل في هذا الأمر وذكر ما لم يذكره غيره .

نسخة المرسوم الذي وصل
فيما يتعلق بمخالفة عقيدة الشيخ تقي الدين بن التيمية
وإلزام الناس بذلك خصوصاً الخنابلة

(مخطوطة الدرر الفاخرة للدواداري . أحمد الثالث ٢٩٣٢)

(ورقة ١٢٠ - ١٢٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تنزه عن الشبه والنظير ، وتعالى عن المثل ، * ليس كذله
شيء ، وهو السميع البصير * ^(١) .
نحمده على أن ألهنا العمل بالسنة والكتاب . ورفع في أيامنا أسباب
الشك والارتباب .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من يرجو بإخلاصه
حسن العقبى والمصير .
وننزه الخالق عن التحيز ^(٢) في جهة لقوله تعالى * وهو معكم أينما كنتم .
والله بما تعملون بصير * ^(٣) .
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي تهجَّ سُبُل النجاة إن سلك طريق
مرضاته . وأمر بالتفكير في آلاء الله ونهى عن التفكير في ذاته .

(١) سورة الشورى ، ٤٢ ، الآية ١١ .

(٢) ص « التحيز » .

(٣) سورة الحديد ، ٥٧ ، الآية ٤ .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين علا بهم منار الإيمان وارتفع .
وشيد الله بهم قواعد الدين الحنيفي ما شرع ، وأحمد بهم كلمة من حاد عن
الحق ومال الى البدع .

* * *

وبعد فإن العقائد الشرعية ، وقواعد الإسلام المرعية ، وأركان الإسلام
العلية ، ومذاهب الدين المعينة (كذا) هي الأساس الذي يبنى الإيمان عليه ،
والمؤمل الذي يرجع كل أحد اليه ، والطريق التي من سلكها فقد فاز
فوزاً عظيماً ، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً . فلماذا يجب أن
تتخذ أحكامها ويؤكد زمامها ، وتُصان عقائدها هذه الأمة عن الاختلاف ،
وتُتزان قواعد الأئمة بالائتلاف ، ويحمد تواتر البدع ، ويفرق من
ما جمع .

وكان التقي بن التيمية في هذه المدة قد سلط لسان قلمه ، ومدّ عنان
كلمه ، وتحدث في مسائل الذات والصفات ، ونصّ في كلامه على أمور
مُنكَرَات ، وتكلم فيما سكّت عنه الصحابة والتابعون ، وفاء بما يخفيه السلف
الصالحون ، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام وانهقد على خلافه إجماع
العلماء والحكام ، وشهر من فتاويه في البلاد ما استخف به عقول العوام ،
بخالف في ذلك علماء عصره ، وأئمة شامه ومصره ، وبعث رسائله إلى كل
مكان ، وسمى فتاويه أسماء ما أنزل الله بها من سلطان . (ورقة ١٢٠)
ولما اتصل بنا ذلك ، وما سلك موبدوه من هذه المسالك ، وأظهره من
هذه الأحوال وأشاعوه ، وعلمنا أنه استخف قومه فأطاعوه ، حتى اتصل بنا
أنهم صرّحوا في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم ، فمنا في الله تعالى مستعظمين
لهذا النبا العظيم . فأناكرنا هذه البدعة ، وأنفنا أن نسمع عن من تضمه
بمالكنا هذه السمعة . وكرهنا ما فاه به المبطلون وتلونا قوله ﴿ سبحانه وتعالى

عما يصفون ﴿^(١)﴾ . فإنه جلّ جلاله تنزه عن العديل ^(٢) والنظير ﴿ لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ﴾ ^(٣) .
وتقدّمت مراسيمنا باستدعاء التقيّ بن التيمية المذكور الى ابوابنا عندما شاعت
فتاويه شاماً ومصرًا . وصرّح فيها بالفاظ ماسمها ذو ^(٤) قهّم إلا وتلا ﴿ لقد
جئت شيئا نكرا ﴾ ^(٥) .

ولما وصل اليها تجمّع أدلو الحلّ والعقد ، وذوو ^(٦) التحقيق والنقد ، وحضر
قضاة الاسلام ، وحكام الأنام ، وعلماء الدين ، وفقهاء المسلمين ، وعُقد له
مجلس شرع ، في ملائ من الأئمة والجمع ، فثبت عند ذلك عليه ، جميع
مائسب اليه ، بمقتضى خطّ يده ، الدالّ على معتقده ، وانفصل ذلك الجمع
وهم لعقيدته منكرون ، وواخذوه بما شهد به قلبه عليه و﴿ سَتَكْتَبُ
شهادتهم ويسئلون ﴾ ^(٧) .

وبلغنا أنه كان استتیب فيما تقدّم ، وأخره الشرع الشريف لما تعرض
الى ذلك وأقدم . ثم عاد بعد ردعه ومنعه ، ولم تدخل تلك النواحي في سمعه .
فلما ثبت ذلك في مجلس الحكم العزيز المالكى ، حكم الشرع الشريف
بأن يسجن هذا المذكور ، ويمنع من التصرف والظهور .

ومرسومنا هذا بأمر بأن لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسالك ،
وينهى عن التشبه به في اعتقاده مثل ذلك ؛ أو يغدو له في هذا القول متبعا ،
أو لهذه الألفاظ مستمعا ، أو يسري في التجسم مسرأ ، أو أن يفوه بجهة العلو

(١) سورة الأنعام ٦ ، الآية ١٠٠ .

(٢) من « التمديل » .

(٣) سورة الأنعام ٦ ، الآية ١٠٣ .

(٤) من « ذور » .

(٥) سورة الكهف ١٨ ، من الآية ٧٤ .

(٦) من « ذوي » .

(٧) سورة الزخرف ، ٤٣ ، الآية ١٩ .

تخصيصاً كما فاه ، أو يتحدث (ورقة ١٢١) إنسان في صوتٍ أو حرف ، أو بوسم القول في ذاتٍ أو وصف ، أو يُطلق لسانه بتجسيم ، أو يجيد عن طريق الحق المستقيم ، أو يخرج عن رأي الأئمة ، أو يتفرد عن علماء الأئمة ، أو يجيز الله في جهة ، أو يتعرض الى حيث وكيف ، فليس لمن يعتقد هذا المجموع عندنا غير السيف .

فليقف كلُّ أحدٍ عند هذا الحدِّ ، فله الأمرُ من قبلُ ومن بعد .
وليلزم ^(١) كلُّ من الخبايلة بالرجوع عما أنكره الأئمة من هذه العقيدة ، والخروج من هذه المشتبهات الشديدة ، ولزوم ما أمر الله به من التمسك بمذاهب أهل الإيمان الحميدة ، فإنَّه من خرج عن أمر الله تعالى فقد ضلَّ سواء السبيل ، وليس له منّا غير السجن الطويل من مقيل .

ومنى أصروا على الامتناع ، وأبوا إلا الدفاع ، فليس لهم عندنا حكمٌ ولا قضاء ولا إمامة ، ولا استخُ لهم في بلادنا بشهادة ولا منصب ولا إقامة ، ونأمر بإسقاطهم من مراتبهم ، وإخراجهم من مناصبهم . وقد حذرنا وأعدرنا ، وأنصفنا حيث أنذرنا .

فليقرأ مرسومنا هذا على المنابر ، ليكون أعظم زاجر وأعدل ناهٍ وأمر .
وليبلغ الغائب الحاضر .

واخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه .

صلاح الدين المنجد

(القاهرة)



ما سمعت وما رأيت في بلان السوفيت

- ٥ -

الى لينينغراد :

غادرنا موسكو في الساعة ٢٣ و ٥٥ من مساء السبت ١٣ تشرين الثاني من محطة لينينغراد (Leningradsky) وهي من أقدم محطات العاصمة السوفيتية مضى على تشييدها أكثر من مئة عام مستقلين القطار المعروف بالسهم الأحمر (the Red Arrow) وهو قطار فخيم توفرت فيه أسباب الراحة نظير أمثاله من قطار الغرب ، ولركاب الدرجة الأولى غرف ذات سريرين يعلو الواحد الآخر ومفصلة فيها ماء جارٍ حار وبارد وخزانة للثياب ومذبايح متصل بالإذاعة العامة بفتح وبغلق متى شاء الراكب والتدفئة فيها جيدة . ولا ما ينتقد فيه إلا صوت العجلات المزعج ، ومسرعة سيره متوسطة فقد قطع المسافة ما بين موسكو ولينينغراد وقدرها ٦٥٠ كيلومتراً بعشر ساعات لم نلاحظ توقفه خلالها سوى أربع مرات ، ولم نستطع تبين أسماء المحطات ، ولاح لنا نور الفجر من خلال الستارة المسدلة على النافذة في منتصف الساعة السابعة صباحاً ، ولم نَرَ من هذه الطريق ومن خلال الستارة المسدلة سوى بعض الأجراس الكثيفة والمستنقعات . وتوقف القطار أخيراً في الساعة ١٠ و ٤٠ .

ولقد ألفينا في استقبالنا في المحطة بعض أعضاء مجمع العلوم وبينهم عقيلة المستشرق الراحل كراشوفسكي وأحد الأطباء المشرفين على معهد باولوف في لينينغراد وقد ررته إبان إقامتي في المدينة . وأقلتنا الى المدينة سيارتان وحملنا في فندق أستوريا (Astoria) وهو من فنادق الدرجة الأولى .

برنامج الزيارة في ليننغراد :

لم نبلغ برنامجاً لإقامتنا في هذه المدينة ، إلا أن الزيارات التي تمت خلال إقامتنا فيها كانت كما يلي :

الأحد ١٤ تشرين الثاني	الساعة ٢٠٠٠	متحف الصومعة
	الساعة ٢٠١٠	أوبرا (خطيبه القيصر)
الاثنين ١٥/١١	الساعة ١٠٠٠	زيارة معالم المدينة
	الساعة ١٢٠٠	المعهد الشرقي ومعهد باولوف (خاص)
	الساعة ١٦٠٠	متحف لوموسوف ومتحف الأقوام
	الساعة ٢٠٣٠	سنفوليا
الثلاثاء ١٦/١١	الساعة ١٠٠٠	مرصد بولكوف
	الساعة ١٢١٠	مصرف الدم (خاص)
	الساعة ١٥١٥	مكتبة المجمع العلمي
	الساعة ١٦٣٠	معهد الآداب الروسية
	الساعة ١٩٥٠	أوبرا (حسنا الغابة الهاجمة)
الأربعاء ١٧/١١	الساعة ١٠٣٠	زيارة المقبرة وخرج كراشوفسكي
	الساعة ١١٣٠	مكتبة سالتيكوف
	الساعة ١٢٣٠	متحف الحيوانات
	الساعة ١٤١٠	عيادة طبية (خاصة)
	الساعة ١٩٥٠	أوبرا (فادست)
الخميس ١٨/١١	الساعة ٨٣٠	ضاحية سمولني
	الساعة ١٠١٥	معمل الأحذية
	الساعة ١٢٠٠	الدارعة الفجر
	الساعة ١٢٢٠	المعهد الشرقي
	الساعة ١٤٠٠	قصر الطلاب
	الساعة ٢٣٠٠	العودة الى موسكو

وعلى ذلك فقد كان البرنامج مثقلاً جداً لم يترك لنا فيه وقت للراحة .
وأتيح لي في هذه الأيام الخمسة التي قضيتها في ليننغراد زيارة بعض المؤسسات
الطبية التي سيأتي وصفها في مقال خاص .

مدينة ليننغراد :

تعد ليننغراد (Leningrad) المدينة الثانية في بلاد الاتحاد السوفيتي ،
وكانت عاصمة القيصرية حتى ١٨ آذار ١٩١٨ أسسها بطرس الأكبر^(١)

(١) ولد بطرس الأكبر في موسكو سنة ١٦٧٢ ومات في بطرسبورغ سنة ١٧٢٥
وهو الابن الثالث للقيصر (Alexis Mitholovitsk) تولي الملك بعد أن نشأ
في الريف الذي أقصته إليه أخته صوفيا الوصية على عرش أخيه ايفان ، ومارس
حياة التقشف وعُني بالفروسية ، إذ عاد وهو في السابعة عشرة من عمره الى
موسكو مستعيناً بجيود المليشيا (Strelitz) مقصياً أخته عن وصايتها وباعثاً بها
الى الدبر حيث قضت نحبها فيه ، أما أخوه فلم يسمع له ذكر .
ويعد بطرس الأكبر باعث النهضة الأول في تلك البلاد التي كانت متأخرة جداً
في مفاصل المدنية الحديثة ، واليه يُعزى الفضل في إدخال التجدد وتكوين الجيش
والأسطول . فقد استخدم المهندسين الغربيين مستعيناً بخبرتهم ، وشد عصا الترحال
الى أوروبا عدة مرات ياحثاً ومتملاً حتى ألقن عدة صناعات سيأتي ذكرها في
وصف المتحف الخاص بآثاره ، ويروى أنه كثيراً ما شوهد بباب العمال يشتغل
في إنشاء السفن البحرية ، ولما فار على حكومته رجال المليشيا الذين كان لهم
كبير النفوذ في البلاد وكان آنذاك في إحدى رحلاته قطع رحلته عائداً الى
موسكو فأزله بهم العقاب الصارم بلا رحمة ولا شفقة ، وشرع إثر ذلك في تكوين
الجيش النظامي على غرار النظم المنبئة في أوروبا ، وحرر المرأة من القيود
التي كانت ترسف فيها ، وألزم طبقة الأشراف بالانخراط في خدمة الدولة ،
ولما رأى الكنيسة تبدي تمعناً في ادخال هذه الإصلاحات ألغى البطريكية
وأناط السلطة الدينية بالمجمع المقدس .

وبعد أن استتببت الشؤون الداخلية وأوجد الجيش النظامي ، انفتحت الى مقتضي
بعض أجزاء البلاد في الشمال والجنوب ، فافتتح منفذاً بحرياً لبلاده في بحر
البالطيك على مصب نهر نيفا (Neva) في خليج فنلندا حيث أنشأ أولاً حصناً
مينياً يعرف بحصن بطرس وبولس (Fortress of Peter and Paul) على
أحد ضفتي نهر نيفا وأصبح سجناً رهيباً فيها بعد أزھقت فيه النفوس وقضي فيه
على كل من سولت له نفسه أن يثور على حكم القيصرية ، وفيه كتب غوركي
(Gorky) الفاجعة (drama) الشهيرة بأبناء الشمس (Children of the sun)
مثل فيها ما يتأب نزلاء السجن من هواجس أحسن ثقل ، وقد ألغى هذا السجن
بعد ١٩٢٢ . وبعد هذه التواة تتابع البيان وولدت لوجود مدينة بطرسبورغ .

(Peter the Great) سنة ١٧٠٣ و دعت بطرسبورغ (Petresbourg) (حصن بطرس) حتى سنة ١٩١٥ حيث بدل اسم المدينة بـ بطروغراد باعتبار الاسم الأول ألماني التركيب وظلت تعرف بهذا الاسم حتى سنة ١٩٢٤ ، إذ استبدل الاسم ثانية بلينغراد (Leningrad) تخليداً لذكرى لينين الزعيم السوفيتي الأول ^(١) إثر وفاته في التاريخ المذكور .

ولم يراع عند اختيار الموقع لتأسيس المدينة حسن المناخ بل اكتفى بطرس الأكبر بأنها منفذ صالح ليطل منه على عالم الغرب ضارباً عرض الحائط بكثرة المستنقعات التي كانت تملأ تلك الأرجاء على أن دلتا نهر نيفا منفذ قديم للتبادل التجاري البحري مع جميع أنحاء المعمورة . وان شدة التبخر المنبعث من المستنقعات تجعل جو هذه البقعة شديد الرطوبة ، ويستمر الشتاء فيها من شهر تشرين الثاني حتى نيسان وتجمد المياه في نهر نيفا (Neva) ستة أشهر .

ورافق تشييد البنيان صعوبات جمة وتوفي ألوف من العمال في تركيز الدعائم

(١) وهو (Vladmir Ilych Ulyanov) فلب الشيوعية الأول ومؤسس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، ولد سنة ١٨٧٠ في مدينة (Simbirsk) (وتعرف الآن باسم Ulyanovok) ومات في غوري (Gorky) قرب موسكو سنة ١٩٢٤ . انضم منذ نعومة أظفاره الى المنظمات الثورية ، واشتدت لقمته على الحكم القائم منذ أن أعدم أخوه الأكبر لاشتراكه في مؤامرة ضد اسكندر الثالث . طرد بسبب نشاطه الهدام من جامعة قازان ونفى الى سيبيريا ثلاث سنوات ، واستقر به المقام أخيراً في جنيف ثم في فنلندا وباريس حيث قام بالدعوة القوية ضد الحكم القيصري . وعاد الى روسيا في نيسان سنة ١٩١٧ برضى السلطة الألمانية مقاوماً حكومة (Kerenski) الموقتة وبعد محاولة خائبة (في تموز) استطاع في تشرين الثاني قلب تلك الحكومة واستلام مقاليد الحكم ، وعقد مع الألمان معاهدة (Brest Litovsk) سنة ١٩١٨ ، وصفت له الأمور بعد أن قضى على الثورة الداخلية التي كانت تقضيها حكومات الغرب ، وطبق النظام الشيوعي الذي دعا اليه (Karl Marx) واضطر الى تعديل خطه سنة ١٩٢٠ مدخلاً بعض التحوير على ذلك النظام وساعياً الى قيام ثورة شيوعية عالمية .

في المستنقعات حتى قيل إن هذه المدينة بنيت على أكداس من عظام البشر .
وتمتاز الآن بشوارعها النسيجة والمستقيمة وساحاتها الواسعة على ضفتي نهر نيفا
وهو يمتد بها من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، وله فيها عدة روافد وقنوات
مما يجعل المدينة كأنها قائمة على عدة جزر. توصل بينها الجسور الكثيرة ودعيت
من أجل ذلك ببندقية الشمال .

طفنا في أرجاء المدينة في اليوم التالي لوصولنا اليها ، وكان أول يوم يهطل
الثلج فيه مما جعلنا لا نتبين معالم المدينة ، رافقتنا في الزيارة دليلة خاصة كانت
تتكلم بالروسية وتقوم بالترجمة الى الفرنسية مترجمتنا السيدة ناديا ، ورافقنا بسيارة
أخرى مصور خاص أرسلته مصلحة اينتوريست لالتقاط الصور لنا إبان هذه الزيارة .
فما سمعناه عن هذه المدينة العظيمة أنها حديثة النشأة لا يتجاوز عمرها ٣٥٠ سنة
عندما بنى بطرس الأكبر حصنه المشهور والذي انقلب الى سجن رهيب واتخذ
الآن متحفاً . والمباني التي تليه كلها متاحف أو معاهد للتعليم وأشهرها مبنى الهجرة
الذي يعد في طليعة المباني مظهراً واتساعاً .

وإن الفوارق الكبيرة بين الطبقات التي تقطن هذه المدينة من طبقة عمال
كادحين تلقى ألوان الهوان والعذاب وطبقة أرستقراطية تعيش في غاية الترف
قد جعلت مدينة ليننغراد مصدراً للثورة والانتفاض على رجال الحكم عدة مرات ،
وإن أول إضراب حدث فيها كان عام ١٧٤٩ بين عمال النسيج وشاركيهم
طلاب الجامعة وكان سبباً للفنك بهؤلاء وأولئك وزجهم في غياهب السجن .
وقامت ثورة كبيرة سنة ١٩٠٥ باءت بالإخفاق وأعدم من أجلها الكثير ونفي
عدد كبير الى مجاهل سيبيريا .

وقصت علينا دليلتنا ما عاته هذه المدينة من هول خلال الحرب الأخيرة
إذ ظلت محاصرة ٩٠٠ يوم (من ١٩٤٣ - ١٩٤٥) وكانت مقاومتها للجيش
الألماني مضرب الأمثال في البطولة ، ولأق سكاكنها بين جوع مرهق وبرد قارس

وحرمان من كل شيء ما لا يوصف ، وأهل المدينة فخورون جداً بأنهم مع ذلك كله لم يمكنوا أي ألماني أن يطأ بقدميه أرضها . وعلى ذلك فقد قصفت المدافع الثقيلة آناء الليل وأطراف النهار حتى تهدم معظم مبانيها ولم يبق شيء بالمدينة كلها لوح واحد من الزجاج سالمًا . وما إن ألفت الحرب أوزارها والمدينة على ما هي من خراب قدّر الألمان أن أعادتها الى سابق عهدها يستغرق مدة لا تقل عن ٢٥ سنة . وتضيف دليتنا الى ما تقدم فيها هي تعود الى ما كانت عليه بعد خمس سنوات . وضربت لنا مثلاً عن إصرار الشعب الى تشييد البناء أن مدرسة تتألف من أربع طبقات انتهى بناؤها في ٢٨ يوماً . وجاز البنين الحديث حدود المدينة السالفة الى أطرافها وأصبحت خلواً من أي بناء قديم على عكس ما هي الحال فيه في موسكو . وذكرت الحرمات الذي تعرض له السكان المحاصرون ان نظام التقنين الذي فرض عليهم لم يكن يسمح للفرد الواحد بأكثر من ١٢٥ غراماً من الخبز في اليوم .

ولقد درج القوم على تخليد ذكرى انتصارهم بأن ينشئوا الحدائق ويفرسوا أشجارها بأبدعهم ، وإن من جملة ما شيد لهذا الشأن حديقة تبلغ مساحتها ١٣٠ هكتاراً فيها ستة تماثيل لأبطال أبلوا بلاءً حسناً إبان المقاومة والحصار فاستنحوا شكر الشعب وشرف إقامة تلك التماثيل لهم وهم أحياء . وجرى احتفال فخم لهذه المناسبة حضره أصحاب التماثيل وذوهم وأنسباؤهم مما لم يسبق له مثيل في تاريخ البلاد .

وفي المدينة حديقة أخرى تضم رفاة من قتلوا في إحدى معارك الثورة الداخلية انتفاخاً على الطغيان . وفي ليننغراد تمت الثورة التي أطاحت بعرش القيصرية ، وتم تسليم السلطة من الحكومة الموقفة من قبل لينين وأتباعه في إحدى القاعات الرخامية الخضراء (مالا شيت) .

ورأينا أثناء تجولنا في أرجاء المدينة كنائس يجدد بناؤها ، منها كنيسة تعرف باسم اسحق كانت قريبة من فندق استوريا ، ويجدد البناء لها لاجل إقامة شعائر الدين بل لا تخاذها متاحف . وراعنا مارأينا من تمثال كبير لبطرس الأكبر كتب تحته بطرس الأول كاترينا الثانية ، وهو يمثل الرجل العظيم ممطياً صهوة جواده الذي لا يستند الى قاعدة التمثال إلا بقائمتيه الخلفيتين ، وقد روت لنا الدليلة أن نزاعاً قد ذرقرنه بين الكنيسة وبين بنت القيصر التي كانت تقطن القصر المقابل للكنيسة ، ووجه النزاع هل يوجه ذنب الجواد شطر الكنيسة أم شطر القصر ، ولما رجحت كفة رجال الدين اضطرت الأميرة إلى مغادرة القصر واختارت سواء مقرأ لها .

وإن من أشهر شوارع المدينة (Mevsky Prospect) الذي يشبه الأجانب بشارع الإيطاليين (Boulevard des Italiens) في باريس ، ويمتاز بسعته وبالباني الجميلة الرائعة في جانبية ، وساحة القصر (Dvotsovaya Ploshochad) من أكبر ساحات المدينة وأجملها يطل عليها قصر الشتاء الذي سيأتي ذكره ويتوسطها تمثال للملاك ذي جناحين يحمل صليبا فوق عمود لا يقل ارتفاعه عن خمسين متراً . ولكاترينا الثانية تمثال كبير أمام تياترو بوشكين (Pushkin theatre) مما لم نستطع أن نقبضه بسبب رداة الجو وهطول الثلج . ولإلي الصيف في ليننغراد روعة خاصة وتعرف بالإليالي البيض (White Nights) في شهري حزيران وتموز حيث يسفر الشفق حتى يستطيع القارئ أن يقرأ في الخلاء بغير مصباح ، مما يجعل لهذه المدينة رواداً يقصدونها في الصيف ، فضلاً عن يقصدها في أشهر الشتاء ناعمها بأنواع الرياضة الشتوية . وما ذكر لنا عن هذه المدينة أنه كان فيها بعد الحرب متحف جمع فيه كل ما أمكن جمعه مما يمثل ويلات الحرب وأهوالها ، وما عاشت فيه المدينة خلالها من بؤس وعوز ، حتى كان الزائر كثيراً ما يغشى عليه من عظم ما يراه

فاضطرت الحكومة الى اغلاقه . وإن ما أبدته لينغراد من ضروب البسالة
وضراوة الكفاح إبان الحرب والعدو المغير على بضعة كيلومترات منها قد أنعم
عليها من أجل ذلك بالوصام الأكبر للينين وقد رأيناه منقوشاً فوق دار بلديتها .
ويغلب على سكان هذه المدينة المرح أكثر من سكان موسكو وهم بالجملة
متجانسون شقر البشرة قل أن تجد بينهم ما تجده في موسكو من السكان الآسيويين .
وبقدر عدد السكان بـ ٣٥٥ مليون وكان في إحصاء ١٩٣٩ (٢٥٧٠٠٠٠٠) .
وإن مما رأيناه في أثناء تجوالي في المدينة جامعاً ذا قبة شاهقة ومئذنين جميلين
وواجهة من القاشاني البديع كتب فوق بابه بخط جميل (إن الصلاة كانت
على المؤمنين كتاباً موقوتاً) ثم (حافظوا على الصلوات) . وكان بابه الرئيسي
يسدّه الثلج سألت عنه ف قيل انه قيد التصليح وحادث الدخول اليه من أحد
أبوابه الجانبية فاذا بالباب يفتح وسيارة شحن ضخمة تخرج منه تحمل صناديق
رأيت مثيلاتها في صحنه مما يدل على اتخاذ القوم إياه مستودعاً .

(للبحث صلة)

الدكتور حسني صبح



كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي (*)

- ٢ -

(ورقة ١٣٨ ب) ومن كلامه (= ابن باجة) رضي الله عنه

في النفس

بسم الله الرحمن الرحيم
والله الموفق والمعين

< الفصل الأول في النفس >

الأجسام منها طبيعية ومنها صناعية ^(١) . فالصناعية كالكرمي والسرير ، فهذه لا توجد إلا عن إرادة ^(٢) . والطبيعية كالحجر والخلة والفرس ، وهذه كلها

(*) انظر القسم الأول من هذا المقال في ص (٩٦ - ١١١) من هذه المجلدة .
(١) قارن ابن باجة : المجموعة ، بودليانا ، ورقة ١٨٧ الف : « قال أرسطو ان الموجودات منها ماهي بالطبيعة ، ومنها من قبل أسباب أخر عدة ، أولاهما من قبل الطبيعة وقوله ما وجودها بأسباب أخر ، ولم يقل (المنة) ، لأن من الأجسام ماهي موجودة بالمنة وتلك مشهورة ، ومنها ماهي موجودة عن أصناف الحيوان وغير الناطق ، ويثبت أن قواها ليس مهناً فان قيل لها من فبالاستمارة كالعمل والشمع الموجودين عن النحل » . وانظر 800000 Aristotle : Physics III. 192 b
الفارابي : إحصاء العلوم ص ٤٥ ، ميدريد ، وأيضاً فصول المديني (مخطوطة بودليانا 307 Hunt) . ورقة ٩٢ ب : الأجسام منها صناعية ومنها طبيعية ، والصناعية مثل السرير والسيف والزجاج وأشياء ذلك ، والطبيعية مثل الإنسان وسائر الحيوانات ؛ ابن رشد : رسائل ، حيدرآباد ، ١٩٤٧ . ص ١٢ .

(٢) الأجسام الصناعية ليس فيها قوة الحركة أو السكون طبعاً ، ابن باجة (ورقة ٩٣ الف) فان السرير لا يتحرك بما هو سرير أصلاً ، ولا أيضاً يتحرك الخشب بقوة فيه إلى أن يصير سريراً ولا يتحرك بقوة يفيد إياها السرير إلى أن يكون سريراً ولا يتحرك الخشب أيضاً بقوة يفيد إياها شيء آخر بل إنما يتحرك مادام المحرك له موجوداً وهو متنام وهذا المحرك هو صناعة وليست بطبيعة .

قارن أرسطو : Phys. II. i. 192 b 15 - 25 .

كائنة وفاسدة^(١) .

وقد بين أرسطو في الكتب التي كتبها في الأمور العامة^(٢) الأمور الطبيعية أن هذه كلها مؤلفة من صورة^(٣) ومادة^(٤) على ما هي عليه الأجسام الصناعية . وإن نسبة التماسك^(٥) في الذهب إلى مادة الذهب كنسبة شكل الكرمي إلى الخشب . والمادة إما أن تكون غير مصورة بالذات على ما تبين في الأولى (ورقة ١٣٩ ألف) من السماع الطبيعي^(٦) فالمكون منها جسم بسيط ، والأجسام

(١) قارن ابن باجة : ورقة ٦ ب : « الأجسام الطبيعية إما أن تكون كلها كائنة فاسدة

على ما تشاهد في كل نحلة » ؛ وأرسطو : Phys. II. i. 192 b 9 — 14

(٢) لفظ « العامة » يوجد في كتب الفارابي : (مسائل متفرقة ، حيدرآباد ص ٦ ،

Al - Farabi's Philosophische Abhandlungen. 87 نشر ديتريري (Dieterici) :

سئل عن الأشياء العامة ، وفي تراجم حنين بن إسحاق (كتاب طبائوس ص ١٩ :

الآلام العامة ، نشر بال كراؤس (Paul Kraus) والسر (R. Walzer)

تحت عنوان (Galeni Compendium Tiamaei Platonis) واستعمله

ابن باجة في مواضع : ورقة ١٨٧ ب : وهذه هي الأمور العامة على

الاطلاق للطبيعة ، ورقة ١٦٩ ألف : وأما العامة فهي : أما الكندي (راجع

رسالة الكندي الفلسفية ، نشر أبي ريده ص ٣٨٢) وابن سينا (الشفا : مخطوطة

بودليانا 125 Pocock ، ورقة ٢٣ ألف ٣) ، وابن رشد (السماع ، حيدرآباد ،

ص ٥ و ١٢) يكتبون « العامة » .

(٣) المخطوطة : صور .

(٤) ابن باجة ورقة ٥ ب ، السماع : ولما شرع في هذا الفحص من النظر وجد

رسومها (الطبيعة) قريب المأخذ من العلوم المتعارفة ، ووجد العلم بوجودها في

الثلاثة التي هي المادة ، والصورة والفاعل بينا أما في الأجسام الصناعية

فظاهر ، وأما في الطبيعية فهي بعضها يظهر نحواً من الظهور وفي بعضها

يخفي كل الخفاء ؛ وأرسطو : Phys. I. 7. 190 b 20

(٥) النص بنفسه ورقة ١٥٣ ألف .

(٦) واستدل ابن باجة قائلًا (ورقة ٧ ألف) : فإنما متى وضعنا المادة ذات صورة

لزم أن تكون منقسمة إلى مادة وصورة ويمر ذلك إلى غير نهاية . . . وهذا

إيضاً شنيع بل محال فتستتي ضرورة إلى مادة غير ذات صورة : قارن أرسطو :

Phys. I. 7. 191 a 8

البسيطة^(١) على ما تبين في مواضع أخر أربعة : وهي الأرض والماء والهواء والنار . فاما أن تكون المادة ذات صورة فلا يمكن أن تكون بهذه الصفة مادة لجسم طبيعي^(٢) غير الأربعة دون أن تختلط بها مادة أخرى . لأن الموجود البسيط اذا تغير ، فإنه يتغير إما في صورته ، فيكون عنه موجود آخر بسيط مقابل له كالماء ، فإنه يكون عنه الهواء^(٣) والأرض ، وإما أن يتغير في لواحقه^(٤) فيكون ذلك استحالة لا تكوننا . ففى كان الموجود البسيط مُضمعا^(٥) أن يكون عنه موجود مركب لزم ضرورة أن يختلط به غير واحد . وكذلك يكون من الأجسام الصناعية ما يكون عن موجود واحد مصور لأن أنواع الصناعة لواحق الأجسام الطبيعية إلا أنها لا يقبلها ذاك الموضوع إلا من الصانع^(٦) .

(١) قارن أرسطو De Caelo III. 1. 298 a 29 .

(٢) « ويجزم طبيعي » ، أراد ابن باجة جسماً مركباً من صورة ومادة ، الساع ورقة ٨ الف : . . . بوجوده الجسم الطبيعي ، ووجوده يتم بوجود المادة والصورة ، وكل واحد منها طبيعة فالطبيعة أخلق بالصورة من المادة ، إلا أنها لما لم تكن دون المادة لم توجد بالفعل ، فالمادة معاضدة لها ، فالمادة أيضاً طبيعة ، والمجتمع منها هو الجسم الطبيعي ؛ وأرسطو يدعو الاسطغسات الأربعة الأجسام الطبيعية الاولى : Phys. IV. 1. 208 b 8 .

(٣) المخطوطة : هواء .

(٤) يفرق ابن باجة بين التغير في صورة الجسم الذي يسميه « التكون » (انظر النص) وبين التغير في الصفات ويدعوه « استحالة » (الساع ورقة ١٦ ب : والحركة في الكيف يقال لها استحالة ، وأيضاً النص) . وقد فصل في « الكون والفساد » (ورقة ٨٠ ب) بان تكون استحالة أم لا فائلاً : « وبالجملة فن جعل الموجود واحداً فهو يرى ضرورة أن التكون استحالة وأما من جعل الموجود أكثر من واحد بالنوع . . . فهو يضع بالضرورة أن التكون غير الاستحالة » .

(٥) راجع أرسطو : Arist. Phys. i. 7. 190 b 18 .

(٦) هذا مبني على ما قاله أرسطو : « For the helmsman knows and prescribes what sort of form a helm should have, the other form what wood should be made and by means of what operations. In the products of art, however, we make the material with a view to the function, whereas in the products of nature the matter is there all along » . (Phys. ii. 2. 194 b 5)

والأجسام الصناعية منها ما يقبله بأمور تكون كلها موجودة عن الصناعة صرفاً كالكرمي ، فإن الخشب يقبل الصورة عن الصناعة ، وآلاته أيضاً صناعية . ومنها ما يكون المحرك ^(١) الأول < فيه > الصناعة ^(٢) وتكون آلاته ^(٣) أجساماً طبيعية كالزجاج ، فإنه لا يتم وجوده إلا بحرارة النار والنار جسم طبيعي . وهذه أصناف : بعضها يكون جميع آلات الصناعة < فيها > أموراً موجودة لا عن إرادة ، وبعضها تكون آلاتها بعضها طبيعية وبعضها صناعية . لكن ما كان آلاته ^(٤) طبيعية فما الجهة التي يكون بها صناعية ؟

فأقول : إن المحرك منه بالعرض ومنه بالذات ^(٥) ، فقد يحرك بنفسه وقد يحرك

(١) المخطوطة : المتحرك .

(٢) وقد بين ابن باجة : (السماع ، ورقة ٣٢ ب) والمحرك الأول يقال على أنحاء : أحدها المحرك الذي يحرك لا بأن يتحرك كالتلج ، يبرد الإناء لا بأنه يتبرد فإن التلج يبرد الإناء والإناء يبرد الماء ، والإناء يبرد ويتبرد ممّا والتلج يبرد ولا يتبرد ، وقد يقال على ما يحرك وهو لا يتحرك ولا يمكن فيه أن يتحرك إلا بالمرض ، وقد يقال على ما يحرك ولا يتحرك لا بالذات ولا بالمرض . فظاهر أن القول الأول حذّ لأنه بين الوجود ، وأما الثاني فإنه أيضاً يبين أنه معنى موجود فإن الصناعة تحرك ولا تتحرك ولا يمكن أن تتحرك إلا بالعرض .

(٣) المخطوطة : آله .

(٤) المخطوطة : آله .

(٥) هذا التقسيم « للمحرك » مأخوذ من قول أرسطو (راجع Phys. VIII. 5. 256 a 6) ، وابن باجة يذكره مرة بعد أخرى : ورقة ٦٦ ب : « ومنها (من المتوسطات من المحرك) بالذات كالأبد التي تحرك المكاز ، ومنها بالعرض فإن الأبيض يحرك المكاز . وما بالذات فهي ضرورة متناهية كما بين ذلك في السابعة من هذا الكتاب (السماع الطبيعي) . والمحرك الأول هو الأبد ، فإن الأبد يحرك منفرداً بنفسه ، وأما المتوسطات فكلاهما إنما تحرك بالأبد فالأبد ، والأبد هو المحرك الأول . ورقة ٤٨ الف : إن المحرك والمتحرك بعضهما بطريق العرض الحركة بذاتها . ورقة ٥٥ الف : والمحرك ينفصل بتقابل يخصه وهو أن يحرك بنفسه وقد يحرك بغيره .

راجع أرسطو : De Gen. i. 7. 324 a 30 sq.

بتوسط شيء آخر إما واحد وإما أكثر من واحد ، وهذه الوسائط هي آلات أو كالات للمحرك . وأما الصناعة فإنها لا تحرك بذاتها بل تحرك بالآلات ^(١) . وما يتحرك عن محرك بهذه الصفة فله أكثر من محرك واحد فيكون له محرك أخير وهو الشيء الذي يلي المتحرك ^(٢) كالقدوم للخشبة ومنه أو هو الصناعة ^(٣) . والاخير على ما تبين لا يحرك دون الأول ، فأما الأول فإنه يحرك دون الاخير ، فإن الحركة إنما توجد في حين وجودها بحضور تحريك المحرك الأول . فالمحرك الأول فاعل للحركة وإليه تنسب ^(٤) كما تبين في الثامنة .

وكل متحرك يكون المحرك الأول فيه طبيعة فهو طبيعي ، وكل ما يكون المحرك الأول فيه صناعة فهو صناعي ^(٥) كيف كانت آلاته .

وأما انت الصناعة قد تتغير فذلك بالعرض أو بالقصد الثاني ، وقد تبين كيف يكون ذلك في الثانية ^(٦) من السماع ^(٧) .

(١) راجع السماع ورقة ٥٠ الف : إن كل ما ليس بذئ نفس فليس محركاً بل هو متحرك منفعل ، وإنما هو محرك بافتتان المحرك به .

(٢) السماع ورق ٣٦ الف : وقد ثبت في أقاويلنا في الكون والفساد البرهان على أن الفاعل يلي المنفعل ويتأخر . ويمثل ذلك بعينه يمكنه أن يبين أن المحرك يلي المتحرك والذي يزيد هنا أن المحرك القريب عندما يتبدى بالحركة يلي المتحرك . راجع الكون . ورقة ٨١ ب : فالمحرك اذا حرك المتحرك فقد ماس هذا المحرك بطبيعة ذلك المتحرك والمتحرك بمسوس . وورقة ٨٢ ب : إن كل متحرك فهو يتلو محركه الأقرب ضرورة فالمحرك والمحرك يتماسان . قارن أرسطو :

Phys. VII. 2. 243 a 3

(٣) راجع التمليق ٢ . ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٢ الف .

(٤) راجع السماع ، ورقة ٨٠ الف : فان الإنسان يحرك اليد واليد العكاز ، والعكاز يحرك الحجر ، والمحرك الاول هو الإنسان وإليه ينسب الفعل في الحقيقة وهو المستحق الدم والمدح والعقاب والثواب . قارن أرسطو : Phys. VIII 5. 256 a 9 .

(٥) راجع أرسطو : 29 a 193 ; II. 1. 254 b 14 ; Phys. VIII. 4. 254 b 14 ; II. 1. 193 a 29 .

(٦) المخطوطة : الثامنة .

(٧) إن الصناعة كما ذكر (النص ، ص ٢ سطر ١٢) لا تحرك بذاتها بل بالآلات ، ويبين ابن باجة معنى « القصد الثاني » قائلاً : (ورقة ٩ الف) « فان إنساناً اذا قصد إنساناً ليحاربه فقد قصد ليحارب من يهواه لكن بالقصد الثاني لا بالأول » والصناعة توجب التغير وتكمل ما تركته الطبيعة ناقصة . قارن أرسطو :

Phys. II. 2. 194 a 36 ; II. 8. 199 a 15

(ورقة ١٣٩ ب) والصور كيف كانت إما أن تكون صناعية أو طبيعية ^(١) . والصور بالجملة هي كالات ^(٢) الأجسام التي فيها . وليست كالات فقط ، بل كالات متمكنة فيها كالملكات . والكمال إذا كان بهذه الحال سمي استكمالاً . فالصور إذن استكمالات الأجسام ذات الاستكمالات بالقوة . وهذه الاستكمالات ضروب ^(٣) : منها ما للموجودات التي فيها تفعل أفعالها دون أن تتحرك بالذات ومنها ما تفعل أفعالها وهي تنفعل .

(١) والفرق بين الصور الصناعية والصور الطبيعية ، أن الأولى وإن كانت موجودة في موادها لا تقدر أن تحرك ما هي فيه ولا الغير ، كما أن الطبيعة تقدر على ذلك . راجع ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٢ ب : « وليس للصور الصناعية وهي الموجودة في موادها قوة على أن تحرك ما هي فيه ولا على أن تحرك غيرها . وهذا هو الفرق بين الصور الصناعية وبين الطبيعية . فان الصور الطبيعية فيها قوى يحرك بها الأجسام ويتحرك بها الأجسام أيضاً على أنها المحركة . قارن أرسطو :

Phys. II. 1. 193 a 30 - 65

(٢) الكمال ، والاستكمال ، وصفه ابن باجة في شرحه على السماع الطبيعى ، ورقة ١٥ ب : « ومن الموجودات التي هي أجسام أو في أجسام من جهة أنها أجسام مّا هي معدودة بالطبع كالإنسان والفرس ، ومنها ما هي معدودة بمرض وليس لها في أنفسها قدر ينصها ، فالاول لا يمكن أن يوجد فيه شيء يجزء لأن الكمال متى لم يوجد لم يكن ذلك الوجود » . ورقة ٩٦ الف : « وأما الذي يبقى فيه التغير واحداً بعينه فظاهر أن التغير لا يكون في الجوهر فان كان من عدم الى وجود كالتغير من الجبل الى العلم سمي استكمالاً » . ورقة ١٦ ب : « فالكون والفساد ايضاً يحركتین وكذلك الاستكمال وهذا ما لم يلتفت أرسطو بل أجراه بحرى الحركة في مكان آخر ، فالحركة اذاً هي لموجود بالكمال ومن وجود بالكمال الى وجود بالكمال » .

وأما أرسطو ليس فانه يقول إن الحركة هي استكمال المادة ، والنفس كالجسم ، انظر :

Phys. III. 1. 201 a 10, b 4; 2. 202 b 7; VIII. 1. 251 a 9; Met. XI. 9. 1065

b 16, 33

(٣) ابن باجة تسكّم على مراتب للكمال في السماع ، ورقة ٥٢ ب : « فان وجود الشيء في المكان جنس من أجناس الكمال وهو على مراتب : فافلها أن يكون في موضع واحد فقط ولا يبارحه حتى يفسد ، ثم من بعد ذلك أن يتحرك حتى يكون في جميع تلك المواضع في زمان زمان فيكون أبداً بالفعل والقوة ، والمرتبة الثالثة أن يتحرك فيها على الاتصال » .

ولما كان كل متحرك فله محرك ^(١) كانت هذه إما أن تتحرك عن محرك خارج عنها ، كأكثر الأجسام الصناعية ، وإما أن يكون ^(٢) محركها فيها . وهذه في الصناعة كالميكانيك ^(٣) التي تحركها لفعل أفعالها تكون فيها زمانا ، وقد خلصت هذه في العلم المدني ^(٤) .

وأما الطبيعية ^(٥) فمحركها في جميعها ، والجسم الطبيعي مؤلف من محرك ومتحرك ^(٦) . وأما الصناعية فإن المحرك فيها خارج عن المتحرك ، وهذا المتحرك مقارن بالعرض . وأما الطبيعية فلبست كذلك . وأما هل يوجد من الطبيعة شيء يشبه بالصناعة ففيه موضع يخص غير أنه يشبه ، إن كان ذلك ، أن يكون بوجه آخر . والأجسام الطبيعية إنما تتحرك إلى مواضعها التي لها بالطبع ^(٧) إذا كانت

(١) فارن ابن باجة ، ورقة ١٣٠ الف : « وقد تبين في الثامنة أن كل متحرك لله محرك » .

(٢) المخطوطة : ومنها ما يكون .

(٣) يقول ابن باجة في موضع آخر ، السماع ، ورقة ٣٢ ب : « فإن هذه الميكانيك والاشياء الصناعية التي يخفى محركها يظهر الحس أنها تتحرك من قبلها فبمع العجب منها » . وأيضاً ورقة ١٣٠ الف : « وهذا (المحرك) قد يكون طبيعياً وبذاته وهو كأصناف الحيوان ، وقد يكون صناعياً كالميكانيك » . وقد ذكر أرسطو : *automatic machines* ، انظر : Catapult; De Gen. An . . II 1. 734 b 10 . أنظر a Politics 1331 .

(٤) الظاهر أن ابن باجة أشار إلى كتابه في السياسة أو العلم المدني كما يذكره ولكن هذا الكتاب ما وصل إلينا ، وقد ذكره مراراً في كتابه تدبير المتوحد ، فارن ص ٤ ، ٢٩ ، ٥٥ ، (ص ٤ : وقد خلصته في العلم المدني) .

(٥) المخطوطة : الطبيعية .

(٦) فارن ابن باجة ، ورقة ٥٣ ب : « أما الأجسام الطبيعية فقد تلخص القول فيها ويثبت أن حركتها من غيرها ولذلك لا يمكنها أن تقف بوجه ، وأن الجسم الطبيعي مؤلف من المحرك والمتحرك على جهة تأليف الحد لا على جهة التركيب حتى يكون هذا في جزء وهذا في جزء آخر » .

(٧) الأجسام الطبيعية لها مكان بالطبع ، انظر أرسطو : Phys. IV. 1. 208 b 8; VII. 3 253 b 35 .

في المواضع الخارجة عن الطبع ، فعند ذلك توجد فيها القوة ^(١) على ما سفي
الطبع فلذلك حركاتها لها . إنما هي تنحو من أنحاء ما ^(٢) بالعرض . لأن
وجودها في مواضع غير طبيعية إنما هو لعابق بعوقها ، فإذا زال العابق صارت ^(٣)
الى ما لها بالطبع . فلذلك ظن في هذه أن المحرك هو المتحرك وليس كذلك ^(٤) .
فإن الحجر من جهة أنه بالقوة أسفل ويحرك من طريق أنه ثقيل فالمتحرك ^(٥)
فيه هو القوة على الأسفل والمحرك ^(٦) هو الثقل ^(٧) . فلذلك يتحرك بنحو
واحد من الحركة بالطبع الذي فيه .

وليس في المتحرك وجود مضاد للمحرك ^(٨) إذ المتحرك قوته فقط . وليس

(١) القوة يمرنها ابن باجة في ورقة ١٨٩ ب : « القوة تقال على الاستمداد الذي يكون

به الشيء كذا وكذا » . وقارن أرسطو : Arist. Met. 12. 1019 a 15 .

(٢) ولشواهد « أنحاء ما » راجع النص نفسه (آخر الفصل الثاني « حيوانات ما ») ،

السابع ، ورقة ١٥ ب : « أجسام ما » : أيضاً ، ابن سينا : الشفا (مخطوط بودليانا)

ورقة ١٨٢ الف : « أو أن يكون الذي يتخيل الواوياً ما مشمول العين » :

ورقة ١٨٣ ب سطر ٢٢ : سببها اتصالات ما لا يشتر بها .

(٣) المخطوطة : صار .

(٤) قارن ابن باجة ، الباع ورقة . ه الف : « فإن المحرك ضرورة يجب أن يبين

المتحرك وهذا شيء لا يمكن في الاسطوانات لأنها بسائط ومنشابة الأجزاء .

فقد بان أن كل ما ليس بذئ نفس فليس محركاً بل متحرك منفعل وإنما هو

محرك باقتران المحرك به » . ويقول أرسطو : « So we are left with a mover,

and a moved, and a goal of motion » (Phys. V. I 224 b 6)

(٥) المخطوطة : المحرك .

(٦) المخطوطة : المتحرك .

(٧) النص ، ورقة ١٤٣ ب : كالثقل في الحجر فإنه يحرك حيناً وحيناً لا يحرك

« يحرك حيناً ولا يحرك < حيناً > كالثقل » .

(٨) المخطوطة : للمتحرك .

كذلك ذوات الألف (١) . فإن المتحرك ذو صورة له من أجلها فعل ما ، والحرك إما أن يحرك حركة مضادة <أو> يحركها للطبيعة (٢) ، كرفع اليد الى فوق ، والظفر فإنه يتحرك به الجسد وهو نقل الى فوق ، فلذلك يحرك النفس بآلة (٣) وهو الحار الغريزي أو مايجري مجراه .

(١) فلا تحتاج الى محرك خارج فانها تتحرك بذواتها : ابن باجة ، السماع ورقة ٤٨ الف : « والمتحركة بذواتها بعضها من تلقاها وهو الذي لا يحتاج في تحريكه الى آخر غيره كأنواع الحيوان » . ورقة ٥٠ الف : « والصنف الثالث المتحرك من تلقائه وهو يتحرك كالحیوان وهو متحرك عن غيره ولكنه فيه » . أيضاً أرسطو : Phys. VII. 2 243 a 14; VIII. 4. 254 b 15

(٢) فتوجد في المتحركات بذواتها حركتان - الطبيعية والقسرية . راجع ابن باجة ، السماع ورقة ٥٠ الف : « وأيضاً فالمتحركات بذواتها منها ما يتحرك طبعاً ، ومنها ما يتحرك خارجاً عن الطبع وقسراً ، فإن حركة الحجر الى فرق هي خارجة عن الطبع ، وقسراً لأنه قد قهر على ما في طبعه ضده » . قارن أرسطو : Phys. VIII. 3. 254 b 20

(٣) النفس والروح مترادفان عند العرب ومشتركان عند الفلاسفة . انظر تدبير المتوحد ص ١٨ : والروح يقال في لسان العرب على ما يقال عليه النفس ، ويستعمله المتفلسفون باشتراك . فتارة يريدون به الحار الغريزي الذي هو الآلة النفسانية الأولى ، لذلك نجد الأطباء يقولون إن الأرواح ثلاثة : روح طبيعي ، وروح حساس ، وروح متحرك ، ويعنون بالطبيعي الغذائي إذ يوقمون الطبيعة في صنعتهن على النفس الغاذية ، ويستعمل على النفس لا من حيث هي نفس بل من حيث نفس محركة ، والنفس والروح اثنان بالقول ، واحد بالموضوع » . السماع ورقة ٤١ الف : « وأما الروح الغريزي فعبه المحرك الذي لا يتحرك وهذا يحرك الحيوان ، وهذا يوجد الحيوان متحركاً من تلقائه . وإذا ذهب هذا الروح عند موت الحيوان بقيت تلك (المتوسطات) غير متحركة ولا محركة » . الحيوان ورقة ٩٦ الف : « فهناك النفس والآلة الأولى على ما تلخص في الرابعة هي الحرارة الغريزية فحيث ينبوع الحرارة الغريزية فهناك النفس ، والقلب على ما شوهد بالتشريح هو ينبوع الحرارة الغريزية ، فالقلب هو مبدأ الحيوان ، فاما إن النفس حيث الآلة الأولى فإن ذلك قد تبين في الثامنة من السماع » . أيضاً النص ، ورقة ١٤٥ الف : وهذه الحرارة هي آلة النفس . قارن أرسطو : Arist. De Motu. Animalium. 10. 703 a 10; De Anima II. 4 416 b 29; Parv. Nat. 14 VIII. 474 a 35 et sq.

والصور صنفان : استكمال الجسم طبيعي لا يقتزن فيه المحرك بالمتحرك بالذات .
 ما يتحرك دون آلة بل يتحرك بجملته . ومنها استكمال الجسم طبيعي متحرك
 بآلات . والأول يقال عليه الطبيعة بخصوص والثاني يقال له نفس^(١) .
 فالنفس استكمال الجسم طبيعي آلي . والاستكمال (ورقة ١٤٠ ألف) منه
 أولى^(٢) ومنه أخير^(٣) . فإن المهندس عندما يعمل الهندسة يسمى مهندسا
 [على الكمال] الأخير . فإذا هندس كان على كماله الأخير . والنفس هي
 الاستكمال الأول^(٤) . فذلك هي استكمال أولي بجسم طبيعي آلي . ووجود
 الجسم ذا نفس هي الحياة ، فكل جسم متنفس حي .

(١) قارن ابن باجة ، السماع ، ورقة ٨ ألف : « وذلك ان الأجسام ما يفعل فعله دون
 آلات كسمو النار وهبوط الحجر وصور أمثال هذه تخص باسم الطبيعة ، ومنها
 ما يفعل فعله بآلات كاختذاء النبات وحركة الحيوان ، وصور أمثال هذه الاجسام
 يقال لها نفس » .

(٢) والكمال الأول ، بالجملة ، هو الذي عند وجوده يستعمل الجسم لقبول الصورة
 من غير أن يتغير بالذات لا بالعرض . راجع النص نفسه ورقة ١٥٥ ب ،
 والتعليق الآتي .

(٣) لقد أوضح ابن باجة الفرق بين الكمال الأول والأخير في السماع ورقة ٤٩
 ألف وب : « وكذلك المهندس عندما ينم أو عندما لا يستعمل علمه بالهندسة فهو
 مهندس بالقوة على غير هذا الوجه الذي به المتعلم مهندس . فان قوة المتعلم هي
 إما جهل أو يقتزن بها جهل . وإما النائم أو الداهل عن عمله فليس قوته جهلاً
 ولا مقترنة بجهل بل هو على حال مقابلة للجهل ، فان المهندس النائم ليس يصدق
 عليه جاهل بالهندسة كما يصدق على من لا يعلمها من الناس الطبيعيين » . أيضاً
 النص ورقة ١٥٥ ب : « وأعني بقولي الأول كما يقال في المهندس حيناً لا يستعمل
 عمله بالهندسة ، والموسيقار مالا يستعمل صناعة الموسيقى . . . حين يستعمل اللحن » .
 وأيضاً ورقة ٢٢٠ ب : « فالنفس إذا قبلت على الكمال الأول كانت قوة
 منفصلة وإذا قبلت على الكمال الأخير كانت قوة قاعلة ، إلا أن النبات أعطي
 كماله الأخير ولم يعط الكمال الاول ، فرداً ولذلك لم يوجد للنبات حس ، فان الحس
 كال أول ، وكمال الأخير أمور غير محدودة بل هي بالذات غير متناهية وإنما
 تنتهي بالعرض .

(٤) راجع النص نفسه ورقة ١٥٥ ب : « إن النفس هي الاستكمال الاول » . وقارن أرسطو :

ويتبين ان النفس من المتفقة أقوالها . فان قولنا «استكمال» يقال بتشكيك^(١) ، وكذلك قولنا «جسم» وكذلك قولنا «آلة» ؛ فالنفس إذا يقال لها بالنحو من التشكيك الذي يقال به الضعيف والكثير وما جازسه . فلذلك يجب أن تفصل فيقال ان النفس الغاذية هي استكمال الجسم الآلي المعتدي ، والحساسة استكمال الجسم الآلي الحاس ، والمخلقة هي استكمال الجسم الآلي المخليل . وأما الناطقة فالنفس يقال عليها بنوع من الاشتراك أظهر من هذه . وكل علم على ما يقوله أرسطو حسن جميل^(٢) . غير أن بعضه أشرف من بعض ، وقد عدت مراتب شرف العلوم في مواضع كثيرة . والعلم بالنفس يتقدم سائر العلوم الطبيعية والتعاليمية بأنواع الشرف كلها . وأيضاً فان كل علم مضطرب الى علم النفس^(٣) فلبس يمكننا الوقوف على مبادئ العلوم ما لم نقف على النفس ونعلم ماهي بالحد على ما بين في مواضع أخر . وأيضاً فإن من الأمور الداعية أن من لا يوثق بأنه يعرف حال نفسه فهو أخلق أن لا يوثق به في معرفة غيره . ونحن إن لم نعرف حال أنفسنا وما هي وإن لم يتبين لنا ما يقال فيها هل قيل على الصواب أم لا يوثق^(٤) بذلك ، فنحن أحرى أن لا نثق بما يتبين لنا في سائر الأمور .

وأيضاً فإن العلم بالنفس يكسب للناظر قوة على أخذ مقدمات لا بكل العلم الطبيعي دونها . وأما الحكم المادية فلا يمكن أن يكون القول فيها على نظام قبل المعرفة بأمر النفس .

(١) الاسم إن كان حصول معناه في بعض الأفراد أول وأشد من الآخر كالوجود بالنسبة الى الواجب والممكن فهو عند المنطقيين مشكك ، والحال تشكيك ومعناه اظهار الشك ويستعمل للاشتراك والابهام ، انظر محمد علي التهانوي : كشف اصطلاحات الفنون ، ص ٧٨٠ ، أيضاً : Goichon : Lexique p. 162 .

(٢) فارن أرسطو : Arist, De Anima. I. 1. 402 a :

(٣) قاون أرسطو : Arist : De An. I. 1. 402 a 4 :

(٤) المخطوطة : لا يوثق .

وأيضاً فإن العلم يشرف إما بالوثاقة وهو أن تكون أفادته يقينية ظاهرة ، وإما بشرف الموضوع وإعجابه كالحال في علم حركات النجوم . وعلم النفس فقد جمع الحالين معاً . وأخلق بعلم النفس أن يكون أشرف العلوم جميعاً ما خلا العلم بالمبدأ الأول . فيشبه أن يكون ذلك بوجه آخر مبايناً ^(١) اسائر العلوم بحسب مباينة الموجودات ^(٢) عنه أيضاً . وأيضاً فإن العلم بالمبدأ الأول لا يمكن ما لم يتقدم العلم بالنفس ^(٣) والعقل وإلا كان معلوماً بوجه أنقص .
وأكل الوجوه التي يعلم بها المبدأ الأول العلم الذي يستعمل فيه القوة التي يفيدها علم النفس .

والعلم بالشيء ينسب إليه أنواع من النسب ^(٤) أولاهما وأحراها بالتقدم علم ^(٥) ماهو ، والآخر علم لواحقه الذاتية الخاصة به ، والثالث (ورقة ١٤٠ ب) علم لواحقه الذاتية العامة ^(٦) — علم على سبيل الاستعارة .

(١) المخطوطة : مباين .

(٢) المخطوطة : مباينة الموجودات .

(٣) وكتب ابن سينا في شرحه على كتاب النفس لأرسطاطاليس : (عبد الرحمن بدوي : أرسطو عند العرب ص ٧٥) أما معونتها في العلم الطبيعي فظاهر لأنها تعرف أحوال الحرث والنسل ، ولأن السماء أيضاً تتحرك بالنفس وأما في العلم الإلهي فلأن من النفس يتوصل الى معرفة الأمور المفارقة وتصور كيفية الإدراك بالعقل .

(٤) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٠٩ الف و ب . « والعلوم اليقينية ثلاثة : أحدها اليقين بوجود الشيء فقط وهو علم الوجود ، وقوم يسمونه علم أن الشيء . والثاني اليقين بسبب وجود الشيء فقط ، وقوم يسمونه علم لم الشيء . والثالث اليقين بها جميعاً » .
قارن أرسطو : Met. III. 2. 996 b 14; 1030 b 20; 1086 b 5; 1086 b 33; 999 b 26. Anal. Pos. I. 11; II. 19. 100 a 6; I. 24. 85 b 13; Zeller: Arist. Vol.I. 194.

(٥) المخطوطة : على .

(٦) المخطوطة : العامة .

وعلم ما الشيء^(١) إما^(٢) غير تام ، وهو أن يعلم بأحد أجزاء حده^(٣) التامة — وهذا أصناف ، وتلخيص أصنافه في غير هذا الموضع — وإما تام وذلك أن يعلم بما يدل عليه حده .

والحد يقال بتقديم وتأخير على معان يشترك كلها في وجودها مساوية في الحمل على الشيء فهو لذلك خاصة بالشيء . والمقولة تتأخر هي بتأخر كل ما ألفت من أشياء لا يتقوم بها الشيء ، وقد تبين في غير هذا الموضع أن الأشياء المقومة للشيء هي أسبابه^(٤) . والحدود المتأخرة هي < لا > تأتلف من أسباب بل إنما ألفت^(٥) من اللواحق ، وهذه قد تكون بعيدة وقريبة^(٦) وتكون ذاتية وغير ذاتية .

والحد الذي يقال بتقديم هو ما ألفت من الأسباب وهذا أيضاً أجناس كثيرة ، منها ما يؤلف من الأسباب البعيدة ومنها من القريبة ، وهو أخلق أن يكون حداً .

(١) المخطوطة : لشيء .

(١) واجع النص نفسه . الصفحة الآتية : وأيضاً فإن من العلوم أولاً علم الشيء .

(٢) المخطوطة : ما .

(٣) فارن أرسطو Ana. Pos. III. 10. 93 b 29 . وابن رشد عرف الحد فقال :

« هو قول يعرف ماهية الشيء بالأمور الذاتية التي بها قوامه » تلخيص ما بعد

الطبيعة ، جدر آباد ص ٤٤ .

(٤) فارن أرسطو Arist. Phys. II. 3. 194 b 23 .

(٥) المخطوطة : اللف .

(٥) إن الكاتب غلط في كتابة « ألفت » مرة بعد أخرى ، فكتب « ألفت » في

سائر المواضع : ورقة ٩٥ الف : فلذلك ألفت (ألفت) من أمثال هذه .

(٦) فارن ابن باجة ، ورقة ٢١١ ب و ٢١٢ الف : « وكل واحد من هذه (أي الأسباب)

إما قريب وإما بعيد فان السبب الذي بالذات لا بد أن يكون قريباً

أو بعيداً أو أعم أو أخص أو بالقوة أو بالفعل » .

والأسباب بالجملة أربعة ^(١) : المادة والفاعل والصورة والغاية . وهذه قد تكون خاصة وقد تكون عامة بأن تجنس صورة لكنها عامة . والأخرى أن يكون حداً بالتقديم ما ألفت من الخاصة ^(٢) . وكذلك قد تكون بالقوة وقد تكون بالفعل . والأخرى أن يكون بالتقديم ما ألفت منها بالفعل . وهذا الصنف من الحدود إما أن يكون معلوماً بنفسه فيكون معطى ، وإما أن يكون مستنبطاً ، والاستنباط إما بطريق القسمة أو بطريق التركيب ، كما يتبين في غير هذا الموضع ^(٣) . وأمثلة هذه الحدود تجري مجرى الحدود والمعطيات ^(٤) ، وإما أن يستعمل في استخراجها البرهان المطلق ، وهذه ثلاثة أصناف ^(٥) ، إما أن يكون نتيجة برهان أو مبدأ برهان أو يكون برهاناً متغيراً بالموضع ^(٦) ، وهو أكل الحدود وأولاه بالتقديم . وأما الأدلة ^(٧) فانها تفيد أجزاء الحد بالعرض لا بالذات . وقد خلصت هذه كلها في انالوطيقا الثانية .

(١) ابن باجة ، السباع ورقة ه ب : « ووجد العلم بوجودها أولاً في الثلاثة التي هي المادة والصورة والفاعل بينا ، ووجد الرابع هو الغاية مشكوكاً فيه . ورقة ٢١١ ألف : فقال والأسباب أربعة فمددها » . قارن أرسطو : Arist. Phys. II. 3. 195 a 15; 194 b 23 — 195 b 21; Met. w. 2; An. Pos. 94 a 20.

(٢) قارن أرسطو : Arist. An. Pos. II. 13. 97 b 25 — 30 .

(٣) ابن باجة كثيراً ما يشير الى طرق الاستنباط ، راجع الحيوان ورقة ٩٢ ألف : « لأسباب الشيء قد يدرك بالحس وقد يدرك بالقول وذلك إما بالتقسيم أو بالتركيب أو بالبرهان أو بالدليل » . الآثار العلوية ورقة ١٧ ب فان الحدود كما قيل في انالوطيقي تؤلف إما بطريق التقسيم أو بطريق التحديد أو بطريق البرهان . وهذه الطريق غير طريق كتبها بقراطيس » . قارن أرسطو : An. Pos. II. 5. 91 b 12; Phys. VIII. 1, 252 a 24 وابن رشد : السباع ص . ٢١ ، حيدر آباد .

(٤) قارن أرسطو : An. Pos. I. 2. 72 a 15 — 24; II. q. 93 b 21 .

(٥) أرسطو : Arist. An. Pos II. 10. 94 a 21 .

(٦) أرسطو : An. Pos. II. 10. 94 a 2, a 21 .

(٧) الدليل عرفه أرسطو بأنه قضية برهانية تثبت بالضرورة أو بالاطلاق An. Pos. II. 27. 70 a 7 .

وإذ كنا نطلب في النفس هذا النحو من العلم ، وأخلق به أن يكون مراده صعباً ، إلا أنه وإن كان صعباً فليس بغير ممكن .
 وأما أن تكون النفس ليست من المعطيات من حدودها فذلك يبين . وأما أن تكون من المستنبطة حدودها فذلك يبين .
 وأيضاً فإن من العلوم التي تتلو^(١) أولاً علم ما الشيء^(٢) وكأنها كمال له .
 فهو ان يعلم هل ذلك الشيء واحد أم ليس بواحد . فإن كان واحداً فهو ذو أجزاء ، أم ليس بذئ أجزاء وإن كان ليس بذئ أجزاء فهل هو ذو قوى أو هو قوة واحدة ، وهذا كله يجب أن يطلب في علم النفس^(٣) . فإن هذه كلها آراء لمن تقدم . فإن من تقدم قد رأى أن النفس تدل على كثير على نحو من أنحاء المشككة أسماؤها . ومنهم من رأى أنها ذات أجزاء كثيرة على طريق الانفصال على ما يراه ديمقراطيس^(٤) ومن يقول بالأجزاء (ورقة ٤١ ألف) . ومنهم من رأى أنها واحدة ذات أجزاء بالموضوعات على ما يراه جالينوس الطبيب^(٥) .

(١) المخطوطة : تتلوا .

(٢) قارن أرسطو : De Anima. I. 1. 402 a 12 .

(٣) أيضاً .

(٤) رأى ديمقراطيس أن النفس جوهر مركب من أجزاء لا تنقسم ولا تنفصل ، راجع ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨٠ ب : « أو أجزاء لا تنقسم ولا تنفصل كما

يراه ديمقراطيس » . قارن أرسطو : De An. I. 2. 404 a 1; 405 a 10 .

(٥) قارن كراؤس (P. Kraus) والسر Galeni Compedium : (R. Walzer)

Timaei Platonis ، النص العربي ص ٦ : وجعل النفس التي فيه من

الجوهر الذي لا ينقسم الباقي دائماً بحال واحدة ومن الذي ينقسم في الأجسام :

ص ٧ : ثم ان طباؤس من بعد هذا الكلام يصف كيف تنقسم نفس العالم في جميع

أجزائه : ص ٩ : ثم قال فلما أتم خلق العالم قسم الأنفس وجعل عددها

كمعد الكواكب وصير كل واحد منها في واحد من الكواكب وأراها طبيعة

العالم وسن لها السن وبينها لها » . أيضاً برجستراسر (Bergstrasser) :

Galen in Hippocratis De Septimanis ، ص ١٠٠ : « أعني النفس فجزأها

بأجزاء سبعة . فقال ان النفس سبعة أجزاء ، فاعلموا أنه ليس (أبقراط)

وحده قال ان النفس مركبة من أجزاء سبعة لكن ذكر أكثر أفاضل

الفلاسفة ووجوههم شبه أفلاتون وأصحابه » .

وهذا رأي قد كتبه فلاطون في طبائوس^(١) .

وما يجري هذا الجري في النفس خاصة وبشوق إليه أو لا حتى يكاد أن يكون الطلب لعلم النفس إنما هو من أجل هذا - فهو : هل هي مما تفارق أو ليست جملة مفارقة . ولذلك نجد أرسطو يقول في أول المقالة الأولى^(٢) ، إن وجد للنفس فعل يختص به فيها دون الجسد أمكن أن تفارق . فانما بدأ بهذا القول قبل أن يشرع في الفحص عن هذا لأجل هذا الشوق السابق . وهذا كله مما يزيد هذا الجزء من العلم الطبيعي صعوبة .

وإذ كنا مزعمين^(٣) على القول فهل هذا من النظر في الأجسام التي هي فيها أو من اللواحق التي تنسب إلى الجسد^(٤) الذي^(٥) هي فيه ، كالصحة والمرض ، أو من الأفعال التي تنسب إليها كالغضب والرضا^(٦) . فانها إن لم تكن مفارقة أصلاً فكل الأفعال المنسوبة إليها مشتركة من الجسد إلا أن بعضها من أجلها وبعضها إما من أجل^(٧) الجسد أو به^(٨) .

ولما كان الحد على ما تبين في أنالوطينا الثانية^(٩) لا يمكن أن يأتلف حتى

(١) انظر ورقة ١٨٧ ب (ابن باجة) : « ولذلك لما رأى فلاطون إن النفس مفارقة :

مفارقة معنى ، ولزم عن هذا أن تكون أنفس بلا نهاية بالفعل »

قارن أفلاطون : Plato : Timaeus (Trans.), Jowett, Vol. III. 35, 37 :

أرسطو : Arist : De An. I. 2. 404 b 16 .

(٢) أرسطو : De An. I. 1. 403 a 10 . أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ،

نشر أحمد الأهواني ، ص ١١ .

(٣) كثيراً ما يستعمل ابن باجة « أزمع على » و « أزمع ان » ، الحيوان ، ورقة

٩١ ب : مزماً أن يكون ، ورقة ٩١ الف : مزماً أن يجري : تدبير

المتوحد ص ٦١ . والتعليق ١٠ .

(٤) المخطوطة : الحد .

(٥) المخطوطة : إلى .

(٦) المخطوطة : المرضي .

(٧) المخطوطة : داخل .

(٨) أرسطو : De An. I. 1. 403 a 5-15; 403. a 28; 403 b 16; 402 a 6 :

(٩) أرسطو : Arist : An. Pos. 97 b 7; 28 :

يوجد الجنس الذي يوصف به ، فإنه متى وضعنا حداً لم تأتلف من جنس الشيء كان أجزؤه مدلولاً عليها بالأسماء المشتقة . إذ لا يمكن أن يحمل أمر على شيء ما مدلولاً عليها بالمثال الأول غير الجنس ، وكان هذا الحد ^(١) بنى عن وجود أمر في موضوع لم يصرح به فكان ناقصاً ومنهياً بنقصة . فلذلك يجب أن نفحص أولاً عن الجنس الذي يجب أن يحمل عليها وتوصف به ، لنجد به السبيل الى التحدد . فإن الجنس والفصل كل واحد منهما بوجه غير الوجه الذي به الآخر ، لأن الجنس هو الفصل بالقوة على أنه ينصور به . فهو بالقوة بنحو شبيه بالقوة التي تقال على المادة ^(٢) . فهو بالقوة شيء خارج عنه .

وأما الفصل فهو الحد بالقوة كما يقال ان الكل فيه أجزؤه بالقوة . والجنس موجود في الفصل بالقوة على جهة مناسبة لوجود الجزء في الكل . هذا متى أخذ كل واحد منها بدل على جملة المجتمع ، فكان ذلك جنساً من حيث هو جنس وهذا فصلاً ^(٣) من حيث هو فصل . فأما اذا أخذ من حيث الحد ^(٤) < فالجنس > نتيجة برهان والفصل مبدأ برهان أي يجربان مجزأهما . وذلك من حيث هما أجزاء المحدود كان عند ذلك كل واحد منهما الحد بالقوة بأتماء آخر على ما (ورقة ١٤١ ب) في كتاب الحروف ^(٥) .

(١) المخطوطة : داخل .

(٢) شبه ابن باجة الجنس بالمادة والفصل بالصورة . فالمادة وصفها أرسطو بالقوة والصورة بالفعل ، قارن أرسطو :

Met. 1043 a 19 : « For the formula that gives the differentiae seems to be an account of the form and the actuality, while that which gives the components is rather an account of the matter ». Also De An. II 1 412 a 10.

(٣) المخطوطة : فصل .

(٤) المخطوطة : الجسم .

(٥) راجع أرسطو : Met. Z 12. 1037 b 29 Sq. ؛ وابن رشد ؛ تفسير ما بعد الطبيعة ،

بيروت ، ص ٩٤٧ و ٩٥١ و ٩٥٦ .

ولما كانت الطرق المسلوكة في استخراج الحد على ما تبين في أئالوطيقا الثانية ثلاثاً^(١) : طريق التقسيم ، طريق التركيب ، والطريق المستعمل فيها البرهان ، فأبي الطرق يجب أن تسلك [٠٠٠] حداً للنفس ؟ فطريق التقسيم لا يمكن فيها^(٢) ، إذ الجنس الذي تترتب فيه لبس بمعروف فإنه لو كان ظاهراً بنفسه لما وقع التنازع فيها هل هي جسم أم لا .

وأما الطريق المستعمل فيها البرهان فذلك أيضاً غير ممكن فيها ، فإف التصورات التي تصورت بها لبست واحدة^(٣) ، وبعضها مركب من أشياء لبس بعضها لبعض بالذات ولا هي لازمة عن مقاييس فيمكن أن ننظر أوثقها فنستعمله . وفي الجملة لبس فيها لدينا سبيل نقدر بها على تقديم بعضها على بعض . وأيضاً فإننا^(٤) متى تأملنا تلك التصورات التي افترضتها الأقدمون من المتفلسفين ، لم نجد لها امتناضة ولا متلازمة ، لكن يظهر منها لمن تأملها أن النفس مما يقال باشتراك . فإن أمكن في تصوراتها أن تعقل ويطلب البرهان عليه - إن يكن^(٥) - إنما وجدنا حداً من حدودها يقال عليه النفس ، ولم نجد المعاني التي يقال عليها النفس . فإن النفس إن قيلت باشتراك فإنما يقال بالنوع المشكك فيه . فلم يبق إلا طريق التركيب .

وظاهر أن طريق التركيب إنما استعمل فيها لسبق العلم بوجوده ، والنفس من الأمور الظاهرة الوجود ، وطالب تبيين وجودها شبيه بطلب وجود الطبيعة . وهو من فعل من لا يعرف الفرق بين المعلوم^(٦) بنفسه والمعلوم^(٦) بغيره . فإن

(١) المخطوطة : ثلاثة .

(١) راجع التعليل ٥٢ .

(٢) فارن أوسطو 20 - 18 a 402 De an I .

(٣) المخطوطة : واحداً .

(٤) المخطوطة : فإن .

(٥) المخطوطة : يكون .

(٦) المخطوطة : العلوم .

من المعلومات المعلومات الأولى ، ان الفرس والانسان ذو نفس ، لكن هذا النحو من الفكرة إنما يلتئم^(١) بالنظر في كل ما يقال عليه النفس ، فلذلك ينظر في أنفس جميع الحيوان ، لأن في صور النبات موضع لخص .

وهذا النحو من النظر لم يكن من تقدم أرسطو ينظره . فان قصد المتقدمين^(٢) إنما كان في نفس الإنسان خاصة حسب ما يرشد اليه نظرهم في الأمور المدنية التي كان الفحص في ذلك الزمان مقصوراً عليها فليس إنما تنظر أنواع الأنفس لهذا^(٣) الغرض فقط^(٤) بل لأن العلم بكل واحد من الأنفس جزء من العلم الطبيعي .

فنعول : إن كل نوع من الحيوان فهو جسم مركب غير متشابه الأجزاء^(٥) ولا متصلاً ، بل أجزاؤه منفصلة بنهايات تخصها ، يلقى بعضها بعضاً إما على التمام وإما على مفصل ، وهو إذا كان أحدهما يتحرك في الآخر ، فان هذا شامل لكل حيوان . وأيضاً فان من (ورقة ١٤٢ الف) الأمور المعروفة ان كل حيوان فهو متحرك حساس ، وهو يحس بأجزاء تتحرك [وتحس] فهو مؤلف منها . ويتبين أن الحيوان من جنس جسم وصورة ، فأما على [أي جهة] يقال انه مؤلف من جسم وصورة ، وهل النفس هي الجسم أو الصورة ، فذلك يتبين عند

(١) « التام » ، كثيراً ما يستعمله ابن باجة ، راجع تدبير المتوحد ص ٣١ : السبع ، ورقة ٩ الف « أمر رابع لا يلتئم وجود الشيء إلا به » ؛ « فان هذه متى وجدت التام بها » ؛ ورقة ٨ ب : « لا يلتئم وجود بعض الأجسام » .

(٢) راجع أرسطو : 4 : De An. I 1, 402 b 4 .

(٣) المخطوطة : هذا .

(٤) الإشارة الى مطالعة العلم المدني .

(٥) ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٣ ب : « وأما مركبة متشابهة الأجزاء كالذهب والنحاس » .

من يثق بنظر نفسه . وقد بحث عن ذلك الاسكندر في كتابه في النفس^(١) وبيته فليؤخذ من هناك .

واستقر الأمر على ما هو بين ان النفس هي صورة لمثل هذا الجسم^(٢) ، واذا استعملنا التقسيم الذي لخصناه فقل لزوم هذا . وذلك أن النفس استكمال لجسم طبيعي آلي^(٣) ، فهذا يشمل كل نفس وكل قوة من قواها سواء كانت ذات قوى أو ذات أخرى .

ولما كان قولنا « استكمال » مما يقال بتشكيك ولم يكن قولنا « طبيعي آلي » مترادفاً^(٤) كقولنا « المكاب النباح » في المكاب^(٥) ، فيستأن النفس مما

(١) العبارة شاهدة على أن الكتاب كان موجوداً باللغة العربية في عهد ابن باجة . وأظن أن ابن باجة أراد شرح الفارابي على تلخيص كتاب النفس للاسكندر الافروديسي الذي ذكره القفطي (تاريخ ، ليبيك ، ص ٢٧٩ تحت الفارابي) تحت عنوان « كتاب شرح الاسكندر في النفس » . فانه يعتمد على كتب الفارابي في العلوم الفلسفية كما يظهر من قوله ، ورقة ٢١٩ ب : « وكرر القول فيها ابو نصر ومكانه من هذا العلم مكانه . لكن لا يوجد في جميع كتبه التي وصلت إل الأندلس هذا النحو من النظر » .

(٢) راجع أرسطو : De An. II. 2. 414 a 16 ؛ ولقد أوضح ابن سينا في الشفاء (ورقة ١٥٦ الف ، مخطوطة بودابست) فقال : « فالنفس كمال أول . ولأن الكمال كمال الشيء فالنفس كمال شيء ، وهذا الشيء هو الجسم وليس هذا الجسم لذي النفس كاله » .

(٣) ولقد صرح ابن سينا ان النفس « ليست كمال الجسم الصناعي كالبربر والكوسي وغيره ، بل كمال الجسم الطبيعي ، ولا كل جسم طبيعي ، فليس النفس كمال أرض ولا نار . بل هي في عالمها كمال جسم طبيعي يصدر عنه كالاته الثانية بآلات يستعين بها في أعمال الحياة التي أولها التنفذي والنمو ، فالنفس التي نخدها هي كمال أول الجسم الطبيعي إلى أن يفعل أعمال الحياة » أنظر أيضاً التعليل ٣٥ و ٣٨ .

(٤) المخطوطة : مردافا .

(٥) اصطلاح « طبيعي آلي » ليس مثل اصطلاح « المكاب النباح » ، فان الثاني مركب من المرادفين لأن « النباح » ليس هنا فصل المكاب فقط : ابن باجة ، السماع ، ورقة ٤٨ ب : نقولنا المتحرك الذي ليس واحداً من هذين مركب تركيب ترادف وقانون ، كقولنا « المكاب النباح » لأن النباح « فصل المكاب » .

يقال بتشكيك^(١) وإنها من المتفقة أقوالها .

وإنها ليس هناك طبيعة واحدة تشتمل على جميعها^(٢) فإنها^(٣) لو كانت متجانسة لكانت الأفعال متجانسة ، وأفعال الحيوان هي اغتذاء وحس وحركة وتخيل ونطق . وليس اثنان من هذه متجانسة فتكون القوى عليها متجانسة ، بل بعضها يتقدم بعضاً كالإغذاء والحس ، وبعضها يناسب بعضاً كالخس والتخيل . وكذلك القوى والنفس بتقديم وتأخير وتناسب . فلذلك لا يمكن أن يطابق بالحد جميع ما يقال عليه النفس بنحو واحد ، ولذلك لا يمكن أن تستعمل فيها الطريقة^(٤) البرهانية .

وإغفال هذا النظر أحد الأسباب الذي له ذهب على الأقدمين أمرُ النفس . فإن الأقدمين كان الجميع منهم متفقين على أنها جوهر^(٥) ، فلذلك كانوا

(١) راجع للنس ، والتعليق ٤٠ . أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الإلهواني ، ص ١٢ .

(٢) قارن أرسطو : Arist : De Anima II. 2. 413 b11 .

(٣) المخطوطة : فانه .

(٤) المخطوطة : الطريق .

(٥) عند صاحب التعريفات هناك خمسة جواهر تحت كل حقيقة - الهيول ، الصورة ،

الجسم ، النفس ، والعقل - المادة الأولى جوهر يمكن له الدوام أو عدم

الدوام ، وتقبل الصور الجسمية والتنوعية ، الصور الجسمية تدركها الحواس

(على الفور) ، والجسم جوهر قابل للأبصار الثلاثة أو الجواهر البسيطة .

النفس أو الروح الحيواني جوهر بسيط يعين قوى الحياة ، ويقدر على الإحساس

وحرية الفكر ، وهو متصل بالجسم ، والعقل جوهر مجرد من المادة ، يتلق

بالجسم ويدبره . دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ١٠٢٧ (بالانكليزية)

والفاراني عرف الجواهر الأولية بأنها أفراد متشخصة لها وجود بذاتها ، والجواهر

التواني هي أنواع واجناس توجد بوجود الافراد ، (انظر مسائل متفرقة ،

حيدر آباد ، ص ٨ - ٧ ، وديريجي ، ص ٨٩) . وابن سينا كتب فصلاً

مستقلاً في الشفاء على هذه المسألة فقال : « ان النفس داخلة في مقولة الجوهر » ...

وأخيراً قال : « فالنفس إذن ليست من الأعراض التي لا يختلف بها الأنواع

ولا يكون لها مدخل في تقويم الموضوع ، فالنفس إذن كالجوهر لا كالأعراض ، -

يطلبون أن يجعلوها تحت أنواع الجوهر ، فقال بعضهم انها نار^(١) ، وقال آخرون انها دم أو هواة^(٢) . وبعضهم^(٣) لما استحال عنده أن يكون جسماً رام أن يجعلها تحت مقولة أخرى . وبالجملة فكان الجميع منهم يرتبها في المقولات العشر .

ولما تبين للفلاطن انها يجب أن ترتب في الجوهر ، وتبين له أن الجوهر يقال على الهيولى^(٤) وهي الجسم وطى الصورة^(٥) ، وتبين له أن وضعها جسماً محال ، رام تحديدها من جهة ما يخصها . ولما كان يضع أن صور الأجسام المستديرة أنفس نظر فيما تشترك فيه هذه كلها ، فوجد الحس يختص

- وليس يلزم هذا أن يكون مفارقاً أو غير مفارق ، فانه ليس كل جوهر بمفارق فلا الهيولى مفارقة ولا الصورة « . (ورقة ١٥٨ ب . Bodl. Ms. Poc. 125) . وفي خزانة الجمع الملكي الآسيوي ، ككتبه ، مخطوطة عنوانها : « رسالة للأرسطاطاليس في النفس » ، والرسالة منسوبة لابن سينا في بعض من نسخها الموجودة بمخزائ لندن ولبدن ، وقد نشرت هذه الرسالة مع ترجمتها الانكليزية في « أرمغان علمي » ، لاهور ، ١٩٥٥م ، تحت عنوان A Treatise on the Soul ascribed to Ibn Sina ، وهي محتوية على فصل في أن النفس جوهر ، واليك الفصل كاملاً : « الفصل الثالث : كل قابل للتضادات وهو بالمدد واحد فهو جوهر ، والنفس قابلة للبر والفجور والجرأة والجبن متضادات ، فالنفس جوهر ، وأيضاً فان كل متحرك للجوهر من ذاته هو جوهر ، والنفس محركة للجسم الذي هو جوهر فالنفس إذا جوهر ، وأيضاً فان النفس جزء من الجوهر الذي هو الحيوان ، لأن كل حيوان نفس وجسم ، وجزء كل جوهر جوهر فالنفس إذن جوهر » .

(١) راجع التمليق ٥٨ .

(٢) قارن أرسطو : De An. I. 2. 405 a 22; 25; 405 b1 sq .

(٣) لعله أشار ابن باجة إلى أفكار انكساغورس (De An. 1. 2. 405 a 14) .

ابندقلس (De An. 404 b 11) ، وغيرهما .

(٤) المخطوطة : المقولة .

(٥) قارن الفارابي : مسائل منفردة ، حيدرآباد ، ص ١٩ . ديتريشي ص ٩٩ .

بالحيوان^(١) ووجد الحركة معها ، كلها فلذلك حددها بأنها « شيء يحرك ذاته »^(٢) ،
فإن الشيء دلّ به هنا على ما يدلّ قولنا « موجود » . وإنما حددها^(٣) كذلك
لأنه كان يرى أن كل محرك فهو متحرك ، إذ كان لا يمكن (ورقة ١٤٣ ب)
عنده أن يحرك شيء دون أن يتحرك^(٤) ، وقد فُحص عن هذا القول في
السابعة من السماع^(٥) .

(١) فارن أرسطو : Arist. : De An I. 2. 403 b 25 .

(٢) كما قال ابن باجة : ورقة ٣٣ ب : « فإن كان محرك ما أوله يحرك لا بأن
يتحرك عن غيره فذلك متحرك بذاته . » قال هنا انتهى النظر بأفلاطون ولذلك
رسم النفس أنها شيء يحرك ذاته ، غير أن القول لم يلزم أن مثل هذا لا يحركه
غيره بالاطلاق ، بل إنما لزم عنه أنه لا يحركه محرك خارج عنه فانما
أثم محال ما ؛

فارن أرسطو : Phys. VIII. : De An. I. 2. 404 a 20; 406 b 11; 406 b 27; 9. 265 b 33.

(٣) المخطوطة : حدده .

(٤) وابن باجة يبين في السماع الطبيعى (ورقة ٣٣ ب ، وقد نقل تحت التعليق ٨٦ .)
إن أفلاطون إنما قال بأن النفس شيء يحرك ذاته ولكن هذا القول لا يلزم منه
أن مثل هذا لا يحركه غيره بالاطلاق . بل الحاصل أنه لا يحركه محرك
خارج عنه وهذا كما ترى ليس بسديد ، فكل ما يكف عن الحركة بكف
غيره فهو متحرك من غيره ، ففكر أرسطو في الأمر وذهب إلى أن كل متحرك
فمحركه غيره بالاطلاق ؛ انظر أيضاً ورقة ٣٥ ب : « وأرسطو لما نظر في
هذه الأمور ووجد قولنا كل ما يكف عن الحركة بكف غيره (المخطوط :
بكفاف غيره) فهو متحرك من غير يئنه بنفسها ظاهرة ، ثم تأملها من هذه
الجهات ثم ما كان أفلاطون وقف دونه قوضها وأنتج أن كل متحرك فمحركه
غيره بالاطلاق » .

(٥) راجع ابن باجة ، السماع الطبيعى ، ورقة ٥٣ ب ؛ أرسطو :

VIII. 5, 256 a 13; I, 241 b 24 sq.; Phys. VII. 2. 243 a 13

وأما مناقضة الآراء المكتوبة في النفس فقد تفحص ذلك أرسطو في الأولي من كتابه في النفس^(١) فلنضع هذا النصور كذلك مجملًا .

فأما الفحص عن النفس^(٢) فإن أرسطو يشرع فيه على هذا النحو الذي نقوله : لما كانت الأنفس بعضها متقدمة بالطبع وبعضها متأخرة ، وأشدّها كلها تأخرًا النفس المتخيّلة ، فإن الحس يتقدمها .

وقد يُظن^(٣) أنه يكون حيوان لا يتخيّل له كالديد والذباب^(٤) ، وإن كان له تخيل فليس بمفارق للحس ولا هو محصل .

وأقدم قوى الحس كلها اللامسة ، وقوة الحس تتقدمها القوة الغاذية ، فالقوة الغاذية أقدم قوى النفس كلها .

فأما القوة الناطقة وإن كانت نفساً فهي أشد تأخرًا في الطبع على جهة ما يتأخر الكامل عن الناقص في الطبع .

فلذلك يبدأ أرسطو^(٥) في الفحص عن النفس الغاذية ، وهذا النوع من النفس له قوتان : إحداها قوة النمو والأخرى قوة التوليد . فالقوة الغاذية تتقدم الجميع ، فهي إذن أقدم قوى النفس .

محمد صغير حسن المصري

(يتبع)



(١) قارن أرسطو : Arist. : De An. I. 3. 406 a 1 .

(٢) والظاهر أن ابن باجة أراد بالأنفس هنا قوى النفس .

(٣) وابن باجة لا يرجح هذا الرأي ويوافق أرسطو في قوله إن الدود مثلاً له

حسّ وحركة وأيضاً تخيّل ونزوع . كما يستفاد من قوله « قد يظن » .

راجع أرسطو : De An. II. 2. 413 b 20 - 32; 414 a 1; 29 .

وأيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ١٧٤ .

(٤) قارن ابن رشد : تلخيص النص ، الأهواني ص ١٣ .

(٥) قارن أرسطو : Aristotle : De Anima, II. 4. 415 a 23 .

التعريف والنقد

كتاب الغصون اليانعة

في محاسن شعراء المائة السابعة

تحقيق الأستاذ ابراهيم الأبياري

طبع دار المعارف بمر (١٧٦) صفحة

وهذا كتاب آخر لابن سعيد المغربي ، صاحب كتاب « المغرب » ، يرى النور بعد ما لبث في ظلمات الخزائن قروناً عدة ، على يد خريّت ماهر ، خبير بجزايا الدفاتر ، هو الأستاذ ابراهيم الأبياري . وصلة الأستاذ الأبياري بالمغرب قديمة ، وعلاقته بالمغاربة قدماء ومحدثين وطيدة ، فكثير من طلبتنا درس عليه واقتبس من علمه ، وكثير من آثار علمائنا ما كان ليبرز للوجود لولا عنايته وتهممه به . ومنها « كتاب الغصون اليانعة » الذي بين يدينا الآن . فقد قام الأستاذ الأبياري عليه خير قيام . . . قدم له بمقدمة عرّف فيها بقيمته ، وأثبت بالأدلة القاطعة نسبته لابن سعيد . وحقق نصه أتم تحقيق ، فضبطه وشرح ما فيه من الغريب ، وترجم للأعلام الواردة فيه أو أحال على مظان ترجمتها ، وألحقه بنهارس لمحتوياته من أسماء الأعلام والقبائل والأماكن والكتب والأبيات الشعرية ، فضلاً عن أسماء الشعراء المترجمين في الكتاب . وهذه هي الطريقة العلمية التي تعمل ولا يُعلَى عليها في تحقيق الكتب القديمة ونشرها ، والتي لا تقل فيما تكلف من تعب ونصب عن تأليف الكتب ووضعها من الأصل ، (وما بعقلها إلا المألوف) .

وصلني بكتاب « الغصون الياقة » قديمة ، ترجع الى سنة ١٩٤٠ حين اطالعت عليه بمكتبة « الاسكوريال » ونقلت منه بعض التراجم المغربية ، وقد نذاكرت حينذاك في شأنه وشأن مؤلفه مع صديقي الأب نيمسيو موراطا المكلف بقسم المخطوطات في المكتبة المذكورة ، فأحالني على بحث نشر حوله في أحد أعداد مجلة « الأندلس » ، أثبت أنه من مؤلفات علي بن سعيد المغربي ثم بعد ذلك بنحو عشر سنين أخذت منه صورة فتوغرافية لمعهد مولاي الحسن . واهتم به بعض الأدباء في قطوان محاولاً نشره فلم يفعل شيئاً ، وكان الأقدار إنما ادخرت فضل هذا العمل للأستاذ الاياري لأنها علمت أنه لا يستطيع أحد أن يفري قريحته في ذلك ، وزاده إخراج دار المعارف في هذه الحلة القشبية رونقاً وجمالاً . وعلى أني طالعت هذا الكتاب في أصله ، فقد حُبب إلي أن أقرأه مرة ثانية في هذا الطبع الرائق ، خصوصاً وأن قراءة الأصل متعبة جداً ، لرداءة خطه . وأثناء مطالعتي له ، لاحظت بعض المآخذ الطفيفة ، والأغلط الخفيفة ، منها ما يتعلق بالطبع ، ومنها ما يتعلق بالقراءة ، فأردت أن أنبه عليها في هذا المقال ، وذلك من دلائل إعجابي بالكتاب وتقدير لي لحقيقته ، وإلا فما كنت لأتجارب وهذا العمل لو لم يكن يستحق التنويه وبتصف بالكمال أو يكاد ، عدا ما يدفع العين ويحقق بشريّة من صدر عنه .

فأول ذلك ما أشار اليه المحقق الفاضل في مقدمة الكتاب ص . ك - من عبارة التملك هذه التي كتبت على الورقة الأولى من المخطوط (محمد بن عبد الرحمن ابن الحكيم) فانه جعل هذا الاسم الأخير . . الحكم ، وهو في الأصل الحكيم . . والشخص هو الوزير ابن الحكيم رفيق ابن رُشيد في رحلته ، والمترجم في الإحاطة بما لا مزيد عليه من التنويه ، وهو أشهر من أن يعرف . ثم العبارة الثانية التي تفيد أن الكتاب كان في ملك زبدات بن المنصور وهي . . الحمد لله . تملك هذا الكتاب عبد الله المعتمد عليه المفوض أموره

اليه أمير المؤمنين زبدان بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أصلح الله أحواله) وقد انتهت على حضرة المحقق فقراً بعد اسم زبدان ٠٠ مرا كش الفهرري ٠٠٠ ولا يخفى أن هذا الكتاب هو من جملة الكتب التي كانت لمولاي زبدان بن المنصور السعدي وأخذها القرصان الى اسبانيا فصمّت الى مكتبة « الاسكوريال » ويوجد على هذه الكتب كلها عبارة التملك بخط المنصور نفسه أو بخط ولده زبدان ، ولا محل في اسمي المليكين معاً للفهرري لأنهما من دوحة الاشراف العلويين المعروفين بالسعديين .

وفي ص ٠٠٧ وقعت هذه العبارة : « والنهوض الى الطبقة العالية ذات الاغراب والابداع » والاغراب هنا وإن صح أن يراد به البيان لأنه أحد معانيه ، إلا أن قصد المؤلف هو الاغراب بالغين المعجمة ، وهو كذلك في الأصل ، وربما كانت نقطة الغين سقطت عند الطبع .

وفي ص ٠ و أثناء تعليق لحضرة المحقق مانصه ٠٠ « وثم كتاب آخر لابن سعيد ، وهو زبدة الحلب » وأظن أن هذا سبق قلم ، فزبدة الحلب هو لابن العديم المذكور تاريخه في التعليق ، جملة كالمختصر لذلك التاريخ . وعبارة « وثم كتاب آخر » ربما أشعرت بهذا السبق القلمي .

وفي ص ١٢ « اطلعته واسطة من عقد شعرائها » والصواب في عقد . وفيها أيضاً ٠٠ « ذاكرت بعض علماء بلدي في شأنه فنوه باسمه وأنشدني له » والصواب أحد علماء بلده . والخطآن يصح أن يكونا من الطبع .

وفي ص ١٣ وقع هذان البيتان :

فجر الصبا ينف وجنبه غدا يوج مثل البحر الجائل

أما تراه إذ طفلاً مأو قد قذف العنبر في الساحل

والذي تعطيه قراءة الأصل أنه بحر الصبا لا فخره ، وهو المناسب لقوله يوج والمعنى البيت التالي ، على أن هذا البحر الجائل الممثل به غير واضح المعنى ، ولا واضح اللفظ في الأصل فليحذر . وضبطت تاء أما تراه بضمة ، والصواب فتحها .

وفي نفس الصفحة جاءت أبيات شعرية ذكر المحقق أنها من مجزوء المديد ، وهي من مجزوء الرمل ، وهذا أولها ليستدل به :

وبدبع أطلع الآس يروض الجلتار

على أن المديد لا يستعمل إلا مجزوءاً فلا يحتاج الى النص على أنه مجزوء . وفي ص ٢٥ : يقول المؤلف في شعر لبعض من ترجمه من الأدباء . . « وهو من المحاسن التي لا يجب أن تغفل » . . فكان يجب « أن لا تغفل » ، فهذا التعبير الخطأ الذي يقع لبعض كتابنا اليوم 'مترمين' ، ولا أقول قديم لئلا يُظن صحته بالقدم .

وفي ص ٣٢ والتي تليها تردد اسم الشاعر ابن بقي مضبوطاً بتشديد القاف وأظن أن هذا التشديد خطأ . لأن هذا الاسم أصله الفعل وإن قلنا انه منقول عن الصفة فتحق التشديد أن يكون على الياء .

وفي صفحة ٣٨ يقول المحقق الفاضل في طريفة . . « انها بفتح فسكون : المنارة التي أمام اشبيلية على الجانب الغربي » والمعروف في ضبطها أنها بكسر الطاء ، ثم هي الجانب الغربي من مدينة اشبيلية أو الناحية الواقعة غربي النهر الكبير منها ، لا المنارة التي أمام اشبيلية ، ولعل أصل الكلمة المنارة ، أي أمكنة النزهة والفسحة ، فتصحفت في الطبع بالمنارة .

وفي ص ٤٣ : « وكان كثير الاجمال والمطايبة والمرح » والصواب : وكان كثير الاحتمال . وفيها : « ووتد » بالكسر وصوابه أن يكون مرفوعاً وهو وما بعده جملة في موضع الحال . وفيها « والفندق الذي ذبح فيه ابن الياسمين » والصواب ابن خاقان وهو صديق فلم ولا شك واقع كذلك في الأصل ، وتتابع (بالياء) فيه حضرة المحقق .

وفي ص ٤٤ : فليحزن الكتاب ما قد غاله ، وتكرر هذا الشطر فيها مرتين هكذا . وصواب الكلمة الأولى فليحذر . م (٩)

وفي ص ٤٨ هذا البيت :

بدا لك النارنج وهو كأنما بربك على الأجياد درأ منضداً
والشطر الأول غير 'متزن' كما لا يخفى ، وصوابه :
بدا لك للنارنج زهرٌ كأنما . . .

وفي ص ٤٩ وقع ذكر العلامة أبي الحجاج بن نموي بالواو مصحفاً الى نمرى
بالراء في الأصل وفي التعليق . ومصدر ترجمته الذي ذكره الأستاذ المحقق نفسه
قد أثبتته بالواو . وفيها أيضاً قطعتان من الشعر كتب عليهما أنهما من مجزوء المديد
ومهما من مجزوء الرمل .

وفي ص ٥٢ . . . وردت قطعة شعر أولها :

نار شوقي الى الحمى وهوى الخرد الذي
وتذكرت ما خلا من نعيمهم نصرما
فجاء قول الشاعر وتذكرت مصحفاً الى وتذكرني ، وهو كذلك لا يتزن
ولا ينسجم مع ما عطف عليه . وفي ختام هذه الآيات يقول الشاعر :
أبها المبلى به عيش كئيباً متجاً
والذي جاء لاحقاً فيه صبراً ومفرماً
قل له دع سبيله وانج منه مسلماً
وقد ثبت البيت الوسط منها في الكتاب هكذا :

والذي جاء لاحقاً فيه صار مفرماً

ولا يخفى ما فيه من اختلال الوزن وقطع الارتباط بالبيت الذي بعده .
وفي صفحة ٥٥ كتب على يتي شعر أنهما من الكامل ، وهما رجز . وهذا نصهما :
يا ظبي سجنار أما ترثي لمن قد صار من أجلك في كف الأجل
قد كان مشغولاً بدرس علمه فالיום لا علم بقي ولا عمل
وقد زيد في كلمة بدرس ألف فصارت بدارس وهو تصحيف فقط .

وفي ص ٦٣ هذا البيت :

إياك من صحبة السلطان ان لما صفوا يروق ولكن غبه كدر
وقد أثبت أوله هكذا : (أيا لمعز صحبة) وهو غير صحيح .

وفي ص ٦٩ وقع هذا البيت من شعر كثير غزاة :

حيثك غزاة بعد الهجر وانصرفت فحي وبجك ، من حياك يا جمل
مضبوطاً بكسر الكاف من حياك وضم الجيم من جمل ، والصواب فتح الكاف
خطاباً للجمل وفتح الجيم من جمل ، وهو جمل الشاعر الذي خاطبه بأبيات منها هذا .
ولها قصة في كتب الأدب .

وفي ص ٧٠ قطعتان من الشعر فيها ذكر لحرفة الأديب بضم الحاء وهي
فقره وظاية الزمان له . . ولكنها ضبطت في كلتا القطعتين بكسر الحاء ،
وهو خطأ يقع فيه الكثير من الناس ^(١) .

وفي ص ٧٧ أبيات في وصف مطر غزير عاق الشاعر عن زيارة ، منها
هذا البيت :

ملاً الأرض وحولاً أصبحت وهي مثل الحبر هلك الحبر

وقد صحفت فيه كلمة هلك جهلاً فانطمس معناه . والشاعر يقصد أن هذه الحول
التي هي في لونها الحالك مثل الحبر أي المداد صارت هلكاً ومضغعة للحبر
أي اللباس والثياب .

وفي ص ٨٢ :

من لصب فوق فرش ضنى أبداً يبرا وينتكس
جفنه بالدمع منطلق وكراه عنه محبس
جهل العواد موضعه فهداهم نحووه النفس

(١) وفي لسان العرب (حرف) ما يدل على جواز الفهم والكسر . فالحرفة
بالضم : التشديد في الماش من قولك رجل محارف أي متقوس الحظ لا ينمو له
مال ، وكذلك الحرفة بالكسر ، ويقول في موضع آخر : (ومنه قولهم حرفة
الأدب بالكسر) . (لجنة اللغة)

وقد جاء عجز البيت الأول في الكتاب هكذا .. أبدأ فَبُرْؤُهُ يَنْتَكِسُ^(١) ، ولا يصح من جهة الوزن . ثم ان البيت الثالث ثبت في الأصل هكذا :
 جهل العذال . . . وكذلك أثبتته الأستاذ المحقق ، ولكنه غفل عن طرة جاء فيها :
 العواد وفوقها كلمة (بيان) إشارة الى صواب البيت الذي يحسنُ به معناه ، إذ لا يخفى أن لا مناسبة للعذال هنا .

وفي ص ٨٣ تعليق على ترجمة أبي الحرم الماكسيني نصه : « التكلة من معجم الأدباء ونكت الحميان وبغية الوعاة » ولم نر للمحقق الفاضل تكلة زاد بها شيئاً على ما في الأصل ، بل ربّما نقص ، فان في الأصل : « من مدينة ماكسين » وفي الطبع « من ماكسين » ، وأظن أنه أراد أن يحيل على مصادر ترجمة هذا الأديب فسبق القلم الى ذكر التكلة .

وفي ص ٨٧ وردت هذه الأبيات التي يمدح بها الشاعر ابنُ نوفل وزير حلب ابن الموصول :

وصل الموصولُ كلَّ عُلَى	بك يا من لا نظير له
لك دون المبتلى حسداً	آخره قد زان أوله
وسماح ناهض ، وله	خلق في الناس أسفله
وكفاه أن يذوب جوى	كلما أصبحت مخمّله
ويذوق الموت من كمد	كلما حاذيت منزله
والورى داع ، وملتفت	وصوّل مدّ أنعمه

وقد ضبط في البيت الأول كل علا بتوين كل وفتح عين علا ، ولا شك أن الشاعر يخاطب الممدوح ويذكر أن والده الذي اسمه الموصول ، وصل به كل عُلَى ، فحق كل على النصب والإضافة الى على بضم العين . وكذلك ضبط

(١) ولعل الأقرب لرسم الأصل (يبرو) وهي لفظة صعبة ، ومنه قول بشار :
 فز بصبر لمل عينك تبرو .
 (لجنة المجلة)

أسفله في آخر البيت الثالث بضم اللام وهو القافية التي يجب أن تكون مفتوحة كأنخوانها قبلها وبعدها . ونجمله جاءت في الكتاب تحمله فعلاً مضارعاً فارفع اللام واختلفت القافية . وحاذيت كُتِبَتْ حازبت بالزاي وهو خطأ مطبعي ولا شك .

وفي ص ٩١ وقع ذكر الشريف أبي القاسم السبني شارح مقصورة حازم ، في التعليق ، لجاءت نسبته البلدية هكذا : (البني) وهو بلا شك خطأ مطبعي . وفي ص ٩٥ هذا البيت من قطعة :

بفانا الحسود ولسنا كما يقول ولكن كما يعلم

وبفانا هذه هي في الأصل نعلنا وكلامها غير دقيق التعبير عما يريد القاضي أبو حفص بن عمر صاحب الأبيات ، وهو من هو جودة شعر وبراعة نظم ، فهل تكون معرفة عن هجانا ؟

وفي صفحة ٩٨ تبدى ترجمة الجراوي الشاعر المشهور ، وقد تكرر اسمه في المخطوطة بصورة الكوراي لا الكورائي كما أثبت في الطبع . وكثير الاضطراب في اسمه عند كثير من ترجموه . وقد بينا ذلك في ترجمته من سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، وهي الحلقة السادسة . ووقع في ترجمته هذه بعض الأغلاط منها ضبط تادلا ، بلاد الشاعر ، بفتح الدال ، والمعروف فيه الكسر ، ومنها تحديد موقع جراوة قبيلة الشاعر ، ومنها الغلط في تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، جاء فيها المفضلية وغير ذلك ونظن أن هذه الصفحة لم يصححها الأستاذ المحقق نفسه .

وفي ص ١٠٢ هذا البيت :

أنهى الزمان على الاغرار واجتهدت في قطع دايرم أحداته السود
والاغرار هنا صوابها الاغزاز^(١) . . . وبعده :

ونازعتهم سيوف الهند أنفسهم فلم يقدم عن الهيجا تعريده
وصواب الكلمة الأخيرة تعريده بالعين المهملية .
وفي ص ١٠٣ هذا المطلع :

احاطت بفايات العلا والمفاخر على قدم الدنيا للال بن عامر
وقد ضبط قدم بفتح القاف والصواب كسره . ومن هذه القصيدة أيضاً
في نفس الصفحة :

وكم قد أقاموا من عروش موائل وكم قد أقالوا من جدود عواثر
وموائل هنا صوابها موائل بالهمزة .
وفي ص ١٠٦ هذا البيت :

يمت بالثلث والرقاعة والـخف وأما ما سواء فلا
وقد سقطت الباء في ٠٠ ما ٤ فصوابه : وأما بما سواء .
وفي ص ١٠٧ هذا البيت في الخمر :

من الماء فيها للجباب عمامم وللتور منها في الأكف ذوائب
وقد ضبط التور بفتح التون ولعل الصواب ضمها . وفيها :
قد يكرم القرد إعجاباً بخسته . .
وثبت القرد بالفاء فأدغم أنه القرد بالفتح وهو القرد بالقاف المكسورة .
وفي ص ١١٤ :

يا تائم يا جاهلاً يا قاطعاً كل مقال جاء من قائل
والبيت من السريع فياء النداء في (يا) قاطعاً زائدة . وفيها هذا البيت
من قطعة :

ما فيهم بعد أبي جعفر إلا إمام وارث (بني) إمام
وبني هنا خطأ صوابها عن ٤ فان الوزن والمعنى يختلطان ببني .
وفي ص ١٣٢ وقع ذكر العبيدين الفاطميين وضبط العين من هذا الاسم
بالفتح والصواب الضم .

وفي ص ١٣٣ هذا البيت :

ولم أكن أغلط في مثله لكن رمتني ثفتي بالشفيع
وصواب رمتني هذه دهنني . وفيها هذا البيت أيضاً من قطعة في القلم :
يموت فيجيا ثم يفسرغ زاده فيرجع للقبور الذي فيه إنيما
وصوابه منه فيا بالقاف . ويعني الشاعر بالبيت الدواة .

وفي ص ١٤٧ ورد هذا البيت :

فأدسه على التفسيح حمداً ويوسعي على الإحسان ذماً
وأظن أن صواب قراءته على التقيح .

وفي ص ١٥٠ من جملة أوصاف لبعض بني عبد المؤمن : « وأسفحهم بدا »
وأظن أن صحة قراءتها وأسمحهم . وفي الصفحة التي بعدها هذا البيت من قطعة :
لا تحقرن صغيراً وشهان غموضه

وقد ضبط لفظ غموضه بفتح الغين وعلق الأستاذ عليه بأن الغموضة هو الخامل
الذليل ، ولم أقف على الغموضة فيما بين يدي من كتب اللغة ، وأرى أن
الأولى ضم العين من هذا اللفظ على أنه الغموض مضافاً الى ضمير المتحدث عنه
وهو الحقير . ولا حاجة حينئذ الى الإغراب يجعله غموضة .

هذا ما سنح لنا من التوجيهات في هذه التوافه التي كثرت عدداً وقلت حاصلات ،
ولا نبرئ أنفسنا عما يكون قد وقع لنا فيها من السهو والغلط فالإنسان معدن
الخطأ والنسيان ونتقدم الى الأستاذ المحقق بمجزيل الشكر على ما أتاح لنا
من التمتع بهذا الكتاب في حلة النشر الباهرة التي لا ينقص منها شيئاً وقوع
مثل هذه الهفوات الصغيرة الى جانب حسنات التحقيق الكبيرة ونؤكد له مزيد
احترامنا وتقديرنا .

خريدة القصر وجريدة العصر

تأليف العماد الأصمغاني الكاتب

« قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ، في ٦٨٨ صفحة متوسطة ما عدا الفهرس ، عني بتحقيقه الدكتور شكري فيصل ، وطبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م »

- ٣ - (*)

٣٣ - وجاء في « ص ٤٦٦ » قوله :

وَحَقٌّ نَصَفَ اسْمَهُ الْآخِرَ أَقْدُ كُنْتُ لَهُ قَدِيمًا كَأُولِهِ
والشطر الثاني مكسور بتقديم « له » وتأخير « قديماً » ، والصواب « كنتُ قديماً له كأُوله » بتقديم « قديماً » .

٣٤ - وجاء في « ص ٤٧٣ » قوله أيضاً :

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الدَّهْرَ يَتَعَقَّبُنِي بُوَيْسَى لَمَّا اخْتَرْتُ أَنْ تُهْدَى لِي النِّعَمُ
بضم القاف من « يعقبني » وكسرهما ، وفتح الياء الأولى من الفعل ، ولا أرى له وجهاً لأنه يريد « الإيراث » ، فاللازم الرباعي « أعقب يُعْقَبُ إِعْقَابًا » ، وجاء في نهج البلاغة في وصف الدنيا « لم يكن امرؤ منها في حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ » « أو أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةُ » (١) .

٣٥ - وجاء في « ص ٥٢٣ » قول الأمير أسامة بن منقذ الكداني :

تَقَلَّبُ أَحْوَالُ الزَّمَانِ أَفَادَنِي جَمِيلَ الْأُمَى فِيمَا يَنْوِبُ مِنَ الْخَطْبِ
« الْأُمَى » بفتح الحمزة ، ولا محل له في هذا البيت ، ولا صلة له بمراد الشاعر ، وإنما مراد الشاعر « الْأَسَا » بضم الحمزة جمع « الْأَسْوَة » أي القدوة ، في الشدة والحزن غالباً ، ومن ذلك قول أعرابي من بني كلاب :

(*) انظر القسم الأول من هذا المقال في ص (١٢٤ - ١٣٤) من هذه المجلدة .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد « ٢ : ٢٣٨ ، ٢٣٩ الطبعة المصرية » .

هوى ناقني خلني وقد ابي الهوى^١ وإني وإياها لمختلفات
تَحْنُ قَتْبِي ما بها من صباية وأخفي الذي لولا الأُسَا لقضائي^(١)
فالأُسَا جمع الأُسوة في البيت الثاني وهي ما يأتي به الحزين والذي أصابه شدة .
٣٥ - وجاء في « ص ٥٢٣ » قول أسامة :

خلع الخليع عذاره في فسقه حتى تهتك في بُغْيٍ ولواطٍ
بضم الباء من « بُغْيٍ » وهو مصدر « بَغاه يَبْغِيه » مثل بَغاه وبُغْيَه بضم الباء
أي طلب وقصد ، مع أن المراد هاهنا « الزَّنا والمُزَاناة » فالصواب « في بُغْيٍ »
بكسر الباء ، قال الفيروز أبادي : « وَبَغَتِ الأُمةُ تَبْغِي بَغْيًا وَبَاغَتْ مُبَاغَةً
وَبَغَاءً » . فالْبُغْيُ مقصور البِغَاء لضرورة الشعر .

٣٧ - وورد في « ص ٥٣٨ » قول القاضي الفاضل : وصل كتاب الحضرة
الشامية الأجلية . والصواب « السامية » من السمو ولم يكن للشام حضرة ،
فلا لزوم للنقط الثلاث ولا لتشديد الياء ، و « السامي » و « السامية » من
رسوم المراسلة في الدول الإسلامية ، كما في التعريف بالمصطلح الشريف وغيره .
٣٨ - وورد في « ص ٥٤١ » قوله يصف كتاباً وصل إليه :

وفَضَضْتُهُ عَنْ جَوْنَةٍ فَأَرْجَتُ نَفَقَاتَهُ مِسْكَاً وَفَاحَتَ عَنَبَرَا
بفتح الجيم من « جَوْنَةٍ » والصواب ضمها ، فالجَوْنَةُ : سُلَيْلَةٌ مُغَفَّاءٌ بِالْأَدَمِ
كَانَتْ تَكُونُ عِنْدَ الْعَطَّارِينَ مِنَ الْعَرَبِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ « كَأَنَّهُ جَوْنَةٌ عَطَّارٍ »
لشدة عَبَقِ شَذَاهُ ، وجاء في مختار الصحاح « والجَوْنَةُ بالضم : جَوْنَةُ الْعَطَّارِ
وَرُبَّمَا مُهْمَزٌ . قلت : قال الأزهري الجَوْنَةُ سُلَيْلَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ مُغَفَّاءٌ أَدَمًا تَكُونُ
مَعَ الْعَطَّارِينَ » . وفي البيان والتبيين ما يدل على أن الحَجَّامِينَ كانوا يستعملونها أيضاً .
وتسمى أيضاً « الرَّبْعَةُ » ، وأطلقت الرَّبْعَةُ بِمَجَازِ الْمَجَاوِرَةِ عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .
٣٩ - وجاء في « ص ٥٤٧ » قول العماد الاصبهاني : « وقد سألتني أن

(١) الكامل في الأدب للبهر « ج ١ ص ٢٧ » طبعة الدجلون .

أَتَجَزَّ له مطلوباً» يجعل الفعل الذي يلي «أَنْ» على وزن «أَفْعَل» ،
والصحيح «أَتَجَزَّزُ» على وزن «أَتَفَعَّلُ» أي أسعى في إنجاز المطلوب ،
قال الجوهري في الصحاح «واسنجز الرجل حاجته وتَجَزَّزَها أي استنجزها» .
وفي المصباح المنير «واسنجز حاجته وتَجَزَّزَها : طلب قضاءها ممن وعده إياها» .
ومثله في القاموس ، ولم أجِدْ «انْتَجَزَ» إلا عند المتأخرين وبمعنى «تَجَزَّزَ»
اللازم .

٤٠ - وورد في حاشية «ص ٥٦٤» قول ياقوت الحموي : «ولقد جئت البلاد
ما بين جيمون والنيل فقلما رأيته يخرج عن هذا المذهب» ، والصحيح أن الأصل
«جَبْتُ» بالياء وطُبِعَتْ في معجم البلدان مصحقة ، يقال «جَبْتُ البلاد
أجوبها» ، ولا محل للجئت في هذا المقام . وإنما يقال «جاء إلى فلان وجاءه
وجاءهم وجاء إلى الدار وجاءها» . فالخطأ من مطبوع المعجم .

هذا ما ألفتته يستحق الكلام مما أصله اللغة وضبطها على حسب المعاني ، لأن
المباني تابعة لها . وهذا شيء نزر جداً بالنسبة إلى ضخامة هذا الجزء وصعوبة مادته
ولا سيما السجع من نثر العماد . وبقيت كلمتان يستوجب ضبطهما الكلام
وسأأتي به في آخر الملاحظات .

وبنبي لنا أن نعطف القلم على مسائل التاريخ فنقول :

٤١ - جاء في التعليق على الشاعر المقتدر أبي المظفر محمد بن أحمد الأحموي
الأبيوردي «ص ٢٧» أنه مات مسموماً باصبهان «سنة سبع وخمسين وخمسمائة»
نقلًا من وفيات الأعيان لابن خلكان ، ولم تذكر الطبعة ، والظاهر أنها قد
حدث فيها غلط في النسخ والصواب «سنة سبع وخمسمائة» كما أجمع عليه المؤرخون ،
وجاء في وفيات الأعيان «ج ٢ ص ١١٧» طبعة بلاد المعجم «وكانت وفاة
الأبيوردي المذكور يوم الخميس بين الصلاتين عشرين^(١) شهر ربيع الأول

(١) متأخرو المؤرخين يضيفون العقود ويحذفون النون إلحاقاً له بجميع المذكر السالم
في الإضافة أيضاً ، ولكن الناسخ الفارسي لم يظن لذلك .

سنة سبع وخمسة مسموماً بأصهبان رحمه الله تعالى» . وذكر ابن الأثير وفاته في السنة المذكورة في حوادث الكامل قال : «والأديب أبو المظفر محمد بن أحمد ابن محمد الأبيوردي الشاعر المشهور ٠٠٠» . وكذلك قال أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي في المنتظم «٩ : ١٢٦» وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان «مختصر ج ٨ ص ٤٨ طبعة الهند» . ويافوت في معجم الأدباء «٦ : ٣٤١ طبعة مرغليوث الأولى» وتاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى «٤ : ٦٢» والصفدي في الوافي بالوفيات «٢ : ٩١» وابن تفردي في النجوم الزاهرة «٥ : ٢٠٦» وابن العماد الحنبلي في الشذرات «٤ : ١٨» وابن الحر العاملي في أمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل «ص ٥٩ من الطبعة الملاحقة برجال أبي علي» . وغيرها من المخطوطات والمطبوعات . فالخطوط مثل «المحمدون من الشعراء للقفطي» . نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٣٥ الورقة ١٠ .

٤٢ - وورد في «ص ٤١» في ترجمة «الغزي الشاعر» ما نصه «وله في القاضي زين الإسلام أبي سعد الهروي ٠٠٠» فقال الدكتور شكري فيصل في الحاشية : «في كتب التراجم ، في حدود الخمسمائة اثنان بهذه التسمية أحدهما أبو سعد بن أحمد بن أبي يوسف الهروي قاضي همذان - انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٤ : ٣١ - والثاني ٠٠٠ محمد بن نصر بن منصور أبو سعد الهروي القاضي ٠٠٠ - في الطبقات كذلك ٤ : ١٩٥ - ٠٠٠ أحد الفقهاء الرؤساء أرسله الخليفة [المسترشد بالله] ليخطب له بنت السلطان سنجر فقتله الباطنية بهمذان ٠٠٠ قتل سنة تسع عشرة وخمسة وفي تاريخ الذهبي سنة ٥١٨ ٠٠٠» . ثم نبه في «ص ٦٨٢» على ورود ذكر أبي سعد الهروي في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ولم يزم في الحكم .

قلت : الدلائل متضافرة على أن المراد هو الثاني أعني «زين الإسلام محمد ابن نصر بن منصور الهروي» لأنه هو صاحب لقب «زين الإسلام» والمشهور

المعلوم السيرة منها^(١) ، قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٨ من
 المرأة : « وتقدم في رجب الى نظر الخادم [في المضي] الى سنجر لاستحضار
 الجبهة ، وكان المتولي للمقد القاضي الهروي ، ورأيت في التاريخ لأبي يعلى بن
 القلانسي لدمشق أن الهروي قُتل في هذه السنة فقال : وفي سنة ٥١٨ ورد
 الخبر من العراق بأن قاضي^(٢) القضاة زين الإسلام أباسعد محمد بن نصر بن
 منصور الهروي كان قافلاً من ناحية خراسان يجواب السلطان سنجر عما صدر
 على يده اليه فدخل جامع همذان فوثب عليه قوم من الباطنية قد رتبوا له
 ففسيروه بسكاكين حتى قتلوه^(٣) » ، ثم ذكر ترجمته في آخر حوادث
 السنة « ص ١١٥ » ولقبه ابن تغري بردي بزين الدين « النجوم ٥ : ١٥٠ » .
 والأول لم يذكر له لقب ولا كان على مثل هذه الشهرة التي تستحق المدح .
 ٤٣ - وجاء في « ص ٥٧ » في الحاشية « الى أن زحف عليه السلطان محمد بن
 بركيارق بن ملكشاه » . وفي هذا القول خطأ ، صوابه « محمد بن ملكشاه
 أخو بركيارق » ، وهذا من الأمور التي لا تستوجب الاستشهاد ، لأن الأخ
 لا يكون أباً حقيقياً ، وبركيارق بن ملكشاه هو أخو محمد بن ملكشاه بالاجماع .
 ٤٤ - وجاء في حاشية - ص ٩١ - « الأمير معين الدين أنز الططكتيني
 مقدم جيش دمشق ، ومدير الدولة » . نقلاً من شذرات الذهب « ٤ : ١٣٨ » .
 والصواب « أنز » كما في مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ١٥٤ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ،
 ١٩٧ - ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٤٣ ، ٢٥٨ ، ٢٣٨ » والنجوم الزاهرة « ٥ :
 ٢٨٦ ، ٢٨٧ » قال ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب : « معين الدين
 أبو المظفر أنز بن عبيد الله التركي الدمشقي الأمير بدمشق ، ذكره الحافظ
 أبو القاسم بن عساكر في تاريخه عند تعديد مساجد دمشق . قال : وكان قد

(١) قال السبكي في ترجمة الأول : « كان أحد الأئمة وهو في حدود الخمائة ، إما قبلها بيسير وهو الأقرب ، ولذلك ذكرناه في الطبعة الرابعة ، وإما بعدها بيسير ... » .

(٢) الصحيح « أفضى القضاة » كما في الجواهر المصنفة « ٢ : ٣٧ » .

(٣) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ١١٢ ، ١١٣ » طبعة الهند .

تَغَلَّبَ على مسجد في أيام المصريين وجُعِلَ مَسْتَبْنَأَ منذ سنين ، فردّه الامير معين الدين أتر بن عبد الله مسجداً وهو قديم ^(١) .

٤٥ - وجاء في « ص ٢٧١ » في ترجمة « الجُبَيْلِيَّ » ما هذا نصه : « أنشدني له الشريف حيدر الزبيدي في حمام بناها الأفضل بمصر كُتِبَتْ على بابها ٠٠٠ » . فعلق الدكتور الفاضل على كلمة الأفضل « لقيه الأفضل نور الدين واسمه علي بن يوسف صلاح الدين بن أبوب ، ولد بمصر يوم عيد الفطر سنة ٥٦٥ . وكان أكبر أولاد أبيه ٠٠٠ » . وليس هذا التعليق بصواب من حيث صلته بالعلق عليه ، فالشريف حيدر العالوي الزبيدي المصري المولد ورد مدينة واسط سنة « ٥٥٥ » وهناك لقيه العماد الاصبهاني وسأله عن جماعة من شعراء مصر ، وهذا يعني أن الزبيدي أخبره عن شعراء نُظِمَ شعرهم قبل سنة « ٥٥٥ » التي لقي فيها العماد المذكور ، فالجُبَيْلِيَّ الشاعر نظم شعره في حمام الأفضل قبل تلك السنة ، والملك الأفضل الأيوبي ولد سنة « ٥٦٥ » أي بعد تلاقي الأديبين المقدم ذكرهما بعشر سنوات ، فَنَ الْمَحَال أن يكون الأفضل المراد هو الأفضل علي ابن يوسف الأيوبي ، والصحيح أنه « الملك الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الجمالي أمير الجيوش الفاطمية ، وزير المستنصر بالله الفاطمي وابنه المستعلي بالله وابنه الأمر بالله حتى قتل سنة « ٥١٥ » كما في الوفيات « ١ : ٢٣٩ » طبعة بلاد العجم » . وترجمته مستفيضة .

٤٦ - وجاء في « ص ٣٣٥ » في ترجمة المذهب محمد بن حسّان الدمشقي قول العماد الاصبهاني « ونثره كالدر النظيم ، برصمه بالنطق الابادي ، في نطاق كلام العبادي » بكسر العين من « العبادي » والباء الموحدة ، قال الناشر الفاضل : « الظن أنه يريد عدي بن زيد العبادي الشاعر الجاهلي المشهور ، أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى » . وليس ذلك بصواب فان عدي بن زيد العبادي

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٥ : الترجمة ١٤٠٩ من الميم ، طبعة لاهور .

لم يُؤثر له أثر شائع ولا غير شائع حتى يضرب العامد المثل به ويشبه غيره به ،
 وإنما المراد «العَبَّادي» بفتح العين وتشديد الباء ، نسبة الى «سِنْج عَبَّاد»
 وهو «أبو منصور المظفر بن أردشير الواعظ العَبَّادي» قال ياقوت في معجم
 البلدان : «سِنْج : بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره جيم قريتان بمرز إحداهما
 يقال لها (سِنْج عَبَّاد) ينسب اليها أبو منصور المظفر بن أردشير الواعظ
 العَبَّادي مات في سنة ٥٤٧ هـ . . . » وقال السمعاني في الأنساب «العَبَّادي» . . .
 هذه النسبة الى جماعة كبيرة . . . وبمرز قرية كبيرة يُقال لها سِنْج ^(١) العَبَّادي ،
 منها أبو الحسين أردشير بن أبي منصور العَبَّادي الملقب بالأمير ، كان واعظاً
 مليح الوعظ ، حسن السيرة . . . وابنه الأمير أبو منصور المظفر بن أبي الحسين
 العَبَّادي من أهل مرو وأحد من اشتهر بحسن الوعظ وتصنيف العبارة وتحسينها . . .
 توفي بمسكر مكرم في بلاد الخوز سنة ٥٤٧ هـ ثم حمل الى بغداد ودفن بها .
 والمراد بالعَبَّادي في قول العامد هو الابن أبو منصور المظفر ، فهو المشهور ثروته
 بين الناس ، ألا ترى السمعاني قد قال «أحد من اشتهر بحسن الوعظ وتصنيف
 العبارة وتحسينها» . وذكره أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه في وفيات سنة
 «٥٤٧ هـ» وقال «وكانت له فصاحة وحسن عبارة ^(٢)» وقال ياقوت في «عَبَّاد»
 من معجم البلدان «عَبَّاد بالفتح ثم التشديد وآخره دال ، قرية بمرز يسميها
 أهلها (سِنْج عَبَّاد) بكسر الشين المعجمة وسكون النون والكاف وبكسبها
 المحدثون (سِنْج عَبَّاد) بكسر السين المهملة وسكون النون والجيم . . .
 وينسب الى هذه أبو منصور المظفر بن أردشير بن أبي منصور العَبَّادي الواعظ ،
 ذو اليد الباسطة فيه واللسان الطلق في فنه ، حتى صار يضربُ بِحُسْنِ إيرادِهِ

(١) في الأنساب المطبوع «شيخ المبادي» وهو خطأ والتصحيح من الباب ، وورد
 الخطأ عنه في «العمري» وليس له تصحيح من الباب لأن ابن الأمير اختصر
 تلك المادة .

(٢) المنتظم «١٠ : ١٥٠» .

وبديته على المنبر المثل ٠٠٠ « . وقال ابن خلكان : « أبو منصور المظفر بن أبي الحسن بن أردشير أبي منصور العبّادي الراعظ المروزي الملقّب قطب الدين المعروف بالأمير ، كان من أهل مرو ولّه اليد الطولى في الوعظ والتذكير وحسن العبارة ، ومارسَ هذا الفن من صغره الى كبره ومهرَ فيه حتى صار ممّن يضرب به المثل في ذلك وصار عين ذلك العصر ، وشهد له الكل بالفضل وحياسة نصب السبق . . والعبّادي : بفتح العين المهملّة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف دالٌ مهملّة هذه النسبة الى سِنَج عَبَّاد^(١) . . . » .

وأجدُ في هذا الكتابة في البرهنة على ما قلتُ ، وإلا فسيرته كثيرة الورد في التاريخ .

٤٧ - وجاء في « ص ٥ - ٦ » قول العماد الاصبهاني في مدح القاضي عماد الدين طاهر بن محمد الشيرازي : « وكانت جائزته للغزّي وللقاضي الأرجاني وللسيد أبي الرضا وأمثالهم المتبرين لكل واحد ألف دينار أحمر على قصيدة واحدة » . ولم يذكر الدكتور المحقق من السيد أبو الرضا هذا ؟ فهو أبو الرضا فضل الله بن علي الحسيني العلوي المعروف بابن الراوندي ، قال السمعاني في « الراوندي » من الأنساب « لعل أصله كان من هذه القرية [راوند من قرى قاشان] ، كتبتُ عنه بقاشان . وذكرته في حرف القاف » ثم قال في « القاشاني » من أنسابه : « القاشاني » . . . هذه النسبة الى قاشان وهي بلدة عند قم على ثلاثين فرسجاً من اصبهان ، دخلتها وأقمتُ بها يومين وأهلها من الشيعة ، وكان بها جماعة من أهل العلم والفضل . . . وأدركت بها السيد الفاضل أبا الرضا فضل الله ابن علي العلوي الحسيني القاشاني وكتبتُ عنه أحاديث وأقطاعات من شعره ، ولما وصلتُ داره وقرعت الحلقة ، وقعدت على الدكة أنتظر خروجه فنظرت^(٢) الى

(١) وفيات الأعيان « ٢ : ٢١٦ طبعة بلاد العجم » .

(٢) الفاء زائدة على التوم وهذا مأنوف عند الفصحاء .

الباب فראيت مكتوباً فوقه بالجنس : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ^(١) . أنشدني أبو الرضا العلوي القاشاني لنفسه بقاشان وكتبه لي بخطه :

هل لك يا مغرور من زاجر فتعوي عن جهلك الغامر ؟
أمنس تقضى وعدك لم يجيئ واليوم يمضي لحظة الناظر
فذلك العمر كذا بنقضي ما أشبه الماضي بالغاير !!

وقال ابن الفوطي في ترجمة «نجر الدين محمد بن خالد ابن الشهيد أبي منصور الحفصفي الأبهري القاضي» : له إجازة من السيد ضياء الدين فضل الله بن علي ابن عبد الله بن الحسن الحسيني الراوندي في ربيع الآخر سنة سبعين وخمسة (٢)
وورد ذكره في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب «ص ١٦٣ طبعة الهند»
وروضات الجنات للخونساري «ص ٧٢» وكتاب الإجازات من بحار الأنوار ،
وورد ذكر ابنه أبي الحسن أحمد في «بدائع البدائنه ص ١٣٢» ، وهو ممن ترجمهم العماد الاصبهاني في خريدته ، كما جاء في ديوانه - أعني ديوان السيد أبي الرضا - طبعة مطبعة المجلس ب طهران بعناية الأستاذ الأديب جلال الدين الأرموي المعروف بالحدث خازن المخطوطات في دار الكتب العامة بطهران ،
وترجم ابنه كمال الدين أحمد المقدم ذكره كما جاء في تلخيص معجم الألقاب «٥ الترجمة ٢٥٠ من الكاف طبعة لاهور» .

٤٨ - وورد في «ص ٩١» في ترجمة ابن منير الطرابلسي قول العماد الاصبهاني :
واتفق انتزاح ابن منير من دمشق بسبب خوفه من رئيسها ابن الصوفي ومقامه بشيرز عند بني منقذ . ووصل زين الدين ابن حليم إلى شيرز ، فلقيته بها ورغبته في العود وخدمة معين الدين آتزر
فعلق الدكتور الفاضل علي «ابن حليم» بقوله «في نسخة ح : ابن حكيم» ولم يزد على ذلك شيئاً ليكون فيصلاً بين

(١) «سورة الأحزاب ٣٣» .

(٢) نسخة المتحف المراقية نقلت من نسخة المكتبة الظاهرية بالتصوير «٤ : ٣٢٢» .

النصين ، ولا يستغرب ذلك منه ، فقد وقعت الحيرة ولم يقع الجزم في هذين النصين في كتاب آخر ^(١) ، فان هذا الرجل كان من شيوخ العماد الاصبهاني وقد سمع عليه مقامات الحريري عن الحريري نفسه ، ودراسة تاريخ الأدب العربي توجب معرفته ، وقد ترجمه محيي الدين عبد القادر القرشي في طبقاته ، قال : « ابن حكيم محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحكيم » ، لقب بابن حكيم ، أبو المظفر الواعظ ، ولعل في بعض أجداده من اشتهر بالحكمة وقولها ^(٢) . وقال في ترجمته : « محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحكيمي » ، عرف بابن حكيم ، أبو المظفر ، الواعظ ، فقيه أصحاب أبي حنيفة تفقه ببغداد على الحسين بن محمد بن علي الرئيس ، وذكر أنه سمع منه ومن جماعة سواه . وقال ابن ناصر ^(٣) : كذاب ما سمع شيئاً ببغداد ولا رأيت مع أصحاب الحديث وهو قاصّ بنسوق عنه العوام . قال السمعاني : ورأيت سماعه بخط من أتق به علي أبي علي بن سعيد بن برهان ، ولعله سمع اتفاقاً لا قصداً ، وقال « سكن دمشق . . . قال ابن النجار : ودرس بدمشق بمدرسة طرخان وبني له الأمير الواثق ^(٤) (كذا) المعروف بمعين الدين مدرسة ودرس بالمدرسة الصادرية أياماً ، وظهر له قبول في الوعظ ، وصنف تفسيراً وشرح المقامات ، سمعت ^(٥) شيئاً من شعره ، وكان قسيلاً ^(٦) في دينه ، خليعاً ، قليل المروة ، ساقطاً كذاباً . . . ومن تصانيفه تفسير القرآن وشرح الشهاب للقضاعي ونظم مختصر القدوري وشرح المقامات .

(١) الحريدة « القمم العراقي ج ١ ص ٢٩ من المقدمة .

(٢) الجواهر المضية في طبقات الحفية « ٢ : ٣٩٤ » . قلت : لو كان بعض أجداده مشتهراً بالحكمة وقولها لقليل له : « ابن الحكيم » كما يقال : « ابن الطيب وابن النقيب » .

(٣) كان ابن ناصر كثير الثلب للعلماء كما ذكر ابن السمعاني في تاريخ بغداد .

(٤) الصواب « أنز » :

(٥) لا يصح نسبة هذا القول الى ابن النجار لأنه ولد في ذي القعدة من سنة « ٥٧٨ » وابن حكيم توفي سنة « ٥٦٧ » ، وسيأتي أنه كلام ابن عساكر الدمشقي .

(٦) الجواهر « فتلا » وهو من غلط النسخ والطبع . م (١٠)

وقال « قال ابن النجار : أخبرنا إسماعيل بن سليمان السكري بدمشق أنبأنا أبو محمد عبد الخالق بن أسد بن ثابت الحنفي قال سألت أبا المظفر محمد بن أسعد [ابن حكيم] عن مولده فقال : في يوم الخميس السادس عشر من ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة » قال : « توفي في الحرم سنة سبع وستين وخمسمائة بدمشق » ^(١) .

وقال العماد الاصبهاني في الخريدة : « زين الدين أبو المظفر محمد بن أسعد العراقي الواعظ ، الفقيه الحنفي المعروف بابن حكيم ، من بغداد ، استوطن دمشق ، من ظرفاء العلماء وعلماء الظرفاء ، شاخ وجر طرّبه ما باخ ، من شعره :

تقدمتم بالخط حتى سبقتم جياذ المذاكي بالحمير الأظالم
كانكم الأعداد لا يبتدى بها لدى عقدها الإصغرى الأصابع
وله : الدهر يخفّض عامداً فيلاً ويرفع قدر قملة
فاذا تنبه للشيا م وقام للنوام ثم له » ^(٢) .

وقال جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن الديلمي الواسطي في تاريخه : « محمد بن أسعد بن نصر البغدادي أبو المظفر المعروف بابن حكيم ، الفقيه الحنفي الواعظ ، سكن دمشق الى أن توفي بها وكان يعظ بها . ذكره أبو سعد ابن السمعاني في كتابه وقال : التقى بدمشق . وذكرناه نحن لأن وفاته تأخرت عن وفاته . سمع منه أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن صصرى وذكره في معجم شيوخه . أنبأنا الحسن بن أبي الغنائم التغلبي [ابن صصرى] قال : محمد بن أسعد بن نصر العراقي البغدادي الفقيه الحنفي أبو المظفر يعرف بابن الحكيم ، الواعظ توفي سنة سبع وستين وخمسمائة ودفن بباب الصغير وقد جاوز الثمانين - رحمه الله وإيانا - » ^(٣) .

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية « ٢ : ٣٢ ، ٣٣ » .

(٢) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ الورقة ٤٢ » .

(٣) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار المقدم ذكرها ٥٩٢١ الورقة ٢٧ » .

وقال القفطي : « كتب إلي محمد بن هبة الله بن جميل الشيرازي أنبأنا الحافظ أبو القاسم الدمشقي [ابن عساكر] من كتابه قال : محمد بن أسعد بن محمد بن نصر أبو المظفر البغدادي المعروف بابن الحكيم الفقيه الحنفي الواعظ ، سكن دمشق ودرس بمدرسة طرخان ثم بنى له الأمير أنز المعروف بمعين الدين مدرسة ، ودرس بالمدرسة الصادرية أياماً وظهر له قبول في الوعظ وصنف تفسيراً وشرح المقامات . سمعت منه شيئاً من شعره ، وكان قسلاً في دينه ، خليعاً قليل المروءة سافطاً كذاباً ، أنشدنا أبو المظفر - وكتبه لي بخطه :

ذكرتُ هوى سلى ولىلى بمزل وُعدتُ إلى مصحوب أول منزل
وفادت بي الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهواه دونك فانزل
وُخذ من نعيم قد صفالك شربه ودع ماسوي الأحباب عنك بمزل

٠٠٠ توفي سنة سبع وستين وخمسمائة ودفن بباب الصغير وقد جاوز الثمانين «^(١) . وترجمه الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات . قال : « محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الفقيه أبو المظفر بن الحكيم البغدادي الحنفي العراقي الواعظ نزيل دمشق ٠٠٠ »^(٢) . وله ترجمة في الشذرات « ٢١٨ : ٤ » .

وقال العاد الاصفهاني في ترجمة الحريري : « وسمعت المقامات على ابن الحكيم عن ابن الحريري^(٣) » . فهذا ما علمناه من مراجع سيرة ابن الحكيم ، وآخر فائدة نذكرها من سيرته أن عثمان البلطي النحوي اللغوي الأديب الشاعر المشهور حدّث عن ابن الحكيم هذا^(٤) . وقد ذكرنا مختصر ما نقلناه آنفاً في

(١) المحدثون من الشعراء « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٣٥ الورقة ٥١ ، ٥٢ »

(٢) الوافي « ٢٠٣ : ٢ » .

(٣) نسخة دار الكتب المقدم ذكرها « ٣٣٢٦ الورقة ١٨٢ ، ١٨٣ » .

(٤) التكملة لوفيات النفاة لوكي الدين المنذري المصري « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ٤٧ » وقارن الإسلام للذهبي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١١٩ » .

حواشي كتاب « تكملة إكمال الأكمال » لجمال الدين بن الصابوني ^(١) .
 ٤٩ - وجاء في « ص ٨٨ » في التعليق على « الحظيرة » أنها « موضع في بغداد » نقلاً من وفيات الأعيان ، والصحيح أنها كانت فوق بغداد ، وهكذا ورد ذكرها في الوفيات ، قال ياقوت في معجم البلدان : « الحظيرة : بالفنح وقد تقدم اشتقاقها ، وهي قرية كبيرة من أعمال بغداد من جهة تكربت من ناحية دُجَيل يسج فيها الثياب الكرياس الصفيق ويحملها التجار إلى البلاد » ، وزاد عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي في مراصد الاطلاع على الأماكن والبقاع أنها « قرب سحرى » وأن الثياب الكرياس من القطف .
 ٥٠ - وجاء في « ص ٢٢١ » قول عرقلة السكبي يمدح ابن نيسان بآمد أي ديار بكر الحالية :

والعيش قد رقت حواشي حسنه ما بين دجلتها إلى فطربل
 فقال الدكتور شكري فيصل في الحاشية يصف فطربل : « قرية ما بين بغداد وعكبرا ، مشهورة بالخمر . ويقول عنها ياقوت : ما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها » . قلنا : وفي المسألة غلطان : أحدهما الاستشهاد بقرية قريبة من بغداد لا بإيضاح وصف آمد في أعلى مدن الجزيرة وبينهما مئآت فراسخ ، والآخر قول ياقوت إن « فطربل » بين بغداد وعكبرا ، وتصحيح الغلط الأول هو أن « فطربل » التي ذكرها عرقلة السكبي الشاعر ، ذكرها ياقوت أيضاً وهي غير هذه القريبة من بغداد . قال : « ومقابل مدينة آمد بديار بكر قرية يقال لها فطربل تباع فيها الخمر أيضاً ، قال فيها صديقنا محمد بن جعفر الرابي الحلبي الشاعر :

يقولون ها فطربل فوق دجلة
 أقلب طرفي لأرى القفص دونها
 عدمتك أفاظاً بغير معاني
 ولا الخلل باد من قرى البردان هـ

(١) تكملة إكمال الإكمال « ص ١١٤ » طبعة المجمع العلمي العراقي بتعقيق كاتب هذه السكيات .

فهو قد استغرب «قطر بل» آمداً لأنها ليست قريبة من القفص ولا يبدو نخل البردان للمقيم فيها ، كما هو حال «قطر بل» القريبة من بغداد . وتصحيح الغلط الثاني ذكره مؤلف مرصود الاطلاع بأن «الحظيرة» بين بغداد والمزفرية ، لأن «عكبرا» كانت أيام ياقوت من الجانب الشرقي ، والحظيرة بين الجانب الغربي وبينهما فراسخ .

٥١ - وجاء في «ص ٥٤٩» قول العماد الاصبهاني : وقال السمعاني : سمعت أبا الحجاج [يوسف بن مقلد النونخي الدمشقي الجماهري] يقول : سمعت الأمير علي بن مرشد يقول : سمعت دراجاً بدرب الحبيب ١٠٠٠٠ . والصواب «درب حبيب» بغير الألف واللام ، وهو منسوب الى رجل اسمه «حبيب» لا الى الحبيب ، ولو راجع الدكتور الفاضل مظنة مطبوعة من مظان ترجمة الأمير «علي بن مرشد الكناني الشيزري» أشار هو إليها في الحاشية تعليقاً لاستطاع تصحيح اسم هذا الدرب الذي كان مشهوراً بشرفي بغداد ، وتلك المظنة هي معجم الأدباء لياقوت الحموي «١ : ١٨٤ ، ١٨٥ طبعة مرغلوث الأولى» فإن ياقوتاً الحموي كان قد استمد أكثر أخباره من الخريدة ، كما ظهر لنا من المقابلة بين النصين ، وقد جاء في نص ياقوت «قال الأمير علي ابن مرشد سمعت دراجاً يصيح بدرب حبيب فقلت فيه ١٠٠٠» وذكر الأبيات وكان تصفح هذا المرجع ذا فائدتين : تصحيح ما في الخريدة إن كان فيها خطأ ، وتصحيح ما في معجم الأدباء ، وقد ظهر خطأ فيه ، ومن ذلك «دراج» مكان «دراج^(١)» ، و «بث» مكان «نث» الصحيح .

وقد ذكر ياقوت الأبيات الرائية ، والأبيات النونية المكسورة والنونية

(١) لعل الأصل «سمت زرباباً» لأنه من الطيور التي تعلق في الأقفاص وتغرد وتقلد الإنسان في نطقه ، راجع «حياة الحيوان للدميدي في زرباب» . وكان الأب ألسناس مازي الكرمل يري هذا الرأي أيضاً .

المختومة بالهاء والأبيات الميمية ، والبيتين الرائيين ، وشمرآ آخر لم يذكره
العماد الأصفهاني في الخريدة .

هذا ودرب حبيب قد ورد ذكره في عدة كتب كالكمال لابن الأثير
وفوات الوفيات وغيرهما ^(١) .

٥٢ - ولم يذكر في « ص ٢٧ » من مظان ترجمة أبي المظفر محمد بن أحمد
الأموي الأيووردي ، إلا الوفيات لابن خلكان ، وقد أشرنا إلى الخطأ في سنة
وفاته ، وذكرنا من مظان سيرته معجم الأدباء لياقوت والمنظم لابن الجوزي
ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، والنجوم
الزاهرة لابن تغري بردي ، وشذرات الذهب لابن العماد الجنبلي وأمل الآمل
لابن الحر العاملي ، والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي ، والمحمدون من الشعراء
للقفطي . ذكرنا ذلك في النقدة الإحدى والأربعين .

ويطول بنا الحديث لو ذكرنا ما فات الدكتور الفاضل من مظان سير المترجمين
في هذا الكتاب ، وهذا لا يعني أنه قصر ، فإن ما ذكره من المراجع قد فاق
غيره في مثله ، ولكنه إقصر عهده بجمع التراجم قد يفوته منها ما لا ينبغي أن
يفوته ، كترجمة شرف الدين محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني ،
فقد وردت في معجم الأدباء « مختصر ج ٧ : ١١٢ طبعة مرغليوث » وفيها
شعر يستفاد منه في المقابلة ، وكذلك القول في ترجمة « ملك النخاعة » الوارد
ذكره في « ص ٢٠٨ من الخريدة » فقد ترجمه فين ترجموه باقوت في معجم الأدباء
« ٣ : ٧٤ طبعة مرغليوث أيضاً » . وقد أشرنا إلى وجود ترجمة الأمير أبي الحسن
علي بن مرشد الكناني الشيزري في التاريخ المجدد لمدينة السلام المحفوظ جزؤه

(١) كالتاريخ المجدد لمدينة السلام لعبد الدين محمد بن النجار ، قال « أنشدنا الحامي
أنشدنا ابن السهماني أنشدنا يوسف الدمشقي قال : سمعت علي بن مرشد يقول : سمعت
دراجاً يصيح بدرب حبيب فسلمت فيه هذه الأبيات وأنشدنيها . . . » . « نسخة
دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ٣٨ » .

بدار الكتب الوطنية بباريس ، فهذا مخطوط معذور من لم يقف عليه ،
والغاية من الاستكثار من المراجع تصحيح بعض النصوص الأدبية والأعلام
التاريخية والأعلام البلدانية .

٥٣ - وقد ورد في « ص ٥٤٩ » قول أبي سعد بن السمعاني : « أنشدني
أبو الحجاج يوسف بن مقلد التنوخي - الدمشقي الجماهري أنشدني الأمير ... »
ووردت كنيته أيضاً في « ص ٥٥٠ » ولم يعلق الدكتور الفاضل على اسم هذا
الأديب الراوي شيئاً ، وأود لو يبحث عن سيرته وأخباره فإن له صلة نسب
نازلة بأبي الفتح عبد السلام بن يوسف الدمشقي مؤلف « أنموذج الأعيان »
وقيل « أنموذج الزمان في شعراء الأعيان » . قال حاجي خليفة : « أنموذج ^(١)
الزمان في شعراء الأعيان » لأبي الفتح عبد السلام بن يوسف الدمشقي
المتوفى سنة ٥٠٠ « ولم يذكر السنة . والظاهر أن هذا الأديب الدمشقي
كان منافساً للامداد الاصمهاني في جمع تراجم الشعراء المعاصرين له ، وهو
ابن التنوخي الوارد ذكره في الخريدة آنفاً ، قال ابن الديبشي في ترجمته من تاريخه :
« عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلد الجماهري أبو الفتح بن أبي الحجاج
الدمشقي الأصل ، البغدادي المولد ، من أبناء الشيوخ المذكورين بالفضل والعلم
والصلاح ... » إلى أن قال « توفي عبد السلام بن يوسف الدمشقي بدمشق
بعد سنة ثمانين وخمسمائة ببسير ^(٢) » .

وقد استمد منه ابن خلكان كما ذكرنا في حاشية سابقة ، وذلك في ترجمة
« هبة الله بن أبي الغنائم المعروف بابن التلميذ النصراني الطيب » قال : « وذكر
في كتاب أنموذج الأعيان من شعراء الزمان فيمن أدرك بالسماع أو بالعيان

(١) في حاشية نسخة الأصل المطبوعة بإشراف وكالة المعارف التركية « أنموذج بفتح
النون : مثال الشيء والأنموذج لحن » وزاد ابن خلكان في التسمية « ... فيمن
أدرك بالسماع أو بالعيان » « ٢ : ٣٢٧ طبعة بلاد المجمع » .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ ورقة ١٤٠ » .

أن ابن التلميز المذكور كان متفناً في العلوم . . . واستفاد منه محب الدين محمد بن التجار البغدادي في تاريخه المجدد لمدينة السلام بغداد ، قال في ترجمة « الفضل بن الحسن بن بركة أبو المكارم » : « من أهل الحلة » ذكره أبو الفتح عبد السلام بن يوسف الدمشقي في كتاب أنموذج الأعيان . . . (١) » .

٥٤ - وأختم هذه التعليقات بالكلام على ضبط لفظتين وردتا في أصل الخريدة الشامية : إحداهما في « ص ٩٦ » في قول العماد الاصبهاني وهو يترجم أبا عبد الله القيسراني : « وعلا في سوق الادب درّه » ، وَفَقَّتْ في متجر الرغائب رغائبه « فقد ضَبَطَ » نفقت « بكسر الفاء وليس ذلك بصواب ؛ لأن « نفق » الذي منه النفاق (بفتح النون) والرواج ، مفتوح الفاء الأصلية ، قال الفيومي في المصباح المنير « وَفَقَّتْ الدابة نفوقاً من باب فعد : ماتت » ، ونفقت السلعة والمرأة نفاقاً بالفتح كثر طلابها وخطاياها « فقد وَحَدَ بين الفعلين وخالف بين المصدرين ، وكذلك ما ورد في مختار الصحاح ، أما « نَفَقَ » بكسر الفاء الأصلية فمعناه « نَفَدَ ونفي » وهو ضدُّ مراد العماد الاصبهاني .

٥٥ - واللفظة الثانية في قول العماد وهو يترجم عرقلة الكلبي - ص ١٧٨ - : « لم يزل خَصِيصاً بالأمراء السادة بني أبوب » بكسر الخاء وتشديد الصاد من « خصيصاً » وتنبه ، والمعروف أن هذا الوزن هو أحد أوزان مصدر الفعل « خَصَّ » المتعدي لا « خَصَّصَ » اللازم ، قال الفيروزآبادي في القاموس : « خَصَّهُ بالشيء خَصّاً وخصوصاً وخصوصية ويفتح وخصيصاً » ويبدؤ [خَصِيصاً] وَخَصَّةً (٢) ، فالخصيص مصدر كالحلبي والبرزني والحليبي والدسيسي والحليبي والشمبي والقشيني والمسيسي والمكشي والنقيضي والزليبي

(١) التاريخ المجدد « نسخة الدار المذكورة ٢١٣١ الورقة ١٤٠ » .

(٢) أنا شديد الإعجاب من الفيروزآبادي كيف يحل « النخصة » أي النعمة مصدراً للتلافي مع أنها مصدر « خصص خصيصاً » فهي تقابل التخصيص كالتكريمة والتكريم والتحللة والتحليل .

والسببي' والرديدي' والفخيري' والدليلي' والمجيري' والوقيفي' . ولا محلّ للخصيصي' في جملة العاد المقدمة ، وإنما يجب أن يكون وزن الصفة التي أوردتها « فَعَيْنًا » نحو « خليل وجليل وكليل وعليل وصدبق » . وهذا الوصف « خصيص » مؤنث مقيس على « صديق » أو « خليل » ولم يعرفه القدماء ، ولا يصحّ عندي نقله إلى وزن « سَكَّير » لثلاثا يلتبس بالمصدر ، وأكره ما نكره العرب في لغتها الالتباس والابهام والاستنباه .

هذا آخر ما استوقف النظر واستوجب التعليق ، وهو بالإضافة إلى عمل الدكتور شكري فيصل الأدبي الرائع ، كالخال في خد الحسناء ، والله ولي التوفيق والمهادي الى سواء الطريق .

مصطفى جواد



شرح قانون أصول المرافعات المدنية والتجارية

تأليف السيد منير القاضي

٤٢٠ صفحة من القطع المتوسط - بغداد ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م

الأستاذ السيد منير القاضي رئيس المجمع العلمي العراقي علم من أعلام الفقه والقانون في البلاد العربية ، وهو أستاذ مادة المرافعات المدنية والتجارية في كلية الحقوق في بغداد ، وقد سبقت له عدة تأليف في الفقه والقانون من أهمها شرح مجلة الأحكام العدلية وشرح القانون المدني العراقي ، واليوم بتحف المكتبة الحقوقية بكتاب جديد هو « شرح قانون أصول المحاكمات المدنية والتجارة » ، وقد قدمه لنا بقوله : « هذا شرح ألفت مضايمته محاضرات على طلاب الصف الرابع في كليه الحقوق ، ثم أفرغتها شرحاً للقانون ، مراعيًا فيه التبسيط مع تجنب الإطناب والخروج عن الموضوع » .

إن قانون « أصول المرافعات » هو القانون الذي ينتظم جميع القواعد المتعلقة بالقضاء والمينة لأصول التقاضي وكيفية تنفيذ الأحكام القضائية . وكان بعض

الفقهاء المسلمين اختار لهذه القواعد والأصول اسم «علم القضاء»^(١) ، ولكن
العثمانيين عندما أخذوا بنقلون إلى بلادنا القوانين الفرنسية ترجعوا كلمة
Procédure^(٢) بـ «أصول المحاكمات» وظل هذا التعبير سائداً في البلاد العربية
إلا في مصر إذ اختارت لقانونها اسم «أصول المرافعات»^(٣) ، والمرافعة لغة ،
كما نعلم ، الشكوى إلى الحاكم أو هي رفع الظلامة لمن يلي القضاء بين الناس ،
عما جعل المشرع السوري يرى أن تعبير «أصول المحاكمة» أبلغ دلالة وأوسع
شمولاً من «أصول المرافعات» للمراد من القانون الخاص بها فاستبقاه اسماً
لقانونه الحديث .

لقد ابتدأ الأستاذ القاضي مؤلفه بسرد قصة قانون المرافعات في العراق ،
وكيف أن اللجنة المكلفة لوضع مشروع جديد استبدلت بالاسم القديم الاسم
الجديد ، وباليات المؤلف ذكر لنا «الأسباب الموجبة» التي وضعتها اللجنة المذكورة ،
إذن لكننا اطلعنا على أسباب ترجيح اسم «أصول المرافعات» على اسم «أصول
المحاكمات» وخصوصاً أن اللجنة لم تأخذ بكثير من اصطلاحات القانون المصري
واصبقت مثلاً اسم أعلى محكمة في الدولة وهي «محكمة التمييز» ولم تأخذ بالاسم
الذي اشتهرت به مثل هذه المحكمة في مصر وهو «محكمة النقض والإيرام» .
ومما يتصل بخلو الكتاب من ذكر «الأسباب الموجبة للقانون» أن القارئ
لا يستطيع أن يلم في صفحات قليلة بالأحكام التي رأت اللجنة استبقاها من

(١) انظر تبصرة الحكم لابن فرحون المالكي ، وكذلك كتاب معين الحكم لقطراني .

(٢) يطلق على قانون المرافعات أو مدونة أصول المحاكمات المدنية في فرنسا اسم

Code de Procédure Civile ، ولم يخل هذا الاسم في فرنسا نفسها من نقد

إذ يقترح بعض رجال القانون الفرنسيين تسمية القانون باسم «القانون القضائي»

انظر Morel في كتابه Cours de Droit Judiciaire Privé باريس

١٩٥٢ - ١٩٥٣ ص ٥٠ .

(٣) لم يخل هذا الاسم في مصر من نقد أيضاً لقصوره وإبهامه - انظر مؤلف

الدكتور أحمد مسلم «أصول المرافعات» ص ٨ القاهرة ١٩٥٦ .

القانون القديم وبأهم الأحكام الجديدة التي جاءت بها والمصادر التي عنها أخذت ، وفي هذا الإلمام غناء لرجل القانون عن الرجوع الى النصوص القديمة ومقارنتها بالنصوص الجديدة .

لقد اختط المؤلف لنفسه في شرح القانون خطة أطلعنا عليها في الصفحات الأولى من كتابه ، فهو لم يقيد نفسه بتفسير مواد القانون مادةً مادةً ، بل جعل أبحاث القانون تسترسل بقلمه القوي ولغته المشرقة منسلسلةً ، كما وردت في القانون ، بعضها إثر بعض ، متلازمةً متعاقبةً مترابطةً ، وهو يوضح المواضيع التي جاء بها القانون تباعاً مع درج مواد كل موضوع في ذيل صحائفه .

وهذه الخطة كما يصفها المؤلف بحق « أجمع لمسائل القانون في الدهن وأقرب الى تصورهما فيه متصلةً الحلقات ٠٠٠ وهي أهدى لطلاب الحقوق في الإلمام بمواضيع الدراسة إلماماً تاماً » . ونحن إذ نؤيد الأستاذ الجليل في كلامه هذا ، لا نفره في تيمنه قوله « وان شرح مثل هذا القانون مادةً مادةً لا يعين الحاكم أو المحامي ، ولا يفيد فائدة تذكر » لأن لكل طريقة في شرح القوانين مزاياها وعيوبها .

وتبعاً للخطة المذكورة يبدأ المؤلف بشرح أحكام الدعوى وما يتصل بها ، ثم يبين اختصاص المحاكم شارحاً كيفية إقامة الدعاوى وأصول المحاكمات حتى ينتهي مع القانون ببيان كيفية صدور الحكم وطرق الطعن في الأحكام . وما يسر رجل القانون الأصيل في عروبه متابعه المؤلف ، وهو يعلق على صياغة القانون وعلى بعض التمايز فيه ، بتعليقات بمضها لاذع وبعضها طريف ، فهو يقول مثلاً تعليقاً على المادة الأولى من القانون ونصها - الدعوى طلب شخص حقه من آخر بواسطة المحكمة - « إن تعبير - بواسطة المحكمة - تعبير غير دقيق ، لأن المحكمة ليست واسطة تمرض طلب الحق من آخر ، بل هي التي يمرض الطلب أمامها لتقوم بما نراه حقاً فتقرر حكمها فيه ، والتعبير الصحيح هو - في

مجلس القضاء » . وهو يعلق على المادة ١٣ التي تقسم الدعوى الى نوعين دعوى أصلية ودعوى حادثة ، بقوله : « كلمة - أصلية - هنا أفصح من كلمة أصلية ، لأن النسبة لا يذهب اليها إلا إذا تعذر أداء المعنى المراد بدون النسبة ، وليس الأمر كذلك هنا » .

والى جانب أمثال هذه التعليقات لم يترك المؤلف ، وهو العالم المتمكن في الفقه المطلع على كتب الشريعة الإسلامية وأحكامها ، الفرصة كلها سنحت له ، ليوازن بين أحكام القانون وأحكام الشريعة معاللاً إياها تعليلاً جميلاً قوياً .
ويضي المؤلف في شرحه مواد القانون حتى إذا أتى عليها استدرك على القانون ببعض الملاحظات القيمة ، ثم أثبت ، خدمة لطلاب الحقوق ، بعض النماذج للعرائض والصكوك الهامة .

والكتاب مطبوع على ورق جيد طبعاً أنيقاً متقناً ، والجهد في إخراجه وتصحيحه يبدو واضحاً ، ولكنه برغم هذا الجهد لم يخل من الأخطاء المطبعية ، والكثير منها لا ينفى على القارئ ، إلا أن بعضها كان يحتاج الى تنبيه في آخر الكتاب كالذي ورد في الصفحات ٨ و ١٠ و ١١ من الإشارة الى المادة (١) وصحتها المادة (٢) .

والكتاب في جملته يعتبر من أحسن الشروح القانونية في اللغة العربية ، وجدير بأن لا تخلو منه مكتبة قاض أو محام أو فقيه .

عرفان الخطيب

محاضرات في الاستعمار

للأمير مصطفى الشهابي

ألقاها في القاهرة على طلاب معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٥٦ و ١٩٥٧ وطبعها المعهد في جزئين كل منهما في (٢٢٠) صفحة من القطع الوسط

عرف الأمير الشهابي بكتبه الزراعية ، وببحوثه المستفيضة في مصطلحات علوم الزراعة والموايد وبقاموسه المسمى « معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية » الذي هو نسيج وحده في هذه المواضيع والذي يعد أهم مرجع موثوق لمصطلحات تلك العلوم في أيامنا هذه .

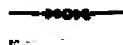
وأما « كتاب الاستعمار » الذي نحن بصدد تناوله وتألفت منه هذه المحاضرات فهو يختلف في موضوعه عن المواضيع العلمية واللغوية التي ألف الأمير الشهابي نشرها في هذه المجلة وفي غيرها ، وهو لا يقل عنها في فائدته وفي غزارة مادته العلمية . فلقد عانى المسلمون عامة « والعرب خاصة » وبلايا الاستعمار على مختلف أشكاله ، وكافحوه كفاحاً مريراً ، فأفكت بعضهم من حبائله ، ونعموا بنعمة الاستقلال ، ولبث آخرون بكافحون بشتى الوسائل ، وما من شك في أن النصر سيكون حليفهم ، ونحن نؤمن بنظرية المؤلف بأن الاستعمار بجماله الاحتضار ، وأن مصيره سائر في العالم الى الزوال . ولكن الاستعمار عدو ألد للشعوب الضعيفة ، وهو يتبع في تسلطه على تلك الشعوب خططاً وقواعد ووسائل محكمة ومختلفة ، وقد أصبح الاستعمار في الغرب علماً بدرئس وتؤلف فيه الكتب . ولذلك كان لابد لنا من كتاب علمي في هذا الموضوع ، وقد حقق هذا الغرض الجزء الأول من « كتاب الاستعمار » وسد هذه الثغرة ، فجاء أول كتاب عربي تناول بحوث الاستعمار بطريقة علمية وتحليل سيامي . وذكر الأمير الشهابي في مقدمة هذا الجزء أنه فكر في تأليف « كتاب الاستعمار » منذ سنة ١٩٣٦ ، وكان يومذاك عضواً في الوفد السوري الذي ذهب الى باريس لمفاوضة الحكومة الفرنسية في عقد معاهدة تجل محل الانتداب الفرنسي على سورية وتقضي باستقلال هذا القطر العربي ، فلقى الوفد من عند ذئاب الاستعمار ، ومن تأثيرهم حتى في الحكومة الفرنسية ، ما جعله يفكر في

تأليف كتاب في الاستعمار وأساليبه ، لجمع لهذا الغرض أوثق المصادر الأعجمية التي ألفها الكتاب والسياسيون ورجال الدولة الأوروبيون في مواضيع الاستعمار فجاء منها ومن اختياراته في الحكم بهذا الكتاب القيم .

وتكلم المؤلف في الجزء الأول المذكور على الدولة وصنوفها ، والاستعمار وتأريخه ، والتسلط وأشكاله ، والدرائع الحقوقية التي يتذرع بها المستعمرون تبريراً لاستعمارهم ، ويسمونها « حقوق الاستعمار » ، وقد دحض هذه الحقوق المزعومة دحضاً علمياً وفلسفياً وخلقياً ودينياً ، وأثبت حق الثورة في سبيل الاستقلال ، وختم هذا الجزء بذكر الأساليب التي تنبها الدول الاستعمارية المختلفة في إدارة المستعمرات وفي عمارية أديانها وأقائنها واغتصاب شتى مراقبها .

أما الجزء الثاني فهو مؤلف من قسمين ، قسم تناول المؤلف فيه بلاد العرب وسكانها ، والقضية العربية وماهيتها ، وبقطة العرب الحديثة ومبشئها ، والقضية الشرقية وأهدافها ، والحرب العالمية الأولى وتأثيرها ، والثورة العربية الكبرى ومسوغاتها . وخص القسم الثاني منه بأساليب الحكم والإدارة التي اتبعتها الفرنسيون في سورية ولبنان منذ سنة ١٩٢٠ حتى جلائهم عنها في سنة ١٩٤٦ ، فقد تكلم بأسهاب على الانتداب وماهيته الشرعية المزعومة ، والمفوضية العليا الفرنسية وأعمال دوائرها ، وتقسيم سورية دويلات والغاية منها ، وسلطة المفوض السامي ومعاونيه التي امتدت الى كل التشريعات التي لها علاقة بسياسة البلاد ومصالحها ، كما امتدت الى تنفيذ الأعمال في مختلف الوزارات وتوابعها .

وقد أجاد المؤلف في كتابه أو قل في محاضراته التي جمع فيها ما لا يتيسر للطلاب والباحث العثور عليه في مرجع آخر ، ولا غرابة في ذلك فالأمير الشهابي من قدماء العاملين للقضية العربية سواء في جمعية « العربية الفتاة » أم في « جمعية العهد » ، أم في مناصب الدولة العالية في الوزارات ، فجاء كتابه ثمة معلومات غزيرة وخبرة واسعة وجهد طويل فأحسن فيه الى بني قومه فجزاه الله عنهم خير الجزاء .



تاريخ العراق بين احتلالين - العهد العثماني الأخير

الجزء الثامن

بقلم الأستاذ عباس الراوي

طبع في بغداد سنة ١٩٥٦ في (٣٥٨) صفحة من قطع الوسط

يتضمن هذا الجزء الشطر الثاني من تاريخ العراق الحديث ، استأنف فيه المؤلف الحوادث التي توقف عندها في الجزء السابق من هذه السلسلة ، تناول فيه الحوادث التي جرت ما بين السنتين ١٨٧٢ م الى سنة ١٩١٧ م ، وأدقها بتعليقات واستدراكات وفهارس مفيدة .

توالت على الدولة العثمانية في هذه الفترة القصيرة أحداث داخلية وخارجية خطيرة ، قضت في نهايتها على الامبراطورية العثمانية وقلصت سلطانها الى حدودها الحالية . وتأثرت بهذه الأحداث جميع الولايات العثمانية إقبالاً وإدباراً ، الى أن انتهى الأمر بانفصال الولايات العربية عنها عقب الحرب العالمية الأولى . لكل من الولايات العربية تاريخها الداخلي الخاص ومشاكلها المحلية ، يتطلب تدوينها أبحاثاً طويلة ودراسة شاملة في مصادر مبعثرة وروايات مشوشة لتكوين هذا التاريخ . وقد نجح المؤلف في تاريخه عن العراق بتذليل هذه العقبات وتمحيصها ، ثم أودع ثمرة جهده الطويل في هذا السفر القيم ، سلسل فيه سنة فسنة حوادث العراق الإدارية والعسكرية والاجتماعية وسرد أخباره الثقافية والعمرانية وما حل به من نكبات وذكر تراجم بعض أعيانه وحوادث عشائره ، كلها مصادر مفيدة ، يعتمدها الباحث وينتفع بها المطالع .

وقد أدعى الأستاذ المؤلف بهذا التاريخ خدمة جليلة للعراق يشكر عليها وتدعو الى الإعجاب والتقدير .

آراء وأبناء



المرحوم الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين

(١٢٩٢ - ١٣٧٧ هـ)

(١٨٧٤ - ١٩٥٨ م)

وفاة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين

فقدت الأمة بموت هذا الفقيه - عضو مجمعنا العلمي العربي - علماً من أشهر أعلامها ، ديناً وعلماً وأدباً وخلقاً .

ولد رحمه الله بتونس سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٤ م) ، ونشأ على أحسن الخصال والفعال ، وتلقى العلم بجامع الزيتونة الأعظم ، وأحرز الشهادة العالمية من هذا المعهد ، وتولى القضاء الشرعي في مدينة بنزرت وملحقاتها ، ثم أسند إليه التدريس بجامع الزيتونة ، وبالمدرسة الصادقية في تونس ، وقد ألف في تونس عدة مؤلفات ، وطُبعت هناك . وفي عام (١٣٣١ هـ) هاجر الفقيه من تونس إلى دمشق ، واتصل بطبقاتها ، فكان حميد السيرة مع الجميع ، وقرأ دروساً في جامع بني أمية ، فقدره رجال العلم والمعرفة ، وتوثقت عمرا الصداقة بينه وبين عالمي الشام الشيخ عبد الرزاق البيطار ، والشيخ جمال الدين القاسمي ، وبعد وفاة القاسمي رحمه الله أحب طلابه أن يقرؤوا على الشيخ بعض أمات الكتب العربية والدينية ، فرحب بهم ، وترك لهم الخيار في ما يحبون أن يقرؤوه ، فوقع الاختيار على المستصفي للغزالي في أصول الفقه ، وبداية المجتهد لابن رشد في فن الخلاف ، والمغني في النحو لابن هشام ، والكمال للميزد في الأدب ، وصحيح الإمام مسلم في الحديث ، فكان في ذلك كله رحمه الله إماماً مستقلاً مستديلاً .

وقد درّس في أرقى المدارس الرسمية والأهلية بدمشق ، وطبع فيها بعض مؤلفاته النفيسة ، منها « رسائل الإصلاح » وهي مقالات نافعة ، بل أصول جامعة في الإصلاح العام ، ورسالة في السيرة النبوية ، وموجز في آداب الحرب في الإسلام ، وكتاب « القياس في اللغة العربية » . وقد كتبت مجلة المجمع العلمي بدمشق منوذة بهذه المؤلفات القيمة : « المجلد : ١٨ ص ٨١ سنة ١٣٦٢ هـ و ١٩٤٣ م) ، وكان رحمه الله عضواً عاملاً في مجمعنا العلمي العربي من أوائل إقامته بدمشق ، ثم صار عضواً مراسلاً بعد هجرته إلى مصر .

وقد سافر الفقيه إلى الأستانة أيام الحرب العامة الأولى ، وتولى التعبير بالقلم

العربي في وزارة الحربية ، ثم عاد إلى دمشق التي أحبها وأحبته ، واكثرت جمال باشا السفاح اعتقاله أشهراً بدمشق ، من دون سبب ولا موجب ، وعطّله عن التأليف والتدريس ، وفي ذلك يقول الأستاذ الخضر :

غلّ ذا الحبس بدّي عن قلبي كان لا يصحو عن الطرس فناما
هل يذود الغمض عن مقلته أم يلاقي بعده الموت الزواما
أنا لولا مهمة تحددو إلى خدمة الإسلام آثرت الجماما
ليست الدنيا وما يبسم من زهرها إلا جهاماً وقتاماً

ولما احتلت فرنسا أرض الشام (٢٤ تموز ١٩٢٠ م) هاجر الأستاذ المرحوم إلى مصر ، فألّف فيها « جمعية الهداية الإسلامية » وضمّ إليها رجالاً من أجلة العلماء والوعاظ والمرشدين في القطر المصري ، وأنشؤوا لها مجلة سميت باسمها ، وكان المرحوم مديرها ، ورئيس جمعيتها ، واستمر في هذا سنين ، ثم عينته وزارة المعارف العمومية مصححاً بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية ، ودخل امتحان شهادة العالمية الأزهرية فاستحقها ، ثم تفرّغ للتدريس بالأزهر ، وقضى في التدريس بأقسام التخصص في كليتي الشريعة وأصول الدين نحواً من عشرين سنة ، وعين رئيساً للتحرير في مجلة الأزهر ، واستمر في رئاسة التحرير ثلاثة أعوام ، ثم صدر مرسوم بتجسّسه بالجنسية المصرية في أواخر سنة ١٣٥٠ هـ ، وتولّى مشيخة الأزهر الشريف . وعين عضواً عاملاً بجمع اللغة العربية في القاهرة عند إنشائه . وقد ألّف وطبع في مصر كتباً منها : نقض كتاب « الإسلام وأصول الحكم » الأستاذ علي عبد الرازق ، ومنها : نقض كتاب « في الأدب الجاهلي » للدكتور طه حسين . ونشر في مجلة مجمع اللغة العربية مباحثه اللغوية والأدبية ، واستمرّ في ذلك من أول إنشاء المجمع (١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م) ، إلى أن توفاه الله تعالى عصر يوم الأحد ، في الثاني عشر من شهر رجب سنة ١٣٧٧ هـ ، الموافق ثاني يوم من شباط سنة ١٩٥٨ م . وكانت وفاته خساراً عظيماً على العالمين العربي والإسلامي ، فعمده الله برحمته ورضوانه ، وعوض الأمة عنه خير العوض ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الدورة الرابعة والعشرون لمؤتمر مجمع اللغة العربية^(١)
 « كلمة الأمير مصطفى الشهابي في حفل افتتاح المؤتمر »

سيدي الرئيس :

يسرني في مؤتمرنا هذا أن أقبل تحية الإخلاص والمحبة ، من دمشق مهد العروبة الخالدة ، إلى الكنانة معقل لغة الضاد الحصين ، وركن قوميتنا العربية الركين ، إلى هذا البلد الحبيب الذي طالما عزّت به لغتنا المصرية ، وثقافتنا العربية ، في الأزهر ودار العلوم والجامعات والصحافة ودار الكتب المصرية والجامع والمعاهد العلمية ودور الطبع والنشر ، وبخاصة هذا المجمع الذي يعمل رئيسه وأعضاؤه ، في صبر وإيمان مجرد عن الهوى والأثرة ، على الاحتفاظ بسلامة العربية ، وعلى جعلها تنسج للعلوم والفنون الحديثة ، وتمبر في يسر عن حاجات المدينة الحاضرة . لقد شاء الله جل وعلا أن يجعل مهر مناراً للأقطار العربية ، وأن يجعلها في جميع مقومات أمتنا معقد الرجاء ، ومستمد الإلهام ، والرأس الذي يلهم مختلف الأعضاء .

وكيف ينسى كل قوميّ عربي حر أن مصر كانت ، منذ القرن الماضي إلى يومنا هذا ، ملجأً لأحرار العرب الساعين لاستقلال بلادهم . وكيف ينسى أنهم لم يلقوا فيها إلا عطف الكرم على الكرم ، وحذب الشقيق على الشقيق . لقد قال شوقي في حفلة تكريمه منذ أكثر من ربع قرن من الزمن ، يوم كانت الثورة السورية على الاستعمار في أحلك أيامها :

رُبَّ جاري تلفتت مهر توليه سؤال الكرم عن جيرانه

(١) افتتح مجمع اللغة العربية في القاهرة الدورة الرابعة والعشرين لمؤتمره السنوي ، فألقى الأمير مصطفى الشهابي ، نائب رئيس المجمع العلمي العربي ، في حفل الافتتاح ، كلمة نقل فيها تحية المجمع العلمي العربي إلى مصر وبهجتها ، ثم ألقى البحث التالي على « الإقليم في الفرنسية والعربية » .

ولو امتدت حياة أمير الشعراء رحمه الله الى هذه الأيام لقال :
 رب أخٍ تفلنت مصر توليه سؤال الشقيق عن إخوانه
 سيدي الرئيس مرربي هذا الجيل ورأس هذا الرعيل :
 إذا كان الاشتراك في اللغة أعظم عامل في بث الروح القومية في الشعوب
 - وهذا شيء لا اختلاف فيه - فعملكم أنتم ورفاقكم في هذا المجمع الموقر من
 أجل الأعمال الوطنية التي نبني عليها صرح قوميتنا العربية .
 وإذا قلّت إليكم من دمشق تحية مجمعنا العلمي العربي فإنما أنقل في الحقيقة
 تحية السوري الى شقيقه المصري بل تحية العربي الى أخيه العربي .
 لا زال الوطن المصري العزيز رأساً للوطن العربي الكبير ، ولا زال الشعب
 المصري الكريم شقيقاً أكبر لشعوب أمتنا العربية الخالدة .

الاقليم في الفرنسية والعربية

معاني الكلمة الفرنسية : إذا راجعنا كلمة (Climat) في المعجمات الفرنسية
 المشهورة كلاروس القرن العشرين ، ومعجم « لته » ، ومعجم « روبير » الحديث
 وغيرها نجد أنها تدل على المعاني الآتية :

المعنى الأول : جملة الأحوال الجوية والجغرافية التي تبرز في بلد من البلاد
 أو قطر من الأقطار أو صقع من الأصقاع . يقال مثلاً : هذا بلد اقليمه
 حار أو بارد أو معتدل .

وأهم معاني الكلمة الفرنسية وأشيعها هو هذا المعنى ، أي أن اقليم بلد من البلاد
 هو نتيجة تأثير جملة من العوامل الجوية كالحرارة والرياح والغيوم والأمطار ،
 وتأثير جملة من العوامل الجغرافية كدرجة العرض التي يقع البلد فيها ، وارتفاع
 أرضه عن سطح البحر ، وميله الى جهة من الجهات الأربع ، وبعده عن البحر
 أو قربه منه ، وغير ذلك من العوامل المتفاعلة .

والعامّة في الشام تطلق اسم المناخ على هذا المعنى الأسامي للكلمة الفرنسية .
وليس لاسم المناخ ولا لاسم الاقليم هذا المعنى في كتب اللغة العربية على ما سيبي . ذكره .

والمعنى الثاني للكلمة الفرنسية هو البلد أو الكورة أو القطر أو الصقع الذي يسود فيه الاقليم أي الذي له أحوال جوية وجغرافية خاصة . وهذا المعنى هو الذي اقتصرت عليه لفظة الاقليم في معجمائنا وكتبنا الجغرافية والفلكية القديمة .
والمعنى الثالث : البقعة الشجراء فيها حرّجّة من الاحراج .

والمعنى الرابع : معنى مجازي وهو الجو الأخلاقي وشروط الحياة . قال لامارتين مثلاً ما ترجمته : النفوس لها أقاليمها كالأرضين . وقال غيره : وجدت في هذا المجتمع اقليمى يريد البيئة الصالحة له أو التي يستلذها .

الاقليم عند اليونانيين القدماء : قسم علماء الفلك اليونانيون في الاسكندرية ما عرفوه من الكرة الأرضية سبع مناطق سماوا كلاً منها إقليماً ، وذلك بدوائر عرضية متوازية بعضها شمالي بعض ، فالإقليم الأول عندهم كان إقليم مَرَوِي في السودان ، ويبلغ الى الشمال اقليم أسوان ، ثم على التابع أقاليم الاسكندرية فرودس - فرومة فالبحر الأسود فسقي نهر الدنيبر الذي يصب في بنطس أي البحر الأسود . ثم أضافوا بعد ذلك الى هذه الأسماء أسماء بلاد أخرى عرفوها . وكان هذا التقسيم مبنياً على الأساس الآتي وهو أن تكون مدة النهار الأطول واحدة في جميع البقاع الواقعة على كل دائرة . وجعلوا بين كل دائرة والتي تليها فرقاً في النهار الأطول مقداره نصف ساعة .

الاقليم عند العرب : تأثرت العرب 'خطى يونان' فجعلت مثلها الاقاليم الشمالية سبعة بدءاً من خط الاستواء ، ولكنها - أي العرب - وسّعت وضبطت ما عرفه قدماء اليونانيين في هذا الموضوع ، وبحثت أيضاً في أقاليم سبعة أخرى جنوبي خط الاستواء . وليافوت في معجم البلدان بحث طويل في سبعة الاقاليم الشمالية .

وبما ذكره ياقوت أن لكمة إقليم أربعة اصطلاحات في أيامه :

الأول : اصطلاح العامة وجمهور الأمة ، وهو الجاري على السنة الناس دائماً ، وهو أن يسموا كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى إقليماً نحو الصين وخراسان والعراق والشام ومصر وإفريقية ونحو ذلك ، فالأقاليم على هذا كثيرة لا تحصى .
والثاني : اصطلاح أهل الأندلس وهو أن يسموا كل قرية كبيرة جامعة إقليماً . فإذا قال الأندلسي أنا من إقليم كذا فأنما يعني بلدة أو رستاقاً بعينه .
والثالث : اصطلاح الفرس قديماً ، وخلاصة ما ذكره ياقوت فيه أن الفرس جعلوا إيران شهر (أي بلاد إيران) مركزاً ، ثم خطوا حول كل مملكة دائرة سموها كيشوراً وكشخراً أي كورة ورستاقاً . وبذلك قسموا إيران شهر إلى كيشورات ست ، والمعمورة بأمرها إلى سبع ، وكل منها يسمى إقليماً .

والرابع : قال ياقوت : « وعليه اعتماد أهل الرياضة والحكمة والتنجيم » وهو التقسيم اليوناني موسماً بأسماء الأمصار ومصححاً ، وعلى هذا يكون الأقاليم في هذا الاصطلاح شاملاً لجميع الأصقاع التي تقع بين كل دائرتين من الدوائر السبع الملمع اليها .

وإذا راجعنا المعجمات العربية لم نعثر فيها على شيء جديد . ففي اللسان الأقاليم واحد أقاليم الأرض السبعة . وأقاليم الأرض أقسامها واحداً إقليم . وفي القاموس : الإقليم كقنديل واحد الأقاليم السبعة .
وردد الزبيدي في التاج ما ذكره ابن منظور في اللسان وزاد عليه جملاً ذكرها ياقوت .

وفي أقرب الموارد : الأقاليم في العرف قسم من الأرض يختص باسم ويتميز به عن غيره فمصر إقليم والشام إقليم واليمن إقليم .
ونقل صاحب المنجد هذه الجملة عن أقرب الموارد .

ولم يتجاوز دوزي هذا المعنى في معجمه ، ولم يبحث عن أصل الاقليم .
أما صاحب البستان فقد نقل عن معجم البلدان جملة عنها يا قوت الحموي
الى البيروني وهذا الى حمزة بن الحسن الأصفهاني وهي : الاقليم هو الرستاق
بلغة الجرامقة سكان الشام والجزيرة يقسمون بها المملكة كما يقسم أهل اليمن
بالتخاليف وغيرهم بالكور والطساسيج وأمثالها .

وبتضح من ذلك أن معنى الاقليم في جميع هذه الاصطلاحات والتعريفات
لا يتعدى المعاني التي تدل عليها ألفاظ البلد أو الكورة أو الرستاق أو الطسوج
أو الخلاف أو الكشور أو القطر أو الصقع أو جملة من الأصقاع عددها سبعة
أقاليم موزعة بين خط الاستواء والقطب الشمالي .

أما أم معنى علي لكلمة اقليم وهو جملة الأحوال الجوية والجغرافية لبقعة من
الأرض فهو لا يظهر عندنا في تعريف ولا في اصطلاح .

أصل كلبا الفرنسية واقليم العربية واحد : أجمت معجمات اللغة الفرنسية
ومعجمات أصول الألفاظ الفرنسية على أن كلمة كلبا (Climat) الفرنسية من
كلبا (Clima) و كليماتيس (Climatis) اللاتينيتين وهما من كلبا (Klima)
اليونانية ومعناها أكمل استعمات في القديم بمعنى ميل قطعة من الأرض بالنسبة
الى الشمس ، ثم أطلقت على البلد والكورة والقطر .

أما اقليم العربية أو قل المعربة فقد جاء فيها في معجم البلدان ما يلي بالحرف :
« . . . وقال محمد بن أحمد أبو الرعيان البيروني الاقليم على ما ذكر أبو الفضل
المروني في المدخل الصاحبي هو الميل فكأنهم يريدون بها المساكن المائلة عن
معدل النهار » .

وجاء في تعريف « الكورة » في معجم البلدان أيضاً ما يدل على أصل الاقليم ؛
فقد نقل يا قوت عن حمزة الأصفهاني أن الكورة اسم فارسي استعارته العرب
وجعلته للأستان (الرستاق) ، كما استعارت الاقليم من اليونانيين وجعلته

للـكـُـشـُـغـُـر (الكورة والرساق) . وحمة بن الحسن الأصفهاني هو في رأي البيروني صاحب لغة ومعنى بها .

ويتضح من ذلك أن الفرنسية والعربية من أصل يوناني واحد . وليس بغريب الظن بأن كلمة إقليم المعربة كانت وسيطاً بين الكلمة اللاتينية والكلمة اليونانية وذلك حين نُقلت العلوم العربية الى اللاتينة .

أما كيف نشأت كلمة « الاقليم » من قلميا (Klima) اليونانية فهو أيضاً شيء واضح ؛ فقد أُضيفت ألف على أول الكلمة اليونانية منعاً للابتداء بساكن ؛ وعُربَّ حرف كَبَّاء يوناني قافاً وهو القاعدة ، ثم حُذفت الألف الأخيرة لتجنيء المعربة على وزن عربي وهو إفعيل . وليس في كل ذلك شذوذ عما كان مألوفاً في تعريب الألفاظ اليونانية .

وعلى هذا لا أرى مجالاً لشك بعض أصحاب المعاجم والكتب القديمة في أصل كلمة اقليم ، ولا لحذلقه الذين حاولوا إثبات عروبتها . فقد جاء في المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي : « والاقليم ليس بعربي محض » . وجاء في اللسان : « قال ابن دريد لا أحسب الاقليم عربياً ، قال الأزهرى وأحسبه عربياً ، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل اقليم معلوم كأنه سمي اقلياً لأنه معلوم من الاقليم الذي يتاخمه أي مقطوع » .

وياقوت الذي نقل عن حمة الأصفهاني أن الاقليم من اليونانية نقل أيضاً ماذهب اليه آخرون وذلك في قوله : « وأما اشتقاق الأقاليم فذهبوا الى أنها كلمة عربية واحدها إقليم وجمعها أقاليم مثل إخریط وأخاريط وهو نبت ، فكأنه إنما سمي اقلياً لأنه معلوم من الأرض الي يتاخمه أي مقطوع . والقلم في أصل اللغة القطع ومنه فلت ظفري » .

وكل ذلك في نظري باطل فالعربية كسائر اللغات الحية تعبر غيرها ألفاظاً ، وتستعبر من غيرها ألفاظاً ، وهي ليست في حاجة الى متعصبين أو جهلاء يحاولون بالتمحل أو التفرص أن يعزوا اليها كلمات ليست من أصول عربية .

الخلاصة : ان تعريف الاقليم في مجامعنا القديمة والحديثة تعربت ناقص لا يصلح لهذا الزمن . فالاقليم في العلوم الجغرافية الحديثة ليس بلداً أو كورة أو جملة من الأصقاع فقط بل هو على الأخص جملة الأحوال الجغرافية والجوية لبقعة من الأرض . وهذا المعنى لا وجود له في المعجمات العربية . والعامة تسميه المناخ . والمناخ ليس له هذا المعنى . فالمعجمات تميز لنا أن نقول مثلاً : الوجه البحري في مصر اقليم (أي كورة) حار رطب في الصيف . ولكنها لا تميز لنا أن نقول : الكورة الوجه البحري اقليم حار رطب في الصيف أي أحوال جوية وجغرافية تجعل جو هذه الكورة حاراً ورطباً في الصيف . ومؤلفو الكتب الجغرافية والكتب الزراعية في الشام والعراق يضحنون الاقليم هذا المعنى في كتبهم حتى تقابل العربية الفرنسية أو الانكليزية في هذه الناحية . واعتقد أن المؤلفين المصريين أيضاً يجعلون للاقليم هذا المعنى في كتبهم الحديثة .

وعلى هذا أقترح على مؤتمر المجمع الموقر الموافقة على تضمين كلمة الاقليم معنى « جملة الأحوال الجوية والجغرافية السائدة في بلد أو كورة أو قطر أو صقع من الأرض » ، وذلك بالإضافة الى المعنى الوارد في المعجمات العربية وهو البلد والكورة والقطر والصقع وأحد الأقاليم السبعة . وأقترح أن يدرج هذا المعنى العلمي في تعريف الاقليم في المعجم الوسيط وفي المعجم الكبير ، هذا إذا كان القائمون على أمور المعجمين لم يلاحظوا ذلك من قبل ، بل اكتفوا بالتعريفات والاصطلاحات الواردة في مجامعنا وفي كتبنا الجغرافية والفلكية القديمة . وإذا وافق المؤتمر على اقتراحي هذا نصيب الألفاظ الفرنسية المتعلقة بالاقليم مع ما يقابلها بالعربية على الصورة الآتية :

Climat

إقليم

Climatologie (علم الأقاليم) إقليميات

- إقليميّ Climatique المنسوب الى الاقليم .
 أقاليميّ Climatologique المنسوب الى الاقليميّات أي الى علم الأقاليم .
 أقلمة Acclimatation للمتعدي ، على قاعدة الاشتقاق من اسم العين .
 تأقلم Acclimatement لللازم ، على قاعدة الاشتقاق من اسم العين .
 ومصدرا الأقلمة والتأقلم أخذنا يشعان ، وأرجح أن بدء استعمالها كان في مصر .
 ويستعمل بعض الكتاب في الشام كلمة الجوّ في معنى الاقليم ، والجو غير
 الاقليم ، وكذلك الجوّيات أي علم الظواهر الجوية (Météorologie) فهي
 تختلف في مدلولها عن الاقليميات وهو شيء معروف .
 هذا ما بدا لي عرضه على المؤتمر من معاني الاقليم والألفاظ المتصلة به ،
 وفي الاقتراح الذي اقترحته وهو تضمين الاقليم المعنى العلمي الجديد الذي
 ألمت اليه ، وإدراجّه في المعجم الوسيط والمعجم الكبير ، ولزملاء الأفاضل
 الرأي الراجح .
 وفقنا الله جميعاً في خدمة لغتنا الضادية المضربة .



اشتقاق الكلمة الانكليزية coffin

ادعى قاموس أو كسفورد الشهير ^(١) بأن أصل الكلمة الانكليزية كفن يعني
 التابوت ، والكلمة مشتقة من اللغة اليونانية القديمة (kopivos) كُفِنُسْ
 بنبرة فوق الضمة الأولى ، ثم دخلت هذه الكلمة الى اللغة اللاتينية فصارت
 (cophinus) أو (cofinus) بمعنى كُفِنُسْ ، والضمة الثانية هي معروفة في
 تلفظها ، ومعنى الكفن اللاتينية واليونانية هي السلة أو القفة ، وتتوافق القواميس
 الاشتقاقية الانكليزية كلها مع القاموس المذكور المشهور . ثم دخلت الكلمة

(١) MURAY; A new English dictionary, Oxford 1893, II, 591 sq.

الى اللغة الفرنسية القديمة وحفظت هذه المعنى ، ثم أضيف عليها معان جديدة مثل علبة وصندوق وأمثالها . وهذه المعاني موجودة أيضاً في اللغة الانكليزية والايطالية والاسبانية وشكلها في هذه اللغات (coffin) أو (cofin) ، ثم أصبح لها شكل ثان (coffre) في بعض اللغات وذلك في القرن الثاني عشر ، ودخلت هذه الكلمة أيضاً الى اللغة الألمانية (koffer) ومنها الى بعض لغات أخرى كالحجرية (kufer) واللغات السلافية الخ . . ومعناها (صندوق السفر) ثم غابت كلمة (coffin) من اللغات الأوربية تقريباً تماماً ، وبقيت في لهجات فرنسية ولها معان عجيبة ، ففي اللغة الفرنسية العصرية معناها مسن الحصاد ، وفي اللغة الانكليزية تعني الثابوت ، واستعمال الكلمة في هذا المعنى لا يسبق القرن الرابع عشر حيث بدأ في اللغة الفرنسية ثم دخل هذا المعنى الى اللغة الانكليزية كما تدعي القواميس الانكليزية والفرنسية الاشتقاقية دون استثناء ^(١) .

ونحن نسأل الآن هل في الامكان تبديل المعنى من (السلة) الى الثابوت ؟ وليس ثمة عالم يشرح الأسس النفسية (pydvgiws) لهذا التبديل ، وأعني تبديل معنى الكلمة اليونانية (kopivos) الى المعاني الجديدة في اللهجات الفرنسية ^(٢) . ان مشكلة ايضاح الأسباب النفسية لهذا التبديل ليست المشكلة الوحيدة إذ يثبت العالم الاسباني ^(٣) بأن اشتقاق كلمة (kopivos coffin) ليس ممكناً ، لأن نبرة كلمة coffin في حرفها الأول ونبرة كلمة (cofin) أو (coffin) هي في الحرف الأخير ^(٤) ، وهذا يعارض قوانين اللغات الغربية . إلا أن العالم الاسباني المذكور يشتقها من (coia) بمعنى (السلة) ويرى بأنها مأخوذة أصلاً من اللغة العربية يعني (القفة) ويشرح ويحلل المشكلة الصرفية كاملاً ، ولكن

(١) Godefroy, Dictionnaire de l'ancienne langue française, Paris 1883, vol. II, p 186 c. d.

(٢) Gamillscheg, Brük.

(٣) Corominas

(٤) ingl. coffin, no es probable que venga del lat. cophirus en la vista de la diferencia en la posición del acento.

لا يحال المشكلة النفسية والمنطقية بمعنى امكان تبديل معنى (قفة) الى معنى (تابوت) . وليس هذا بوظيفة الأستاذ الاسباني لأنه يشرح الاشتقاق الاسباني فقط إذ تستعمل الكلمة في اللغة الاسبانية بمعنى القفة والصندوق فقط ولا تستعمل فيها بمعنى (تابوت) أبداً ، كما تستعمل في اللغة الانكليزية والفرنسية القديمة . والذي أرجحه أن الكلمة مشتقة من العربية من كلمة كفن ومعنى هذه الكلمة أقرب منطقياً ونفسياً للكلمة (تابوت) من كلمة (القفة) . إذ قليلاً ما يستعمل المسلمون التوابيت حين يلقون الجسد بالكفن ، وإذا استعملوا التابوت وهم قلة فانهم يوارون الميت في الكفن ثم يرجعون التابوت الى القبر ، ولذلك فان التابوت الغربي يقابله في المشرق الكفن ، وحركات كلمة كفن (coffin) الانكليزية تحاذي حركات الكلمة العربية كفن ؛ أما هل نلفظ الحركات في بلدان لغة الضاد متحدة ؟ وهل ان الغربيين يقلدونها تقليداً صحيحاً ؟ وهم لا يعرفون مثلاً كيف يلفظون حرف الميم الأول في اسم حضرة النبي (ﷺ) أضم مجهول أو بفتح معلوم^(١) . ولا ننسى أن حركات الفعل كَفَنَ وتضم مجهولة . وكَفَنَ تكون النون ساكنة في اللغة العامة كَفَنَ وهذه هي حركات الكلمة الانكليزية تماماً . فاستعمال كلمة كَفَنَ (coffin) بمعنى تابوت ليس موجوداً قبل الحروب الصليبية فكان من المحتمل أن يكون الصليبيون الانكليز والفرنسيون أخذوا المعنى العربي . ومن الاحتمال أيضاً أن يكون استعمال كلمة كفن الموجودة من السابق بمعنى (صندوق) و (قفة) سهل أخذ المعنى الجديد لكلمة موجودة .

ويشير استعمال كلمة coffin كَفَنَ بمعنى النعش في ترجمة للانجيل^(٢) الى أنها مأخوذة من الكلمة العربية كَفَنَ وليس من الكلمة (kopivos) إذ أين الارتباط الموجود بين النعش والسلة كما هو موجود بين الكفن والنعش ؟ وهذه

(١) Mohammed, muhammad

(٢) Tindale Luk. VII, 14 : He went and touched the coffyn (AD 1526.)

أيضاً إشارة نفسية ، ونظن أن الكلمة جاءت بتوسط الصليبيين رأساً إلى فرنسا وابتكراً ، وليس بطريق إسبانيا من الأندلس أو بطريق إيطاليا من صقلية العربية ، لأن معنى (تابوت) لبس موجوداً في اللغة الإيطالية ولا في اللغة الإسبانية .
والخلاصة أن الاشتقاق لكلمة coffin المعتاد من الكلمة اليونانية kopivos له مشكلات صرفية ونفسية وأقدر أن اشتقاقها من الكلمة العربية كفن أقرب منطقاً ، وإن لم أقدم البرهان القاطع على ذلك ، والله أعلم .

دار ستونسي

.....

« أعيان ليبية »

١ - أبو اسحق إبراهيم الشهير بابن الأجدابي .

هو الإمام الحافظ أبو اسحق إبراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله الأجدابي اللواتي الطرابلسي ، ولد هذا العلامة بمدينة طرابلس الغرب ، وفيها ترعرع ودرس علوم اللغة والفقه والأدب على علمائها ، ولم يرحل عن طرابلس في طلب العلم ، بل جميع ما تلقاه عن رجالها فقط ، ولقد سئل مرة من أين لك هذا العلم ؟ فقال : اكتسبته من بابي هواره وزنانة - « وهما بابان في سور مدينة طرابلس الغرب معروفان بهذين الاسمين إلى الآن » - . وابن الأجدابي من رجال القرن السادس الهجري ، ولم أعتد إلى تاريخ وفاته بالرغم من مراجعة المظان المطبوعة والمخطوطة التي تتعلق بالتاريخ الليبي ، وقد ترجم ابن الأجدابي كثير من المؤرخين ، منهم ياقوت في معجم الأدباء والسيوطي في بنية الوعاة وابن غلبون في التذكار والنائب في المنهل العذب ، وكلهم متفقون على مكانته في العلم ، خصوصاً علم اللغة فإنه كان مبرزاً فيه ، وهذا يتضح جلياً لكل من يتصفح تأليفه المسحى بكفاية التحفظ ونهاية التلطف ، وهو وإن كان صغير الحجم فإنه كبير الفائدة كثير العائدة ، مرتب على الأبواب سهل الحفظ على الطلاب ، وقد قال بعض أفاضل المتقدمين في مدحه :

من كان يطلب في الغريب وسيلة من شاعر أو كاتب مثلفظ
أو كان يبغى في الكلام بلاغة فليحفظ كفاية المتحفظ
وهو مطبوع في مدينة بيروت في سنة ١٣٠٥ هجرية ، هذا وقد نظم كفاية
المتحفظ كثير من الفضلاء ، منهم القاضي شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن الخولي المتوفى سنة ثلاث وتسعين وستائة ، ونظمها ابن جابر محمد ابن أحمد
الأعمى الأندلسي وفرغ منه في سنة سبعين وسبعائة ، ونظمها أيضاً من المعاصرين
الأستاذ أحمد الفقيه حسن أحد سراً طرابلس ، والى القارى الكريم تنقاً
مما نظم من كفاية المتحفظ :

« باب في صفات الرجال المحموده »

يلقب السخي بالجواد	والخرق من يحسن للعباد
كذا الفنى إن أكثر العطايا	بدعونه الخضم في البرايا
والخضرم المكثّر للاتفاق	على المساكين ذوي الإيلاق
والأريحي المرتاح للعطاء	ثم الحسب الطيب الأباء
والماجد الشريف والصنديد	رئيس قوم رأيه صديد
كذلك الهام كالصنديد	لرئيس العظيم والشديد
سميدع جاء من الجحججاج	لسيد القوم هما با صاح
وقل خلي لي للبيب العاقل	أريب والوقود للحاحل
من جرب الأمور بالتدريب	لقبه بالنجذ الأريب
ومدره القوم هو المقدم	وهو لسان حالهم وهو الفهم
وقل لمن كان ذكي القلب	يا لودعي يا فريد الصحب
ومن لسانه بليغ مصقع	أما السري قدره مرتفع
واجمه يا صاح على سراً	يفتح سين جاء بالإثبات

ثم يتلوه باب في صفات الرجال المذمومة ، وهكذا الى أن ينتهي الكتاب ،
فحبذا لو اهتم ناظمه بطبعه حتى يعم نفعه بين طلاب العلم ، ويسهل حفظه على
تلامذة المدارس التي أصبحت خاوية الوفاض بادية الانفاض من علم اللغة ،

الذي هو أس لجميع العلوم والفنون . وكان أبو اسحق ابن الأجدابي من صدور المائة السادسة ، وأثنى عليه كثير من الأعلام منهم مجد الدين الفيروزبادي وجلال الدين السيوطي في البغية ، وأكثر من النقل عنه الإمام الحافظ الثقة أحمد الفيومي في معجمه المسمى بالمصباح المنير ، وكال الدين الدميري في حياة الحيوان وعدل كتابه (على صغر حجمه) بالمصنفات الكبيرة كالمصباح المنير للفيومي والتهذيب للأزهري والمجمل لابن فارس ونحوهم ، وربما اختار الفيومي كلامه في المصباح على كلامهم أحياناً ، ولم يطبع من آثاره سوى كتاب الكفاية ، وبقية تأليفه لعبت بها أبدي الزمان وطوارق الحداث ، ومن مؤلفاته التي لم نطلع عليها ، وهي مما ذكره المؤرخون في ترجمته : كتابان في علم العروض كبير وصغير ، وكتاب في الرد على أبي حفص في تثقيف اللسان ، وكتاب في شرح ما آخره ياء من الأسماء وبيان اعتلال هذه الياء ، استوفى فيه جميع أحكامها على اختلاف أحوالها ، وتعرض فيه لشرح المقاطع التي في سورة مريم لاشتغالها على كثير من تلك الأحكام ، فجاء هذا التأليف بنية غاية التحقيق والإفادة ، وله كتاب مختصر في علم الأنساب ، وكتاب في الأنواء على عادة العرب ، ورسالة في الحول وأسبابه ، وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه أن سبب تأليفه لرسالة الحول ، هو أن ابن الأجدابي حضر يوماً عند القاضي طرابلس أبي محمد عبد الله بن إبراهيم ابن هانش الطرابلسي ، فحكم بحكم أخطأ فيه ، فرد عليه المترجم وبين له وجه الصواب ، فزجره القاضي وقال له : اسكت يا أحول (لأن صاحب الترجمة رحمه الله كان أحول) فما استدعيت ولا استفتيت ، فدعاه ذلك إلى تصنيف هذه الرسالة وأرسلها إليه ، ولا تزال المجالس العلمية والندوات الأدبية في هذه الديار تتمطر بذكره ، وتقتبس من تراثه العلمي في محاضراتها ومسامراتها ومساجلاتها :

وتذكر أخلاق الفقى وعظامه مغبية في الحمد بال رميمها

علي الفقيه حسن

موصوفه

(طرابلس الغرب)

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والثلاثين

صفحة

الأخطل	١٧٧	للأستاذ خليل مردم بك
يده الأدب الحديث	٢٠٤	للأستاذ شفيق جبري
ينابيع المعرفة عند ابن سينا	٢١٣	للطائران غريغوريوس بولس جهام
الاتجاه القومي في التربية العربية	٢٣٨	للككتور جميل صليبا
مرسوم ملوكي شريف	٢٥٩	للككتور صلاح الدين المنجد
ما حمت وما رأيت في بلاد السويد (٥)	٢٧٠	للككتور حسني سنج
كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٦)	٢٧٨	للككتور محمد صغير حسن المصري

التعريف والنقد

كتاب النصوص البائنة	٣٠٢	للأستاذ عبد الله كنون
خريدة القصر وجريدة الحر (٢)	٣١٢	للككتور مصطفى جواد
شرح قانون أصول المرافعات المدنية والتجارية	٣٢٩	للككتور عدنان الحلبي
عاضرات في الاستثمار	٣٣٣	للأمير جعفر الحلي
تاريخ المواق بين احتلالين - العهد العثماني الأخير	٣٣٥	

آراء وأنباء

وفاة الأستاذ الشيخ محمد الحضر حسين	٣٣٦	
الدورة الرابعة والمشرعون المؤتمرون بمجمع اللغة العربية	٣٣٩	للأمير مصطفى الشهابي
اشتقاق الكلمة الانكليزية coffin	٣٤٦	للككتور كاول شتولفس
أعيان ليبسة	٣٤٩	للأستاذ علي الفقيه حسن

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٨ م

١٣ ذي الحجة سنة ١٣٧٧ هـ

ابن الخياط

٤٥٠ - ٥١٧

حياته

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي ، المعروف بابن الخياط ، الشاعر الدمشقي الكاتب . يتصل نسبه بتغلّيب وهي قبيلة من ربيعة من العرب العدنانية .

ولد ابن الخياط بدمشق سنة خمسين وأربعمائة ، كما ذكر ذلك هو نفسه ^(١) ، وكان أبوه خياطاً ^(٢) فاشتهر بالفسبة إليه ، وكان له أخ اسمه يحيى ^(٣) سيأتي

(١) قال ابن حساكر : « مثل أبو عبد الله (ابن الخياط) عن مولده فقال : في سنة خمسين وأربعمائة » . تهذيب تاريخ دمشق ٦٨/٢ .

(٢) قال ابن فضل الله العمري في الفصل الذي عقده في مسالك الأبصار لابن الخياط : « ... منذ نظم حدثت الشعرى شعره ، وود الفزال لو أن روقه أحدهما له قلم والآخر لأبيه الخياط إبرة » . مسالك الأبصار الجزء الماشر القسم الثاني ص ٣٦٧ نسخة أحمد الثالث مخطوط مصور في دار الكتب بالقاهرة .

(٣) قد يكون الأخ الأكبر لأنه سمي باسم جده جورياً على المادة المتبعة في تسمية أكبر الأبناء باسم جده .

ذكره . وكانت دار ابن الخياط في درب القصّاعين المعروف اليوم بحي الخضرية^(١) داخل باب الجابية ، وكان عند داره مسجد^(٢) معلق وقناة^(٣) ، ولم تكن داره بعيدة عن دار^(٤) الأمير أبي الفتيان ابن حيّوس شاعر الشام في ذلك الزمان .

نشأ ابن الخياط في جوار ابن حيّوس الشاعر ، ورأى الدنيا مقبلة عليه ، وهو يتقلب في أعطاف النعيم ، فود الفتي الناشئ لو يكون مثله ، وآنس في نفسه ميلاً للشعر ، ونفوراً من صنعة أبيه الخياط ، فأخذ يؤدّب نفسه بحفظ أشعار^(٥) المتقدمين وأخبارهم .

وكانت أحوال دمشق في حادثة ابن الخياط مضطربة غير مستقرة ، وأهل دمشق أحزاب يثورون بالولاة والقواد وينتقضون عليهم كرهاً لحكم الدولة الفاطمية ، وتأججت الفتنة سنة ٤٦٠ وعمر ابن الخياط وقتئذ عشر سنوات ، فثار أهل دمشق بأمر الجيوش بدر الجمالي الأرميني والي الشام واضطروه إلى الخروج من قصر الإمارة وأحرقوا القصر ونقضوا بقاياهم^(٦) ، وكان ذلك إيذاناً بزوال حكم الفاطميين عن الشام .

واشتد الخلاف بين الجنود وبين أهل دمشق ، وطرحت النار في جانب منها فاحترقت ، واتصلت منه بجامع بني أمية من ضربه فاحترق في شعبان سنة ٤٦١ ولم يبق منه إلا حيطانه الأربعة^(٧) ، ونهبت دور أهل البلد وأموالهم ، فعمم الخطب واشتد الأمر .

(١) ويلفظه الدماشقة اليوم « الخضرية » .

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٥٦/٢ .

(٣) ابن عساكر ١٥٤/٢ والمراد بالقناة ما يطلق عليه الدماشقة اليوم اسم « الطالم » وهو قسم لتوزيع الماء على الدور .

(٤) ديوان ابن حيوس المقدمة ٦/١ .

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦٧/٢ .

(٦) ذيل تاريخ دمشق لابن الفلاني ص ٩٣ .

(٧) ذيل تاريخ دمشق لابن الفلاني ص ٩٦ .

وفي سنة ٤٦٣ فتح أنسر بن أوق الخوارزمي من أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي القدس ، وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لأعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها ، فضاقت الناس وصبروا ولم يكتفوا من ملك البلد ^(١) . وبقي يحاصرها من حين إلى آخر حتى دخلها في ذي القعدة سنة ٤٦٨ فأزل جنده في دور الدمشقيين ، واعتقل من وجوههم جماعة وشتمهم بمرج راهط حتى اقتدوا نفوسهم بمال أدوه له ، ورحل جماعة منهم عن البلد إلى طرابلس ^(٢) . وفي سنة ٤٦٩ لم يبق من أهل دمشق عشر العشر من الجوع والفاقة ، بل لم يبق من أهلها سوى ثلاثة آلاف إنسان بعد خمسمائة ألف أقتاهم الفقر والغلاء والجلاء . وكان بها مائتان وأربعون خبازاً فصار بها خبازان ، والأسواق خالية ، والدار التي كانت تساوي ثلاثة آلاف دينار بنادى عليها بعشرة دنانير فلا يشتريها أحد ، والدكان الذي كان يساوي ألف دينار ما يشتري بدينار ، وأكلت الكلاب والسنابير والقيرات ^(٣) .

في هذه الفترة العصيبة ، ما بين سنة ٤٦٣ وسنة ٤٦٩ ، ترك ابن الخطيب دمشق ، وهو في عنفوان الصبا ، لم يشتهر بالشعر ، فقصد حماة واتصل هناك بأمير اسمه أبو الفوارس محمد بن مانك وكتب له وخدمه مدة ^(٤) فعرف بابن الخطيب الكاتب ، ثم اشتهر بالشعر ، وفي ديوانه ص ٧ قصيدة بمدح بها هذا الأمير أولها :

سَقَوُهُ كَأَنَّ فَرْقَتِهِمْ دِهَاقَا وَأَسْكَرُهُ الْوَدَاعُ قَا أَفَاقَا

(١) ابن الأثير ٢٣/١٠ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٣١/٢ .

(٣) خطط الشام ٢٦٥/١ .

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي المجلد الثاني عشر ورقة ١١٠ (مخطوط) .

وكان قد هاجر من دمشق إلى حلب أبو الفتيان ابن حيّوس^(١) جاره القديم سنة ٤٦٤ هـ وأحسن وفادته بنو مرداس أمراء حلب وأغدقوا عليه عطاياهم ، فبدا لابن الخياط أن يزوره في حلب ، ولما اجتمع به وعرض عليه شعره قال : « قد نعاني هذا الشاب إلى نفسي ، فقلّما نشأ ذو صناعة ومهر فيها إلا كان دليلاً على موت الشيخ من أبناء جنسه »^(٢) .

وقال ابن الخياط : « دخلت في العشي على الأمير ابن حيّوس بجلب^(٣) وهو مسن فأشدته :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي مَا يَبَاعُ بِدَرَاهِمٍ وَكَفَّكَ مِنِّي مَنَظَرٌ عَنْ مَخْبَرِ
إِلَّا صُبَابَةً مَاءٍ وَجِبَ صُنْتُهُا عَنْ أَنْ تُبَاعَ وَأَيْنَ أَيْنَ الْمُشْتَرِي

فقال له ابن حيّوس : لو قلت : « وأنت نعم المشتري » لكاف أحسن ، ثم قال : كرمت عندي ونعيت إلي نفسي ، فإن الشام لا يخلو من شاعر مجيد ، فأنت وارثي ، فاقصد بني عمّار بطرابلس فإنهم يحبون هذا الفن ، ثم وصله بلياب ودنانير^(٤) .

وقبل أن يذهب إلى طرابلس مدح الأمير وثّاب بن محمود بن نصر بقصيدة أنشده إياها بحجة سنة ٤٧٤ أولها^(٥) :

عَتَادُكَ أَنْ تَشُنَّ بِهَا مُغَارَا فَقَدْهَا شُرْبًا قُبَا تَبَارِي

ومدح بعد ذلك بشيّر الأمير صديك الملك أبا الحسن علي بن مقلّد بن نصر ابن منقذ صاحب شيّز سنة ٤٧٦ بقصيدة أولها .

(١) ديوان ابن حيّوس المقدمة ص ١٤ .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥٦/١ .

(٣) كان ذلك سنة ٤٧٢ كما ورد في الديوان ص ٢٨٧ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١١٠/١٢ (مخطوط) .

(٥) مي فائقة الديوان .

يَقِينِي^(١) يَقِينِي حَدِيثَاتِ النَّوَائِبِ وَحَزْمِي حَزْمِي فِي ظُهُورِ النَّجَائِبِ
ونصح عنيتته على العمل بوصية شيخه ابن حَبَّوس ، فبترك الكتابة عند
محمد بن مانك في حماة ، ويقصد بني عَمَّار بطرابلس في حدود سنة ٤٧٦ وهو
ابن ست وعشرين سنة ، وصحبت نبوءة ابن حَبَّوس ، فقد توفي بعد سنة
من اجتماعه بابن الخطاط في حلب ، سنة ٤٧٣ وأصبح ابن الخطاط بعد ذلك
على حدائقه منه شاعر الشام ، وظل كذلك الى آخر حياته .

دخل ابن الخطاط طرابلس وكان صاحبها يومئذ القاضي جلال الملك أبا الحسن
علي بن محمد بن عَمَّار ، وبني عَمَّار من خير الحُكَّام ولهم أبادر بيض على العلم
والأدب . فاتصل ابن الخطاط بجلال الملك ومدحه ولم يتوصل إليه إلا بما عرف
به من العطف على الشعر والشعراء ، وإلى ذلك يشير بقوله من أبيات مدحه بها^(٢) :
آلَيْتُ لَا أُنْبِي نَدَاكَ بِشَافِعٍ مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا كَا
وذكر في قصيدة مدحه بها رحلته إليه فقال^(٣) :

وَحَرَقَ كَأَنَّ آلَيْتُمْ مَوْجَ سَرَايِهِ تَرَامَتْ بِنَا أَجْوَاؤُهُ وَخُرُوقُهَا
كَأَنَّاعْلَى سُفُنٍ مِنَ الْعَيْسِ فَوْقَهُ مَجَادِيْفُهَا أَيْدِي الْمَطِيِّ وَسُوقُهَا
مُوجِّي الْحَيَا مِنْ رَاحَةِ آبْنِ مُحَمَّدٍ وَأَيُّ سَمَاءٍ لَا تُشَامُ بِرُوقِهَا

ومدح أخاه نضر الملك بمدة قصائد هي من أحسن شعره ، منها قصيدة فريدة
هي في رأينا أحسن شعره سلت جميع أبياتها وشرفت ألفاظها ومعانيها أولها^(٤) :
أَعْطَى الشَّبَابَ مِنَ الْآرَابِ مَا طَلَبَا وَرَاحَ يَحْتَالُ فِي ثَوْبِي هَوَى وَصَبَا
كما مدح غيرهما من آل عَمَّار ومن رجال دولتهم وأصحابهم .

(١) الديوان ص ١٢

(٢) الديوان ص ٢٣

(٣) الديوان ص ٤٥

(٤) الديوان ص ٦٤

دخل ابن الخياط طرابلس وهو شاب لا يعتمد إلا على كفايته في الشعر وطبعه الفياض وما حفظه من شعر المتقدمين ، إذ أن بضاعته في آلات العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع وعروض بضاعة مزجاة . وكان في طرابلس شيخ أندلسي اسمه أحمد بن محمد الطليطلي له حلقة عامرة بالطلبة باقي عليهم فيها دروساً في العربية والأدب ، فجعل ابن الخياط يغشى هذه الحلقة ولزم شيخها وأفاد من الأدب وفنونه . ولم يقتصر على حضور هذه الحلقة ، بل جعل يختلف أيضاً إلى دار العلم التي أنشأها بنو عمار في طرابلس وجبرزوها بأنواع الكتب ، ويعتبر نفسه من تلامذتها ^(١) .

وصحب في طرابلس جماعة من الوجوه والرؤساء والأدباء فضلاً عن أمرائها بني عمار ، وكان في أوقات فراغه يجلس في دكان بسوق من أسواق طرابلس مع بعض أصحابه من الأدباء ، وقد يخرج معهم إلى البساتين والأماكن النزهة ، يروّحون عن أنفسهم ويتطارحون الشعر والأدب . قال ابن عساكر ^(٢) : « حدث السابق وهو أبو اليمن محمد بن الخضر العربي قال : اجتمعت بأبي عبد الله ابن الخياط بطرابلس ، وكنت أنا وهو نجلس في دكان إنسان عطار نصراني يعرف بأبي الفضل ذكي محب للأدب ، نخرجنا يوماً إلى ظاهر البلد ، فاخترنا موضعاً جلسنا فيه على غدير هناك ، فقال أبو عبد الله للسابق : اعمل في هذا المعنى أحياناً عاجلاً ، فقال نعم ، فعمل ابن الخياط بهما ^(٣) :

أَوْ مَا تَرَى قَلَقَ الْقَدِيرِ كَأَنَّهُ يَبْدُو لَعِينِكَ مِنْهُ حَلِيٌّ مَنَاطِقِ
مَرْتَقٍ لَعَبِ الشُّعَاعِ بِمَائِهِ فَازْتَجَّ يَخْفُقُ مِثْلَ قَلْبِ الْعَاشِقِ
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ رَاعَكَ لَمَنَعُهُ وَعَلَّتْ طَرْفَكَ مِنْ سَرَابٍ صَادِقِ

ولم يفتح الله على السابق بيت ولا بلفظة ، فقال العطار : قد عملت بيتاً واحداً وهو :

(١) الديوان ص ١٢١ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٠٢/٢ (مخطوط) .

(٣) انظر الديوان ص ١٢٥ .

قَد كُنْتُ أَمَلُّ أَنْ أَجِيءَ مُصَدِّقًا حَتَّى رَأَيْتُكَ سَابِقًا لِّلسَّابِقِ

فاستحسننا ما أتى به وجعلناه من مآثور الأخبار . وكان السابق لا يحفظ من شعره بيتاً واحداً وأبو عبد الله بن الخياط يحفظ شعره منذ عمله إلى أن مات .
والمدة التي عاشها ابن الخياط في طرابلس تقدر بعشر سنوات من سنة ٤٧٦ إلى سنة ٤٨٦ تزيد أو تنقص قليلاً ، نجا فيها من الفقر ، ولكنه لم يبلغ ما يصبو إليه من الثراء ، على أن ما حاز من مال وعقار هناك لم يسلم من عن الدهر ، فقد احترقت داره في طرابلس وأتت النار عليها وعلى ما فيها من أثاث ومتاع ، وقد قال في ذلك قطعة منها قوله ^(١) :

قَد نَحَتَّ عَظْمِي خُطُوبٌ لَمْ تَرَلْ تَأْكُلُ الْأَحْرَارَ أَكَلًا مُمْنِعِنَا
وَأَتَنِي بَعْدَهَا نَازِلَةٌ أَنْزَلَتْ فِي سَاحَتِي أَلْمِحَنَا

وشعره الذي قاله في طرابلس فيه مقدار غير يسير من الشكوى من معاكسة الدهر له ومن تعذر المطالب .

وفي هذه المدة وفد من طرابلس على منير الدولة والي صور سنة ٤٨٤ ومدهه بقصيدة أنشده إياها بصور أولها ^(٢) :

إِذَا عَزَّ نَفْسِي عَنْ هَوَاكَ قُصُورُهَا فَتَلُّ النُّوَى يَقْضِي عَلَيَّ يَسِيرُهَا
وعاد إلى طرابلس ولم يمكث بها طويلاً وتركها وعاد إلى دمشق في حدود سنة ٤٨٦ ولسانه رطب بالثناء على بني عمَّار ، فقد كتب من دمشق بعد خروجه من طرابلس قصيدة إلى جلال الملك أولها ^(٣) :

لَنْ عَدَانِي زَمَانٌ عَنْ لِقَائِكُمْ لَمَّا عَدَانِي عَنْ تَذْكَارِ مَا سَلَفَا
ولما عاد ابن الخياط إلى دمشق كان ملكها يومئذ تاج الدولة تنش بن ألب أرسلان السلجوقي ، وكان وزيره هبة الله بن بديع الأصفهاني فصحه وكان

(٢) الديوان ص ١٣٣ .

(١) الديوان ص ٩١ .

(٣) الديوان ص ٣٨ .

أثيراً عنده ، قال ابن القيسراني ^(١) : « وَقَعَ هبة الله بن بديع أبو النجم لابن الخطيب بألف دينار وهو آخر شاعر في زماننا وقع له بألف دينار » .
وسافر معه سنة ٤٨٧ إلى الري وأنشده هناك قصيدة مدحه بها أولها ^(٢) :

أَيَايَنُ مَا سَلَطْتَ إِلَّا عَلَى ظَلَمِي وَيَا حُبُّ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي سِوَى الْوَهْمِ
ويقول وهو بالري مخاطباً هبة الله من أبيات ^(٣) :

وَمَا كَانَ لِي لَوْلَاكَ بِالرَّيِّ مَنْزِلٌ وَإِنْ شَقَقْتَ غَيْرِي وَتَيْمَ حُبُّهَا
ولم تطب له الإقامة فيها فتركها بعد أن هجا مستوفي أعمالها واسمه نخرآور
بأبيات نظرت فيها باستعمال كلمة فارسية وأول الأبيات ^(٤) :

قَوْلَا لِفَخْرَاوَرٍ قَوْلَ أَمْرِي فِي عَرْضِهِ عَاثَ فِي الرَّيِّ رَاثَ
وذهب من الري إلى خراسان وفيها يقول منشوقاً إلى دمشق وغوطتها ^(٥) :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً مُرَوِّحُنِي بِأَلْفِ نَوَاطِينِ نَسِيمٍ
ولم تطل مدة إقامته في بلاد المعجم بل عاد إلى دمشق ^(٦) سنة ٤٨٧ واتصل
فيها بالأمير حسان بن مسمار بن سنان أمير الكلبين ومدحه بقصيدتين
مطلع الأولى ^(٧) :

هِيَ الدِّيارُ قَمُجٌ فِي رَسْمِهَا الْعَارِي إِنْ كَانَ يُغْنِيكَ تَعْرِيجٌ عَلَى دَارِ
ومطلع الثانية ^(٨) :

مَتَى أَنَا طَاعِنٌ قَلْبَ الْفِجَاجِ وَرَامِي الْخَرَقِ بِأَلْقُلُصِ النَّوَاجِي

(١) سير أعلام النبلاء ١١٠/١٢ (مخطوط) . (٢) الديوان ص ١٤٥ .

(٣) الديوان ص ١٥٢ . (٤) الديوان ص ١٥٣ .

(٥) ريش : بالفارسية النحية . (٦) الديوان ص ١٥٣ .

(٧) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٧٠ من الديوان . (٨) الديوان ص ١٥٤ .

(٩) الديوان ص ١٦١ .

كما اتصل في السنة نفسها بعضب الدولة أبق أحد مقدمي أمراء دمشق ومدحه بالقصيدة المشهورة التي أولها ^(١) :

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَانًا لِقَلْبِهِ فَقَدْ كَاذَ رَبَّاهَا يَطِيرُ بِلَبِّهِ
وصحب عضب الدولة وخص به ومدحه بعدة قصائد وناداه على الشراب في مجالس
اللبو والأنس والطرب ، وكان يرتجل الشعر في وصف تلك المجالس وما يجري
فيها من اللهو . وطالت صحبته لعضب الدولة حتى فرق بينها الدهر بوفاة
عضب الدولة سنة ٥٠٢ فثأه بقصيدة لبست من جيد شعره أولها ^(٢) :

أَبْعَدَكَ أَتَقِي نُوبَ الزَّمَانِ أَبْعَدَكَ أُرْتَجِي دَرَكَ الْأَمَانِي
وبعد وفاة عضب الدولة اتصل بتاج الملوك أبي سعيد بوري بن ططشكين
صاحب دمشق ، وكان حينئذ ولياً لمهد أبيه ، وصحبه كما صحب عضب الدولة
ومدحه وكان يحضر مجالس لهو وشرا به ويصفها .

وصحب أيضاً الرئيس أبا الذؤاد المفرّج بن الحسن الصوفي رئيس دمشق ،
والوزير طاهر بن سعد المزدقاني ، وأبا اليمن سعيد بن علي التتوخي المعري متولي
الشرطة ^(٣) بدمشق ، وأبا بعل حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي رئيس
دمشق وصاحب التاريخ المعروف بذييل تاريخ دمشق . ومدحهم وأخذ جوائزهم
كما مدح غيرهم من القواد والوجوه والرؤساء .

وكان له عدد من الأولاد لا نعرف أسماءهم ، ولكن ورد في شعره
ما يدل على ذلك ، فقد كتب إلى ابن الصوفي رئيس دمشق قصيدة ذكر فيها
أنه ازداد عدد أولاده بمولود جديد قال ^(٤) :

.... غَيْرَ أَنِّي أَدْعُوكَ إِلَى يَوْمٍ بِهِ زَادَ فِي عِبِيدِكَ عَبْدٌ

(١) الديوان ص ١٧٠ .

(٢) الديوان ص ٢٢٣ .

(٣) ابن عساكر ٦٩/٢ والأعلاق الخطيرة ، ص ١١٤ و ص ٢٧٦ .

(٤) الديوان ص ٢٥٤ .

وَلَعَمْرِي مَا كَانَ يَخْرُجُ نَجْلٌ عَنْ قَبِيلِ أَبِيهِ فِيهِمْ يُعَدُّ
وَلَا نَتَ الْأَوَّلَى بِعَبْدِكَ مِنِّي كُلُّ مَوْلَى بَعْدِهِ مُسْتَبَدُّ

ومرض قبل وفاته مدة ٤ وكتب في مرضه سنة (٥١٧) إلى الرئيس
ابن القلانسي قصيدة هي آخر ما ورد في الديوان من شعره أولها ^(١) :

عسى بإخْلٍ بقاءٍ يحودُ صسى ماضى من تدانٍ يعودُ
ويقول فيها :

مرضتُ فهل من شفاءٍ يصابُ وهياتِ والداءَ طَرْفٌ وَجِيدُ
وياحبَّذا مرضي لو يكو نُ مُمْرِضِي اليومَ فيسنَّ يعودُ
وتوفي بدمشق في حادي عشر شهر رمضان سنة ٥١٧ سبع عشرة وخمسمائة ^(٢) .

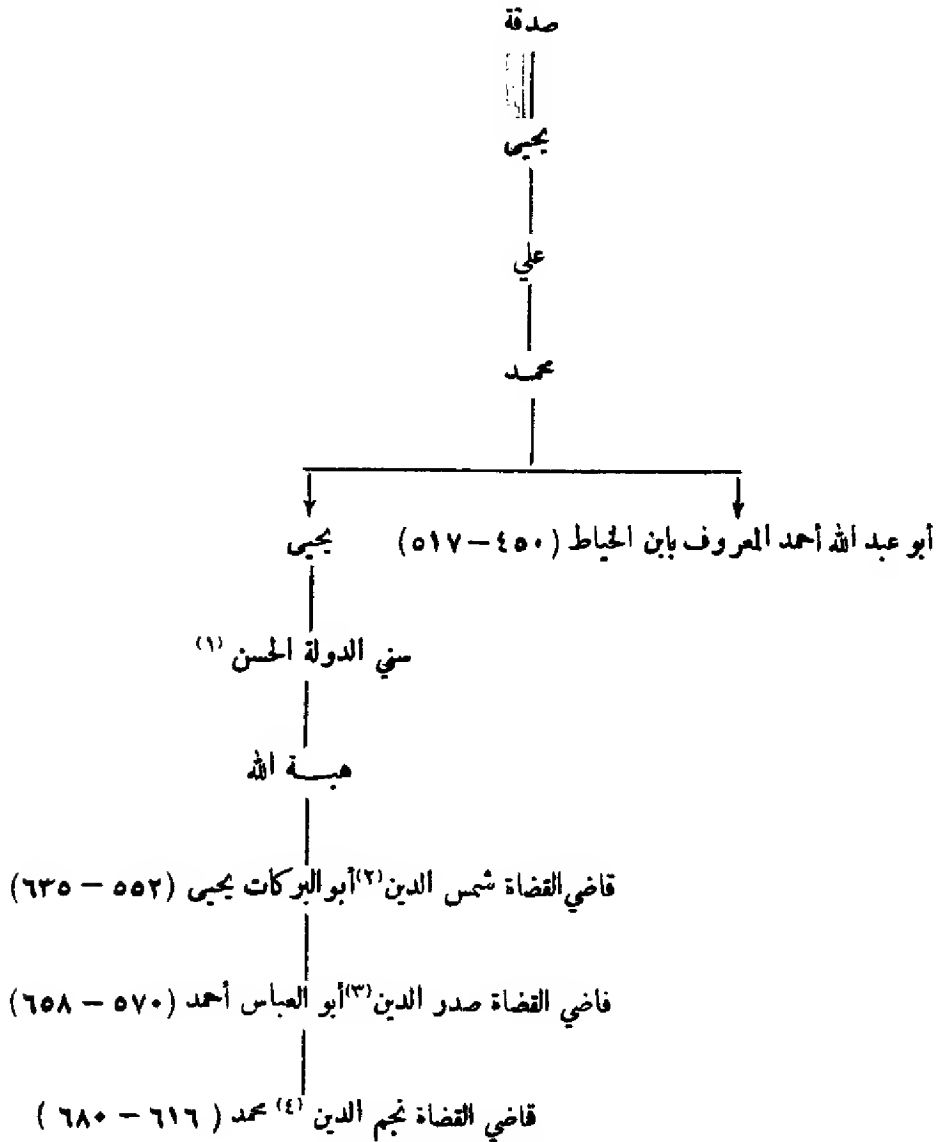
ولم تعين المقبرة التي دفن فيها ولعلها مقبرة الباب الصغير لقرنها من داره .

ولم يشتهر أحد من أولاده بعده ولا من أولادهم ؛ ولكن ذرية أخيه يحيى
اشتهر منها جماعة بالعلم والأدب والوجاهة عرفوا بأبناء سني الدولة ٤ ويظهر أن
يحيى هذا هاجر مع أخيه الشاعر إلى طرابلس وتديرها ٤ وولد له بها ابنه الحسن
الملقب بسني الدولة أبي الكتائب ٤ ورجع سني الدولة إلى دمشق و« تولى كتابة
الإشياء لصاحب دمشق قبل نور الدين الشهيد ٤ وكان له ثروة وحشمة ووقف
على ذريته أوقافا ٤ وهو ابن أخي أحمد بن محمد بن الخياط الشاعر المشهور ^(٣) »
وعرف أولاده ببني سني الدولة ٤ وتولى منهم غير واحد القضاء في دمشق
منهم القاضي شمس الدين وابنه القاضي صدر الدين وابنه القاضي نجم الدين ٤ كان
كل منهم قاضي القضاة في دمشق . وفيما يلي شجرة تبين نسب ابن الخياط وذرية أخيه :

(١) الديوان ص ٣٢٥ .

(٢) ابن خلكان ٥٧/١ .

(٣) المنهل الصافي لابن تقي بردي (مخطوط) بترجمة صدر الدين أحمد بن يحيى بن سني الدولة .



- (١) كان من كتاب الإنشاء لصاحب دمشق قبل نور الدين الشهيد . (المنهل الصافي بترجمة صدر الدين أحمد بن يحيى ابن سني الدولة) .
- (٢) طبقات الشافعية ١٥٠/٥ وقضاة دمشق ص ٦٨ وشذرات الذهب ١٧٧/٥ .
- (٣) قضاة دمشق ص ٧٠ وشذرات الذهب ٢٩١/٥ والمنهل الصافي .
- (٤) قضاة دمشق ص ٧٤ وشذرات الذهب ٣٦٧/٥ .

علمه وأدبه

نشأ ابن الخياط بدار صانع فقير ، بحبي من أحياء دمشق الجنوبية ، في فترة من الزمن شديدة الاضطراب في كل ناحية من نواحي الحياة ، لا يكاد الإنسان ينال فيها قوت يومه إلا بالجد والكد ، فلم يتيسر للشاعر الفتي أن يتلقى العلم والأدب عن المشايخ كما ينبغي ، بل كان يحفظ ما يطلع عليه ويختاره من الشعر الذي يعجبه وينسج على منواله ، وكانت دار ابن حيّوس شاعر الشام وقتئذ غير بعيدة من داره ، وهو أمير موصل ، فودّ ابن الخياط لو يكون مثله وبقي معجباً به طول حياته . ولكن ابن حيّوس هاجر من دمشق في أوائل سنة ٤٦٤^(١) قبل أن يتمكن ابن الخياط من الأخذ عنه ، وما يذكر في كتب التراجم من أن ابن حيّوس شيخ ابن الخياط بقصد به اجتماعها في حلب كاصياً في . وتزداد الحال سوءاً في دمشق فيضطّر ابن الخياط الى الخروج منها وهو ابن عشرين سنة ، تنقص أو تزيد قليلاً ، ولم يحفظ من شعره شيء قبل خروجه من دمشق إلى حماة حيث عمل كاتباً للأمير أبي الفوارس محمد بن مانك ، وكان لم يشتهر بعد بالشعر فعرف بابن الخياط الكاتب . وزار حلب غير مرة واجتمع هناك بابن حيّوس ، قال ابن خلكان^(٢) : « لما اجتمع ابن الخياط بأبي الفتيان ابن حيوس الشاعر المشهور بحلب وعرض عليه شعره قال : قد نعاني هذا الشاب الى نفسي ، فقلنا نشأ ذو صناعة ومهر فيها إلا كان دليلاً على موت الشيخ من أبناء جنسه » .

وتبدأ أخبار ثقافته وأخذه عن غيره من هذا التاريخ ، أي بعد بلوغه العشرين من عمره ، أما قبل ذلك فقد كان يأخذ نفسه يحفظ الشعر وأخبار الأدباء . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : « اجتمع ابن الخياط بحلب بالأمير أبي الفتيان

(١) ديوان ابن حيوس المقدمة ص ١٣ .

(٢) وفيات الأعيان ٥٦/١ .

ابن حَيَّوس ، وروى عنه وعن السابق محمد بن الخضر بن أبي مهزول المعري ،
وحسان بن الحباب ، وأبي نصر بن الخبسي ، وعبد الله بن أحمد بن الدوبدة .
وروى عنه أحمد بن محمد الطليلي ومحمد بن نصر القيسراني وتخرج به » .

وفي آخر مرة اجتمع بابن حَيَّوس وصله بذياب ودنانير ونصح له أن يقصد
بني عَمَّار بطرابلس ففعل . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : « قال أبو عبد الله
أحمد الطليلي : كان ابن الحياط أول ما دخل طرابلس وهو شاب ، بفشاني
في حلقتي وبشدني ما استكثره له فأتهمه ، لأنني كنت إذا سأله عن شيء
من الأدب لا يقوم به ؟ فويجته يوماً على قطعة عملها ، وقالت أنت لا تقوم
بغير ولا لغة ، فن أبن لك هذا الشعر ؟ فقام إلى زاوية ففكر ثم قال اسمع :

وفاضلٍ قال إذ أنشدته نُحْبَا
من بعض شعري وشعري كُلُّهُ نُحْبُ
لأنني عندك مما يستعين به
من شأنه معجزات النظم والخطب
فلا عَرُوضٌ ولا نَحْوٌ ولا لُغَةٌ
قل لي فن أبن هذا الفضل والأدب
فقلت قولَ أمري صَحَّتْ قريحته
إن القريحة علمٌ ليس يُكْتَسَبُ
ذوقِي عَرُوضِي ولفظي جُلَّةٌ لفتي
والنحو طبعي فهل يعتاقي سبب^(١)

فقلتُ حبك الله ، والله لا استعظمت لك بعدها عظيماً . ولزمني بعد ذلك
فأفاد من الأدب ما استقل به » حتى أن الطليلي نفسه روى عنه .

ولم يقتصر على حضور هذه الحلقة بل جعل يختلف أيضاً إلى دار العلم التي
أنشأها بنو عَمَّار في طرابلس وجهزوها بأنواع الكتب وبعتبر نفسه من تلامذتها
ويطالب بما يوزع عليهم من جراءة وهبات^(٢) .

(١) لم ترد هذه الآيات في الديوان لأن الديوان لم يشتمل على أكثر ما قاله ابن الحياط
في صباه على ما نرى .

(٢) انظر الديوان ص ١٢١ .

وأخذت* تزداد ثقافته الأدبية مع الزمن وساعده على ذلك سرعة حفظه وقوة ذاكرته ، قال ابن عساكر : « كان ابن الخطاي يحفظ أشعار المتقدمين وأخبارهم ، جالسه مرة عند جدي القاضي أبي الفضل وتفاوضنا في معان كثيرة وأجازني بجميع ما قاله من النظم والنثر سنة سبع وخمسةائة » (١) .

وصحبه في دمشق محمد بن نصر القيسراني الشاعر المشهور وكان فقي ناشئاً ولازمه وقرأ عليه الأدب وتخرج به (٢) وهو الذي جمع ديوانه ورتبه . واختار أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي مجلدة لطيفة من شعره وسميها منه . وكان لابن الخطاي نثر واشتهر به (الكاتب) قبل أن يشتهر به (الشاعر) وأجاز ابن عساكر برواية نظمته ونثره ، وكان يفتخر بنثره كما كان يفتخر بشعره - على قلة شعره في الفخر - وإلى ذلك يشير بقوله (٣) :

... مِمَّا تَنَحَّلَهُ وَحَصَلَ مَاهِرٌ فَضَلَ الْبَرِيَّةَ نَاثِرًا وَمُقَرَّرًا

ولكن لم يصل إلينا شيء من ذلك النثر .

على أن أثر الثقافة ضئيل في شعره ، فقد كان يعتمد على طبعه وذوقه أكثر مما يعتمد على ثقافته الأدبية التي اتسعت مع الزمن ، والناظر في شعره يجده يأخذ بالرخص ويستعمل الضرورات وبعضها أشبه بالخطأ واللحن ، ويصوغ ألفاظاً ويشتملها على سبيل القياس ولو لم تسمع . ومنبسطة ذلك عند الكلام على لغته .

صفته وأخلاقه

لم يكن أحد ممن ترجم لابن الخطاي بوصف هيئته ، ولولا جملة واحدة نقلها الذهبي في سير أعلام النبلاء عن العباد الكاتب لما علمنا شيئاً عنها قال : « . . . ومن كان ينظر إلى ابن الخطاي يعتقد جمالاً أو حملاً لبزته وشكله

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦٧/٢ .

(٢) ابن خلكان ٢١/٢ .

(٣) الديوان ص ٢٠٢ .

وعرضه» فقد كان إذن ضحياً عربضاً خشن المندام والهيئة واللبسة ، يلبس الغليظ الجافي من الكساء . وعرفنا من شعره أشكالا من الثياب التي كان يلبسها ، فقد كتب إلى أحد أصحابه يقنضيه فوطه يلبسها مع ثوب كان وصله به قوله من أبيات ص ٣١٧ :

قد وصل الثوبُ ولا عذرَ لي أن ألبسَ الثوبَ بلا فوطه
« والفوطه واحدة الفوط وهي ثياب تجلب من السند غلاظ قصار مخططة تتخذ مأزر يشترها الجمالون والأعراب والخدم فيأتزرونها » .
وكان يلبس على هذه الفوطه ثوباً ، وفوقه جبة من صوف أو خز إن تبسر ، قال ^(١) :

أسومُ الجِبابَ فلا خَرَّها أُطِيقُ أبتِباعاً ولا صوفها
وكيف السبيلُ إلى جُبَّةٍ لمن ليس يملك تصحيفها

وغني عن البيان أنه كان يرسل لحيته ، ويعتم بعمامة يكوثرها على رأسه . ولا بد من أن يكون استعاض عن نقشفه وخشونته بقسط من التنوق بعد أن ارتاش وحسنت حاله وصحب الأُمراء والوزراء والقواد والرؤساء ونادهم . ويظهر أنه كان قوياً جلدأ على السفر ومشاقه وركوب الخيل والجمال ، فقد وصف أسفاره وما كات تعانیه فيها الخيل والإبل . ولقد سافر في شبابه من دمشق إلى حماة وحلب وطرابلس وصور ، وعاد الى دمشق كهلاً ، ولم يكد يستقر بها حتى قصد بلاد العجم فدخل الري ومنها إلى خراسان ثم عاد الى دمشق . وفي ديوانه أبيات غير قليلة في وصف أسفاره ^(٢) .

(١) الديوان ص ٢٩٥ .

(٢) انظر الديوان ص ٤٥ و ص ٧٤ و ص ١٤٧ و ص ١٦١ و ص ٢٣٧

و ص ٢٥٦ .

وكان على ما يظهر ، مع سرعة خاطره وبداهته وارتجاله ، حلوا الحديث حسن المخاطرة ، فاصطفاه عليه القوم في طرابلس وفي دمشق ، فصحبهم وحضر مجالسهم الخاصة وناداهم على الشراب .

وكان يميل الى مخالطة الناس وملابستهم ، والترويح عن النفس والتفرج بالجلوس في الأسواق في أوقات فراغه عند بعض أصحابه ومع بعض أصحابه من الأدباء ، وقد يذهبون معاً الى بعض الأماكن النزهة والبساتين ، فقد ذكر عنه أنه كان يجلس في طرابلس^(١) في دكان عطار أدب ، وكان يجلس في دمشق بدكان الحسن^(٢) بن روبيل الأتبار الشاعر في سوق الأتبارين^(٣) بتناشدان الأشعار ، وكانت يلعب بالنرد^(٤) . ووصفه الصلاح الصقدي بالكذآء^(٥) .

وكان لما فاساه في حدائثه من الفقر والحرمات والغربة كثير الشكوى من الزمان وأهله ، وظل هذا ديدنه حتى بعد أن حسنت حاله ، قال من قصيدة وقد بلغ الأربعين من عمره يشكو المخارفة في العيش^(٦) :

وقد وسمتني الأربعون بمرّها وحالت بشيبي للشبيبة حالُ
فليت الذي أرجو من العمر بعدها يعطِبُ به عيشٌ ويمَنَعُ بالُ
يقولُ أناسٌ كيف يعجزك الغنى ومثلك يكفيه الفِعالُ مقالُ
وما عندهم أن السؤالَ مدَّةٌ وتقصُّ وما قدَّرُ الحياةُ سؤالُ

(١) انظر ص ٩ من المقدمة .

(٢) خريدة القصر ٢٦٢/١ وسماء الزمان ص ١٠٠ .

(٣) سوق الأتبارين بيساب الفرج (قرب الجامع الملق) ولم سوق آخر غربي البزورين . أسواق دمشق لبوسف بن عبد الهادي . الخزانة الترقية ١٢٨/٣ .

(٤) انظر الديوان ص ٢٨٤ .

(٥) الوافي بالوفيات في ترجمة ابن الحياط (مخطوط) .

(٦) الديوان ص ٢٩٠ .

ويظهر أنه كان لبن الجانب دمث الأخلاق بألف وبؤلف ، يدل على ذلك
خلو شعره من الفخر والمجاء إلا قليلاً جداً من الآيات في هذين المعنيين .
وفي قوله بماتب صديقاً له من آيات ^(١) :

وما هي إلا حُرْمَةٌ أو رعيّتها رعيّ فتى عن شكرها لا يُقَصِّرُ
كريمًا متى عاطيته كأسَ عشرةٍ تعلت من أخلاقه كيف فسكَرُ
ما يدل على ذلك .

ويقول ابن فضل الله العمري في مسالك الأَبصار : « كان ابن الخياط في
وقته من له القدر العلي ، والصدر الرحيب لفضله الجلي ، وهو دمشقي الدار ،
شقي الحظ بالثام لا بغلبة الأقدار ، هجي بما نبّه على جلالته ، ونوّه بقدر أصالته ،
وشبّه على حسوده فأكد له المدح بما يشبه الذم ، وأراد به النقص في حقه
وأراد الله خلافه فتم ، وتحيل في إخفاء مسكه المتضوّع وربحه قد نم » فلم يأبه
لمن هجاه من هؤلاء الحساد ومر بلغوهم من الكرام ، ولم يجب أحداً منهم لأنه
غير طعان ولا لعان ^(٢) .

خليل مردم بك

(يتبع)

(١) الديوان ص ١٢٤ .

(٢) هذا البحث مأخوذ من مقدمة ديوان ابن الخياط الذي هو الآن تحت الطبع
مع مطبوعات المجمع العلمي العربي بتحقيق الأستاذ الرئيس خليل مردم بك .

م (٢)

القومية وعواملها^(١)

تمهيد :

قبل الخوض في مواضيع القومية العربية لابد لنا من البحث في مدلولات كلمات كثيراً ما تتردد على الألسنة ، وزاها في الصحف وفي الكتب الاجتماعية والفلسفية والسياسية : كالوطن والوطنية ، والقوم والقومية والأقوامية ، والشعب والامة والأمة ، والدولة والدولية ، وغيرها من الكلمات التي يكون لبعضها معان لغوية ومعان اصطلاحية مختلفة ، ويكون للفلاسفة فيها آراء متعددة . ولنبدأ حديثنا بكلمتي الوطن والوطنية .

الوطن والوطنية :

فالوطن في لغتنا الضاربة المضمرة المنزل أي البيت الذي تقيم فيه . ولم تذكر معجمتا الاصلية لهذا اللفظ إلا هذا المعنى . وذكرت له أيضاً معاني مجازية : ففي «اللسان» الوطن المنزل تقيم به ، وهو موطن الإنسان ومحلّه ، والجمع أوطان . ومن المجاز : أوطان الغنم والبقر مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها . وفي «القاموس» : الوطن محرّكة وتسكن منزل الإقامة ومربط البقر والغنم . وشرح الزبيدي صاحب «التاج» جملة القاموس بقوله : الوطن منزل الإقامة من الإنسان ومحلّه ، وهو أيضاً مربوط البقر والغنم الذي تأوي إليه ، وهو مجاز .

(١) دُعي الأمير مصطفى الشاوي نائب رئيس المجمع الى إلقاء محاضرات في « القومية العربية » على طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة ، فتألف مما ألقاه وما سيقه كتاب سيطبه المهد في حينه . وقد رأت لجنة المجلة نشر هذه المحاضرة الأولى لما اهتمت عليه خاصة من ترميزات لغوية واصطلاحية لألفاظ كثيراً ما اختلف الكتاب في تحديد معانيها .

ولم يزد أصحاب المعجمات الحديثة كأقرب الموارد والبستان والنجد على ما ذكر .
ومن المعلوم أن لكلمة الوطن في كتب اللغة معاني أخرى لا صلة لها بما نحن بصدد
بحثه . والوطن والموطن مترادفات .

وللكلمة المذكورة معان اصطلاحية قديمة في الشرع الاسلامي ، فقد جاء في
كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي أن الوطن أنواع عند أهل الشرع :
الأول الوطن الأصلي ويسمى بالأهلي وبوطن الفطرة والقرار أيضاً ؛ وهو أن
يكون الوطن مولد المرء ومأهله ومنشأه . والثاني وطن الإقامة ويسمى أيضاً
بوطن السفر والوطن المستعار والحادث ، وهو ما خرج المرء اليه بنية الإقامة فيه
نصف شهر أو أكثر من غير أن يتخذ مسكناً . والثالث وطن السكنى
وهو ما ينوي الإقامة فيه أقل من نصف شهر .

أما في الاصطلاح الحديث ، وهو ما يهتفنا في بحثنا هذا ، فالوطن هو البلد
الذي ولد المرء فيه ، أو البلد الذي 'ينسب المرء اليه من حيث جنسيته أي
تابعيته . والبلد في اللغة ليس القرية أو المدينة التي ولد أو نشأ الإنسان فيها .
بل هو القطر كله ، أو بتعبير المعجمات جنس المكان ، كعصر والشام والعراق ؛
وعلى هذا يقال مثلاً مصر بلدي . أما مولد الإنسان ومسكنه (والأول يسمى
اليوم مسقط الرأس) فهو البلدة بالتاء . والبلدة في كتب اللغة الجزء المخصص
من البلد ، كالمدينة والقرية .

ومن الواضح أن الوطن في الاصطلاح الحديث هو البلد لا البلدة ولا المنزل ،
وذلك خلافاً لما جاء في المعجمات ، وخلافاً لما كان متعارفاً عند القدماء .
فابن الرومي مثلاً لم يشير الى أبعد من داره في أبياته الثلاثة الجميلة المشهورة وهي :

ولي وطن آليت ألا أبعه	وألا أرى غيري له الدهر مالكا
وحب أوطان الرجال اليهم	مأرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو	عهد الصبا فيها فحنوا لدالك

واللوطن معان مجازية حديثة : منها أن تكثر زراعة نبات ما في بلد من البلدان فيقال إنه وطنه . كقولنا مثلاً : جزيرة العرب وطن النخل . ومنها أن يجب الإنسان بلاداً غير بلده ، إما لأنه ارتاش وتأنل المال فيها ، أو لأن إقليمها موات له ، أو لغير ذلك من الأسباب ، فيقول إنها وطنه ، كقول أجنبي يجب مصر : مصر وطني .

ومنها أن يطلق المرء اسم الوطن على كل بلد أو بلدة يعيش فيها في خير . وهذا الاصطلاح قديم ، وله باللاتينية تعبير معروف وهو *Ubi bene, ibi patria* أي حيثما تكن في خير يكن وطنك .

ومنها أن يسمي الإنسان بلدته وطناً صغيراً ، وبلده وطناً ، وبلاد أمته وطناً كبيراً أو أكبر ، كقول العراقي الذي ولد ونشأ في بغداد : بغداد وطني الصغير ، والعراق وطني ، وبلاد الأمة العربية وطني الكبير أو الأكبر . والوطنية حب الوطن والعمل في خيره . وهي لغوياً مصدر صناعي مشتق حديثاً بزيادة ياء النسب والثناء على كلمة الوطن ، مثل قول القدماء عمروية وجاهلية وكيفية وكية وأشباها ، وقول المحدثين حمضية وقلوبية وعطرية وسمية وهلم جرا . ومن قرارات مجمع اللغة العربية اعتبار هذا الاشتقاق قياسياً .

واللوطني أي المنسوب الى الوطن ، في اصطلاحنا الحديث ، معنات : الأول صفة العمل الذي فيه خدمة للوطن ، كقول أحدهم لقد قمت اليوم بعمل وطني . والثاني صفة المرء الذي يجب وطنه ويعمل في خيره كقولنا هذا الوطني هو من رجال أمتنا المجاهدين .

وبما اصطلاحنا عليه حديثاً مصدر المواطنة للمشاركة في وطن واحد ، واسم الفاعل مواطن للمشاركة فيه . ولم ترد المواطنة بهذا المعنى في معجماتنا القديمة . ففيها : واطنه على الأمر أضمر فعله معه ، فان أراد معنى وافقه قال واطأ وهو مجاز . ومن المفيد إقرار المعنى الحديث للمواطنة . وهو عمل بأتية مجمع

اللغة العربية الذي من جملة أعماله تضمين بعض الكلمات معاني جديدة لشبوعها أو للحاجة اليها .

القوم والقومية :

القوم في اللغة الجماعة من الرجال والنساء جميعاً . وقوم كل رجل شيعته وعشيرته . والقوم بذكر ويؤنث مثل رهط ونفر وكل ما كان للآدميين من أسماء الجوع التي لا واحد لها .

ونحن في الاصطلاح الحديث نستعمل لفظة القوم بمعنى الأمة أي بمعنى الاصطلاح الحديث للأمة . وقد اشتقنا من القوم مصدراً صناعياً هو القومية . وكان من الواجب أن نشق من « الأمة » مصدراً كهذا المصدر وهو « الأُمِيَّة » ؛ ولكن لهذه الكلمة في اللغة معنى آخر مشهوراً وهو صفة الأُمِي الذي لا يقرأ ولا يكتب ؛ فخوف الالتباس يحملنا على العدول عن كلمة الأُمِيَّة الى كلمة القومية . وعلى هذا أخذنا نطلق الأمة والقوم على ما يسميه الأُعاجم Nation ، ونطلق القومية (لا الأُمِيَّة) على ما يسمونه Nationalité ، وكذلك على ما يسمونه Nationalisme ، وفي اعتبارنا أن الأمة والقوم شيء واحد في الاصطلاح العربي الحديث ؛ فعندما تعذر علينا النسب الى الأمة نسبنا الى ما اصطللحنا على أنه مرادف لها وهو القوم .

وتدل القومية في اصطلاح أباونا هذه على جملة أمور : الأول صفة مخصوصة بجماعة من البشر وهم الذين يتألف منهم قوم أي أمة . يقال مثلاً : من نزعات القومية أن تنتظم في دولة . والثاني جملة الصفات التي تتميز بها أمة من الأمم ، أو هو الأمة في حياتها الخاصة والشخصية ، كقولنا القومية العربية والقومية الألمانية وهكذا . والثالث حب الأمة التي ينتمي الانسان اليها ، وتفضيل خصائصها على خصائص غيرها . والقومية بهذا المعنى مذهب من المذاهب السياسية مخالف لمذهب يسمى الأفوامية أو الأُمِيَّة ، وهو مذهب المنكرين للقومية ،

الداعين الى حب البشرية دون تمييز أمة من أمة في ميولهم ونزعاتهم . وسترون ما في ذلك من ضرر على أمثالنا من الشعوب .

والقومي من دانَ بمذهب القومية . ونقيضه الأقوامي أو قل اللاقومي .

وفد تكون القومية نزعة بسيطة في النفس ؛ وقد تكون برنامجاً لحزب سياسي ، أو عقيدة في نفوس أبناء الأمة الواعية . ولا أعمال القوميين شكلان بارزان : الأول أن تكون الأمة غير مستقلة فيعمل القوميون على إبلاغها استقلالها التام . والثاني أن تكون الأمة مستقلة تماماً فيعملوا على مدافعة الأخطار عنها بشق الوسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ومن النزعات القومية في التاريخ الحديث نزعة شعوب الأمة العربية الى الظفر باستقلالها التام ، وكفاح الهند حتى ظفرت باستقلالها ، وكفاح ألمانيا لللاعلاقات من قيود معاهدة فرساي الخ . ومن الواضح أن الأقوامي أو اللاقومي لا يهتم بمثل هذه الأمور الوطنية مادام من مذهبه عدم الاعتراف بالأقوام ولا بأوطانها .

الأمة والشعب :

الأمة في مجملاتنا القرن من الناس . وهي الجيل والجنس من كل حي . وأمة كل نبي من أرسل اليهم . وكل قوم نُسبوا الى نبي فأضيفوا اليه فهم أمة . والأمة معانٍ أخرى .

أما في اصطلاح هذه الأيام فالتعريف المشهور للأمة هو أنها جماعة من الناس يقطنون بقعة من الأرض معلومة ، ولهم لغة واحدة في الأعم ، وأخلاق متشابهة ، وماض مشترك في الأجداد والآلام ، وحاضر مشترك في التفسير والمصالح . والشعب في اللغة القبيلة العظيمة ، أو ما كان أكبر من القبيلة ؛ ولذلك جاء في أساس البلاغة : « العرب شعوب » . وفي لسان العرب : « وكل جيل شعب » . والشعب في هذا المعنى يرادف الأمة لغوياً .

وهذا الترادف وارد أيضاً في الاصطلاح الحديث عندنا وعند بعض الأعاجم على السواء . فلكلمة الشعب عندنا ولكلمة Peuple عند الفرنسيين مثلاً أربعة معانٍ اصطلاحية : الأول الأمة في معناها الحديث ، يقال الشعب الألماني والشعب الإيطالي أي الأمة الألمانية والأمة الإيطالية . والثاني جماع سكان بلد كـ مصر ، وسكان مدينة كالقاهرة فيقال شعب مصر وشعب القاهرة . والثالث طبقة مخصوصة من الأمة ، وهي طبقة الكافة ، أي القسم الأكبر من سكان البلد ، خلافاً لطبقات أخرى كطبقات النبلاء والأثرياء والباشاوات وغيرهم من يستأثرون بالمرافق العامة ولا صيما في الحكومات الفاسدة . والرابع جزء من الأمة له كيان سيامي مثل قولنا شعب تونس وشعب العراق وشعب السودان أجزاء من الأمة العربية . وهذا الاصطلاح الأخير هو في نظرنا أهم الاصطلاحات الأربعة . فنحن في هذه المحاضرات لم نطلق كلمة الشعب إلا على معناها الرابع . ولم نستعملها قط مرادفة لكلمة الأمة . فالأمة العربية عندنا هي جماع الشعوب العربية . وسكان سورية وتونس واليمن مثلاً ليسوا أمماً بل شعوباً من أمة واحدة هي الأمة العربية ، ولهم قومية واحدة هي القومية العربية .

الدولة :

ليس للدولة في مجملاتنا الأصلية المعنى المعروف في زماننا هذا . فالدولة فيها انقلاب الزمان من حال البؤس والضر إلى حال الغبطة والسرور . والدولة أيضاً العبء في المال ، أي النوبة والبدل . وأطلق المولدون القدماء الدولة على الملك ووزرائه .

أما في الاصطلاح الحديث فالدولة جماعة مستقلون يعيشون دائماً في أرض لهم معلومة ، ويخضعون لسلطة نُظمت لكي تضمن للفرد وللجماعة حريتهم وممارسة حقوقهم . ويتضح من هذا التعريف أن قوام الدولة الأول وجود فرقة من الناس كبيرة يستطيع أفرادها أن يعيشوا بما يكسبون ، والثاني أن يكون

هؤلاء الناس متمتعين بعيشة حرة مستقلة ، والثالث أن يكونوا خاضعين بل إرادتهم لسلطة عليا منظمة مهمتها الإشراف على شؤونهم . والرابع أن يكونوا قاطنين أرضاً لهم معروفة وكافية لضمان استقلالهم وضمان ثباتهم مجتمعين في تلك الأرض . فكل جماعة من البشر استوى لها جماع هذه الأمور هي دولة . والدولة غير الأمة على ما هو واضح في نية هذا البحث .

علاقة الأمة بالدولة :

من مبادئ القوميين جعل بلادهم وطناً واحداً تضم أبناء دولة قومية واحدة . ولكن ذلك لا يتيسر لهم دائماً ، فالقوة والتسلط الاستعماري ومطامع بعض الدول كثيراً ما تحول دون رغبات القوميين . وهما كم بعض الأشكال التي تبدو لنا في علاقة الأمة بالدولة .

الشكل الأول : هو الشكل الطبيعي الذي تنوق القوميات الى تحقيقه ، وهو كما قلنا أن يكون للأمة دولة واحدة مستقلة تشمل سلطتها جميع الأراضي التي يتألف منها وطن تلك الأمة . وفي هذا الشكل تختلط الأمة بالدولة . ومن الأمثلة عليه فنلندة والسويد وغيرهما .

الشكل الثاني : هو أن يكون للأمة الواحدة أكثر من دولة واحدة مستقلة ، فتعمل القومية على ضم شتات الأمة في دولة موحدة أو في دولة اتحادية . مثال ذلك في الماضي ما كانت عليه ألمانية وإيطالية قبل أن تتحد أجزاء كل منهما ، ومثال ذلك في الحاضر سعي القوميين العرب الى توحيد بعض الدول العربية المستقلة ، وهو ما سنبحث فيه في محاضراتنا التالية . ومن الواضح أن في هذا الشكل يكون لأبناء كل دولة من دول الأمة الواحدة وطن خاص ووطنية خاصة ، ولكنه يكون لجلتهم أي لأبناء الأمة جميعاً وطن عام يشمل تلك الأوطان المنفصل بعضها عن بعض . فالقومي العربي السوري مثلاً بعد سورية

وطنه الخاص ، وبعد مصر جزءاً من وطنه الكبير ، وبمحمل على توحيدهما بطرائق شتى ^(١) .

الشكل الثالث : قد تكون الأمة عرضة للتسلط السيامي أو للتسلط الاستعماري فتسعى جاهدة للتفلت من يراثن المتسلطين . فالأمة البولونية مثلاً كانت قبل الحرب العالمية الأولى تابعة لثلاث دول كبيرة ، على حين أن أبناءها ما انفكوا محتفظين بلغتهم وبقوميتهم الى أن تمكنوا من ضم شملهم في دولة مستقلة واحدة . وشبهه بذلك كان وضع اليونان وبلغارية ورومانية عندما كانت تابعة للدولة العثمانية . وشبهه بذلك أيضاً ما كانت عليه بعض الأقطار العربية بالنسبة الى تلك الدولة . ففي جميع هذه الحالات تعدّ الدولة المسلطة أفراد الأمة المغلوبة على أسرها من رعاياها ، أي تعدم جزءاً من أبناء دولتها ، ولا تعترف لهم بكيان قومي مستقل عن كيانها . أما هم فنزع عنهم القومية فيحملهم على مقاومة هذا التسلط ، وعلى بذل الجهد للظفر بالاستقلال ، وللانتظام في دولة قومية واحدة .

ويدرز من حديثنا هذا الفرق بين الأمة والدولة ، وصلة الواحدة بالثانية . فرب دولة تكون مؤلفة من أمم شتى : كما كانت الدولة العثمانية والدولة النمساوية المجرية في الماضي ، وكما هي الدولة السويسرية في الحاضر . ورب أمة تسلط عليها المتسلطون فغالوا دون تأليفها لدولة قومية مستقلة ، كالدول التي ألمت اليها . ولم تكن نظرة القدماء الى صلة الدولة بالأمة شبيهة بنظرة المحدثين اليها . فقبل القرن التاسع عشر من الميلاد ولا سيما في القرون الوسطى كان الوطن والدولة شيئاً واحداً في البلاد الأوروبية وفي كثير من البلاد الأخرى ، وكان الإخلاص للملك أو للأمير هو الإخلاص للبلاد التي لها سلطان عليها ، ورب أرض كان يدخلها الملك في ملكه فتصبح جزءاً من وطن رعيته ، كما يصبح ^(١) كتبت هذه المحاضرة قبل أن تتألف الدولة العربية المتحدة من مصر وسورية .

سكانها جزءاً من تلك الرعية ، دون أن يكون في نفوس الجماعات نزعة الى الحياة المشتركة في وطن شامل وأمة واحدة .

وعندما زالت عقيدة الناس بأن الملوك إنما يحكمون الشعوب ويهيمنون على شؤونها بسلطة أمدهم الله بها ، تبدلت نظرة الجماعة الى الملوك ، وتولدت فيها نزعة القومية القائلة بأن على الإنسان أن يجعل حب وطنه وحب قومه المقام الأول في قلبه .

ولقد ذكرت أن الوطن في معجمتنا العربية المنزل الذي يقيم المرء فيه . فالوطنية أي محبة الوطن تبدأ في ذلك المنزل أي في ذلك الوطن الخاص الصغير حيث الأهل والأقربون ، ثم تتعداه الى البلدة حيث يكون للإنسان سيفه طفولته وفي شبابه صلات شتى بسكانها ، وحنين الى ما ألفه فيها من أرض وجو ومماء .

وليس حب الإنسان للقطر الذي يتألف منه وطنه ، والأقطار التي يتألف منها وطنه الكبير ، إلا امتداداً لحب وطنه الصغير وهو مولده . ومنشأه . لكن حب الإنسان لمولده ينشأ عن عوامل معظمها مادية ، أما حبه لوطنه في معناه الاصطلاحي الحديث فهو ينشأ عن عوامل معظمها معنوية وروحية ، فما هي العوامل التي تعمل في نشوء القوميات عند الأمم ؟

عوامل القومية :

اختلف علماء الاجتماع والفلاسفة وسائر المفكرين في حصر عوامل القومية ، أو قل مقومات القومية . أهى البلد أي أرض الوطن ، أم العرق أو قل السلالة ، أم اللغة ، أم العناصر السياسية والاقتصادية ، أم التأريخ المشترك ، أم الدين ، أم الإرادة المشتركة . أم هي كلها أو بعضها ؟

واختلفوا خصوصاً في مدى تأثير كل عنصر من هذه العناصر في تكوين الأمم وانفصال بعضها عن بعض أو تمييز بعضها من بعض .

أرض الوطن :

لعل أول ما يتبادر الى ذهن الإنسان أنه لا بد لكل أمة من بلد تعيش فيه ،
وتختص به ، وتغذيه وطناً لها . وليس في مقدورنا أن نتصور وجود أمة لا تملك
رقعة من الأرض تثبت بها ، وتجعلها رمزاً لتعلق أفراد الأمة بعضهم ببعض ؛
فهذا الكائن المادي عنصر لا غنى عنه لكل أمة تريد أن يكون لها كيان
خاص في المجتمعات البشرية . ولكن هذا العنصر المهم ليس أهم العناصر التي
تقوم عليها القوميات ، على ما سيحيي ذكره . ومما يمكن من أمر فالحدود الطبيعية
من جبال وأنهار وبحار عوامل أثرت في جميع الناس بمقدار ما أثرت في تفريق
بعضهم عن بعض . ومن المعلوم أنه لم تبق قيمة لهذه العوامل في انتشار
وسائل الاتصال في أيامنا هذه ، غير أن اتصال أراضي الوطن يكون أدعى
الى ترابط أبنائه ، كما يكون انفصال تلك الأراضي أدعى الى تباعدهم على
كر السنين . فالإنكليز في أستراليا وزبلنده الجديدة مثلاً أصبح لهم وطن خاص
وقومية خاصة ؛ وكذلك الإسبان في الأرجنتين ، والبرتغاليون في البرازيل ،
وذلك لبعده الشقة بين مواطنهم القديمة ومواطنهم الجديدة ، يضاف اليه عوامل
أخرى كهجرة أناس من أقوام مختلفة ، وكتولد أجيال من الخلاسين .
والخلاصة أن فكرة الأرض المشتركة لا تكفي وحدها لتفسير تكوين الأمة ،
وإن تكن من مقوماتها المهمة .

وحدة العرق :

وما يتبادر الى الذهن أيضاً أن الأمة قد تركز على وحدة العرق في
أفرادها ، ولكن العرق (ويسمى السلالة أو العنصر أو الرّس) شيء غامض
في علم الإنسان وعلم السلالات البشرية . وقد تضاربت آراء العلماء في تحديد
هذه العروق وفي تصنيفها عموماً حتى إن اختلاف الآراء في هذا الموضوع يوقع

المرء في حيرة ؛ ومن المعلوم أن بعض الاستعماريين يزعمون أن عروق البشر تتفاوت في مداركها وعقولها وقابلياتها ، وأن هنالك سلالات عليا وسلالات دنيا ، وأن في وسع شعب منسوب الى الأولى أن يحكم شعباً منسوباً الى الثانية ، وأن في وسعه أيضاً أن يقرضه ويقوم مقامه . وقد حاضرتُ رفاةكم في هذا الموضوع أي موضوع العنصرية منذ سنتين فاستغرق كلامي عليه اثنتين وثلاثين صفحة من الجزء الأول من كتاب الاستعمار فليراجعه من يشاء منكم .

والذي يهنا قوله في هذا المقام أن العرق شيء والأمة شيء آخر ، وأن العرقية أو قل العنصرية غير القومية ، وأن عروق البشر الصافية قد انقرضت منذ أزمان واغلة في القدم ، وأنه لا يوجد اليوم في أوربة دولة كبيرة سكانها ينسبون الى سلالة واحدة من سلالات البشر . فالإنكليز مثلاً ينسبون الى السلتيين والترمنديين والجرمانيين (الإنكليز السكسونيين) ، ومن الصعب القول بأن إنكليز أيامنا هذه هم جرمانيون نجس ، أي بأنهم آريون فيهم المزابا التي بلصقها عباد الآرية بهذا العرق ، تمييزاً لهم من سائر البشر ، لغاية التسلط والاستعمار .

ومما هو معروف أن الألمان هم أشد الأقوام تعصباً لنظرية العنصرية ، ومع هذا فإن في ألمانية جرمانيين شقراً طوال الرؤوس والأجسام ، وفيها من أنسال الرومانيين ، ومن الفرنسيين الذين كانوا التجأوا اليها ، ومن الصقالبة المتجنسين بالجنسية الألمانية ، وفيها عدد كبير من المهجنين الذين تولدوا من أفراد هذه الأقوام أو السلالات . فالادعاء بأن الأمة الألمانية مثال نقاء العرق الآري شيء لا يستند الى دليل علمي . ومع هذا فالأمة الألمانية من أشد الأمم تعلقاً بوحدتها وبأهدافها القومية .

وفرنسة تُعد أمة لها صفات الأمة الواحدة كالطبائع والأمزجة والعادات والميول المتقاربة . ولكن هذه الأمة مؤلفة من سلالات عديدة كالليغوريين

والرومانيين والسلافيين والجرمانيين والترمنديين وغيرهم . فجميع هذه السلالات أو الأقوام المنسوبة الى سلالات مختلفة قد احتلت فرنسا أو جزءاً منها في زمن من الأزمان ، وتناسلت فيها ، واستقرت زمناً ، ولم تنشأ منها سلالة جديدة ، ومع ذلك نشأت الأمة الفرنسية من هذا المجموع المختلف .

ويبين من هذه الأمثلة أن وحدة العرق تكاد تكون مفقودة في معظم أمم الأرض . ولكن قد يسود عرق من العروق بين أفراد إحدى الأمم فيكون عاملاً معنوياً في تساند هؤلاء الأفراد ، وفي انتظامهم أمة مستقلة عن غيرها من الأمم .

عامل السياسة والاقتصاد :

لا بد للشؤون السياسية والاقتصادية من أن يكون لها تأثير في نمو فكرة الحياة القومية . يقول بعض الكتاب : إن فتوحات روما هي التي وَحَّدت بلاد الغال ، وأوجدت فيها أول شعور بوحدتها المعنوية ، ويقولون : إن ملوك فرنسا هم الذين خلقوا فرنسا . وبمثل هذه الأقوال يجعلون للأنظمة السياسية وللأمر الحاكمة مكاناً مرموقاً في خلق الشعور بالحياة القومية المشتركة .

ولكن كتاباً آخرين يذكرون أمثالا عديدة لأمر حكمت رقعا صغيرة من أرض شعب واحد فخالت دون انتظام هذا الشعب في دولة واحدة ، أو حالت دون شعوره بأن له هو ومجاوريه كياناً قومياً مشتركاً . وتأريخ القرون الوسطى خاصة مليء بهذه الأمثال في أوروبا وفي غيرها .

والأمر الحاكمة أياً كانت قد تكون عنواناً للحياة الاجتماعية في زمن من الأزمان ، ولكنها لا تكون أصلاً لتلك الحياة . فقد يتعلق أحد الأقوام بأسرة حاكمة ويتخذها شبه رمز لقوميته ، وقد تفرض إحدى الأمور حكمها على شعب وتدعي أنها رمز لسيادته . ولكن الرمز في الحالين شيء والأصول التي تقوم عليها السيادة الحقيقية شيء آخر . فأصول السيادة الحقيقية لا نجد لها

إلا في القومية أي في جماع القوى الروحية السائدة في الأمة . ولذلك لا يكاد يحصل نزاع بين تلك القوى ونزوات الأمر الحاكمة (كما حصل سيفي الثورة الفرنسية ، وكما حصل أخيراً في الثورة المصرية) حتى تنفصل النزعة القومية عن الأمرة الحاكمة ، وحتى تعاديا وتقتضي على حكمها عاجلاً أو آجلاً .

ولبست كل دولة وطناً ، على ما هو معلوم . فالأجزاء غير العربية من الدولة العثمانية لم تكن وطناً لنا عندما كنا تابعين لتلك الدولة . ولم يكن الألباني ولا البلغاري ولا اليوناني يفكرون في أن الشام أو العراق أو الحجاز كانت أجزاء من أوطانهم . وهذا دليل على أنه قد يكون هناك اشتراك في الحكومة وفي الأنظمة من دون أن تتكوّن من المشتركين فيها أمة واحدة حقيقية .

أما الاشتراك في المصالح الاقتصادية فهو يكون ذا تأثير في نموّ الفكرة القومية على قدر الشعور بضرورة ذلك الاشتراك . فإذا فقد الشعور به تصبح المصالح الاقتصادية عامل تفريق بين أفراد الأمة الواحدة لا عامل توحيد . فالاتحاد الجرماني في تاريخ ألمانيا الحديث (Zollverein) كان عاملاً سبق وحدة المانية السياسية في القرن الماضي ، ومهد السبيل أمام تلك الوحدة . ونحن نشعر مع غرنا التجارية والصناعية والزراعية التي عقدت مؤتمرها منذ ثلاثة أشهر في القاهرة أن إزالة الحواجز الجرمانية بين الأقطار العربية عامل من عوامل توحيد تلك الأقطار سياسياً ، ولذلك تروننا ننشئ بهذا الطلب على الرغم مما قد يكون فيه من التضارب في مصالح الأفراد ومصالح خزانات الدول العربية .

وفي الحقيقة ما من دولة أو أمة إلا فيها مدن أو كور تعارض مصالحها الاقتصادية مصالح مدن أو كور أخرى . ولا بد لكل دولة أو أمة من تضحية منافع بعض الأفراد والجماعات في سبيل المصلحة العليا لتلك الدولة أو لتلك الأمة .

عامل الدين :

من المعلوم أن الاشتراك في الدين يعد رابطة قوية تشد المؤمنين به بعضهم الى بعض . والاديان من حيث مبدأ القومية قسمان قسم يختص به قوم أو شعب أو جماعة ، وقسم يدين به الناس من مختلف الأقوام والشعوب . فالقسم الأول كاليهودية وكمباداة بعض الأوثان يولد في أصحابه نزعة خاصة تنضم الى النزعة القومية أو الجماعية ، فيزداد بها ترابطهم وتساندهم ، ويكون الدين عندهم ديناً قومياً ، ويكون في كيانهما عاملاً قوياً قد يضاهي عامل اللغة المشتركة والتأريخ المشترك .

أما القسم الثاني كالإسلام والنصرانية فهو أيضاً يولد في من يدينون به نزعة تساند قوية ، ولكنه يتجاوز النزعة القومية ، الى نزعة دينية شاملة لأقوام شتى .

ولقد كانت الأديان في التأريخ ، أي قبل نشوء مبدأ القوميات حديثاً ، أهم صلة روحية بين أبناء البشر ؛ ولكننا نرى في أيامنا هذه أن رابطة القومية قد تفوقت على رابطة الدين لدى كثير من الأقوام التي تدين بدين واحد . ومعها يمكن مبلغ هذا التفوق فسيظل للتعاطف الديني مكان مرموق في صلات الأقوام المختلفة بعضها ببعض . وسنرى في محاضراتنا التالية تأثير الإسلام العظيم في انتشار أمتنا وفي نشر ثقافتنا العربية في الأقوام الإسلامية المختلفة . وسنرى أيضاً كيف أن التساند الديني بين العربي والأعجمي لا يجوز أن يتجاوز الحد الذي في تجاوزه إضرار بالوطن العربي وبالأمة العربية .

عامل اللغة :

يرى بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع ، ولا سيما الفرنسيين منهم ، أن وحدة اللغة عنصر مهم من عناصر الوحدة القومية . ولكنهم يقولون إن هذا العامل ليس كافياً ولا ضرورياً لخلق الأمة .

وبمثلون في إثبات رأيهم هذا بأمتي الولايات المتحدة الأميركية وانكثرة
فان لها لغة واحدة على حين أنها ليستا أمة واحدة ، وذلك خلافاً للأمة
السويسرية فهي أمة لها ثلاث لغات أو أربع .

وأصحاب هذا الرأي هم الذين لا يبنون بناء الأمة إلا على الفكرة المثالية
أي على الاشتراك في الذكريات وعلى ارادة الجماعة في أن تكون أمة مستقلة
عن الأمم الأخرى .

ويرى آخرون - ونحن على رأيهم - أن الاشتراك في اللغة هو أكبر عامل
يولد في نفوس الناس ارادة الانتظام في أمة واحدة . ولذلك لا يطل ثمة مجال
لنقليل شأن اللغات في تكوين القوميات . فما لاشك فيه أن اللغة هي أقوى
رابط معنوي بين الأفراد لأنها وسيلة تفاهمهم ، ولأنها أيضاً وسيلة نقل تراث
الأجداد الثقافي الى الأحفاد . ومتى تفاهم الأفراد بلغة واحدة اتحدوا في
تفكيرهم ، ونشأ فيهم شعور من التعاطف قلما ينشأ مثله في أفراد يتكلمون
لغات أجنبية ، وهذا التعاطف عامل عظيم في جعل المتكلمين بلغة واحدة يتميزون
من غيرهم وبؤلفون أمة واحدة منفصلة عن غيرها من أمم الأرض . وإذا فقدت
احدى الأمم لغتها ، وجعل أفرادها يتكلمون بلغة جديدة ، سرعان ما يفقدون
قوميتهم ، ويندججون في الأمة التي تتكلم بثلث اللغة الجديدة . ولذلك نرى
الدول الاستعمارية تعمل جاهدة على إضعاف لغات المستعمرات ، أو على قتلها ،
ونرى تلك الدول تبذل جهدها في تعليم لغاتها وبث ثقافتها ، لما لذلك من
تأثير كبير ، سواء في وأد الروح الوطني في نفوس أبناء المستعمرة ، أم في
خلق شعور بالرضى عن أفاعيل الدول الاستعمارية ، وعمما تقترفه من آثام في
المستعمرات والمحميات .

ورب أمة تسلط عليها قوم أجنبي ، وحكمها سنين عديدة ، فلبثت محتفظة
بلغتها ، فوهاها تشبها بلسانها عادية الاضمحلال ، حتى اذا استعادت وواتاها الزمن

القلب ، استردت ما فقدت من استقلال وسيادة ، فكأن اللغة سبباً في عودتها الى الحياة الحرة الكريمة .

وبتضح من هذه الالمامة ، أن اللغة أهم جزء في جسم الأمة ، وأنها أكبر عامل في تكوّن الأمة وفي بقائها حية على هذه الأرض ، وأنه لا حياة لأمة تحمل لغتها وتدع غيرها من اللغات تتغلب عليها . وسنرى في محاضراتنا التالية مبلغ ما للغتنا الضادية المضربة من أثر كبير في كيان أمتنا العربية .

الفكرة المثالية :

من رأي أصحاب هذه الفكرة أن الأمة في أيامنا هذه لا تتركز على العرق ، ولا على الدين ، ولا على الحدود الطبيعية للوطن ، ولا على العناصر السياسية والاقتصادية ، حتى ولا على اللغة . فهم يرون أن هذه المقومات الواقعية أو المادية لا تكون أصل الوحدة القومية ، وإنما أصل تلك الوحدة هو الفكرة المثالية . فقوام الأمة الجوهرى عندهم عوامل روحية أو قل روح مشتركة ؛ ولهذا الروح دعمان : الأولى اشتراك أفراد الأمة في ذكريات التاريخ من مجد وألم ، والثانية إرادة هؤلاء الأفراد أن بدوم هذا الاشتراك في الحاضر وفي المستقبل . ولربنان الفرنسي محاضرة مشهورة في هذا الموضوع . ومما جاء فيها أن الأمة تتألف من شبتين : الأولى في الماضي ، والثاني في الحاضر ، وهما في الحقيقة شيء واحد . فالأول أن يكون لأفراد الأمة تراث كبير مشترك من الذكريات ، والثاني أن يكونوا راضين بمحاضرم ، وراغبين في العيشة المشتركة ، ومربدين المثابرة على تقدير قيمة الإرث المشاع الذي انتقل اليهم من أسلافهم ؛ وهو ينتهي الى القول بأن الأمة تضامن عظيم يحصل من الشعور بالتضحيات الماضية ، ومن الشعور بالتضحيات التي في النية القيام بها .

تأثير الاشتراك في التاريخ :

يتضح من رأي أصحاب الفكرة المثالية أن إحدى دعائم القومية عندهم الاحتفاظ بالقيم الروحية التي انتقلت الى الأمة من التاريخ أي من ماضيها المشترك .
 وما لا يقبل الجدل أن لشعور الأفراد بوحدة التاريخ أثراً كبيراً في حياة الأمة .
 ولكن التاريخ السيامي لأمة من الأمم فلما يكون واحداً طيلة أزمان طويلة .
 وهو لا يكون مشرقاً دائماً . ولذلك قال أحد الكتاب المفكرين : من واجبات كل أمة نسيان جزء من تاريخها . وقال آخر : لا يجوز في الوطنية الاكتفاء بالرجوع الى الماضي وحده ، بل يجب الاهتمام خاصة بتوجيه الوطنية الى المستقبل . فالأغلاط التي سحّلتنا الأجداد عبء إصلاحها تكاد تعادل أفعالهم الحسنة التي تركوها لنا أمثلةً نتخذى . وليس الحرص على مستقبل صالح جديد بأقل وطنية من الإخلاص لعبادة الماضي .

وينتج عن هذا الرأي في مدى تأثير التاريخ المشترك أن بعض أصحاب الفكرة المثالية يغفلون إرادة التعايش والعمل المشترك ، على التعلق بماضي الأمة ، ويعملون لهذه الإرادة المقام الأول في بناء الأمة . وعلى هذا يصبح الأساس الأول والنهائي الذي 'نبني' الأمة عليه هو مبدأ القوميات ، أو قل حق الشعوب بتقرير مصيرها ، أيًا كان ماضيها .

ومما يقلل أصحاب هذا الرأي من شأن الاشتراك في التاريخ ، بظل القسم المشرق من تاريخ الأمة عاملاً أصاحياً في تكوين الشعور القومي فيها ، ذلك بأن من المؤثرات الفعالة في النفوس نذكر ماضي الأمة من أثر حميد في الثقافة والمدنية ، وما لرجالاتها من بطولة ، وما حفظت الأيام لها من قصص وأساطير ، وما خلقت لها من عادات وتقاليد .

والأمة الحية هي التي تهمل في تفكيرها (لا في دراسة التاريخ) النواحي المظلمة من تاريخها ، وتنشئ بنواحيه المشرقة ، فتكون تلك النواحي المشرقة عاملاً كبيراً من عوامل شعورها بوحدها .

الخلاصة :

بلخص كلامنا على العوامل التي تؤثر في نشوء القوميات بأن هذه العوامل قسمان : قسم مثالي أو روحي ، وهو أن يكون عند أفراد الأمة شعور بكيانهم المشترك ، وإدراك جماعي له ، وإرادة تحفزهم على العيش عبثة مشتركة في أمة واحدة .

وقسم واقعي أو مادي . وهو أن يكون لهذه الروح المشتركة جسم ترتكز عليه ، وهذا الجسم هو جملة العوامل الواقعية أو المادية التي ألمتُ اليها كالأشترك في اللغة وفي التاريخ وفي الأرض وفي السلالة وفي الدين وفي المصالح ، الى آخر تلك العوامل التي لكل منها تأثير كبير أو صغير في تكوين الأمم على اختلافها .

ولا شك في أن أم بواعث القسم الأول ، أي أم ما يولد الروح المشتركة في نفوس الأفراد إنما هو اشتراكهم في اللغة وفي الذكريات التاريخية . والذي يهملنا ذكره فيما يتعلق بقوميتنا العربية أنها من حيث الفكرة المثالية تقوم - كغيرها من القوميات - على الشعور والإيمان بأن العرب في جميع أقطارهم أمة واحدة ، وعلى إرادة السعي لتحقيق الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه الأمة . (وسنتكلم على هذه الأهداف) .

أما العوامل الواقعية التي ترتكز عليها قوميتنا العربية ، أي بواعث الفكرة المثالية ، فأهمها عاملان : الأول اللغة العربية الفصحى ، فهي التي تولد فينا ذلك

الشعور القومي المشترك بالتعاطف والتساند بين أبناء الناطقين بالضاد على مختلف شعوبهم وأقطارهم ، وهي التي تولد فينا تلك الإرادة أو النزعة المشتركة التي تحدونا على اعتبار هذه الشعوب أمة عربية واحدة ، واعتبار أقطارنا وطنًا مشتركًا واحدًا هو الوطن العربي الأكبر لتلك الأمة .

وأما العامل الثاني فهو تأريخنا المشترك . فالقسم المشرق من تاريخ أمتنا العربية عامل أساسي في تكوين النزعة القومية فينا ، ذلك بأن من المؤثرات الفعالة في نفوسنا تذكر ماضينا أمتنا من أثر حميد في الثقافة والمدنية ، وما كان لرجالنا من بطولة ، وما حفظت الأيام لنا من تراث علمي وأدبي عظيم ، وما خلفت لنا من قيم روحية لا كفء لها .

وبعد ، إن القومية إثمار لا أثره ، وتضحية لا جر مفعم ، وعقيدة في سويدها القلب لا شقشقة على عذبة اللسان . وبأوجب أمة لا تؤمن بقوميتها ، ولا تقبل التضحية في سبيلها ، ولا تعرف كيف تضمن لنفسها عناصر الحياة من علم وثقافة واقتصاد وقدرة على حكم نفسها بنفسها ، وعلى مدافعة العدوان عن وطنها . فأمة كهذه الأمة لا مكان لها ولا استقلال في عصر القوميات وفي معترك الفسلط الاستعماري .

ومن الأجرام الفظيعة أن يتخلى أفراد الأمة الضعيفة عن عقيدة القومية ، وأن يتجاوزوها إلى الإيمان الأعمى بعقيدة العالمية أو الأشمية في هذا الزمن الذي ما يروح ذئباب الاستعمار فيه يلفون في دماء الشعوب الضعيفة ، ويأبون التحلي عن فرائسهم إلا بسفك الدماء .

ومن الخطأ الظن بأن القومية ظلم أو مشاكسة لغيرها من القوميات . أما القومية لا تكون كذلك إلا عند الأقوام التي لها دول استعمارية غاشمة . أما

عند غيرهم من الأقوام فالقومية لا تكون إلا عقيدة إنسانية عادلة تحرص على احترام حقوق القوميات السائرة حرصها على جعل تلك القوميات تحترم حقوقها^(١).

مصطفى الشهابي



(١) قد يرى بعضكم أن يطالع في كتب أعجمية مواضيع مماثلة لمواضيع هذه المحاضرة ولذلك له من المفيد أن نضع أمام أم مصطلحاتها الألفاظ الفرنسية التي تنظر إليها:

Population	أهالي . سكان	Patrie	وطن
Etat	دولة	Patriotisme	وطنية
Cosmopolitisme	عالمية	Patriote	وطني
Internationalisme	أقنوامية	Compatriote	مواطن
		Citoyen	
Internationaliste	أقنوايمي	Nation	أمة ، قوم
	لا قومي	Nationalité	(١) قومية
Conception Idéaliste	الفكرة المثالية		(٢) جنسية . قادية
Conception Réaliste	الفكرة الواقعية	Nationalisme	قومية
		Peuple	شعب

تحقيقات حول نقد الغزالي

لمذهب المشائين والأفلاطونية المحدثة (*)

— ٤ —

ولنبداً الآن بعرض الأدلة التي بنقلها الغزالي على لسان القائلين بقدم العالم ،
تمهيداً لبسط ما قاله في الرد عليهم .

مقدمة الدلائل الأولى :

من المستحيل أن يصدر كائن حادث عن قديم . ذلك لأن القديم مخجانس
من جميع الوجوه ، فلا يمكن أن يعرض له التغيير ولا الاختلاف . وبيان
ذلك أن العالم - قبل حدوثه - كان ذا وجود جائز ممكن . فإذا خرج إلى
الوجود ، فلا بد من سبب أو « مرجح » اقتضى ترجيح الوجود على العدم .
فكيف يمكن تعليل هذا المرجح دون الوقوع في إحالات منكرة ؟ أقول
إث الكائن الأزلي كان عاجزاً عن إحداثه ثم طرأت عليه قدرة الإحداث ؟
أم نقول إن الإحداث كان مستحيلاً قبل وقوعه ثم أصبح ممكناً ؟ أم إن
الإله لم تكن لديه إرادة تشاء خلق العالم ثم حصلت له هذه المشيئة ؟
من الواضح أن كل هذه الفرضيات تقتضي تغييراً من حال إلى حال في ماهية
الكائن الابددي الذي يستحيل في حقه التغيير . فإذاً لا بد لنا ، تفادياً من
التناقض ، أن نسلم بأزلية العالم ، نظراً لوجوده الواقعي من جهة ، ولاستحالة حدوثه
من جهة أخرى .

(*) راجع مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٣٢ ، الأجزاء ٢ و ٣ و ٤ (نيسان ونموز
وتشرين الأول ١٩٥٧) .

إننا نشير إلى أن هذا الدليل من الأدلة التي يستمسك بها الأفلاطونيون المحدثون .
ولقد أفاض في تفصيله إيرقلس في القرن الخامس (Proclus le Diadoque)
بعد أن جمع كل ما أورده فرفوربوس وأتباعه على نظرية حدوث العالم .
يقول إيرقلس : ^(١) « كل معلول ناشئ عن علة ساكنة فهو بالضرورة وبالطبيعة
قديم . وبيان ذلك أن الكائن الذي يخلق غير متغير ، من جهة أنه ساكن .
ولئن كان ساكناً في ماهيته ، فهو يخلق ، من جهة وجوده نفسه ، لا بأن
ينقل من البطالة إلى العمل أو من عدم الخلق إلى الخلق . لأنه لو عرض
له مثل هذا الانتقال ، لطرأ عليه تغير ، هو بعينه ذلك الخروج عن حال إلى
حال ، فإذا قيل التغير كان ذلك مخرجاً له عن حال السكون . إذن فتي
كان كائناً ما ساكناً : فإما ألا يزال على حال الخلق ، وإما ألا يخلق أبداً
لكيلا يتعرض للحركة التي إذا تحصل إذا باشر الخلق ثم كفت عنه . وإذن
فإذا كانت علة الشيء ساكنة ، فبما أنه يستحيل ألا تكون علة على وجه
الدوام وبما أنه يستحيل أن تكون علة في بعض الأحيان ، فلا بد أن تكون
علة أبداً . وإذا صح هذا ، فهي علة لشيء أبدي . والواقع أن علة الكون
ساكنة . ولاجل أن تعتبر متحركة ، لا بد أن تكون معتبرة ناقصة من
جهة سعيها للتكامل ، فإن كل حركة ناقصة . إذن فن الضروري أن يكون
الكون أبدياً على اعتباره محدثاً عن علة ساكنة » .

ومن المفيد أن نقرر أن من استعمل هذا الدليل فيما بعد ابن سينا إذ يقول :
« وواجب الوجود واجب أن يوجد ما يوجد عنه وإلا فله حال لم تكن ،
فليس واجب الوجود من جميع جهاته ^(٢) » . . . « وقد بين أن واجب الوجود

(١) النصوص الواردة بطريق يحيى النحوي . وقد أخذناها مترجمة إلى الفرنسية عن
اللاتينية والإغريقية (كما وردت في دوهم . راجع الجزء الرابع ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٦) .
(٢) راجع (النجاة) ص ٣٧٢ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، وراجع بإزاء هذا (الشفاء) : المقالة
الرابعة ٥٢٦ - ٥٢٧ .

بذاته واجب الوجود من جميع جهاته » . ويقول زيادة على ذلك : « كل ما هو ممكن له فهو واجب له : فلا إرادة له منتظرة ، ولا علم منتظر ، ولا صفة من الصفات التي تكون لذاته منتظرة » .

على أنه قبل النظر في اعتراضات الغزالي على برهان من هذا النوع ، لا بد أن نلفت إلى ما أثاره من اعتراضات لدى مؤلفين سابقين . فلقد وجد سيف أوائل القرن السادس مفسر من مفسري أرضطو تصدى لنقده ، وهذا المفسر هو يحيى النحوي (الملقب بفيلوبونوس)^(١) الذي رد على ايرقلس بقوله : « إن

(١) المروف عند مؤرخي العرب أن يحيى النحوي أدرك الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي . جاء في الفهرست لابن النديم (ص ٢٥٠) : « ويشتا وبين يحيى النحوي ثلاثة مئة ونيف ... كان في أيام عمرو بن العاص » . ويقول ابن أبي أصيبعة (طبقات الأطباء ج ١ ص ١٠٤) إنه « لحق أوائل الإسلام » وذكره الشهرستاني في الملل والنحل (ج ٢ ص ٣٤٨ من طبعة Cureton) تحت عنوان « المتأخرون من فلاسفة الإسلام » .

وكان العلامة يعقوب صروف نبه (في مقتطف مارس ١٩١١ ص ٢٣٦) أنه اشتهر في تاريخ مصر وجبلان باسم يوحنا ، أحدهما « فيلوبولوس » أو الفراماطيقي من فلاسفة المشائين ، مات قبل الفتح بثلاثين سنة أو أكثر ؛ والثاني أسقف قبلي يقال له النحوي أو النحوي ، توفي في أواخر القرن السابع أي بعد الفتح بنحو خمسين سنة وله تاريخ باليونانية وبالقبطية ترجم إلى العربية فالحشية (راجع أيضاً ص ٤٤٣ من مقتطف مايو سنة ١٩١١) . وافترض المرحوم صروف أن العرب لما أخذوا يدونون التاريخ في القرن الثاني « التيس عليهم اسم يوحنا الفراماطيقي باسم يوحنا النحوي فحسبوا اسمين لاسم واحد » وأضاف « لعلهم لم يعرفوا الفراماطيقي بهذا الاسم أولاً بل عرفوه باسم الحريس كما ذكر المسعودي » . وباليونانية فيلوبونوس أي محب العمل » .

والذي علبه محققو المؤرخين الغربيين أن الفراماطيقي (= النحوي) اليقوني كان يدرس في مدرسة الاسكندرية في الوقت الذي أغلق فيه الامبراطور يوستينيانوس مدارس أئمة سنة ٥٢٩ للميلاد ، وعلى ذلك فن غير المحتمل أن يكون قد أدرك الفتح على عهد عمرو بن العاص . فقد أثبت ماكس مايرهوف بما لا يدع مجالاً للشك أن يحيى النحوي هو عين يوحنا الملقب Philoponus الذي عاش -

الإله الخالق الذي هو صانع الأشياء كامل كلاً أبدياً . وهو يملك في ذاته

- في أوائل القرن السادس [راجع تحليل كراوس لدراسته في مجلة الدراسات الإسلامية *Abstracta Islamica* V, 1934 cahier II] . هذا ونقل الدكتور عبد الرحمن بدوي (راجع التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) مقالاً للباحث نفسه بعنوان « من الإسكندرية إلى بغداد » جاء فيه (وماخذنا من الصفحات ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١) : « في النصف الأول من القرن السادس الميلادي كان يحيى النحوي أو يحيى فيلوبيونوس - ولعل هذا اللقب من اسم الجماعة المشار إليها [يعني جماعة يحيى الاجتهاد] ... وانتقد مايرهوف ابن القفطي لكونه روى في ترجمة يحيى النحوي (س ٣٥٦ س ١٤ وما يليه) عن « عبيد الله بن جبرائيل بن عبد الله ابن يحنشوع الطيب أن اسم يحيى ثامسطيوس » . قال مايرهوف : « وهذه الفقرة التي أمامنا نموذج للخط الشنيع الذي كانت عليه أخبار علماء الإسكندرية عند الكتاب العرب المتأخرين . ويزيد هذا الخط ما يورده ابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ١٠٣ س ٧ من أسفل) : « قال المختار بن الحسن بن بطلان : إن الاسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفشروها سبعة وم : [فلان وفلان وفلان ...] ويحيى النحوي » ثم يقول مايرهوف : ويختم كلامه بقوله (راجع ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٠٤ س ١) : « ... وعمر من هؤلاء الإسكندرانيين يحيى النحوي الإسكندراني الاسكلافي حتى لحق أوائل الإسلام » وإننا لنعرف اليوم أن هذا العالم الهليني المولود بمدينة قسارية قد مات

قبل الغزو العربي بحوالي قرن . ولكن العرب أصروا على ربطه بم عمرو بن العاص فاتح مصر على الرغم من أنه كان معروفاً لديهم أنه تلميذ أمونيوس ، وأن أمونيوس كان تلميذ أبقلس . « ويضيف على هذا الكلام الحاشية التالية : « هكذا عند مؤلف مثل أبي سليمان محمد بن طاهر السجستاني الفيلسوف الفارسي (أورده ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٠٤ س ٩ وما يليه) . وظهير الدين البهمني ... يحمله يعيش حتى النصف الثاني من القرن السابع ، ويعمل مولده في بلاد الديلم في فارس . ولكنه يترجم لقبه « فيلوبيون » ترجمة صحيحة فيقول : « عجب الاجتهاد » . راجع أيضاً اشتينيدر كتاب « الفارابي » س ١٥٢ إلى ص ١٧١ » يحيى النحوي عند العرب » . ثم يقول مايرهوف وهو هام جداً : « ولعل هذا الخط التاريخي كله نشأ عن خطأ أحد المترجمين أو النساخ . فالفهرست (ص ٢٢٥ س ٣) ومن بعده ابن القفطي (ص ٣٥٦ س ١٢) يقولان إن يحيى النحوي ذكر في المقالة الرابعة من تفسيره لكتاب السماع الطيبي عند الكلام في الزمان أن سنة تأليفه لهذا الترح كان سنة ٣٤٣ لدقائقاً يونس اللبكي -

وعلى صورة واحدة علل آثاره ؛ فهو يصنع ويخلق كل شيء بمحض إرادته فحسب .
 إنه غير محتاج إلى أية آلة من أجل خلق جوهر الأشياء ؛ وسواء أخلق أم
 لم يخلق ، فإنه لا ينشأ عن ذلك أي اختلاف في ذاته . فهو منذ الأزل ،
 وعلى الصورة نفسها ، يحتوي معاني الأشياء وعللها : تلك المعاني والعلل التي
 يكون بها خالقا . فهو لا يشعر بأي تغيير من جراء إحداثه أو عدم إحداثه .
 والخلاصة أنه لا يجوز القول بأن هناك فرقاً في الله بين استعداده للعمل
 والعمل نفسه ، فهذان أمر واحد . ولا يتجلى الفرق إلا في الكائن الذي
 هو مستمد منه . »

« على أن الزعم بأن الله لا يستطيع إرادة شيء غير أبدي دون أن يجره
 هذا إلى الخروج عن سكونه من الأمور التي تستلزم إقامة التغير المستمر في

- أي ما يبادل سنة ٦٢٧ . والواقع أن هذا الكلام ورد في الكتاب السادس عشر
 من شرح يحيى النحوي للسمع الطيبي . ولكن السنة الوارد ذكرها هي سنة
 ٢٤٥ لدقلطيانوس أي ما يبادل ٥٢٩ ميلادية . ويضيف مابرهوف إلى
 كل هذا قوله : « وهذا الخلط الذي وقع فيه العرب حول اسم يحيى النحوي
 ومؤلفاته لا يزال أثره باقياً حتى اليوم . فإن كتباً حديثة جداً تزعم أن يحيى
 الإسكندراني قد كتب الشروح التي بعضها طلي وبعضها فلسفي » .
 والذي أريد أن أزيده على ما تقدم أسران :

أولاً : إن الأستاذ محمد كرد علي في تعليقاته على تاريخ حكماء الإسلام
 للبيهقي الذي نشره سنة ١٩٤٦ (راجع ص ٣٩ الحاشية رقم ١) يقول :
 هو [أي يحيى النحوي الملقب بالطريق والمنسوب إلى الديلم] غير يحيى النحوي
 الإسكندراني البعلوني الذي اجتمع بمعرو بن العاص « (كذا) » .

ثانياً : ورد في حاشية لـ S. Munk على ترجمته الفرنسية لكتاب موسى
 ابن ميمون : « دلالة الحائرين » ما يستفاد منه أن في تفسير السمع الطيبي
 ذكراً للسنة التي ألف فيها وهي « ٣٣٣ لتقويم دقلطيانوس أو لشهداء وهو ما يوافق
 ٦١٧ للميلاد » ومرجعه الطبعة الرابعة من ٦٤٠ XV. t. ٦٤٠ , *Fabricius, Bibliothèque gr.*
 (راجع الحاشية الأولى على ص ٣٤١ من كتابه المطبوع في باريس سنة ١٨٥٦) .
 ترى فما مصدر هذا التباين ؟

ذات الله . « ولا إثبات هذا بنسأل يحيى النحوي فيقول : « ترى أأراد الله أن تكون الأشياء الجزئية (مثل سقراط وأفلاطون) أزلية أم حادثة ؟ إنه ولا شك أراد أن تكون في حقبة ما من الزمن والآن تكون في حقبة أخرى . وكذلك فيما يتعلق بكل الأشياء الجزئية . إنه لم يشأ أن تكون أزلية ، ولو شاء لكانت . فإذا صحح هذا ، كانت مشيئة الله أن توجد أشياء جزئية في زمن دون زمن . ولو كانت إرادة وجود الشيء في زمن دون زمن مما بدعو إلى تغير المريد ، لكان الله متغيراً دائماً . »

إذن ، ففي نظر يحيى النحوي ، هناك نوع من الهوية بين الخلق والإرادة بالنسبة لله . فإذا خلق أو لم يخلق ، وإذا أحدث أو لم يحدث ، فذلك لا ينشأ عنه أي اختلاف في ذات الله ، لأن الصلاحية للعمل والعمل شيء واحد . ومن جهة أخرى ، إذا قلنا إن الله لا يمكن أن يريد ما هو غير أزلي فلنا نقيم التغير المستمر في ذات الله .

إن هذا الاعتراض المستند إلى قضية الإرادة هو ما يجوز أن يكون قد انتفع به الغزالي في دحض حجة الفلاسفة . ففي رأيه أن بقاء الإله على ما هو عليه - أي صفة عدم التغير فيه - لا تتأثر مطلقاً بالفرضية القائلة : « إن العالم حدث بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه واستمرار العدم إلى الغاية التي استمر إليها » فإن « الوجود قبله لم يكن مراداً ، فلم يحدث لذلك » وهو « في الوقت الذي حدث فيه مراد بالإرادة القديمة ، فحدث لذلك » . ولكن ترى هل يعني هذا أن الغزالي قد أخذ أقوال يحيى النحوي فقررها ؟ هذا ما يؤكدّه ظهير الدين البيهقي صاحب تاريخ حكماء الإسلام المتوفى بعد نيف ونصف قرن^(١) من موت الغزالي . قال في كتابه المذكور : « وأكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في تهافت الفلاسفة تقرير كلام

(١) توفي البيهقي سنة ٥٦٥ هجرية والغزالي سنة ٥٠٥ .

يحيى النحوي»^(١) . ولقد تابع هذا المؤلف القديم في رأيه فريق من الغربيين المحدثين كدوجيراندو^(٢) ، ودوبور^(٣) ، ودوهيم (المتقدم ذكره) . والنظرة الأولى تدل على أن الرأي قريب من الصواب ، لا سيما وأن مؤرخي الفلسفة المحققين يميزون أن آثار كثير من المشائين كثاوفرسطس ، وأمونيوس ، وسيمبليسيوس ، وفيلوپونوس كانت موجودة في العربية^(٤) . وعلاوة على ذلك بنشنا الففطي في تاريخ الحكماء (ص ٢٧٨ - ٢٨٠) ، وابن أبي أصيبعة صاحب طبقات الأطباء (ج ٣ ص ١٣٥ - ١٣٩ مول) ، وابن النديم صاحب الفهرست (ص ٢٥٤ فلوجل) أن رد يحيى النحوي على إيرفلس لم يكن مجهولاً ، حتى أن الفارابي كتب رسالة (مفقودة) في نقد الاعتراضات التي أوردها يحيى النحوي على أرسططاليس ! غير أننا نحب أن نلفت النظر إلى بعض الأمور .

إن التقرير بأن الغزالي رد أقوال يحيى النحوي ضارب من الظن الذي لا يقوم عليه دليل أكيد . فلا بد في الجزم بنقل المذاهب وانتحالها من إثبات الإسناد المتسلسل لإثبات تاريخياً . ولذلك انتقد المستشرق ماسينيون انتقاداً عنيفاً ما يسمى بـ «أشباه الاقتباسات» (Pseudo - emprunts) ، وحدد بعض ما يجب أن يراعى من قواعد في طريقة التأويل لكيلا تقع في الخلط بين المذهب الأصلي

(١) راجع ص ٤٠ من طبعة مجننا العلم التي نشرها وحققها الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي سنة ١٩٤٦ .

(٢) Degérando, *Histoire Comparée des Systèmes de Philosophie* (Paris, 1823) t. IV p. 225.

(٣) T. J. de Boer, *Geschichte der Philosophie im Islam* (Stuttgart, 1901). راجع الصفحة ١٥٩ من الترجمة الإنكليزية لهذا الكتاب (لندن ، ١٩٣٣) ، وكذلك الصفحة ٢٠٩ من ترجمته العربية التي نقلها الأستاذ محمد عبد الهادي أبووردة (القاهرة ١٩٣٨) .

(٤) Ravaisson, *Mémoire sur la Philosophie d'Aristote chez les Arabes* (in *Compte rendu de l'Académie des Sciences Morales et Politiques* t. V, Paris, 1844) .

راجع ص ٢٦ - ٢٧ وكذلك ص ٩٣ من كتاب روثان عن ابن رشد .

وما يطلق عليه « أخذ أو سرقة » (*Plagiat*) سواء في النقد الأدبي أو في طرائق العلم . يقول : « لأجل أن نستطيع التأكيد بأن حلاً من الحلول الجبرية أخذه العرب عن الهنود ، لا ينبغي فحسب أن تكون مسألات المسألة في الجهتين على حال التطابق في الجملة ، بل لا بد من أن يكون سبيل الحل وبنيته واحدة لدى كل من صاحبي الحلين ^(١) » . وقد حدد هذا الأستاذ أيضاً الهدف الذي يجب أن ترمي إليه السوسيولوجية الدينية من أجل إقامة مقارناتها على أساس الحالات الفردية فقال (حلاج ٤٦٣) : « ليس المهم تصوير القضايا تصويراً سيوياً نظرياً (*Schématization théorique*) . . . بل لا بد من النظر في ترتيب الأولوية والأهمية الذي عولجت على حسبه تلك المسائل وحلّت في الزمان والمكان » ، وكذلك ثار الأستاذ باروزي على ما جنح إليه بعضهم من إرجاع مذهب القديس يوحنا الصليبي (St Jean de la Croix) في « الليلة الظلماء » إلى مذهب شاذلي مشابه لدى ابن عباد الرندي ^(٢) (المتوفى سنة ١٣٩٤ م) بسبب وجود بعض المواطن المتطابقة حتى من الناحية التعبيرية اللغوية . ونحن في دراسة أخرى ، استغربنا أن يكون باسكال قد أخذ عن الغزالي « الاحتجاج بالزهان » [*Pari de Pascal*] على رغم ما بين فكرة هذين الفيلسوفين من تقارب ونشابه خطير ^(٣) . أضف إلى ما تقدم أن لدينا بعض الأدلة على استبعاد الفرضية التي نجمع بين رأي الغزالي ورأي يحيى النحوي :

(١) راجع ص ٣٥ - ٣٨ من

Louis Massignon, *Essai sur les Origines du Lexique Technique de la Mystique Musulmane* (Paris, 1922) .

(٢) راجع الفصل الأخير من

Jean Baruzi, *Problèmes d'Histoire des Religions* (Paris, 1933) .

(٣) راجع حاشية الصفحات ٢ و ٣ و ٤ من ترجمتنا الفرنسية لـ « ميزان العمل » تحت عنوان :

H. Hachem, *Critère de l'Action, traité d'Ethique Psychologique et Mystique d'Al-Ghazzālī* (Paris, Maisonneuve, 1945)

أولاً : إن نقد الغزالي ألم^١ إماماً موجزاً بالناحية التي تناوّلها فيلويپونوس وأطال في أمور أخرى . حتى ان الاستدلال على طريفة الخلف (*Réfutation par l'absurde*) غير وارد لديه أبداً . أما عند يحيى ، فالبرهان قائم على إثبات أن استحالة كون الله - وهو ساكن - مريداً لشيء حادث هي من الأمور التي تؤدي إلى إحلال التغير المستمر في ذات الله . فإذا استحال النتيجة ، كانت المقدمة مستحيلة .

ثانياً : هناك هوية بين « الخلق » و « الإرادة » عند يحيى النحوي أو بين « الاستعداد للفعل » و « الفعل » نفسه . وبعبارة أخرى ، ليست الإرادة فعلاً مستقلاً عن الخلق في رأيه . أما الغزالي فليس ثابتاً أن يكون هذا من رأيه . والواقع أن استدلالات يحيى النحوي تتردد خلالها مصطلحات أرسططالية (مثل « القوة » و « الفعل ») وتنضمّن إشارة إلى النظرية القائلة بأن « الله فعل محض » . ومن المعلوم أنه لم يستمسك في المجتمع الإسلامي بمثل هذه النزعة المبسطة إلا بعض الجهمية والمعتزلة والشيعة والفلاسفة (بما فيهم ابن سينا) الذين نفوا تعدد الصفات وقالوا إنه لا انفصال بين علم الله وقدرته وحياته^(١) . أما أهل السنة - وفيهم الغزالي - فقد كانوا من غير هذا الرأي كما سنرى .

ثالثاً : يبدو أن استدلال يحيى النحوي يضع الزمان في الله . حتى نستطيع أن نفهم منه أن العالم مخلق بصورة أزلية ، لأن الخلق والإرادة - التي هي أزلية - أمر واحد . ولذلك اضطر النحوي ، دفعاً لما قد يرد من اعتراض ، أن يقرر بأن « الفرق لا يتجلى إلا في الكائن الذي يستمد منه » . أما استدلال الغزالي فلا يمكن أن يرد عليه مثل هذا ، لأن انفصال الإرادة عن الخلق لا يتيح القول بخلق أزلي كما قلنا . ومن جهة ثانية ، الله بالضرورة خارج الزمان ، والزمان لا يتصور بدون خلق العالم .

(١) منهاج السنة لابن تيمية ج ١ ص ١٨٨ .

ثم ان الغزالي يتوقع ورود اعتراض آخر ، وهو قول من بقول : إن العلة تقتضي حتماً وبالضرورة حصول المعلول حالاً عند استجماع الشروط ، وأنه من المستحيل أن يتراخي المعلول عند حصول العلة . فلا يعقل مثلاً عدم حصول الكتابة لدى مباشرة فعل الكتابة أو « القصد » إليها (مع انتفاء المانع لها) . والشأن كذلك في خلق العالم ، فإنه لا يعقل في رأيهم أن توجد علة الخلق ويتراخي معلول هذه العلة وهو حصول الخلق . ولا يرد على ذلك أن بالامكان تصور انفصال ما بين إرادة الكتابة وحصول الكتابة ، لأن الإرادة هنا ليست العلة الضرورية الكافية ، ولكن العلة إنما هي « القصد » أو فعل الكتابة بحيث لا يتصور أن يأتي الفعل وتتأخر الكتابة .

وجواب الغزالي على هذا الاعتراض جواب جدلي صلي^(١) ، فبدلاً من أن يبين أن المبدأ الذي يستمسكون به (أي ضرورة ورود المعلول دون تراخٍ عقب مجيء العلة) منطبق في حالة اقتضاء الإرادة القديمة مباشرة فعل الخلق في الزمان ، مثلاً هو منطبق في مجيء حصول الخلق بعد مباشرة فعل الخلق ، نقول بدلاً من أن يفعل ذلك ، نراه بفضل مهاجمة الخصوم في عدم استمسكهم بضرورة المبادئ إلا حيث يطيب لهم الاستمسك بها . وإلا فلم لم يجتزئوا عمومية المبادئ الضرورية في جميع دعاوهم ؟ ألم يزعم أصحاب ابن سينا أن الله يعلم بعلم قديم الأشياء الجزئية الحادثة الواقعة في زمان دون زمان ، ثم جاؤوا يرفضون على سبيل لا ينسجم مع السبيل الاول - أن يخلق الله القديم عالماً غير قديم (أي واقعاً ضمن نطاق الزمان) ؟

على أن الغزالي يرى أن من الممكن المضي إلى أبعد من هذا الحد . ففي رأيه ، لا يكفي أن تنكر استئجال صدور الحادث عن القديم على ما هو رأي الافلاطونيين المحدثين ، بل ان من المستحيل عنده أن يصدر قديم عن قديم . ذلك لأننا إذا قلنا بأن الحوادث تصدر عن الحوادث ، فكأننا أثبتنا التسلسل

(١) لعل هذا هو السبب الذي جعل ابن رشد يؤكد أن الغزالي خرج عن الموضوع (راجع تهافت التهافت ، آخر من ٦ من طبعة القاهرة) .

إلى اللانهاية»^(١) وهو من المتناقضات . فلا بد إذن من الوقوف عند حد ٤
وهذا الحد يجب تسميته بـ «القديم» .

(يتبع)

الدكتور مكنته هاشم

(١) لهذا الدليل شهرة واسعة في تاريخ الفلسفة ، وأصله يصمد إلى أرسطو وإلى
الريبين . فأرسطو ينفي القضي إلى اللانهاية في سلسلتي الأشياء المحركة (بالكسر) والأشياء
المحركة (بالفتح) . ومن حججه على ذلك (*Physique*, VIII S, 226 a 4, 256 b 3)
أنا عندما تتصور سلسلة من الحركات والمحركات يحرك كل منها ما بعده ، فن
الضروري أن نقر أنه إذا غاب المحرك الأول أو انقطع عن التحريك ، لم يعد
أي حد من حدود السلسلة محركاً ولا متحركاً . ذلك لأن المحرك الأول هو
الذي ينجم التحريك . فلو كانت سلسلة الحركات والمتحركات لانهاية لها ، لانعدم
المحرك الأول ، ولكانت كل حدود السلسلة محركات بالواسطة . وبما أننا قررنا
أن المحركات بالواسطة لا حركة لها إلا بالمحرك الأول ، فإن الحركة تنعدم أصلاً
لانعدام المحرك الأول . وهذا غير معقول بدليل أن الحركة موجودة . غير
أن أرسطو لم يكن يستنتج من ذلك مباشرة وجود الله ، خلافاً لما صنعه
من بعده أمثال ابن سينا ، ثم آلان دويل ، ثم آلان الكبير .

ولقد استعمل هذا الدليل منكممو السفين الأشاعرة (راجع مقال
مكدوفالد في دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية *Allah I*, 310) واستعملته الفاسفة
الغربية القديمة (على لسان ابن سينا : راجع أطروحة الدكتور جيل صليباً ص ١٠٩)
والغزالي (راجع التهاات ٣١ ، ٥٠ ، ١٣٤ ، الخ ... والاقتصاد في الاعتقاد
ص ١٣ وما بعدها ، والرسالة القدسية) وابن رشد (راجع *Renan, Averroès* ص ١١٧)
واستعمله المتأخرون كالبيضاوي (طوالم الأنوار من مطالع الأنظار
ص ٥١ طبعة القاهرة) ، والشهرستاني (الجزء الأول من طبعة غلبوم ص ٢٩)
والغزالي (شرح العقيدة الفسفة ، القسطنطينية ص ٦٠) وابن تيمية (بيان
موافقة صريح المقول لصحيح المنقول على هامش منهاج السنة ، انظر خاصة
الصفحة ١١٢ وما بعدها في هامش الجزء ٣) . ومن قال به من فلاسفة الغرب في العصر
الوسط دون سكوت وغلبوم دوكم (راجع ص ٩٢ *Gilson, Le Thomisme*) .
ومن الممكن تلخيص استعالة التسلسل إلى اللانهاية عند الغزالي على النحو
الآتي : لو كان عدد دورات الفلك السابوي لا متناهياً ، لزم من ذلك فرضيات
ثلاث : ١- إما أن يكون هذا العدد شفوياً أو وترأ ؛ ٢- وإما أن يكون
شفوياً وترأ ؛ ٣- وإما أن يكون لا شفوياً ولا وترأ . فن هذه الفرضيات
الثلاث ، الأخيرة وما قبلها مستحيلتان . وأما الأولى فستحيلة أيضاً بدليل أن
الشفع يصبح وترأ بزيادة الواحد وهو متناقض لفكرة اللانهاية .

المدرسة الإسعردية

- ١ -

عند الجسر الأبيض بطريق الصاحية ، ويجوار المدرسة الماردانية مدرسة تعرف بالإسعردية ، أنشأها الخوجا ابراهيم بن مبارك الإسعردى مدرسة للشافعية وتربة له ، فرغ من بنائها في ذي الحجة سنة ٨١٧ هـ . وكانت من أحسن عمائر دمشق ، وقد حل فيها الخراب ثم درست خلال الحرب العالمية الأولى أو بُعيدها ، وشيد مكانها أبنية حديثة . قال ابن قاضي شهاب في حوادث سنة ٨١٦ : « وقد خرب في هذه السنة ثلاثة مساكن ، وهي أحسن مساكن بساتين دمشق : الدهيشة ، وبستان الفشوة على حافة ثورة بالقرب من الربوة ، وبستان ابن جماعة بالمزة ، ولكن هذا الثالث نقلت آله الى مدرسة الخوجا ابراهيم الإسعردى وانتفع الناس بها » . وكان الإسعردى من أكابر تجار دمشق ، وله المتاجر السائرة في البلدان . وهبه الله المال والبنين ، وكان عنده كرم واحسان للفقراء ، وتشهد مدرسته وأوقافها على فضله وإحسانه .

وقد عثرت بين محفوظات المتحف الوطني بدمشق على نسخة قديمة من وقفية هذه المدرسة ، وأظنها الوقفية الأصلية ^(١) ، وقد استأذنت صديقي الدكتور سليم عادل مدير الآثار العام والأستاذ أبا الفرج العش مدير القسم الإسلامي في متحف دمشق بتحقيق هذه الوقفية ونشرها فتنضلاً وسمحاً لي بذلك فلها خالص شكرى .

إن هذه الوقفية وأغصانها حرة بالنشر ، فهي من السجلات الرسمية الموثوق بها ، وفيها فوائد كثيرة فلما نعثرت على مثلها في مؤلفات السلف ، فهي سجل لوقائع تاريخية واجتماعية وثقافية ودينية يستعان بدقة وصفها على بيان خطط مدينة دمشق

(١) رقبها في السجل العام (١٣٦٦) .

الإسلامية وغيرها بعد أن تبدلت بتوالي الأيام أكثر أسماء أحيائها وتغيرت معالمها . ونجد فيها أيضاً نموذجاً من أوضاع القضاء في عصرها .

كُتبت هذه الوقفية على طومار من الرق عرضه بين ٢٢ و ٢٥ سنتيمتراً ، وعدد أسطر نص الوقفية (٣٦٤) سطراً يضاف إليها ملحقاتها ، وجل أحرفها مهجلة النقط مما سبب الالتباس في بعض الألفاظ المتشابهة الرسم ، وقد احتفظت برسم بعض الألفاظ كما وردت في النص مثل : المستوفى والقيمة والذكوة الخ وكذلك في رسم المهززة أو إغفالها كما في : رهوف وشؤون وماية ويقرن الخ . ولم أحاول تصحيح الأخطاء الواردة في النص إلا ما ظهر لي أنها زلة قلم الناسخ . وقد قابلت هذه الوقفية بنسخة ثانية حديثة العهد أكلت بها بعض نواقصها . واقتصرت على نشر نص الوقفية وملاحقها التي يهجن موضوعها ، وأغفلت عبارات شهود الإثبات وأحكام التنفيذ لأنها لا علاقة لها بالغاية التي توخيتها من نشر هذه الوثيقة التاريخية واكتفيت بنشر النموذج منها .

نص الوقفية الأولى

١ [الحمد لله العزيز الحميد وأصلي وأسلم على سيدنا محمد المبعوث بالقول السديد وعلى آله و الرأي المضيد] وأسأله التوفيق لما يجب ويريد [وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله] وأرضى ، وطلب منهم البشير فرضاً [وأمرهم أن ينفع بعضهم بعضاً ويقصدوا بذلك وجهه] الأعلى .

• [واسوف يرضى ووعده مقرضه بمضاعفة الجزاء في [دار الآخرة كما جاء به] الذكر الحكيم : «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه [له]»^(١)]

و [أشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله شرفه الله على جميع العباد وفضله وتقبل منه الصدقة] والصلة وجعله أعلا الأنبياء منزلة ، وكان صلى الله عليه وسلم

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٤ .

- أجود من الریح المرسلة [صلى الله عليه] وعلى آله وصحبه صلاة على عمر الزمان متصلة وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد ان أولى ما تقرب به العبد [الفقير] الى الله عز وجل وأزكى مائير على تحصيله وأفضل الصدقة الجارية التي لا تنقطع عند انقطاع العمل بل تبقى بعد نقاد الأجل لقوله صلى الله عليه وسلم : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ^(١) ، وقد أرشد إليها عليه أفضل الصلاة والسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ودل حين قال : اني أصبت أرضاً لم أصب مالاً أنفس منها ، فرني كيف أفعل بها ، فأشار صلى الله عليه وسلم أن تصدق بها وحبس الأصل وسبل الثمرة ، فتصدق بها [عمر رضي الله عنه وحبس وسبل فهي] سنة سيد المرسلين وفعل ثاني الخلفاء الراشدين [والصدقة الواقع أجرها لدى رب العالمين] ان الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين ، وكان ممن رغب في هذه المنفعة [العظيمة ونال] الانصاف بهذه الأوصاف الجليلة سيدنا الفقير الى الله تعالى الجنب الكرمي العالي المولي الخ [واجكي الأميري] المخدومي البرهاني أوحد الرؤساء في العالمين ، محب العلماء والصالحين ، صفوة الملوك والسلطين [أبو اسحق ابراهيم] ابن الجنب العالي المولي الخ واجكي الزيني مبارك شاه بن عبد الله الاسعدي ^(٢) أدام الله تعالى نعمته وتقبل فوقف وأبد وحبس وحرّم وتصدق ليهديه ربه الى صراطه المستقيم ويخيره يوم القيمة من عذاب الجحيم وهو في حال صحته وسلامته وجواز أمره ، جميع ما يأتي ذكره ووصفه وتحديدته في هذا الكتاب ومشاع ما ذكر ، أحسن الله اليه إن ذلك له

(١) الحديث : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له .

(٢) من أعيان دمشق وكبار تجارها وله المتاجر السائرة في البلدان ، أعطاه الله المال والبين ، وكان عنده كرم واحسان للفقراء توفي سنة ٨٣٦ . ترجمته في الشذرات والضوء اللامع والدارس في تاريخ المدارس ١ : ١٥٦ .

وملكه وحوزه يده ، وهو مطلق التصرف فيه حين هذا الوقف . فن ذلك :
 جميع الدار السفلى والعلو المعروفة بمارة الواقف وإنشائه الكائنة ظاهر دمشق
 بالصالحية بالجسر الأبيض تجاه المدرسة الماردانية ^(١) ، ويفلق عليها باب خاص
 يصعد اليه بثلاث درجات حجارة ، الباب ببوابة وثلاث حجارة مجلية أسود وأبيض ،
 وعلى الباب صفتان ، ويدخل من الباب المذكور [الى] دهليز مبلط ، تجاه الباب
 سلم حجارة الذي يصعد منه الى العلو ويسلك من الدهليز المذكور
 مستطيل الى المرتقى الذي يجري اليه الماء من نهر يزيد بحق واجب ، ويسلك
 من الدهليز المذكور أولاً الى دهليز عن يسرة الداخل فيه بيت على يمين الداخل
 الى باب ثان يدخل منه الى الدار السفلى وتشتمل على وسط مبلط وبركة يجري
 اليها الماء من نهر يزيد بحق واجب ، ولهذه الدار أربع [قصورة] بلق ، وابوان
 قبلي وابوان شامي ، فالقبلي به أربع شبابيك نحاس متفحة ^(٢) ، اثنان منهم من
 جهة القبلة [وواحد] من جهة الغرب والآخر من جهة الشرق ، وكل واحد
 منهم يرمي إلى الطريق وتحت كل شباك [من] الشبابيك القبلية حوض يجري
 اليه الماء من نهر يزيد بحق واجب ، وبينهما صهريج يصل اليه [الماء من] نهر
 يزيد ، وهذا الايوان خريستانان ، وبالاويوان الشامي أربع بيوت غريبة
 واثنان شرقية ، وفي صدر الايوان شبابيك نحاس متفتح يرمي الى البساتين ،
 وتجاه الباب [الثاني المذكور] لهذه الدار باب يدخل منه الى قبة مبلطة
 بوسطها فسقية ^(٣) تحتانية معقودة وبها شبابيك قبلي وغربي ، وكل شباك منها

(١) على حافة نهر نورا التالية لضيق الجسر الأبيض بالصالحية ، أنشأتها عزيزة الدين
 اختا خاتون بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين وزوجة السلطان الملك المعظم
 في سنة ٦١٠ . انظر المدارس في تاريخ المدارس ١ : ٥٩٢ . وهي من
 المدارس الخفية .

(٢) أي زين تشابك قضبانها بكرات تشب التفاح .

(٣) بركة ماء صغيرة .

نحاس متفح وخرستان ، ولكل شباك من شبايك الدار والقبعة باب بمصرعين
بصفائح نحاس ، ويصعد من السلم الحجر الذي في الدهليز المذكور تجاه الباب
الأول الى اثني عشر طبقة والى مكتب على باب هذه الدار به بيت آخر ويطلق
على كل طبقة باب خاص ، ويطلق على المكتب باب خاص وكذلك على البيت
الذي به ، ولهذا المكتب درازينات خشب ، وتشتمل كل طبقة على منافع ،
وظهور^(١) ذلك خواص له ، وبعض الايوان القبلي من جهة القبلة وبعض الايوان
الشامي من جهة الشام محتكر ، حد هذه الدار بما اشتملت عليه والقبعة المذكورة ٤٠
من القبلة والشرق والغرب الطريق ومن الشام البستان الآتي ذكره المعروف
بالسنبوسكة .

ومنه جميع الخانوتين الملاصقين لباب هذه الدار من جهة الشرق ، [ويشتمل]
كل حانوت على داخل وفناء وأغلاق ، وهما داخلان في حدود الدار الرحا (كذا)
المذكورة فيه .

الطاحون^(٢) والطباق : ومن ذلك جميع الدار الرحا مستخرج من جدارها
القبلي الخانوتان المذكوران الملاصقان لباب الدار المقدم ذكرها ، وجميع
الطباق التي علو ذلك الذي يصعد الى هذه الطباق من باب خاص غير
باب الطاحون الذي عمر ذلك وأنشأ هذا الوقف بعد أن ابتاع الطاحون ٤٥
المذكورة وخرىها وأضاف منها الى ما ذكر ، ثم عمر ذلك على الصفة التي يذكرها ،
ويطلق على هذه الطاحون باب خاص ويشتمل على حجر واحد مطبق بآلته وعدته
وعلى مهري ومصول وعليه سـ [طرح لاجل] نشر القمح ، ومنافع ومرافق واصطبل ،
وتشتمل كل طبقة من الطباق الاربعة على منافع ومرافق ، ولكل طبقة منهن
مرتفق خاص ، وظهور ذلك جميعه خواص ، حد ذلك من القبلة الطريق

(١) الطح .

(٢) ما زالت باقية وتعرف بطاحون بز الأذنة .

وباب الطاحون واغلاق الحانوتين المستخرجين من جدارها الداخلين في هذا الوقف ،
 ٥٠ ومن الشرق الطريق السالك ، ومن الشام البستان المذكور المعروف بالسنبوسكة ،
 ومن الغرب الدار المتقدم ذكرها ، ومن ذلك جميع الغراس القائم بأرض البستان
 الخارجي المعروف بالسنبوسكة الذي هو من شام ما تقدم ذكره ، ويشتمل على
 فواكه مختلفة النوع وغير ذلك ، حده من القبلة ما تقدم ذكره ، ومن الشرق
 الطريق ، ومن الشام قسيمته ، ومن الغرب الطريق ، وأحضر الواقف من يده
 كتاباً يشهد بملك الطاحون والحانوتين تاريخه سادس عشر جمادى الأولى سنة
 ست عشرة وثمانمائة ، ثابت وثابت في أصله الملك والحيازة ، محكوم فيه بصحته
 بمجلس الحكم العزيز المولي القاضي العلامي التاجي ابن الزهري الشافعي أجله الله
 ٥٥ تعالى حسباً تضمنه اشهاده الحكيم المسطر بظاهره المؤرخ باليوم المذكور .

القبسارية التي بالصالحية : من ذلك جميع القبسارية التي بالحلة المذكورة
 بالقرب من المدرسة الماردانية ، ويشتمل على عدة مخازن سفلى لكل مخزن باب
 خاص ، ويشتمل العلو على طبقة بمنافع ومرافق ومرتفق خاص ، حد ذلك
 من القبلة الطريق وبابها من الشرق

الدار يزقاق الحنفي : ومن ذلك جميع عمارة الدار السفلى والعلو الكائنة أيضاً بالصالحية
 ٦٠ يزقاق الحنفي ويزقاق عليها باب خاص ، ويشتمل السفلى منها على قاعة بوسط مبلط وبركة
 طشية يجري إليها الماء من نهر يزيد ، ومجلس وابوان وبيت يراني لطيف ومرتفق
 ومطبخ ومنافع ومرافق ، ويشتمل العلو على طبقة بمنافع ، حد ذلك من القبلة
 الطاحون المعروفة بالقاضي بهاء الدين الحنفي ومن الشرق الطريق والباب ، ومن
 الشام وقف الحرمين الشريفين ، ومن الغرب بستان الحنفي .

نصف الحوانيت والطباق عند المدرسة الجوزية داخل دمشق : ومن ذلك
 جميع الحصة الشائعة ومبلغها اثنا عشر سهماً من أربعة وعشرين سهماً وهي النصف
 شائعاً ، ذلك من جميع عمارة الحوانيت الأربعة ومن المخزن ومن الطباق الكائنات

علو ذلك ، الذي ذلك جميعه داخل مدينة دمشق جوار المدرسة الجوزية ^(١) ،
والخوانيت المذكورة معقودات قبو حجر ، يشتمل كل حانوت منهن على داخل
٦٥ وفناء واغلاق ، وتشتمل كل طبقة من الطابق العلو على منافع ومرافق ومرتقى ،
وظهور ذلك خواص [له] ، حد ذلك من القبلة الزقاق الغير نافذ وفيه باب العلو ،
ومن الشرق الزقاق وتماه وقف الجوزية ، ومن الشام باب المدرسة الجوزية ،
ومن الغرب الطريق واغلاق الخوانيت . وأحضر الواقف من يده كتابا حكيا
يشهد له بملك ذلك تاريخه خامس عشري شهر رجب الفرد سنة تسع وثمان مائة ،
وهو ثابت ، وثابت فيه الملك والحياسة محكوم به بصحة البيع وباحترام العارة
مع العلم بالخلاف بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي الشهابي ابن نشوان
٧٠ الحواري ^(٢) الشافعي أجله الله ، حسبا تضمنه اشهاده الحكمي المسطر بظاهره
المؤرخ بمستهل شعبان المكرم من السنة المذكورة ، المتصل بثبوته وتنفيذه
بمجلس الحكم العزيز القضائي الحاكي الصالح الحنفي رحمه الله تعالى ، حسبا
تضمنه اشهاد المؤرخ باليوم المذكور .

الخوانيت الخمسة تجاه مسجد الجوزة : ومن ذلك جميع عمارة الخوانيت الخمسة
المتلاصقات الكائنات خارج باب الفراديس بالقرب من قناة ابن العوفي تجاه جامع
الجوزة ، ويشتمل كل حانوت على داخل وفناء واغلاق وظهورهن غير خاص
بهن ، فإن العمارة التي على ظهرهن خارجة عن هذا الوقف ، وهي ملك للغير
مستأجر الظهر بالبيع ، وعليه حكر يستحق بعد انقضاء مدة إجارته ، حد هذه
٧٥ الخوانيت الخمسة : من القبلة ملك الحاجي الزيني فيروز ، ومن الشرق الطريق
واغلاقان ، ومن الشام الدخلة الغير نافذة ، ومن الغرب ملك أبي بكر الصيرفي

(١) في سوق البزورية عند مدخل قصر العظم ، حرق وهدمت وجددها مكانها محازن
ومصل صغير .

(٢) احمد بن محمد بن نشوان الحواري (٧٥٧ - ٨١٩) ترجمته في الشذرات وذيل
تذكرة الحفاظ والضوء والدارس في تاريخ المدارس .

ملك للعلو . وأحضر الواقف من يده كتاباً يشهد له بذلك ذلك مؤرخ بالسادس عشر من شهر رمضان المعظم قدره سنة ست عشرة وثمان مائة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحياسة ، وإن البايع عمر ذلك من ماله وصلب حاله بطريق شرعي وإذن معتبر مرضي ، محكوم بموجبه وبصحة البيع المعين فيه واحترام العادة المشهود بها مع العلم بالخلاف بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي التاجي ٨٠ ابن الزهري الشافعي أجله الله تعالى حسباً تضمنه اشهاد المسطر بظاهره المؤرخ بثامن عشر ذي القعدة الحرام سنة ست عشرة وثمان مائة ، المتصل بثبوته وتنفيذه بمجلس الحكم العزيز القضائي الحاكمي العزي ابن الأخضر الحنفي أبيده الله تعالى حسباً تضمنه اشهاد المؤرخ بثالث شهر الله المحرم سنة سبع عشرة وثمان مائة . ومن ذلك جميع الخانوقين المتلاصقين الملاصقين بجامع الجوزة ومن قبله ، وهما نجاه المسجد الملاصق لقناة ابن العوفي ، ويشتمل كل حانوت منها على داخل وفناء واغلاق ، وظهورهما خواص لها ، حدما من القبلة الطريق واغلاقها ، ومن الشرق وقف قرطاي ، ومن الشام جامع الجوزة ^(١) ، ومن الغرب وقف اسماعيل ، وأحضر الواقف من يده كتاباً حكياً يشهد له بالملك تاريخه تاسع شوال سنة ست عشرة وثمان مائة ، ثابت مضمونه وثابت فيه الملك والحياسة ، محكوم فيه بالموجب بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي ابن نشوان الحواري الشافعي أجله الله تعالى حسباً تضمنه اشهاد الحكمي المسطر بظاهره المؤرخ بالتاريخ المذكور المتصل بثبوته وتنفيذه بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العالمي الحاكمي الشهابي ابن ابي العز ^(٢) الحنفي أجله الله تعالى الاتصال الشرعي .

(١) لم يزل عامراً في محلة الهامة حي الفزازين . انظر المدارس في تاريخ المدارس

٢ : ٤٢٨ وذييل ثمار المقاصد ص ٢٠٧ رقم ٦٨ .

(٢) كذا في الأصل وصوابه ابن المز ويعرف أيضاً بابن الكشك وهو شهاب الدين

أبو الباس أحمد بن اسماعيل بن محمد الاذاعي ، توفي سنة ٨٣٧ .

- نصف الثمان حوانيت تحت القلعة : ومن ذلك جميع الحصة الشائمة ومبلغها اثنا عشر سماً من أصل أربعة وعشرين سماً وهي النصف شائماً من جميع ٩٠
- عمارة الثمان حوانيت الكائنة ظاهر دمشق المحروسة تحت القلعة بالنصف الشامي من الشارع ومن الطبقة التي هي علو الحانوت الذي تجمه حمام الكحال ومن خلف (?) القبسارية ، ويشتمل كل حانوت على داخل وفناء واغلاق ، وتشتمل الطبقة على منافع . حد ذلك من القبلة الطريق ومن الشرق الطريق الآخذ الى حمام الكحال . ومن الشام الطريق وتماه عمارة فاضي القضاة فيجهم الدين ابن حجي^(١) ، ومن الغرب وقف ابن أم علم .

- نصف الفرن تحت القلعة : ونظير الحصة المذكورة من جميع عمارة الفرن الكائن بالمكان المذكور ، ويشتمل على كوشة وبلاط ومعاجن وقبة معقودة ٩٥
- ومخزن ومنافع ، وفيه ماء يجري من نهر ثورة . حد ذلك من القبلة الطريق ، ومن الشرق وقف ابن أم علم ، ومن الشام الطريق الآخذ الى حمام الكحال ، ومن الغرب الطريق الآخذ الى دار البطيخ^(٢) ، وأحضر الواقف من يده كتاباً يشهد له بملك ذلك ، تاريخه ثامن عشرين شهر رمضان المعظم قدره سنة ست عشرة وثمان مائة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحياسة وانه عمر مامنه المبيع بطريق شرعي وإذن معتبر مرضي ، محكوم فيه بالموجب وبصححة البيع وباحترام البناء المشهود به مع العلم بالخلاف بمجلس الحكم العزيز القضائي العلّامي التاجي ابن الزهري^(٣) الشافعي أجله الله تعالى حسبما تضمنه اشهاد ١٠٠
- الحكمي المسطر بظاهره المؤرخ بالخامس من شوال من السنة المذكورة .

(١) أبو الفتوح عمر بن حجي بن موسى السعدي الحسباني توفي قليلاً بمنزله بين الربوة والنيرب سنة ٨٣٠ .

(٢) يعرف اليوم بمكان البطيخ .

(٣) أبو النعمان عبد الوهاب بن أحمد بن صالح بن الزهري البقاعي . توفي سنة ٨٢٤ .

ومن ذلك جميع القيسارية والطباق خارج باب الجابية : ومن ذلك جميع القيسارية والطباق العلو والمخزن الخارج عن القيسارية الكائن ذلك ظاهر دمشق المحروسة خارج باب الجابية ، ويطلق على القيسارية باب خاص ، ويشتمل على عدة مخازن ومنافع ومرافق ، ويطلق على كل مخزن باب خاص ، والطباق العلو منها طبقتان لكل واحدة باب خاص أحدهما غربي باب القيسارية والآخر من شرقي بابها ، وتشتمل كل طبقة منها على منافع ومرافق وطاقات على الطريق ١٠٥ ومرتقى خاص ، ومنها أربعة يصعد اليهن من باب خاص ، وتشتمل كل واحدة على منافع ومرافق ولهن مرتقى خاص بهن ، ومنها خمسة يصعد اليهن من باب خاص ، ولهن مرتقى خاص بهن ، وتشتمل كل واحدة على منافع ومرافق ويطلق على المخزن الذي هو خارج القيسارية باب خاص ، ويشتمل على منافع ، وظهور ذلك كله وهواؤه خواص له ، حده ذلك من القبلة زقاق التريكان ، ومن الشرق ملك ابن الملاح ، ومن الشام الطريق وباب القيسارية وأبواب العلو ، ومن الغرب الحمام الخراب .

بستان ابن ذكرى بالمرزة : ومن ذلك جميع البستان الخراجي الذي هو من جملة أراضي قرية المرزة من غوطة دمشق ويعرف قديماً بابن ذكرى ثم بقاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة^(١) تفحصه الله تعالى برحمته ثم لغيره ثم لهذا الواقف ، ويشتمل يومئذ على أشجار فواكه مختلفة النوع ، وشربه من الماء من نهر المرزة حق معلوم ، وكان به عدة مساكن أخربها الواقف بعد انتقال ذلك إلى ملكه ، حده من القبلة البستان المعروف بالاسمردي^(٢) ثم بابن اقبعا آص ، ومن الشرق البستان المعروف بالجورة^(٣) ، ومن الشام معلم الدين يليه الطريق ،

(١) إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد (٧٢٥ - ٧٩٠) ترجمته في الدرر والشذرات .

(٢) له زين الدين أبو بكر بن نصر بن حسين بن حسن الاسمردي المتعب توفي سنة ٧٢٠ كما جاء في الدرر الكامنة .

(٣) ويمكن أن تكون الجورة .

- ومن الغرب الطريق والباب ، وأحضر من يده كتباً أربعة تشهد لهذا الواقع بملك جميع البستان بما اشتمل عليه من العائر والغراس والأرض ، أحدها يشهد له بملك سبعة أسهم تاريخه الأخير ثالث شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثمان مائة ، وهو ثابت و [ثابت] فيه الملك والحيازة محكوم بموجبه وبصحة البيع المذكور بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي الحاكمي الصدري ابن مفلح ^(١) الحنبلي حسبما تضمنته اشهاد المؤرخ بالخامس من شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثمان مائة ، المتصل بثبوته وتنفيذه بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي التاجي ابن الزهري الشافعي أجله الله تعالى ، وثانيها يشهد له بملك ثلاثة أسهم وهو مؤرخ بتاريخين آخرهما ثاني شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثمان مائة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحيازة لمن باع فيه ، محكوم بموجبه وبصحة البيع المذكور بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي الصدري ابن مفلح الحنبلي المشار اليه أبده الله تعالى حسبما تضمنته اشهاد المؤرخ باليوم المذكور ، وهو متصل أيضاً بالحاكمين في الكتاب المذكور أسبغ الله [عليه] ظلالهما . وثالثها وهو الكتاب المسطر أدنى الكتاب الثاني المذكور يشهد له بملك ثلاثة أسهم ونصف سهم ، تاريخه في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وثمان مائة وهو ثابت ، محكوم بموجبه وبصحة البيع المذكور بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي التاجي ابن الزهري الشافعي أجله الله تعالى ، حسبما تضمنته اشهاد المؤرخ بمسجل جمادى الأولى من السنة المذكورة ، ورابعها يشهد له بملك تنتمه ذلك وهو عشرة أسهم ونصف سهم من أربعة وعشرين سهماً ، تاريخه الأخير الخامس من جمادى الأولى سنة ست عشرة وثمان مائة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحيازة محكوم فيه بالموجب وبالصحة بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي الحاكمي الشهابي أبي العز الحنبلي أجله الله وحسبما

(١) أبو بكر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح (٧٨٠ - ٨٢٥) .

تضمنه اشهاد المؤرخ بتاسع جمادى الأولى من السنة المذكورة ، متصل بثبوته وتنفيذه بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي التاجي بن الزهري الشافعي ، ١٣٠ ثم بقاضي القضاة زفال^(١) العامري المالكي ثم بقاضي القضاة شمس الدين بن عبادة الحنبلي أحسن الله اليهم .

ربع الغراس والعارة لمزرعة ابن ابن البابا (؟) بالمزة : ومن ذلك جميع الحصة السابقة ومبلغها ستة أسهم من أصل أربعة وعشرين سهماً وهي الربع شائعاً ذلك من جميع غراس الفواكه وغيرها القائم ذلك في قطعة الأرض الخراجية التي من جملة أراضي وتعرف بمزرعة البابا (؟) ومن جميع الحوش الكائن به ومن الطبقة علوه ، وشرب أرض ذلك من قناة المزة ، وبطلق على ذلك باب خاص ، ويحيط بذلك فطائر (؟) وسياج ، حد ذلك من القبلة ملك المبيض ، ومن الشرق نهر داريا ، ومن الشام ملك ابن القطان ، ومن الغرب الطريق والباب ، وأحضر الواقف من يده كتاباً يشهد له بملك ذلك ، تاريخه ثامن عشرين شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثمان مائة يثبت مضمونه الملك والحياسة ، محكوم فيه بالوجب بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي الحاكمي التقوي بن النجما الحنبلي رحمه الله وحسبما تضمنه اشهاد المؤرخ في عشرين صفر سنة أربع وثمان مائة . ومن ذلك جميع قطع الأرضين الخراجية التي من جملة أراضي حديثة جرش^(٢) من الفوطة وهن : الكبرى والخندق والصويصية وهن أشجار صفصاف وغيره ، وشربهن من الماء من نهر زبدین الغربي ، وهو في كل أسبوع نهار الأربعاء وليته ، حدهن من القبلة والشرق الطريق وتماه ملك ورثة ابن التدصري يفصل بينهما مجرى ماء ، ومن الشام النهر الوسطاني والكريمات البرانية ملك المولى الأجل ناصر الدين ابن سويدان يومئذ ، ومن الغرب النهر الغربي الفاصل بين الأراضي المذكورة وبين الجورة .

(١) او دقان .

(٢) غربة معروفة رعايسة يقال لها الحنينة .

الغراس والعمارة بالكريم الجواني : وجميع الغراس والعمارة القائمان في أرض قطعة الأرض الخراجية من جملة أراضي القرية المذكورة ويعرف ذلك بالكريم الجواني ، ويحيط بذلك مطار (كذا) وسياج ، وتشتمل العمارة على حوش واصطبل وطبقتين علو بمنافع ومرافق ، وتشتمل الغراس على فواكه مختلفة

النوع وجوز وسفرجل وحور وغير ذلك . حد ذلك من القبلة ملك الواقف ١٤٥ ومن يشركه ، ومن الشرق الطريق والباب ، ومن الشام مكان يعرف بالكريم البراني ، ومن الغرب ملك الواقف وشركته وتما الحد النهر ، وأحضر الواقف من بده كتابا يشهد لبائعه بملك ذلك مؤرخ بتاسع عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة ثمان وثمان مائة ، ثابت وثابت فيه الملك والحيازة ، محكوم فيه بصحة البيع المذكور بمجلس الحكم العزيز القضائي الناصري رحمه الله وحسبما تضمنه اشهاد المسطر بعاشر شوال من السنة المذكورة ، وفي ظاهر الكتاب فصل يتضمن أنه ابتاع الواقف ذلك وهو مؤرخ بعاشر شوال سنة ثمان وثمان مائة ، ١٥٠ وهو ثابت ، محكوم بموجبه بمجلس الحكم العزيز القضائي التاجي بن الحسيني^(١) الشافعي أيده الله ، وحسبما تضمنه اشهاد المؤرخ بالتاريخ المذكور .

غراس حقل الجامع : ومن ذلك جميع الغراس المذكور [يشتمل] على فواكه وحور رومي وفارمي وصفصاف وغير ذلك .

غراس دف الخادم : وجميع الغراس القائم بدف الخادم من جملة الأراضي المذكورة .

غراس جنبنة النصارى : وجميع [الغراس] القائم بالجنبنة المعروفة بجنبنة النصارى من القرية المذكورة ويشمل كل غراس منها على فواكه مختلفة النوع وغير ذلك وحور وصفصاف . حد حقل الجامع من القبلة وقف الرهبان ، ومن ١٥٥

(١) محمد بن أحمد الحسيني (٧٨٤ - ٨٢٦) ترجمته في الضوء اللامع والدارس في تاريخ المدارس .

الشرق وقف مسجد أبي صالح^(١) ، ومن الشام الطريق وفيه الباب وحقل دليل ،
ومن الغرب الطريق . وحدت جنبنة النصارى من القبلة مقبرة القرية والطريق
والبها بفتح بابها ، ومن الشرق ملك ابن خطيب الحديثة وتقام الحد وقف السادة
الأشراف ، ومن الشام مكان يعرف بالفصيصة . وحدت دف الخادم من القبلة
وقف المنكورس^(٢) والنظر الى ذلك ، ومن الشرق وقف السادة الأشراف
وتقام الحد القناة ، ومن الشام الطريق وتقام الحد وقف الرهبان والقناة ، ومن
الغرب النهر وما هو داخل في هذا الوقف جميع الغراس القائم على كفتي النهر .
جنبنة الحمام : ومن ذلك جميع الجنبنة المعروفة بجنبنة الحمام من أراضي القرية
المذكورة إلا نصف الثمن منها ، وتشتل على أشجار قوت وغرس وعنب وغير
ذلك ، وشربها من الماء من نهر زبدین حق معلوم ، وحدتها من القبلة الطريق
وبابها ، ومن الشرق حقل الجامع وتقامه وقف الحرمين ، ومن الشام وقف بني عنبر ،
ومن الغرب الحمام .

حقل باب الدار : ومن ذلك جميع قطعة الأرض الخراجية المعروفة بحقل
باب الدار ، وشربها من الماء من نهر بالا حق معلوم ، ويحيط بها فطائر وسباج .
حدتها من القبلة فسيحتها ، ومن الشرق النهر ومن الشام قسم ذلك ملك أولاد
الصوفي ، ومن الغرب الطريق .

١٦٥ كريم الخراوي : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها ستة عشر سهماً وثلاثاً
سهم من أربعة وعشرين سهماً شائعاً ، ذلك من جميع القطعة الأرض الخراجية ،
المعروفة بكريم الخراوي من أراضي القرية المذكورة ، ويحيط بها سباج وفطائر ،
وشربها من الماء من نهر زبدین حق معلوم . حدتها من القبلة الحوش ، ومن
الشرق الدرب ، ومن الشام أرض الرهبان ، ومن الغرب ملك يعرف بالبرودي .

(١) كان بظاهر باب شرقي ودرس .

(٢) ركن الدين منكورس الفلكي عتيق فلك الدين سليمان المادلي أخى الملك المادل
لأمه توفي سنة ٦٣١ .

الحمام : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها عشرة أسهم ونصف سهم من أربعة وعشرين سهماً من جميع الحمام الذي بالقرية المذكورة ، وبطلق عليه باب خاص ، بدخل منه الى وسط مبلط به بركة تجري اليها الماء من بئارة بدولاب ، وبه مساطب مستديرة ، ثم بدخل من باب ثاثل وثالث الى عدة مقاصير وأجرنة ، تجري الى ذلك الماء من قدرته الصفر (؟) وهذا الحمام ملاصق للبحينة المذكورة وداخل في الأرض المعروفة بمقل باب الدار .

الحصة بقربة دمر : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها سبعان وربع سهم وثن سهم من جملة الثانية أسهم المقسومة المفروزة وهي الثلث شائعة من جميع القرية الخراجية المعروفة بدمر ومن أراضيها ، وهذه القرية من قرى وادي بردا من عمل دمشق ، ويعرف هذا الثلث المقسوم المفروز الذي منه هذه الحصة الموقوفة بحصة سيف الدين ، ويشتمل ذلك أراضي معمل ومعطل وسهل ووعر وأقاصي وأداني ومصايف ومشاتي ودمنة عامرة برصم سكنى فلاحيتها ، وعلى أشجار ١٧٥ وفواكه مختلفة الأنواع ، وحوار وجوز وتين ورمال وغير ذلك ، وممر نهر يزيد بها بسقي ما يحكم عليه من أراضيها ، ويحيط هذه القرية من الماء وهو الجانب الغربي منها من قناة المزة حق معلوم معروف ، ولهذا الحصة المقسومة المفروزة المعينة أعلاه التي منها الحصة الموقوفة قطع أرضين مجتمعات ومتفرقات في أرض القرية المذكورة ومن معروفات .

ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها النصف شائعاً من جميع البستان الخراجي الذي من جملة أراضي دمر المذكورة ، ويعرف مكانه بستان الشياح قديماً . ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها ثمانية أسهم من أربعة وعشرين سهماً ١٨٠ وهي الثلث شائعاً ذلك من جميع البستان الملاصق لذلك ويعرف مكانه بأبي سليح قديماً ، يحيط بذلك فطائر من جهة الشرق . يشتمل ذلك جميعه على أشجار حور وتوت ورمال وسفرجل وانجاص وغير ذلك ، وشرب ذلك من الماء من نهر

يزيد حق معلوم ، وحر النهر في ذلك من الجانب الشرقي ، حد هاذين (كذا) البساتين بكاملها من القبلة مكان يعرف بالغيم ملك القاضي جلال الدين بن التقي ، ومن الشرق الطريق ، ومن الشام الوقف على الحنابلة ، ومن الغرب نهر بردى .
 وحد القرية المعروفة بدمر المذكورة بكاملها من القبلة جبل المزة وقبة سيّار ،
 ١٨٥ ومن الشرق أراضي قرية الدريج وأراضي معربا ^(١) ، ومن الشام أراضي قرية الهامة وأراضي دُسيّا ^(٢) ، ومن الغرب عين المنقنة . وأحضر الواقف من يده كتابين : أحدهما يشهد له بملك الحصة من قرية دمر ومن البساتين الكائنين بها والنصف من جميع الفراس القائم بمقل الجامع ويحيطه النصارى وبدف الخادم وغير ذلك مؤرخ بالثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره ، سنة ثمان وثمان مائة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحيازة ، محكوم فيه بصحة البيع بمجلس الحكم العزيز القضائي الشرفي الرمثاوي ^(٣) الشافعي رحمه الله ، وحسبما تضمنه اشهاد المؤرخ باليوم المذكور ، والكتاب الثاني يشهد له ببيعة ما ذكر
 ١٩٠ في قرية الحديثة تاريخه في الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة وثمان مائة ، ثابت وثابت فيه الملك والحيازة ، محكوم فيه بصحة البيع بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلائي الشمسي الكبير الشافعي أبده الله تعالى حسبما تضمنه اشهاد المؤرخ بالخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة .

الحصة بقرية برجه : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها ستة أسهم من أصل أربعة وعشرين سهماً وهي الربع شائعاً ، ذلك من جميع القرية الخراجية المعروفة بقرية برجة ^(٤) من إقليم الخروب من عمل صيدا ومن أراضيها ، ويشتمل

(١) قرنتان مروفنان شمالي دمشق .

(٢) من قرى وادي بردى وتعرف الأخيرة بأديا .

(٣) موسى بن أحمد بن الرمثاوي الشافعي (٧٦٠ - ٨١٦) .

(٤) قرية من البحر بين بيروت وصيدا .

- ١٩٥ ذلك على أراضي معتدل ومعتدل وسهل ووعر وأقاصي وأداني ومصايف ومشاتي
ومروج وصير ومسارح ومراعي وبيادر وبوادر وكروم غناب وتين محوجه على
أربابها وأشجار زيتون وغروب وغير ذلك وعيون ماء سارحة ودمنة عامرة يرمم
سكنى فلاحيتها . حدتها بكاملها من القبلة ينتهي الى المكاف الذي يعرف
بوادي الراية ، ومن الشرق ينتهي الى الأرض وهو المكان المعروف بجايط
الرابطة ثم ينتهي الى أرض البرجين ^(١) ، ومن الشام ينتهي الى قرية بعاصير ^(٢)
التحفا والفوقا ، ومن الغرب ينتهي الى الأرض المعروفة بأرض الحية ^(٣) التي من
جملة أراضي قرية تراروب (?) وأحضر الواقف من يده كتابا شهد له بذلك ذلك
تاريخه ليلة يسفر صباحها عن ثالث عشرين شعبان المكرم سنة ست عشرة
٢٠٠ وثمان مائة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحياسة ، ومحكوم فيه بالصحة بمجلس
الحكم العزيز المولوي القضائي العالي الحاكمي الشهابي ابن أبي العز الحنفية أجله الله
تعالى ، حسبما تضمنه اشهاد المسطر بظاهره المؤرخ بالثامن عشر من شهر رمضان
المعظم قدره سنة ست عشرة وثمان مائة ، متصل ثبوته وتنفيذه بمجلس الحكم
العزيز المولوي القضائي الحاكمي الشمس بن عبادة الحنفية أجله الله ، وحسبما تضمنه
اشهاد المؤرخ بتاسع عشر الشهر المذكور .

جعفر الحنفية

(يتبع)

ما سمعت وما رأيت

في بلاد السوفيت

- ٦ -

متحف الصومعة :

بعد متحف الصومعة (The Hermitage Museum) أكبر متحف للتاريخ والثقافة والفن في بلاد الاتحاد السوفيتي قاطبة . ولا يقتصر ما يحويه من تحف نادرة من منشأ سوفيتي فحسب بل يتعداه الى تحف من سائر أنحاء العالم يرجع تاريخ بعضها الى ما قبل آلاف من السنين .

ويعود تاريخ تأسيسه الى القرن الثامن عشر والى عهد كاترينا الثانية التي اتخذته داراً لها ولم يكن يسمح لأحد بزيارته ، وأضيف اليه في القرن العشرين جزء جديد عُرف بالصومعة الحديثة ، ومع ذلك فقد ظل عدد الذين يسمح لهم بالاطلاع على ما بين جدرانها محدوداً جداً ، حتى ان حاشية بلاط القصر لم يكن لكلمة الحق بزيارة قاعات المتحف ، وأصبح الولوج فيه مسموحاً به تحت ضغط بعض المجتمعات الروسية اعتباراً من منتصف القرن العشرين . وظل المتحف حتى سنة ١٩١٤ تابعاً لقصر الشتاء (Winter Palace) قصر القيصرة مرتبطاً به بممر خاص في جانب الطريق التي توصل بين القصر المذكور ونهر نيفا . وألحق قصر الشتاء بالمتحف اعتباراً من ١٩١٧ كما انه وسع وازدادت محتوياته أضغاثاً بما جلب اليه مما كانت تحويه قصور القيصرية من كنوز وتحف من سائر أنحاء البلاد فضلاً عما صدرته الحكومة من تحف أخرى خاصة من قصور الأمراء والطبقة الارستوقراطية التي دالت دولتها .

وفتحت أبواب المتحف على مصاريعها لجميع الناس بعد ثورة تشرين الأول ، وأنيط بعدة اخصائيين في مقدمتهم الأديب الروسي المشهور ماكسيم غوركي (Maxim Gorky) لتنظيم المتحف وتنسيقه ، وبلغت تحفه ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل الثورة إذ يربو عدد المعروضات فيه الآن على المليونين وأضيف اليه أجنحة خاصة خصصت لتاريخ روسيا وثقافتها وثقافة شعوب الشرق وفنونهم . ويشغل فيه عدد كبير من الاخصائيين في الفروع المختلفة من الفنون والصناعات . زرت هذا المتحف يوم وصولي الى ليننغراد (الأحد ١٤ تشرين الثاني) وبعد أن ذكرت لنا الدليلة لمحة خاطفة عن المتحف بما لا يخرج عما تقدم شرعنا في زيارة قاعاته ولم يتح لنا سوى زيارة ٥٠ قاعة من أصل ٣٥٠ ، واستغرقت زيارتنا ٣ ساعات .

وإن مما يراه الزائر كثرة الوفود التي تؤم المتحف والفئات التي تمثل الجمعيات المختلفة وزمر الطلاب مع أصابتهم لاطلاعهم على مايت بالصلة بالدروس التي يتلقونها^(١) إذ باستطاعة الزائر أن يدرس فيه تاريخ الثقافة والفن لشعوب بلاد الاتحاد السوفيتي ، وتاريخ القرون الأولى من العصر الحجري حتى زمننا هذا . وإن من القاعات التي أتيح لنا زيارتها الأقسام الخاصة بالرومانيين والايطاليين واليونانيين ثم الفرنسيين والهولنديين . ورأينا في القسم المخصص لمصر عدداً من الموميات منها المجردة ومنها غير المجردة في جانب الصناديق المنضدة والمغلقة التي لما يتم عرض ما تجويه ، ورأيت أوراق البردي وما تحمله من كتابة هيروغليفيه بعضها بالخط الأحمر ، وكلا الخطين بالخبر الأحمر والأسود لا يزال محافظاً على لونه . وفي الأقسام المخصصة بالجوهرات رأينا الجواهر المصنوعة من الذهب الخالص

(١) ولقد أحصى عدد الزائرين سنة ١٩٥٤ فكان ١,٢٥٠,٠٠٠ وتلقى المتحف ١٢٠٠٠ رحلة وأن ٢٤٠ فئة درست فيه شؤون الأزمنة النابرة وما يتعلق بها من ثقافة وفن .

والأشجار الكريمة النادرة منها ما كشف في شمال قفقاسية وفي جنوب أوكرانيا
عدا النماذج المختلفة من الساعات المصنوعة في روسيا خلال القرنين الأخيرين .
ونجد بين التحف الشرقية تحفاً قديمة العهد من صينية وهندية وبيزنطية ومصرية
وايرانية وتركية واغريقية ورومانية . وقاعات الصور تشتمل على لوحات لأشهر
رسامي الغرب والشرق ، وقاعات النسيج يبدو فيها الأنواع المختلفة من المنسوجات
قديمها وحديثها ، ويرى الزائر النماذج النادرة من الخزف والعاج والبلور والفضيات
والأواني الذهبية .

وانتقلنا من متحف الصومعة الى قصر الشتاء مقر القيصر فيما مضى ويرى
الداخل من السلم الرئيسي الرخامي الذي يحمل طابع القرن الثامن عشر ما في
سقفه من نقش بديع وما يحيط بجناحه من تماثيل من المرمر الأبيض النقي ،
ولهذا القصر شأن تاريخي مزدوج فهو مقر للقيصر وعنه كانت تصرف شؤون
تلك الامبراطورية الشاسعة ، كما ان فيه تم احتلام رجال الثورة لزام الحكم ،
وألقى بعدئذ بمتحف الصومعة ، وبعد من أقدم الأبنية في ليننغراد .

فن قاعاته قاعة العرش الصغيرة (The small Throne Hall) وتعرف بقاعة
بطرس (Petrovsky) تجليداً لاسم بطرس الأكبر الأول ، جددت بعد الحريق
الذي انتابها سنة ١٨٣٧ وهي غنية جداً بالنقوش والتماثيل واللوحات . ولا يغمط
رجال الثورة حق بطرس الأكبر بل هم يقرون بفضل^(١) بتخصيصهم إحدى
القاعات لمخافاته ومصنوعاته التي قيل انه كان يتقن ١٤ صناعة يدوية ، وأخرى
تمثل لوحاتها العديدة المواقع الحربية التي خاض غمارها في الشمال والجنوب والغرب
والشرق ومن أشهرها غزواته في الشمال لاستخلاص البلاد من السويد . ومن
المواقع الحاسمة التي خللت ذكرها باللوحات البديعة موقعة اسماعيل^(٢) التي بعرض

(١) وإن استبدلوا باسمه وهو مؤسسها اسم لينين زعيم الثورة الأولى .

(٢) وهي قلعة حصينة تابعة لبسارابيا (Bessaraby) الرومانية .

في إحدى قاعات قصر الشتاء ما غنمه الجيش الروسي من أعلام عثمانية كثيرة ،
وصور القواد الذين اشتركوا في الحرب الوطنية ضد نابوليون .

وقاعة العرش الكبيرة (Large Throne Hall) وتعرف بـ (- Geor - giyevsky) من أكبر قاعات قصر الشتاء إذ تبلغ مساحتها على ما قيل ٨٢٠٠ قدماً مربعاً وهي غنية جداً بالتأثيل واللوحات والزينات المختلفة ناهيك بأرضها الخشبية التي صنعت من ١٦ نوعاً من الخشب وفيها ٤٨ عموداً من المرمر بارتفاع ٢٠ قدماً ومحيط ٦ أقدام ، وقضاء بـ ٢٨ مشكاة تحوي ١٥٠٠ مصباح .
وكان فيها عرش القيصر الذي نقل إلى القاعة الصغيرة ، وفيها خريطة الاتحاد السوفيتي المصنوعة من أحجار أورال (Urals) شبه الكريمة (semi precious) وقيل لنا إن عدد هذه الأحجار هو ٤٥٠٠٠ نصدت في ساحة لا تتجاوز ٢٧٠ قدماً مربعاً ، وإن هذه الخريطة قد عرضت في معرض باريس سنة ١٩٣٧ وفي معرض نيويورك أخيراً . وهي توضح التقسيمات الإدارية لبلاد الاتحاد ويظهر فيها ٤٥٠ بلدة كبيرة وما تحويه البلاد من بحيرات وأنهار وجبال .

متحف لومونوسوف :

وهو متحف العالم الروسي الشهير (Lomonosov) وقد أشرنا في المقال السابق إلى إطلاق اسمه على جامعة موسكو^(١) ويمده القوم رائد الأدب الروسي الحديث^(٢) . رأينا في هذا المتحف ما يبين حياته منذ نعومة أظفاره حتى أواخر

(١) انظر المجلة مج ٣٣ ص ٩٣ .

(٢) يمد في الطبقة الأولى بين أدياء الروس وعلمائهم ولد سنة ١٧١١ وتوفي سنة ١٧٦٥ رُوي عنه أنه جاء من مخطط رأسه في أقصى الشمال إلى موسكو مشياً على الأقدام ودرس في جامعتي كيب وبترسبورغ وزار ألمانيا ، عين أستاذاً في بترسبورغ ثم مديراً لإحدى الكليات فرئيساً للجامعة ومشاراً للدولة ، ومن أشهر مؤلفاته تاريخ روسيا وقد نقل إلى عدة لغات والنحو الروسي في جانب الكتب الأدبية العديدة .

أياهه بلوحات وثمانيل في جانب أوراقه الشخصية وكتبه ومخطوطاته وبعد أول من درس الكيمياء في بلاد روسيا ، ومن العلوم التي كان يتقنها علم الفلك والمعدنيات وسواها .

متحف نشوء الإنسان :

وهو المعروف بـ (Anthropology) وفيه شاهدنا النماذج المختلفة للإنسان البدائي وحيوانات العصور السالفة والتي انقرضت تماماً . وقد قال لنا دليلنا - وما أظن هذا إلا من قبيل الدعاوة - : إن ما توصل إليه علماء الاتحاد السوفيتي أن الأقوام المختلفة متساوية في خلقها وليس ثمة فوارق بينها .

ورأيت فيما يدعى بمتحف علم الأقوام أو الاثنولوجيا (Ethnology) ما يمثل حياة الأقوام المختلفة في الملبس والعيش والحياة الاجتماعية ، ولوحة تصور حفلات الطائفة الجعفرية في شهر المحرم ، وصورة تمثل سيدنا الحسين وقد فصل رأسه عن جسده والسهام التي تخترقها الثقوب التي تبدو في الجلد ، وما كان يستعمل في بلاد الاتحاد السوفيتي من آلات للتعذيب بشكل مجموعة فريدة في بابها .

ومن أطرف ما رأيته مجموعة المسوخ ^(١) (Monstrous) أمر يجمعها وعرضها في المتحف بطرس الأكبر إذ أصدر مرسوماً أوجب فيه أن يسلم إلى المتحف كل مسيخ في البلاد كافة ، وبذا بلغت المجموعة (وأظنها الفريدة في بابها) حداً نادر الأمثال ورأيت بين ما هو معروض منها ما لم تقع عيني على صورة له سفي الكتب التي اطلعت عليها . ويبدو أن صداقة القيصر لأحد الأطباء الدانيمرك أوحى إليه بهذه الفكرة الطريفة .

(١) جم مسيخ والمسيخ لغة النشوء الخلق وتدعوه العامة بالمعجبة وهو أن يجعل الجنين تذوداً بالغا في تكوين بدنه وأعضائه وأحشائه . ويدعو بعضهم بالمسيخ المشيأ وقد جاء في اللسان : والمشيأ المختلف الخلق الخلق القبيح .

قال : نطلي ماطي . ماطي ؟ شيأم إذ خلق المشيأ .

وقد شيأ الله خلقه قبسه . وقالت امرأة من العرب :

إني لأهوى الأطولين القلأ وأبغض المشيئين الرغبيا

ولكتاب الغال بحث مستفيض عن المسوخ في كتابه فلسفة الطب .

ورأينا في المتحف مجموعة من آلات الجراحة وطب الأسنان قيل لنا ان القيصري قد صنعها بنفسه ويروي أنه أنقذ حياة ٢٧ جندياً من بين ٣٠ جندياً خاط لهم جراحيهم وأنه كان يقدم على إجراء بعض العمليات الجراحية لأفراد الشعب ولا عجب بعد أن ذكر لنا أنه كان يتقن ١٤ مهنة .

ورأيت أخيراً لوحة كبيرة تمثل فيها حياة الهنود الحمر في أمريكا الشمالية رسمها أحد فتاتي الروس إبان احتلال القوم لتلك الأصقاع ورووا لنا وصولهم حتى سن فرنسيسكو .

مرصد بولكوف :

وقد زرناه في اليوم السادس عشر من تشرين الثاني . وبولكوف اسم ناحية تبعد عن ليننغراد ٢٠ كيلومتراً قطعتها بنصف الساعة لكثافة الثلج الذي كان يستر أديم الأرض . وكانت درجة الحرارة في المرصد - ٥ مئوية والمرصد مبني فوق هضبة مرتفعة حتى ان مستواه يوازي قبة كنيسة اسحق الكائنة في جوار فندق استوربا .

وقد استقبلنا إثر وصولنا الى المرصد مديره الذي يتقن اللغة الفرنسية وزار الولايات المتحدة وما قال لنا ان تأسيس المرصد يرجع الى سنة ١٨٣٩ تهدم في الحرب العالمية الثانية على فكرة أبيه وجدد بناؤه بعدها واحتفل بتدشينه في أيار سنة ١٩٥٣ بعد أن أضافوا الى المباني السابقة قاعة كبيرة للمحاضرات .

وقد قيل لنا ان هذا المرصد يعد الأول في العالم لا من حيث اتساعه فحسب بل لكثرة ما يحويه من أدوات حديثة بعضها مبتكر ولوقعه الجغرافي الممتاز ، ويعنى فيه بوجه خاص يرصد نجمة القطب بتسجيل حركتها على مسجل خاص (وقد رأينا النجمة وما يسجل من الحركة) . وزرنا الجزء الخاص بضبط الوقت والساعة بالآلات الكهربائية والضوئية ، وزرنا المكاتب المعد لتصوير النجوم والكواكب تصويراً فوتوغرافياً . وقد استغرقت زيارتنا هذه ٣ ساعات ونيفاً .

(للبحث صلة) الدكتور حسني صبح

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي (*)

- ٣ -

< الفصل الثاني >

القول في القوة الغاذية

فنقول : إن الموجود مقابله ما ليس بوجود . وما ليس بوجود منه المحال ^(١) ، وهو ما لا يمكن وجوده ، و < منه الممكن > . والممكن وجوده صنفان : أحدهما الضروري ^(٢) ^(٣) وهو ما لا يمكن عدمه ، والآخر الموجود المطلق وهو ما هو موجود وقتاً ما ، فبين أن الوجود المطلق ^(٤) قد كان معدوماً وقتاً ما . وقد يُظن أنه يلزمه أن يكون معدوماً زماناً ولا نهاية . لكن إن كان ذلك فبالعرض ، وقد تلخص ذلك في الثامنة من السماع الطبيعي ^(٥) . فليترك الأمر

(*) انظر القسم الأول والقسم الثاني من هذا المقال في الجزء الأول والجزء الثاني من هذا المجلد الثالث والثلاثين .

(١) قارن ابن باجة : السماع ، ورقة ٥٥ الف : « الموجود يقابلة لا موجود ، وبينها ما هو موجود ولا موجود لكن لا في وقت واحد ، وهذه كلها إما بالإطلاق أو عند شيء ما ، فإما لا موجود أصلاً وهو الممتنع والمحال فين أمره » .

(٢) المخطوطة : الصنفان .

(٣) يستعمل ابن باجة « ضروري الوجود » ، و « ممكن الوجود » و « ممتنع الوجود » ، انظر السماع ، ورقة ٤٣ ب : « وكل معنى معقول فهو ضرورة إما ممتنع وجوده أو ضروري وجوده أو ممكن » .

(٤) المخطوطة : المطلق الوجود .

(٥) قارن ابن باجة : السماع ، ورقة ٤٦ الف ، « فكل ما أنزلناه ممكناً زماناً غير متناه لزم من ذلك وجود أشياء غير متناهية ممأ ، فإن الممكن والوجود في زمان غير متناه محال » .

على ما تبين هناك ان عدم^(١) ذلك الأمر أيضاً عدم مطلق . والعدم المطلق يلزم الامكان^(٢) ضرورة لزوم التكافؤ . وقد تبين فيما يبناء في الأولى من السماع نسبة العدم الى الامكان . فالعدم نسبة الوجود المقابل الى المادة من جهة ما هو وجود مقابل بالذات . وأهني بالمقابل ما بأتلف منه الموجبة والسالبة المتناقضتان ، وهو اذا حمل على موضوع واحد بعينه ، هو وتقيضه ، صار القولان متناقضين واقسما الصدق والكذب .

فأما اذا قلنا في زيد المريض أنه يمكن ان يصح وأن لا يصح ، فليس مقابل « ان يصح » الذي ائتلف منه هذا القول ، موجود عدم الصحة الذي مع الامكان ، بل عدم الصحة (ورقة ١٤٣ الف) [في الآن الذي] تضمن القول « أنه يصح » فيه كان ذلك الآن محصلاً أو غير محصل . فنسبة الصحة من جهة ما له مثلٌ - مثل هذا المقابل - الى الموضوع هو إمكانها . والقوة على نسبة الصحة الى المادة هي عدم الصحة ، لكن ليس من جهة ما لها مقابل بالقوة . هي نسبة الصورة المقابلة الى الموضوع لكن ليس من جهة ما هي مقابلة ، فلذلك تلازما .

(١) قيل في حد العدم أنه الذي ليس بوجود كذا وكذا ، أي أنه عدم كذا وكذا ، لا عدم بالإطلاق ، إذ ليس هاهنا ما ليس بوجود على الإطلاق ، فانه لا يوجد عدم مطلق كما يوجد وجود مطلق بل عدم مضاف ، إذ كان العدم عدماً لشيء ، راجع تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ، بيروت ج ٢ ص ٨٠١ والتعليق الآتي .

(٢) فصل ابن باجة معنى الإمكان في السماع ، ورقة ٧ الف ، حيث قال : « والممكن ثمره العدم ضرورة فبل الإمكان هو العدم كما الصورة هي الوجود أم لا . فنقول : إن الممكن من طريق ما هو ممكن فليس الوجود لذاته عدم ، فان الإمكان هو ثاني الموضوع المعنى عندما عرض لذلك الموضوع العدم ، فان العدم ليس هو بالذات ، لا يوجد عنه الشيء أصلاً ، بل ذاته وماهيته ألا توجد . والإمكان وما هو فوجوده في أن يوجد الشيء ، فالعدم عارض للممكن لامن جهة ما هو ممكن بل الإمكان فيه من جهة العدم من جهة ما . الممكن شيء آخر كأنك قلت نحاس أو صورة مضادة فلذلك يكون وجود المعنى في الممكن تماماً لا استحالة . وإنما يكون استحالة الممكن من جهة العدم » .

والممكن وما بالقوة واحد بالموضوع ، اثنان ^(١) بالقول .
ولذلك يلزم ضرورة أن تتقدم القوة على الفعل بالزمان ^(٢) كما تبين ذلك في
الثامنة من السماع . فقد يقال في القدر انه ممكن أن ينكسف وانه بالقوة
منكسف لكن باشتراك الاسم ، والقوة في القدر أقرب الى القول بالتواطؤ
من قولنا « الممكن » ، فان الممكن في القدر وفي المريض باشتراك ، ولذلك
قد بعد الكسوف فيما هو ضروري .
والقوة كما تبين في مواضع كثيرة تتقدم الفعل ^(٣) ، والفعل ينقسم الى
المقولات العشر .

وما بالقوة فلا يصير شيئاً بالفعل حتى يصير لكون تغير ضرورة ، كما تبين
ذلك في الثامنة ^(٤) .

(١) المخطوطة : لينال .

(٢) ابن باجة كرّر قوله « إن القوة تتقدم على الفعل بالزمان » في مواضع :
ورقة ٤٤ ب : فإذا القوة متقدمة للكمال بالزمان . ، ورقة ٥٢ الف :
« من تقدم القوة للفعل بالزمان » ، ورقة ٩٣ ب : إن قوة كل موجود
سابقة لفعله بالزمان . قارن أرسطو 1. 1003 a 6. Met. B. 6. وهذا كما هو
ظاهر يخالف ما قال أرسطو ان ما بالفعل سابق على ما بالقوة زماناً ،
راجع Met. O. 8. 1049 b 18 .

(٣) قارن ابن باجة ، السماع ، ورقة ١٠ ب : « والشيء إذا كان بالقوة جملة
فليس هو بالفعل شيئاً مما هو بالقوة ذلك الشيء ، وإذا كان بالفعل جملة فليس
هو بالقوة أصلاً ذلك الشيء ولا فيه جزء من أجزاء القوة » .

(٤) قارن النفس نفسه (ورقة ١٥٠ الف) : كل ما بالقوة فأنما يصير بالفعل ،
أيضاً ، السماع ورقة ٣٥ الف : فان الفعل لا يتحرك وإنما يتحرك ما بالقوة . . .
فالمخالفة ضرورة في التغير يحتاج الى ثلاثة أشياء - متقابلان وموضوع - والموضوع
هي ما بالقوة وهو قابل للتغير . وقارن أرسطو 7 257 b 5. 34-35 a 4. Phys. VIII. 4.
وابن سينا : الشفاء ورقة ١٩٦ ب ٨ : « وكل ماخرج من القوة الى الفعل
فأنما يخرج بسبب بالفعل يخرج » .

والتغير هو في الجوهر والكم والكيف والأين^(١) ، فقوى^(٢) هذه الأربعة هي القوى التي بها يتحرك المتحرك . والقوى التي بها يتحرك المتحرك تسعى القوى المنفعلة والمتغيرة . والقوى على هذه قوى متغيرة .
وأما باقي المقولات حاشي مقولة أن تنفعل^(٣) فليس كمال قواها المنفعلة تغيراً ، لكنه يكون عن تغير ، ولذلك يكون في الآن^(٤) .

والمقولات الثلاث فلا توجد النسبة في حدودها . فليس يحد الكم بنسبة الجوهر اليه الذي هو موضوع ، وكذلك الكيف . والكم أخرى بذلك حتى ظن انه مفارق . وأما الست فكلها تحد بالنسبة الى الموضوع . لكن الوضع ومقالة له بوجود الجوهر في أقوالها^(٥) . وأما الأربع الباقية فليست كذلك ،

(١) قارن النص (ورقة ١٤٤ الف) والتغير كما قلنا يكون في الجوهر ؛ ورقة ١٦ الف : وذلك هو التغير في الجوهر ؛ ورقة ٣٢ ب : « لما كان المتغير منه ما يقال بالتقديم ومنه ما يقال بالتأخير ، فالمقول بالتقديم هو ماني الجوهر وفي الكم وفي الكيف والأين على ما تلخص في الثالثة » . وبين ابن باجة سبب التغير في المقولات الأربع قائلاً (ورقة ١٠ الف) : « لكن الفحص عنه هنا فن جهة الوجود الذي يقال له تغير ، وأما السبب الأول الذي على طريق الصورة فليس بواحد ولا يوجد له قول واحد فافهم يطى بحدودها وهي المقولات الأربع وهو الجوهر والوجود الأول فيه كون ، والكم والوجود فيه نمو ، وأما النفس فأخرى أن يكون « لا وجود » . وهذه تقابها أعداد ، فالكون يقابله الفساد ، والنمو يقابله الذبول ، والكيف يقال لضده استعانة وليس أحد طرفيها أخلق بأن يكون وجوداً من الآخر فليرسا في الوجود ، والحركة في الأين وهي الثقة وهذه أخلق بالوجود من سايرها ، إذ ليس فيها ما يزيل بالذات وجود الموجود » .

(٢) المخطوطة : مقوى .

(٣) المخطوطة : فعل .

(٤) قارن ابن باجة ، السماع ورقة ٢٩ ب : « وتغيرت النسب وتبدلت نسبة بعد نسبة أخرى ، لكن هذه وإن لم تكن تغيراً فهي عن تغير لكن ذلك التغير في شيء آخر ويكون للنسب تغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن » . راجع النص ، ورقة ١٥٣ الف : ويكون تغيرها في الآن ؛ وزيلر (Zeller) :

Aristotle : Vol. I. p. 433. 9

(٥) المخطوطة : أقوالها .

بل قد تكون موضوعاتها غير الجوهر . وكلها يشترك في أن لها موضوعات لا توجد تلك النسبة في حدودها .

فأما التي توجد النسبة في حد أحد الموضوعين من حيث هما ذاك المتباينان فهي الوضع وله الأين ومعنى وان ينفع . وأما التي لا توجد النسبة في حد واحد منها ، فهذه صنفان : إما أن يكون الموضوعان معاً بالفعل ^(١) ، فهذه هي مقولة الإضافة ، وإما أن يكون أحدهما بالفعل والآخر بالقوة من جهة ما هو بالقوة فهذه مقولة « أن ينفع » .

وأما هل يكون موجودان بالفعل ، موضوعان لنسبة توجد تلك النسبة في أحدهما ، وتكون عن الإضافة ، فقد تبين كيف ذلك في غير هذا الموضع . (ورقة ١٤٣ ب) فظاهر الذي يفعله من حيث هو « ما ينفع » موجود بالفعل « وما ينفع » موجود بالقوة . فان قولنا « يفعل » يلزم عنه بالذات لا بالعرض أن يكون موجوداً بالفعل مشاراً إليه ، وإما « ما ينفع » فيلزم عنه أن يكون موجوداً بالقوة . و « ما يفعل » يساوق ^(٢) في الوجود « ما ينفع » ويلزم عنه وجوده ضرورة .

والمتحرك منه ما هو متحرك حركة سرمدية ، ومنه ^(٣) ما هو متحرك حركة كائنة فاسدة . ومحرك السرمدية واحد وهو محرك دائماً ، فمحرك السرمدية هو أبداً واحد موجود بالفعل ، وليس محركاً تارة وتارة لا . وما يحرك حركة كائنة فاسدة فإما أن يكون واحداً فيكون طوراً محركاً وطوراً غير محرك

(١) ابن باجة ، ورقة ٦١ الف : « فان المحرك والمتحرك من المضاف فيجب ضرورة ان يكون في موضوعين تفارحاً حتى يكونا اثنين » .

(٢) والمصدر « مساوقة » أي مصاحبة . راجع Dozy : Lexique I. p. 704 ؛ وقارن ابن باجة ، ورقة ٢٦ الف : فحركة ح د تساوق أجزاءها أجزاء أ ب وتناسب تناسبها ... والزمان يساوق الطول بتوسط الحركة عليه ؛ وزير : Aristotele, I. p. 302 ft. ؛ وقارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 7. 324 a 9 .

(٣) الخطوطة : هـ .

كالثقل في الحجر فإنه يحرك حيناً وحيناً لا يحرك ، وأما الذي يكون واحداً بعد آخر . وعلى أي الوجهين كان فهذا الجففس من المحرك ^(١) . فقد يلزم جميعاً أن يكون جميعه - حيناً ما - لا يحرك ، وأظهر ما يكون ^(٢) ذلك في الواحد الذي يحرك حيناً ولا يحرك < حيناً > كالثقل الذي يمنعه العايق ، وكذلك أنفس الحيوان المعوق عن الحركة ، والنبات غير المستأنف ، والنار إذا لم تجد ما تحرقه ، والثليج إذا لم يجد ما يبرده ، فهذه كلها تكون لا محركة وتكون ممكنة أن تحرك . وما هو ممكن على ما تبين ^(٣) فهو بالقوة ، والذي يحرك عندما لا يحرك بالفعل فهو قوة ، فهذه تخص بالقوى الفاعلة والقوى المحركة . فقد تبين ما القوى المحركة .

والقوى المتحركة فهي ضرورة في جسم ^(٤) إذ كان كل متحرك منقسماً ^(٥) ^(٦) وعليها يقال قوى بالتقديم . فأما القوى المحركة فأنما يقال قوى بالتأخير وعلى طريق النسبة .

والقوى المحركة فقد تكون في أجسام إما صوراً أو ^(٧) اعراضاً وقد غلصت هذه وبين كيف وجودها فيما بعد الطبيعة ^(٨) ، وقد تكون موجودات لافي

(١) المخطوطة : التحرك .

(٢) المخطوطة : ما لا يكون .

(٣) قارن النص ، ورقة ١٤٣ الف ، والممكن وما بالقوة واحد بالموضوع .

(٤) راجع ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨٣ الف : « ليس يلزم ضرورة أن يكون كل قوة محركة ففوامها بجسم كما يلزم ان كل قوة متحركة فهي في جسم وذلك قد تبين في السادسة من السماع » .

(٥) المخطوطة : منقسم .

(٦) هذا لأن الحركة لا تفعل على ما لا ينقسم ، ابن باجة ، السماع ، ورقة ٢٥ الف : « فظاهر انه لا يكون حركة على ما لا ينقسم : الحيوان ، ورقة ٩٦ ب : لكن كل متحرك فهو منقسم » .

(٧) المخطوطة : و .

(٨) قارن ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، بيروت ، ص ١٦٣٧ .

أجسام^(١) أن يبرهن وجودها . وفي هذا الصنف يعد العقل الفعال والعقل المستفاد^(٢) .
فأما أنفس^(٣) الأجرام المستديرة^(٤) فليست قوى أصلاً ولا بوجه . فإن
قيل لها قوى فبطريق آخر . وبالنسبة الى العقل الفعال القوى المحركة لا من^(٥)
طريق ما به شابه العقل الفعال لكن بما شابهته في الوجود فتقال قوى بطريق
التشبيه بالعرض . وهذا صنف آخر مما يقال بتشكيك لكنه أقرب معاني التشكيك
الى المشترك .

والغذاء يقال بالقوة كاللحم للحيوان السبعي ويقال غذاء على الغذاء الأخير^(٦)
ولمنزلة الدم مثلاً . فإذن^(٧) قوة الغذاء قوة يصير بها الجسم متحركاً فقوته منفصلة .

(١) راجع ابن باجة ورقة ١٣٨ الف : « فان وجودنا أن نقل كوجودنا أن نبر
والنفس ، وهذان ليسا استحالتين فلا وجودنا أن نقل استحالة فاما
يعقل الإنسان إذا سلبت جميع حركاته حتى ان بعضهم اذا استفرقوا في الفكرة
بطلت حواسهم وصاروا في حال النيام ، واذا كان ذلك ، فمنه ذلك يوجد
العقل ، وقد تبين في غير هذا المكان ان العقل يوجد لا في زمان فليس فيه
حركة ، وانما يحتاج الزمان الى وجوده .

(٢) وذكر ابن باجة ان الصور الروحانية أصناف : أولها صور الأجسام
المستديرة ، والصنف الثاني العقل الفعال ، والعقل المستفاد ، والثالث العقولات
الهولائية ، والرابع المعاني الموجودة في قوى النفس ، وهي الموجودة في الحس
المشترك وفي قوى التخيل وفي قوة الذكر ، تدبير المتوحد ص ١٩ .
(٣) المخطوطة : نفس .

(٤) قارن السبع ورقة ٥٤ ب : فالتحرك من تلقائه لما هو متحرك من تلقائه مؤلف
من هذين ولذلك يقال في الجسم المستدير قارة ان حركته عن الطبيعة وقارة
ان حركته عن النفس ؛ ورقة ١٢١ الف : ولكل جرم سمائي عقل ونفس ؛
ورقة ٩٥ ب : فلذلك لزم ضرورة على ما تلخص في غير هذا الموضع أن
يكون محرك المستدير عقلاً ؛ وانظر زيلر Zeller : Aristotle. I. p. 477 ft note .
(٥) المخطوطة : لامن .

(٦) أراد « بالغذاء الأخير » الغذاء بالفعل الذي هو الغذاء القريب الذي يستحيل الى
جوهر المتغذي ، والغذاء يقال بالقوة قبل أن يستحيل الى جوهر المتغذي ،
راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٥ حيدر آباد :
ص ١٢ ، والنص نفسه ، ورقة ١٤٤ الف .

(٧) المخطوطة : فاذا .

وكل متغير فله مغير ، (ورقة ١٤٤ الف) [فالغذاء] الذي بالقوة وهو الغذاء البعيد فضرورة له محرك هو [الذي] يصيره غذاء بالفعل وفعله هو التغذية ، والمحرك هو الغازي والجسم الذي له مثل هذه القوة هو المغتذي . واشكال الألفاظ مقابلة لما تدل عليه لأنّ الغذاء هو المنفعل ، وكال المحرك ^(١) أن يحرك وشكل ^(٢) لفظه شكل لفظة التحريك . فأما لم كان ذلك فنلخصه في غير هذا الموضع ^(٣) .

والمغتذي فهو إما نبات وإما حيوان ، ففي هذين قوة محركة ^(٤) ، ففي الجسم المغتذي قوة محركة . وكل قوة محركة فهي ضرورة كمال ما . ففيه إذن معنى موجود بالفعل به يحرك الغذاء .

ولما كان الغذاء لا يكون إلا بآلات على ما تبين بالتصفح فالقوة ^(٥) الغذائية نفس . وقد يتشكك في السكم هل قوته نفس أم لا . فإن كانت نفساً لم يكن كل نفس فهي تحرك بآلة ، فإن السكم متشابه الأجزاء في الحس ، وأنه ^(٦) لم يكن نمو ^(٧) ^(٨) للسكم تراكمًا على ما هو نحو الحجر . وكذلك يتشكك في اسفنج الحجر ^(٩) هل هو حيوان أم نبات . وبالجملة فانا نجد الطبيعة لم تنتقل

(١) المخطوطة : وكاله .

(٢) وابن باجة له ميلان طبيعي الى الاشكال ويريد تفصيل مساوي الألفاظ باشكالها أحياناً ، فقال مثلاً في تشریح معنى « روحاني » : وشكل هذه اللفظة غير عربي وهي دخيلة في لسان العرب .

(٣) راجع النص نفسه ورقة ١٤٤ ب .

(٤) قارن أرسطو : De An. II. 4. 416 a 11 .

(٥) المخطوطة : بالقوة .

(٦) المخطوطة : وان .

(٧) السكم ليس له نمو فلا نفس له : قارن أرسطو : De An. II. 4. 416 a 23-25 .

(٨) المخطوطة : نموًا .

(٩) ابن باجة ، النبات ، ورقة ١٦٣ ب : « ان النبات هو منتفذ وله نفس غذائية » ولذلك يشك في أشياء توجد وسطاً بين النبات وبين الحجر ، وكذلك يوجد جسم بين النبات والحيوان يأخذ من كل واحد . بقسط كاسفنج البحر .

قارن أرسطو : Arist. : Hist. An. I. 1. 487 b 9; VIII. 1. 588 b 20 .

من وجود جنس الى جنس أكل حتى صنعت متوسطاً^(١) ، اكن الفحص عن هذا في غير هذا الموضع .

والتغير^(٢) كما قلنا^(٣) يكون في الجوهر ، ويكون في باقي المقولات .
والاغتذاء لا يكون إلا بتحريك في الجوهر . وذلك بين عندما تصفح الأغذية .
فان الدم واللبن غير اللحم وغير الماء المختلط بالأرض الذي هو غذاء النبات ،
وقد تبين كيف تكون هذه في كتاب الحيوان وكتاب النبات^(٤) .

فالأغذاء يتحرك حركة كون وفساد ، والغذاء يتكون والغاذي يكون .
فالقوة الغاذية إذن هي التي من شأنها أن تحرك في الجوهر فقد وجدنا الجنس^(٥)
الذي تترتب فيه النفس الغاذية . وهذه القوة فاعلة وكل فاعل فهو موجود
بالفعل ، وكل موجود ليس < له > فعل غيره فله كإلان^(٦) : كمال أول

(١) ابن باجة يظن أن الانسان جنس آخر غير الحيوان فينبها وسط وهو القرد :
ورقة ١١٣ ب : « والوسط بين الأجسام الطبيعية والأجسام المتنفة هو المتوسط
بينها وبين النبات ، فإنه لا وسط بين الأجسام المدنية وبين الحيوان ، لأن
الوسط إنما هو أبداً فيا بين الأبعد والأقرب ، ولذلك يوجد بين التنفس
المدرک وهو الحيوان غير الناطق ، والتنفس الذي لا يدرك وهو النبات وسط
ومن هنا قلد يجب أن نظن أن الإنسان جنس آخر غير الحيوان لأن بينه وبين
الحيوان غير المدرک وسطاً وهو القرد » .

(٢) المخطوطة : التغير .

(٣) راجع ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدرآباد ، ص ٧١ . وأيضاً
التلخيص ، الفصل الثاني .

(٤) ابن باجة ، ورقة ١٠١ الف : وقد تبين أن الغذاء القريب هو الدم ، وتبين
بيئاً أنهم في أقاويل تكون الجنين : النبات ، ورقة ١١٣ ب : ان كل نبات
فهو مقتذ وكل مقتذ فهو على ما كتبناه في كتاب النفس يستعمل حرارة طبيعية
وبها تغير الغذاء ، وغذاء النبات فيبين بنفسه » .

فارن أرسطو : De Gen. An. I. 20. 728 a 20; 726 b 1 .

(٥) يعني القوة المحركة فإنها تفعل على الجوهر (أي الغذاء) .

(٦) ابن باجة ، ورقة ٩٢ الف : ولما كان الكمال صنفين : الحركة والفعل ،
والحركة التي هي التكون هي الكمال الأول ، السماع ، ورقة ٩ الف : ومتى
وجد الشيء كان على كماله الأخير ومتى لم يوجد كان ناقصاً .

وهو وجود هذه قوة ، وأخير وهو وجوده محرّكاً . فالنفس ^(١) الغاذية كال
 المغتذي الأول . فأمّا أيّ تكون ^(٢) تكون هذه ^(٣) ؟ وهذا هو الحد
 الذي يقال له مبدأ البرهان فيبين ما أقوله :
 لما كان الغذاء إمّا بالقوة وإمّا بالفعل ^(٤) ، وما بالقوة فنه بعيد كالاسطقسات ^(٥) ،
 ومنه قريب كاللحم والنبات للحيوان ، فانّ الغذاء القريب للنبات لا أهم له .
 والبعيد هو ما كان المحرك فيه ليس القوة الغاذية ، والقريب ما تحركه القوة
 (ورقة ١٤٤ ب) الغاذية . وهذا أيضاً مراتب : منه الغذاء الحاصل في مغتذي [ي
 الحيوان ، ومنه الرطوبة الموجودة في أصول النبات ، ومنه أقرب من هذا كالدم ^(٦)
 الحاصل في العروق واللبن في النبات حتى اللين . ومنه الكمال الأخير كالدم
 الذي صار لحماً ، واللبن الذي صار عصباً فناله عصب .
 وكل ما هو مقابل $\langle \text{لما} \rangle$ بالقوة فهو مقابل $\langle \text{لما} \rangle$ بالفعل . فنقول ^(٧) : من

(١) المخطوطة : فالنفس .

(٢) المخطوطة : تكون .

(٣) راجع ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨٦ الف : فاما أن يكون التكون عند الاستحالة فذلك بين ، ورقة ٨١ الف : أن كل تكون هو إما بسيط وإما مركب ، أعني بالتكون البسيط التغير الى الموجود البسيط ، وأعني بالتكون المركب الحركة الى الموجود المركب .

(٤) راجع النص نفسه ، ورقة ١٤٣ ب : والغذاء يقال بالقوة .

(٥) قال ابن رشد : والقوة البعيدة في الغذاء ، المحرك لها ضرورة غير النفس الغاذية .

راجع تلخيص كتاب النفس ، الأهواي ، ص ١٥ ، حيدر آباد ص ١٢ .

(٦) ابن باجة ورقة ١٠١ الف : « الغذاء الغريب هو الدم » .

(٧) ذكر أرسطو أن فريقياً قال : ان الشيء يغتذي من شبهه وينمي ، وذهب آخرون الى أن الشيء يغتذي من غير شبهه . وهذا بناءً على أن الغذاء على نوعين : أحدهما بالفعل والآخر بالقوة ، فالغذاء الذي بالفعل استحالة ونشبه بالمغتذي ، والذي بالقوة فهو الذي لم يتغير ولم يتشبه بالمغتذي ، فلكل من الفريقين حجة . وكتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين يصرح (تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، الأهواي ، ص ١٤٤) « والطعام الذي لم ينضج هو الغذاء الذي لا يشبه المغتذي والغذاء يتحرك وينقل من شيء الى شيء الى أن يشبه بالمغتذي فيفدوه وكلا القولين يصدفان بنوع ونوع » ، ولهذا قال ابن باجة انه لا تناقض بين القولين ، فارتد أرسطو :
 De Gen. et Cor. I. 5. 322 a 5 sq : ابن رشد : تلخيص ، الأهواي ، ص ١٥٩ .

يرى أن الغذاء من الغذاء غير منافض لقول من قال إن كل غذاء فهو من الشبيه .
لأن الأول يصدر عن الغذاء بالقوة ، والثاني عن الغذاء بالفعل . والغذاء يقال
عليها (١) باشتراك ، فقد يسقط بهذا التشكيك اللاحق الغذاء .
فأما أي نوع من أنواع التكوين يتكون به الغذاء ، وكيف يكون
فقد يظهر بما (٢) نقوله :

فنقول : إن كل موجود كائن فاسد فله فعل يخصه ومن أجله كان حسب
ما بين في غير هذا الموضع . وبذلك صار جزءاً من أجزاء العالم ، فإف
الطبيعة لم تفعل شيئاً باطلاً .

ولما كان كل تكوين فله مكون ، والمكون إما أن يكون من نوع
الكائن أو من جنسه (٣) . والمكون إما صناعي - فيكون المكون له الصناعة
وهي بجهة مخالفة للمصنوع غير أنها في مواد مختلفة - وإما أن يكون طبيعياً (٤) ،
والمكون (٥) الطبيعي فمكونه طبيعي . وبالجملة فالمتحرك قد يكون من نوع
الحرك وقد لا يكون ، فإن النار تكون عن النار والحار يكون عن الحار ،
فأما الصلب فإما يكون عن البارد أو عن الحار .

فقوى الأجسام منها محركة ومنها ما ليس كذلك (٦) .
والقوة المحركة فإنها تفعل بالذات وأولاً ما هو من نوعها وتعمل ثانياً وبالعرض
شيئاً آخر ، وذلك بحسب المواد التي تفعل فيها . وكل قوة محركة ففيها مع
أنها موجودة للوجود الذي يخصها معنى به تفعل مثلها (٧) . فأما الاسطقات

(١) المخطوطة : عليها .

(٢) المخطوطة : ما .

(٣) قارن ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدرآباد ، ص ٥٥ .

(٤) المخطوطة : طبيعية .

(٥) المخطوطة : المكون .

(٦) راجع النص نفسه ، ورقة ١٤٣ ب .

(٧) قارن أرسطو : De'An. II. 4. 419 b 14-15 .

فإن هذه القوة ظاهرة في النار منها ، ثم في الهواء وأخفى ما هي في الماء والأرض .
غير أن مثل هذه إنما تفعل صوراً طبيعية لأجسام متشابهة الأجزاء . إلا أنها
قد تكون النار عن شيء آخر مثل أن تكون عن قدح الزناد .
فأما الأجسام المتنفسة ففي كلها قوة مكونة . وهي - في الجملة - التي تكون
من الغذاء بالقوة جسماً شبيهاً بما هي فيه ^(١) ، فيكون ضرورة ذلك الجسم
المتنفس في وجودها الذي يخصها معنى به تحرك الى الوجود الذي يخصها .
وهذه منها رئيسة في ذلك الجسد ، وهي التي (١٤٥ الف) [في جزء منها]
هو مبدأ لذلك الجسم كالقلب في الحيوان ^(٢) . ومنها خادمة جزئية وهي في
عضو عضو . فإت صورة العظم فيه قوة تحمل الغذاء الذي هو عظم بالقوة
فتصير عظماً بالفعل وكذلك في اللحم وكذلك في سايرها . والذي في المبدأ يصير
من الغذاء الذي هو ذلك الموجود وقد تلخص ذلك في غير هذا الموضع ^(٣) .
وبين أن الجسم الذي له مثل هذه الصورة مركب من الاسطقسات وأنه ^(٤)
مركب من الأرض والماء . وأن المركب كما تبين ^(٥) إنما يمتزج أولاً بأن

(١) هذه الجملة تبين معنى الجملة في ورقة ١٤٤ ب : « وكل قوة محركة فيها مع أنها
موجودة الوجود الذي يخصها » . لعله أراد أن القوة المحركة هي القوة المولدة
التي تفعل الغذاء وتغيره فتكون منه جسماً شبيهاً لجسمه ، فيكون
ضرورة ذلك الجسم في وجوده معنى به يحرك الى الوجود . فإرن أرسطو :
De An. II. 416 b 24 ; b 11-14

(٢) ابن باجة ، ورقة ٩٦ الف : « فالنفس الذي فيه القوة الفاذية فهناك ساير
القوى وبه تكون حياة الحيوان ، وهذا هو في الانسان القلب ، وكذلك في
كل حيوان ذي دم ، وفي كل حيوان قلب أو ما يناسب القلب في الحيوان
الذي له ما يناسب الدم » ، ورقة ٩٦ ب : فالنفس ضرورة في الحيوان في
القلب أو فيما يناسبه فالقلب هو مبدأ الحيوان ، وساير الأعضاء إما حافظ له
أو متحرك عنه فكل ما في الجسد هو تابع للقلب أو ما يناسبه .

(٣) لعله أراد العبارة التي نقلتها آنفاً تحت التعليل السابق ، الفصل الثاني . (ورقة ٩٦ ب) .
(٤) المخطوطة : وله .

(٥) راجع ما قال في أول هذا الكتاب (ورقة ١٣٩ الف) : فتي كان الموجود . . .
أن يحتلط به غير واحد . فإرن أرسطو De Gen. et Cor. II. 8. 334 b 31

يتحرك أجزاؤه في المكان فيدنو^(١) ^(٢) بعضها من بعض ، ثم بعد ذلك ان يستجيب كل واحد منها على الوجه الذي تبين في الأولى من كتاب الكون والفساد . وذلك لا يمكن بالبرودة وإنما يكون بالحرارة . وهذه الحرارة هي آلة النفس وهي التي تدعى^(٣) الحرارة الغريزية النفسانية ، وقد نطص القول فيها في السابعة عشر من كتاب الحيوان^(٤) .

فالحرار الغريزي هو آلة هذه النفس . فالنفس الغازية تحرك أولاً الحصار الغريزي وهو المتحرك من تلقائه ، وتحرك بالحرار الغريزي الغذاء . فان ما لا يتحرك لا يمكن أن يحرك ما ليس هو فيه الا ان يحرك أولاً بجسم هو فيه حسب ما تبين في الثامنة من السماع^(٥) .
وهذه القوة تحرك مثل هذه الحركة وتصور ما هو بالقوة المعنى الذي هو فيه الى أن يكون مثله بالفعل .

(١) ابن باجة ورقة ٨١ ب : وكذلك الاسطفسات يماس كل واحد منها في مواضعها الطبيعية وقد تدنو هذه بعضها من بعض على أحوال مختلفة . راجع أرسطو : De Gen. et Cor. I. cc 6-10 .

(٢) المخطوطة : فتنوا . (٣) المخطوطة : ددعا .

(٤) الحيوان ، ورقة ١٠٩ ب : « فان الاسطفسين متى تقاربت قواهما لم يختلطتا بل كان كل واحد منهما يقدر على التخلص من صاحبه فلذلك يحتاج الى مبدأ آخر يؤلف بينهما ويحركهما حتى يصيرا شيئاً واحداً وتصور قوتها قوة واحدة مركبة ، وهذا لا يكون بالقوة المحركة التي هي برد فان البرد يجمدها ويجعل لكل واحد منهما نهاية غصه ، فلا يختلطان ، وأما الحرارة فن شأنها أن يختلط أولاً ثم يفرق بين الجانسة ثانياً وثالثاً » . وأرسطو : De An. II. 4. 416 b 29 ، وأيضاً : 416 a 9 . وأيضاً ابن سينا ، الشفاء ورقة ١٦٣ الف ٢٠ ، ثم ان آلة هذه القوة (الغازية) الأولية هي الحرار الغريزي . فان الحرار هو المستند لتحريك المواد ويتبعها البرد لتسكينها عند الكمالات من الخلق مخنومة عليها : وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٨ ، حيدر آباد ، ص ١٥ . (٥) راجع ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٨ ب : « وكل محرك ليس يتحرك بذاته فانما يحرك جسماً على أحد وجهين : اما وهو فيه - ويكون ذلك الجسم المتحرك الأول من تلقائه ، أو يحرك جسماً ليس هو فيه ، فيحركه بتحريكه الجسم الذي هو فيه آلة لتحريك غيره » . وأيضاً السماع ، ورقة ٤١ الف : « وأما الروح الغريزي فله محرك الذي لا يتحرك ، وهذا يحرك الحيوان وبهذا يوجد الحيوان متحركاً من تلقائه » .

ولما كان كل ما فيه رطوبة هو سريع الانفعال والتحلل كان جسد كل متنفس كذلك^(١) . فلذلك ان كان حرمماً ان يبقى ذلك الجسم فيجب أن يكون له مثل هذه القوة ، لأنه ان لم يخاف عوض ما تحلل تلف ذلك الجسد^(٢) . ولما كان كل جسم طبيعي له نوع من العظم مخصوص به بكل وجوده كما يظهر ذلك في كثير من النبات وفي الحيوان وذلك المقدار لم يعط من أول تكونه إذ لم يكن كانت له قوة بتحريكها الى ذلك النحو من العظم . وهذه هي النفس النامية^(٣) . فلذلك تكون الغاذية من الغذاء أكثر من عوض ما يتحلل حتى يصير في العضو عوضاً مما تحلل وزيادة^(٤) ، فيتحرك ذلك الجسد ويصير فيه نوع من أنواع العظم لم يكن له .

وهذه الحركة ليس يظهر لها اسم بمعناها و < بمعن > اسم حركة النمو واسم حركة النشوء ، ومقابلها حركة البلى^(٥) وحركة الذبول ، وقد خلصت هذه

(١) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 10. 328 b 4 .

(٢) قارن أرسطو : De An. II. 4. 416 b 19—20 ؛ أيضاً ابن سينا : الشفاء ، ورقة ١٦٢ ب ٩ : فالقوة الغاذية تورد البدل أي بدل ما يتحلل ويشبه ويلصق ، وأنه وان كان الغذاء أكثر منافعته انه يقوم بدل ما يتحلل فانه ليست الحاجة الى الغذاء لذلك فقط بل يحتاج اليه الطبيعة في أول الأمر للتربية وان كان بعد ذلك انما يحتاج الى وصفه موضع التحلل فقط .

(٣) قارن ابن سينا : الشفاء ، ورقة ١٦٢ ب : والنامية تفعل في أول كون الحيوان فعلاً ليس هو التنفيذ فقط ، وذلك لأن غاية التنفيذ ما حددناه ، وأما هذه القوة فانها توزع الغذاء على خلاف مقنض القوة الغاذية وذلك لأن الذي للقوة الغاذية لذاتها أن يؤتي كل عضو من الغذاء بقدر عظمه وصغره وتلصق به من الغذاء بمقداره الذي له على السواء ، وأما القوة النامية فانها تسلب جانباً من البدن من الغذاء ما يحتاج اليه الزيادة من جهة أخرى فيلصقه بتلك الجهة ليزيد تلك الجهة فوق زيادة جهة أخرى مستخدمة للغاذية في جميع ذلك ، ولو كان الأمر الى الغاذية لسوت بينها أو افضلت الجهة التي نقصتها النامية .

(٤) قارن أرسطو : De Gen. et Corrupt. I. 5. 322 a 16—33 .

(٥) المخطوطة : البلاء .

الحركة في الأولى من كتاب الكون والفساد^(١) .

فهذه قوة أخرى وهي في الغاذية كالصورة والأولى لها كالمادة ، إذ لا يمكن أن تكون (ورقة ١٤٥ ب) النخية دون الغاذية^(٢) ولذلك إذا بلغ الجسد تمامه الطبيعي صنعت الغاذية غذاء أقل ، وذلك بمقدار ما يفي بما يحتل منه ، هذا فيما له هذان النوعان من أنواع النفس .

ولما كانت كل جسم متغير إما أن يكون متناصلاً أو غير متناصل ، فالمتناصل هو الذي لصورته قوة تتحرك ما هو لذلك النوع جملةً بالقوة فتصيره ذلك النوع بالفعل .

والفرق بين هذه وبين الغاذية ان الغاذية تصنع ما هو بالقوة جزءاً جزءاً فتصير بالفعل تلك الأجزاء أجزاءها وهذه تصنع ما هو بالقوة ذلك النوع جسماً من ذلك النوع ولا تستعمل فيه أجزاءها ، وقد قبل كيف ذلك في السادسة عشر من الحيوانات^(٣) .

ونسبة هذا المكون في الجسم المتكون كنسبة الصناعة الى الكرمي ، فإن المكون على ما بين في ذلك الكتاب يكون في غير مادة المتكون كما بعرض ذلك في الصناعة .

(١) قارن ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨١ الف : ولا كان الاختلاط قد يظن به انه نحو ولا اختلاط يظن انه اضمحلال لزمه ان يفحص أيضاً عن هذه الحركة ويميزها بما ينسبها ، أيضاً أرسطو : De Gen. et Cor., I. c 10 .

(٢) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 5. 322 a 23 .

(٣) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. cc 17—20 ، خصوصاً ، De Gen. An. II. 1. 735 a 16 — 19 ; De An. II. 4. 415 a 29; I. 19. 726 b 1 — 20 .

وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهوائي ، ص ١٦ ، حيدرآباد ، ص ١٤ .
ولحسن ابن سينا بيان أفعال القوة الغاذية فقال : الشفاء ورقة ١٦٣ الف : وبالجمله فان القوة الغاذية مقصودة ليحفظ بها جوهر الشخص ، والقوة النامية مقصودة ليم بها جوهر الشخص ، والقوة المولدة مقصودة ليستبقى بها النوع .

وهذه القوة ليست في جسم بل هي عقل بالفعل^(١) على ما تبين هنالك .

(١) وقال ابن باجة ويشير الى « ما بعد الطبيعة » لأرسطو : ورقة ٩٨ ب : قد تبين في (يو) من الحيوان ان القوة المصورة في المني قوة عقلية لأن فيها النوع مجرداً ولم يبين كيف ذلك انه بين ان الذي في المني هو قوة نوع الشخص المولد فقط فكيف ليت عمري قبله ، وأيضاً فافهم النوع وأي وجود وجوده فان النوع متى صار عقلاً بالفعل وذلك عند وجوده في القوة الناطقة لم يمكن أن تعمل في موضوعاته لأنه غير مقترن بآلته . وقال أيضاً : ورقة ١٠٧ ب : « بل الأمر على ما يقوله أرسطو انه مشارك بوجه ما للأجرام السابوية فانه يشبهها من جهة ان القوة التي فيه عقل بالفعل » . وقد صرح أكثر من هذا في رسالته التي كتبها بعد رسالة الوداع ، ورقة ٢٢٠ ب : « ولذلك بقي بزرها (النفس المولدة) وبالجملة فاعلموا أعني الحار النفساني سواء كان في بزر أو في الهواء أو الماء ميثوثاً النوع وفيه ما فيه نوع نفس النبات معقولاً وجوهر هذا الفاعل عقل إلهي كما يقوله أرسطو في السادسة عشر من كتاب الحيوان ، ولذلك لا يحتاج الى محرك آخر » . ولكن أرسطو لم يصرح قط بأن الفاعل « عقل إلهي » وهذه ألفاظه : (De Gen. An. I, 19, 726 b 15-24) : « ... and what each of them is actually such as the semen potentially, either in virtue of its own mass or because it has a certain power in itself. » ولعل ابن باجة وافق ابن سينا الذي يقول : « اذا خرج نفسنا من القوة الى الفعل في معقول واحد فصار له ذلك بالفعل ، فقد اتحد به العقل الفعالي كما هو ، أو اتحد به شيء منه ، أو اتما يمثل فيه أثر منه ، فان كان اتحد به العقل الفعالي كما هو ، فقد صار عقلاً بالفعل في جميع المعقولات ، راجع عبد الرحمن بدوي : أرسطو عند العرب ، ص ٩٢ . تعليقات ابن سينا على كتاب النفس لأرسطو . ومأخذ ابن باجة وابن سينا أيضاً ، هي كتب الفارابي فانه يقول : ان للفاعل الذي يخرج المعقولات من القوة الى الفعل شيء جوهره عقل بالفعل وبمجرد عن المادة (انظر آراء أهل المدينة الفاضلة ، ديتريشي ص ٤٤) . وأشار اليه ابن باجة في رسالة الاتصال (مع تلخيص كتاب النفس ، الأهوازي ، ص ١٠٧) بقوله : فالعقل بالفعل هو المحرك الأول في الإنسان بالإطسلاق ، وظاهر أن العقل بالفعل قوة فاعلة . . . والقوة الناطقة تقال أولاً على الصور الروحانية من جهة انها تقبل العقل ، وتقال على العقل بالفعل ، وإياها يعني أبو نصر في تشكيكه بقوله : « هل هي موجودة في الطفل وغيرها الرطوبة أو تحدث بأخرة ؟ » . وقول ابن باجة يؤيده ما قال ابن الإمام في الحاشية : « يعني أن القوة التي تعمل الصورة الحاصلة في النوع ليست قوة في الجسم بل هي عقل بالفعل مفارق » . فارون ابن رشد : تلخيص ، الأهوازي ص ٧ ، حيدر آباد ص ٥ : وكتاب النفس ، الأهوازي ، ص ١٦٨ . ترجمته الفارسية ، بودليانا ، ورقة ٥٠ ب ١٥ .

والقوة الغاذية هي قوة في جسم لأنها هيولانية . فلذلك إذا فعلت هذه القوة في المادة الملائمة لها وكونتها أن تصير فيها ذلك النوع بعينه ، كانت تلك الصورة محركاً هذا النحو من التحريك ^(١) . فتبين أن فعل هذه القوة المكونة ليس بقوة غاذية ، بل هي شيء آخر ^(٢) .

وهذه القوة التي قلنا أنها مكونة للنوع تبين أنها ليست تكون بأن تصير آخر مثله ^(٣) لا على جهة ما يقال في الموضوع أنه مثل الصناعة ^(٤) . وهذه القوة أبدأً إنما توجد مقترنة بجسم ما لتحرك ما لها أن تحرك وهو المتحرك بالقوة على ما تبين قبل .

وهذا الجسم الذي مثل هذا صورته قد وجد في الهواء وفي الماء . فيكون تكون أمثال هذه عن محرّكات أخرى ، وذلك مثل العفونة في الحيوان الذي ^(٥) يتكون عنها ^(٦) . فهذه أجسام غير متناصلة ولكنها لم يعط أكثر من وجودها

(١) ابن باجة فرق مرة أخرى بين أفعال الغاذية وأفعال المولدة قائلاً بأن الغاذية إذا فعلت في المادة الملائمة لها وكونتها أن تصير فيها ذلك النوع كانت تلك الصورة محركاً ، وهذا يوافق ما قال أرسطو أن الغاذية تحفظ الأفراد والمولدة تحفظ النوع ، انظر De. An. II. 415 a 29 .

(٢) قارن ابن سينا ، الشفاء ، ورقة ١٦٣ الف : « فالغاذية تورّد بدل ما يتحلل من الشخص ، والمولدة تورّد بدل ما يتحلل من النوع » .

(٣) في المخطوطة تحريجة بمحاشية الكتاب : « يعني أن القوة التي تفعل الصورة الحاصلة في النوع (المخطوط : النور) ليست قوة في الجسم بل هي عقل بالفعل مفارق ، وجع » .

(٤) يريد على غير منوال الصناعة التي تكرر الصورة في الخشب ، أن القوة المكونة للنوع ليست تكون بأن تصير آخر مثله فقط بل هي توجد أبدأً مقترنة بجسم ما .

(٥) المخطوطة : التي .

(٦) أرسطو وإن لم ينكر التولد الاختياري (Spontaneous generation) ولكنه انتقد على من قال أن بعض الحيوان يتولد عن العفونة قائلاً :

« Nothing comes into being by putrifying, but by concocting; putrefaction and the thing putrefied is only a residue of that which is concocted (cf. De Gen. An. III. 11. 762 a 14 and 15.) » .

ولكن كتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين يذكر هذا بلفظ يدل على أن أرسطو -

فقط . واحتاج نوعها في استمرار وجوده الى نوع آخر . وأنواع الأجسام المتنفسة المتناسلة هي التي أعطيت مع وجودها قوة تمطيها اتصال وجودها . فان التالي^(١) بحال الاتصال ، وهو بوجه ما اتصل وجود^(٢) . وهو أنقص مراتب الوجود الضروري^(٣) .

فأما الأنواع غير المتناسلة فاتصالها^(٤) هو انتظام أدوار وجودها ، وهو أخس مراتب الوجود الضروري . فالتناسل هو وسط بين أشرف مراتب الوجود وهو الوجود^(٥) الضروري الاطلاق ، وبين أخس مراتب الوجود وهو الذي معنى الضروري فيه^(٦) الانتظام .

ولما لم يكن في (ورقة ١٤٦ الف) [الأجسام] الميولانية الوجود الضروري أعطيت التناسل عوضاً منه .

والتناسل يكون بأن تكون فيه قوة يحرك بها الغذاء حتى يصير منه جسم له مثل هذه القوة أعني قوة التكوين ، وقد قيل^(٧) كيف حال هذا الجسم .

— اعتقد « ان الزناير والدود وكل دابة تتولد من العفن لا وهم لها » انظر تلخيص ، الأهواني ، ص ١٥٧ . وأما ابن باجة وابن رشد فهما يقولان به ، تلخيص ، الأهواني ، ص ١٥٧ ، ص ١٨ ؛ ص ١٧٤ ، ص ١ . وكأنها أخذت عما قال أرسطو ، راجع Meteorology. IV. 1. 379 b 6 ؛ أيضاً 389 b 5 .
(١) أرسطو عرّف التالي فقال :

« That which is after the beginning (the order being determined by position or form on in some other way) and has nothing of the same class between it and that which it succeeds (Met. 1068 b 30) » .

(٢) ابن باجة يذكر « اتصال الوجود » فيما بعد ، راجع النص ورقة ١٤٨ الف .

(٣) المخطوطة : الضروري الوجود .

(٤) المخطوطة : واتصالها .

(٥) المخطوطة : الموجود .

(٦) المخطوطة : فيها .

(٧) النص نفسه ورقة ١٤٥ ب .

وهذا يسمى البذر فيما له بذر ، وقد فُحص عنه في كتاب الحيوان ^(١) .
فهذه القوة هي كالصورة لتلك ، وكأنها طرف ^(٢) حركة المنمية ، فلذلك
إنما تفعل هذه إذا قارنت تلك لكمال تحريكها . وتكون الغاذية كالمادة لهذه ،
< و > المنمية كالتوطئة ، وهذه كالغاية ^(٣) ، وأسنا نجد للغاذية قوة أكل
من هذه .

ويبين أن الغاذية تصنع دائماً في أمثال هذه الأجسام غذاء أكثر مما يدعو ^(٤)
إليه حفظ الجسد الذي هي فيه . وإن تلك الزيادة ^(٥) تنصرف أولاً إلى النمو
فاذا كمل كان منها البذر . والبذر هو فضلة الغذاء الأخير . ولذلك لا تعدم
قوة التوليد إلا عند الهرم ^(٦) . فتكون الغاذية إنما تقتصر منها على حفظ
الجسد فقط ، وعند ذلك تنفرد الغاذية عن هذه وتوجد وحدها فقط .
فقد تبين ما النفس الغاذية ، ولم هي ، وأي الآلات آلتها ، وهذه وقواها
في موضوع واحد - سواء كان جزءاً واحداً أو كان متتابعاً فيها - على ما نجده
في كثير من النبات وفي حيوانات ما .

محمد صغير حسن المعصومي

(يتبع)



- (١) ابن باجة ، ورقة ١٠٨ ب : وهي التي هي موضوعة لتفعل منها البذر وهي الطمث ويسميه أرسطو بزراً . قارن أرسطو 5 b 721 I. 16. De Gen. An. .
- (٢) ابن رشد استعمل « غام » موضع « طرف » ، تلخيص ، الأهواني ص ١٩ .
- (٣) المخطوطة : كالغاذية .
- (٤) المخطوطة : يدعوا .
- (٥) ابن رشد استعمل « الفضلة » موضع « الزيادة » ، تلخيص ، الأهواني ص ١٩ .
- (٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٢٠ ب : بل النفس المنمية توجد في أول العمر وتعدم بعد ذلك ، والنفس المولدة لا توجد في أول عمر الجسم الحي ، ثم توجد بعد ذلك ولا تعدم إلا بمرض وقد شوهد شيوخ تسلوا بعد الثلاثين .

كتاب فتيا فقيه العرب لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي

- ١ -

تصدير :

عُثِرَ على هذا الكتاب القيم ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، اللغوي الكبير المعروف ؛ المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، في دار الكتب الرضوية (كتابخانه آستانه قدس رضوى) - بمشهد ، في خراسان - الحافلة بكثير من الكتب المخطوطة ، والوثائق ، والأسفار ، والأعلاق العربية النفيسة .

وهذا الكتاب النادر في الوجود ، من ذخائر تلكم الخزانة الجامعة الرائعة ؛ رقمه « ٤٣٧٩ / ٨٤ أدبيات » وهو مكتوب بخط سيف الدين بن خميس النجفي سنة ١٠٠٢ هـ ؛ نقله من النسخة التي كتبها لنفسه ، أبو علي ، نظام الشرف ابن قوام الشرف بن شاهنشاه بن محمد بن الحسين ، الحسيني ، الاصفهاني ، ليلة الثلاثاء ، غرة شهر ذي القعدة ، من سنة سبع وعشرين وستائة (٦٢٧ هـ) ؛ التي قرأها على السيد المرتضى ، كمال الدين ، أبي الفتح ، حيدر بن محمد ابن زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله ، الحسيني ؛ نقيب الموصل ، حادي عشر ذي الحجة ، من السنة المذكورة ، ورواها عنه بإسناده الموصول بابن فارس .
عدة أوراق النسخة الأصل ، المحفوظة بدار الكتب المذكورة ؛ ١٢ ورقة ، طولها ٢٠ / ٤ سنتيمتراً ، في عرض ١٣ / ٨ . وفي كل صفحة ١٢ سطراً .
وهي مكتوبة بخط جميل ، يكاد يميل إلى التعليق .

أما الكتاب ؛ فقد رواه - عن ابن فارس - القاضي أبو زرعة ، روح بن محمد بن أحمد بن اسحق ، الرازي ، المتوفى سنة ٤٢٣ هـ ^(١) . ورواه عنه ،

(١) طبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ٣٠٧ . وتراجع استاد أول الكتاب .

الخطيب البغدادي ، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ^(١) ، وأبو القاسم سعد بن علي بن محمد ابن علي بن الحسين ، الزنجاني ، المتوفى سنة ٤٧١ هـ ^(٢) .

وقد نقل بعض فقره ، جماعة من أهل الأدب ، منهم :

القاضي ، أبو العباس ، أحمد بن محمد ، الجرجاني ، الثقفي ، المتوفى سنة ٤٨٢ هـ ، في كتاب (المنتخب من كُنَايَاتِ الْأَدْبَاءِ ، وإشارات البلغاء) ^(٣) .

وتاج الدين السبكي ، المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، في (طبقات الشافعية الكبرى) ^(٤) .

وكمال الدين الدميري ، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ، في (النجم الوهاج) ؛ شرح منهاج الطالبين ، للنووي ^(٥) .

وجلال الدين السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١ هـ ، في (المزهري) ^(٦) .

وابن نيهان في (الدرة الأدبية) ^(٧) .

وقد سَمَّاهُ ابن خلكان (مسائل في اللغة وتعايا بها الفقهاء) ^(٨) ، والياضي

(مسائل في اللغة يتعاضد الفقهاء) ^(٩) ، وجلال الدين السيوطي (مسائل في اللغة

بغالي بها الفقهاء) ^(١٠) . وقد أصاب شهاب الدين أحمد بن علي الدلحي ، إزدعاه

(مسائل في اللغة يعاين بها الفقهاء) ^{(١١) (١٢) (١٣)} .

(١) المرجع المذكور ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) تراجع اسناد أول الكتاب .

(٣) المنتخب من كُنَايَاتِ الْأَدْبَاءِ ص ٨٦ .

(٤) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٥) المزهري ج ١ ص ٦٣٧ .

(٦) المرجع المذكور ج ١ ص ٦٣٥ و ٦٣٧ .

(٧) المرجع نفسه ج ١ ص ٦٣٧ .

(٨) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٠ .

(٩) مرآة الجنان ج ٢ ص ٤٤٢ .

(١٠) بنية الوعاة ص ١٥٣ .

(١١) الفلاكة والمفلوكون ص ١٠٨ .

(١٢) وسماه ناشر الصحابي ، الصفحة / يب : فتاوى فقيه العرب .

(١٣) وحصل الكلام عليه - كذلك - محمد عبد السلام هارون ، في مقدمة كتاب

مقاييس اللغة ج ١ ص ٣٣ .

وذكره كمال الدين أبو البركات ابن الأتباري ، في نزعة الألباء ^(١) ،
والقنطري ، في إنباء الرواة ^(٢) .

ولعل آخر من رآه - ممن اطلعنا على خبره - السيوطي ؛ ولكنه لم يظفر به ،
في أثناء تأليف كتاب (المزهري) ؛ قال ، في الفصل الثالث ، من النوع
التاسع والثلاثين ؛ (في ثنيا فقيه العرب) : « ذلك - أيضاً - ضرب من
الألفاظ . وقد ألف فيه ابن فارس ، تأليفاً لطيفاً ، في كراسة ، سماه بهذا
الاسم ، رأيت قديماً ، وليس هو - الآن - عندي ^(٣) .

ونحن نحوه ، الحريري ، المتوفى سنة ٦١٥ هـ ، ومنه اقتبس ذلك الأسلوب ،
ووضع المسائل الفقهية ^(٤) ، في المقامة الثانية والثلاثين ، وهي (المقامة الطيبة) ^(٥) .

وقد قابلت هذا الكتاب ، باللاحن ^(٦) ، لابن دريد ؛ المتوفى سنة ٣٣١ هـ ،
وعارضته بالمقامة الطيبة ، ورجعت الى المزهري ، والمنتخب من كُنَايَاتِ الأدباء ،
والطبقات للسبكي . واستندت في تحقيقه وتصحيحه وضبطه وإيضاحه والتعليق عليه ؛
الى ما ملكت يدي من أصول التاريخ ، وكتب الأدب ، واللغة ، ودواوين
الشعر . وتوفرت على ذكر تراجم من وردت أسماءهم فيه ، ثم رتب الألفاظ
التي فسرها ، على حروف المعجم ، وذبت بها الكتاب .

(١) نزعة الألباء ص ٣٩٤ .

(٢) إنباء الرواة ج ١ ص ٩٤ .

(٣) المزهري ج ١ ص ٦٢٢ .

(٤) بنية الوعاة ص ١٥٣ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٠ .

(٥) تراجم شرح المقامات الحريرية ج ٢ ص ١١٨ .

(٦) الملاحن ص ٩ و ١١ و ١٥ و ٢١ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٢ و ٣٣ و ٤٥ و ٤٨

و ٥٥ - ٦ و ٥٨ و ٦٠ و ٩٠ .

مراجع التحقيق والتعليق

- أدب الكتائب : ابن قتيبة الدينوري (مصر ١٣٤٦)
- أساس البلاغة : الزمخشري (مصر ١٣٤١)
- إصلاح المنطق : ابن السكيت (مصر ١٣٦٨)
- الأضداد : ابن السكيت (بيروت ١٩١٢)
- الأضداد : الأصمعي (بيروت ١٩١٢)
- الأضداد : السجستاني (بيروت ١٩١٢)
- الأضداد : الصغاني (بيروت ١٩١٢)
- الأضداد : أبو بكر بن الأنباري (مصر ١٣٢٥)
- أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين العاملي (دمشق ١٣٦٨)
- الأغاني : أبو الفرج الاصفهاني (مصر ١٣٢٠)
- أمالي المرتضى : الشريف المرتضى (مصر ١٣٢٣)
- إنباء الرواة على أنباء النحاة : القفطي (مصر ١٣٦٩ - ٧٤)
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (إيران ١٣٠٥)
- البداية والنهاية : ابن كثير (مصر ١٣٤٨ - ٥٨)
- بغية الوعاة : الجلال السيوطي (مصر ١٣٢٦)
- تاج العروس : السيد محمد مرتضى الزبيدي (مصر ١٣٠٧)
- تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان (مصر ١٩٣٠)
- تاريخ أبي الفداء (قسطنطينية ١٢٨٦)
- تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي (مصر ١٣٤٩)
- تذكرة المتبحرين في أحوال العلماء المتأخرين : محمد بن الحسن الحر العاملي (إيران ١٣٠٢)

- تفسير البيضاوي (المكتبة التجارية الكبرى / مصر ؟)
- التكملة لكتاب الصلة : ابن الأثير (مجريط ١٨٨٧)
- تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات : محب الدين افندي (مصر ١٣٠٧)
- تهذيب الألفاظ : ابن السكيت (بيروت ١٨٩٥)
- ثمار القلوب : الثعالبي (مصر ١٣٢٦)
- جمهرة أشعار العرب : أبو زيد القرشي (مصر ١٣٠٨)
- جمهرة اللغة : ابن دريد (حيدر آباد الدكن ١٣٤٥)
- حاشية تفسير البيضاوي : أبو الفضل القرشي الصديقي الكازروني (هامش التفسير)
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : الجلال السيوطي (مصر ١٣٢٧)
- خريدة القصر وجريدة العصر : العاد الاصفهاني (مصر ١٣٧٠)
- خزانة الأدب : عبد القادر البغدادي (بولاق ١٢٩٩)
- الدرر اللوامع على مجمع الموامع شرح جمع الجوامع : أحمد بن الأمين الشنقيطي (مصر ١٣٢٨)
- الديباج المذهب في أعيان المذهب : ابن فرحون البعمري (مصر ١٣٥١)
- ديوان الأخطل (بيروت ١٨٩١)
- ديوان شعر ذي الرمة (كبريج ١٣٣٧)
- ديوان شعر لبيد (لندن ١٨٩١)
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات : ميرزا محمد باقر الموسوي
- الخوانساري (ايران ١٣٦٧)
- ربحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب : محمد علي المدرس
- التبريزي (طهران ١٣٢٦ - ٣٣ ش)
- السامي في الأسماء : الميداني (ايران ١٢٦٥)
- سر صناعة الاعراب : ابن جني (مصر ١٣٧٤)
- شجر الدر : أبو الطيب اللغوي (مصر ١٩٥٧)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد (مصر ١٣٥٠ - ١)
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ثعلب (مصر ١٣٦٣)
- شرح الشافية لابن الحاجب : الرضى الاسترابادي (مصر ١٣٥٨)
- شرح شواهد شرح الشافية : عبد القادر البغدادي (مصر ١٣٥٨)
- شرح المفصل : ابن يمين (دار الطباعة المتخيرية بمصر)
- شرح المفضليات : الأنباري (بيروت ١٩٢٠)
- شرح المقامات الخيرية : الشريشي (مصر ١٣٠٠)
- شرح المقامات الخيرية : المطرزي (إيران ١٢٧٢)
- شرح المقصورة الدريدبة : ابن دريد (قسططينية ١٣٠٠)
- شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد (مصر ١٣٢٩)
- الصاحبي : ابن فارس (مصر ١٣٢٨)
- الصبح المنير في شعر أبي بصير/ الأعشى (بيانة ١٩٢٧)
- صحاح اللغة : الجوهري (مصر ١٢٨٢)
- ضبط الأعلام : أحمد نيور باشا (مصر ١٣٦٦)
- طبقات الشافعية : أبو بكر بن هداية الله الحسيني المصنف (بغداد ١٣٥٦)
- طبقات الشافعية الكبرى : السبكي (مصر ١٣٢٤)
- طبقات الفقهاء : أبو اسحق الشيرازي (بغداد ١٣٥٦)
- طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (مصر ١٣٧٣)
- غاية النهاية في طبقات القراء : الجزري (مصر ١٣٥٢)
- الفائق في غريب الحديث : الزمخشري (مصر ١٣٦٦)
- فقه اللغة : الثعالبي (مصر ١٣٧١)
- الفلاكة والمفلوكون : شهاب الدين أحمد بن علي الدلجي (مصر ١٣٢٢)
- الفهرست : ابن النديم (مصر ١٣٤٨)

فوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية : الشيخ عباس القمي
(طهران ١٣٢٧ ش) .

- القاموس المحيط : الفيروزآبادي (مصر ١٣٥٤) .
- الكامل : المبرد (مصر ١٣٥٥) .
- الكامل في التاريخ : ابن الأثير (مصر ١٣٤٨) .
- كتاب الأربل عن الأصمعي / الكنز اللغوي في اللسان العربي (بيروت ١٩٠٣) .
- كتاب العصا : أسامة بن منقذ / نوادر المخطوطات ٢ (مصر ١٣٧١) .
- كتاب شرح أشعار الهذليين : السكري (لندن ١٨٥٤) .
- الكشف : الزمخشري (مصر ١٣٦٥) .
- كشف الظنون : حاجي خليفة (تركية ١٣١٠ - ٢) .
- الكنى والألقاب : الشيخ عباس القمي (صيدا ١٣٥٨) .
- لسان العرب : ابن منظور (دار صادر ودار بيروت) .
- مجازات الأحاديث النبوية : الشريف الرضي (مصر ١٣٥٦) .
- مجمع البيان لعلوم القرآن : الطبرسي (صيدا ١٣٣٣ - ٥٦) .
- المجمل : ابن فارس (مصر ١٣٦٦) .
- المخصص : ابن سيده (بولاق ١٢١٦ - ٢١) .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان : اليافعي (حيدرآباد ١٣٢٨) .
- مرآب النخوين : أبو الطيب عبد الواحد بن علي الأغوي الحلبي (مصر ١٣٧٥) .
- مروج الذهب : المسعودي (مصر ١٣٥٧) .
- المزه : الجلال السيوطي / تحقيق البحاري (مصر) .
- معادن الجواهر : السيد محسن الأمين العاملي (دمشق ١٣٥١) .
- المعاني الكبير : ابن قتيبة الدينوري (حيدرآباد الدكن ١٣٦٨) .
- معجم الأدباء : باقوت الحموي (مصر ١٣٥٧) .

- معجم البلدان : ياقوت الحموي (مصر ١٣٢٣) .
- معجم المطبوعات العربية والمصرية : يوسف البان مراكيس (مصر ١٣٤٦) .
- المغرب : الجواليقي (مصر ١٣٦١) .
- المفردات في غريب القرآن : الراغب الاصفهاني (طهران ١٣٧٣) .
- مقاييس اللغة : ابن فارس (مصر ١٣٦٦ - ٧١) .
- الملاحن : ابن دريد (مصر ١٣٤٧) .
- المنتخب من كتابات الأدباء واشارات البلغاء : القاضي أبو العباس الجرجاني (مصر ١٣٢٦) .
- المنتظم : ابن الجوزي (حيدر آباد الهند ١٣٥٧ - ٨) .
- المنصف : ابن جني (مصر ١٣٧٣) .
- الموازنة : الآمدي (مصر ١٣٧٣) .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تقي يودي (مصر ١٣٤٧ - ٥٥) .
- نزهة الألباء : السكال بن الأنباري (مصر ١٣٩٤) .
- النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير (مصر ١٣١١) .
- النوادر في اللغة : أبو زيد الأنصاري (بيروت ١٨٩٤) .
- هدية الأحياء في ذكر المعروفين بالكفى والألقاب : الشيخ عباس القمي (طهران ١٣٤٩) .
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : اسماعيل باشا البغدادي (استانبول ١٩٥١ - ٥) .
- الوافي بالوفيات : الصفدي (استانبول ١٩٤٩) .
- وفيات الأعيان : ابن خلكان (مصر ١٣٦٧ - ٩) .

كتابخانه آستان قدس

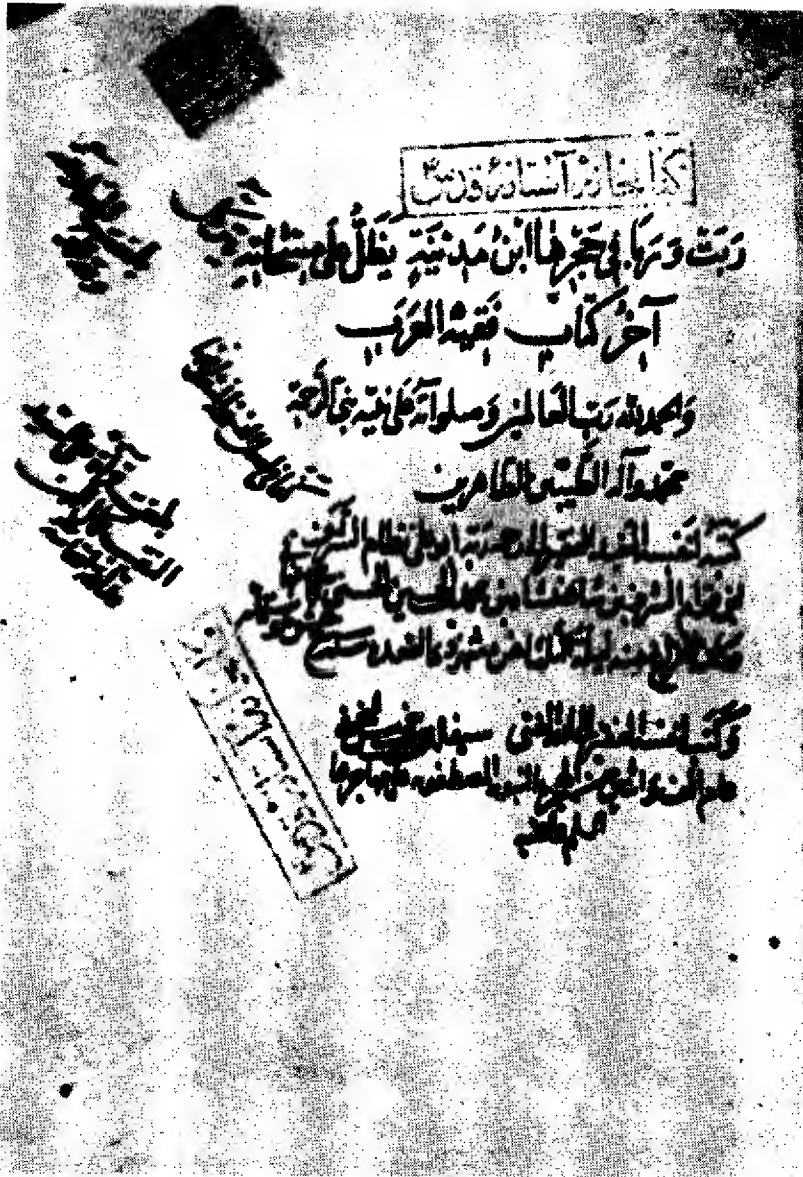
كتاب قبا فقيه القريب

لأبي الحسين أحمد بن فارس الغوث

صورة الأصل المتكاملة

١٩١٥

قرأ على الأئمة السجدة لأجل العالم جمال الدين في المصنف إمام علي
تظام الشرف بن همام الشرف بن شاهنشاه العلوي الحسن بن الحسن
أدام الله نفعه وتأييد هذا الكتاب وهو كتاب قبا فقيه القريب
لأبي الحسين أحمد بن فارس الغوث قراءة صحيحة مرضية وأخبرته أبي
قراءة على شيخ العالم أبي الحسن بن محمد بن محمد بن علي بن همام الدرد
الفرجاني رحمه الله وأخبرني بن شيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن همام
التحصيلي عن أبي القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني عن القاضي أبي
نوح بن محمد بن أحمد الدرد عن المصنف وقد أخرجته له وأخبرني
بالمسند المذكور وكاتب القبول رحمه الله بن محمد بن محمد بن علي
بن محمد بن عبد الله الحسيني غلامه في شهر ربيع الثاني سنة ثمان وعشرين
حاشائه ومصلها على خير المصطلح محمد بن محمد رحمه الله واللا بارك



صورة الصفحة الآخرة من الأصل

[f. 1 a]
كتاب فتيا فقيه العرب
لأبي الحسين ، أحمد بن فارس اللغوي
صورة ما على الأصل المنقول منه :

قرأ علي ، السيد الأجل العالم ، جمال الدين ، نضر العترة ، أبو علي ،
نظام الشرف بن قوام الشرف بن شاهنشاه ، العلوي ، الحسيني ، الاصفهاني
- أدام الله توفيقه وتأيدته - هذا الكتاب ؛ وهو كتاب «فتيا فقيه العرب»
لأبي الحسين ، أحمد بن فارس ، اللغوي ، قراءة صحيحة مرضية .

وأخبرته ؛ أني قرأته على شيخني العالم ، صاين الدين ، أبي بكر ، يحيى
ابن سعدون ابن تمام ، الأزدي ، القرطبي ^(١) - رحمه الله - وأخبرني به
عن شيخه ، أبي عبد الله ، محمد بن بركات بن هلال ، السعدي ^(٢) ، عن

(١) هو يحيى بن سعدون بن تمام ، ضياء الدين ، أبو بكر ، الأزدي ، القرطبي .
ولد بقرطبة سنة ٤٨٦ هـ . وتوفي يوم الفطر سنة ٥٦٧ هـ - بالموصل .
له ترجمة في غاية النهاية ج ٢ ص ٣٧٢ ، والتكملة لكتاب الصلة ج ٢ ص ٧٢٤ ، والنجوم
الزاهرة ج ٦ ص ٦٦ ، ورسالة الجنان ج ٣ ص ٣٨٣ ، وشذرات الذهب ج ٤
ص ٢٢٥ ، والكمال ج ٩ ص ١١٤ ، والبدایة والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٠ ،
ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢١٩ - ٢١ ، ومعجم البلدان ج ٧ ص ٥٤ ؛
مادة (قرطبة) .

(٢) هو محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد ، السعدي ، النحوي ، أبو عبد الله .
ولد سنة ٤٢٠ هـ . ومات في ربيع الآخر سنة ٥٢٠ هـ .
له ترجمة في إنباه الرواة ج ٣ ص ٧٨ - ٩ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ ،
وخريدة القصر ج ٢ ص ٤٢ - ٣ ، وكشف الظنون ج ١ ص ٧١٥ ، ومعجم
الأدباء ج ١٨ ص ٣٩ - ٤٠ ، ورسالة الجنان ج ٣ ص ٢٢٥ ، وشذرات الذهب
ج ٤ ص ٦٢ ، والوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٤٧ ، وبقية الوعاة ص ٢٤ .

أبي القاسم ، سعد بن علي بن محمد ، الزنجاني ^(١) ، عن القاضي ، أبي زرعة ،
روح بن محمد بن أحمد الرازي ^(٢) ، عن المصنف .
وقد أجزت له روايته عنني ؛ بالاسناد المذكور .

وكتب الفقير إلى رحمة ربه ، حيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن محمد
ابن عبيد الله ، الحسيني ^(٣) ، في الحادي عشر من ذي الحجة ، سنة سبع
وعشرين وصتاية ؛ حامداً لله ، ومصلياً على جده المصطفى محمد ، نبي الرحمة ،
وآله الأبرار ، ومسلماً .

(١) هو سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين ، أبو القاسم ، الزنجاني . ولد سنة ٣٨٠ هـ ،
وتوفي سنة ٤٧١ هـ .

له ترجمة في طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ ص ١٦٦ - ٧ ، وראה الجنان ج ٣
ص ١٠٠ - ١٠١ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٣٩ - ٤٠ ، والبدایة والنهاية
ج ١٢ ص ١٢٠ ، والمنظوم ج ٨ ص ٣٢٠ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٠٨ .

(٢) هو روح بن محمد بن أحمد بن محمد بن اسحاق ، أبوزرعة ، الرازي ، القاضي . توفي
بالكرج ، سنة ٤٢٣ هـ .

له ترجمة في طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ ص ١٦٥ ، والبدایة والنهاية ج ١٢
ص ٣٤ ، والمنظوم ج ٨ ص ٧٠ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٤١٠ .

(٣) هو السيد حيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله ، كمال الدين ، أبو الفتوح ،
المرتضى ، نقيب الموصل ؛ من تلاميذ محمد بن علي بن شهاب المازندراني ، وعلي بن
سعيد بن عبد الله الراوندي ، وعبد الله بن جعفر الدوريسي . وهو صاحب كتاب
(غرر الدرر) الذي استمد منه العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، في بحار الأنوار .
له ترجمة في أعيان الشبهة ج ٢٩ ص ٣٩ - ٤١ ، وفوائد الرضوية ج ١ ص ١٦٧ ،
وتذكرة التبشرين ص ٤٣ ، وبحار الأنوار ج ١ ص ٨ و ١٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [f. 1 b]

وصلّى الله على محمد وآله

أخبرنا الشيخ الإمام الأّوحد العالم ، صاين الدين ، جمال الإسلام ،
 تاج الأئمة ، زين القراء ، أبو بكر ، يحيى بن سعدون بن تمام ، الأزدي ،
 القرطبي - أدام الله سمعته - قراءة عليه ،

قال : أخبرنا الشيخ الأجل ، أبو عبد الله ، محمد بن بركات بن هلال ،
 النحوي ، اللغوي ، السعدي ، سمعاً عليه ، في منزله - وهو يقرأ عليه ، من
 أصل سماعه - سنة خمس عشرة وخمسة

قال : أخبرنا الشيخ ، أبو القاسم ، سعد بن علي بن محمد ، الزنجاني ، بمكة
 - حرسها الله ، تعالى - سنة ست وخمسين وأربع مائة ؛

قال : أخبرني القاضي [f. 2 a] أبو زرعة ، روح بن محمد بن أحمد ،
 الرازي - وكان جده أبو بكر ، أحمد بن محمد بن اسحق ، الفسفي ، الدينوري ^(١) -
 يقرأ في عليه ،

قال : كان أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا ، واسع الآداب ^(٢) ،

(١) هو أحمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم بن اسباط ؛ مولى جعفر بن أبي طالب ؛
 الدينوري ، الحافظ ، أبو بكر ، ابن السني . مات في آخر سنة ٣٦٤ هـ .
 له ترجمة في طبقات الشافعية ، للسبكي ج ٢ ص ٩٦ ، ورواة الجنان ج ٢
 ص ٣٨٠ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٤٧ - ٨ .
 (٢) في إنباء الرواة ج ١ ص ٩٤ : الأدب .

متبحراً في اللغة العربية ^(١١) ^(١٢) ، وكان يناظر في الفقه ، وينصر مذهب مالك ^(١٣) ،
ويناظر في الكلام ، وينصر مذهب أهل السنة ^(١٤) . وطريقته سيف النحو
طريقة الكوفيين .

وإذا وجد فقيها ، أو متكلماً ، أو نحويًا ، يأمر ^(١٥) أصحابه بسؤالهم إياه ،
ويناظر ^(١٦) في مسائل ؛ من جنس العلم الذي يتعاطاه ، فإف وجدته برعاً ^(١٧)
جدلاً ، جره في المجادلة إلى اللغة ، فيغلبه بها .

وكان يبحث الفقهاء دائماً على ^(١٨) اللغة ، وبإتي عليهم مسائل ؛ ذكرها في
كتاب ؛ سماه ^(١٩) «فتيا فقيه العرب» ، ويخجلهم بذلك ؛ ليكون الخجل ^(٢٠)
[f. 2 b] لهم ، داعية ^(٢١) إلى حفظ اللغة . ويقول : من قصر علمه عن اللغة ،
غواط ؛ فغاط ^(٢٢) .

(١) في المرجع المذكور : العربية .

(٢) في المرجع نفسه ؛ زيادة : فقيهاً شافعيًا . أقول : وقد عدّه ابن فرحون
اليعمرى ؛ في كتاب (الديباج المذهب) ص ٣٥ - ٦ ، مالكياً . وتراجع
النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٢ ، ومعجم الأدباء ج ٤ ص ٨٣ ، ونزهة الألباء
ص ٣٩٣ .

(٣) في إنباء الرواة ؛ زيادة : بن أنس .

(٤) لا توجد هذه الجملة فيما نقله القفطي ، في ترجمته ، في إنباء الرواة ج ١ ص ٩٤ .

(٥) في إنباء الرواة ج ١ ص ٩٤ : كان يأمر .

(٦) في المرجع المذكور : ويناظره .

(٧) في المرجع نفسه : بارعاً .

(٨) في المرجع نفسه : معرفة اللغة .

(٩) في المرجع نفسه : كتاب ...

(١٠) في المرجع نفسه : خجلهم .

(١١) في المرجع نفسه : داعياً إلى .

(١٢) في المرجع نفسه : وغواط غلط .

وقال لنا ، أبو الحسين ^(١) : سألت فقيهاً ، من فقهاء الجبل ^(٢) - وأنا ،
إذ ذاك ، في فتاه من سنتي - فقلت : ما تقول في امرأته ، خافت على حملها ،
هل لها الفطر ؟

فقال : نعم .

فقلت : أجمع الناس على أنه ليس لها . فاستشاط .

قال : وقال سلم بن محمد : حضرت مجلس أبي العباس بن سريج ^(٣) ، فوقف
عليه رجل ، فقال : أيجب على المتوضئ غسل شاكلكه ؟
فلم يعلم أبو العباس ما قال .

والشاكل ، البياض بين الأذن ، والصدغ ، عن ابن فارس ^(٤) .

قال أبو الحسين : وهذا ابن داود ^(٥) ، قد أنكر على الشافعي ، مقالته في القروء ؟

(١) هو ابن فارس ؛ مؤلف هذا الكتاب .

(٢) الجبل : اسم جامع للأعمال التي يقال لها الجبال . . . وهي ما بين زنجان وقزوين
ومهدان وقرميين (= كومان شاه) والري . تراجع معجم البلدان ج ٢ ص ٥٠ :
مادة (الجبل) ، ص ٤٤ - ٥ : مادة (الجبال) .

(٣) هو أحمد بن عمر بن سريج ، أبو العباس ، القاضي ببغداد . توفي سنة ٣٠٦ هـ
له ترجمة في الفهرست ص ٢٩٩ ، وقاويخ ببغداد ج ٤ ص ٢٨٧ - ٩٠ ، ووليات
الأعيان ج ١ ص ٤٩ - ٥١ ، وشرح المقامات الحريية للطبري ص ٧٤ - ٥ ،
وشرح المقامات الحريية للربيعي ج ١ ص ١٦٦ - ٧ ، وطبقات الشافعية لسبكي
ج ٢ ص ٨٧ - ٩٦ . وطبقات الشافعية ص ١١ - ١٢ ، وطبقات الفقهاء ص
٨٩ - ٩٠ ، ورسالة الجنان ج ٢ ص ٢٤٦ - ٨ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص
٢٤٧ - ٩ ، والكمال ج ٦ ص ١٦٢ ، والبداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٩ ،
والمنتظم ج ٦ ص ١٤٩ - ٥٠ ، والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٩٤ ، وروضات
الجنات ص ٥٧ - ٨ ، والكنى والألقاب ج ١ ص ٢٩٥ .

(٤) تراجع مقاييس اللغة ج ٣ ص ٢٠٥ : مادة (شكل) .

(٥) هو محمد بن داود بن علي بن داود بن خلف ، الاصفهاني ، الظاهري ، الفقيه ؛
أبو بكر . توفي سنة ٥٢٩٧ هـ .

له ترجمة في الفهرست ص ٣٠٥ ، وطبقات الفقهاء ص ١٤٨ - ٩ ، ووليات
الأعيان ج ٣ ص ٣٩٠ - ٢ ، ورسالة الجنان ج ٢ ص ٢٢٨ ، وشذرات الذهب
ج ٢ ص ٢٢٦ ، والكمال ج ٦ ص ١٣٧ ، والبداية والنهاية ج ١١ ص ١١٠ - ١١ ،
والمنتظم ج ٦ ص ٩٣ - ٩٥ ، وروضات الجنات ص ٢٤٧ « ترجمة داود ، والده » ،
والفلاحة والفلوكون ص ١٠٨ - ٩ ، والكنى والألقاب ج ٢ ص ٤١٣ .

أنها الأظفار^(١) ؛ واستشهاده بقربت الماء في الخوض^(٢) .
ولو علم ابن داود [f. 3 a] مغزى الشافعي ، لعرف مكان الشافعي من اللغة .
قال لنا أبو الحسين : « سمعت أبا بكر ، محمد بن الحسين ، الفقيه^(٣) ؛
يقول : ادعى رجل مالاً ، بحضرة القاضي ؛ أبي عبيد بن خربوية^(٤) (٥) .
فقال المدعى عليه : ماله عليّ حقٌ ؛ بضم اللام .

(١) تراجع تفسير البيضاوي ج ١ ص ٢٤٠ ؛ الآية ٢٢٨ من سورة البقرة (ثلاثة قروء) وراجع النهاية ج ٣ ص ٢٣٨ ؛ مادة (قرأ) ، والأضداد ص ٢٢ - ٦ ، والأضداد لابن السكيت ص ١٦٣ - ٥ ، والأضداد للأصمعي ص ٥ - ٦ ، والأضداد للسجستاني ص ٩٩ ، والأضداد للصفاي ص ٢٤٢ ، وجمع البيان مج ١ ص ٣٢٥ (البقرة : ٢٢٧) ، وتنزيل الآيات ص ٩٦ - ٧ ، والكشاف مج ١ ص ٢٧١ - ٢ ، والمخصص ج ١ ص ٤٨ .

وقال أبو الفضل القرشي الصديقي الكازروني في حاشية تفسير البيضاوي ج ١ ص ٢٤٠ : « ان المراد بالقروء في الآية ، على القول المرجح للشافعي ، ليس مجرد الانتقال من الطهر إلى الحيض ، بل الطهر المتخلل بين الحيضتين » .

(٢) تراجع المخصص ج ١٥ ص ١٧٥ ، ومقاييس اللغة ج ٥ ص ٧٨ و ٧٩ .

(٣) هو محمد بن الحسين بن عبد الله ، أبو بكر ، الأجرمي ، الفقيه . توفي في المحرم سنة ٥٣٦ . له ترجمة في فهرست ص ٣٠١ - ٢ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤١٩ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٣ ، وسماء الجنان ج ٢ ص ٣٧٣ ، وشدرات الذهب ج ٣ ص ٣٥ ، والكامل ج ٧ ص ٤٣ - ٤ ، والبداية والنهاية ج ١١ ص ٢٧٠ ، والمنظوم ج ٧ ص ٥٥ ، وهديّة المارفين ج ٢ ص ٤٦ - ٧ ، وطبقات الشافعية للبكي ج ٢ ص ١٥٠ ، وروضات الجنات ص ٦٨٤ ، والكنى والألقاب ج ٢ ص ٢ - ٣ .

(٤) كذا - بالخاء المعجمة . وفي طبقات الفقهاء : حرنوية . وفي طبقات الشافعية : جربويه . وفي شدرات الذهب : جويرية . وكلها تصحيف . (والصحيح) : حربويه .

(٥) هو علي بن الحسين بن حرب بن عيسى ، البندادي ، القاضي ، أبو عبيد : المروف بابن حربويه ؛ فاضلي معر . توفي في صفر ، سنة ٣١٩ هـ ، ببغداد . له ترجمة في طبقات الفقهاء ص ٩٠ ، وطبقات الشافعية ص ١٥ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٩٥ ، وطبقات الشافعية لسبكي ج ٢ ص ٣٠١ - ٧ ، وحن المحاضرة ج ٢ ص ٩٠ ، والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٢ ، وشدرات الذهب ج ٢ ص ٢٨١ - ٢ ، والبداية والنهاية ج ١١ ص ١٦٧ ، والمنظوم ج ٦ ص ٢٣٨ - ٩ .

فقال أبو عبيد : أنعرف الأعراب ؟

فقال : نعم ؟

قال : قم ؛ قد أئزمتك المال ^(١) .

قال أبو الحسين : فالواجب على المفتي ، التحرز ، والنظر في سائر العلوم ؛ ليكون تصديقه الجواب ما يُسأل عنه ، مصيبا .

قال القاضي ، أبو زرعة ، روح بن محمد بن أحمد ^(٢) : سمعت أبا الحسين ، أحمد بن فارس ؛ يقول : قيل لفتية العرب : هل يجب على الرجل - إذا أسهد - الوضوء ؟

قال : نعم .

الأسهاد ؛ أن يمزى الرجل ^(٣)

يقال : مزى يمزى ، وأسهد يسهد (كذا) ؛ بمعنى .

قال : وقيل له ؛ هل [f. 3 b] يحمل الصبي اللاعب - في الصلاة - بأس ؟
قال : لا .

اللاعب ؛ الذي يسيل لعابه ^(٤) .

يقال : لعب الصبي ، أو الرجل ، بلعب ؛ إذا سال لعابه .

وقيل له : ما نقول في الرجل يطأ السماء ، ثم يصلي ؟

قال : لا بأس بذلك .

السماء ؛ المطر .

ولا بأس بالصلوة ؛ إذا وطئ الرجل المطر .

(١) نقل هذه المقالة ، السبكي ، في طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) قال في مقاييس اللغة ج ٥ ص ٣٠٩ ، مادة (مزي) : الذي . . . وفيه الوضوء .

(٤) وتراجع الملاحن ص ٣٢ .

قيل له : ما تقول في رجل ، توضأ من إثناء معوّج ^(١) ؟

قال : إن مسّ الماء تعويجه ، لم يجوز .

الإثناء المعوّج ؛ [المضبب] بالعاج ^(٢) .

يقول : إن باشر الماء العاج ، لم يجزئه وضوؤه .

قال : وهذا مذهب علمائنا .

وقيل له : هل في الربيع صلاة ؟

قال : نعم ، إذا نضب ماؤه .

الربيع ؛ النهر ^(٣) .

وقيل له : هل يقتل جري ^(٤) الكفار المحاربين ؟

قال : لا .

الجري ؛ الرسول ^(٥) .

قيل له : رجل ضرب صيداً بمخلبه [f. 4 a] ، فقطعه نصفين ، هل يجوز أكله ؟

قال : نعم .

المخلب : المنجل .

قيل له : هل تجزئ الصلوة في الفردج ؟

(١) نل السيوطي ، في الزهر ج ١ ص ٦٣٧ : (وفي شرح المناجى للكمال الدميري :

مثل فقيه العرب ، عن الوضوء في الإثناء المعوّج ؟ فقال : إن أصاب الماء تعويجه لم يجوز ، وإلاّ جاز .

والمراد بالمعوّج ، المضبب بالعاج ، وهو قاب الفيلة . ولا يسمى غيرها عاجاً) .

(٢) لعلّ الناسخ أغفل كلمة (المضبب) . تراجع الزهر ج ١ ص ٦٣٧ : كما سبق .

(٣) في شرح المقامات الحربية للشرطي ج ٢ ص ١٢١ : النهر الصغير .

(٤) في الأصل : جوي ؛ بالواو - وهو تصحيف من الناسخ (ظ) .

(٥) في مقاييس القنة ج ١ ص ٤٤٨ : مادة (جرى) : الجري ؛ الوكيل . . .

وحسب الوكيل جريّاً ؛ لأنه يجري مجرى موكله .

قال : إن كان تحت ما يغطي العورة ، فنعيم .
الفروج ؛ القباء ^(١) .

قيل له : تجوز صلاة الفرض ، على الوم ؟
قال : لا .

قال : فالتطوع ؟
قال : نعم .

قال : الوم ؛ الجمل ، يكون ضخماً .
وقيل له : ما تقول في الدين ، اذا برّد صاحبه ، هل يزكّيه لما مضى ؟
قال : نعم .
برّد ؛ حصل .

وقيل له : هل تجوز شهادة الخالة ؟
قال : إن لم يكن ثمّ فسق ، فنعيم .
الخالة ؛ اللّعتاب ، ذوو اللّعب والمزاح ، واحدهم ، خايل . مثل باعة ، وبائع .
وقيل له : على المطلع في الصوم كفارة ؟
قال : لا .

يقال : أطلع ؛ إذا فاء .
وأبو ثور ^(٢) ، يوجب عليه الكفارة ، إذا تعمّد .

(١) في الملاحن ص ١٥ : الدراعة .

(٢) هو ابراهيم بن خالد بن أبي اليان ، أبو ثور ، الكلبي ، الفقيه ، البغدادي . توفي سنة ٢٤٠ هـ .

له ترجمة في طبقات الفقهاء ، ص ٧٥ ، وقارنخ بغداد ج ٦ ص ٦٥ - ٩ ،
وطبقات الشافعية ص ٥ - ٦ ، وص ٨٢ - ٣ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٧ ،
والفهرست ص ٢٩٧ ، ورسالة الجنان ج ٢ ص ١٢٩ - ٣٠ ، وشذرات الذهب
ج ٢ ص ٩٣ - ٤ ، والكمال ج ٥ ص ٢٩٤ ، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٢٢ ،
وطبقات الشافعية للسبكي ج ١ ص ٢٢٧ - ٣١ ، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٠٣ .

وقيل له : هل لمن معه - في السفر - ملك ، أن يتيمم ؟

قال : لا . إلا أن يخاف [f. 4 b] العطش .

الملك ؛ الماء .

وقيل له : هل يجوز السجود على الخلد ^(١) ؟

قال : نعم ، إذا كان طاهراً .

الخد ؛ الطريق ^(٢) .

قيل له : رجلٌ توضأ ، ثم غرّف رأسه ، هل يضره ؟

قال : لا .

غرّف رأسه ؛ حلق رأسه .

قيل له : هل على الرجل - إذا حبّق - وضوء ؟

قال : لا .

حبّق الرجل ؛ إذا جمع ماله ، وأحكم أمره .

قيل له : هل على العمّ - في قتل رجل واحد - قود ؟

قال : نعم .

العمّ ؛ الجماعة ^(٣) .

وهذا مذهبننا ؛ أعني ؛ قتل الجماعة بالواحد .

وقيل له : رجل نقب على بني عمّه ، هل يعقل عنهم ؟

قال : نعم .

يقال : نقب بنقّب ، إذا صار نقيباً ^(٤) . وذلك ؛ حمل دبة الخطأ .

(١) في المزهر ج ١ ص ٦٣٧ ؛ من فتيا نقيه العرب : يجوز السجود على الخلد ، ان كان طاهراً - يعني الطريق .

(٢) في الملاحن ص ٢٩ : الشق في الأرض ، وهو الأخدود .

(٣) وتراجع اصلاح المنطق ص ٧٠ ، والنوادر في الفقه ص ٦٥ .

(٤) في مقاييس الفقه ج ٦ ص ٤٦٦ ؛ مادة (نقب) : نقيب القوم ؛ شاعدهم ، وضيئهم .

وقيل له : هل يجوز أكل العوارض ؟

قال : نعم .

المارضة ؛ الناقة ، أو الشاة ، تذبح لشيء بعثرها .

وقيل : هل على أسير أبي سعد صوم ؟

قال : نعم ؛ إذا قدر [f. 5 a] عليه ، وإلا ، كفر^(١) .

أبو سعد ؛ الهرم^(٢) .

وقيل له : إذا جلس الرجل من بغداد ، هل له أن يقصر الصلاة ؟

قال : نعم .

يقال : جلس الرجل ؛ إذا أتى فيجداً ، فهو جالس^(٣) .

وقيل له : هل للرجل أن ينزل من غير إذن أبيه ؟

قال : إن كان فرضاً ، فنعم .

يقال : نزل الرجل ؛ إذا حج .

قيل له : هل على الأوز حجر ؟

قال : نعم ؛ إن كان مفسداً لاله .

قال له : هل على الأوز حج ؟

قال : إن كان فقيراً ، فلا .

الأوز ؛ الرجل الموثق الخلق^(٤) .

قيل له : هل على الفيل حجر ؟

(١) قال أبو العباس أحمد بن محمد ، الجرجاني ، الثقفى ؛ في المنتخب من كتابات الأدباء

ص ٨٦ : وفي فتاى عليه العرب ؛ هل على أسير أبي سعد صوم .

قال : نعم ، إذا قدر عليه . وأبو سعد الهرم .

(٢) وفي المزهرج ١ ص ٥٠٩ ، وقال ابن السكيت في المكنى : أبو سعد ؛ الهرم .

(٣) وتراجع الملاحن ص ٣٣ .

(٤) في الملاحن ص ٥٥ - ٥٦ : الرجل القصير المضم .

- قال : نعم ، إذا كان مفسداً لماله .
 الفيل ؛ الرجل الضعيف الرأي .
 قيل له : هل تنجس الميامم الماء ، إذا وقعت فيه ؟
 الميامم ؛ النمل الصغار .
 قيل له : هل على الشخص عقوبة ؟
 قال : لا ، إلا أن يكون قذفاً .
 الشخص ؛ الشاتم .
 يقال : أشخص به ، إذا شتمه .
 [f. 5 b] قيل له : هل يجب على المتوضئ غسل الغاية ؟
 قال : ظاهرهما .
 الغاية ؛ ما تحت العنفة .
 قيل له : هل على الفحل صلاة ؟
 قال : نعم .
 الفحل ؛ الحصير .
 قيل له : هل تجوز صلاة المفترى ؟
 قال : نعم ؛ إلا أن يكون غير ذكي ولا مدبوغ .
 المفترى ؛ الذي عليه الفرو^(٤) .
 وقيل له : هل على البيضاء 'جمعة' ؟
 قال : نعم .
 البيضاء ؛ الرستاق .
 قيل له : هل يُصَلَّى على المزكوم ، إذا مات من يومه ؟
 قال : نعم .

(١) وفي الملاحن ص ٥٨ : ما افتريت على فلان ؛ أي ، ما لبست له فرواً .

المزكوم ؟ الولد الملقى .

قيل له : هل يفسد ريق الطوافة الماء ؟

قال : لا .

الطوافة : السنور .

قيل له : هل يجوز التيمم بالمجلة ؟

قال : نعم ؛ إذا جفت .

المجلة : الطينة .

قيل له : هل يجوز التيمم بالآس .

قال : لا .

الآس : الرماد .

قيل له : هل للحاكم أن يحكم على البقر ؟

قال : لا .

البقر : النحير .

قيل له : هل يحكم وبه طيرة ؟

[f. 6 a] قال : لا .

الطيرة : الغضب .

قيل : فحق يحكم ؟

قال : إذا تحللت عقده .

يقال للرجل - إذا سكن غضبه - قد تحللت عُقْدَه^(١) .

وقيل له : هل يجوز بيع الطريق ؟ إلا واحدة غير معلومة ؟

قال : لا .

(١) في أساس البلاغة ج ٢ ص ١٣٢ ، مادة (عقد) [ويقال] لمن سكن غضبه ،

م (٨)

قد تحللت عقده .

الطريق ؟ النخل ^(١) .

ولا يجوز بيعه ، باستثناء واحدة غير معلومة .

قيل له : هل على المصاب زكاة ؟

قال : لا .

المصاب ^(٢) ؟ قصب السكر .

وقيل له : هل في الختم زكاة ؟

قال : لا .

الختم : بيت النخل ، الذي تستل فيه .

ولا زكاة في العسل عندنا ، ولا في قصب السكر .

قيل له : هل تؤدى زكاة الفطر من الثور ؟

قال : نعم .

الثور ؟ الأقط ^(٣) .

قيل له : هل يقطع الصبي في السلّة ؟

قال : لا .

السلّة : السرقة .

قيل له : فما في أربعين صنّاً ؟

قال : واحد .

أربعون صنّاً ؟ أربعون ثوراً ^(٤) ، [f. 6 b] فيها من الصدقة مَسْرَن .

(يتبع)

الركنور حسين علي محفوظ

•••••

(١) في الملاحن من ٢١ : النخل الذي ينال باليد .

(٢) الصواب : المصنّ بالنون لا بالباء ، فقد جاء عن ابن الأعرابي وقال ابن بري : المصنّ بالفم قصب السكر ، عن ابن خالويه ، التاج (مع) . « لجنة المجلة »

(٣) في الملاحن من ١٥ : القطعة العظيمة من الأقط .

(٤) في الملاحن من ١١ : السن - عند بعض العرب - الثور الوحشي .

التعريف والنقد

ديوان الأمير ابن أبي حصينة (ج ١)

أخرج الجمع العلمي المرعي بدمشق هذا الديوان بتحقيق محمد أسعد طلس
الدكتور في الآداب

أما صاحب الديوان فقد عرّف به المحقق الفاضل في المقدمة الممتعة التي صدر بها الديوان وتكلم فيها عن حياة هذا الشاعر وتأميره وعلمه وأدبه وحليته وأخلاقه وشاعريته وديوانه وممدوحيه (الأمراء المرادسة) بما لم يترك معه مقالاً لقائل .

وأما المحقق فهو ذو فضل بما نشره من المخطوطات ، وآخر ما حققه هذا الديوان مع شرح ما يحتاج الى تفسير من الكلمات اللغوية والجغرافية والتاريخية فضلاً عن تلك الفهارس العامة التي تناولت نواحي كثيرة من الديوان .

والعلماء الذين يوفقون إلى إخراج الكتب الخطية في مثل هذه الطريقة هم أفراد قلائل ، وكل من وقف على بعض ما يعانونه في هذا الشأن أدرك أن إخراج ذخائر السلف الخطية وإبرازها على هذا النمط ليس بالأمر السهل الهين ولا سيما اذا كانت النسخ مكتوبة بخطوط من قبيل الطلسمات .

وقد عنت لي ملاحظات على هذا الديوان في أثناء قراءتي له أحببت أن أنشرها فيما يلي ، لعل فيها ما يجدر بأن يلحظ بعين الاعتبار ويتيح لي شرف المشاركة في خدمة هذا الديوان ولو بالثرز الطفيف .

جاء في الصفحة ٣٥ س ١٨ من المقدمة : « وهو وإن كان قد سهم فيها قاله شعراء عصره » والصحيح : أسهم ، ولعله من خطأ الطبع .

وفي ص ٦ من ٦ من الديوان :

أو يطيبه وشمل الحي منشعب ربع بشعب يَعار دارس الأثر
والصحيح دارس الأثر بفتح الهمزة لا بضمها .

وفي ص ٧ من ٣ :

كأن أعشار قلبي يوم بينهم تذكى بزندان من صرخ ومن عشر
بكسر الزاي من (زندين) في حين انها بالفتح .

ص ٨ سطر ١٠ :

سود المرائر لا يفشون يوم وغى إلا على لحق الآطال كالمر
وقد جاءت لا يُغشون بالبناء للمجهول والأولى أن تكون للمعلوم .

ص ٩ س ٨ :

غاليت في الحمد حتى صرت مشربا من الفريض سطور الخبر بالخبر
وقد وضع على الناء في غاليت ضمة وربما كان الفتح أولى .

ص ١٢ س ٦ :

تمزق بالتقبيل والاثم سبطة فتبلى وما تبلى من القدم الشبطة
ولعلها تعرق بالتقبيل وورد في القاموس رجل معرق العظام قليل اللحم ، وبعدان
تمزق بالتقبيل لا يبقى فيها بقية لأن تبلى .

ص ١٩ س ٤ :

تتقى الضال والعُبري داراً

ولعله والعبدى بالبدال والعبد نبات طيب الرائحة^(١) .

ص ١٩ س ٩ :

تألق من دوين حَزِيز خَبَّت فأذكرني به الحيّ الحلالا
بفتح الحاء والأولى كسرهما وحى حلال نزول .

(١) لل صواب ما جاء في الديوان لأن العبري هو ما نبت من السدر والضال على
ضفاف الأنهار وعطفه على الضال يدل على الشجر لا الزهر (لجنة المجلة)

ص ٢٣ س ٣ :

ملك بنی عزري وأصبح نعمتي وأجل منزلي وأزهق أسهمي
ولعله وأزهق أسهمي بمعنى جعلها تتجاوز الهدف .

ص ٢٤ س ٦ :

كرماً بما ذكر الكرام ووصفهم حتى كأن كريم لم يُكرّم
وردت بكرم من أكرم ولعل الصواب بكرّم من كرم .

ص ٢٨ س ١١ :

هي القُبُّ بارتها قبابٌ كأنها على حُتْفِ الأحمال في العين أجمال
لعله (على حُتْفِ الأجمال في العين حُجَال) والخلف جمع خائف والجُمَال
كرمان الجميل^(١) .

ص ٣٣ س ١ :

أتوا يثقلون الأرض من فوق شرب
جاءت يثقلون من ثقل ولعل الأولى يثقلون من أنقل .

ص ٣٣ س ٤ :

ولكنكم قبلتموهم ذوابلاً من الخط لها مشرعوها هم اللد
جاءت قبلتموهم من التقبيل ، والأولى من أقباته الشيء جعلته يلي قبالة .

ص ٣٦ س ٦ :

بؤفور لا يُستخف كأنما بفي بُردته متالع أو صلفع
وجاء في الحاشية ٣ انه ليس من جبل بام صلفع .

أقول لعله صيلم الوارد في قول امرئ القيس :

أتاني وأصحابي على رأس صيلم حديث أطار النوم عني فأقما

(١) المعنى غامض ولا يصح على رأي الناقد ، وعلى رواية الناشر غامض المعنى أيضاً .
(لجنة المحررة)

ص ٤٨ س ١٢ :

ولو قدرتُ لما زارت مُقَفَّلَةً إلا بجدي اليه الوخْدُ الرسمُ
وضبطت مقفلة على التضعيف وربما كان الشطر « ولو قدرت لما زارته مقفلة »
من أقفل الرفقة جعلهم يبتدئون السفر أو يقفلون منه كما في القاموس .

ص ٤٩ س ٣ :

« ومعه محملة حدوده » بالخاء

وربما كانت حدوده بالجيم جمع جد وجه الأرض .

ص ٥٢ س ٤ :

يفرق في الغبراء ظنبياً ومكناً ويرمي من الشغواء وكرأ وأجدلاً
وردت الشغواء بالعين وربما كانت الشغواء بالعين المهمله وهي الشجرة المنتشرة الأغصان .

ص ٦٣ س ٤ :

طوبنا بها مرر الناجيات طيء الاسود تحت الرُجْمِ
وضبطت مرر على أنها مفعول به ، والأولى أن يكون الشطر :
« طوتنا بها سررُ الناجيات »

ص ٦٦ س ٩ :

وغدا بنو الآمال خلفك في الفلا غضباً يزجوت المطيء الوخدا
ولا محل للغضب هنا ، واهله (عُصْباً) جمع عصبه .

ص ٦٧ س ١٤ :

سارت بهذا طُلُّ الركاب وغرقت أمواج ذا بالمكرمات الوؤدا
ولعلها : ذُلُّ الركاب .

ص ٧٧ س ٧ :

أمن الدهر عدله ففدا الدهرُ ومن فيه آمنًا في أمانه

وضبطت علی أن الدهر فاعل آمن وعدله مفعول ، ولعل الأولى أن يكون « آمن الدهر عدله » آمن بالتضعیف والدهر مفعول وعدله فاعل .

ص ٧٩ س ١ :

وقد سألوا عن شأننا بعد نأیهم فقلنا لهم لم یرق بعدكم شأن ولعلها « لم یبق بعدكم شأن » (١) .

ص ٧٩ س ٤ :

وبالفور من جنبي خفاف جآذر من الإنس یبکرن الانیس وغزلان ولعله « یُفکِرْنَ الانیس » .

ص ٨٣ س ٧ :

وفیها نواجیم یبض المتوف مذرّبة مثل روس المدی ولعلها « مذرّبة کرؤوس المدی » .

ص ٨٧ س ٢ :

المشیات کُتِبَ الشّنان الواشحات أوجه الغیطان وفسر کتب الشّنان فی الحاشیة ٢ : الشّنان : القرب وکتب القربة : خرزها ، والذي أراه أنها « کُتِبَ الشّنان » ، الکتب جمع کتیب والشّنان واد بالشّام .

ص ٨٧ س ٣ :

والکاسیات قلل الرعات ضرائب العطب من الأرسان ولم یفسر البیت مع حاجته الی التفسیر وضبطت العطب بفتح العین مع أنها بالضم ومعناها القطن والضرائب القطع من القطن والمراد ما یقذف من اللغام .

ص ٨٩ س ٥ :

الی القطع وما والاها من سهل ومن وعمر ولعله الی القرع والقرع اسم لأودية بیلاذ الشام حسبما جاء فی مراصد الاطلاع . (١) ولعل الأصوب : (لم یرق بعدكم شأن) وأصل یرق یرقا بمعنى یخف ، سهت الهمزة ثم حذفت بالجازم ، والشّان هنا یرید به شأن العین . (لجنة النجدة)

ص ٩٠ س ٣ :

توام في سما العز : مثل الأنجم الزهر

وجاء في الحاشية ٢ (في الأصل : في سما العز) .

والأصل هو الصحيح ولكن المحزة سقطت من آخر السماء وأصل البيت :

توام في سما العز مثل الأنجم الزهر

ص ٩١ س ٧ :

نقيّ العرض لا يُدْنَس بالفحشاء والذكور

والأصح لا يُدْنَس من باب شرب .

ص ٩٦ س ٤ :

يقول صبي وقد كُسِيتَ بالنور — غبر الفجاج من أمه

والصحيح :

يقول صبي 'صُحِّي' وقد كُسِيتَ بالنور غبر الفجاج من أمه

وربما ظنت كلمة صُحِّي تكراراً لكلمة صبي فحذفت وبقي البيت مكسوراً .

ص ٩٦ س ٩ :

وأبلج مثل الصباح رؤيته تشفي حليف السقام من سقمه

هكذا ورد وأبلج بالواد في أدلها والتنوين في آخرها ، والصحيح (أبلج) .

ص ١٠٠ س ١ :

بعد أن حطم الرماح ورد الأبيض قد خربت ظباها الفلول

ولعله (قد دربت ظباها الفلول) ومن معاني المدرب المصاب بالبلايا .

ص ١٠١ س ٢ :

لا زال سعيك مقبلاً مقبولا

ولعل السعي هنا حل محل السعد .

ص ١٠٩ س ١ :

و کشرت حسادي و ثرت نعمتي

• هکذا جاءت کشرت بالشين والصحيح : و کثرت ، ولعلها من خطأ الطبع .

ص ١١٦ س ٨ :

کانت الحی فارقہ فثابت لفرقتہ من النور القنات

• هکذا جاءت القنات بضم القاف والصحيح بالكسر جمع قنة .

ص ١٢٥ س ٣ :

ولقد أشهد الکریهة والجو عليه غیابة طخیاء

فسرت الغیابة بالخاصیة ١ بالهبطه والقمر وكان الاوّلی أن تفسر بما ورد في القاموس من أن غیابة کل شيء ماسترك منه .

ص ١٢٨ س ٢ :

لا الباني تبع كان شروا • ولا فیصر ولا السباء

• ولعلها الزیاء .

ص ١٣٢ س ٨ :

وفي فلي شهاب أمی ووجد زکی^(١) من فتاة بني شهاب

• ولعلها وحی والوحي السریع .

ص ١٣٥ س ١ :

الى الملیحة^(٢) حیث العین جاریة من الصباح الى جلهات وادیها

• ولعلها الضیاح أي العمل یصفها بالخلاوة .

ص ١٣٩ س ٤ :

و شعث کهامات القسوس رواکد لها من میاجین الاماء نواقس

• وربما كانت مناجین جمع منجون وهو الدولاب .

(١) لعل الأصوب : (. . .) ووجد ذکی (. . .) بالذال أي وجد ملتبس .

(لجنة المجلة)

(٢) فتح الآخر خطأ مطبعی والصواب بکسر آخره ليعرف بالتعريف .

(لجنة المجلة)

ص ١٣٩ س ١١ :

إذا أرقلت لم يدر من مدَّ طرفه أعقبانُ دُجنٍ تحتنا أم صرامس
هكذا وردت بالإضافة والأولى أعقبان دُجنٌ على أن دجن صفة لعقبان .
ص ١٤٣ س ٨ :

لما طلعت على سمندٍ ساجٍ

وفسرت السمند بأنها الحصان الأصيل ولعلها (سمادة ساج) والسمادة ظهر الفرس .
ص ١٤٦ س ٩ :

فذاك كل حُسود^(١) ضل ذي 'بُخلٍ يمشي إلى الضيف مشي الأجرد الحفد
ولعلها الأجرد بالخاء ومعناها البخل اللثيم .

ص ١٤٦ س ١٠ :

إذا تفازع أهل الحي أبده خوف النية بين الكسر والنضد
هكذا وردت أبده بالياء والصحيح أنها أبده بالباء من أبد بالمكان أقام
أما الكسر فهي الكسر بكسر الكاف : جانب البيت .

ص ١٥٦ س ١٢ :

حتى لكاد معين الماء يصبه ماشاع في الأرض منها من دم سرب
ولعلها ماساح في الأرض بالسين والخاء .

ص ١٥٩ س ٢ :

سجينة من كريم الطبع في ملك مهذب لم يعقب يوماً ولم تعقب
والغيب لا معنى له هنا والأولى أن يكون (لم يعقب يوماً ولم يعقب)
أو (لم تعقب يوماً ولم يعقب) .

(١) قوله (حُسود) بضم الخاء غلط مطبعي صحيحه بفتح الخاء ، يدل على ذلك صفة
(ضل) و (ذي بخل) .
(لجنة المجلة)

ص ١٦١ س ٥ :

قصدم الشام إذ غابت فوارسه والدثب يرقص حتى يحضر الأسد
ولعلمها (والدثب بفرس) .

ص ١٧١ س ٧ :

وقد زرت ^(١) الملوك فلا جلالاً جهلت من الملوك ولا دفاقاً
وجاء في الحاشية ٣ أن جلالاً هو جلال الدولة ركن الدين بن بهاء الدولة
ودفاق هو ابن تنش شمس الملوك السلجوقي ، والذي أراه أن صاحب الديوان
لم يقصد إلا إلى المعنى اللغوي لجلال ودفاق بالضم أي الجليل والدقيق ، بدليل
أن دفاق بن تنش ولي الملك عام ٤٨٨ بعد وفاة الشاعر بما يقرب من ثلاث
قرون ، فكيف يشير إليه إذا كان لم يدركه .

ص ١٧٢ س ٢ :

تود الشمس لو خلقت مداماً له والشهب لو صنعت نطافاً
وأرى أن الشمس مها بكن الأمر لا تقبل أن تكون مداماً حتى للفتحين
العظام فكيف لابن مرداس ، فضلاً عن قبح اللفظة وربما كانت عناساً بمعنى
مرأة أو لباساً .

ص ١٧٤ س ٥ :

نضورن حتى كدن يسفن مائلاً من الترب من افراط ما بن جوعا
والأولى أن تكون يسفن بدل يسفن .

ص ١٧٥ س ٧ :

بكل نجيب لم بدع في نجيبه دوام السرى إلا فقاراً وأضلماً
والأولى أن تكون الجملة (لم بدع في نجيبه) .

(١) ولعل رواية (رؤت) بدلاً من (زرت) أقوى . (لجنة المجلة)

ص ١٨٠ س ١ :

لولا ظباء رماح لم أمت شغفًا بظبية من ظباء السرب معطال
والأولي (لولا ظباء رماح) والظبة تطلق على حد السيف وحد السنان .

ص ١٨٧ س ٦ :

محسنٌ نستفيد من يده الثرُّ وة فضلاً وحكمةً من كلامه
والأولي (من يده الثرة فضلاً) .

ص ١٩١ س ٦ :

فردة أعلت بأنك فرد وسجلٌ قلده ليلى
ولعلها يحيل بمعنى الثوب أو حلي .

ص ١٩٥ س ١٥ :

تهوي بهم شدَّياتٌ مزمنةٌ تفضِّلُ في اليد أعضاداً بأعضاد
لعلها فصلٌ بالصاد من الصليل وهو الصوت عندما تحتك الأعضاء بعضها ببعض .
ص ١٩٧ س ١٢ :

من بعد ما سالت شعوب مدامع سالت لهنَّ مدامعٌ وشعابُ
ولعل (مدامع) الثانية أصلها مدافع بالفاء ، وهي مدافع المياه عندما تجري .
ص ١٩٨ س ٥ :

واذا طلبتَ من الزمان طلايةً بالسيف لم يعذب عليك طلاب
ولعلها يعزب بالزاي لا بالذال .

ص ١٩٩ س ٨ :

واذا الكريم حوى الجسيم سخا به كالبحر ما للشيء فيه ربابُ
وجاء في الحاشية ٢ : « هكذا في الأصل » ، وأقول من معاني ربِّ أفام والبحر
عادة لا يُلبق شيئاً ، بل يقذفه الى الشاطئ .

ص ٢٠٢ س ١٢ :

ولا تختبِ إلا شفار السيوف وهذي الرجال وهذي الخطبُ

والخطب لم تكن من أداة الحرب في عصر المراسدة كما هي الآن ولعلها
(الشطب) جمع شطبة وهي الفرس السبط اللحم .

ص ٢٠٨ س ٦ :

مقدمة لها من عهد عاد كأن حبايبها قصص الأفاعي
والصحيح مقدمة بالفاء لا بالقاف وايربق مقدم عليه مصفاة ، وفد وقع ابدال
القاف بالفاء في شرح المعري أيضا .

ص ٢١٠ س ٩ :

الله جارك انت ثوبت اقامة وكفيل عزك ان أردت رحيل
والأولى (ان ثوبت) بالنون لا بالثاء .

ص ٢١٠ س ١١ :

وبذلت مالك دون عرض لم بيت للذم مرهوبا ولا مبدولا
لعله (موهوبا) بالواو .

ص ٢١٣ س ١٢ :

ويارب شر ساس خيرا وريفة الى السلم جرتها الضغينة والحرب
والأولى (سام خيرا) بالميم لا بالسين .

ص ٢١٩ س ٧ :

نجح الزمان بذكره وتجملت بمحدثه الشعراء والأشعار
لعلها (نجم) ^(١) أو (متع) مكان نجم .

ص ٢٢٢ س ٧ :

وبفضلهم ركبوا الجياد وثمروا أموال ماشية لهم وسوام ^(٢)
والأولى وبفضلكم .

(١) ورواية (نجم) خير من غير المناسبة المعنى على ان تكون بالبناء للجهول . (لجنة المجلة)

(٢) ذوي القصد بكسر الميم ، ولا حاجة الى الإقواء هنا . (لجنة المجلة)

ص ٢٢٣ س ١٢ :

فَلَا بُسْنَكُمْ بِرُودَ مُحَاسِنٍ أَبْعَى وَأَسْنَى مِنْ رُودِ رِثَامٍ .
وجاء في الحاشية ٢ : ان الرثام الغواني الجميلات لا الغزلات الحقيقية ، أقول :
رثام : موضع بنسج فيه الوشي كما ورد في مراصد الاطلاع ، فضلاً عن أن
الغواني الجميلات لا يلبسن كلهن الثياب الجميلة .

ص ٢٣٠ س ٨ :

ورميني يوم الحبيس بنظرة كبت على شغفي بهن حيسا
وجاء في الحاشية ٢ : (لم أجد يوم الحبيس هذا في مصادر) ، أقول : جاء
في مراصد الاطلاع (حيس موضع بالرقعة) ولا يلزم أن يكون الموضع المذكور
في البيت اسمه يوم الحبيس .

ص ٢٣٢ س ٢ :

وكم ليلة بت مما أحزن لا أطعم النوم إلا غرارا
والأولى (مما أجن) .

ص ٢٣٢ س ٧ :

توخّين شهرين حتى أتين الى الرقتين رذايا حسارا
والأولى (نوجين) بالجيم بمعنى الحفاء أو أشد منه كما ورد في القاموس .
ص ٢٣٦ س ١٢ :

مطهر الخيم والأرومة لا عيب ولا وصمة ولا طمع
الأولى (ولا طبع) والطمع لا بعد عيباً في مثل المرادسة من الأمراء المغامرين .

ص ٢٣٧ س ٤ :

إن أفضلوا أوسعوا وإن حملوا سروا وإن تستسروهم وسعوا
ولعله (تستسروهم) .

ص ٢٤٠ من ١٢ :

سارت مسير النيرين وطبقت تَعَرَّ (١) البلاد نهائماً ونجودا
ولعله (عَفَر) أو (حُصِر) ومعنى الأولى ظاهر التراب والثانية وجوه الأرض .

ص ٢٤٤ من ٩ :

لا ينجحن الذيرى بما جرى قدماً ، فقد وضع الطريق الأقوم
الأولى (لا ينجحن) ، والنجح : الكبر ، وهذه الكلمة هنا صادفت موضعها اللائق بها .

ص ٢٥٣ من ٨ :

ما كان من طلب النجاح تبجحاً في قوله وفعاله ومرامه
والأولى : (ما كل من طلب النجاح متجحاً)

ص ٢٥٦ من ٥ :

لمع الطمى عليهم فكأنه خمر يحسر عنه ثوب قتامة
لعله (لمع النسيم) ، والنسيم الكتابة و (خمر) لا خمر .

ص ٢٥٧ من ١١ :

باصاح شمر في استباق العلى وانفض الى الرزق يباقي الجناح
ولعله (بوحف الجناح) ووحف كثر الريش .

ص ٢٥٨ من ٩ :

مؤدب الأعضاء مستحسن ماشين بالبهر ولا بالجناح
والأولى : (مؤدب) بالراء لا بالدال بمعنى محكم الأعضاء شديدها .

ص ٢٥٩ من ١١ :

من قاس بالسحب ندى كفه أيقن أن السحب بحر شجاج
ولعل الأولى : (لحز شجاج) أو (كز) ، وشجاج بكسر الشين جمع شحيح .

(١) جاءت (تعر) في هذا البيت مفردة ، والصواب أن تكون (تعر) بالجمع وهي جمع ثرة وهي المسلك يقال : (هو يتنرق ثعر الجعد) أي مسلكه . (لجنة المجلة)

من ٢٦٣ س ٥ :

تأمل مفرقي تجدي سطوراً أجادت محوهم بد الزمان
ولعله (تأمل مفرقي تجدي) .

من ٢٦٣ س ١٢ :

يُحَيِّفُ شَخْصَهَا التَّأْوِيبُ حَتَّى لَكَادَتْ أَنْ تَدُقَّ عَنِ الْعِيَانِ
وَالْأَوَّلَى (تَحْيِيْفُ شَخْصَهَا) بِمَعْنَى تَنْقُصُ ^(١) .

من ٢٧١ س ١ :

وَالْعَيْسُ تَمَّكَادُ تَذُوبٌ إِذَا ذَابَتْ فَتَسِيلُ مَعَ الْعِرْقِ
وَالْأَوَّلَى (إِذَا ذَابَتْ) بِالذَّالِ .

من ٢٧١ س ٤ :

فَأَتَوْا حَلَبًا فَسَفَوْا ذَهَبًا وَعَفَوْا فَتَفَوَّا يَدَّرُ الْوَرَقِ
لَعَلَّهُ (فَسَبَوْا) أَصْلُهَا فَسَبَوْا . وَالْمُرَادُ بِالذَّهَبِ الْخَمْرُ .

من ٢٧٤ س ١٣ :

جَادَتْ يَدَاكَ إِلَى أَنْ هَجَمَ الْمَطَرُ وَزَانَتْ وَجْهَكَ حَتَّى قَبِيعَ الْقَمَرِ
لَعَلَّهُ (وَازْدَانِ) أَوْ (وَازَيْنِ) بِتَشْدِيدِ التَّوْنِ لِأَنَّ زَانَ لَمْ تَرُدْ إِلَّا مُتَعَدِّبَةً .

من ٢٧٩ س ٩ :

كَأَنَّهُ مِنْ فَرَجٍ مَسُوسٍ

لَعَلَّهُ (مِنْ فَرَجٍ) بِالْخَاءِ لَا بِالْجِيمِ .

من ٢٨٦ س ١٠ :

فَمَا لَكُمَا لَا تَعْذِرَانِي عَلَى الْجَوَى وَحِيلِي مِنْ حَبْلِ الْأَحْبَةِ مَقْنُوبِ
وَفُسِّرَتِ الْحَاشِيَةُ ٢ مَقْنُوبٌ مِنْ قَبْلِ الْكُرَمِ إِذَا قُطِعَ زَوَائِدُهُ ، وَلَعَلَّهَا مَحْرُفَةٌ عَنْ
مَقْنُوبٍ أَوْ مَقْطُوبٍ بِمَعْنَى مَقْطُوعٍ .

(١) و (تحيف) بالخاء المعجمة أقرب إلى الأصل وهي بمعنى (تحيف) . ففي التاج :
وتحيفه : تنقصه ، عن ابن الأعرابي .
(لجنة المجلة)

ص ٢٨٧ س ٧ :

حذاراً واشفاقاً من البين أن نَزَى غيرة عنه التجاح الغرايبُ
ولم تفسر التجاح ولعلها (الطاح) جمع نطيح وهو المشثوم .

ص ٢٨٧ س ٨ :

فلا لوم لي ان طار قلبي صباية لأنني من شحط الأعبة منخوبُ
وردت (منخوب) بالحاء والأولى (منخوب) وهو الجبان المزروع الفؤاد .

ص ٢٩٢ س ٤ :

بغاظ به شانيك حتى كأنما عدوك بالمدح الذي فيك مفسوبُ
والأولى (مسبوب) .

ص ٢٩٦ س ٤ :

من فوقه سفن يشف كأنه حجب يطف على خليج مزبد
وردد في الخاشية ١ السفن بفتح السين والفاء : من عدد السلاح ٦ وهو آلة تبرى
بها السهام ٦ والسفن أيضاً هو الجلد السميك الخشن الذي يسفن به الخشب فيلين .
أقول : وأولى من ذلك ما جاء في الافصح ٢٨٤ ان السفن : الجلدة المحببة التي
تلبسها قوائم السيف .

ص ٢٩٦ س ٨ :

واركب جياذ ابن النبي طوامحاً مثل الصقور دوالجاً في المسجد
لعلها (مثل الصقور جوامحاً) .

ص ٣٠١ س ١٠ :

ورمت بالجار تلتحمس الأجـر وقد أصمرت بقلبك حمرا
والأولى (بقلبي) .

ص ٣٠٣ س ٣ :

أيها القلب لم يدع لك في وصل العذارى نصف الهيدة عذرا

م (٩)

وقد وضع في آخر البيت أداة استفهام ، وأقول لعله النصف بفتح النون من تنصف
الشيب إذا كان هو والسواد نصفين والمبيدة حب الحنظل كناية عن الشيب ^(١) .
ص ٣٠٤ من ٣ :

كالحساب الكنهور الجود قادة — النعamy فطبق بالأرض قطرا
الأصح (الأرض) دون حرف الجر ولعلها من خطأ الطبع .
ص ٣٠٧ من ١٠ :

وأصحت من الضاحي تبض كأنما قسي رمت أكبادها حر أسهم
والأولى (كأنها) لا كأنما .
ص ٣٠٨ من ٢ :

ولما علت نشر الرصافة بشرت بعارض مزن بأكر الوبل مشجم
وردت (نشر) بالراء والأولى (تشنر) بالزاي .
ص ٣١٢ من ٩ :

يا حبيذا بلداً حلت بجانبه جهنامة من بنات البدو عطول
هكذا وردت (عطول) والأولى (عطبول) .
ص ٣١٢ من ١١ :

مكورة الخلق لا أفصى بها قصر مع القصار ولا أزرى بها طول
والأولى (لا أفصى بها قصر الى) .
ص ٣١٣ من ٣ :

حلت بسلم فلا من الغمام به إلا وللقصر عقد فيه محلول
الصواب (إلا وللقطر) بالطاء .
ص ٣١٣ من ٥ :

ياربع ضفناك فافعل ما ستذكره لسائلين فان الضيف مسؤول
وردت (ستذكره) بناء المخاطب ، والأولى (ستذكره) بنون الجمع المتكلم .
(١) لم نجد هذه الكناية في كتاب ويظل المعنى غامضاً .
(لجنة المجلة)

من ٣٢٣ من ٩ :

ورجاجة لو انها وزنت بالنسر خف لوزنها بالنسر
فسر في الحاشية ٢ النسر بالكوكب المعروف ، والأولى أن يفسر بأن النسر
جبل يبلاد غني كما جاء في مرصدا الاطلاع .

من ٣٢٩ من ٨ :

ويارب غبراء المخارم يرتعي بها فرقد والمسن للمتن عوَججُ
فسر في الحاشية ٣ المخارم والعوَججُ ، والشرط الثاني من البيت غامض وامل (والمسن
للمتن) : (أملس المتن) ، ومع ذلك فيبقى الشرط الثاني مكسوراً وان صار مفهوماً ^(١) .

من ٣٣٢ من ٥ :

ونبت مناباً عن أخيك تهزؤه كشكرك في كفائه ، وهو مدرجُ
الأصوبُ (لشكرك) .

من ٣٣٦ من ٢ :

مادون فضلك لا مَطَلٌ ولا عدة ^(٢)

والأقوى (مطل لا ولا عدة) وان كانت الأولى صحيحة .

من ٣٣٧ من ١١ :

لأي هنبر وغي هييجوا

ولعلها (فأَيُّ هنبر وغي هييجوا) .

من ٣٦٢ من ١١ :

كَانَ قَدُودَهُنْ قَدُودُ سَمَرٍ . شَقْفَةُ بَيْنِ حَفَا وَلَيْنُ
وردت (حفا) بالخاء ، وهي بالجيم ^(٣) .

(١) ولعل الأصل : (بها فرقد ، أو أملس المتن عوَجج) وبذلك يتقن الزحاف .

(لجنة المجلة)

(٢) جاءت (مطل) مفتوحة الطاء والصواب مكونها . (لجنة المجلة)

(٣) لعل (الحفا) بالخاء المهملة أصح لأنه مما يعرو القدم والحف والخاخر .

(لجنة المجلة)

ص ٣٦٣ من ١ :

تهنفت الصدورُ فون لُدن

والأولى ^(١) (الخصور) .

ص ٣٦٣ من ٦ :

ضنبنات عليك وكيف يرجي زوال يد وصاحبها ضنين

ولعلها (نوال يد) ^(٢) .

رشدي الحكيم



الطريق إلى مكة

تأليف الأستاذ محمد أسد

نقله الى العربية الأستاذ عفيف البليكي

هو كتاب جليل ، شرقي غربي ، ديني مدني ، ومؤلفه الأستاذ محمد أسد رجل عصامي .
أما تسمية المؤلف إياه باسمه هذا ، فقد أبان أنه لما كان في برلين ، قصد إلى
صديق له مسلم هندي ، - وقد كان رئيس الجالية الإسلامية - وأعلمه برغبته
في الإسلام ، فوضع يده اليمنى بيده ، ويحضور شاهدين شهد أن لا إله
إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فقال له صديقه المسلم : لقد كان اسمك
حتى الآن ليوبولد (Leopold) وكلمة (Leo) اليونانية معناها أسد ، إذن
سندعوك من الآن فصاعداً « محمد أسد » وبعد بضعة أسابيع اعتنقت أولى زوجاته
الإسلام . قضى المؤلف سنّ الطفولة في المدينة البولونية المعروفة بـ « لمبرج »
Lemberg ، وقد كانت جزءاً من بلاد النمسا ، وقام بفي سن الشباب مع

(١) ولعل رواية الأصل أولى . (لجنة المجلة)

(٢) هذا وقد ذكر الأستاذ رشدي الحكيم من الانتقاد بعض ما سبقه إليه الدكتور

مصطفى جواد ونشر في المجلة (مج ٣٢ ج ٣ ص ٥٣٣-٥٣٩ و ج ٤ ص ٦٨١-٦٨٤)

لذلك لم نر مجالاً لإعادة نشره .

والده الرياضي المحامي يرحلات واسعة في فيينا وبرلين وجبال الألب وغابات بوهيميا وبحر الشمال وبحر البلطيك ، فبدت له في رحلاته عوالم جديدة ، وكان جدّه لأمه صبرياً ثرياً ، ذا أملاك واسعة . وأما جدّه لأبيه فقد كان حاكماً في عاصمة مقاطعة بوكوفينا التي كانت نمسوية وقتئذ .

وقد نظر محمد أسد ، في الأدبان السماوية نظر استقلال واستدلال ، فرأى اليهودية تُفضّل جنسها على سائر بني الإنسان ، وتسمّي نفسها شعب الله المختار ، ورأى المسيحية أقرب إلى العدل ، في نظرتها العامة الشاملة للبشر ، ولكنها تفصل بين الروح والجسد ، وقد قال ماوجزه : « وبمقتضى تقاليدنا العائلية كنت قد درست على أبدي أساتذة خصوصيتين العلوم الدينية العبرانية بتعمق كبير ، لقد درست العهد القديم في الأصل ، وأصبح نصّ التلمود وشرحه مألوفاً لدي ، وانهمكتُ في شرح الكتاب المقدس المسحاة « تارغوم » تماماً ، كما لو كان مقدراً عليّ أن أصبح حاكماً ، ولكن كان يبدو لي أن الله (تعالى) كما يمثله العهد القديم والتلمود ، كانت مهتاً بأكثر مما ينبغي بالطغوس التي كان مفروضاً في عبادته أن يعبدوه بواسطتها ؛ كذلك خطر لي أن هذا الإله كان منشغل البال بصورة غريبة بمصائر أمة واحدة معينة أعني العبرانيين !! ولكن بالرغم من أنّ تأثير تلك الدراسات المبكرة ، التي فت بها ، كان على عكس ما قصد بها ، إذ أنها أبعدتني عن دين آبائي وأجدادي ، بدلاً من أن تقربني منه ، فإنني كثيراً ما اعتقد أنها في السنوات التي تلت ، ساعدتني على أن أفهم الغرض الأسامي للدين » .

كانت رحلة المؤلف الأولى إلى الشرق (سنة ١٩٢٢) بدعوة من خاله الدكتور الذي كان مقبلاً في القدس ، فلبى الدعوة ، وكان أسد - كما قال - شاباً أوربياً (في الثانية والعشرين من عمره) ناشئاً على الاعتقاد بأن الإسلام وكل تعاليمه لم يكن ليقارن بالدينين اللذين يعتبرهما الغرب جديرين بالنظر

إليها نظرة جدية - المسيحية واليهودية - ؛ ولكنه لما درس الإسلام دراسة واسعة رآه أعم وأشمل منها ، أو هو مكمل لها ، إذ جمع بين مصالح الروح والجسد معاً .

وفي عام ١٩٢٦ م دخل في الإسلام ، وأخذ يشاطر العالم الإسلامي أهدافه وآماله . ودفع الأستاذ محمد أسد الغرب إلى الشرق ، واتصل بالعرب ، فأعجب بالكرم العربي ، والصفاء البدوي ، وقابل بين العرب واليهود في مدينة القدس ، ورأى أن الحق في جانب العرب (قال) : « وبرغم أنني من أصل يهودي فقد كنت أحمل من البدء مقاومة شديدة للصهيونية » وجرى له حوار شديد مع زعيمها الدكتور حاييم في القدس ، جعل بها أشد مراعهم خصم العرب من الوجهات القومية والتاريخية والوطنية هباءً منثوراً ، ونصر الله حق محمد أسد ، على باطل ذلك العدو الألد . وقد نشر الأستاذ مقالات في الصحف الألمانية عن انطباعاته في فلسطين ، وعيّن مراسلاً للصحف متجولاً في الشرق الأدنى . وقد وصف عدوان الغرب على الشرق ، وأن طابع الغربيين : « التمييز لعناصرهم ، والتمزيق لغيرهم » . عاش في مصر معيشة فقر وصبر ، وعاشر العرب فعرف المازايا التي امتازوا بها على الغرب في حياته . علمه السفر الصبر على المكروه : فقد معطفه وفيه المال وجواز السفر ، فأتى دمشق من حيفا مشياً على قدميه ، وأوى إلى العرب في خيامهم ، بنام في بيوتهم ، وبأكل من طعامهم ، ورأى من عنث الطريق ومناعبه ما لا يكاد يمتثل .

وصف دمشق البلد العربي ، والجامع الأموي ، وحسن معاملة التاجر الدمشقي ، ثم عكف المؤلف بدمشق على دراسة الإسلام من كتبه ، فبدأ له أنه مناج للسلوك الشخصي والاجتماعي ، ورجحه على كتب المهديين بأنه ليس فيه محاباة لشعب معين ، وبأن الروح والجسد فيه كانا بمثابة وجهي توأمين للحياة الإنسانية التي أبدعها الله .

قال المؤلف بصف رحلته : « مرنا زبد - رفيقه وصديقه - وأنا على هجينين اثنين ، ومرت الأيام ، وكانت الليالي قصارا ، ونحن نسير باتجاه الجنوب » .
كان تأثير بلاد العرب في نفسه أبلغ من تأثير تركية وأوربة ، وصف في كتابه الحركة الوهاية ، والعقيدة السلفية ، والطريقة المستقيمة السنوسية ، والنهضة الأزهرية ، وقابل بين الإسلام والنصرانية ، وبين أن الإسلام انتشر في الشرق والغرب بفضائله لا بمجده السيف .

لم يبق للمؤلف من هم إلا التعرف بإخوانه المسلمين فقد أحبهم عربا وعجماء ، ومن بعد أن عاش مع العرب سنين ، سافر إلى إيران وأفغانستان ، ثم رحل إلى روسية ، وقصد بعدها إلى فرانكفورت ، وكان اشتهر بمقالاته عن الشرق وأهله اشتهاراً عظيماً ، وأخذ من بعد يشرح حقائق الإسلام ، وأنه دين إنساني عام ، فدعا إليه ، ورغب فيه .

نصح المؤلف لإخوانه في الإسلام بأنهم إذا تبنا - وهم في غير حاجة إلى أن يفعلوا ذلك - أشكال الحياة الغربية ، والآداب والعادات والمفاهيم الاجتماعية الغربية ، فإنهم لن يفيدوا من ذلك شيئاً ، ذلك أن ما يستطيع الغرب أن يقدمه لهم في هذا المضمار ، لن يكون أفضل وأسمى مما قدمته لهم ثقافتهم نفسها ، وما يدلهم عليه دينهم نفسه .

حج خمس مرات ، وشغفت قلبه تلك الشغائر والمنازل ، ولسان حاله ينشد قول القائل : « لك يا منازل في القلوب منازل » وصف المسلمين سيف الحج والتج كأنك تراه ، وختم حديثه معبراً عن إيمانه وإذاعته بقوله : « من وسط هذه الوديان ، انبثق أعظم دين في تاريخ الإنسان » .

وفي طبعة الكتاب مقدمة حافلة لصديقتنا الدكتورة العلامة عبد الوهاب عزام ، أتى فيها على مجمل ما في الكتاب بأسلوب شائق مؤثر .

تفضل صديقنا المؤلف فأهدى إليّ كتابه هذا ، وكتب عليه عبارة الإهداء وأرسلها : إلى أقدم أصدقائي في العالم الإسلامي . . . محمد بهجة البيطار مع ودي الخالص وتقديري ؛ وإنما وصفتني بأنني أقدم أصدقائه ، لأنني صحبته في مكة المكرمة عام ١٩٢٢ م ، ثم لقيناه في دمشق ولبنان فلم تزدني معرفتي به إلا إعجاباً بإيمانه ، وبجبه الخالص للعروبة والإسلام .

محمد بهجة البيطار

تطور صناعة الزيت في الشرق الأوسط^(١)

« كتاب يقع في ٤٠ صفحة من القطع الكبير ، راجعه وحرره الأستاذ وديع للطين ، وطبعته دار المعارف في مصر سنة ١٩٥٠ »

هذا كتاب صغير في عدد صفحاته ، كبير في كثافة مادته ، نسيج وحده بالعربية في خرائطه الجيولوجية والطبغرافية الملونة .

لقد 'عرف' الأستاذ وديع فلسطين في دنيا الأدب والصحافة بقلبه الناصع ، وبيانه العربي المشرق ، فلا عجب أن يجول قلبه في هذا الكتاب جولةً بسّط فيها مواضيعه العلمية المختلفة بلغة سهلة وصحيحة .

وبلاد الشرق الأوسط التي ورد ذكرها في الكتاب هي إيران والعراق والمملكة العربية السعودية والبحرين والكويت وقطر . ومن المعروف أن حقول النفط فيها تقع كلها في الخليج العربي .

بدأ المؤلف حديثه بذكر ما ل النفط الشرق الأوسط من شأن في العالم ؛ ثم انتقل الى ذكر لمحة في التأريخ الحديث للبلاد الملمع اليها بلداً بلداً ، وفي

(١) الزيت في المجامع الأصلية عصير الزيتون لا عصير غيره من النبات ، فهذا يسمى الدهن فيقال مثلاً دهن اللوز ودهن الكتان ودهن البنفسج ودهن الورد وهكذا ، وقد درج المولدون على إطلاق كلمة الزيت تعميماً على ما يسمى بالإنكليزية Oil أي على النفط الخام وكذلك على زيت الزيتون وأدهان النباتات السائلة .

تأثير موارد النفط في أوضاعها العامة ؛ ثم تناول قصة النفط في كل بلد ، منذ تاريخ منح الشركات المختلفة امتيازات التنقيب عنه حتى أيامنا هذه التي تتدفق فيها تلك المقادير العظيمة من هذا السائل الحيوي المسمى بالذهب الأسود . والمعلومات المكثفة ، والإحصاءات الدقيقة ، والخرائط والجداول البيانية الملونة التي يراها المطالع في هذا الكتاب لا يجدها في كتاب عربي آخر . ومن المؤلف ألا تنسج مجلتنا لنقل كثير من المعلومات المفيدة التي اشتمل الكتاب عليها فنجتزئ بذكر الأمثلة الآتية دلالة عليها :

تنتج حقول النفط في الشرق الأوسط ربع ما يحتاج اليه العالم الغربي من النفط (أي عدا الكتلة السوفياتية) . وتستورد أوردية اليوم من الشرق الأوسط تسعين في المائة من جماع النفط الذي بأتيها من العالم . وبلغ دخل حكومات الشرق الأوسط وشعوبه من النفط وصناعته في سنة ١٩٥٥ قرابة ٩٠٠ مليون دولار . وقُدِّر مجموع ما استُنِبت من النفط في تلك البلاد في سنة ١٩٥٦ بنحو مليار و ٢٧٥ مليون و ١٢٠ ألف برميل ، وهو ما يعادل ٢٣ في المائة مما يُستنبت في العالم الغربي كله .

وجاء في الجداول البيانية الملونة مقدار ما نتج من النفط الخام في كل قطر من الأقطار المذكورة وفي كل سنة من السنين العشر الأخيرة . ويتضح من تلك الجداول أن معدل ما نتج في كل يوم من أيام سنة ١٩٥٦ هو :

اسم القطر	عدد براميل النفط الخام في اليوم
الكويت	١٥١٤٤٥٠٠٠
المملكة العربية السعودية	٩٨٦٥١٢٩
العراق	٦٣٣٥٠٠٠
إيران	٥٣٥٥٠٠٠
قطر	١٢٣٥٠٠٠
البحرين	٣٥٥٠٠٠

هذه بعض الأمثلة على ما في الكتاب من معلومات غزيرة . والكتاب لا يتعرض للناحية السياسية من هذا الموضوع الهام . ولو كان من خطة مجلتنا الخوض في الأمور السياسية لكان أماننا مجال واسع للكلام على هذه الثروة العظيمة من النفط التي نستطيع بها رفع جميع شعوب أمتنا العربية الى مستوى أرقى الشعوب اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً .

—oooo—

تقارير الأمم المتحدة

أهدى الينا مكتب الأمم المتحدة للأنباء في الشرق الأوسط ومقره القاهرة عدداً من كرايس مكتوبة بعربية حسنة ومشملة على ما يلي :

١ - تقرير مجلس الأمن الى الجمعية العامة عن المدة الواقعة بين ١٦ من تموز سنة ١٩٥٥ و ١٥ من تموز سنة ١٩٥٦ .

٢ - تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي عن المدة الواقعة بين ٦ من آب سنة ١٩٥٥ و ٩ من آب سنة ١٩٥٦ .

٣ - تقرير مجلس الوصاية عن المدة الواقعة بين ١٧ من تموز سنة ١٩٥٤ و ٢٢ من تموز سنة ١٩٥٥ .

٤ - التقرير السنوي الأمين العام عن أعمال المنظمة بين ١٦ من حزيران سنة ١٩٥٥ و ١٥ من حزيران سنة ١٩٥٦ .

٥ - القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها العاشرة بين ٢٠ من أيلول و ٢٠ من كانون الأول سنة ١٩٥٥ .

والمعلومات التي حوتها هذه الكرايس متنوعة ومفيدة لكل من يهمهم معرفة أعمال الأمم المتحدة في السنتين الماضيتين . وهيات أن يكون في مجلتنا متنوع لذكر شيء من هذه الأعمال الواسعة المشبعة ، ولكن هنالك أمراً استوقف نظرنا في تقرير مجلس الأمن ، وهو أن أكثر من نصف هذا التقرير الطويل

قد ملئت صفحاته بقضية فلسطين ، ولا سيما باعتمادات إسرائيل على قطاع غزة ، وعلى الأراضي السورية الواقعة في الشرق الشمالي من بحيرة طبرية .

وما كان أغنى الدول الاستعمارية ، وأغنى الولايات المتحدة الأميركية خاصة ، عن أن 'تشغل' أنفسها ، وتشغل البلاد العربية ، وتشغل دول الأمم المتحدة بأمرها ، بمصائب من أفاقي العالم وأعداء البشرية ، ألفت منهم دولة في فلسطين العربية ، وأخذت تحميمهم وتقدم بالمال والسلاح ، حتى تنكروا لقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بتقسيم فلسطين وبعودة اللاجئين إليها ، وراحوا يمينون في أموال عرب فلسطين سلباً ونهباً ، وفي ضعفائهم تقتيلاً وتشريداً ، وحتى بلغت بهم الجرأة مبلغ تحدي الدول العربية المجاورة لهم ، والاعتداء على أراضيها وعلى مخازنها بين الفينة والفينة .

أو ليست سياسة هذه الدول فيمكن الداء الناجم عن جميع أجرام اليهود في فلسطين ؟ فيالضياح الضمير العالمي في الأمم المتحدة أمام الاستعمار الذي لا ضمير له .

إدارة الناس فن

« كتاب ألفه جورج . د . هالسي ، وترجه أحمد زكي محمد ، وقدم له

فائد الجناح حسن إبراهيم وزير الدولة لشؤون الانتاج

في مصر ، وطبعته « دار المعارف » فيها فجاء

في ٢٧٥ صفحة من قطع الوسط »

لقد اتفق لي غير مرة ، وأنا أعني ، في الحقول أو في الخاير ، بأمور النبات والحيوان ، أن جاءني صحاب يقولون لي : ما أشق هذا العمل الذي ألزمت نفسك به ، فكنت أجيبهم باسمًا بأنني عانيت فيما عانيت سياسة الناس في الحكومة

مدة طويلة ، فألفت سياسة هذه الأحياء غير الناطقة أسهل بكثير من سياسة الحيوان الناطق المسمى إنساناً ، فنحن عندما نعالج أمراً من أمور النبات أو الحيوان بوصائل علمية معروفة ، ننتهي غالباً الى نتائج واحدة كثيراً ما تكون مرتقبة . أما الناس فإن لكل فرد من أفرادهم طبيعةً وعقليةً وقابليةً وأحوالاً شخصية خاصة ، فليس من السهل معالجة أمورهم المختلفة ، ولا سبباً في خضم القوانين والأنظمة السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية في عصرنا الحاضر .

وإدارة الناس أشكال على حسب مجتمعاتهم المتعددة . ومهما يكن الشكل فقد أصبح اليوم لعلاقات الناس بعضهم ببعض فلسفة ونظريات وقواعد تختلف عن أشباهها في الماضي . ففي السنين الخوالي كان طراز الحكم أو جمل الأفراد أو فائتهم كثيراً ما تضطروهم الى العمل قسراً . أما في هذا الزمن فقد أصبح لحربة الفرد مكان مرموق ، وأصبحت علاقات الرئيس والمرءوس تعاطفاً وتضامناً وتكافلاً في مصلحة العمل ومصلحة المجتمع ، ولذلك أصاب مؤلف هذا الكتاب في قوله إن إدارة الناس أمست فناً من الفنون .

تناول المؤلف في كتابه موضوع إدارة الموظفين والعمال في المؤسسات والشركات والمعامل والمتاجر ، فأوضح الأسس التي يجب أن تقوم عليها علاقة المدير أو المشرف بالموظف أو العامل لكي 'يكتب النجاح للعمل' ، وبين الصفات التي ينبغي لكل منهم أن يتحلى بها ، والسلوك الذي عليه أن يسلكه ، وذلك بعد أن حلل النفسية البشرية تحليلًا نظريًا وعمليًا .

وفي الكتاب تفصيلات مفيدة في دقائق الإدارة .



الإرشاد الزراعي

« كتاب في ٣١٠ صفحات من قطع الوسط ، ألفه لنكولن دافيد كيلسي ، وكان تشايلز هيرن ، وترجمه ملخصاً محمد الملم ، وراجعه مصطفى الفار ، ونشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ودار الثقافة ببيروت ومكتبة المثنى ببغداد ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر في القاهرة ونيويورك »

من المعروف أن الزراعة الحديثة أصبحت قائمة على أدق الأسس العلمية ، وأن العلوم الزراعية صارت تدرس نظرياً وعملياً في مدارس زراعية شتى منها المتوسطة ومنها الثانوية ومنها العالية ، دعى مدارس الاختصاص والمحابر والمحطات الزراعية على اختلاف أغراضها .

وجميع هذه الأشكال في التعليم والتثقيف الزراعي لا تسد حاجة جمهرة الزراع والفلاحين الى من يبين لهم في بيئتهم أنجع السبل التي ينبغي لهم سلوكها لكي يفيدوا أعظم فائدة من ممارسة مهنة الفلاحة .

وعلى هذا قامت مؤسسات الإرشاد الزراعي في كثير من البلاد . والكتاب الذي نتكلم عليه يتناول مواضيع الإرشاد الزراعي في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة ، فهو يبحث في ماهية الإرشاد الزراعي ، وتأثيره وأهدافه وفلسفته ، وعلاقته بالحكومة وبالأهلين ، وتنظيم برامجه وإعداد طبقات المرشدين والإخصائيين ، وطرائق الإرشاد بالخطب والمحاضرات والإذاعة والصحافة والسبعا والنشرات والاجتماعات والاتصالات الشخصية الخ .

وفي الكتاب معلومات واسعة في هذه المواضيع ، وهو مفيد في بابه .

مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨

وأثره في البلاد العربية

« محاضرات في ٦٦ صفحة ألفها الدكتور مصطفى صفوت سنة ١٩٥٧
على طلبية قسم الدراسات التاريخية في معهد الدراسات
العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية
في القاهرة »

يعرف كل مطلع على التأريخ السيامي الحديث أن الدول الأوربية الكبرى
كانت تسمي الدولة العثمانية « الرجل المريض » ، وأن ما كانت يُعرف باسم
« القضية الشرقية » إنما هو في الحقيقة فصل نصاري الدولة العثمانية عنها في
أوربة ، أي في البلقان ، واستيلاء الدول الأوربية المذكورة على الأجزاء
العربية والتركية من تلك الدولة في آسية وفي افريقية .

ولولا اختلاف الدول الكبرى على التناثم لما امتدت تصفية القضية الشرقية
من سنة ١٨٢٩ ، وهي السنة التي استقلت فيها اليونان ، حتى سنة ١٩١٨ ،
وهي السنة التي انتهت فيها الحرب العالمية الأولى ، وانفصلت فيها البلاد العربية
الآسيوية عن الدولة العثمانية .

والمحاضرات التي نتكلم عليها تناولت هذا الموضوع من جميع نواحيه في
المدة التي اقتضت قبل مؤتمر برلين ، وأدت الى عقد هذا المؤتمر سنة ١٨٧٨ م .
وقد نتج من معاهدة برلين تثبيت استقلال رومانية والصرب والجبل الأسود
« بوغوسلافية » ، وانفصال بلغارية ، واحتلال بوسنة وهرسك ، وغير ذلك
من الأمور التي أضعفت الدولة العثمانية ، ومهدت سبيل الدول الكبرى ، فثبتت
أقدامها بعد ذلك في تونس ومصر والكويت والمغرب وليبية وغيرها من
البلاد العربية .

والمحاضرات مفيدة ، وقد ألحق بها وثائق ومراسلات سياسية بالإنكليزية
والفرنسية والألمانية .

النقل في البلاد العربية

« محاضرات في ١٦٥ صفحة من قطع الوسط ألقاها الدكتور محمد محمود الصياد على طلاب معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية »

وهي محاضرات تكلم فيها المحاضر الفاضل على العوامل الطبيعية وأثرها في موضوع النقل في البلاد العربية ، ثم تناول من الأقطار العربية مصر والسودان والشام (سورية ولبنان والأردن وفلسطين) والعراق وجزيرة العرب ، فذكر وسائل النقل في كل منها أي النقل في الأنهار وفي سكك الحديد والسيارات والطائرات والبحار .

وفي الكتاب ١٤ خريطة ، وإحصاءات كثيرة ، ومعلومات غزيرة ومفيدة . وقد استوقف نظرنا في الخرائط أسماء بلدان ترجمت غلطاً منها على وجه التمثيل لا الحصر .

ملاحظات	الاسم الصحيح	الاسم المذكور في الخريطة
والعامة تقول جسر الشغور	جسر الشغور	جسر الشاغور
في الجزيرة	دميرقبو	دمر كابو
قرية جنوبي حلب	سفيرة	صفير
والعامة في العراق تقول عنة	عانة	عنة
في الأردن	مادبا أو مادبا	مادابا
في فلسطين	خُضَيْرَة	حديرة
في الجزائر	قُسْطَنْطِينِيَة	قُسْطَنْطِينِيَة
في فلسطين	الرامة	راما
ص ١١٠	حسكة	حسكة
ص ١١٠	عين ديوار	عين دفار
		الخ .

أصول ألفاظ اللهجة العراقية

« كتاب في صفحتين ومائة صفحة من القطع الكبير ألفه العلامة الشيخ محمد رضا الشيباني ونشره أولاً في مجلة الجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٦ ، ثم طبعت مطبعة الجمع منه نسخاً منفردة عن مجلته »

والكتاب قسمان قسم في عشرين صفحة يبحث فيه الأستاذ الشيباني في أصول اللهجة العراقية ، ورد معظمها الى عصر المغول في القرن السابع والقرن الثامن للهجرة ، مستشهداً بما عثر عليه أو طالعه من كتب ألفت في تلك الأيام ، (ولا سيما كتاب الحوادث الجامعة) ، واستدل بمدارستها على أن لهجة العراق الحضرية في أيامنا هذه لم تتغير كثيراً عما كانت عليه في تلك الأيام . وفي هذا القسم نظرات لغوية صائبة في الاشتقاق والتعريب .

أما القسم الثاني ، أي معظم الكتاب ، فهو يشتمل على ٨٦ كلمة /أعجمية أو عربية مولدة ردها المؤلف الفاضل الى أصولها ، وذكر استعمالها في الكتب القديمة الملمع اليها ، وأوضح أوجه الصحة في استعمال بعضها الى غير ذلك من المعلومات الدالة على جهد المؤلف الكبير في تتبع هذا البحث الدقيق .

ومن الواضح أن الكلمات العامية العراقية ، على مختلف أشكالها ، كثيرة جداً ؛ والأستاذ العلامة لم يتناول — بحسب المانع هذا سوى جزء صغير منها ؛ وكل حب للغة الضاد يقتضى أن يداوم الأستاذ على عمله المفيد ، حتى يصير عندنا للألفاظ العامية العراقية كتاب كبير شبيه بكتاب العلامة الفقيه الشيخ أحمد رضا في الألفاظ الشامية وهو « رد العامي الى الفصيح » الذي نشرته « دار العرفان » في صيدا مشتملاً على ما لا يقل عن ألف وخمسمائة لفظة .



التربية السياسية

« أربع محاضرات أُلقيت في المؤتمر السابع لهيئة
الدراسات العربية في الجامعة الأميركية ببيروت سنة ١٩٥٧ »

والمحاضرة الأولى في « المواطن الصالح » للدكتور فؤاد عمون ، والثانية في
« مهمة الدولة في خلق المواطن الصالح » للدكتور أدبب نصور ، والثالثة في
« مهمة النخبة في خلق المواطن الصالح » للدكتور ادمون رباط ، والرابعة في
« الصحافة ووسائل النشر » للأستاذ محيي الدين النصولي .

تدل عناوين هذه المحاضرات الثمينة على مواضيعها ؛ ومن الطبيعي القول
بأنها تتناول المواطن الصالح في بلادنا العربية خاصة ، وكذلك مهمة الدولة
والنخبة والصحافة ووسائل النشر في خلق المواطن العربي الصالح .

ومواضيع المحاضرات دقيقة ؛ وللآراء السياسية فيها ميادين وملاعب لو أردنا
أن نجول فيها لاحتجنا الى تسطير صفحات عدة . ومن المؤسف ألا يكون
من مبدأ مجلتنا هذه الخوض فيها . لذلك نكتفي بقولنا ان المحاضرين الأفاضل
قد أوضحوا مواضيعهم إيضاحاً يدل على علم وتجربة . وجلاء قضية من القضايا
خطوة واسعة في سبيل حلها .

الغرب العربي

في طريق التطور والاتحاد الاقتصادي

« كتاب ألفه يونس صالح الحريثي وطبعته « دار الأندلس » للطباعة والنشر
في بيروت فبعاء في ١٧٨ صفحة من القطع الصغير »

عرّف المؤلف الفاضل الغرب العربي بقوله انه يشمل ليبيا وتونس والمغرب الأوسط
« أي الجزائر » والمغرب الأقصى « أي المملكة المغربية » فبحث في أوضاعها الجغرافية
والاقتصادية والزراعية ، وعلاقاتها بفرنسة وإسبانية وإيطالية ، وخلص الى البحث
في تطوراتها المختلفة ، وإلى ذكر الوسائل المؤدية الى وحدتها الاقتصادية .

وفي الكتاب معلومات وإحصاءات كثيرة ومفيدة .

الشهابي

م (١٠)



تاريخ الأمة العربية - عصر الانبثاق

الجزء الأول

تأليف الدكتور محمد أسعد طلس

طبع في بيروت سنة ١٩٥٧ في (١٩٢) صفحة من قطع الوسط

يشتمل هذا الجزء على تاريخ العرب قبل الإسلام ؛ عرّفه المؤلف بعصر الانبثاق ، وجمع به ما حاصر به طلابه في كلية الملكة عالية ببغداد وكلية الآداب فيها . وقد استهل بحثه بجغرافية دنيا العرب وتقسيماتها الطبيعية والسياسية ، قديمها وحديثها ، وعدد بحارها وبحيراتها ، ووصف كبريات مدنها ؛ ثم انتقل الى تاريخ العرب قبل الإسلام ، واختتم هذا الجزء بالقسم الأول من عصر الانطلاق حسب اصطلاح المؤلف ، أي أيام الرسول وخلفائه الراشدين . وقد جمع المؤلف في هذا التاريخ ما هو مبثّر في مظان عديدة فوفر بجهد على الطالب والباحث عناء التنقيب في المراجع الكثيرة ، وهو عمل مفيد يستحق التقدير . ولا يخلو الكتاب على فائدته من هفوات ومن أخطاء مطبعية يستغلق فيها المعنى على القاري ، فمن المفيد التنبيه اليها وتصحيحها في كتاب مقدر له أن يكون مرجعاً للطلاب وغيرهم ، ومن أهمها التصحيحات الآتية :

ص ٧ - قد أخرج بالشكل الذي حدد فيه دنيا العرب اليمن والمغرب العربي من هذه الدنيا .

ص ١١ - ان دنيا العرب بلاد شاسعة ممتدة على مساحة (٥٠٠٠) كم مربع من الغرب الى الشرق وصوابه أن يقال : تمتد على طول (٥٠٠٠) كم الخ .

ص ١٣ - غابات الغصص صوابها غابات أو أدغال الغضا .

ص ١٥ - بحيرة انطاكية وبحيرة افامية ، فقد اشتهرنا بمستنقع العمق ومستنقع الغاب .

- ص ١٦ - ارخروم صوابها ارخروم .
- ص ١٦ - الدجلة صوابها دجلة .
- ص ١٨ و ١٩ - أخطاء في مجموع مساحة البلاد العربية وسكانها .
- ص ٣٣ - الجاد لعلمها الحماة وهي عامية يراد بها البادية .
- ص ٣٣ - حبذا لو اقتصر في تحديد الدول العربية على ذكر الدول والبحار المجاورة لها فهي أوضح وأعلق بالذهن من ذكر جبال ووديان وأنهر وبوادر غير مشهورة .
- ص ٣٣ - مساحة المملكة الأردنية مبالغ فيه .
- ص ٣٤ - بحيرة العقبة صوابها العتبية .
- ص ٣٥ - مدينة سكنة صوابها مسكنة .
- ص ٣٥ - الخابور يصب في دجلة صوابه يصب في الفرات .
- ص ٣٥ - تل حسونة صوابه تل حسونة .
- ص ٣٥ - العلافية صوابها العيلامية .
- ص ٣٥ - الحجاز لا يتاخم مصر .
- ص ٥٠ - خطط العرق صوابها العرض .
- ص ٥٠ - البحر الأحمر وارتيرية . هما اسمان لمسمى واحد .
- ص ٥٥ - تصحيح حدود الجزائر الغربية والاقتصار على مراكش فقط .
- ص ٥٨ - بقرت صوابها تاهرت .
- ص ٥٩ - بونة صوابها بونة أو عنابة .
- ص ٨٤ - غرود صوابها غرود .
- ص ١٠٨ - الرابت صوابه ألبرت Albright .
- ص ١٢١ - وادي يُطحان صوابه بُطحان .
- ص ١٢٦ - الحجارة صوابها الجمار .

- ص ١٣٣ - وجنان كالجواب صوابها وجفان كالجواب .
 ص ١٤٢ - غولد زبير صوابه غولد زبير .
 ص ١٤٩ - قوجيه صوابه فوجيه أو فوغيه Vogué .
 ص ١٤٩ - روسو صوابه دوسو .
 ص ١٤٩ - السيئي صوابها السبيئي .
 ص ١٥١ - ولبل واهر صوابه راهن .
 ص ١٥٦ - عصر النبي صوابه النبي .
 ص ١٥٩ - ذكر ان ولادة عبد المطلب بن هاشم أو وفاته كانت في سنة ١٢٧ قبل م . وهذا خطأ ظاهر ، والتواريخ الميلادية في الصفحات التي تلي هذه الصفحة مشوشة تحتاج الى إعادة النظر فيها .
 ص ١٧٢ - ولا غزو صوابها ولا غزو .
 وكان كل قوم بلجمتهم لعل صوابها وكان يخاطب أو يكلم كل قوم الخ .
 نشكر للدكتور جهده ونتمنى له التوفيق في إنجاز بقية أجزاء هذا التاريخ الذي نأمل أن يكون له شأن بين المراجع التاريخية ، وعسى أن تزداد عناية المؤلف بطبع تلك الأجزاء وبتحقيق موادها .

ماذا حدث في التاريخ

تأليف جوردن تشابلد وتعريب الدكتور جورج حداد
 طبع في القاهرة عام ١٩٥٦ في (٢٩٢) صفحة بقطع الوسط
 نقل الدكتور حداد هذا الكتاب الى اللغة العربية ضمن مشروع ثقافي اضطلعت به الجامعة الأمريكية في بيروت بالتعاون مع مؤسسة روكفلر ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

إن مؤلف هذا الكتاب هو علم من أعلام التاريخ القديم وأستاذ كبير في علم آثار الإنسان ونشاطه في العصور الخالية ، اشتهرت سمعته منذ أن كشف قرية سكارا ابراي من قرى العصر الحجري في اوركني البريطانية ، وطاف هذا العالم بأكثر البلاد الشرقية والغربية ، منقباً عن نشاط الإنسان الأول في كهوفه ومنازله ومدافنه ، مستنطقاً جمادات معالمه بنجوة عن نزعات المؤرخين وتضليل الرواة والمدونين التي كثيراً ما أبعدت المؤرخين عن الحقيقة وأضلّتهم السبيل . وقد ساهم المؤلف بقسط وافر بإنشاء تاريخ الإنسان في عصر ما قبل التاريخ ، وهي حقبة طويلة دامت نحو (٢٥٠٠٠٠) سنة ، انتقل خلالها الإنسان من الكهوف الى القصور متدرجاً في تطوره المادي والفكري ، موطئاً دعائم حضارة المجتمع البشري . كتب جوردن تشابلد في مؤلفاته لاسيما في هذا الكتاب قصة الإنسان الأول في مراحل تطوره من هجيرة العصر الحجري القديم الى طور استقراره واستثماره خيرات الطبيعة في العصر الحجري الحديث . وهذا الكتاب هو استئناف أبحاث سابقة كان المؤلف عرضها في مؤلفات سابقة عن تقدم الإنسان عبر مئات الألوف من السنين التي سبقت تاريخ التدوين ، ويجيبنا في فصوله على السؤال الذي طرحه على نفسه في عنوان كتابه « ماذا حدث في التاريخ » الجواب المقنع ، مدعوماً بنظريات علمية حديثة أخذ بها علماء آثار ذاك العصر وأحدثت ثورة في معتقدات الناس فيما يتصل بأصل البشر وسلالاته ، ومهدت السبيل أمام مزاعم داروين ومن يقول بقوله عن نشوء الإنسان وارتقائه .

وقد أحسن المؤلف بكتابته للعالم وكذلك أحسن الدكتور حداد الى الثقافة العربية بترجمة هذا الكتاب الجليل وأضاف الى المكتبة العربية كسباً جديداً ويجئنا حديثاً نفنقر اليه ، وقد يرهن الدكتور حداد عن كفاءته وأمانته ، كما هي عادته في جميع ما ألف وعرب ففاض بالعجاب مواظبه وتقديرهم ، فنكسر للدكتور الشكر على جهده وحسن اختياره ونهشته على توفيقه .

معجم أمثال الموصل العامية

إن «معجم أمثال الموصل العامية» مؤلف في جزءين ، وضعه الأستاذ عبد الخالق خليل الدباغ الهذلي ، وقدم له الدكتور داود الجلي ، ونظر فيه وعلق عليه الأستاذ محمود الملاح .

لقد جمع المؤلف بين دفتي هذا الكتاب عدداً كبيراً من الأمثال العامية ، ورتبها حسب حروف المعجم ، وفسرها بأسلوب سلس متين . وهذا لمعري عمل شاق يتطلب جهوداً كبيرة بقدرها حتى قدرها من عانى مشكلة جمع الأمثال العامية ، كما أن صعوبة التفسير ليست بأسهل من صعوبة الجمع ، وذلك لأن تفسير الكلمات العامية لا يتطلب الرجوع الى المعاجم اللغوية فقط بل يتطلب أيضاً التحري عن أصل الكلمات المحرفة عن بعض اللغات الأجنبية ، وهذا يحتاج الى صبر وطول أناة بالإضافة الى المقدرة العلمية . وقد بدا لنا من خلال مطالعة هذا الكتاب أن العامية الموصلية مشحونة بكثير من الكلمات التي هي من أصل آرامي أو سرياني أو تركي أو يوناني . وهذا ناشئ عن تأثير هذه الثقافات بالثقافة العربية ، كما انه يرجع بجزء منه الى تدني الثقافة العربية وطفوان المعجمة على أبناء البلاد العربية ؛ ولذلك كثيراً ما نلاحظ الناس لا يستسيغون الأمثال الفصحى استساغتهم للعامية بسبب صعوبة الأولى وسهولة الثانية .

وهذا التأثير المشاهد في اللغة العامية الموصلية يشاهد أيضاً في العامية السورية ، أو بالأصح في العامية العربية بجميع لهجاتها ولكن بتفاوت بسيط .

وبلاحظ تشابه الأمثال الموصلية مع الأمثال السورية بالمعنى والمبنى ، فالإمالة الموجودة في اللغة الموصلية موجودة أيضاً لدينا فنقول ، كما يقولون ، (رقي) أي رقة كما نقول (خشبي وقصي) بدلاً من خشبة وقصة وكذلك الأمر في الإمالة المفروضة الموجودة عندهم فهي ظاهرة لدينا أيضاً ، ونضرب على ذلك مثلاً الألفاظ الآتية (فهد) و (وهقف) بدلاً من قاعد وواقف فهي

كثيرة الاستعمال بل شائعه في منطقة حماة ، كما ان لفظة (الرجيل) بدلاً من الرجال كثيرة الاستعمال بل دائمة في منطقة حلب . وكذلك دخول (ال) ، التي هي بمعنى الذي أو التي ، على الفعل ليس بغريب على لغتنا العامية كما هو الحال في لغة الموصل ، فنحن نقول مثلاً (البنام هالنومات بشوف هالشوفات) إلا أننا نلفظ الـ (أل) بشكل فيه إمالة حيث تبدو وكأنها (اللي) . وكذلك الأمر فيما يتعلق بصيغة (فاعول) السريانية فإنها سائدة في لغتنا أيضاً كحاصود وداقور ، والمثل الآتي (ان رحنا عالقبور يلحقنا ألف داقور) خير شاهد على ذلك . ويستعمل الموصليون أبويا وأخويا في حين أننا نستعمل ذات اللفظ ولكن بتحرّيف بسيط إذ نقول (أبوي وأخوي) لا سيما في منطقتي حمص وحماة . وكما أن لدى الموصلين نوعاً من التصغير فإننا أيضاً نستعمل هذا النوع على سبيل التجبب إلا أن لنا فيه قياسات خاصة فعند نصغير عبد الرحمن نقول (رحمو) وهم يقولون (رحو) ومصطفى (صطوف) وهم يقولون (صفو) . والاببدال الموجود في عامية الموصل موجود بذاته في عاميتنا فمثلاً (حكيت وشميت) من حككت وشممت ؛ وغيرهما كثير ، من الكلمات الكثيرة الاستعمال عندنا . وما قيل في الابدال يقال أيضاً في (القلب والاتباع) .

إلا ان (لغة الراء) عندهم غير معروفة عندنا ، وقد حرص المؤلف على تنبيهنا مما جعل قراءة مؤلفه صعبة علينا ، إذ أننا لم نألف هذه اللقمة ، وله مبرراته في ذلك إذ أنه أورد الأمثال العامية بإملائها لا بإملاء الفصحى وهو بعمله هذا قد أثبت للتاريخ هذه اللهجة التي اعتقد أنها صائفة الى الزوال عندما تعم الثقافة العربية وتراجع العامية بتقديم الفصحى فيكون بذلك قد قدم للتاريخ خدمات مشكورة .

ويزبد في صعوبة قراءة هذا المؤلف وفهمه كون العامية الموصلية تحوي بعض الأحرف غير الموجودة في العامية السورية مثل الكاف الفارسية المقلوقة عن

القاف ، والكاف المقلوبة الى جيم فارسية . وهذا الامر لا يمكن تذليله ما لم يكن القارئ السوري قد ألمّ بهذه الأحرف وسبق لأذنه أن سمعها ، ولكن الاتصال المتزايد بين القطرين الشقيقين قد أخذ بتذليل هذه الصعوبة إذ لم تعد اللهجة الموصلية غريبة على أبناء سورية .

لقد أحسن المؤلف باقتطاف ما اقتطف من مقدمة رسالة الدكتور الجلبي في (الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية) لأنها ذات فائدة كبيرة لمنافع الأمثال العامية وخاصة إذا كان ينبغي من وراء ذلك استشفاف الوضع الاجتماعي ومعرفة عادات القوم ونظرهم الى الكون والحياة ومدى تأثيرهم بالأمم الأخرى وتأثيرهم فيها . وقد دلتنا هذه المقتطفات على أن العامية السورية قد جارت الموصلية في اقتباسها من الآرامية سواء كان ذلك في الآثار الصرفية أو النحوية أو الآثار اللفظية أو اللفظية . هذا فيما يتعلق بمشابهة مبنى الأمثال العامية لمبنى أمثالنا ، أما فيما يتعلق بتشابه المعنى فالأمثال المتشابهة كثيرة وكثيرة جداً ويحتاج مردها الى مؤلف ضخم ليس الآن وقته .

إن ما ذكرناه من تشابه العامية الموصلية والعامية السورية لا يعني أن كلاهما صورة طبق الأصل عن الأخرى ، لأن التشابه لا يعني التماثل ، بل نقول إن لكل منهما تعابيرها وإمالتها كما إن كلاهما لهجة خاصة من اللهجات العربية ، وهذا أمر طبيعي فلكل قطر بل لكل بلد لهجته الخاصة به المتأثرة بوضعه الطبيعي والاجتماعي ومدى تأثيره بالأقوام المجاورة . وبما أن هذه البلاد قد خضعت لتيارات مختلفة من الغزوات والفتوح فقد تأثر كل قطر - بنسب متفاوتة - بعادات الأمم الأخرى ولغاتها ، فتعددت اللهجات العامية واختص كل قطر بلمجته الخاصة ، ومن المعلوم أن اللغة العربية الفصحى نفسها كانت ذات لهجات مختلفة . وأخيراً يجدر أن نثبت هنا تقديرنا للجهود التي بذلها المؤلف في سبيل إخراج هذا الكتاب راجين له دوام التوفيق .

محمد ظهير صحران

آراء وأبناء

قرار وزاري في الصلة بين

مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي العربي

رقم ٥٤٠ بتاريخ ١١ بونبة (حزيران) سنة ١٩٥٨

وزير التربية والتعليم

بعد الاطلاع على المباحثات التي جرت بشأن تنسيق العمل بين مجمع اللغة

العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العربي بدمشق ،

وعلى التشريعات والمراسيم التي تحدد نهج كل من المجمعين وعملهما للمحافظة

على سلامة اللغة العربية ونشر تراثها وتيسير الانتفاع بها ،

قرر

المادة الأولى :

يبقى مجمع اللغة العربية بالاقلية المصري والمجمع العلمي العربي بالاقلية السوري

في مثل وضعها الحاضر ، وبمعلان للغرض المشترك في الاقليمين ، على أن

يلتقيا مرة أو مرتين كل سنة في الاقليم المصري أو في الاقليم السوري على

هيئة مؤتمر تصدر عنه قرارات المجمع .

المادة الثانية :

يكون لهذا المؤتمر - الذي ينوب عن المجمع الموحد - مكتب دائم يتولى

تنسيق العمل المشترك بين المجمعين .

المادة الثالثة :

تعتبر هذه المبادئ خطوطاً رئيسية لتفصيلات فرعية تتألف لجنة مشتركة من المجمعين لوضعها واقتراح التشريعات اللازمة لها .

المادة الرابعة :

تتألف اللجنة المشار إليها في المادة السابقة من السادة :

الأستاذ أحمد لطفي السيد رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة أو من ينوب عنه
 الدكتور منصور فهمي كاتب مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الأستاذ محمد شفيق غربال {
 الأستاذ زكي المهندس { عضوي مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الأستاذ خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق أو من ينوب عنه
 الأستاذ الأمير جعفر الحسني كاتب مجمع المجمع العلمي العربي بدمشق

الدكتور جميل صليبا عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
 الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي عضو المجمعين

الأستاذ محمد سعيد العريان مدير الشؤون العامة بوزارة التربية والتعليم

المادة الخامسة :

على وكيل الوزارة تنفيذ هذا القرار .

وزير التربية والتعليم

كمال الدين حسين



الأستاذ رينه دوسو

(١٩٥٨ - ١٨٦٨)

الأستاذ رينه دوسو

René Dussaud

١٨٦٨ — ١٩٥٨

عضو مراسل للجمعية العلمي العربي وعضو المجمع العلمي الفرنسي وأمين السر العام الدائم
الفخري لعدد النقوش والفنون الجميلة ، وأمين متاحف فرنسا الفخري
وحامل وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى

نعت الينا أبناء فرنسا وفاته الزميل المرحوم الأستاذ رينه دوسو . وقد فقد
بؤته الآثاريون علماً من أعلامهم وركناً من عظام أساطينهم ، كان الفقيه
في طليعة العاملين في علم آثار بلاد الشرق الأدنى وبحر إيجه متبحراً بمقائدهم
الدينية ولغائهم القديمة .

كان المرحوم من أصدقاء سورية المخلصين ، شغف منذ نشأته بتاريخها القديم ،
واقطع الى دراسته وسبر غوره ، ووقف جل نشاطه العلمي على خدمة تاريخها
وإعلاء شأن حضارتها . وكان من المؤمنين بعظمة هذا الشرق مهد الحكمة
ومهبط الوحي ، ونشر للملأ كل ما من شأنه أن يعزز مكانة بلاد الشام
التاريخية ومشاركتها في الإشعاع الفكري وتطور الحضارة البشرية .

تخرج على يديه جيل من الآثاريين الذين يفاخرون بتفقههم عليه ، واقتفوا
أثره بحبهم لهذا الشرق وشاركوه بحياته عقيدته وسيواصلون بعد موته رسالته .
رحل مراراً الى بلاد الشام وجاب معبورها وبواديها ، يبحث عن آثارها
وينقب في أطلالها لاستجلاء ما خفي من ماضيها ، وواصل خلال نصف قرن
البحث والتدريس وأحل تاريخ البلاد الشامسة القديم مقام الصدارة بين العلوم
التاريخية ، وجعل لآثارها المنزلة الأولى بين أترابها . وأبدت الاكتشافات
الأثرية الحديثة حقيقة ما كان يؤمن به وما بدعوا اليه ، وغدت سورية بفضل
أبحاثه محط أنظار علماء الآثار في العالم وموضع اهتمامهم .

قدم في سنتي ١٨٩٥ و ١٨٩٦ الى سورية وزار حوران واللبا وجبل الدروز والصفاء ، معرضاً حياته لأخطار تلك الأيام مستهيناً في سبيل غايته العلمية فسوة الطبيعة وعناء السفر ، وعاد الى بلاده من الرحلتين مزوداً بياكورة أبحاثه التاريخية ، فأودع حصيلتها في جزءين مازالا الى يومنا هذا مرجعاً لكل باحث ، ومن أهم ما عثر عليه في إحدى رحلاته الى الصفاء قبر امرئ القيس بن عمرو بن عدي اللخمي ملك العرب المتوفى سنة ٣٢٨ م ، ونقل شاهدة هذا القبر الى متحف اللوفر في باريس .

وتوالى بعد ذلك أبحاثه الاثرية والتاريخية ولعت مواهبه العلمية ، وأصبح حجة في اختصاصه ، وحكماً في ما يختلف فيه من الآراء العلمية ، وكان موجه البعثات الافرنسية وغيرها ومرشدها الى أهم المواقع الاثرية مثل : قطناء (المشرفة) وقديس (تل النبي مند) وأغارب (رأس شمرة) وماري (تل الحريري) وغيرها ، عثر فيها المنقبون على وثائق هامة وأدركوا حقائق تاريخية مجهولة دلت على مكانة حضارة بلاد الشام في جميع أدوارها التاريخية .

وقدر له المجمع العلمي العربي اهتمامه بتاريخ بلاد الشام وآثارها فانتخبه في عام ١٩٢٠ عضواً مراسلاً مع قافلة المستشرقين الأولى ، ومنحته فيما بعد الدولة السورية وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى .

يتعذر علينا حصر أبحاث المترجم له وتعداد مؤلفاته . فقد أحصى له في عام ١٩٣٩ بعض تلاميذه وأصدقائه احتفالاً ببلوغه السبعين من عمره نحواً من (٢٦٠) مقالاً وكتاباً بلغات مختلفة و (٧٧) بحثاً في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى ^(١) تناول فيها دراسات متنوعة عن شرقنا ، وقد تضاعف هذا العدد في السنوات العشرين الأخيرة من عمره .

(١) Melanges Syriens offerts à Mr. R. Dussaud par ses amis et ses élèves.—Paris 1939.

اشتهر المرحوم الى جانب علمه الواسع بوفرة إنتاجه العلمي في شبابه وشيخوخته ،
ومن أجل مؤلفاته :

Voyage archéologique au Safa et dans le Djebel ed - Druz.
(رحلة أثرية في الصفا وجبل الدروز) .

Rapport sur une mission dans le desert de Syrie.
(تقرير عن مهمة أثرية في بادية سورية) .

Les civilisations préhelléniques dans le Bassin de la mer Egée.
(حضارة حوض بحر إيجه قبل اليونان) .

Topographie historique de la Syrie antique et médiévale.
(خطط سورية التاريخية في العصور القديمة والقرون الوسطى) .

Histoire et Religion des Nosairsi. (تاريخ النصيرية وعقيدتهم)
Notes de Mythologie Syrienne.

(تعليقات على الأساطير الدينية السورية) .

Le Arabes en Syrie avant l'Islam.

(العرب في سورية قبل الإسلام) .

وهذا الكتاب آخر ما ألف وهو من أجل آثاره .

وستخلد هذه الكتب وغيرها من مؤلفاته وأبحاثه ذكر الفقيد رحمه الله رحمة واسعة .

« قياسيّة فعَل للمرض »^(١)

كثيراً ما تحدثتُ عن القرارات العلمية المفيدة التي اتخذها هذا المجمع الموقر في قياسيّة بعض الأوزان العربيّة تسهيلاً لعمل واضعي المصطلحات العلميّة بلقنتنا الضاربة . فقد ذكرتُ أهم تلك القرارات في كتاب « المصطلحات العلميّة في اللغة العربيّة » ، وأجلتها أخيراً في بحث ألقينته على أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ونشرته في مجلته ، ويسرني أن أقدم الى الزملاء الافاضل استخاً منه .

فن جملة القرارات المذكورة قرار « فعَل » للمرض هذا نصه :

« يقاس من فعَل اللازم المفتوح العين مصدر على وزن فعَل للدلالة على المرض » . وهذا الوزن للمرض معروف ومشهور . وقد ذكر الشيخ أحمد الاوسكندري رحمه الله في الاحتجاج لبعض قرارات المجمع العلميّة : أن صيغة فعَل للمرض قياسيّة عند سيبويه والاخفش وابن مالك ومتابعيهم ككل أبواب الأفعال الثلاثيّة الكثيرة الورد عندم .

ومن المعروف أيضاً أن هناك أسماء للأمراض اتخذت من مصادر غير مطردة كالبرسام والرثبة والحصى وذات الجنب وغيرها .

ولعل من أكثر الألفاظ الدالة على أمراض أو آلام أو عيوب مشبهة بالأمراض تلك التي جاءت على وزن فعَل مصدراً لفعَل المكسور العين كالبرص من برص والمرص من مرض والوجع من وجع فقد قال الاسكندري في موضوع هذا الوزن ما يلي : (ج ١ ص ٢١٠) : « إكتفى المجمع في الدورة الفارطة (أي الدورة الاولى) بتقرير قياس فعَل ، وربما قرر قياسيّة فعَل أيضاً في دورة أخرى ، لأن هذا الوزن قياسي أيضاً عند بعض النحويين واللغويين » .

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشهابي ، نائب رئيس المجمع العلمي العربي ، وأحد أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في الدورة الرابعة والعشرين (١٩٥٧ - ١٩٥٨ م) لمؤتمر مجمع القاهرة .

وقد راجعت القرارات العلمية في أجزاء المجلة التي صدرت حتى يومنا هذا فلم أجد فيها قراراً في هذا الموضوع . ولا يستطيع غير أقدم القدماء من أعضاء المجمع معرفة الأسباب التي دعت الى إهماله .

ومن المعلوم أن المجمع قد سار في فتح أبواب القياس على خطة حكيمة وهي قبول قياسية الأوزان التي لم يبت علماء النحو واللغة رأياً في قياسيتها ، ولكنهم استعملوا ألفاظاً تدل على ترجيح القياسية كالأصل والغالب والكثير والأكثر وغير ذلك من الألفاظ الدالة على الاطراد أو على شبه الاطراد .

فقرار المجمع في هذا الموضوع هو « ج ٤ ص ١ » :

« يرى المجمع أن الكلمات التي يستعملها قدامى النحويين والصرفيين وهي : القياس والأصل والمطرود والغالب والأكثر والكثير والباب والقاعدة ألفاظ متساوية في الدلالة على ما بقاس ، وأن استعمال كلمة منها في كتبهم يسوّغ للمحدثين من المؤلفين وغيرهم قياس ما لم يُسمع على ما تُسمع ، وأن المقيس على كلام العرب هو من كلام العرب » .

فهذا القرار الحكيم أو لنقل هذا المنهج السديد هو الذي جعل المجمع يميز الاشتقاق من أسماء الأعيان لضرورة علمية ، ويميز صنع المصدر الصناعي ، والنسب الى لفظ الجمع عند الحاجة ، وغير ذلك من الأمور التي لم يتفق القدماء على اطرادها .

فأئمة اللغة مثلاً منعوا الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وحصروه في المصادر والأفعال ، ولكن المجمع اعتبر الكثرة النسبية كافية لجعل الاشتقاق من الأعيان قياسياً في لغة العلم فقط ، لضرورة معرفتها كل عالم بالعلوم الحديثة . وكذلك لا أعتقد أن القدماء من النحاة واللغويين جعلوا صنع المصدر الصناعي قياسياً ، فقد جاء في المخصص أن العرب تقول : فَعَلَ كذا على جهة العدل ، وعلى جهة الجور ، وعلى جهة الخير ، ولا يقولون على العدلية ولا على الجوربة

ولا على الخبرة . ومع هذا فقد أقر المجمع إيجاد المصادر الصناعية توسعاً في القياس ، لكثرة ما ورد من هذه المصادر في كلام القدماء ، ولا سيما في كلام العلماء ، منذ أواخر المائة الثانية للهجرة الى زماننا هذا .

وكذلك أيضاً موضوع النسب الى جمع التكسير ، فقد أهمل المجمع مذهب البصريين القاضي بأن 'يرد لفظ الجمع الى واحد' ، وبأن 'ينسب الى هذا الواحد' ، وأجاز - أي المجمع - النسب الى لفظ الجمع عند الحاجة كإرادة التمييز أو نحو ذلك ، ذاهباً في هذا القرار مذهب الكوفيين الذين أجازوا النسبة الى الجمع على لفظه مطلقاً .

لقد ذكرت هذه الأمثلة الثلاثة لأخلص منها الى القول بأن كثرة ورود (مضافة الى الحاجة العلمية) التي سوغت للمجمع التوسع في القياس في هذه الأمور وأشباهاها هي التي تميز لنا على ما أعتقد اتخاذ قرار بقياسية (فعل) من فعل المكسور العين للدلالة على مرض أو ألم أو عيب . فأما الحاجة العلمية فهي معروفة لا تحتاج الى دليل . وأما كثرة ورود هذا الوزن فهذه بعض الأدلة عليها :

عندما كنتُ أصنف كتاب الدواجن أي الحيوانات الأهلية المطبوع في دمشق سنة ١٩٣٠ م كنتُ أفتش في كتب اللغة وفي كتب الخيل القديمة على أسماء عربية لأعراض الفرس وعبوبه ، لكي أضع هذه الأسماء أمام ما يقابلها بالفرنسية فوجدت على وزن فعل كلمات كثيرة .

فمن التزييدات أي الانتفاخات العظيمة في مواضع مختلفة من فوائم الفرس :

الدَّخَسُ *Forme coronaire*

العَرَن *Forme cartilagineuse*

الجَرَد *Jarde* والفرنسية من العربية .

المَشَش *Suros* م (١١)

ومن الأسماء التي تطلق على عيوب في وقفة الفرس وفي اتجاه قوائمه :

البَدَد والفرس أَبَدَّ	Cheval ouvert	تباعد يدي الفرس
الْفَحَج والفرس أَفْحَجَج	Cheval cambré	تباعد ركبي الفرس
الصَّدَف والفرس أَصْدَف	Cheval panard	التواء السفبكين الى الخارج
القَفْد والفرس أَقْفَد	Cheval cagneux	التواء السفبكين الى الداخل

ومن أمراض دواجن الحيوانات :

الحَبْط (والْحُبَّاط) Météorisation انتفاخ الكرش من أكل علف أخضر

مبثل بالندى .

الدَّائِف Cachexie هزال وضعف أي سوء شامل يعترى

البقر والغنم لأسباب شتى .

الْخَزَب Oedème استسقاء موضعي .

الزَّلَع Gerçure شقوق في أطباء ضرورع البقر .

المُهَبَّج داء في ضرع الناقة .

الثفن داء في ثفنة الفرس .

الثقل داء في خف البعير .

الغرب داء يصيب الشاة .

الظل داء في الغنم .

ومن أمراض النبات :

البَسَق والرَّصَع Asphyxie بطف التنفس أو امتناعه لازدياد

الماء في التراب .

الْفعل Verse ويسمى الضَّجَعَان . والفلاحون

يسمونه الترفيد . وهو استلقاء الزرع

لكثرة الآزوت وقلة النصفور في

التراب ولأسباب أخرى .

المطق Coulure ويسمى الصّاحاة وهو امتناع الإلقاح

فالشجرة لا تحمل .

أما أدواء الإنسان أو عيوبه التي جاءت أسماؤها على هذا الوزن فهي كثيرة جداً . فمن الأسماء المشهورة الحَدَب والكَتَلَب . المرض والوصب والعرج والصلع والرمد والأرق والبرص والصمم والطرش والمغص والجرب والشجن والوهن والجوى والضوى والورم والسقم والخبل الخ .

وقد أفرد الدكتور صلاح الدين الكواكبي أحد أساتيد الجامعة السورية من القاموس المحيط ما لا يقل عن ٢٤٠ كلمة على هذا الوزن وكلها تدل على أمراض أو عيوب . ووضع الدكتور مرشد خاطر أحد أعضاء المجمع المراسلين نحو سبعين كلمة منها أمام أشباهها بالفرنسية في النسخة العربية لمعجم كليرفيل Clairville الطبي . وهاكم بضع كلمات منها :

صقوط الشعر .	Alopécie	صَرَط . نَسَل
ضعف البصر خلقةً ، أو أن يبصر في الليل دون النهار وفي يوم غيم .	Nyctalopie	خَفَش . جَهَر
حرارة في الحلق وحموضة في المعدة .	Pyrosia	فصص
عسرة البول .	Dysurie	حقب
سوء تغذية الطفل .	Athrésie	جحن . سغل
الرؤية المضاعفة .	Diplopie	شفع
شق في الشفة السفلى .	Bec de lièvre	فلح
التهاب يحدّثه البرد .	Engelure	شرث

وبنضح من هذه الامثلة ومن كثير غيرها ^(١) أن « الكثرة » بارزة في الكلمات العديدة التي جاءت على وزن (فَعَل) ودلت على مرض أو ألم أو عيب . وفي

(١) كالتى ذكرها المرحوم محمد شرف في معجمه .

كتاب سيبويه « ج ٢ ص ٢١٩ » ورد العنوان الآتي : « هذا باب ما جاء من الأدوية على مثال وَجِعَ يَوْجَعُ وَجَعًا وهو وَجِعٌ لتقارب المعاني » .
وفي هذا الباب ذُكرت أسماء كثيرة للأدواء ولما أنزل منزل الأدوية .
وفي المخصص أيضاً « ج ١٤ ص ١٣٩ » باب أو فصل عنوانه : « وما جاء من الأدوية على مثال وَجِعَ يَوْجَعُ وَجَعًا لتقارب المعاني » سرد فيه ابن سيده عدداً من الكلم على هذا الوزن .

ومن المعلوم أن الأسانذة الذين يعنون بالأسماء العربية لأدواء الإنسان والحيوان والنبات يحتاجون الى الكلمات العربية القديمة مثلما يحتاجون أحياناً الى اشتقاق كلمات جديدة لأدواء أو آلام أو عيوب لها في الطب الحديث أسماء أعجمية حديثة . ولهذا أقترح على مؤتمر المجمع الموافقة على تحقيق فكرة الفقيد الشيخ أحمد الإسكندري باتخاذ قرار كالاتي :

« يقاس من (فَعَلَ) اللازم اللازم المكسور العين مصدر على وزن (فَعَلِ)
للدلالة على مرضٍ أو ألم أو عيب » .

وبعد فأرجو إما مناقشة اقتراحي في المؤتمر واتخاذ قرار فيه ، وإما إحالته على لجنة الأصول ، أو على اللجنة الطبية ، أو على كليهما ، إذا رأى المؤتمر لزوماً للتعقق في البحث والاستقصاء قبل اتخاذ القرار ، ورأبكم الأسد ، وفقنا الله في خدمة لغتنا العربية .

سماع لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي بخطه
بعث به الدكتور صلاح الدين المنجد

الله الموفق

اَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ مَا أَنْعَمَ وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
أَبْنَى الْأُمَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَبِّهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ سَمِعْتُ لَفْظِي جَمَعَ
هَذَا الْكِتَابَ الْمُسَمَّى بِالْحُسْنِ الصَّريحِ فِي مِائَةِ مِئَلِجِ الْمَوْلَى الْمَلِكِ الْبَلِغِ
الْفَاضِلِ الْكَاتِبِ الْمُنَشِئِ كَمَالُ الدِّينِ خَالِصَةُ الْمُلُوكِ أَلَّتْ لَاطِيزِ
أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَوْلَى الْمَلِكِ الْمُخْتَصِمِ الْفَاضِلِ خَالِدُ بْنُ إِسْحَاقَ
أَبِيهِمْ لَبِزَ الْمَوْلَى الْأَمَامِ الْعَلَمَةَ الْفَاضِلِ شَيْخَ الْإِسْلَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ
قَوْعٍ مَنَى مِنْ ذَوْصَةٍ كُلِّهَا بَانِعَةً فِيهَا مَارَ الْأَدَبِ
الْكَرِيمِ بِهِ مِنْ نَاطِقٍ نَائِدٍ قَدْ كَتَبَ الْأَعْدَاءُ مَا كَتَبَ
وَسَمِعَ الزَّيَادَةَ الْمُتَعَدِّدَةَ فِي نَائِكَ سُؤَالِ شَيْخٍ فَرَعِيٍّ وَكَانَ
يَدُوتُ لَنَا الْإِنْسَاءُ الْبَرِّفِ بَلَعِبَ بِكُلِّ الْمَنْصُورِ وَقَدْ أَجَزْتُ لَهُ

رِوَايَةُ ذَلِكَ عَنِّي وَرِوَايَةُ مَا جُوزَ لِي وَرِوَايَةُ مَنْ كَتَبَ الْعِلْمَ الشَّرِيفَ
 وَالْأَدَبَ الْمُنِيفَ وَرِوَايَةُ مَا صَنَّفْتُ مِنْ ذَلِكَ كِتَابُ
 الرِّوَايَاتِ بِالْعَوْفِيَّاتِ رَبَّنَا عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ تَرَاوَعُ الْإِيمَانُ بَلَغَتْ فِيهِ مَوَاقِفُ
 لَمْ أَفِرْ حُرُوفَ الْعَافِيَةِ إِصْدَاقَ وَخَيْتِنِ مَجْلَدَةٍ وَالْمَرْجُومِ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى
 أَكْمَلَهُ وَكِتَابُ نَعْتِ الْأَدَبِ الَّذِي أَنْجَمَ فِي شَرْحِ لَامِيَّةِ الْعَجَمِ
 وَفِيهَا أَرْبَعَةُ أَسْفَادٍ وَكِتَابُ نِصَّةِ اللَّيْلِ عَلَى الْمَثَلِ الْبَيَّارِ
 مَجْلَدٌ كَبِيرٌ وَكِتَابُ جَنَّاتِ الْجَنَائِزِ وَكِتَابُ
 فَضْلِ اخْتِمَامٍ عَنِ التَّوَرِيهِ وَلَا يَسْتَعْدَمُ وَكِتَابُ الْبَيِّنَةِ عَلَى النَّبِيِّ
 وَفِيهِ مَجْلَدَانِ كَبِيرَانِ وَكِتَابُ هَجَرَةِ الْمَرْحُومِ فِي تَهْذِيبِ لَحْظِ الْمُلْحِ
 وَكِتَابُ لَذَّةِ السَّعْيِ فِي صِنْفَةِ الدَّلَعِ وَكِتَابُ كَيْفِ
 إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ وَصِفَةِ الْحَالِ وَكِتَابُ آدَوْنِ الْبَائِسِ وَالْعَرَفِ

النَّاسِمْ وَكَابَ جَلَّةُ الْهَاضَةِ فِطْرَةُ الْمَذَاكِرِ وَزِيَا لِي
 عِبَةُ اللَّيْلِ بَعْدَ الْكَيْبِ وَرَسَالَهُ رَشَفَ الْحَمِيْنِ وَصِفَ الْحَرْبِ
 وَالْمَذَكِرَةِ الَّتِي بَمَعْنَاهُ وَفِي يَوْمِئِذٍ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مَجْلَدًا إِلَى عِذْكَ
 تَمَادُونَهُ وَبَمَعْنَهُ وَأَخْرَجَتْهُ وَأَخْصَرَتْهُ. يَجْعَلُ ذَلِكَ يَرْوِيهِ عَمِّي
 بِشَرْطِهِ الْمُعْتَبَرِ عِنْدَ أَمَلِ الْإِثْرِ وَسَمِعَ مَا سَمِعَهُ الْمَشَارِئِيَّةُ فَنَأَى
 مُرَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّرَكِّيَّ وَأَجْعَلَتْهُ رِوَايَةً ذَلِكَ أَجْعَلُ بِشَرْطِهِ الْمُعْتَبَرِ
 وَكَتَبَ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى خَلِيْلُ بْنُ أَبِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنَدُكَ
 الشَّافِعِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنْزِلِهِ



ديوان عدي بن الرقاع العاملي

لا تزال إيران حافلة بكثير من الذخائر العربية النفيسة ، التي لا نقوم ، وقد رزقت الكتب الخطية خاصة عناية شديدة فاعتزت الخزان العامة والخصوصية ، بطائفة قيمة من النواذر الأدبية التي أتبع لي الاطلاع على أكثرها .
ومما كنت أصبته من تلكم الأعلاق المذخورة نسخة عتيقة جداً - هي الوحيدة - من ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي ، رواية ثعلب اللغوي الكبير المشهور ، محفوظة بمخزانة التاجر الفاضل محمد أمين الخنجي البحراني نزيل طهران الذي لم يرض بها علي .

قوام هذه النسخة ١٠٣ أوراق من النوع القديم . طول كل ورقة ٢٣ و ٤ سنتيمتر في عرض ١٦ و ٥ . وطول الكتابة ١٧ و ٩ سنتيمتر في عرض ١١ من الشعر و ٨ و ٥ من الشرح . وفي كل صفحة ١٥ سطراً بالخط النسخي القديم . والنسخة مخرومة بتراء سقط مقدار من آخرها ولا يوجد بها الورقة ٢٠ ، ولا الورقة ١٠٢ ، ولا الورقة ١٠٥ وفيها اختلال في الترتيب .

والظن أنها مكتوبة في العشر الأول من القرن الخامس الهجري . وقد ملك هذه النسخة جماعة قيدوا عليها أسماءهم في سنة ٩٢٤ و ١١٨٧ هـ وكانت قبل ذلك من كتب داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، وهو أخو السلطان الملك الأشرف عمر ، مؤلف كتاب (طرفة الأصحاب) المتوفى سنة ٦٩٦ (ظ) وعليها خطوط قديمة جداً تكاد تختفي .

مجموع أشعار ابن الرقاع في هذه الأثرارة الباقية من أوراق الديوان ١٠٩٣ بيتاً في ٢٩ قصيدة ؛ هذا بيانها على ترتيب الأصل :

لمن الدار كعنوان الكتاب	هاجت الشوق وعيت بالجواب
لمن الدار مثل خط الكتاب	بالمراقيد أو بوكر العقباب

شطت بجارتك النوى فتجدل
 أنعرف الدار أم لا تعرف الطللا
 عرف الديار نومة فاعتادها
 ماهاج شوقك من مغاني دمنة
 علافي الشيب واشتعل اشتعالا
 بان سعاد وليس الود ينصرم
 ألم على طلل عفا متقادماً
 إن رمم دار كالكتاب المنعم
 منع النوم طارقات المصوم
 جزعت أن شت صرف الحي فانفروا
 أرواح أم بكرة فاغنداء
 لمن المنازل أفقرت بقاء
 نزع الفؤاد عن البطالة والصبي
 بان حسينة وائتمت بمن بانا
 حدثت أن روبي الابل يشتحنى
 ليت شعري هل تخبرني الديار
 غدا ولم يقض من سلومة الوطرا
 عما يا ابنتي قبس صباحا ومظلماً
 أم مري أم عاد للعين عائر
 أطربت أم رفعت لعينك غدوة
 نأتك حسينة فبين نأى
 طال الكرى وألم الهم فاكتنما
 غشيت بعفري أو برجلتها ربما
 ونأتك بعد مودة وتدل
 بلى فهيجت الأحزان والوجلا
 من بعد ما شمل البلى ابلادها
 ومنازل شعف الفؤاد بلاها
 وقد غشى المفارق والقذالا
 وداخل الهم مالم تمضه مقم
 بين الدويب وبين غيب النائم
 بمنسرج الوادي فويق المهزم
 وأمسى وادكار خطب قديم
 وأجمعوا البين بالهن الذي علقوا
 بديوت لم تقضن الشفاء
 لو شئت هيمت الغداة بكائي
 وقضى لبائته فأقصر وانتهى
 واستحدثت لك بعد الوصل هجرانا
 والله بصرف أقواماً عن الرشد
 يبقين عن أهلها أين ساروا
 وما تلبث إذ ولّى وما انتظرا
 وإن كنتما أجمعتما البين فأسلما
 أم اثابنا من آخر الليل زائر
 بين المكيم والرجيع حمول
 وكانت نواها بها تسعف
 وما تذكر من قد فات وانقطعما
 رماداً وأحجاراً ببقين بها سفعا

أُتعرِف بالصَّحراءَ شَرقي شَباكِ منازلُ أَهْراها الأَنْيسَ وملعبا
 أنَ الخَلِيطِ اجدَ البينَ فاقْذِفوا وأَمْتَعوكَ بِشوقِ أَيْةِ صَرفوا
 ألا ربَّ لهُوَ آانسَ ولذاذة من العِيشِ يَغيبُه الحِياءُ المَسْتَرُ

وأَكْثَرُ هَذهِ القِصائِدِ في مَدحِ الوليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ بنِ مروانَ ، وعمرِ بنِ الوليدَ . وفي الدِّبوانِ قَصِيدَتانِ مَدحَ بهما عمرِ بنِ عبدِ العَزيزِ ، واثنانِ - أَيْضاً - قالَهما في الاسوارِ عبدُ اللهِ بنُ يَزِيدَ بنِ معاويةَ بنِ أبي سَفيانَ ، وواحدةٌ بيْنَ مَري بنِ ربيعةَ بنِ مَسعودِ بنِ كَعْبِ بنِ عاصمِ بنِ جَنابِ الحَكْبي ، وأُبياتُ في نَقضِ كَلِمَةِ عَبيدِ بنِ الحَصينِ الرَّاعي .

أَمّا الشَّرْحُ فَقَدْ سَلَكَ فيه نَعْلَبُ نَهْجَه اللُّغوي المَعروفُ إلّا أَنَّهُ أَكْثَرُ الشَّواهِدِ وعَني بالأَلْفاظِ ، واهْتَمَّ بِالتَّعابِيرِ المِستَعْمَلَةِ ، والجَمَلِ والمُجازاتِ . وهو - عِندي - من خِيارِ آثارِهِ الأَدِبيَةِ .

وَقَدْ توفَّرتُ عَلى العَنايةِ بِهَذا الدِّبوانِ ، فَحَقَّقْتُ شَواهِدَهُ ، وَخَرَّجْتُ أَحادِثَهُ ، وعارَضْتَهُ بِأُصولِ اللُّغَةِ ، ودَوادِينِ الأَدَبِ ، وَكُتُبِ الجُغرافِيا والتَّاريخِ ، ومَجموعاتِ الشَّعْرِ . واستَدْرَكْتُ عَليه ذِيلًا طَوِيلًا من أَشعارِ عَدي الَّتِي أَصَبَّتها في المَراجِعِ . وَقَدْ راجَعْتُ في سَبيلِ تَحقيقِهِ كُلَّ ما بَلَغْتَهُ بِدِي من كُتُبِ خُطْبَةٍ ومَطبُوعَةٍ . وَقَدْ صَدَرَتْهُ بِمَقَدِمَةٍ تَعَرِّفُ بِالدِّبوانِ مَعَ دِراسَةِ أُدِبيَةِ لَشعَرِ ابنِ الرِّقاعِ وتَأثيرِهِ في الأَدَبِ العَرَبِيِّ والفارِسيِّ ، كما زَيَّنْتَهُ بِالفهارِسِ المُخْتَلِفَةِ الَّتِي تيسِّرُهُ لِلْمُطالَعَةِ والتَّصَفُّحِ والدِّرَسِ .

الدكتور حسين علي محفوظ

جولة من المصطلحات البحرية

طُلب الى المجمع العلمي العربي بيان أصل ألفاظ عربية يمكن استعمالها مقابل ألفاظ فرنسية 'تستعمل في الشؤون البحرية' ، فألف المجمع لجنة نظرت في هذا الطلب ، وانتهت الى ترجيح الألفاظ العربية الآتية . وقد نظر المجمع فيها فأقرها في جلسة عامة مؤرخة في ١٩٥٧/٥/٢٥ .

ومن المعلوم أن قرارات المجمع في المصطلحات العلمية عامة ليست نهائية ، والمجمع بعدها ترجيحات أو مقترحات بعرضها في مجلته على الجامع اللغوية والعلمية العربية ، وعلى جامعات البلاد العربية ، وعلى جبهة العلماء والأدباء .

العربية	الفرنسية	ملاحظات
أُسْطُول	Flotte	
أُسْطُول صَغِير	Flotille	
عِمَارَة	Escadre	اصطلاح مولد
سِلَاح	Arme	
قُوَى	Forces	
بَارِجَة (دَارِعَة)	Cuirassé	البارجة وُضعت لها في أوائل هذا القرن
طَرَّادَة	Croiseur	الطراودة وُضعت لها في أوائل هذا القرن
طَرَّادَة ثَقِيلَة	Croiseur lourd	
طَرَّادَة خَفِيفَة	Croiseur léger	
طَرَّادَة ضِد الطَائِرَات	Croiseur anti—aérien	
مُدَمَّرَة	Destroyer	
مُدَمَّرَة مُوََاكِبَة	Destroyer d'escorte	

العربية	الفرنسية	ملاحظات
تَسَافَة	Torpilleur	
تَسِيفَة (طُرْبِيد)	Torpille	اشتهرت العرببة
حَرَّافَة	Frégate	اشتهر تعريبها
ذَوْرَق حَرَّابِي	Vedette	
ذَوْرَق تَسَاف }	Vedette—lance—torpille }	
	Motor—torpedo—boat }	
حَامِلَة طَائِرَات	Porte—avions	
حَامِلَة طَائِرَات مُوَاطِنَة	Porte—Avions d'escorte	
غُرَاب	Corvette	
كَاسِجَة ' أَلْغَام	Dragueur de mines	
زَارِعَة ' أَلْغَام	Mouilleur de mines	
غَوَّاصَة	Sous—marin	
سَقِينَة ' التَّدْرِيب	Bâtiment—école	
خَافِرَة ' السَّوَاهِل	Garde—côtes	
سُفُن المَيْدَان (مَرَاكِب ' المَيْدَان)	Bâtiments de ligne	
نُوقِي ' الإِشَارَة	Timonier	
مَصْلَحَة ' الإِشَارَات	Timonerie	
مُنَاوِر (نُوقِي ' المُنَاوَرَة)	Manœuvrier	
نُوقِي ' الشُّكَّان	Homme de barre	
تَجَّار	Charpentier	
كهربائي	Électricien	
رَادَارِي	Radariste	
رَامِي	Fusilier	
مِغْنَوَار	Commandos	
إِدَارَة المَرْفَأ (إِدَارَة ' المِينَاء)	Direction de port	

الاغزاز وابن اللونقه

قلت في الكلمة التي علقت بها على كتاب (الفصون اليازمة) المنشورة في الجزء الثاني من المجلد ٣٣ من هذه المجلة ، وقد عرضت للبيت :

أنهى الزمان على الاغزاز واجتهدت سيف قطع دابرهم أحدائه السود
: « ان الاغزاز هنا صوابها الاغزاز » وطلت لجنة المجلة المحترمة على ذلك
بكلمة « كذا » اشارة الى التوقف .

والعذر للجنة واللوم عليّ ، فما زال من عيوبي التي أشعر بها الإيجاز والاكتفاء
في الموضوع الذي يجب فيه الإطناب والموضوع الذي ينبغي فيه الاستيعاب .
ومن ذلك التصويب الذي أشرت اليه في هذا البيت ، وهو من قصيدة للشاعر
أبي العباس الجراوي ؛ فالها في تهنة المنصور الموحدى بفتح قفصة من بلاد
تونس وانهزام ابن غانية الذي كان وثب عليها متعزراً في ذلك بقراقوش مولى
صلاح الدين الأيوبي .

ومعلوم أن قراقوش هذا كان صلاح الدين قد مرّحه الى المغرب وشغب به
على دولة الموحدين كثيراً ، وكانت حركته هذه هي السبب في نفور المنصور
الموحدي من صلاح الدين .

وابن غانية الذي كان بقية الملتصين والقائم بالدولة المرابطية بعد قيام دولة
الموحدين كان قد استقر في جزائر شرق الأندلس المعروفة بجزد البليار ،
وكان كثيراً ما يغير منها على شواطئ افريقية الشمالية ويضع يده في يد قراقوش
الغزي والعرب الذين ما فتئوا منذ رمى بهم العبيديون أرض المغرب يتناوئون
الدول القائمة به . . فلما أعاد المنصور فتح مدينة قفصة وهزم ابن غانية ومن
لف لفه من ذكر قال الجراوي قصيدته التي منها ذلك البيت . . فالأغزاز هم الغز
الذين ينتسب اليهم قراقوش كالترك والأتراك والروم والأروام والعرب والأعراب .
وأطلق على جميع المحاربين وصف الأغزاز وان لم يكونوا كلهم غزاً تغلياً واحتقاراً . .
فهذا وجه تصحيحى للأغزاز بالأغزاز . ولا يقال ان الأغزاز أيضاً صحيحة
باعتبار شمول المعنى اللغوي للمحاربين المذكورين ، لأننا نقول انها كذلك أي

بالزاي في مخطوطة الاسكوريال التي هي الأصل المطبوع عنه . ومصدرها الآن
أمامي . ومن اللطائف في هذا الباب أن الأمير الشاعر أبا الريح سليمان الموحد
كان تحت جفوة من ابن عمه المنصور ، فاتفق أن وفد على مراکش وفد من الشام انتهى
إلى ظاهر هذه العاصمة وعُين لهم الدخول في غداة اليوم الثاني فكتب أبو الريح للمنصور :
يا كعبة الجود التي حجت لها عربُ الشام وُغزها والديلمُ
طوبى لمن أسمى بحجِّ بها غداً ويطوف بالبيت العتيق ويحرمُ
ومن العجائب أن يفوز بنظرة من بالشام ومن بمكة ويحرمُ
يريد نفسه ، فرضي عنه المنصور وأمره أن يكون هو الداخل بهم .
فهذا مما يثبت ما قلته في الأغزاز .

* * *

هذا وكنت في نقدي لكتاب (المغرب في حل المغرب) لابن سعيد المنشور بالجزء الأول
من نفس المجلد من هذه المجلة ، قلت أثناء التعليق على هذا البيت من موشح لابن حريق :
محمد اللتي يا غزالي يا صاحب العينين الكبار ما يلي :
« وإنما قلنا ان اللتي لقب ، لأن هنالك من أعلام الأندلسيين من يعرف بالاونكو ،
فالعالم أن اللتي الذي نحن يصده هو تعريب له . وانظر هل تكون كلمة
(الاونكو) مأخوذة من (Long) الفرنسية بمعنى الطويل .
وفي هذه الأيام وقفت على العلم المذكور بكتاب صلة لابن الزبير ،
وهو علي بن عبد الرحمن . . . الأناصري الخزرجي من ولد عبادة بن الصامت ،
يكنى أبا الحسن ويعرف بابن اللونقه وتفسيره الطويل .

هذا نص ابن الزبير . وهو كذلك في الصلة لابن بشكوال ولكن غير مفسر
بالطويل . فهذا عربي صميم من أشراف العرب شهر بلقب عجمي . . . ومثله عندنا
اليوم في مدينة تطوان آل راغون ينتسبون في رسومهم القديمة الى عبادة بن الصامت
نفسه فيقال فلان الصامتي المعروف براغون ، وراغون امم عجمي ما يزال كثير
من الاسبان ، وفي تطوان نفسها ، يحملونه . والله في خلقه شؤون .

تصويبات

جاء في الجزء الأول من المجلد الثالث والثلاثين (ص ٨٠ - ٩٥) أغلاط
 'نعمزى الى أحد النساخ وقد حال سفر صاحب المقال دون إصلاحها .
 وصوابها فيما يلي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٠	٦	٢٠٧ هكتار	٢٠٧ هكتارات
٨٤	١٠	٧٠٠ ضعفًا	٧٠٠ ضعف
٨٥	١٦	٨٥ ألف	٨٥ ألفًا
٨٦	١	٧٧ مليون	٧٧ مليونًا
٨٦	٢٠	٢٠٧ كيلومتر	٢٠٧ كيلومترات
٩١	٩	ثلاثة صيادون	ثلاثة صيادين
٩٣	١٥	وبوشر في بناء هذا الصرح	وبوشر بناء هذا الصرح
٩٣	١٧	٣١٧ ألف هكتار	٣١٧ هكتارًا
٩٤	٦	١٢٠ ألف غرفة	٢٠ ألف غرفة
٩٥	٢	علم الطفولة	علم التراب

ووردت أغلاط مطبعية لا ينبغي صوابها على القاري .

استدراك

وردت في الجزء الثاني من المجلد الثالث والثلاثين (ص ٢٣٣) جملة من
 الآية الثالثة لسورة صبا من القرآن الكريم :

(لا يعزب عن علمه منقال ذرة لا في السماوات ولا في الأرض) .
 والصواب :

(لا يعزب عنه منقال ذرة في السموات ولا في الأرض) .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والثلاثين

صفحة

٣٥٣	ابن الخياط	للأستاذ خليل سرمد بك
٣٧٠	القومية وعواملها	للأخير مصطفى الشهابي
٣٩٠	تحقيقات حول نقد النزالي (١)	للأستاذ حكيم هاشم
٤٠١	المدرسة الإسعربية (١)	للأخير جعفر الحسني
٤١٨	ما سمعت وما رأيت في بلاد السوفيت (٦)	للأستاذ حسني صبح
٤٢٤	كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٣)	للأستاذ محمد صغير حسن المصوي
٤٤٣	كتاب نكتة في العرب	للأستاذ حسين علي محفوظ

التعريف والتقد

٤٦٧	ديوان الأمير ابن أبي حصينة (ج ١)	للأستاذ رشدي الحكيم
٤٨٤	الطريق إلى مكة	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٤٨٨	تطور صناعة الزيت في الشرق الأوسط	
٤٩٠	تقارير الأمم المتحدة	
٤٩١	إدارة الناس من	
٤٩٣	الإرشاد الزراعي	للأخير مصطفى الشهابي
٤٩٤	مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨	
٤٩٥	النقل في البلاد العربية	
٤٩٦	أصول ألقاظ الهبة الدرافية	
٤٩٧	القرية السياسية	الغرب العربي
٤٩٨	تاريخ الأمة العربية - عصر الانتفاخ	للأخير جعفر الحسني
٥٠٠	ماذا حدث في التاريخ	
٥٠٢	منهج أمثال الموصل	للأستاذ محمد ظهير جبران

آراء وأقبا

٥٠٥	فرار وزاري في الصلة بين مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي العربي	
٥٠٨	الأستاذ وينه دوسو (وفاته)	
٥١١	قياسية فتكل لغرض	للأخير مصطفى الشهابي
٥١٧	مجامع لصالح الدين خليل بن أبيك الصقلي بخطه	
٥٢٠	ديوان عدي بن الرقاع العاملي	للأستاذ حسين علي محفوظ
٥٢٣	جثة من المطلحات البحرية	
٥٢٥	الاغزاز وابن الوتة	للأستاذ عبد الله كنون
٥٢٧	تصويبات ، استدراك	

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٨ م ١٧ شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ

ابن الخطاط

٥١٧ - ٤٥٠

- ٢ -

شعره

ابن الخطاط شاعر مطبوع فصيح ، جزل الألفاظ من غير إغراب ، واضح المعاني ، في شعره حلاوة وطلاوة ، وأثر الطبع فيه أظهر من جميع العناصر التي يتكون منها الشعر . وله بضع قصائد بلغ بها الذروة صحةً معانٍ وحسن أداء ، وفي بعضها من الجزالة والقوة ما يجاكي شعر الصدر الأول من المخضرمين والإسلاميين ، وذلك لصحة طبعه وسلامة ذوقه وكثرة حفظه من شعر المتقدمين .

وهو على قوة طبعه لا يستوي جميع شعره ، بل ربما تفاوت ولكن من غير إفراط في التفاوت ، فقد يعلو حتى يبلغ الذروة ، وينحط عن تلك المكانة ، ولكن قلما يسف .

وسبيله في النظم صدى المطبوعين ، يعتمد على طبعه وسليقته ، ولو خالف القواعد والرسوم ، ولذلك يكثر في شعره الزخاف الذي يلقى في الشعر القديم قبل أن يجرر الخليل بن أحمد قواعد العروض ، ولعله هو والمجتري من أكثر الشعراء زخافاً ، من ذلك قوله : الديوان ص ٣٩

أُمُرُّ بِالرَّوْضِ فِيهِ مِنْكُمْ شَبَهٌ فَأَغْتَدِي بَارِئًا وَأَنْتِي دَقِيقَا
وقوله : ص ١٤٥

وَمَا مِنْ رَمَى مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ فَأَقْصَدْتُ نَوَافِذَهُ كَمَنْ نَعَمَدَ أَنْ يَرْمِي
وقوله : ص ١٧٣

يَقُولُونَ تَرَبُّ لِلنَّمَامِ وَإِنَّمَا رَجَاهُ النَّمَامِ أَذْ يُعَدُّ كَتَرِيهِ
وقوله : ص ٢٤٢

كَفَى مِنْ شَجَايَ عِبْرَةٌ بَعْدَ زَفَرَةٍ وَلَبَّ مُطَارٌ أَمْ سَقَامٌ مُهِيجٌ
وقوله : ص ٢٥٩

مَنْ كَانَ يَفْخَرُ أَنَّهُ مِنْ أَسْرَةٍ كَرُمَتْ وَيَضْرِبُ فِي الْكِرَامِ مُعْرِقَا
وقوله : ص ٣٠٦

فَأَنْتَ الْحَقِيقُ بِالْعِلَاءِ وَبِالْتَّنَا إِذَا الْحَقُّ يَوْمًا أَوْجَبَتْهُ الْحَقَائِقُ
وتجوزته في اللغة في طائفة من شعره جريء وغير قليل ، ومنبسطة الكلام عليه في فصل خاص يلي هذا الفصل .

وسمة روايته للشعر القديم جعلت في نفسه ملكة على حسن البيان وإشراق الديباجة ، وقوة على محاكاة الفحول من الشعراء والطبع على غرامم في أصالة الأسلوب وشدة الأمر في طائفة صالحة من شعره .

لا نعلم متى بدأ بقول الشعر ، ولا بد من أن يكون قاله في سن مبكرة لأنه شاعر بالفطرة ، ولكن ليس في الديوان إلا ما قاله بعد أن بلغ العشرين من عمره واجتازها قليلاً .

وشعره في شبابه من أحسن شعره وهو قليل الصنعة لولا قصيدة واحدة من أول ما قاله من الشعر أولها : ص ٧

سَقَوُهُ كَأْسَ فَرَقْتَهُمْ دِهَاقًا وَأَسْكِرَهُ الْوَدَاعُ فَا أَفَاقًا
ففيها قسط من الصنعة بخلاف سائر شعره ، ثم أقطع عن هذه الطريقة وسلك طريقة الطبع ، على أن هذه القصيدة لم تدون إلا في نسخة واحدة من ثماني نسخ مخطوطة من ديوانه رجعنا إليها في تحقيق هذا الديوان ، ولم يروها عنه تلميذه القيسراني الذي جمع ديوانه .

وفي بعض قصائده أثر من استعارات أبي تمام الطائي وتشبيهاته وكنائياته من ذلك قوله : ص ٥٥

وكيف ترى مياه الفضلِ إلا وقد رُشِفَتْ بأفواه العقول
وقوله : ص ٦٠

هربت من ارتياحك حين أنفحني على حمدي بعضبِ ندَى صقيلي
ولما عذبت بالعياء قالت لعائك صاحبُ الشكرِ القتيلِ

فأفواه العقول والشكر القتيل بعضب الندى أشبه بمعاني أبي تمام ، وقلاً يسلك طريقة أبي تمام في الصنعة اللفظية ، من ذلك قوله : ص ١٩٨

فإلى ارتياحك ينتمي صوبُ الحيا وعلى اقتراحك ينتهي صرفُ القضا
فقابل إلى بعلى ، وارتياحك باقتراحك ، وينتمي ينتهي ، وصوب بصرف . ولكن مثل ذلك في شعره نادر .

وفي بعضها نفحة من نفحات البحري منها قوله : ص ١٨٦

وليس يبين الدهر إخلاص باطنٍ إذا أنت لم تدلّ عليه بظاهرٍ
وهو ينظر الى قول البحري :

ولن تستبين الدهر موضع نعمة إذا أنت لم تدلّ عليها بحاسد^(١)

وفي بعضها عبقة من نفس أبي الطيب المتنبّي مثال ذلك قوله : ص ٢٤

إذا ما النارُ كان لها أضطرامٌ فما الداعي إلى قدح الزناد
رجوتُ فما تجاوزه رجائي وكان الماءُ غاية كل صادٍ
إذا ماروحتُ أرضي وساحتُ فما معنى انتجاعي وارتيادي
وقوله : ص ٣

إذا عاينت من عودٍ دخاناً فأوشك أن تُعاین منه ناراً

وقد يكون هذا التشابه صدر عفواً عن غير قصد ، أو يكون من باب توارد
الخواطر أو تقارب السبل ؛ أما الشاعر الذي قصد ابن الخياط أن يسلك
طريقته فهو جاره وشيخه ابن حيّوس الذي رآه من علو منزله وإقبال الدنيا عليه
حتى جعله مضرب المثل في الشاعرية ، قال يصف إحدى فصائده ص ١٦٥
يَضِيقُ الْأَعْصَرِيُّ بِهَا ذِرَاعاً وَيَقْدُرُ عَجْزُهُ عَنَّا الْخَفَاجِي
والأعصري هو ابن^(٢) حيّوس ، أما الخفاجي فهو عبد الله بن سنان الخفاجي ،
وأرجو أن لا تكون القافية هي التي جرت .

كان ابن الخياط يطبع على غرار ابن حيّوس ويقتني أثره في عدة أمور :
منها أن له عدة مدائح لم يستعملها بالنسب وهذه طريقة ابن حيّوس ، ومنها

(١) ديوان البحري ص ٥٤

(٢) انظر ديوان ابن حيّوس ج ١ ص ٦٦ و ص ١٥٠ و ص ٣٢٨

قلة الغزل في شعره وخلو ديوانه من الفخر والمجاء إلا قليلاً ، أخذاً بطريقة ابن حيوس^(١) ، ومنها استعمال ألفاظ أكثر ابن حيوس من استعمالها على وجه خاص ، مثل^(٢) ظَافَرَ بمعنى ظَاهَرَ أو أَيْدَ ، وإضافة كلمة أم الى المعنى الذي يريد تأكيده له ، قال ابن الخطيب : ص ٨٠

وعيشٌ يرفُّ عليه النعيمُ وَجَدُ تَظَاقُرُ فِيهِ السَّعُودُ
وقال : ص ٢٩٠

فَتَى ظَافَرَتْ هَمَاتُهُ عِزَمَاتِهِ كَمَا ظَافَرَتْ سُمُرَ الصَّعَادِ نِصَالُ
وقال : ص ٨١

لَقَدْ طَرَقَتْ بِكَ أُمُّ الْعَلَاءِ يَوْمَ لَه كُلُّ يَوْمٍ حَسُودُ
وقد يجمع الـأم فيقول : ص ٧٤
بَصُرْتُ بِأُمَمَاتِ الْحَيَا فَظَنَنْتُهُا

وقال : ص ٣٠٨
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَطْلُقْ لِسَانِي بِجَمْدِهَا فَأُمُّ الْعَلَى وَالْمَجْدُ مِنِّي طَالِقُ
وقال : ص ٣٢٨

فَتَى لَمْ تَرَلْ عَاقِرًا فِي ذَوَاهِ أُمُّ الْحَوَادِثِ وَهِيَ الْوَلُودُ
وبقول : ص ٢٩٤

مِنْ مَعْشَرٍ كَانُوا لِأُمَمَاتِ الْعَلَى أُبْدَاءَ فَحُولًا أَنْجَبَتْ وَبَعُولَا
وتلاعب ابن حيوس مرة بالحروف فقال : (ديوان ابن حيوس ٥٧٨/٢)
وَتَرْبَةُ الْمَرْحُومِ وَالْحَمَاءُ جِيمٌ لَقَدْ ثَوَى فِي النَّارِ مِنْهُ وَجِيمٌ

فقال ابن الخطاط قطعة تلاعب بالحروف في كل بيت من أبياتها أولها : من ١٤٢
صرت بين الصادتين يأبى المجلى بين صفح يوهي قفاك وصرف
وقريب من ذلك قوله : من ٩٦

وبكنتك كل عروضية تُرن بها كل ميم ولا م
وقوله : من ١٠٧

إن خير المعروف ما جاء لاسي—ن سؤال فيه ولا واو وعد
وقوله : من ٢٠٨

لدى بركة حركت راؤها فليست تكل ولا تنقص
وكان ابن حيوس يزعم في مدائحه أنه لا يمدح طلباً للعطاء لأنه من
ذوي البسار ولكنه يبغى الجدد والعلاء^(١) ، فبدأ لابن الخطاط - على فقره
ومرارة شكواه من الحرمان - أن يقول في إحدى قصائده : من ٢٢٨
أتيتك للعليا فإن كنت منمماً فبالعزة القمساء لالعيشة الرغد
إذا نائل لم يحجني الفخر فباله فإن انقطاع الرغد فيه من الرغد
ولكنه لم يعد الى هذا المعنى خشية أن يصدقه الممدوحون .

وليس هنا محل المفاضلة بينه وبين ابن حيوس ولكن لا بأس بإيراد ما قاله
العماد الكاتب في هذا الشأن : « ابن حيوس أصنع من ابن الخطاط ، لكن
لشعر ابن الخطاط طلاوة ليست له^(٢) » .

ومن دلائل قوة طبعه كثرة ارتجاله ، ففي الديوان مقدار غير قليل من الشعر
الذي كان بقوله بدهاة وارتجالاً في مجالس الطرب ومع أصحابه إجابة لمقترحم ،

(١) مقدمة ديوان ابن حيوس من ٩

(٢) سير أعلام النبلاء قديمي (خطوط)

أو غير ذلك من بواعث الشعر والشواهد على ذلك كثيرة انظر الديوان ص ٧٧
 وص ١١٩ وص ١٢٥ وص ١٣٢ وص ١٤٠ وص ١٩٢ و ص ١٩٥ و ص ٢٠٣
 و ص ٢٠٧ و ص ٢١٢ و ص ٢٢٠ و ص ٢٢٣ و ص ٢٣٤ و ص ٢٧٣ و ص ٢٧٩
 و ص ٢٨٠ و ص ٢٨١ و ص ٢٨٢ و ص ٢٨٣ و ص ٢٨٦ و ص ٢٩٨ و ص ٢٩٩
 و ص ٣٠٠ و ص ٣٢١

ولئن خصت ألفاظه في أكثر شعره بالجزالة والعذوبة والطلاوة فقد « كان
 ولو عا بتصحیح المعنى ^(١) » كما يقول ابن فضل الله العمري ، يعرضه أحسن
 ما يكون وأوضح ما يكون ، فقد يتناول المعنى المتداول المعاد الذي مله السمع ،
 فيعرضه بثوب جديد حتى كأنه مبتكر ترتاح له الأذن وتمش له النفس .
 لقد أكثر الشعراء من عهد امرئ القيس من الوقوف في ديار الأحياء
 الخالية ورسومها البالية حتى عافت الناس هذا المعنى فقال ابن الخياط : ص ١٥٤
 يحي الديار فَمَجَّ في رسمها العاري إن كان يُغنيك تعريج على دار
 إن يخل طرُفك من سكانها فيها ما يملأ القلب من شوق وتذكاري
 وقال : ص ٢٢٦

لقد وجدت وتجدي الديار بأهلهما ولولم تجد وتجدي لما سقت سُقْمِي
 فكأنه أول من قال في هذا المعنى بعد أن نفخ فيه روحاً جديدة .
 وبينما نسمعه يهدير بمثل هذه الجزالة التي شبهها ابن فضل الله العمري بصليل
 السيوف وصرير الأقلام ^(١) ، إذا به يرق حتى تظنه من الشعراء المعاصرين
 إذ يقول مهتماً بمولود : ص ٨٤

أطلعت بدواً في سماء ممالك سهر الجمال ونام في قلوبه

ويقول وقد رماه فتي صبيح بجمرة مازحاً : ص ١٢٧

يَا مُؤْذِيًا بِالنَّارِ جِسْمَ حَبِّهِ نَارَ الْجَوْيِ أُخْرَى بَأَن تُوْذِيهِ
عَذَّبَ بِهَا جِسْدِي فِدَاكَ مَعَذَّبًا وَاحْذَرِ عَلَى قَلْبِي فَاِذَاكَ فِيهِ

وفنون شعره : المدح والرثاء والوصف والشكوى والغزل وما يتصل بهذه
الفنون ، وبكاد يخلو من الفخر والمجاء لولا بضعة أبيات في هذين المعنيين .
وله قصيدة في الحروب الصليبية قالها في ليلة واحدة ، حين شاع خبر
مجيء الجيوش الصليبية ، وقدمها الى الأمير غضب الدولة زعيم الجيوش في
دمشق يحضه على الجهاد ، ولعلها أول قصيدة قيلت في الحروب الصليبية أولها :

ص ١٨٢

فَدَنَّاكَ الصَّوَاهِلُ قُبَاً وَجُرْدَا وَشُمُّ الْقَبَائِلِ شَيْبَاً وَمُرْدَا

وبعض شعره في الوصف يصف وجوهاً من الحياة الاجتماعية في أيامه ،
وحياة القصور ، ومجالس اللهو والأنس والطرب ، وما يجري فيها من شراب
وغناء ونعيم وترف ، في المقاصير وفي متنزهات دمشق ، ويصف الأزهار والفواكه
والتجار والخضر في النوبة وقراها .

وله في الترد (طائفة الزهر) قصيدة طريفة فريدة في بابها أولها : ص ٢٨٤

أَقُولُ وَالْيَوْمَ بِهِمْ خَطْبُيْهُ مُسَوِّدُ أَوْضَاحِ الضَّحَى دَعْوُشُهَا

والحسن من شعره أكثر من الوسط ، وقد يملو حتى يبلغ الأوج ، وله
قصيدة هي في رأينا أحسن شعره ، ومن مختار الشعر العربي في جميع عصوره ،
سملت جميع أبياتها ، عذبة الألفاظ ، خلاصة المعاني ، جعل نسيبها وصفاً لآراب
الشباب ، ونزغات الصبا ، ونزوات الفتوة ، يصلح أن يكون عنوان هذا
القسم منها (الشاب) أولها : ص ٦٤

أعطى الشباب من الآراب ماطلبا وواح يَحْتَالُ في ثَوْبِي هَوَى وَصبا

وقصيدته الثانية التي سلت له كل أبياتها مع الجزالة والعذوبة أولا : ص ١٥٤

هي الديارُ قَمَيْجٌ في رسمها العاري إنْ كان يُغْنِيكَ تَغْرِيجٌ على دارٍ

وله قصيدة سما بغزلها حتى تفتى الناس به الى اليوم أولا : ص ١٧٠

خُذَا مِنْ صَبَا تَجِدُ أَمَانًا لِقَلْبِهِ فَقَدْ كَادَ رِيَاها يَطِيرُ بِلَبِّهِ

واستقصاء محاسنه بطول ، وليس كل شعره مستويا ، فبعضه أحسن من بعض .

أما منزله بين شعراء عصره فقد اتفق على أنه كان من المحسنين ، بشهادة

معاصريه من طبقة شيوخه ومن دونهم ، فقد شهد له شيخه ابن جيسوس بالإجادة

وهو في رُبِّى الشباب وجعله ولي عهده . وقال ابن عساكر ^(١) : « ابن الخياط

ختم به ديوان الشعر بدمشق ، وكان شاعرا مكثرا مجيدا محسنا » .

وقال السلفي ^(٢) : « كان ابن الخياط شاعر الشام ، وقد اخترت من شعره

مجلدة لطيفة وسمعتها منه » .

وقال أبو الفوارس نجا بن اسماعيل العمري ^(٣) : « ابن الخياط في عصره

أشعر الشاميين بلا خلاف » .

وقال الذهبي ^(٤) : « ابن الخياط شاعر عصره ، من كبار الأدباء وأنظمه

في الذروة » .

وقال ابن خلكان ^(٥) : « ... كان من الشعراء المجيدين ... وأكثر

قصائده غرر » .

والذي نراه أنه ومعاصره أبا اسحق إبراهيم الغزي طبقة واحدة وكلاهما محسن ،

ولكن الغزي رحل عن الشام ودخل بلاد المعجم وبقي هناك بقية حياته ،

فأصبح ابن الخياط وحده شاعر الشام .

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦٧/٢

(٢) سير أعلام النبلاء (مخطوط)

(٣) وفيات الأعيان ٥٦/١

لغته

لغة ابن الخطيب في أكثر قصائده جزلة عذبة طليقة ، لصحة ذوقه ، وكثرة محفوظه من الشعر المختار ؛ يميز حتى كأنه من شعراء الأعراب إذ يقول :
 من ١٥٧

الطاعنُ الطعنةَ القَوَّهَاءَ جَائِئَةً تَرُدُّ طَاعِنَهَا عَنْهَا بِتَيَّارِ
 يَكَادُ يَنْفِذُ مِنْهَا حِينَ يُنْفِذُهَا لَوْلَا عُجَابُ دَمٍ مِنْ قَوْرِهَا جَارِ

ويرى وبغضب دون أن يفارق جزالته فيقول : من ١٧٠

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَانًا لِقَلْبِهِ فَقَدْ كَادَ رِيَاهَا يَطِيرُ بِلُبِّهِ
 ومثل ذلك غير قليل في شعره ، ولكن لبس كل شعره كذلك .

وله ألفاظ أغري باستعمالها تدور على لسانه أكثر من غيرها منها رَوْضُ
 قال : من ٢٥

إِذَا مَا رَوْضَتُ أَرْضِي وَسَاحَتُ فَمَا مَعْنَى انْتِجَاعِي وَارْتِيَادِي

وقال من ١٤٩ :

أَضَاعَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ وَالشَّمْسُ لَمْ تُزِرْ وَرَوْضَتِ السَّاحَاتُ وَالغَيْثُ لَمْ يَهْمِ

وقال : من ١٥٢

قَلَمَ يَأْتِ عِنْدِي غَيْرُ مَا أَتَى أَهْلَهُ وَلَا عَجَبٌ لِلغَيْثِ أَنْ رَوْضَ الْحَلَا

وقال : من ١٧٥

تَرَوْضُ قَبْلَ الرَوْضِ أَخْلَاقَهُ الثَّرَى وَتَبَعْتُ قَبْلَ السُّكْرِ سُكْرَ الشَّرِبِ

وقال : ص ٢٠٢

يُجْبَلْنَ مَا حَاكَ الرِّبْعُ مُنْفَوْكًا وَيَزِدْنَهُ خَجَلًا إِذَا مَا رَوَّضَا

وقال : ص ٢٠٦

سَقَاكَ - وَمَنْ سَقَى قَبْلِي سَحَابًا تُرَوِّضُ قَبْلَ مَوْعِدِ الْمَحُولِ

وقال : ص ٢٥٠

وَدَوَّضَ سَاحَتِيهِ كَأَنُّ وَشْيَا يَحْمِلُ بِهَا وَدِيَابِجًا نَشِيرَا

سبق لنا أن قلنا في الفصل الذي عقدناه لعمه وأدبه أن ثقافة ابن الخطيب شخصية ، يعني أنه أخذ نفسه في أول الأمر بحفظ الشعر فكانت ثروته الأدبية باشتغاله على نفسه أكثر من اشتغاله على شيوخه ، ولعل ذلك جعله يقدم بجرأة غريبة على أمور : منها إتيان الرخص ، والتساهل في تعدي الحدود اللغوية ، والتجاوز في الاشتقاق وصوغ المشتقات ، والتوسع في القياس ، حتى صارت هذه الأمور مذهباً له - إن صح أن تدعى مثل هذه المآخذ مذهباً - وبقي على هذه الطريقة بعد أن أثرى من الأدب وصار من شيوخه . قال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات في ترجمة ابن الخطيب : « روى ابن القيسراني شعره وبه فخرج ، وكان حافظاً لشعر الأقدمين ذكياً عارفاً باللغة » ولكنه بعد أن صار عارفاً باللغة وحدودها بقي يتعدها في عدة أمور منها قوله : ص ١٣٩ على ما فيه من الحسن والرشاقة :

مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَا بُدَّ مِنْهُ فَإِنَّ مِنْهُ أَلْفَ بُدٍّ

(فلا بُدَّ) لا يستعمل إلا في النفي كما تاج العروس وكا ورد في الشعر الأول

من هذا البيت .

وقوله : ص ٢

وَهَلْ مَنْ ضَمَّرَ الْجُرْدَ الْمَذَاكِي كَمَنْ جَعَلَ الطَّرَادَ لَهَا ضِمَارًا

يريد بالضمار : تضمير الخيل ولم أجدها بهذا المعنى .

وقوله : ص ٨

تَعَبَّرُنِي بِأَحْدَاثِ اللَّيَالِي وَكَيْفَ يَدَا فِعْ الْبَدْرَ الْحَاقَا

والخيار في فعل عَبَّرَ أَنْ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ لَا بِالْبَاءِ ، يُقَالُ عَبَّرَهُ الْأَمْرُ .

وقوله : ص ٧

إِذَا مَا الْكَأْسُ لَمْ تَكُ كَأْسَ بَيْنٍ فَلَيْسَتْ بِالْحَمِيمِ وَلَا الْفَسَاقَا

فمطف المنصوب على المجرور .

وقوله : ص ١٠

وَأَقْبَلَ بِالْهَنَاءِ عَلَيْكَ عَيْدٌ حَدَاهُ إِلَيْكَ إِقْبَالٌ وَسَاقَا

وقوله : ص ٨٧

أَمَّا الْهَنَاءُ فَلِلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ كُلُّ يَدَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ بَدِينِهِ

وقوله : ص ٨٨

فَأَسْمَدُ وَدَامَ لَكَ الْهَنَاءُ بِمَاجِدٍ طَالَتْ بِهِ الْأَمَالُ وَهِيَ قِصَارُ

والهناء بالمد غير صحيح على شيوعه على الألسنة والأفلام . وإنما هو : هَنَاءٌ هَنَاءٌ وَهَنَاءٌ هَنَاءٌ وَهَنَاءٌ هَنَاءٌ .

وقوله : ص ١٨

تَنَاقَلُ بِي أَيْدِي الْمَسَاهِرِ حَثِينَةً كَمَا اخْتَلَفَتْ فِي الْعَقْدِ أَنْعُلُ حَاسِبٍ

يريد بأنمل جمع أنملة والموجود في المعاجم أنامل وأنملات وهي رؤوس الأصابع .

وقوله : من ٢٣

هَبْ ذَا الرِّمِيِّ مِنَ الْحَوَادِثِ جُنَّةً وَلِذَا الْأَسِيرِ مِنَ الْخَطُوبِ فِكَكَامًا
والمشهور في فعل (وهب) أن يتمدى إلى المفعول الأول باللام لا بنفسه .

وقوله : من ٢٤

أَرَى الْبَيْضَ الْحِدَادَ سَتَقْتَضِينِي تُزُوعًا عَنْ هَوَى الْبَيْضِ الْخِرَادِ
الخريدة : المرأة الحية والبكر لم تمس ، فيجمع على خرائد وخُرْد وخُرْد .
لا على خِرَاد .

وقوله : من ٣٠

تَجَرَّدُ نَصْلًا وَخَلَاتِقُ مَفْصِلُ وَتُنْبِضُ سَهْمًا وَالْبَرِيَّةُ مَقْتَلُ
يقال أَنْبَضَ القوس : إذا جذب وترها لتصوت ، ولا يقال أَنْبَضَ السهم .

وقوله : من ٣٣

وَمِمَّا هَفَّتْ يَوْمًا مِنَ الْجَوْنِ نَفْحَةٌ قَمَبٌ بِحِصْنَيْكَ النَّسِيمُ الْمُسْدَلُ
المسندل اشتقه الشاعر من المسندال ، وهو أجود العود . وهو غير موجود في المعاجم .

وقوله : من ٤٢

تَنْلُ أَجْرًا وَذَكَرَ أَسُوفَ يَبْقَى عَلَيْكَ مَعَ اللَّيَالِي الْبَاقِيَاتِ
جزم الفعل المضارع بلا جازم .

وقوله : من ٤٤

فِيَا لَيْتَنِي أَبْقَى لِي الْهَجْرُ عِبْرَةً فَأَقْضِي بِهَا حَقَّ النُّوَى وَأَدْرِقُهَا
الفاء بعد التثنية تنصب الفعل المضارع وقد رفعه الشاعر هنا .

وقوله : من ٤٥

وَأَعْرِضْ عَنْ مَحْمُضِ الْمَوَدَّةِ بَادِلُ وَقَدْ عَزَّنِي بِمَنْ أَوْدُ مَذِيقُهَا

يريد : وأعرض عن باذل محض المودة . ففصل بين الجار والمجرور هذا
الفصل المنكر .

وقوله : ص ١٤١

أبلغ أبا الفضل الذي شهدت بالفضل منه البدؤ والخضر
الخضر بفتح الصاد وقد سكنها تقليداً لشيخه ابن حيوس القائل (ديوان
ابن حيوس ٢٤٥/١)

فَجَدُّ لَهُ دَانَتْ زِرَارٌ وَيَعْرُبُ وَجَدُّ رَعَايَا مَلِكِهِ الْبَدْوُ وَالْخَضْرُ
وقوله : ص ١٩١

وهل تنهض الأيام بي في مقاوم فطول بناء للزمان وأمر
جمع مقام على مقاوم وهو غير مسموع .
وقوله : ص ٢٠٨

رَى الطيرَ والوحشَ مِنْ جَانِبَيْهِ يَشْكُو الْبَطِينَ بِهَا الْأَخْمَصُ
الأخمص : باطن القدم ولا معنى لما هنا ، وإنما أراد الشاعر الخميص وهو الضامر
جوعاً فقال الأخمص .
وقال : ص ٢١٠

تَخَالَفُ فِي الشَّكْلِ تِيجَانُهُمْ وَتَحْكِي غَلَاثِلَهَا الْأَقْمَصُ
يريد بالأقمص : جمع قميص وليس بصحيح وإنما يجمع على قمص وأقصة وقصان .
وقال : ص ٢٣٧

تَبَيَّتْ دِكَاؤُنَا مَا يَمْتَهُ تَخَالِجُنَا أَوْزَمَتَا خِلَاجَا
والخلاج : البرد المخططة فظنه مصدر خالج .

وقال : ص ٢٣٨

أَعَدَّتْ لَهُ بَيْضَ الْهِنْدِ كَيْتًا وَأَشْفَى الْكَيَّ أَبْلَغُهُ نَضَاجَا

يريد بالنضاج النضج

وقال : ص ٢٣٨

وَقَبَّلِي قَدْ دَلَفْتَ لَهُ بِخَيْلٍ كَشَبَ الْقَذْفِ زَرْهَجٍ ارْتَهَاجَا

يريد بقوله زَرْهَجٍ زَرْهَجٌ أي تشير الغبار فاستعمل ارتهَج على سبيل الاشتقاق ولو لم يكن مذكوراً .

وقال : ص ٢٤٣

فَلَوْلَا بَنُو الصَّوْفِيِّ أَعْوَزَ مُفْضِلٌ إِلَى بَابِهِ لِلْوَفْدِ مَسْرَى وَمَذَاجِ

المسرى سير عامة الليل والإدلاج السير في أول الليل وآخره . وهذا مراد الشاعر . أما المدج فهو الموضع الذي يمشى فيه بالليل بين رأس البئر والخوض .

وقال : ص ٢٤٧

فِيَالِي مِنْهُ صَوَّالًا فَتَوَّكََا وَيَالِي مِنْهُ خَلَابًا سَحُورَا

يريد فانتكأ وساحراً . فَاشْتَقَّ فَتَوَّكََا مِنْ الْفَتَكِ وَلَوْ لَمْ تَذْكُرْ فِي كِتَابِ الْفَتَا ، وَتَحُورَا مِنْ السَّحَرِ ، وَإِنَّمَا السَّحُورُ مَا يَنْسُجُرُ بِهِ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ .

وقال : ص ٢٤٩

وِيَا حَاتِي التَّرَابِ عَلَيْهِ مَهْلًا كَسَفَتْ بِهِاءَهُ ذَاكَ الْبَيْهَرَا

أراد الباهر فقال البهير .

وقال : ص ٢٥٠

وَرَوْضَ سَاحَتِيهِ كَأَنَّ وَشْيَا يَحْمِلُ بِهِ وَدِيهَاجًا نَشِيرَا

يريد بالتشير المنشور . ومعنى التشير في كتب اللغة المثرر والزرع جمع وهم لا بدوسونه .
وقال : ص ٢٥٠

إذا خطر النسيم عليه أهدى إلى زواره أوجاً عطيراً

أراد بالعطير العطر . ولم تذكر دواوين اللغة العطير .

وقال : ص ٢٦٥

تتوق إلى النمود البيض فيها وتشتاق الرماح بها الركازا

يقال ركز الرمح ركزاً : غرزه في الأرض . أما الركاز فالمعادن تحت الأرض .

وقال : ص ٣١٨

ولئن غدوت الفرد في نيل العلى والمجد فالقمر المنير فُراد

يريد به (فراد) أنه فرد ووجه الصواب في استعمالها ليس كذلك .

ومما أغري به استعمال صيغة استفعل ومستفعل فيما يشاء من الأفعال قياساً

مطرداً ولو لم ينص عليه من ذلك قوله : ص ٢٠٧

ويوم أخذنا به فرصة من العيش والعيش مُسْتَفْرَص

وقوله : ص ٢٠٩

وتوجهها الشرب نارنجة فخلت المدبة تَسْتَخُوصُ

يقال أَخَوَصَت الخلة : أخرجت الخوص وهو ورق النخل . ولم يقولوا استخوصت .

وقوله : ص ٢٠٩

ودوح أغاني قنريه يهز اللبيب ويسترقص

وقوله : ص ٢١٤

يا قول قولة مكمد مُسْتَنْزِر ماء الشؤون له ونار الأضلم

وقوله : ص ٢١٦

قد كنت أمرهم لم تاد الندى كفا وأسرعهم إلى المستفزع

وقوله : ص ٢٥٧

كتم الصنائع فاستشاع ثناؤها من ذا يصد الصبح عن أن يشرقا

وقوله : ص ٣٦١

وقد استشاد لك الشناء فما ترى إلا بليغا بامتداحك مفلقا

وما استعمله من هذه الصيغة على وجه الصواب مثل يستخلص ويسترخص ويستقص من ٢١٠ ويستذل من ٢١٥ ويستضحك من ٢٠٨ فغير قليل .

وعجيب قوله : ص ٢٩٣

قد نال من شرف الفعال ذخيرة نبقى إذا كاد الزمان مزولا

فقد نصب الفعل المضارع ولا ناصب له هنا .

وفي شعره تعابير محلبة لا تزال جارية على السنة المماشقة إلى اليوم

منها قوله : ص ٢٢٤

وما إن ذاك تقصير بحق ولكن الأسي قيد اللسان

وقوله : ص ٢٨٦

لا يأتلي من ذهب يلفه مني ومن درام بحوشها

فقوله (تقصير بحق) تعبير يستعمل كثيراً في كلام أهل دمشق إلى اليوم وكذلك (ألف) الشيء يلفه أي اختلسه أو اغنصبه ، وحاشه أي أصابه وجمعه وساقه .

هذه أمثلة من المأخذ لم نوردنا على سبيل الاستقصاء بل على سبيل المثال ، ونرجع أن ثقافته اللغوية كانت تزداد مع الزمن حتى عد (عارفاً باللغة) كما

يقول الصلاح الصفدي ولعل قوله يعاتب قوماً من العرب : ص ١٦٧

مَوَاعِدُ مَرَضِي كُلِّمَا قَلْتُ قَدْ بَرَأَ لَكُمْ مَوْعِدٌ بِالْبَذْلِ عَاوَدَةُ النَّكْسِ

يبدل على معرفة باختلاف بعض لغات العرب فإن (بَرَأَ) لغة حجازية في (بَرِيَّ) .
ولكنه كان ميالا إلى الأخذ بالرخص والتوسع بالقياس .

ديوانه

المفروض أن يكون ديوان ابن الخياط الذي وصل إلينا وحققناه على تعدد نسخه ، مختلفاً على جميع شعره ، ومن أصح الشعر رواية ؛ لأن الذي جمعه ورواه عن الشاعر وسمعه منه وقرأه عليه وأخذ عليه خطه تليذه محمد بن نصر القيسراني الشاعر المشهور (٤٧٨ - ٥٤٨) فقد رتبته ترتيباً يكاد يكون زمنياً ، فأول قصيدة فيه أنشدت سنة ٤٧٤ وعمر الشاعر أربع وعشرون سنة ، وآخر قصيدة فيه كتب بها الشاعر إلى ابن القلانسي سنة ٥١٧ وهي السنة التي توفي فيها الشاعر . وقد ذكر عن هذا الشاعر أنه « كان مكثراً محسناً مجيداً وأنه كان يحفظ شعره منذ بدأ بقول الشعر إلى أن مات » واختار أبو طاهر أحمد ابن محمد السلفي العالم المحدث الأديب (٤٧٢ - ٥٧٦) مجلدة لطيفة من شعره وسمها منه .

والذي نراه أن الديوان لم يحيط بجميع شعر ابن الخياط ، بل جمع على سبيل الاختيار مما ارتضاه الشاعر لنفسه وأجاز روايته عنه وأسقط ما سواه ، لأن الديوان متوسط غير كبير لا يزيد على ٣٣٠٠ بيت ، على ما اشتهر عن صاحبه من أنه مكثر شديد العارضة متدفق الطبع كثير الارتجال ، يضاف إلى ذلك خلو الديوان من شعر الصبا أي ما قاله قبل أن بلغ العشرين من سنه ، وشاعر مطبوع مثله لا بد من أن يكون قد قال غير قليل من الشعر قبل العشرين .
ومما يمكن فهذا الذي ارتضاه الشاعر لنفسه . ونسخ الديوان المخطوطة التي حصلنا عليها أو على صور منها عند تحقيق الديوان ثنائي نسخ ترجع إلى أصلين وفروع .

الأصل الأول : رواية القيسراني وترتيبه وعدد نسخ هذا الأصل ست .
 فرع من الأصل الأول : نسخة من رواية القيسراني ولكنها مرتبة على
 حروف المعجم .

الأصل الثاني : نسخة تختلف في ترتيبها عن كل ما تقدم كما تختلف بالزيادة
 والنقص وهاك وصف كل نسخة على حدة :

١

نسخة الإسكوريال المحفوظة في الإسكوريال تحت رقم ٣٧٥ والمرموز اليها
 بحرف (س) كتب على ظاهرها بستة أسطر ما يأتي : « ديوان الأديب اللبيب .
 البليغ الأريب الشيخ . شهاب ^(١) الدين أحمد بن . محمد بن الخياط . رحمه
 الله . تعالى » . وفي أعلا الزاوية اليسرى من هذه الصفحة تملك بثلاثة أسطر
 هذا نصه : « الحمد لله . من كتب عبد الله تعالى زيدان ^(٢) أمير المؤمنين بن أحمد
 المنصور بالله . أمير المؤمنين الحسيني خار الله له . »

عدد صفحاتها ١٥٩ صفحة في كل صفحة ٢١ سطراً بخط مقروء واضح
 والنسخة تغلب عليها الصحة ، وترتيب القصائد فيها يكاد يكون زمنياً . وقد
 ورد في آخرها ما نصه :

« تم الديوان على ما قرره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط من نسخة الشيخ
 أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي . »

(١) كل من ترجم لابن الخياط لم يعرفه بهذا اللقب الذي كان يلقب به أكثر من
 اسمه أحمد .

(٢) زيدان بن أحمد من ملوك المغرب كان فقيهاً مشاركاً متضلماً في العلوم وله تفسير
 على القرآن ، وله شعر ، وفي أيامه أخذ قراصين الاسيان مركباً له من جملة
 ما فيه ثلاثة آلاف كتاب من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك منها
 ديوان ابن الخياط . وكانت وفاته سنة ١٠٣٧ « انظر الاستقصا لأخبار دول
 المغرب الأقصى للسلاوي ٣ / ١٢٨ » .

قال مؤلفه كل ^(١) ما رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد ابن نصر بن صغير فهو ماسمعه مني وقرأه عليّ ، وما رواه غيره يخالف ما في نسخته هذه فلا يعتد به . وكتبه أحمد بن محمد بن علي الخطاط في سنة سبع عشرة وخمسمائة والحمد لله وحده وصلى الله على من لاني به .

« ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة في شهر شوال سنة أربع وثمانين وتسعمائة ، على يد الفقير الحقير محمد بن علي الاحلافي الأزهرى الشافعي غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين » .

٢

النسخة الظاهرية المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٣٩٧٤ والرموز اليها بحرف (ظ) كتب على ظاهرها بستة أسطر ما يأتي :

ديوان الشيخ الأجل . أبي عبد الله محمد ^(٢) بن أحمد بن الخطاط . الدمشقي
تغمده الله برحمته . وكتبه والمسلمين . آمين . آمين .

عدد أوراقها ٨٧ ورقة سقط منها الورقة الثانية فبقي ٨٦ ورقة في كل صفحة تسعة عشر سطراً وخطها حسن وأغلاطها قليلة ولا تكاد تختلف عن نسخة الإسكوريال ، وعناوين القصائد مكتوبة بالخير الأحمر على الأكثر وقد تكون بالخير الأخضر وبها معاً . ورد في آخرها ما نصه :

« تم الديوان بأمره على ما فوره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخطاط من نسخة قال فيها من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي . ثم قال أيضاً كتبته من نسخة عليها خط الشيخ أبي عبد الله بن الخطاط رحمه الله

(١) رسماً في الأصل : كلما .

(٢) كذا والصواب أحمد بن محمد .

بما نسخته كل^(١) ما رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ما سمعته مني وقرأه علي^٠ وما رواه غيره فخالف ما في نسخته هذه فلا يعتد به^٠ وكتبه أحمد بن محمد بن علي بن الخياط في سنة سبع عشرة وخمسمائة وافق الفراغ من تحرير هذه النسخة المباركة في يوم الأحد المبارك سابع عشر ربيع الأول من شهور سنة خمس عشرة وألف ختمت بخير علي يد الفقير يوسف ابن علي الملاح سبط الشيخ الحنفي غفر الله له ولوالديه والمسلمين^٠

٣

النسخة الأيوبية المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٧٣٢٩ والرموز اليها بحرف (ي) كتب على ظاهرها بأربعة أسطر ما يلي :

« ديوان الشيخ الفاضل العالم أبي عبد الله^٠ أحمد بن محمد بن الخياط رحمه الله تعالى^٠ وغفر لنا وله ولجميع المسلمين^٠ آمين^٠ » وتحت ذلك إلى اليسار : « تملكه الفقير محمد عطاء الله بن السيد محمد سعيد الأيوبي » وتحت ذلك « تملكه الفقير محمد علي بن السيد محمد عطاء الله الأيوبي . غرة محرم سنة ٣٠ (١٣) »^٠
عدد أوراقها سبع وتسعون ورقة صغيرة القطع ، في كل صفحة سبعة عشر سطراً ، وخطها حسن ولكنها كثيرة الأغلاط ، وقد يسقط الناسخ من بعض القصائد أحياناً سهواً أو قصداً ، وعناوين القصائد مكتوبة بالحرة^٠ ورد في فاتحة الصفحة الأولى ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم^٠ »

هذه النسخة منقولة من نسخة بخط الشيخ الأديب العالم الفاضل أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي القيسراني رحمه الله تعالى^٠ قال أنشدني الشيخ

(١) رسمت في الأصل كلها .

الأجل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن الخطيب يمدح الأمير ناصر الدين أبا القوام
وثأب بن نصر بن صالح رحمه الله تعالى (١) :

عَتَادُكَ أَنْ تَشُنَّ بِهَا مُفَارَا فَقَدْهَا شُرْبًا قُبًا قَبَارَا
وورد في آخرها ما نصه :

تم ديوان الشيخ الأجل أبي عبد الله أحمد بن محمد الخطيب وصلواته وسلامه
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . فرغ من نسخه في مستهل سنة ٩٩٣ من
نسخة تاريخها رابع عشر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسة . والأصل
المنقول منه هذه النسخة نقات من نسخة بخط الشيخ الإمام العالم الأوحـد
أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني رحمه الله تعالى وعليها خط الشيخ
أبي عبد الله أحمد بن محمد بن علي الخطيب وإجازته له بها وصحتها وصورة ما كتبه
ابن الخطيب وكل (٢) ما رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن
نصر بن صغير فهو ما سمعته مني وقرأه عليه . وما رواه غيره فخالف ما في نسخه
هذه فلا يعتد به وكتبه أحمد بن محمد بن علي الخطيب في سنة سبع عشرة وخمسة « .

عدد القصائد والمقاطع

١٤٥

٧٢٣٢ بيتاً (٣)

زيره أحقر العباد الفقير أبو بكر بن بونس

(١). وبند ذلك بضع كلمات مأروضة .

(٢) في الأصل : كلها .

(٣) كذا والأقرب إل الصحة ٣٢٣٢ .

٤

نسخة شيخ الإسلام عارف حكمة المحفوظة في مكتبته بالمدينة المنورة تحت رقم ١٢٢ والمرموز إليها بحرف (ع) كتب على ظاهرها بستة أسطر ما يلي :

« هذا ديوان الشاعر البليغ . الملقب بالأجل الكامل الأديب . الأريب الشيخ أبي عبد الله . أحمد بن محمد الخياط . الدمشقي رحمه . الله تعالى » .

وتحت ذلك خاتم كبير مدور نقش عليه بخمسة أسطر ما يلي :

« بما وقفه العبد الفقير إلى ربه الغني . أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني . في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والسلام . بشرط أن لا يخرج من خزانته . والمؤمن محمول على أمانته ١٢٦٦ » .

عدد صفحات هذه النسخة ١٧٢ صفحة في كل صفحة ١٩ سطراً وخطها مقرط ولا تخلو من الأغلط .

وورد في آخرها ما نصه :

« تم الديوان بأمره على ما قرره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صفيّر الخالدي . ورأى راقم هذه الرقوم في الأصل الذي نقلت منه هذه الرقوم ما صورته : كتيبه من نسخة عليها خط الشيخ أبي عبد الله بن الخياط رحمه الله بما نسخته : كل " ما رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صفيّر فهو ما سمعته مني وقرأه علي وما رواه غيره فخالف ما في نسخته هذه فلا يعتمد به وكتبه أحمد بن محمد ابن علي بن (الخياط) . وقال كاتب الأصل فرغ من نسخته بمدينة حلب بوري خان بن بلقي بن بوري خان يوم الثلاثاء الرابع من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

(١) في الأصل : كما .

وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل . وكان الفراغ من كتابة هذا الديوان المبارك سنة أيام خلون من شهر شوال سنة ١٢٣٨ على يد الفقير إلى الله محمد محمد محمد الوجيه المالكي وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٥

النسخة المصرية المحفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٣٩٢ والمرموز إليها بحرف (م) نسخة جديدة حسنة الخط صحيحة وقد تكون أقل النسخ أغلاطاً . عدد أوراقها ٧٩ ورقة في كل صفحة ٢١ سطراً . ورد في آخرها مانصه : تم الديوان بعون الله الملك المنان . ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

٦

نسخة الأستاذ عبد الله كنون المحفوظة في خزائنه والمرموز إليها بحرف (ن) وهي أقدم النسخ التي بين أيدينا خطها مشرقى من خطوط القرن السادس كُتب على ظاهرها بخط مغربي ما يأتي : « الحمد لله تملك هذا المجلد المشتمل على ديوان الأديب البليغ ابن الخطيب الدمشقي بالشراء من السيد محمد بن سيدي محمد حدوش الخالدي بثمان مئة وست موزونات ونصف في غرة ربيع الثاني عام أربعة وستين ومائة وألف . عبيد ربه محمد بن صالح » .

وقد سقط من أول النسخة ورقتان ذهب معها القصيدة الأولى من الديوان التي مطلعها :

عَتَادُكَ أَنْ تَشُنَّ بِهَا مُفَارَا قَقْدُهَا شُرْبًا قُبَا تَبَارَى
ولم يبق منها إلا البيتان الأخيران .

وفي أعلا الورقة السادسة منها على هامشها كتابة بخط مغربي يختلف عن خط الأصل ذكر كاتبها أنه نقلها من نسخة محمد بن أحمد خطيب دارياً سنة ٧٩٤ . عدد أوراق هذه النسخة ١٣٣ ورقة في كل صفحة منها ١٣ سطراً وهي حسنة قليلة الأغلط . وقد ورد في آخرها مانصه : « تم الكتاب والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسلياً » . وفي الصفحة التي تلي الخاتمة تعليقات مختلفة تاريخها سنة ٦٠٨ .

٧

النسخة التيمورية المحفوظة في خزانة المرحوم أحمد نيمور باشا والرموز إليها بحرف (ت) هذه هي النسخة المخطوطة الوحيدة من ديوان ابن الخطيب المرتبة على حروف الهجاء لا تختلف عن النسخ الست التي تقدم وصفها إلا في الترتيب ، يعني أنها تعتمد على رواية القيسراني في النص لا في الترتيب . ونرى أنها من عمل بعض الأدباء الذين يفضلون الترتيب الهجائي في الدواوين لتيسير المراجعة . ورد في أولها ما صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه الهداية . حدثنا الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي قال أنشدني الشيخ الأديب أبو عبد الله أحمد ابن محمد الخطيب الدمشقي لنفسه على قافية الألف يمدح القاضي نضر الملك أبا علي عمّار بن محمد بن عمّار :

هبوا طيفكم أعدى على النأي مسراه فن لمشوق أن تهوّم جفناه »

عدد صفحاتها ١٦٠ صفحة في كل صفحة ٢١ سطراً وخطها حسن ولكن الأغلاط فيها غير قليلة . وورد في آخرها مانصه : تم الديوان . ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

٨

نسخة كويتهاغ المحفوظة في دار الكتب هناك تحت رقم ٢٦٤ والمرموز إليها هنا بحرف (ك) . هذه النسخة تختلف عن جميع النسخ التي سبق وصفها بالترتيب والرواية والزيادة والنقص ، وجامعها غير محمد بن نصر القيسراني ، ولكنه أديب آخر معاصر لابن الخطيب يروي عنه شعره .

عدد أوراق النسخة ١٣٨ ورقة في كل صفحة ١١ سطراً وخطها حسن من خطوط القرن الثامن ، وقد كتب على حواشي ستين ورقة من أوائل النسخة من الورقة رقم ١٠ إلى الورقة رقم ٧٠ كتاب نصيحة الملوك للأمام الغزالي بخط يختلف عن خط المتن .

وكتب على ظاهره بثلاثة أسطر ما نصه : « ديوان الشيخ أبي عبد الله . أحمد بن محمد بن الخطيب الدمشقي . رحمه الله تعالى » .

وورد في الصفحة الأولى ما صورته : « بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ أبي^(١) عبد الله أحمد بن محمد بن الخطيب الدمشقي يمدح الأمير مجد الدين عضب الدولة جمال الملك زعيم الجيوش أبا منصور أثنى^(٢) بن عبد الرزاق عند وروده الى دمشق سنة سبع وثمانين وأربعمائة :

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَانًا لِقَلْبِهِ فَقَدْ كَادَ رِيَاها يَطِيرُ بِلَبِّهِ »

وترتيب الديوان في هذه النسخة كما يلي : أورد جامعها أولاً ما قاله الشاعر في عضب الدولة ثم ما قاله في تاج الملوك بوري بن طفتكين . واستغرق هذا

(١) كذا .

(٢) كذا والصواب أثنى .

القدم سبعين صفحة وورد في ختام هذا القسم ما نصه : « هذا ما علقته من إملائه رضي الله عنه ولم أجد عشره في ديوانه عند جامعي شعره ومدوني شكره ثم أعود إلى ما نظمه في عنفوان شبابه وزمان اطرايه وأبعدي بالسابق من مدائحه والمستغرب من قرائحه فأجعل مدح كل بمدوح يتبع بعضه بعضاً على الوضع المتقدم في كل رئيس ومقدم ثم لا صدر في صدره عن اعراضه ^(١) باباً مفرداً وما رأيت أن أقدم على مدائح المولين المذكورين نور الله ضريحهما من الجماعة ^(٢) بمدحهم أحداً » .

ثم أورد بقية ما جمعه من شعره مرتباً ترتيباً يكاد يكون زمنياً . وجاء في آخر الديوان ما نصه : « هذا آخر ما انتهى من أشعاره وانتظم » ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

وقد يكون جامع هذه النسخة أبا طاهر أحمد بن محمد السلفي المحدث العالم الأدب الذي عاصر الشاعر ، فقد ذكر عنه أنه اختار مجلدة لطيفة من شعره وسميها منه ^(٣) .

ولقد أخذنا ما فيها من الزيادة وأشرنا إلى ما فيها من نقص واختلاف في الرواية .

خليل مردم بك

(١) لمبا أغراضه .
(٢) لعل الصواب : « من بمدحهم أحداً » .
(٣) حبر أعلام النبلاء قدمي (مخطوط) .

كلمات مولدة مشهورة في كتاب «قوانين الدواوين» لابن همتاني^(١)

من المعلوم أن الأمهات من مجامعنا العربية لا تشتمل على جميع الألفاظ التي عرفت في العرب في زمن الجاهلية وفي صدر الاسلام . فهناك ألفاظ خلت منها المعجمات المذكورة على حين أنها وردت في شعر الفحول من الشعراء المخضرمين . وهناك آلاف من الألفاظ التي سميت مولدة استعملها الكتاب في كتبهم العلمية والأدبية بعد أواخر القرن الثاني الهجري في الأمصار ، وبعد أواسط القرن الرابع في جزيرة العرب . وكثير من هذه الألفاظ لم تذكرها المعجمات ، أو ذكرت بعضها وخصته بقولها إنه لفظ مولد أو عامي ، وقولها هذه لغة مصرية أو شامية ، أو مثل ذلك .

وقد كان المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي تلا علينا منذ ثلاثين سنة ونيفاً^(٢) في جلسة مماثلة لجلستنا هذه حديثاً تناول فيه مائتا (الكلمات غير القاموسية) وهي الكلمات المولدة والعامية ، وقسمها سبعة أقسام ، ورغب إلينا - أي إلى أعضاء الجمع - أن نبدي رأينا فيما يجوز وما لا يجوز استعماله منها أو ادخاله في معجمتنا الحديثة ؛ فأجاب ثمانية عشر عضواً من أعضاء الجمع عن هذا الاستفتاء ، ونشرت أجوبتهم في المجلد الثامن والمجلد التاسع من مجلة الجمع . ثم عاد الفقيه المغربي إلى هذه الأجوبة فخلصها في المجلد الثاني عشر من المجلة ، وانتهى إلى قوله حرفياً^(٣) :

(١) بحث ألفاء الأمير مصطفى الشهابي نائب رئيس الجمع العلمي العربي في جلسة الجمع الختامية لسنة ١٩٥٨ .

(٢) انظر ج ٨ ص ٢٩ من مجلة الجمع العلمي العربي .

(٣) ج ١٣ ص ٥٨٨ من مجلة الجمع .

«والفتوى الصريحة والقول الفصل في الأصناف السبعة : أن العامي لا يجوز استعماله في اللغة التي يتخاطب بها الخواص ولا تدوينه باعتبار أنه لفظ عربي . أما سائر الأصناف فتقبل وتُستعمل وتدون بشيء من التحفظ والاحتياط في الصنف الثالث (وهو الكلمات الاصطلاحية) والصنف الرابع (وهو الكلمات المولدة)^(١) والصنف الخامس (وهو الكلمات المعربة) . فيحسن في هذه الأصناف الثلاثة استعمال ما يقوم مقامها من اللغة الفصحى إن أمكن والا استعملت من دون تكبير » .

وفي أجوبة أعضاء المجمع الملحق بهم آراء طريفة ، وفوائد كثيرة . لكن هذا الموضوع ظل معلقاً تعالجه أقلام الكتاب بين آونة وأخرى حتى جاء مجمع اللغة العربية في القاهرة فوضع في المولد القرار الآتي :

«المولد هو اللفظ الذي استعمله المولدون ، على غير استعمال العرب ، وهو فسمات :

- ١ - قسم جروا فيه على أقبسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات أو غير ذلك ، وحكمه أنه عربي سائغ .
- ٢ - وقسم خرجوا فيه على أقبسة كلام العرب إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب ، وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره (أي قرار التعريب) ، وإما بتعريف في اللفظ أو في الدلالة لا يمكن معه التخرج على وجه صحيح ، وإما بوضع اللفظ ارتجالاً .

والمجمع لا يميز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام » .
ومها تكن القواعد المنبذة في موضوع المولد من الكلام فالحقيقة أن كل كلمة مولدة ، من أي صنف كانت ، تحتاج إلى دراسة خاصة عميقة لمعرفة صلاحها

(١) يريد الكلمات العربية التي ولدها التأخرون مثل فعل خاربه بمعنى راسله ، وتفروج على الشيء واحتار في أمره الخ .

للدخول أو عدم الدخول في معجمائنا الحديثة ، وهو شيء لا يجهله الذين يعانون تأليف الكتب العلمية ، ولا سببا الذين يضعون أو يحققون ألفاظ المصطلحات العلمية الحديثة .

والكلمات غير القاموسية تعد بالألوف . وقد عثرتُ في كتب الفلاحة وكتب المفردات القديمة على عدد كبير منها ذكرته في معجمي . وعندما كنت في القاهرة في الشتاء الماضي عدتُ الى دراسة المصطلحات في كتاب الفلاحة الاندلسية لابن العوام الاشبيلي وفي كتاب قوانين الدواوين لابن مَمَّارتي ، واستخرجت من الكتاب الثاني خاصة أكثر من خمسين كلمة لم ترد في المعاجم الأصلية ، ولكنها ما برحت تستعمل في أيامنا هذه مثلاً كانت تستعمل في زمن الفاطميين والأيوبيين .

ولا بد لي من ذكر كلمة في غايه الابهاز عن ابن مَمَّارتي وكتابه ، قبل أن أتكلم على بعض الكلمات المولدة الملمع اليها التي هي بيت القصيد في هذا البحث . فتؤلف كتاب (قوانين الدواوين) هو الأسعد بن مَهْدَب بن مَمَّارتي ، كان جده المسمى أبا لليلح قبطياً مسيحياً من أصبوط في صعيد مصر ، كتب في ديوان مصر لأمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمي . وبعد وفاته تولى ابنه (المهذب) ديوان الجيش في أواخر عهد الفاطميين وأسلم هو وأسرته . ثم تولى من بعده ديوان الجيش ابنه الأسعد الذي تكلم عليه ، وظل محتفظاً بهذا الديوان ثم بديوان المال طيلة أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي وأيام ابنه العزيز عماد الدين عثمان . وفي زمن الملك العادل سيف الدين أبي بكر أكثر الواشون به ففر الى حلب حيث أكرمه الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين ابن أيوب ، وتوفي فيها سنة ٦٠٦ من الهجرة .

وكان ابن مَمَّارتي أديباً وشاعراً له تصانيف كثيرة ، ترجم له ياقوت في معجم الأدباء ترجمة وافية ، والمعني في عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ،

والسيوطي في حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، والزبيدي في التاج ؛ وذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ، والمقريزي في خططه - وما قاله باقوت فيه : « أحد الرؤساء الأعيان الجلة ، والكتّاب الكبراء المفضلة ، ومن نصراف في الاعمال ، ووُلي رئاسة الديوان ، وله أدب بارع ، وخاطر وقاد مسارع ، وقد صنف في الأدب الخ ١٠٠ » .

وذكر له المؤرخون ولا سيما باقوت تصانيف أدبية كثيرة لا مجال لذكرها . ولعل أهم مصنفاته كتاب (قوانين الدواوين) هذا . وقد ذكر المقريزي أنه أربعة أجزاء ضخمة ، وأن الذي يقع في أيدي الناس جزء واحد اختصره منه غير المصنف .

ومن المؤلف ضياع الأصل أي الأجزاء الأربعة . ومع هذا ففي المختصر معلومات جد مفيدة على مصر وأعمالها ونواحيها وضياعها وجزائرها وموانئها وخليجائها وترعها وجسورها وحراجها السلطانية وأصناف مزروعاتها وأوان زراعتها وإدارة مزارعها ومساحة أراضيها وأحكام مستغلاتها وما يزرع فيها من حبوب وقطاني وبقول وشجر ، ودواوين الحكومة وسجلاتنا والضرائب التي تستوفى عن الفلات وغيرها الى آخر ما جاء في الكتاب من معلومات فيها صورة مفيدة لما كانت عليه الأوضاع الزراعية والحكومية في مصر في عهد الملوك من بني أيوب .

وقد عُثر على بضع نسخ مخطوطة من الكتاب المختصر منها نسخة في مكتبة غوطة Gotha من أعمال ألمانية ، يرجح أنها 'نسخت في القرن الثامن من الهجرة ، ونسخة في مكتبة أياصوفية في اسطنبول 'نسخت في القرن التاسع للسلطان قايتباي من الممالك البرجية .

وفي سنة ١٩٤٣ أنفقت الجمعية الزراعية في مصر على طبع الكتاب المختصر ، بعد أن حققه الأستاذ المؤرخ عزيز سوريال عطية معيماً بخاصة على النسختين الملصق بهما .

وفي النسختين أغلاط لغوية عديدة نقلها المحقق على ما وردت دون بيان صحتها ، وهي تدل على أن الذي اختصر الكتاب أو الذين اختصروه ونسخوه قد شوهوا كثيراً من جل ابن عماتي وهو بعد أدب كبير لا تصدر عنه جل ركيكة أو مغلوطه كالتي وردت في النسخ المذكورة .

ومما يمكن من أمر الكلمات المولدة التي اشتمل الكتاب عليها والتي هي موضوع حديثنا هذا كانت تستعمل في زمن الأيوبيين ، أو على الأقل في زمن الماليك الذين أتوا من بعدهم .

وهاكم جملة من الكلمات المذكورة :

المُحَمِّضَاتُ أَوْ الْمُحَمِّضَاتُ .

يطلق المصريون اليوم كلمة الموالح ، والشاميون كلمة الحوامض و كلمة الحَمِضِيَّات على ما يسمى بالفرنسية Agrume وهو اسم شامل للثمار جنس الليمون Citrus من الفصيلة البرتقالية كالبرتقال والأترج والنارج والليمون الحامض واليوسفي وليمون الجنة « غريب فروت » وغيرها . وقد سماها ابن عماتي المُحَمِّضَاتُ أَوْ الْمُحَمِّضَاتُ . ولهذا التسمية وجه . ففي القاموس مُحَضَّ وَحَضَّ وَحِضَّ وَحَمَضَ وَحُمُوضَةٌ ، وَأَحْمَضَهُ . ومن الغريب أن الزبيدي قد سها عن ذكر أحضه المتعدي في التاج . فالمُحَمِّضَاتُ يمكن تفسيرها بالتي تجعل الشيء حامضاً . أما المُحَمِّضَاتُ ففي مستدرك التاج : « والمُحَمِّضُ من العنب كحدث الحامض . وَحَضَّ تَحْمِضًا صار حامضاً . فقول ابن عماتي (المُحَمِّضَاتُ) اسماً لثمار البرتقاليات معناه الثمار الحامضة .

ولم يرد في المعجمات على الثمار المذكورة إلا أن ما في جوف الأترج يسمى الحَمَاض . ومن المعلوم أن كلمة الحَمَاض تدل أيضاً على نبات معلوم ، وأن

الخص في كتب اللغة تطلق على ما ملّح وأمر من النبات خلافاً للخلّة .
 ولم يذكر دوزي في معجمه المصنّعات ولا الموالح بمعنى الثمار المذكورة .
 والذي أراه أن كلمات المصنّعات والمصنّعات والحماض والخصيّات
 كلها يجوز استعمالها اصطلاحاً للدلالة على ثمار الفصيلة البرتقالية ؛ ومن الأرجح
 الانتصار على أحدها . أما الموالح فهي لا تصلح لهذا الغرض . وهي لم ترد
 الا مرة واحدة في احدى النسخ التي اختصر فيها كتاب (قوانين الدواوين) .
 وبقلب على الظن أنها من كلام الناسخ .

وعلى الرغم من انتشار كلمة الموالح في مصر ، فقد أخذ الزراعيون فيها
 يستعملون في كتبهم الى جانبها كلمتي الحوامض والخصيّات .

الفكّاهون . استعملت كلمة الفكّاه بمعنى بائع الفاكهة ، على حين أن
 صيغته قد منع هذا الاستعمال في قوله : « ولا يقال لبائع الفاكهة فكّاه
 كما قالوا لبّان وتبّال لأن هذا الضرب انما هو مماعى لا اطراي » . قلت
 لقد جاء في المعجمات كثير من الحكم على هذا الوزن كالحنّاط والورّاق
 والبّدال والسمان والثمار والتبان والحمام والأبّار وغيرها كثير ، وكلها تطلق على
 بائعي هذه الأشياء . ومع هذا فنحن في غنى عن استعمال الفكّاه مادام عندنا
 كلمة صحيحة تقوم مقامها وهي كلمة الفكّهاني المشهورة .

وكما أن وزن (قَمَال) كثير الورد كذلك النسب بالياء كقولهم إِبْرِيّ
 وِحْمِيّ وِحْنَانِيّ وَأُسْنَانِيّ وِبَاقِلَانِيّ وِبَقْلِيّ الخ .

ولجمع اللغة العربية قرار في هذا الموضوع ذكرته في البحث الذي ألقيناه على
 الزملاء في مثل هذا التاريخ من السنة الماضية .

النَّصْبُ والنَّصْبَةُ . من العناوين التي جاءت في كتاب قوانين الدواوين
 « أوقات نصب الأشجار » أي غرسها . والنَّصْب بهذا المعنى مشهور في أيامنا

هذه . وكذلك التَّصْبَةُ للغمسة . وقد وجدتُ النصبَةَ هذه في تاريخ حلب لابن العديم ، الذي حققه الدكتور سامي الدهان . ووجدتُ النصبَةَ في كتاب عَلمُ الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي ؛ وأورد دوزي الكلبيين ، ولكنه نقل عن محيط المحيط وغيره من الكتب الحديثة . ولم ينقل عن كتاب قديم دلالةً على قدم استعمالها .

السَّبَاخُ والتَّسْبِيخُ . لم ترد السَّبْخَةُ ولا السَّبْخَةُ ولا السَّبَاخُ في المعجمات

بمعنى الزبل أو السجاد أو القامة أو الزبل المتترَّب ، على حين أن كلمة السَّبَاخ شائعة في مصر تدل على هذا المعنى في أيامنا هذه . وقد ذكرها ابن ممتقي وابن العوام وغيرهما بهذا المعنى ، كما ذكروا التسبيخ بمعنى التزليل والتسميد . ولم ترد كلمة التسبيخ بهذا المعنى في المعجمات . ومن الواضح أن استعمالها قديم .

التَّخْيِيشُ والتَّشْوِينُ والتَّكْيِيسُ . أفعال اشتقها المولدون من أسماء أعيان

ثلاثة وهي الحَيْشُ والشُّونَةُ والكَيْسُ بمعنى وضع الأشياء في الأنخياش والشُّونَ والأَكْيَاسُ . وقد ذكر ابن ممتقي التخييش والتشوين ، ولم يذكرهما دوزي في قاموسه . أما فعل التكييس فلم أجده في قوانين الدواوين . وذكره البستاني بهذا المعنى في محيط المحيط ، ونقله دوزي عنه ، كما نقل معنى التدليك في الحمامات . وكلا المعنيين مشهور في أيامنا هذه .

والشُّونَةُ بالفتح معربة تطلق على الأنبار والمُرِّي أي مخزن القلة ، وتجمع على شُونٌ ؛ والشُّونَانُ خازن القلة على ما جاء في مستدرك التاج .

الكَسَحُ والزَّيْبَارَةُ . 'تستعمل كلمة الكسح اليوم بمعنى التقليل والتشذيب

والتقصيب أي قطع أخصان الشجر أو فروعها لأغراض زراعية . وقد جاء في إحدى النسخ من كتاب ابن ممتقي قوله : « وفيه تُكْسَحُ الكروم بأرض مصر » ، أي في شهر أশير ، وأكثر أيامه تكون في شباط (فبراير) . وذكر ابن العوام

الكسح في أماكن كثيرة من كتاب الفلاحة الأندلسية ، وسعى مُقَلِّمُ الشجر كسّاحاً . أما ابن عَمّاتي فقد أكثر من استعمال التقليم بدلاً من الكسح . ولم أصادف في كتاب (قوانين الدواوين) زَبْر الكروم وزبارتها أي تقليمها ، على حين أن ابن العوام استعمل الزبارة في كتابه ، وكذلك ابن البيطار في مفرداته (مادة قفر اليهود) ، وقسطا بن لوقا في كتاب الفلاحة اليونانية ، والنزال في ج ٧ ص ٣٧٢ من نفح الطيب ، وغيرهم .

التقوية والتقاوي . كلمة التقاوي مشهورة في مصر خاصة حيث تطلق على الزبارة أي البذور المعدة للبذر . وتطلق في بعض كور الشام على ما يستلفه المزارع من صاحب الأرض نقداً أو عينا . وقد وردت في كتاب (قوانين الدواوين) تارةً وحدها في مثل « وفيه تصرف التقاوي » ، وتارةً معطوفةً على البذر في مثل « وقبضُ البذر والتقاوي » .

ومن الواضح أن التقاوي هذه من التقوية أي تقوية الفلاح بما يحتاج إليه في فلاحته إما من بذور يبذرهما في أرضه ، أو من مال يبتاع به بذوراً أو غير بذور .

الشتلة والشتل والتشتيل والمشتل . الشتل والشتلة من السريانية

تطلقان اليوم في مصر والشام على الفرس والفرسة ، ولا سببا على ما يكون من صفات النبات في الأصص والمستنبات ، ثم يُنقل إلى مستقره في البستان أو الحديقة أو المعلقة . وقد اشتق الفلاحون فعل شَتَلَ وشَتْل أي حوّل الشتل إلى مستقره ، واشتقوا من الشتل المَشْتَل أي المستنبت الذي يُربى فيه الشتل . ولم ينقل دوزي في مجمله هذه الألفاظ من كتاب قديم . وذكر ابن عَمّاتي الشتل في بحثه عن زراعة الخس والكروم .

الوَقَاف . ذكر دوزي لهذه الكلمة معاني مولدة . ولم يذكر لها المعنى الزراعي الذي ما يروح يُطلق عليها في أباينا هذه في الغوطة ، وهو الاختصاص بأعمال

الإسقاء وغيرها من الأعمال الزراعية . وقد عرّف ابن ممتي الوقاف بقوله :
« والعادة جارية أن يكون لكل وجه وقّافان ، وهما اللذان يُجوّلان المياه
الى ما يحتاج اليها » .

الخولي . هذه الكلمة مشهورة تطلق اليوم على رئيس فلاحي المزرعة ، أي
على الذي يدير شؤونها الزراعية بالنيابة عن صاحبها أو عن مستأجرها . وقد
ذكرها صاحب محيط المحيط وجمعها على خَوْلِيَّة . وجمعها آخرون على خَوْلَة ؛
وقال ابن ممتي فيها « ويحتاج الى خولي خبير بالأرض وبقاعها ، عارف
بالمزروعات وأنواعها » .

الطين . تطلق هذه الكلمة في مصر على الأرض الزراعية . ويبدو أن
هذا الاصطلاح قديم ، فقد جاء في كتاب (قوانين الدواوين) مثلاً :
« وتحتاج الى تجّار برسمها ، يُقرّر له ما ينأوله ، إما مشاهرة وإما طينا » .
الصيفي . كثيراً ما ينطق الفلاحون بهذه الكلمة إشارة الى المزروعات
التي تُزرع في الربيع وتُدرك بزورها أو ثمارها في أواخر الصيف . وجاء في
كتاب (قوانين الدواوين) : « . . . وفيه زراعة الصيفي » . ولم أجد لكلمة
الصيفي هذه تخرجاً . ولو قيل زراعة الصيفي لكان لذلك وجه ، لأن من
معاني الصيفي في المعجمات الكلاً ينبت في الصيف . والعامة تجمع على هذا
الوزن ، كقولهم شَرَقِيّ وشَرَافِيّ ، وبَدَرِيّ وبَدَارِيّ ، وعَوَسِيّ
وعَوَامِيّ .

العِمارة . من معاني العِمارة عند الفلاحين الزيل والتزيل وإحيااء الأرض ،
أي قلع نباتاتها البرية وأحجارها ثم حرثها لاتخاذها مُرَدَرًا . والعِمارة عند سكان
المدن ، تشييد الأبنية ، والأبنية المشيدة . وذكر دوزي عن بعض القدماء
ومنهم الإدريسي أنها وردت بمعنى الحقل والمزروع . ولم يذكر ورودها في

كتاب قديم بمعنى التسعيد أو إحياء الأرض ، على حين أن ابن مماتي وغيره من القدماء أوردوها بهذا المعنى .

الشُّوح . الشوح من الكلمات المشهورة في الشام . وهي تدل على نوع من أنواع التثوب اسمه تنوب كيليكية ، يوجد في حراج اللاذقية ، وبكثر في جبال طورس ، وبأثنا خشبه منها ومن رومانيا على الأخص . وقد وجدت هذه الكلمة في مخطوط كُتب للسلطان صلاح الدين الأيوبي حيث جاء : « وبنو الأصفر ومن جانبهم من الروم يعتدّون رماحاً من الخشب الزان والشوح وما شاكلة ويسمونها القنطاريات » .

أما ابن مماتي فقد ذكر أشكالاً من خشب الشوح في أيامه منها : « شوح ضيق وشوح جنّوي » وشوح صخري وشوح نولي وشوح طويل الخ . « وقال دوزي في قاموسه إن الشّاحة والشّاح والشّوح 'تطلق على الصنوبر والتنوب ، نقلاً عن قاموس اللجيب افرنسي - عربي ، وعربي - افرنسي ألفه هيلو Hélot وطبعه في الجزائر . ولم ينقل دوزي عن كتاب قديم .

اللاطّة . كلمة شائعة 'تطلق على خشبة 'تستعمل في نجارة الأبنية . وقد نقل دوزي عن محيط المحيط أنها خشبة 'يسقف بها ، ولم يذكر ورودها في كتاب قديم .

أما ابن مماتي فقد ذكرها في جملة الأخشاب كالقنطاريات والمجاديف واللشّاب والأواح الصنوبر وأنصاب الشّوح والخور والحسنيّات وعيدان السنديان والمذاري الخ .

الشّدّة . من معاني الشدة في أباينا هذه الحزمة ، وجملة من الأشياء 'يشد بعضها الى بعض . وقد نقل دوزي هذا المعنى عن بقطر لا عن كتاب قديم . ووجدت لابن مماتي قوله : (شِدّة خيش وشدة تبن وشدة مَحصر) .

البطن . كثيراً ما يقول الفلاحون لما يُعنى من الثمر أو البقل أو الزهر جنياً على صرات منفصلة : البطن الأول والبطن الثاني ، أي الجنبة الأولى والجنبة الثانية وهكذا .

وقد ذكر ابن العوام للبطن هذا المعنى . وذكره ابن ماضي في كلامه على شهر برموده (نيسان) بقوله : « يكتر فيه الورد الأحمر والبطن الأول من الجسيز . »

التيل الهندي . نبات اسمه العلمي *Hibiscus cannabinus* 'يزرع قليلاً في مصر حيث 'تستخرج من سوقه ألياف تفتل حبلاً غلاظاً . ويزرع كثيراً في الهند حيث 'تنسج من أليافه أنساج الأكياس وأضرابها . فكلية التيل تطلق اليوم في مصر على هذا النبات . ولم أجدها في المعجمات ولا في المفردات .

* * *

وما استوقف نظري في الكتاب المذكور ورود كلمة « الحراج » وكلمة « السقي » عنوانين . وكنت ذكرت أن القدماء في كتبهم كانوا يقولون « الحراج السلطانية » لا « الغابات السلطانية » ، ويقولون السقي والإسقاء ، ترجيحاً على الري والإرواء . ففي المخصص « باب السقي » لا باب الري . ومثل ذلك في كتب الفقه القديمة .

وما استوقف نظري أيضاً قول ابن ماضي « عرجون الموز » وهو مانسميه اليوم « قرط الموز » أي قنوه وكباسته ، وهو جماع ثمره .

ومنها إطلاقه القرط على البرسيم ، وهو نوع من الفل تكثر زراعته في مصر ، والقرط مرادفة للبرسيم .

ومنها أن ابن عماري لم يستعمل الزيت بدلاً من الدهن ، فما قاله دهن
البسم ودهن الآس ودهن الزنبق وهكذا . ومن المعلوم أن الزيت عصير الزيتون
وحده . ومع هذا فقد أقر مجمع اللغة العربية إطلاق الزيت على أدهان النباتات
الأخرى ، وعلى النفط ومشتقاته ترجمة لكلمة أوبل الانكليزية .

ومنها أنه استعمل كلمتي الحوض والمسطبة بمعنى السكبة والسكبة أي
المستطيل من أرض البساتين الذي يزرع ويقام حوله أعضاء للسقي صيحا .
وبعد هذا جزء من الكلمات والمعاني المولدة التي عثرت عليها في كتاب
«قوانين الدواوين» . وترون أنها جميعاً شائعة في أيامنا هذه ، وأنها جديدة بأن
يكون لها مكان في معجمتنا الحديثة .

ومن المعلوم أن الكلمات المولدة التي خلت منها معجمتنا القديمة تعد بالآلاف ،
فما أحوجنا الى نخلها والى إقرار الصالح منها الاستعمال ، حتى لا يجد المتساهلون
ولا المثددون حرجاً في استعمالها .

مصطفى الشهابي

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

- ١ -

(١) نطاق البحث

ان مجرد نظرة بسيطة الى ما يحويه هذا البحث من النقاط الهامة ، وقلة المصادر الأساسية التي تبليغ بالباحث الى كنهه المواضيع الدقيقة المخصرة فيه ، تدل دلالة واضحة على ما فيه من الوعورة والتعقيد ، إذ ليس من السهل التطلع الى أمور تاريخية في هذه الأهمية ، والخروج منها بنتائج صائبة ، وما زال البحث فيها ضمن الترجيع ، وأحياناً في نطاق التخمين . ولكننا بعد الاتكال على الله ، نحاول هذه المحاولة وإن كانت محاولة جريئة بمجد ذاتها ، إلا أنها - إذا تكلت بالنجاح - ستضع أموراً كثيرة في هذا المضمار أمام الباحثين علمهم بتوصلون الى بعض الحقائق التي لم يبت بها الى الآن في ميدان فسيحة أرجاؤه ، بعيدة آفاقه ، مترامية أطرافه ، نظير هذا الميدان .

والعلاقات التاريخية بين هاتين اللغتين الشقيقتين ، قديمة كقدم انبثاقها من اللغة الأم ، وليس من السهل الإحاطة بكل تلك العلاقات ، وقد أرحى الزمن على معظمها سدول الإيهام ، وغطى بعضها الآخر بخمار الظلام ، إلا أننا سنلقي نظراتنا الى هذه العلاقات منذ فجرها ، ونحاول إظهار تطورها في العصور المتتالية وإن كانت مصادرنا ضئيلة في هذا المضمار .

أما العلاقات اللغوية ، فنجدها أكثر وضوحاً وأقرب منالاً من الأولى

لتبسر المادة اللغوية أماننا بعد دراسة دقيقة لهذه المادة في اللغتين ، وعليه يمكن الخروج بحقائق واضحة قد يستفيد منها الباحثون في هذه الناحية .

والوجهة الأدبية في علاقة اللغتين الشقيقتين ، هي الوجهة الجميلة المشرقة ، لأنها تتصل بصميم الحياة المثلى فيها ، والمرور في هذه الخمائل العابقة بعبير الشعر والأدب الحي ، هو لدينا كالمرور في جنة غناء تجري من تحتها الأنهار .

أما الوجهة الفنية ، فإنها وجهة الجمال الحي المتصل بالذوق الفني ، وهي أساس أول لسير اللغتين في اتجاه واحد ، من ينبوع الأول الى المحجة الأخيرة ، وليس الفن إلا أساساً للذوق السليم ، والشعر الجليل ، والأدب الرفيع ، والتاريخ الصحيح .

فنطاق البحث إذاً يتصل بكل هذه الأهداف الهامة ، ويشمل كل هذا الفضاء العلمي الواسع ، فالى ذلك أيها القارئ الكريم ، وقبل أن نضع على بساط البحث أي شيء من هذه النقاط الأربع ، يجدر بنا أن نلقي بعض النظرات الى اللغة السامية الأم ، لأن ذلك يتصل بصميم بحثنا ، ولأنه لا يمكن ولوج أبواب هذا البحث الدقيق دون العودة الى ينبوع الأول والمصدر الأصلي لهاتين الشقيقتين الكرئيتين .

(٢) السامية والساميون ، واللغة السامية الأم

١ - التسمية السامية . - ادعت دائرة المعارف البريطانية ^(١) أن أول من استعمل كلمة « اللغات السامية » لهذه المجموعة من لغات الشرق الأوسط هو شلوئزر Shlozer في بحوثه التاريخية سنة ١٧٨١ م ^(٢) ، وجاراه في هذا

(١) دائرة المعارف البريطانية بعنوان Semitic languages ص ٦١٧ الطبعة ١١

المجلد ٢٤ .

(٢) Eichoyns Repertorium Bd 8. p. 161

الادعاء اسرائيل ولغسون في كتابه « تاريخ اللغات السامية »^(١) ، ثم سري هذا الزعم عند علماء المشرقيات ، ولكن المصادر السريانية تدحض هذا الزعم ، وتؤيد أن هذه التسمية قديمة العهد جدا ، يرتقي تاريخها الى ما قبل القرن السابع الميلادي ، وأول عالم سرياني أطلق هذه التسمية على مجموعة اللغات الشرقية هذه هو يعقوب الرهاوي المتوفى سنة ٧٠٨ م^(٢) وجرى العلماء السريان على اثر الرهاوي فاستعملوا هذا الاصطلاح قبل « شلونسر » بقرون كثيرة ، منهم المؤرخ السرياني المجهول في القرن الثاني عشر^(٣) وابن العبري في القرن الثالث عشر^(٤) ، فيكون الزعم بأن شلونسر أول من استعمل هذا الاصطلاح بعيداً عن الصحة ، لأن العلماء السريان سبقوه الى ذلك بمدة قرون ، ولكن مما يؤسف له أن هذه المؤلفات ما زالت بلغتها السريانية بعيدة عن أعين الباحثين المعاصرين .

٢ - من هم الساميون ؟ وأين كان موطنهم الأصلي ؟

هذان سؤالان لا بد من الإجابة عنهما قبل البلوغ الى حديث اللغة الأم ، واليك ذلك :

الساميون هم سلالة سام بن نوح حسبما جاء في سفر التكوين^(٥) ، فعنه استقى العلماء هذه التسمية فأطلقوها على الأمم المنحدرة من تلك السلالة العظمى ، وهي تشمل أمماً شرقية كثيرة عرفها التاريخ بحضارتها القديمة ، وغزواتها الموقفة ، ودولها الكبرى في هذا الشرق كله ، وذلك منذ أقدم العصور .

(١) اسرائيل ولغسون ، تاريخ اللغات السامية ص ٢ .

(٢) الأيام الستة للرهاوي ص ١٦٨ .

(٣) التاريخ السرياني المجهول ص ١٣ طبعة رحالي سنة ١٩٠٠ .

(٤) كنز الأسرار ، الفصل الرابع .

(٥) سفر التكوين ص ١٠ .

أما موطنها الأصلي يوم كانت أمة واحدة فقد اختلف فيه الباحثون أيضاً اختلافاً شديداً ، ومن هذا الاختلاف نستطيع بلوغ الحقيقة الكبرى التي يجب إعلانها بجرأة وصراحة .

والعلماء في هذا الموضوع ثلاثة مذاهب : الأول يدعي أن الموطن الأصلي للساميين هو أرض بابل ^(١) ، ويدعي الثاني أنه هضبة أرمينيا ^(٢) ، وبذهب الثالث إلى أنها الجزيرة العربية ^(٣) ، وقد أوردنا هذه الآراء الثلاثة في بحثنا «تحقيقات تاريخية ولغوية في حقل اللغات السامية المطبوع سنة ١٩٥٣» ^(٤) ، ولم نعلق عليها بشيء ، إلا أننا الآن لا بد من التعليق عليها ، فإن لم نصب كبد الحقيقة ، نعتقد أننا نقرب منها كثيراً .

إن هذه المذاهب الثلاثة لم تسلم إلى الآن من النقص ، ولم يتفق العلماء على واحد منها ، لوجود أدلة تخمينية لكل منها ، الأمر الذي يجعلها جميعاً في حيز الظن والتخمين من جهة ، ولحاولاتها إصدار الأمم السامية الكبرى من بقعة واحدة ضيقة ، كأرض بابل ، أو هضاب أرمينيا ، أو الجزيرة العربية من جهة ثانية .

وإذا كانت كل هذه الآراء عرضة للنقد من أصحاب الرأي الآخر ، لعدم اتفاق العلماء عليها اتفاقاً تاماً ، لا بد من إيجاد رأي آخر يوضع على بساط البحث ، علّه يلقي ضوءاً ولو ضئيلاً على هذه الناحية المظلمة ، وإذا كان نصيبه نصيب الآراء السابقة فلننتظر مرة أخرى ، ربّما تظهر الكشوف الأثرية الحقيقة التاريخية الناصعة التي نوردتها .

(١) T. Guidi : Della sede dei popoli sem. (١)

(٢) T. G. Noldeke, Sem. Sprachen. p. 12 (٢)

(٣) ولفسون ص ٥ .

(٤) تحقيقات تاريخية ص ١٠ .

وبكفي الآن أن نقول إن الأمم السامية رأيناها منتشرة في بقاع كثيرة في هذا الشرق منذ أقدم العصور التاريخية ، وقد أشبع المؤرخون السريان هذه الناحية درساً وتحقيقاً . وقرروا أن نطاق المنبت السامي كان أوسع جداً مما عيّنه علماء الاستشراق ، بل ربما يشمل جميع المناطق التي ذكروها مجتمعة ، وقد أكد هؤلاء العلماء أن موطن الأمم السامية كان يمتد من حدود مصر والبحر الأحمر ، وشاطئ فينيقية وسورية ، ويشمل بلاد فلسطين وفينيقية وسورية والجزيرة العربية وما بين النهرين وآثور وأرض شنعار وبابل وحدود فارس وما يحيط بها والهند الغربية وما إليها ^(١) . وربما نفكر أن هذه المنطقة واسعة جداً لا يمكن أن تكون (منبتاً) لأمة واحدة كالأمة السامية ، غير أن واقع الحال يؤيد ذلك ، لأن الاكتشافات الأثرية دلت على أن كل هذه المناطق الواسعة وطأتها أقدام الساميين منذ أقدم العصور ، منتقلين من ربيع إلى آخر ذهاباً وإياباً ، وليس بحسب الموجات التي افترض العلماء تدفقها من بقعة واحدة من هذه البقاع .

والشيء الذي أدى بعلماء الاستشراق إلى الظن بأن الساميين وردوا إيمان حضاب أرمينيا أو من بلاد بابل ، أو من جزيرة العرب ، هو وجود آثار أقدامهم في كل هذه المناطق منتقلين لا بقر لهم قرار ، وهذا التنقل أدى إلى انقسامهم فرقاً وقبائل وأنحاذاً اتخذت كل فرقة اسماً خاصاً طبقاً لنمط حياتها ، والتفرق هذا أدى إلى تكتلات قبلية من جهة ، وإلى اختلاف اللهجات واستقلالها بمثابة لغات خاصة من جهة ثانية ، على ما سنرى عند تعريف معنى كلمة (العرب) ومعنى كلمة (آرام) .

وإذا ألقينا نظرة شاملة إلى هذه المناطق الواسعة ، لا بد لنا من تعيين «قلب» لها جميعاً يمكن أن يكون بمثابة البؤبؤ الأصيل لتدفق هذه السيول

(١) التاريخ السرياني المجهول ص ١٣ .

البشرية الجارفة ، وانتشارها وتنقلها في هذه الأرض الواسعة . ويجب أن يكون هذا « القلب » النابض مهبط أول مدينة بشرية في هذا المحيط ، وقد دلت الاكتشافات الأخيرة على أن أول مدينة رآها التاريخ نشأت في سهل شنعار^(١) . وشملت القسم الشمالي للجزيرة العربية ، وامتدت بعد ذلك الى بقية المناطق المجاورة .

ويمجدد بنا بعد الآن النظر الى هذه الآراء الثلاثة الماضية مجمعة لتكون منها رأياً واحداً صائباً ، فاذا سلمنا بالرأي القائل إن المدينة نبتت في أرض شنعار ومنطقة بابل ، نسلم حتماً بأن المدينة تفرض حياة ناعمة موفقة للاشتياك والأمر والجماعات ، لما تجنيه من الخير والبسر والرفاهة بالزراعة والتجارة والثقافة ، الأمر الذي يجذب اليه البدو رويداً رويداً فيصبغهم بصبغة الحضارة والمدنية بصورة تدريجية ، فيتجمعون من كل صوب الى مهد الحضارة ليرفعوا مستواهم المعاشي من حالة البداوة الى حالة الحضارة والاستقرار .

ونحن نرى هؤلاء البداء يتجمعون من كل صوب الى مهد الحضارة بشكل غزاة يريدون مقاسمة اخوانهم الحضريين خيرات الأرض ، ونتائج الأعمال المجدية ، فتتشب بينهم وبين الحضرة حروب تنعشي بغلبة المهاجمين تارة ، والمدافعين طورا ، وهذا ما حدث فعلاً على مسرح هذه المناطق في جميع مراحل التاريخ . واذا افترضنا أن الساميين انتشروا بسرعة في كل المناطق المذكورة في رأي العلماء السريان من جهة ، ورأي المكتشفات الأثرية التي تجعل منطقة بابل مهداً للحضارة من جهة ثانية ، نسلم حتماً بأن القبائل السامية المتبدية أغراها نمط الحياة الناعمة التي كان يعيشها اخوانهم الحضرة تحت ظل الحضارة والمدنية ، فيجمعوا من كل صوب ليقاسموا اخوانهم تلك الحياة الناعمة ، فرآهم العلماء

(١) مجلة سومر المجلد ٣ الجزء ١ ص ٨٨ سنة ١٩٤٧ .

بصورة موجات غازية يندفعون كالزوبعة الى مركز الحضارة ، ويستولون عليه ويتخلقون بأخلاق أهليه ، ويتخذون نمط حياتهم نبراساً للحياة المستقرة الجديدة ، وقد جاء بعض هؤلاء البدو الغزاة من قلب الجزيرة العربيّة ، وبعضهم هبط من الحدود الشماليّة ، وهدفهم جميعاً مهد الحضارة والمدنية في أرض شتار ومنطقة بابل ، وهذا ما حدا العلماء على أن يعدّوهم موجات صادرة من المناطق التي عاشوا فيها مدة من الزمن ، وبالتالي أن يجعل كل فريق الناحية التي اندفعت منها هذه القبائل موطناً أصلياً لها ، بينما نجد الأمر ليس كذلك ، بل انهم أبناء أرومة واحدة انتشروا أولاً في طول هذه المناطق وعرضها بالنسبة الى أساليب حياتهم ، ثم عادوا فجمعوا حول هذه المنطقة المتحضرة للأسباب التي شرحتها الآن ، فتكون والحالة هذه منطقة الأمة السامية واسعة جداً تجمع بين جميع المناطق التي ذكرها المستشرقون كمصادر للقبائل السامية المنفرقة .

ونحن لا ندعي أن هذا الرأي هو القول الفصل في هذه القضية التاريخية الهامة ، بل نقول انه تمديد للآراء السابقة المتناقضة ، ولا سيما أن لنا أسناداً تاريخية واجتماعية تؤيده ^(١) .

(١) من المقول ان يقتل الناس من الحياة البدوية الى الحياة الحضرية ، ومن غير المقول أن ينتقلوا من الحضارة الى البداوة . ومن الثابت أن جميع الحضارات القديمة المعروفة التي نشأت في المراق وفي الشام قد أنشأتها قبائل بدوية أو معظمها من جزيرة العرب على موجات متوالية ، بعد أن جف إقليمها وفك أمطارها . ففي عهد الحبر المذحوت أي منذ عشرة آلاف سنة على الأقل كانت جزيرة العرب كثيرة المياه غزيرة الأمطار ، ثم أخذ إقليمها يجف . وصارت قبائلها تنتقل في أراضيها انتجاعاً للكلأ . وكلما ازداد الجفاف فيها وأمكنحت السكنى في الهلال الخصيب حيث بدأ الإقليم يتمدد كانت قبائل الجزيرة العربية تنتقل اليه ، وهناك استطاع بعضها أن يوجد بعد زمن طويل تلك الحضارات التي عرفت في التاريخ .

والعلماء القائلون بأن جزيرة العرب هي مهد الساميين عددهم كبير منهم شبرنجير وشراذر وسائيس ووهويه وبروكفن وكوكوك وغيرهم وماير وغيرهم . والأدلة التي ذكروها تأييداً لأبيهم كثيرة ومقننة . (التتمة في ذيل الصفحة التالية) -

٣ - اللغة السامية الأم :

عاشت اللغة السامية الأم في العصور التي سبقت التاريخ البشري ، وانتشرت مع أهلها في جميع المناطق التي كانوا يرتادونها منذ أبعد الأزمان ، وعندما ولد التاريخ وترعرع فتح عينيه على محيا بناتها اللواتي أصبحن كأعضاء لتلك الأرومة الشيعية .

يستفاد من بحوث العلماء في هذا الموضوع أن اللغة السامية كانت قليلة المفردات ، ليس فيها إلا ما يكفي الحياة البدائية ، ولم تكن بها حاجة الى جمال التعبير ، وتنميق الألفاظ والعبارات ، مما يشبه تماماً بعض اللغات البدائية في زمننا الحاضر .

وإذا أردنا معرفة ما كانت عليه هذه اللغة و فملينا أن نلقي نظرنا الى الكلمات المشتركة الميثونة في اللغات السامية التاريخية والحديثة ، فمنها نستطيع تأليف فكرة ولو بسيطة عن كيفية النطق باللغة الأم ، فقد تتفق اللغات السامية - وهي فروع لغة الأم - بأمور لغوية هامة كالضمائر والعدد وأسماء أعضاء الجسم والألفاظ اللازمة لحياة الإنسان المادية البدائية ، مثل البيت والجل

- وقد جرح نولدكه رأي القائلين بأن مهد الساميين أرض بابل ، واثبت نهاات هذا الرأي . ولم يلم دليل ما على الرأي القائل بأن افريقية هي مهد الساميين ، أي أن الشعوب السامية أتت الى جزيرة العرب والى الهلال الخصيب من افريقية ، بل تدل الأدلة التاريخية على عكس ذلك .

أما ما ذكره العالم جون بيترس من أن موطن الساميين قد يكون أرض ارمينية ، لأن الالف الحثي يشبه كل شبه الألف المبراني ، فقد قدمه الأستاذ جواد علي بحيلة صغيرة فيها صفة وطلاوة وهي : « لقد نسي » أي العالم المشار اليه « ان العرب وهم من الساميين لم يرزقوا هذا الألف ا

وفي الصفحة ١٥٢ وما يليها من الجزء الأول « القسم السياسي » من كتاب (تاريخ العرب قبل الإسلام) للدكتور جواد علي معلومات مسبهة وآراء ساجبة في هذا الموضوع .
(لجنة البهلا)

والكعب والحرار والماء ، وأسماء بعض الأشياء التي يراها الانسان دائماً كالسما والارض الى ما هنالك من الألفاظ المشتركة مما يطلعنا على شيء من أصاليب هذه اللغة من جهة ، ويؤيد أن هذه الألفاظ قديمة العهد جداً من جهة ثانية . وهنالك كلمات أخرى تشترك فيها هذه اللغات وهي الدالة على الممرات والحيوان والنبات .

وإذا استطعنا استخلاص القديم من كل اللغات السامية ، وتركيب لغة خاصة من هذه المادة القديمة بفتح أماننا يريق من الأمل في الوصول الى خيال تلك اللغة من وراء جميع هذه العصور السحيقة الغائرة .

ولما كان علماء المشرقيات مختلفين في عهد الأمم السامية ومنبتها ، فهم مختلفون أيضاً في عهد نشوء هذه اللغة ، وقد استدلل بعضهم على أنها نشأت في أرض بابل وما جاورها بدليل أن أرض بابل هي المنبت الأصلي للحضارة البشرية ^(١) . ولكن فريقاً آخر يمارض هذه النظرية معارضة شديدة ^(٢) .

إلا أننا إذا سلمنا بأن الحضارة البشرية وجدت في حوض الفرات الاسفل ، يجب أن نسلم بأنه في هذه البقعة اشتغل الانسان للمرة الأولى في التفكير والتمدن والتقصير مما يقرب النظرية الأولى من الحقيقة .

ولكن إذا عدنا الى الرأي الأخير ، وهو انتشار الأمة السامية بقبائلها في جميع المناطق في الشرق الأوسط ، تحتم علينا التصريح بأن اللغة أيضاً انتشرت بانتشار الأقوام التي كانت تتكلمها .

ومما يمكن الأمر فليس تعيين منبت هذه اللغة بهم جداً بالنسبة الى بحثنا هذا ، إنما المهم انتقالها الى لغات حية عاشت زمناً طويلاً ، وذكرت في آثار تلك الأقوام ، واطلعنا بقدر الامكان على نمط حياتها المادية والأدبية ، وهو

T. Guidi : della sede dei popoli sem. (١)

Noeldeke : Sem. Sprachen p. 14. (٢)

ما يفيدنا أكثر مما تفيدنا معرفة مثبت تلك اللغات أو مثبت اللغة الأم
معرفة مضبوطة .

وانك لتجد تعليقات وآراء كثيرة حول اللغة السامية في دائرة المعارف
البريطانية^(١) لا تتمدى كونها دراسات تخمينية . وكذلك قل في البحث الذي
كتبه امراييل ولفنسون في مؤلفه « تاريخ اللغات السامية »^(٢) ، لم نر فيه
أكثر مما ورد في دائرة المعارف المشار إليها . وبعد هذه المحطات العائرة ننتقل
الى موضوعنا الاسامي ، وهو العلاقات بين اللغتين العربية والآرامية (السريانية) .

٣ - العرب والآراميون

قبل بحث العلاقات بين اللغتين العربية والآرامية (السريانية) يجدر بنا
معرفة من هم العرب ، ومن هم الآراميون ، واليك ذلك :
من المؤكد أن الساميين أمة واحدة نشأت وانتشرت انتشارها الواسع المعروف ،
ولتخط البحث في سائر الأنحاذ السامية ، ولنورد منها فخذين اثنين سمي أحدهما
« العرب » والآخر « الآراميون » . فمن هما هذان الفخذان الساميان ؟
وقبل أن نعرف من هما ، يجدر بنا تصور الأمة السامية تضيق بها أرض
منبتها ، ويلجأ بعض القبائل منها الى مغادرة تلك الأرض لغرض الحصول على
المعيشة اليومية الحيوية ، فتتفرق هذه القبائل هنا وهناك نازحة عن موطنها
الأصلي ، فينتشر بعضها في الفياقي والسهول ، ويتوغل غيرها في الهضاب ،
ويبقى القسم الآخر مقبلاً في أرضه . أما تاريخ هذا التفرق فليس معروفاً الى
الآن ولا حاجة بنا الى بحثه .

(١) دائرة المعارف البريطانية مجلد ٢٤ الطبعة ١١ ص ٦١٧ - ٦٢١ .

(٢) تاريخ اللغات السامية ص ٢ - ٢١ .

م (٤)

ويظهر أن القسم المقيم أطلق بعض الأسماء الجديدة على الأقسام النازحة ، وذلك بحسب طبيعة الأرض الجديدة التي نزحت إليها ، ومن هنا أتى اسم العرب واسم الآراميين ، إذ سمي النازحون إلى الفياض والسهول بـ (العرب) وسمي النازحون إلى الهضاب بـ (الآراميين) . ولماذا ذلك ؟ وما معنى الكمينين ؟

« العرب » كلمة سامية قديمة معناها (سكان الصحراء أو البادية) حفظت في اللغات السامية النحدرية من اللغة الأم ، فنجدها سواء في العربية (العرباء) وفي الآرامية (حُكَا) Arobo وفي العبرية حُكَا Arbat^(١) فيكون « العرب » والحالة هذه القبائل النازحة إلى الصحراء والبادية الذين سماوا أيضاً (البدو) .

وأما كلمة « آرام » فهي أيضاً كلمة سامية قديمة مركبة من كلمتين جاءتا في بعض اللغات السامية ومنها الآرامية نفسها والعبرية ، والكلمات اللتان ركبت منها هذه اللفظة هما أَوْكَا مَكَا Aréo romtho الأرض العالية^(٢) فيكون الآراميون والحالة هذه القبائل النازحة إلى الهضاب والأراضي المرتفعة ، وزد على ذلك أن المؤرخين القدامى يقولون إن الآراميين هم ولد « آرام » بن سام بن نوح^(٣) .

وإذا قررنا أن كلمة « عرب » تأت من الصحراء والعرباء ، وكلمة « آرام » نشأت من الأرض المرتفعة ، يستطيع الباحث المتبصر أن يستنتج أن الموطن الجديد للقبيلتين هو الذي أوحى باسميهما ، وينقل إلى استنتاج الموطن الأصلي للأمة السامية كسهول بابل مثلاً أو ما يشبه ذلك .

(١) قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست ج ١ ص ٨٨ طبعة بيروت سنة ١٩٠١ وقاموس منا السرياني الغربي ص ٦٥ طبعة الموصل سنة ١٩٠٠ واسرائيل ولفسون تاريخ اللغات السامية ص ١٦٤ .

(٢) قاموس الكتاب ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) سفر التكوين ، الفصل العاشر .

غير أن التاريخ يؤكد أن هذه القبائل السامية ، وإن اتخذت لها مواطن جديدة بعد جلائها عن موطنها الأصلي ، كانت لا تزال تتصل بعضها ببعض اتصالاً محدوداً ، ولغايات خاصة إما اقتصادية أو عسكرية أو غير ذلك ، وعلى هذا مثل هذه العلاقات بين سكان وادي الرافدين وسكان أقسام كثيرة من الجزيرة ، كما نشأت علاقات أخرى بين سكان الجزيرة والقبائل التي سميت بالآرامية من جهة أخرى ، الأمر الذي يؤدي أن سكان جميع هذه المناطق كانوا يستطيعون التفاهم بل كانوا يشعرون بأواصر القرى التي تشد بعضهم إلى بعض .

وأقدم ذكر لسكان الصحراء في الآثار السامرية ورد منذ عهد شلنصر الثالث ملك آشور ، وسمي فيه أولئك الصحراويون بالعرب ، وذلك في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد ، وتردد ذكر «العرب» في الآثار السامرية بعد هذا التاريخ في مناسبات كثيرة بصيغ مختلفة من مادة واحدة هي البادية أو الصحراء ^(١) . ووردت كلمة «العرب» في نصب داربوس على حجر «بهستون» وذلك بصيغة Arabaya الموافقة للفظ الآرامي المختص بالعرب أو العربي ، كما وردت هذه التسمية «العرب» في مواضع كثيرة من التوراة ^(٢) ، وسميت أحياناً أخرى في التوراة «بجبل المشرق» ^(٣) و «أرض المشرق» ^(٤) و «أرض بني المشرق» ^(٥) ، ومع هذا لا يعلم العهد الذي استعملت فيه كلمة «العرب» دلالة على القومية

(١) Reollexikon der Assyriologie, Araber

(٢) سفر الملوك الأول ١٠ ، ٩٥ وسفر الأيام الثاني ١٤ ، ٩ و ١١ ، ١٧ وسفر

اشعيا ١١ ، ٢١ - ١٣ و ١٢ ، ٤١ و ٦٠ ، ٧ وسفر ارميا ٤٥ ، ٢٤

و ٤٩ ، ٦٨ و ٢٩ .

(٣) سفر التكوين ١٠ ، ٣٠ .

(٤) تكوين ٢٥ ، ٦ .

(٥) تكوين ٢٩ ، ١ .

أو العنصرية اللغوية . والذي عول عليه كثيرون من المؤرخين أن ذلك عرف منذ الجاهلية حيث سميت الجزيرة باسم « جزيرة العرب » .

وأما الآراميون ، فعرفهم التاريخ في جهات الفرات الأوسط منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، حيث هبت ريحهم ونمت لغتهم وثقافتهم وقوميتهم ، وكذلك لغتهم الآرامية أخذت بالانتشار مستقلةً منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، وشاع اسمهم في المصادر المسماة منذ عهد تغلائفلاصر الأول ملك آشور حوالي سنة (١١٠٠ ق م) ^(١) على ما نعلم حتى الآن .

على أن أقدم نص مكتوب ذكر فيه الاسم الآرامي ورد في سفر التكوين حوالي سنة ١٧٤٠ قبل الميلاد ، وذلك أن « لابان » الحراقي الذي تسميه التوراة « بالآرامي » ، وهو خال يعقوب أبي الأصباط ، عندما وقع العهد مع ابن اخته يعقوب ، وقعه بالآرامية وسماه (*حَصَّ صَهْهُؤُصَا*) (يفر سهدوئو) ، أي (نصب الشهادة) . وكتبت هذه الجملة الآرامية في التوراة العبرية بصيغتها الآرامية التي وردت فيها ^(٢) وهذا أول أثر نعرفه حتى الآن للغة الآرامية بل أقدم نص ذكر فيه الاسم الآرامي .

ويتوارد اسم « آرام » و « الآراميين » في المراجع الأثرية والتاريخية صرات كثيرة بعد التاريخ الذي عيناه الآن ^(٣) . وكذلك في التوراة حيث نخبرنا عن الدويلات الآرامية المنتشرة في كل مكان مثل (آرام صوباة) و (آرام صوبا) و (آرام معكة) و (آرام النهرين) و (آرام دمشق) و (آرام يلبت راحوب) و (قدان آرام) .

(١) G. H. Kraeling, *Aram and Israel* « 1918 »

(٢) سفر التكوين ٣١ ، ٤٧

(٣) « Luckenbill, *Ancient Records*, 1, 239, 399, » *Ancient Records of Bab. and Assyria*, 1, 73; Hitti, op. cit., 162.

وإذا علمنا أن أول ذكر للعرب كان في أواسط القرن التاسع ق م ، بينما أول ذكر للآراميين في أواسط القرن الثامن عشر ق م ، فنجبر على القول حتماً بأن الآراميين يسبقون العرب في القدم تسعة فرون كاملة ، إلا أننا لا يجب أن نحسب هذا القرار نهائياً ، فعدم ذكر العرب الى أواسط القرن التاسع لا يدل على عدم وجودهم كأمة سارحة في بيئاتها ، لأن انهمالهم في تلك البيئات البعيدة أدى الى تأخر ذكرهم في المصادر المسماة وغيرها ، لأننا (طبقاً لما ورد في التوراة على عهد ابراهيم الخليل ، وكانت معاصراً للحواري ملك بابل المعروف ، وهو في نحو القرن العشرين ق م) ، نجد قبائل كثيرة ذات ابل وغنم وخيل تنتقل في المراعي الخصبة وتعود الى الصحراء ، وتسكن الخيم وتعيش عيشة البدو الذين عرفوا بـ « العرب » . وهذا ما يؤيد وجود العرب موازياً للآراميين على وجه التقريب ، ويؤكد لنا وجود العرب قبل التاريخ الذي ورد ذكرهم فيه بأزمان طويلة .

٤ - نشوء اللتين العربية والآرامية

لم يستطع العلماء الى الآن تعيين الوقت الذي استقل فيه هذان الشعبان العظيمان عن الأرومة السامية القدي ، ولذلك عسر عليهم أيضاً تعيين الزمن الذي نشأت فيه لغتهما بصورة مضبوطة ، ومما يكن الأمر فحش نرى أنها نشأتا في عهد واحد على وجه التقريب ، وأهم البراهين على ذلك ما يأتي :

١ - تقارب الزمن الذي نشأ فيه الشعبان الشقيقان ، وذلك في نحو القرن العشرين قبل الميلاد ، فحش نسل بأن « لابان » الحرافي الذي سمي في التوراة « اراميا » انحدر من عشيرة ابراهيم الخليل الذي جلا عن اور السكديانيين (في جنوب العراق) ، وابراهيم نفسه كان يتكلم الآرامية بحكم موطنه الأول الذي كان يتكلم هذه اللغة ، وقد رافق ابراهيم أقواماً في شمالي الجزيرة وفي

أواسطها هم عرب لا محالة ، وهؤلاء « العرب » الذين كانوا في تنقل دائم في طول الجزيرة وعرضها كانوا يتكلمون لغة خاصة بهم هي أم اللهجات العربية في التاريخ ، فلا بد إذن أن تكون اللغتان قد نشأتا في عهد متقارب ، وأن تكونا متقاربتين ، وإلا لما استطاع إبراهيم التفاهم مع رجال تلك القبائل التي رأينا له علاقات كثيرة بها حسبما ورد في التوراة نفسها ^(١) .

وزيادة في التأكد نعود الى الآثار الخطية التي ظهرت أخيراً في جنوبي الجزيرة العربية ، وفي مملكتي (معين وسبأ) العربيتين القديمتين ، فقد رأينا أن الدول المتعاقبة في هذين القطرين العربيين في القدم تتصل بالدول القديمة في بلاد سومر وأكد وآشور ، ويرتقي تاريخ الكتابات المعينية وغيرها الى مطلع القرن العاشر قبل الميلاد . وتشير هذه الكتابات الى حضارات عربية ازدهرت في هذه المنطقة ترتقي الى مطلع القرن العشرين ق م ^(٢) مما يؤيد وجود اللغة العربية في هذا الجزء من العالم القديم معاصرة للغة الآرامية في القسم الاعلى للجزيرة ، وفي حوضي دجلة والفرات ، وفي مدينة حران وما جاورها ، وإن كانت لغة معين العربية تختلف عن اللهجات العربية الأخرى المنتشرة في شمالي الجزيرة ، والتي تأثرت باللهجات الآرامية والعبرية في العصور التالية ، وذلك نتيجة لامتزاج بعض القبائل الآرامية والعبرية في غرب هذه المنطقة ^(٣) .

٢ - تقارب اللغتين تقارباً بكاد يفوق تقارب أية منها هي وبقية اللغات السامية كما سنتكلم عليه فيما بعد .

(١) راجع أيضاً 164 Hitti, op. cit.

(٢) راجع المؤلفات التالية :

Les Manuments de Ma'in

An Archaeological Journey to Yemen

K. Y. Nami, Les Manuments de Ma'in

مجلد تولى (القاهرة ١٩٥١)

احمد فخري طلبة ١٩٤٧

(٣) تاريخ اللغات السامية - ولفسون ص ١٦٢ .

٣ - لأن اللغتين في مطلع أمرهما كانتا تكتبان بأبجدية واحدة هي الأبجدية الآرامية القديمة ^(١).

٤ - تعاون اللغتين في التكامل والحياة وتأثير إحداهما في الأخرى في مختلف عصور التاريخ وعلى الأخص في بادئ أمرهما ، مذ أخذت إحداهما عن الأخرى أساليب ومواد وألفاظاً كثيرة وذلك في جنوبي الجزيرة وفي شمالها ، كما سئرى .

٥ - مميزات كل من اللغتين العربية والآرامية في تطورها

بما لا شك فيه أننا لا نستطيع دراسة كل لغة من هاتين اللغتين بمفردها ، من ناحية نشوئها واكتمالها وتطورها ، ما لم ننظر الى الأحوال التي مرت بها أختها الثانية ، وذلك لأنهما نشأتا في ظروف متشابهة ، وطرأت عليهما أحوال متقاربة . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لا يمكن فصل أمة لهجة من لهجاتها عن رفيقاتها للعلاقات الوثقى التي تربط بعضها ببعض الآخر . فإذا أردنا السير مع إحداهما منذ نشوئها الى نهاية انضجها لا بد لنا من الالتفات الى الخطوات التي تدرجت فيها شقيقتها الثانية ، وعليه نقرر أن الذين درسوا نشوء اللغة العربية واكتمالها وحدها سقطوا في ورطات كثيرة كان في مقدورهم اجتنابها لو نظروا الى نشوء أختها الآرامية ونضجها .

وأم المميزات التي نستطيع ملاحظتها في هاتين اللغتين الشقيقتين هي ما يأتي :

١ - كثرة اللهجات البدائية في كل منهما .

نشأت كل من هاتين اللغتين ولكل منهما لهجات كثيرة بالنسبة الى كثرة القبائل التي تتكلمها ، وكما انفصلت قبيلة جديدة من المجموعة الكبرى ، وتباعدت عنها فترة من الزمن ، نشأت لديها عناصر لغوية جديدة ، وتطورت اللفظة بحسب المؤثرات القبلية والاجتماعية ، وتولدت من ذلك لهجة جديدة من اللغة الأم ، وكما تقاربت قبيلتان أو أكثر وتمازجتا زالت الفوارق اللغوية ،

(١) ولفنون ص ١٦٠ .

وتكوّن من ذلك المزيج لهجة خاصة أخذت عناصرها اللغوية واللفظية من جميع اللهجات المتمازجة ، وهكذا حتى انتهى الأمر الى اندراس لهجات كثيرة ، وانفراد غيرها بالسيادة لدى أفراد الأمة وقبائلها .

وبما لا يرتاب فيه علماء الساميات أن القبائل القاطنة في أصقاع الجزيرة العربية النائية استطاعت الاحتفاظ بلغتها السامية الأصلية احتفاظاً ملحوظاً ، فلم يطرأ عليها الا القليل من التبدل والتطور ، وذلك لبقاء هذه القبائل منعزلة مدة طويلة من الزمن عن بقية الأقوام ، على العكس من كثير من القبائل السامية التي تأثرت لغتها بالحضارات المجاورة القريبة اليها ، وهذه هي الميزة الخاصة التي تحوزها اللغة العربية دون بقية أخواتها الساميات .

ولكنه مع ذلك حدثت هجرات متواصلة لقبائل كثيرة من القبائل المتباعدة في طول الجزيرة وعرضها ، وهو ما أثر في اللغة تأثيراً كبيراً فنتجت عنه لهجات متباينة كثيرة ، غير أن علماء الساميات اتفقوا على أن يميزوا منها لهجتين كبيرتين ، إحداهما في الجنوب والثانية في الشمال ، مع أن كل لهجة من هاتين اللهجتين تفرعت منها لهجات أخرى كثيرة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن هذا التقسيم ليس دقيقاً لأننا لا نجد حدوداً طبيعية تفصل القسم الشمالي من الجزيرة عن قسمها الجنوبي .

إلا أننا اذا استعرضنا الرقعة العربية المكتشفة في أصقاع كثيرة من الجزيرة ، نستنتج منها أنه لم يكن في الجزيرة لهجتان وحسب بل هنالك لهجات كثيرة يصعب ضمها الى قسمين متساويين ، وكل لهجة كانت تسمى باسم اقليمها أو تنسب الى أكبر قبائلها ، ولم يكن لكلمة «عرب» أو «عرباء» المعنى الذي نعرفه اليوم ، بل كانت تطلق على جميع القبائل المنتشرة في البادية المتنقلة بحسب حاجتها الى الماء والمرعى .

وأشهر القبائل الكبرى التي عرفناها في الجزيرة العربية ، والتي درس العلماء آثارها الباقية ، هي القبائل اللحيانية والثمودية والمعينية . وما لا شك فيه ان لكل قبيلة من هذه القبائل لهجة خاصة بها ، قد يتمذر على القبيلة الثانية فهم أكثر مفرداتها . وقد قدم علماء الساميات دراسات قيحة في لهجات هذه القبائل ^(١) .

ومع أن آثار هذه القبائل اللغوية هي عربية ، ولا سيما الرقم اللحيانية ، لأن فيها الحروف العربية التي تخلو منها بقية اللغات السامية كالذال والباء والغين والضاد ، ولأن فيها أفعال التفضيل وعلامة التثنية وهما من المميزات الخاصة بالعربية وحدها ، أقول : مع ذلك نجد هذه اللهجات مشوبة بكلمات آرامية على الأخص ^(٢) ، وهو ما يدل على تعاون هاتين اللغتين الشقيقتين منذ أقدم عصورهما التاريخية .

هذا بعض ما وصل إلينا من اللهجات العربية الشهيرة ، وما لا شك فيه أن هنالك لهجات كثيرة غيرها نشأت عند القبائل العربية الكثيرة ، ثم تقلصت رويداً رويداً حتى زالت من الوجود لاندماجها في اللهجات الكبرى الباقية .

وأما امتزاج هذه اللغات الكثيرة فقد حدث شيئاً فشيئاً . ومن المعلوم أنه في القرنين الثالث والرابع الميلاديين سرعت اللهجات الشمالية تنقل من قوة الى قوة وتزبد أهمية وانتشاراً ، وتسجل لنفسها في جميع الميادين الحيوية صولة وانتصاراً ، بينما أخذت اللهجات الجنوبية تخدر نحو الهوة حتى كادت تزول في القرن السادس الميلادي ، وذلك من جراء فقران مواطنها لحريتها ولاستقلالها السياسي عندما خضعت للعبشان والفرس ، وهكذا أخذت تلك اللهجات في التلاشي ، وقد أفسحت المجال لانتشار اللهجات الشمالية ، التي انفردت بالسيادة المطلقة تقريباً قبل ظهور الإسلام .

ومع هذا كنا نجد بعد الإسلام لهجات عربية متباينة ، والشاهد على ذلك

W. F. Albright : « The chronology of Ancient South Arabia » in (١) Basar, No 119 (1950) .

E. Littmann : Thamudenische Inschriften, p. 28.

تباين لهجات القراءة حسبها هو معلوم من تعدد القراءات القرآنية الكريمة ، وهو ما يعرفه كل مطلع على هذه القراءات .

والشيء الذي يمكن تقريره بعد هذا العرض السريع أن اللغة العربية الباقية هي مزيج من لهجات مختلفة امتزجت كلها بعضها ببعض فكوّنت لغة واحدة . ولكثرة اللهجات بحسب كثرة القبائل كثرت المفردات والجوهر في اللغة العربية حتى أصبحنا نجد أسماء كثيرة لمسمى واحد كما هو معلوم ، ولما اجتمعت هذه اللهجات المختلفة ، وصارت لغة واحدة ، ظهر فيها بعض الألفاظ في مظاهر متباينة ، وصيغ مختلفة ، فنرى مثلاً كلمة «نجم» تجمع على أنجم ونجوم ونجم وأنجام وكلها بمعنى واحد ، ومثلها كلمة «عبد» فنقول في جمعها عبيد وعبد وعبدان وكلها بمعنى واحد .

وإنك تجد أمثلة كثيرة لهذا النوع في المعاجم العربية ، وهي الدلالة الثابتة على أنها كانت كلها صيغاً مختلفة لكلمة واحدة ، استعملت كل قبيلة من القبائل صيغة خاصة بها ، ولما جمعت هذه المفردات والصيغ في المعاجم اللغوية ، نشأ منها هذا الفيض الغزير من المفردات الدالة على المعنى الواحد .

وما قلناه في نشوء اللغة العربية نقوله في نشوء اللغة الآرامية ، فهذه أيضاً مثل أختها العربية تفرعت إلى لهجات متباينة ، لا لكثرة القبائل الناطقة بها ، بل لاختلاط أهلها بالأمم المجاورة أكثر من اختلاط اخوانهم العرب ، وهو ما أضفى على اللغة الآرامية أنوابعاً جديدة لم تألنها في فجر وجودها ، ومما هو معلوم لدينا أن للآراميين لهجتين عظيمتين منذ الأزمان القديمة ، الأولى وتسمى شرقية ، وتشمل لهجات بلاد العراق عامة ، والثانية وتعرف بالآرامية الغربية ، وتشمل لهجات سورية وفلسطين وطور سيناء .

والفرق بين اللهجتين يعود إلى كيفية النطق ، وإلى نوع الانعجاس من الألفاظ الدخيلة ، واتجاه الصيغ الأدبية وغيرها ، وكل لهجة منها تركت آثاراً خطية

منذ أقدم العصور ، وقد درسها علماء الساميات إلا أنهم لم يستطيعوا الى الآن وضع كتاب في قواعدها وأصولها . ولكن إذا قابلنا النصوص الأثرية الكثيرة المكتشفة بما هي عليه اللغة الآرامية (السريانية) الآن ، نجد أن اللغة هي لم يطرأ عليها تبدل كبير ، وهو ما نستطيع معه أن نتوصل الى أصول اللهجات الأولى . وهذا ما سار عليه علماء اللغة الآرامية اعتباراً من القرن الرابع الميلادي الى العصور المتأخرة ، فتركوا لنا مجلدات هامة في قواعدها وأصولها ، ووضعوا المعاجم الهامة في تحري ألفاظها ومفرداتها ، على أن أعظم الذين تناولوا هذه المواضيع بالدرس الدقيق هو العلامة يعقوب الرهاوي في القرن التاسع ، (المتوفى سنة ٨٠٧ م) والفيلسوف غريغوريوس ابن العبري في القرن الثالث عشر (١٢٢٢ - ١٢٨٦ م) . وما كتباه نستطيع المقابلة بينه وبين النصوص الأثرية التي بين أيدينا ، والتخطي الى استنتاج نتائج هامة لا يمكننا الوصول اليها بغير هذه الطريقة .

أما سبب نشوء اللهجات الكثيرة لهذه اللغة ، فهو سعة انتشارها ، وكثرة الشعوب التي امتزج بها أهلها ، فقد شملت بلاد الشام والجزيرة العليا والعراق الى حدود بلاد فارس شرقاً ، وإلى بلاد الأرمن واليونان وآسيا الصغرى شمالاً ، وحدود بلاد العرب جنوباً^(١) . ولم يكن من الممكن حفظ هذه اللغة من التشعب الى لهجات شتى بحسب قابلية كل شعب من الشعوب المختلفة المتكلمة بها ، لذلك نرى فرداً عظيمة بين لهجاتها حتى لا يكاد المتكلم بلهجة نينوى مثلاً أن يفهم المتكلم بلهجة الشام ، ولا هذان يستطيعان أن يفهما المتكلم بلسان فلسطين تماماً أثبتته علماء هذه اللغة^(٢) .

(يتبع) (الموصل) غريغوريوس بولس بهنام



(١) اللمعة الشبية ليوسف داود ص ٧ .

(٢) المدخل لابن العبري : التعليل على الحركات السريانية .

المدرسة الاسعردية

- ٢ -

الصنين^(١) من نوي : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها أحد وعشرون
سهماً من أربعة وعشرين سهماً شائعاً من جميع القرية المعروفة بالصنين من
الجيدر من عمل نوي من جند دمشق المحروسة ، وتشتمل هذه القرية وأراضيها ٢٠٥
على ^(٢)معتل ومعتل وسهل ووعر واقاصي وأداني ومصايف ومشاتي ورسير وبيادر
ودمنة ، ولها عيون ماء تسقي ما يحكم عليه من أراضيها . حد هذه القرية المعروفة
بالصنين وأراضيها من القبلة أراضي قرية طيرة^(٣) الجولان ورفرافة ، ومن الشرق
أراضي فريقي المستا والباهسية ، ومن الشام أراضي نوي ، ومن الغرب أراضي
قرية اللبوة^(٤) وتمامه مكان يعرف بابن الاسعرد . وأحضر من يده كتباً
تشهد له بملك ثابت ، وثابت فيها الملك والحيازة ، محكوم فيها بالصحة بحق
ذلك كله وطرقه ومرافقه وبحجاري مائه في حقوقه ، وكل حق هو الكامل ٢١٠
والمشاع داخل فيه وخارج عنه ، معروف به ومنسوب اليه ، خلا ما في القريتين
المذكورتين آخراً من مسجد الله تعالى ووقف عليه ، وطريق للمسلمين ومقبرة
برسم دفن موتاهم ، فإن ذلك خارج عن الوقف وغير داخل فيه ، وقد عرّف
الواقف ذلك معرفة تامة باعترافه ، وفقاً صحيحاً شرعياً وإبقافاً دائماً وتجبساً
مؤبداً ، وصدقة بنة بثلة لا بإعاضة أصل ذلك ولا يوهب ولا يورث ولا يملك
ولا يستهلك ولا يتناقل به ولا يبعضه ، لا يخرج الى ملك أحد من سائر
الناس أجمعين ، بل كلما مر بهذا الوقف زمن أكده ، وكلما أتى عليه عصر

(١) تعرف اليوم بقرية صنين في حوران .

(٢) من قرى حوران شمالي غربي درعا .

(٣) تعرف اليوم بدير اللبوة .

- وأوان أظهره وسدده ، فهو محرم بحرمان الله ، مدفوع عنه بقوة الله ، مبتغى ٢١٥
- فيه مرضات الله ، لا يحل لأحد يؤمن بالله العظيم واليوم الآخر ويعلم أنه الى ربه الكريم صائر نقض هذا الوقف ، ولا يبدله ولا يغيره ولا الإحادة عن وجوهه وشروطه التي تذكر انشاء الواقف المسمى : الجنب الكرمي العالي الخواجي الكبير الخدومي البرهاني ابو اسحق ابراهيم ابن الجنب العالي الخواجي الكبير الزيني مبارك شاه الاسعدي أفاض الله نعمه عليه وغفر له ولوالديه ، وقفه هذا على ما يأتي وصفه وبينانه وشرحه في هذا الكتاب ، فأما الدار المبدو بذكرها في هذا الكتاب وهي المعروفة بمارة الواقف وإنشائه الكائنة بالجسر الأبيض ٢٢٠
- بالصاحبة تجاه مدرسة الماردانية ، فان القبة الكائنة بها جعلها مدفناً يرسم دفنه بعد العمر الطويل ودفن أولاده ، ووقف بقية السفلى مدرسة دار قرآن ، وجعل الابوان القبلي مسجداً لله يرسم الصلوات به ، واذن لسائر المسلمين في الصلاة فيه وفي المدرسة المذكورة ، وجعل البيوت الكائنة بها منها بيتاً يرسم البواب القيم الفراش بهذه المدرسة ، وبيتاً يرسم الاوامام الشيخ بهذه المدرسة .
- وبقية البيوت يرسم الفقراء المتأقنين القرآن بهذه المدرسة إلا المكتب والبيت الذي فيه فانه يرسم الأيتام الذين يتلقون القرآن العظيم وشيخهم على ما يذكر فيه . ٢٢٥
- وأما الصهرج والحوض تسيل الماء الواصل اليهم على جميع المسلمين ، وأما جميع القيسارية والخزن والطابق العلو الكائن ذلك خارج باب الجاية فانه وقف ذلك على أن يصرف ربع ذلك الى الأيتام الذين يذكرون فيه والى شيخهم ، وكل ما يذكر لهم من بقية ربع الموقوف الآتي ذكره فيه إن نقص ربع ذلك عن القدر الذي يصرف لهم وإن تعطلت هذه القيسارية أو خربت أو لم يتحصل من ربعها شيء فتصرف اليهم جامعيهم من ربع الوقف المقدم ذكره فيه ، وإن تعذر الصرف الى الأيتام والشيخ صرف ذلك من مصرف المال الذي يذكر في هذا الكتاب ، وأما عمارة الدار السفلى والعلو التي بالصاحبة يزقاق الحنفي ٢٣٠

فوقفها الواقف على أن يصرف ريعها بعد العارة الى رجل مسلم من أهل الدين والصلاح ويكون عارفاً بقراءة الحديث النبوي على فائده أفضل الصلاة والسلام بقراً في كل يوم جمعة من كل أسبوع بعد صلاة الجمعة وفي كل يوم اثنين من كل أسبوع بعد صلاة الظهر في هذه المدرسة ما تبسر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أخبار الصالحين أو من تفسير القرآن العظيم ، ويحتم الميعاد بقراءة شيء من القرآن ويهدي ثواب ذلك الى الواقف والى والده والى من كانت سبباً في ذلك ولجميع المسلمين ، فان عمرت دار القرآن التي بمدينة دمشق عند البيارستان النوري المعروفة بالاسعردية ^(١) لزم المحدث أن يقرأ الحديث بها في اليومين المذكورين وإلا ففي المدرسة المذكورة يجري ذلك على محدث بعد محدث ، فان تعذر الصرف الى ذلك صرف من مصرف المال الذي يذكر في هذا الكتاب ، وعين الواقف لقراءة الحديث المذكور سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى أقضى القضاء برهان الدين ولي أمير المؤمنين أبواسحق ابراهيم ابن سيدنا ومولانا العبد الفقير الى الله سبحانه نعيم الدين قاضي المسلمين خالصة أمير المؤمنين أبي العباس أحمد بن أبي العز الحنفي أيداه الله تعالى وقرره فيها ، وأما بقية الموقوف فوقه الواقف المسعى على [ما] يذكر فيه فيصرف الى امام هذه المدرسة المذكورة من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ستون درهماً في كل شهر من شهور الأهلة نصفها ثلاثون درهماً ، من شرطه أن يكون رجلاً ديناً حافظاً لكتاب الله العزيز جيد القراءة ، حسن الاداء والتلاوة ، ملازماً للصلوات الخمس في هذه المدرسة ، غير منسوب الى شر ولا الى بدعة ، وعليه صلاة التراويح في شهر رمضان من كل سنة ، يجري ذلك على إمام بعد إمام بهذه الصفة ، ويصرف الى رجل من أهل الخير والصلاح يكون مؤذناً

(١) يظهر أن دار القرآن المذكورة لم ينفذ عمارها ولم يرد ذكرها بين دور القرآن المعروفة في دمشق .

بهذه المدرسة في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضية معاملة دمشق
 المحروسة خمسة وأربعون درهماً ، ومن شرطه أن يكون حسن الصوت ، ملازماً
 للأذان في الأوقات الخمس على باب هذه المدرسة أو إمامة الصلوات الخمس ٢٤٥
 والتكبير في الصلوات وفي التراويح ، ويختتم كل صلاة بالذكر والصلاة على النبي
 صلى الله عليه وسلم ، والدعاء للواقف ولوالديه وأولاده ولجميع المسلمين ، وكذلك
 الإمام يختتم كل صلاة بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء لمن
 ذكر ، يجري ذلك على مؤذن بعد مؤذن بهذه الصفة ، ويصرف الى رجل
 مسلم من أهل الخير والصلاح غير منسوب الى شر ولا الى بدعة يكون بواباً
 لهذه المدرسة وقبلاً وفراشاً وبالتربة المذكورة ، في كل شهر من شهور الأهلة
 من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة تسعون درهماً نصفها خمسة وأربعون درهماً ،
 ومن شرطه أن يلازم باب المدرسة ويحفظ آلائها ويفتح بابها ويفلقه وإيقاد ٢٥٠
 مصابيحها ومصباح التربة وكفنها وتنظيفها وفرشها وإطفاء المصابيح وغسل ذلك
 وتعميره وتنظيف المرتفق وإيقاد المصباح به وطفه ومنع من ينكر عليه الدخول ،
 يجري ذلك على رجل يقوم بالوظائف المذكورة بعد رجل جيد القراءة يقرأ
 في المصحف الشريف في كل يوم بعد صلاة الصبح على الكرسي بهذه المدرسة
 نصف حزب من ستين حزباً من كتاب الله تعالى وتختتم القراءة بقراءة سورة
 الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة الى قوله سبحانه : ٢٥٥
 وأولئك هم المفلحون ، ويهدي ثواب ذلك للواقف ولوالديه وأولاده ولجميع المسلمين
 ويترحم عليهم ويستغفر لهم ويسأل الله إيصال ثواب ذلك اليهم ، في كل شهر
 من شهور الأهلة من الدراهم الفضة معاملة دمشق المحروسة ثلاثون درهماً ، يجري
 ذلك على رجل بالصفة المذكورة بعد رجل ، ويصرف الى رجل مسلم من
 أهل الدين والصلاح يكون حافظاً لكتاب الله العزيز ، جيد القراءة ، حسن
 الاداء والتلفين ، يكون شجاعاً للفقراء الآتي ذكرهم يعلمهم القرآن ويلقنهم ذلك

في كل يوم من الأيام من بعد صلاة الصبح الى وقت الضحى ومن بعد صلاة
 ٢٦٠ العصر الى الغروب ، وعليه ملازمة هذين الوقتين في كل يوم ويلقن الفقراء
 الآتي ذكرهم ومدارستهم القرآن العظيم ، وان يسمع من كل فقير يلقيه ويلقنه غيره ،
 في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ستون
 درهماً يجري ذلك على شيخ يكون حافظاً لكتاب الله العزيز ، جيد القراءة ،
 حسن الاداء بعد رجل ، وأن لا يكون منسوباً الى شر ولا الى بدعة ،
 وعين الواقف للإمامة والمشيخة وقراءة المصحف الشريف الفقير الى الله تعالى
 الشيخ عماد الدين جمال القراء أجد الأتقياء أبو الفداء اسمعيل بن شمس الدين
 ٢٦٥ محمد بن اسمعيل الحنبلي^(١) نفع الله به ، وقرره في الوظائف الثلاث بالمعالم
 المذكورة ، ويصرف الى عشرة من الرجال الفقراء الذين يتعلمون القرآن
 العظيم في هذه المدرسة ، المقيمين بها ليلاً ونهاراً في كل شهر من شهور الأهلة
 من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ثلاثمائة درهم نصفها مائة وخمسون
 لكل نفر منهم ، من ذلك في كل شهر مبلغ ثلاثين درهماً وعليهم الحضور في
 الوقتين المذكورين والقراءة على الشيخ والتلقين ودرس تلقينه وقراءة الماضي ،
 وان يكونوا بالغين بذوق بحيث لا يكون أحد أمرد ، وعلى الفقراء العشرة
 المذكورين وشيخهم في آخر كل مجلس أن يخطبوا القراءة بقراءة سورة الاخلاص
 والمعوذتين وفتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة ويهدوا ثواب ذلك الى الواقف
 ٢٧٠ ووالديه وأولاده ولجميع المسلمين ويترحموا على الواقف ويدعوا له بالغفرة ويسألوا
 الله تعالى إيصال ثواب ذلك اليهم ، يجري ذلك على عشرة رجال بعد عشرة
 بالصفة المذكورة ، ويسكن كل واحد منهم في بيت من بيوت هذه المدرسة ،
 وعليهم الإقامة بها ليلاً ونهاراً ، الا طعن (؟) حاجة ، والاشتغال بالقرآن
 العظيم في الوقتين المذكورين ، ومن حفظ منهم القرآن صرفه الناظر وكسائه

يبلغ خمسين درهماً جزاء الانصراف وقرر الناظر مكانه أحدًا بصفته ، ومن لم يحفظ القرآن في مدة ثلاث سنين ومضت الثلاث سنين صرفه الناظر وقرر مكانه من غير كسوة بل الكسوة لمن حفظ القرآن في المدة المذكورة ، ويصرف ٢٧٥ الى خمسة عشر بيتاً من أيتام المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم ، يكون مقرم في المكتب الذي هو علو هذه المدرسة المذكورة ، في كل شهر من الدرام الفضية معاملة دمشق المحروسة مائة درهم وخمسون درهماً ، لكل منهم من ذلك في كل شهر عشرة دراهم ، ويصرف الى رجل مسلم من أهل الدين والخير والصلاح ، يكون حافظاً لكتاب الله العزيز ، جيد القراءة ، حسن الاداء ، عارفاً بالكتابة ، يعلم الأيتام المذكورين القرآن والحفظ ، في كل يوم من الأيام المعتادة من بكرة النهار الى أذان العصر ، في كل شهر من شهور الأهلة من الدرام الفضية معاملة دمشق المحروسة سنون درهماً ، وعليه الملازمة وتعليم الأيتام المذكورين القرآن ويلقنهم إياه ، ويعلمهم الكتابة والأدب ، وله ٢٨٠ أن يبطل هو وإياهم يوماً واحداً من كل اسبوع وأيام العيدين والمواسم ، وأن يكون هذا الفقيه غير منسوب الى شر ولا الى بدعة ، وعليه ان يجمع الأيتام المذكورين في كل يوم عند الانصراف وقراءة سورة الاخلاص والمعوذتين والفاطحة وأوائل سورة البقرة الى قوله : (وأولئك هم المفلحون) ويهدي ثواب ذلك الى الواقف ولوالديه وأولاده ولأموات المسلمين ، ويترحم على الواقف ويدعو له بالمغفرة ، ويسأل الله إيصال ثواب ذلك الى من ذكر ، ويصرف هذا القدر المعين لشيخ الأيتام وللأيتام من ربح القيسارية الموقوفة عليهم ، فان نقص ربعها عن ذلك كل من بقية الموقوف ، وان خربت أو تعطلت صرف ٢٨٥ ذلك من بقية الموقوف ويصرف في ليلة الرغائب من كل سنة مبلغ خمسين درهماً يُشري بذلك حلوى وخبز ويفرق على الأيتام وشيخهم والنقراء وشيخهم ، وكذلك يُصرف نظير العدد في ليلة النصف من شعبان وفي ليلة عيد الفطر ، م (٥)

وأما في يوم النحر فبشرى لهم إما بقرة أو غيرها مما يجوز في الأصحية وبذبح ذلك في اليوم المذكور ، ويفرق على المذكورين مبلغ مائة درهم في كل سنة ، وعلى شيخ الفقراء وشيخ الأيتام أن يحضروا في كل ليلة من الليالي المذكورة وفي ليلة يوم النحر ويحضر معها الفقراء العشرة والأيتام الخمسة عشر ويفرق عليهم ٢٩٠ الربعة بحيث يختمون في الربعة ختمة كاملة ويهدون ثواب ذلك للواقف ولوالديه ولا موات المسلمين ، ويصرف لخادم الربعة الشريفة في كل شهر مبلغ عشرة دراهم ، وعليه أن ينجز في كل يوم جمعة بالمدرسة المذكورة بشي من العود والطيب ، ويفرق الربعة في كل يوم جمعة وفي الليالي المذكورة ويحطبها ويشيلها وأن يكون من أهل الخير والصلاح يجري ذلك على قوم بعد قوم بالصفة المذكورة . ويصرف الى ثلاثة رجال من القراء ، ويكون كل واحد منهم حافظاً لكتاب الله العزيز جيد القراءة ، حسن الصوت والاداء والتلاوة ، ظاهر الخير والديانة ، في كل شهر من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ٢٩٥ سبعون درهماً ، يصرف الى الرئيس منهم في كل شهر ثلاثون درهماً ولكل واحد من الآخرين في كل شهر عشرين درهماً ، وعليهم في أيام الواقف الى حين وفاته القراءة بهذه المدرسة في كل يوم بكرة النهار وبعد صلاة العصر أن يقرأوا مجتمعين في كل وقت من الوقتين المذكورين حزباً كاملاً من ستين حزباً من القرآن العظيم ، ويهدوا ثواب ذلك مع قراءة سورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة الى الواقف ولوالديه وأولاده ولجميع المسلمين ، ويترحموا على الواقف ويدعوا له بالمغفرة ويسألوا الله إيصال ذلك الى من ذكر ، وأما بعد وفاة الواقف مد الله في عمره فيقرأوا متفرقين ، ٣٠٠ الرئيس منهم يقرأ بعد صلاة الصبح في هذه التربة التي وقفها الواقف برسم دفنه التي هي في المدرسة المذكورة ، وآخر يقرأ بعد صلاة الظهر ، والآخرون بين المغرب والعشاء في كل يوم ، يجري ذلك على ثلاثة أنفار بهذه الصفة بعد

ثلاثة ، ويصرف الى رجل مسلم من أهل الدين والخير والعلم الشريف ويكون عارفاً بقرأ الحديث النبوي وأهلاً لعمل ميعاد على الكرسي الكائن بهذه المدرسة ، في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ثلاثون درهماً ، وعين لقراء الميعاد المذكور الواقف المسعى سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى أقضى القضاة صدر الدين ولي أمير المؤمنين أبي الصديق أبي بكر بن مفلح^(١) أبده الله تعالى ، وشرط عليه الحضور في كل يوم سبت من كل أسبوع ٣٠٥ والقعود على الكرسي الذي هو بهذه المدرسة ، وأن يعمل ميعاداً يكون مشتملاً على شيء من تفسير القرآن ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار الصالحين وذكر شيء من العلم الشريف ، وأن يختم الميعاد المذكور بقراءة سورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة الى قوله (وأولئك هم المفلحون) ، ويسأل الله إيصال ذلك الى الواقف ووالديه وأولاده ولجميع المسلمين ، ويترحم عليهم ويدعو لهم بالمغفرة وقراءه (?) في ذلك ، وأما غيره ممن يكون مكانه وهو بالصفة المذكورة فعليه الحضور في يومه السبت والثلاثاء من كل أسبوع وعمل ميعاد في المدرسة على ما شرح ، يجري ذلك على ٣١٠ رجل بعد رجل بالصفة المذكورة ويصرف في ثمن زيت يرمم ابقاد مصابيح المدرسة والتربة المذكورة وفي ثمن حصر وبسط في كل شهر من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة خمسة وأربعون درهماً ، وشرط الواقف أن يوقد من المصابيح خمسة من أول الليل الى آخره ، الواحد في الابوان القبلي والثاني في التربة والثالث في الابوان الشامي والرابع في المرتفق والخامس على باب المدرسة وبقية المصابيح على العادة من المغرب الى بعد صلاة العشاء ، ومن الفجر الى بعد

(١) أبو بكر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح ، ولي لياقة الحكم عن قاضي القضاة تيس الدين بن عبادة مدة ثم ولي القضاة (٧٨٠ - ٨٢٥) ترجمته في الضوء والشذرات والدارس في تاريخ المدارس .

صلاة الصبح ، ويصرف الى رجل مسلم من أهل الدين والصلاح ويكون
 ٣١٥ عارفاً بقراءة صحيح البخاري غير منسوب الى شر وبدعة يقرأ في كل سنة
 صحيح الإمام محمد بن اسمعيل البخاري رحمه الله تعالى في هذه المدرسة المذكورة
 في مدة شهرين هما شعبان ورمضان من كل سنة يقرأ في كل يوم من أيام
 الشهرين المذكورين ذلك في المدرسة المذكورة بحيث يكون الختم في يوم
 من الأيام المفردة من العشر الأخير من شهر رمضان المعظم ، في كل سنة من
 السنين من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة مائة درهم وخمسون درهماً
 تصرف له عند ختم الكتاب المذكور ، يجري ذلك على رجل بالصفة المذكورة
 ٣٢٠ بعد رجل ، ويصرف في كل ليلة جمعة من كل أسبوع مبلغ عشرة دراهم
 فضية معاملة دمشق المحروسة يشترى بذلك خبز من خبز الخنطة ويفرق على باب
 المدرسة على الفقراء والمساكين المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛
 يجري ذلك كذلك ، ويصرف الى رجل مسلم يكون جايكاً لهذا الوقف في كل
 شهر من شهور الأهلة ما يبلغه من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ستون
 درهماً نصفها ثلاثون درهماً ، ومن شرطه أن يكون ديناً أميناً من أهل الدين
 والخير يحصل ربع الوقف ويصرفه بأمر الناظر فيما ذكر ، يجري ذلك على رجل
 بالصفة المذكورة بعد رجل ، ويصرف الى من يكون ناظراً على هذا الوقف
 غير الواقف المذكور في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضية معاملة
 ٣٢٥ دمشق المحروسة مائة درهم نصفها خمسون درهماً ، يجري ذلك على ناظر بعد ناظر
 وما فضل بعد ذلك صرف الى هذا الواقف المسمى أنابه الله تعالى أيام حياته ،
 لا يشاركه في الفاضل شريك ولا ينازعه فيه منازع ولا يتأول عليه فيه متأول ،
 ثم من بعده على أولاده الذكور والاناث بينهم على الفريضة الشرعية ، على أنه
 من توفي من أولاد هذا الواقف وأولاد أولاده ونسله وعقبه وذريته عن ولد أو عن
 ولد ولد أو عن نسل وعقب وذرية يعود نصيبه من ذلك على ولده ثم على ولد

- ولده ثم على نسله وعقبه وذريته بينهم على الفريضة الشرعية ، ثم على أولاد أولاده كذلك ، ثم على نسله وعقبه وذريته مثل ذلك ، وعلى أنه من توفي ٢٣٠ منهم أجمعين عن غير ولد ولا ولد ولد ولا نسل ولا عقب ولا ذرية فإن نصيبه من ذلك يعود الى من في درجته وذوي طبقته من أهل الوقف ، يقدم الأقرب الى المتوفا منهم فالأقرب فإن لم يكن في درجته من يساويه فعلى أقرب الموجودين الى المتوفا من أهل الوقف ثم على ولد من انتقل ذلك اليه ثم على نسله وعقبه وذريته على الفريضة الشرعية ، ومن مات منهم أجمعين قبل الاستحقاق وترك ولداً أو أسفل من ذلك يستحق ولده أو الأسفل منه ما كان يستحقه المتوفا لو بقي حياً وقام في الاستحقاق مقامه أباً كان أو أمّاً أو جدياً أو جدة ، فاذا انقرضوا بأجمعهم وخلت الأرض منهم ولم يبق لهذا الواقف نسل ولا عقب ولا ذرية صرف ذلك في ثمن خبز بفرق على باب المدرسة على الفقراء والمساكين ، وكذلك حكم اذا تعذر مصرف شيء من المصارف المذكورة أعلاه صرف ذلك في ثمن خبز بفرق على باب المدرسة على الفقراء والمساكين المسلمين ، ومتى أمكن العود عاد ، ومتى تعذر فعلى ما ذكر ، فان تعذر التفرقة على باب المدرسة فرق على الفقراء والمساكين حيث كانوا ، ومتى أمكن العود عاد ، ومتى تعذر فعلى ما ذكر ، يجري ذلك كذلك أبد الابدين ودهر الداهرين الى أن يرث الله تعالى العباد والبلاد وهو خير الوارثين ، وجعل الواقف أنابه الله تعالى النظر في ذلك لنفسه وله تفويضه واستاده والوصية به ، وكذلك لكل من المفوض اليه والمسند اليه هكذا أبداً مع مشاركة الأرشد فالأرشد من أولاد الواقف ونسله وذريته لمن أسند اليه أو فوض اليه ، فان مات الواقف عن غير تفويض ولا اسناد أو انقطع التفويض والاسناد وكان النظر مستقلاً به الأرشد فالأرشد من أولاد الواقف ثم من نسله وعقبه ، فان لم يكن منهم رشيد فلن هو متكم عليهم الى أن يتأهل منهم أحد يعود النظر اليه ، وعند انقراض ذرية الواقف

يكون النظر لتاجر من تجار الكارم^(١) الذين هم بدمشق والمشار اليهما من
التجار بكونان من أكبر تجار الكارم مع شيخ المدرسة يجري ذلك كذلك ،
٣٤٥ وللناظر في هذا الوقف أن يجعل الوظائف الثلاثة للإمامة والمشيخة وقراءة المصحف
مع رجل واحد ، يجب أن يكون من أعيان القراء ، وأن يفرد كل واحد
في وظيفة ، وله الاستبدال اذا كان في استبدال صاحب الوظيفة مصلحة ،
ومن شرط هذا الواقف البدأة من ربيع ذلك بعارة الموقوف والمدرسة والتربية
واصلاح ذلك وصلاحه ، وإذناً (؟) على بعض ذلك من الحكر ، وان
لا يؤثر الموقوف ولا بعضه أكثر من سنة واحدة ، ولا يستأنف على ذلك
عقد حتى ينقضي العقد الأول الا أن يكون مصلحة الوقف في ايجار سنتين ،
وبوخر ذلك سنتين من غير زيادة على ذلك ولا يستأنف على السنتين عقد حتى
٣٥٠ ينقضي العقد الأول ، وان لا يتأول به ولا ببعضه ولا يبيع ما خرب منه على
مذهب من يرى ذلك ، بل يعمر من ربيع الوقف ، وان لا يمكن أحداً من
أرباب الوظائف من الغزول بل اذا أراد الانصراف قرر الناظر مكانه من هو
بصفته ، وأن لا يستنوب أحداً منهم إلا من عذر شرعي ، وان طال العذر
والاستنابة استبدل الناظر مكانه ، يجري ذلك كذلك الى يوم القيامة ، وهذا
الواقف المسمى يستعدي الى الله تعالى على من يقصد وقفه هذا بفساد أو يرومه
ببغض وعناد ، ويحاكمه اليه ويخاصمه بين يديه يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ،
يوم التناد ، يوم عرض الشهداء ، يوم عطش الأكباد ، يوم يكون الله
تعالى هو الحاكم فيه بين العباد ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله
بقلب سليم ، يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء
٣٥٥

(١) لم أعثر على هذه اللفظة فيما اتصل لي من كتب اللغة . جاء في معجم دوزي :
كارم اصفر بمعنى غير اصفر ، ووردت بهذا المعنى في رحلة ابن بطوطة بقوله :
تجار الكارم وتجار الكارمية والبهار الكارمي .

تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد
ولا قبل الله منه صلاة ولا صوماً ولا زكاة ولا حجاً ، وحشره ثقیل الظهر
مسود الوجه ، ولقي الله تعالى وهو عليه غضبان وجعله من الأخسرین أعمالاً
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ومن أعان
على مصالحه أو صرفه في وجوهه المذكورة فيه يرد الله مضجعه وجعله ممن بأني
آمناً يوم القيامة ، فقد تم هذا الوقف ولزم ودفع أجر الواقف منه على الله العظيم
الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين
يبدلونه إن الله سميع عليم ، ووكل الواقف في شئون ذلك وطلب الحكم
وتنفيذه وإبداء الدافع ونفيه لكل من (؟) ^(١) الحكم العزيز وشهوده ومتصرفيه ،
وبه شهد على ذلك بعد قراءته عليه واعترافه بفهمه ومعرفته في نسختين هذه
أحدهما في صحته وسلامته وجواز أمره وطواعيته ، في اليوم المبارك يوم الجمعة
المبارك وهو الخامس عشر من شهر الله المحرم الحرام سنة سبع عشرة وثمانمائة .
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد نبيه خير خلقه وعلى جميع الأنبياء
والملائكة والصالحين وسلم تسليماً .

الوقفية الثانية

الحمد لله الهادي للحق

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم وقف الواقف المسمى باطنه وأعلا باطنه سيدنا الفقير الى الله تعالى المقر
العالي الخواجه الكبيري البرهاني أودد الرؤساء في العالمين ، صفوة الملوك
والسلاطين أبو الحق ابراهيم ابن الجنب العالي الخواجه الكبيري الزيني مبارك
شاه بن عبد الله الاسعردى أدام الله تعالى نعمه ، وهو في حال صحته وصلاحته
وجواز أمره ، تقرباً الى الله عز وجل . . . (١) خالصة يوم معاده ، يوم يجزي
الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين . وقف وأبد وحبس وحرم وقصدق
بما ذكرت ذلك له وملكه وحوزه ويده وتحت تصرفه حين هذا الوقف ،
وأحضر من يده كتاباً يشهد له بذلك ذلك ، وهو مؤرخ بيوم الخميس الثامن
والعشرين من شهر الله المحرم سنة سبع عشرة وثمان مائة ، وهو ثابت ، وثابت
فيه الملك والحيازة لمن باع فيه بمجلس الحكم العزيز القضائي الحاكمي الشمس
ابن عبادة الحنبلي الناظر في الحكم العزيز بالشام المحروسة . . . (٢) وحكم (١)
بصحة البيع المذكور حسبما تضمنه اشهاد المسطر بظاهره المؤرخ بالثاني من صفر
من السنة المذكورة ، متصل ثبوته وتنفيذه والحكم باسقاط العش (؟) في البيع
المذكور مع العلم بالخلاف بمجلس الحكم العزيز القضائي الحاكمي الخطيبي الشهابي
ابن أبي العز الحنفي الناظر في الحكم العزيز بالشام المحروسة كان له الله . . . (١)

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) ثلاث كلمات غير واضحة .

حسبما تضمنه اشهاد المؤرخ بالثالث من صفر من السنة المذكورة . وذلك جميع الحوانيت ، الحوانيت الأربعة الكائنة بجسر الزلاية^(١) بالصف الغربي الذي غرابين المسجد ، بفصل بينهن شباك المسجد ، وكل حانوتين منها متلاصقان والشباك بينهما ، ولكل حانوت منها داخل وفناء واعلى . حدهن من القبلة ملك ورثة قاضي القضاة وشركهم من قاضي القضاة . . .^(٢) الاخنائي وشركهم ، ومن الشرق الطريق . . .^(٣) ومن الشام ملك ورثة قاضي القضاة وشركهم ، ومن الغرب المسجد المذكور ، وفقا صحيحا شرعيا ، ووقف أيضا ما ذكرت ، ذلك ملكه ومعروف به وبانسابه وذلك جميع عمارة القيسارية والطابق علو ذلك ، الكائن ذلك ظاهر دمشق خارج باب الفراديس بمحلة العقبة الكبرى بالقرب من زقاق المشايخ ، وكان قبلها مكان القيساريين المذكورتين قاعتان وحينه خراب ، وأسفل ذلك الى ملك الواقف . . .^(٤) ابناء شرعي ، وشهد بذلك كتاب ابناء أحضره الواقف من يده مؤرخ بتاريخ الثاني والعشرين من شهر . . .^(٥) رجب الفرد سنة ست عشرة وثمان مائة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحيازة ، وان العمارة عمرت بطريق شرعي وإذن مقرر ومحكوم فيه بالموجب وبصحة البيع وباحترام العمارة المشهود بها مع العلم بالخلاف يجلس الحكم المميز القضائي العلوي المحبوب المصري الشافعي أبده الله ، وحسبما تضمنه اشهاد المؤرخ

(١) أرجح انه في السوق المعروف اليوم بالزرايلة . وقد جاء في وقفية الوزير لالا مصطفى باشا في تعيين حدود أحد الحمامات الموقوفة ، المعروف اليوم بحمام الرأس وحمام السروجية ما نصه : « الكائن ذلك ظاهر مدينة دمشق المحروسة وشالي فلعلها المنصورة ، بين سوق جسر الجديد وجسر الزلاية » ان القاعدة المتبعة في ترتيب الحدود أن يقدم الشرق على الغرب وعليه يكون سوق جسر الجديد شرقي الحمام وسوق جسر الزلاية من غربيه أي مكان سوق الزرايلة الحالي .

(٢) ثلاث كلمات غير واضحة .

(٣) لفظة غير واضحة .

بالخادي عشر من شعبان من السنة المذكورة . وبغلق على كل من القبساريين باب خاص ، وهما شرقية وغربية ، فالشرقية عدة مخازنها ثمانية وعشرون مخزناً وعلوها سبع طباق ، يشتمل كل مخزن على منافع وباب خاص ، وتشتمل كل طبقة من علوها على منافع ومرافق وظهور ذلك خواص ، والغربية عدة مخازنها سبعة عشر مخزناً ، وعلوها طيقتان ، يشتمل كل مخزن على باب خاص ومنافع ومرافق ، وتشتمل كل طبقة من الطباق الى علوها على منافع ومرافق وظهور ذلك خواص . حد ذلك من القبلة ملك بيت الخلاجي (٩) ، ومن الشرق الرواق والابواب ، وقام الحد حوش ابن خضر ، ومن الشام ملك ورثة شهاب الدين . . . (١٠) ومن الغرب جادة . . . (١١) ، وجميع عمارة الطباق المبني على الخانوتين الملاصقين للخانوت الكبير هي من جملة الوقف المسطر باطن أعلاه الكائن خارج باب الفراديس تجاه المسجد الذي على قناة ابن العوفي ، وعلو ذلك طيقتان ، تشتمل كل طبقة على منافع ومرافق وطافات على الطريق ، وجميع الروشنيين والطبقتين اللتين هما علو الروشنيين الراكبات على الخانوتين التي وقفها الواقف في كتاب الوقف المسطر باطن أعلاه اللتين هما تجاه المسجد الذي على قناة ابن العوفي الملاصق . . . (١٢) ، ويشتمل كل روشن على منافع ، وتشتمل كل طبقة على منافع ومرافق وطافات على الطريق ، وظهور ذلك خواص ، وجميع ذلك عمارة الواقف وإنشائه ، حد ذلك من القبلة سوال (؟) الطريق ومن الشرق وقف الحاج اسمعيل العطار ، ومن الشمال مسجد الجوزة ، ومن الغرب هو الطريق المسلوكة منه الى العقبية الصغرى ، يحق ذلك كله انشاء الواقف ، وقف هذه على أن يبدأ من ريع ذلك بعبارة هذا الوقف والوقفين الواردين

(١) لفظة غير واضحة .

(٢) ثلاث كلمات غير واضحة .

باطنه وصلاح ذلك ، وما فضل بعد ذلك صرف ذلك على ما يذكر فيه ، ان نقص ربع الوقفين المذكورين باطنه عن المصاريف التي عينت في الوقف الأول كل من هذا الوقف ، وان لم ينقص صرف ذلك الى الواقف المسمى أثابه الله وثم لأولاده ثم لأولاد أولاده ثم لنسله وعقبه على الحكم المعين في كتاب الوقف المسطر باطن أعلاه ، وكذلك حكم هذا الوقف في المال والنظر حكم الوقف المسطر باطن أعلاه ، وإن كان الوقف المسطر باطنه وأعلاه باطنه بني بالمصاريف صرف هذا الوقف الى الواقف ، ثم الى أولاده على الشروط المعينة باطن أعلاه ، وكما نقص ربع الوقفين باطنه عن المصاريف لزم هذا ولو استوعب ذلك جميع ربع هذا الوقف ، وكما فضل عن المصاريف صرف الى هذا الواقف ثم الى أولاده وأنساله وأعقابهم ، ومن شرطه في الايجار مثل الشرط المذكور في كتاب الوقف المسطر أعلاه ، وكذلك في المناقلة ومع ما تحور منه . وهذا الواقف أمام الله يستعدي الى الله تعالى على من يقصد وقفه هذا بفساد أو يرومه ييغض وعناد ويحاكه اليه ، ويخاصمه بين بديه يوم القيامة ، يوم الحشر والندامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فن بدله بعد ماسمه فأثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم الخ .

الوقفية الثالثة

الحمد لله الهادي للحق

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه خير خلقه وعلى آله وصحبه وسلامه .

ثم وقف الواقف المشار اليه اعلاه المقر العالي المولوي الخواجكي الكبير البرهاني أوحده الرؤساء في العالمين . صفوة الملوك والسلطين أبو اسحق ابراهيم ابن الجنب العالي الخواجكي الكبير الزيني مبارك شاه وتقديماً بين يديه للقاء خالقه يوم معاده ، يوم يميز الله المتصدقين ولا يضيع أجر الحسنين . وقف وأبد وحبس وحرر وتصدق بما هو ملكه وحوزة وبيده وتحت تصرفه من هذا الوقف وهو الذي عمره وبناء من ماله وصلب حاله بالطريق الشرعي ، وهذه العمارة الموقوفة في هذا الكتاب هي مكان الحوانيت التي وقفها الواقف في كتاب الوقف المسطر باطن أعلاه وأحرقت العمارة في فتنة قاني باي^(١) في شهور سنة تاريخه ، ثم عمرها المذكور من ماله في قرارها الجاري في الوقف أيضاً الذي كان في ملك الواقف عمارتها الى الآن ، وأخرت كل واحد منها ثم وقفها الواقف في هذا الكتاب بعد أن عمرها من ماله بعد الحريق المذكور ، وهذه الحوانيت الأربعة التي عمرها الواقف بعد خرابها يفصل بينهما الجواز الى المسجد والحانوت الوسطاني من الثلاثة حوانيت اللواتي من جهة القبلة الذي هو وقف على المسجد ، ويحد ذلك الحدود المذكورة في كتاب الوقف المسطر اعلا باطنه ، وأما كل واحد من المقعدين الجارين في ملك الواقف من هذا الوقف مكان كل واحد منها قبل الحريق مقعد شرقي (؟) ثم أحرق كل واحد منها في الفتنة المذكورة ، وعمر مكان كل واحد منها حانوتاً منها

(١) قاني الممدي الظاهري برقوق ويعرف بقاياي الصغير سيف الدين ، تولى نيابة الشام في عام ٨١٧ فأقام بها مدة ثم عُمر على السلطان المؤيد ، ألقي عليه القبض وسجن ثم قتل بقلعة دمشق في أواخر شعبان سنة ٨١٨ .

الموقوفان في هذا الكتاب ، وعمرها الواقف المسمى من ماله بالطريق الشرعي والاذن المعتبر المرضي حسبما شهد بذلك من تعيين ذلك في رسم شهادته ٠٠٠ (١) .
 واسكل من الخانوتين داخل وفناء واغلاق ، وكذلك كل حانوت من الحوانيت الأربعة المذكورة أعلاه له داخل وفناء واغلاق ، فالحوانيت الأربعة المذكورة أعلاه أرضهن وعمارتهم داخل في هذا الوقف ، وأما الخانوتان المبيتان مكان المقعدين فعمارتها داخل في هذا الوقف وأرضها محتكر (٢) غير داخل في هذا الوقف ، يبين ذلك ليُعلم أن الأربعة المذكورة أولاً ليس عليها حكر بل الحكر على الخانوتين المذكورتين مما في مكان المقعدين لأن الأرض محكرة خارج ذلك عن الوقف ، ومما بالصف الغربي من الشارع ، حدهما من القبلة ملك ورثة ابن الاختائي والخواجي ابن المذكور وشركها ، ومن الشرق الطريق واغلاقه ، ومن الشام الطريق ، ومن الغرب جدار القيسارية ، يحق ذلك وفقاً صحيحاً شرعياً على الحكم المعتبر في كتاب الوقف المسطر باطن أعلاه والخال والمال والنظر ، فلا يحل لأحد يؤمن بالله العظيم ويعلم انه الى ربه الكريم صائر نقض هذا الوقف ولا تبديله ولا تعطيله ولا (٣) عن وجوهه وشروطه التي تذكر فيه ، وهذا الواقف المسمى يستعدي الى الله تعالى على من يقصد وقفه هذا بفساد أو يرومه بنقص وعناد ، ويحاكمه اليه ويخاصمه بين يديه يوم القيامة ، يوم الحشر والندامة ، يوم التناد ، يوم غطش الأكباد ، يوم يكون الله هو الحاكم فيه بين العباد ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فن بدله بعد ما سمعه فانما أثمه على الذين يبدلونه انه مبيع طيم . ووكل الواقف في ثبوت ذلك وطلب الحكم به وتنفيذه وفي إبداء الواقع ونفيه ٠٠٠ على (٣) بمسئله شهر رمضان المعظم ومن سنة ثمان عشرة وثمان مائة . الخ .

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) يجوز قراءتها : محكر .

(٣) ثلاث كلمات غير واضحة .

الوقفية الرابعة

الحمد لله الهادي للحق

. (١)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه خير خلقه وعلى آله وصحبه وسلامه ، ثم وقف الواقف المسمى المقر العالي المولوي الخواجكي الكبير البرهاني ابو اسحق ابراهيم بن الجنب العالي الخواجكي الزيني مبارك شاه بن عبد الله الاسعردى أدام الله تعالى نعمته ووالى مسرته ، وحبس وسبل وأبد وحرّم وتصدق بما انتقل الى ملكه وهو في يده وتحت تصرفه (١)

وذلك جميع عمارة الحوانيت التسعة عشر والمخزن الكائن ذلك بسوق القطانين بصاحلية دمشق فهن ثلاثة عشر حانوتاً بالصف القبلي ، وست حوانيت بالصف الشامي . . . (٢) المخزن بالصف الشامي ، ويشتمل كل حانوت على داخل وفناء واغلاق لا يفلق على المخزن باب خاص ، فأما الحوانيت القبليّة فأحدها يعرف بسكن عيسى المغربيل ، وثانيها يعرف بسكن الكركي ، وثالثها يعرف بسكن . . . (٣) خضر ، ورابعها يعرف بسكن محمد الحلواني ، وخامسها يعرف بسكن محمد مسلم ، وسادسها يعرف بسكن عمر الملاح ، وسابعها يعرف بسكن عبد الله البابا ، وثامنها يعرف بسكن ناصر الدين ؟ الجماعيني ، وتاسعها يعرف بسكن الشيخ أحمد نقيب الفقراء ، وأما الحوانيت الشامية فأحدها يعرف بسكن محمد محمود ،

(١) حذف من هنا مقدمة طويلة ورد شبه بها في نص الوقفيات السابقة .

(٢) لفظة غير واضحة .

وثانيها يعرف بسكن الحاج علي الحلبي ، وثالثها يعرف بسكن علم الدين (؟) سليمان ، ورابعها يعرف بسكن عبد الله الكناني ، وخامسها يعرف بسكن محمد الحمراء ، وسادسها يعرف بالطوافي . وجميع الحصة الشائمة ومبلغها أربعة عشر سهماً من أصل أربعة وعشرين سهماً ، وهي الثلث والرابع شائماً ذلك من جميع الحوانيت الأربعة الكائنة بالصف الشامي من السوق المذكور وتعرف الواحدة بسكن ٠٠٠^(١) ، والثانية بسكن محمد بن الفراء ، وتعرف الثالثة بسكن عبد الملك الرسام ، وتعرف الرابعة بسكن عمر النظروني ، ويشتمل كل حانوت على داخل وفناء وأغلاق ، وجميع الحصة الشائمة ومبلغها اثنتا عشر سهماً من أربعة وعشرين سهماً ، وهي النصف شائماً ، ذلك من جميع الحوانيت الثلاثة عشر الكائينات بالسوق المذكور ، منها بالصف القبلي ثمانية ، والتاسع وهو خمسة في الصف الشامي ، فأما الحوانيت التي بالصف القبلي فالواحد منها يعرف بسكن ٠٠٠^(١) ، وثانيها يعرف بسكن محمد البوشي ؟ الزيداني ، وثالثها يعرف بسكن ارغون البابا ، ورابعها يعرف بسكن احمد الشهيد ، وخامسها يعرف بسكن عمر الكناني ، وسادسها يعرف بسكن محمد البوشي ، وسابعها يعرف بسكن محمد السيد الخياط ، وثامنها يعرف بسكن عبد الرحمن البارودي ، وأما الحوانيت الشامية فواحد منها يعرف بسكن أبي بكر ابن قيم صاحبة ، وثانيها يعرف بسكن محمد الحجازي الفراء ، وثالثها يعرف بسكن أحمد بن يوسف البابا ، ورابعها يعرف بسكن يوسف بن الشاطر ، وخامسها يعرف بسكن محمد القاسمي ، ويشتمل كل حانوت على داخل وفناء وأغلاق ، وحد الصف القبلي من القبلة ملك علي (؟) ابن زريق وتقام الحد أملاك لأربابها ، ومن الشرق ملك ابن زريق ، ومن الشام الطريق وأغلاقهن ، ومن الغرب ملك

(١) فراخ في الاصل يتسع للفظتين .

الأمير ناصر ابن الميداني ، وحد الصف الشامي من القبلة الطريق وأغلقهن ،
ومن الشرق الوقف ، ومن الشام الزقاق وملك أربابه ، ومن الغرب الزقاق .
وجميع عمارة المسلخ والخانات المستخرجين من جداره الغربي المتخذين للقصابة
والرواسة الكائن ذلك بالصالحية بالقرب من مدرسة شيوخ الإسلام أبي عمر رحمه الله ،
وبغلق على هذا المسلخ باب خاص ، ويشتمل على وسط مبلط وأحواض يجري
اليها الماء من نهر يزيد ٠٠٠^(١) مستديرة به وبه بيوت يرسم السواد وبضمنه
مسقط ومتافع ومرافق ، وحد ذلك من القبلة الخفاف المعروف بالقلانسي ،
ومن الشرق مطبخ مدرسة أبي عمر ، ومن الشام المرتفق يليه الطريق ، ومن
الغرب الطريق والباب^(١) هـ .

* * *

واختتمت كل هذه الوقفيات بشهادة عشرات الشهود ، جلهم من قضاة
وأعيان عصرهم المعروفين من آل الاسعردى والعجلوني والحسابي والبدرى والجلبي
والمقدمي وأبي العز الحنفي وغيرهم ، كتبت جميعها بخطهم ، وعباراتها متشابهة
متقاربة من ذلك هذه الشهادة :

« أشهد على الواقف المسمى بأعليه أثنابه الله تعالى بما نسب اليه أعلاه أصلاً
وفصلاً وتلفظه بالوقف على الوجه المشروح بأعليه في خامس عشر شهر الله
الحرم الحرام من سنة سبع عشرة وثمان مائة ، كتبه ٠٠٠ »

جعفر الحسني

(١) لفظة غير واضحة .

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي (*)

- ٤ -

< الفصل الثالث >

القول في القوى الحسّاسة

كل جسم فإنه على ما تبين^(١) في غير هذا الموضع مؤلف من صورة ومادة ، وكلاهما غير جسم^(٢) ، والجسم هو موجود بها^(٣) . وليس المادة من جهة ما هي مادة ذات صورة بالذات^(٤) ، لكنها قابلة للصورة . وليست الصورة في الجسم منخازة توجد بالفعل عن المادة ، ولا أيضاً المادة فيه منخازة بالفعل عن الصورة^(٥) . لكن كل واحد منهما في الجسم المؤلف منها منخاز عن الآخر بالقوة ، وهذا بين في الأجسام الكائنة الفاسدة .

(*) انظر القسم الأول والقسم الثاني والنسم الثالث من هذا المقال في الجزء الأول والجزء الثاني والجزء الثالث من هذا المجلد الثالث والثلاثين .
(١) راجع النص ، الصفحة الأولى .

(٢) قارن ابن باجة ، السابع ، ورقة ٨ الف : « وكل واحد منها (أي المادة والصورة) طبيعة لكن الأخلق ... أن تكون الصورة طبيعة من المادة .

(٣) ابن باجة ورقة ٨ الف : « ووجوده (أي الجسم الطبيعي) يتم بوجود المادة والصورة » : ٨ ب : فالصورة والمادة سببان لكل جسم طبيعي .

(٤) ابن باجة ورقة ٧ الف : « فإما متى وضعت المادة ذات صورة لزم أن تكون منقسمة إلى مادة وصورة وبغير ذلك إلى غير نهاية . فتكون في هذا الزنجار مواد لا نهاية لها ، وهذا أيضاً شنيع بل محال . فتستهي ضرورة إلى مادة غير ذات صورة » .

أيضاً زيلر (Zeller) : I p. 347 . Aristotle .

(٥) ابن باجة : ورقة ٧ الف : « وظاهر أنها (= المادة) لا تفارق الصورة وذلك أنها إن فارقت الصور لم تكن موجودة أصلاً . فإن كانت موجودة لزم أن يكون شيئاً ما . وعاد الأمر إلى أن تكون ذات مادة وليست أولى » .

راجع زيلر : Aristotle I. 349 .

وأما الاجرام المستديرة ، فإن الجسم والمادة والصورة يقال عليها وعلى الاجرام الكائنة والفاصلة بالاشتراك^(١) ، وقد لخص أمرها في غير هذا الموضع . ومادة ما آلية^(٢) قد تتحاذ عن صورة وذلك يظهر عند الفساد^(٣) ، وقد لخص ذلك في الأولى من السماع ، فبين من هذا أن المشار اليه غير متميز^(٤) ولا متغاير^(٥) بالفعل بوجه من وجوه التغاير . وإنما يتغاير عند تحرك المشار اليه في كونه وفساده .

والمادة ليست توجد منفردة عن الصورة أصلاً ، بل تنفرد فتوجد مقترنة بصورة أخرى^(٦) ، ويظهر فيها عدم الصورة ، فقد يجب ضرورة من هذا أن تكون الصورة متخاذاً بنفسها أيضاً عن (ورقة ١٤٦ ب) تلك إما مقترنة بمادة أخرى أو منفردة بنفسها ، والآ لم يمكن أن يكون أحدهما غير الآخر بوجه ، وكان التغاير أمراً باطلاً ، ولزم من ذلك محالات أخر : منها أن يبطل الكون والفساد ، وبالجملية الحركة^(٧) ، ويبطل وجود المحرك الذي من نوع المتحرك .

(١) قارن ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ص ٧١ .

(٢) واستعمل ابن رشد « آلة آلية » في معنى « آلة جسمية » . انظر تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٧٤ . ويقول في تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدرآباد ص ٥٤ ، « وكذلك الأمر في المادة فإن التغير إنما يلحقها من حيث هي جزء متغير وهو المشار اليه ، فأما بما هي مادة فلا » .

(٣) قارن ابن باجة ورقة ٨ ب : « كالصناعة فإنه لا يمكن ان توجد الصورة الصناعية في المادة القابلة لها حتى تكون هي قبل موجودة ونجد ذلك في كثير من الأمور الطبيعية فإن الدم لا يكون عنه جنين وتحصل فيه صورة الانسان حتى يقارنه المني » . أيضاً أرسطو : Phys. I. 7. 191 a 10, IV. 2. 209 b 10 وقال فلوطين (Plotinus) : (Ennead (ترجمة Mackenna) الجزء الثامن ص 182 (... Where there is decay there is a Distinction between Matter and Form.)

(٤) المخطوطة : متميزين .

(٥) المخطوطة : متغايرين .

(٦) راجع النص ورقة ١٥٠ الف : وهي في ذاتها غير مصورة لكنها كما النح .

أيضاً أرسطو : Phys. IV. 2. 209 b 9 ; III. 6. 207 a 25; I. 7. 190 b 25

(٧) ابن باجة ورقة ١٢ الف : « وأيضاً فلا تكون حركة إذ لا يكون فوق ولا أسفل » .

وأيضاً فكما توجد مادة الماء - إذا فسد فصار بخاراً - مقترنة بصورة البخار ، لا^(١) على^(٢) أن تحصل صورة البخار صورة لها تخصها بل هي أبداً مقترنة بها ، فالصورة إما أن تكون لها مادة لا على أنها هيولى^(٣) لها بتصورها كما تصورت المادة بها إذ كانت ذلك الجسم^(٤) ، بل على أنها ، كما كانت بالطبع ، موجودة في موضوع ، ولا فوام لها بنفسها ، لأنها صورة هيولانية أو^(٥) كانت لها تلك على وجه مناسب لوجود المادة ذات صورة . فإن المادة لما تصورت بصورة صارت موضوعاً لها وهي مادة غير مصورة في وجودها . فلذلك تكون فيها الصور المتقابلة بالقوة . فتكون تلك القوة لاحقة^(٦) ضرورية^(٧) لاتفارقها . ولذلك^(٨) إن أمكن أن تكون صورة لا مقابل لها فإن المادة التي فيها إنما هي موضوع فقط^(٩) ، فليست مادة إلا باشتراك الاسم فإن الهيولى^(١٠) لا نسبة لها في ذاتها إلى صورة من الصور بل كلها لها بالسواء . لأن كل متحرك فله محرك كالخشب الصناعية وهي لا تتخلو^(١١) من صورة أصلاً ، وإذا حصل فيها صورة ما ، أي صورة ، كانت عند ذلك قابلة للمضادة الأخرى . فإذا وردت^(١٢) عليها حرّكتها^(١٣) .

(١) المخطوطة : الا .

(٢) المخطوطة : ملا .

(٣) المخطوطة : هيولا .

(٤) قارن أرسطو : Arist. Phys. I. 7. 191 a 10

(٥) المخطوطة : و

(٦) المخطوطة : لاحقا .

(٧) المخطوطة : ضروريا .

(٨) المخطوطة : كذلك .

(٩) فلا بد من موضوع للتقابل ، حيث لا يوجد تضاد عند عدم الموضوع ، انظر أرسطو :

Phys. I. 7. 191 a 15 ، أيضاً : Plotinus (Mack.) II. p. 202

(١٠) المخطوطة : الهيولا .

(١١) المخطوطة : لا تتخلوا .

(١٢) المخطوطة : اوردت .

(١٣) يقول ابن بابجة ، ورقة ١٤٤ ب : وكذا إن ورد وارد حركة فوروده حركة .

والحرك صنفان ^(١) : إما غير مجانس كمحرك الأجسام المستدير فهو يحركها بالضرورة ، وإما مجانس ^(٢) ، فله هيولى ، وهي أيضاً قابلة للصورة المضادة للأولى . فليكن آب ماء . ففي آب صورة الماء ، فليكن ذلك بردا ، ففيه برد بالفعل وهو هواء بالقوة . فليكن قوة الهواء عليها هـ . ففي آب «ب» و «هـ» . فلذلك يحرك من جهة أنه بـ ويتحرك من جهة أنه هـ . وما يقابله ^(٣) هو آو على آج ، ففي آج جـ ^(٤) ، وهو صورته وفيه مـ وهو كونه ما بالقوة . وما بالقوة لا يتحرك دون محرك . فنجسما آبـ ، آجـ ما كان بما هما هـ و مـ ومحركان بما هما بـ و جـ . فقوة هـ تحرك ضرورة عن جـ ^(٥) وقوة مـ تتحرك عن بـ . فإن كان بـ مساوياً لـ جـ لم يتحرك ولا واحد منهما . وإن كان أحدهما ^(٦) أقوى وليكن بـ حرك ضرورة آمـ وصارت المادة بـ وموضوعة لـ بـ لزمها ^(٧) ضرورة هـ ، لأن بـ جـ متجانسان وأضداد . فليس كذلك مما يمكن الصور فيه غير متضادة (ورقة ١٤٧ الف) [مثال] ذلك أن هذا خشب وكرمي بالقوة . فقد يكون كرسياً وهو خشب كما كان . فإن الكرمي غير مجانس للخشب على ما يجانس الحار البارد ، ولا افتراز قوة الكرمي بالخشب بالذات للخشب ، ولا الخشب سبب وجود القوة في الخشب إلا على جهة أخرى .

(١) المحرك صنفان : غير مجانس كمحرك الأجسام المستديرة ، ومجانس ، راجع النص نفسه ، ورقة ١٤٩ ب : ... يحرك مجانس له ... ، ورقة ١٥٠ ب ... والمحركة منها مجانة ... وغير مجانة كالنار ...

(٢) المخطوطة : غير مجانس .

(٣) المخطوطة : للآله .

(٤) المخطوطة : حر .

(٥) المخطوطة : د .

(٦) المخطوطة : أحدهما .

(٧) المخطوطة : ولزمها .

فأما الحار وقوة البارد ، فإن وجوده حاراً^(١) هو سبب كونه بارداً بالقوة^(٢) ، ومن أجله كان ذلك ، لأن نسبة الحار والبارد الى المادة نسبة واحدة^(٣) . فمن الجهة التي تقبل الحار فمن تلك الجهة تقبل البارد بعينها^(٤) وهما متغايران . ولو قبلتهما معاً لما بقي هنالك تغاير أصلاً . وإنما كانا متغايرين لأن المادة التي لها تقبل الاستقامة ، والمستقيم هو السبب الأول في التضاد^(٥) ، لأن المستقيم هو ممتلئ وليس بذاته . فلذلك له وسط وطرفان^(٦) ، لأنه متصل ، وكل متصل فهو ذو أجزاء^(٧) — إلا أن هذا القول يليق بالنظر في سبب وجود الأضداد — وليس للقوة المتحركة التي هي له^(٨) معنى يكون به أكثر أو أقل^(٩) ، إلا أن تكون في جسم أعظم أو أصغر . والجسم يكون

(١) المخطوطة : حار .

(٢) زيلر (Zeller) يقول في كتابه ارسطاطاليس ص ٣٤٣ ج ١ :

« All becomes that wich it comes to be out of its opposite.

What becomeswarm must before have been cold » .

(٣) راجع ارسطو : Phys. IV. 9. 217 a 22 . وزاد ابن باجة في ورقة ٣٦ الف :

فإن النار لا يمكن أن تكون باردة لكن من أجل انها فار لا من أجل أنها جسم .

(٤) المخطوطة : بينهما .

(٥) راجع ابن باجة ورقة ٦٣ الف : وليس كذلك في الحط المستقيم لأن ما منه

غير ما اليه بالموضوع ، فإن طرف آ غير طرف ب . وقارن ارسطو :

Phys. VIII. 8. 264. b 14 sq ، أيضاً ابن رشد : السبع ، حيدرآباد ، ص ٦١ .

(٦) ابن باجة ورقة ٦٣ الف : والحط المستقيم ناقص عنه محدود بذاته ، وإنما يتم

بشيء خارج عنه . (ورقة ٦٣ الف) وكذلك الحركة المستقيمة فافصة غير قامة

وإنما يتمها شيء آخر غيرها وهو السكون فهي أول وآخر ووسط .

قارن ارسطو : Phys. VIII. 9. 265 a 28 .

(٧) فارن ابن باجة ، ورقة ٢٣ الف : ولما كان المتصل ضرورة ذا أجزاء .

(٨) المخطوطة : آ .

(٩) انظر ابن باجة ، ورقة ٣٨ ب : فإن الأقل والأكثر فيما له عدد ، والأعظم

والأصغر فيما له اتصال . وأيضاً ورقة ٣٩ الف : ان كل مناسبتين بينهما

ضرورة معنى واحد بينهما مشترك يقبل الأقل والأكثر . قارن ارسطو :

Phys. VIII. 8. 264 b 34

أعظم وأصغر من جهة أنه بالفعل ذلك الجسم ، لأنه بما هو صار له ذلك العظم الموجود بالطبع . والأقل والأكثر إنما هما ^(١) موجودان للمتضادين من < جهة > أنهما موجودان بالفعل . والأكثر والأقل بقالان بالافتقار ، فلذلك يلزم ضرورة فيما هيولاه واحدة أن يفعل كل واحد منهما وينفعل الآخر . وأما ما كان هيولاه ^(٢) ليست بواحدة لم ينفعل كل واحد منهما عن صاحبه ، بل تحرك المتحرك وحرك المحرك .

والهيولى إما قريبة وإما بعيدة . فاللذان هيولاهما القريبة واحدة بالنوع كالهواء والماء . وأما اللذان ^(٣) هيولاهما البعيدة واحدة بالنوع والقريبة مختلفة بالنوع فكالصانع والخشب في الكرسي ، ولذلك لا يكون صانع أعظم من صانع عند خشب واحد بعينه .

ولما كانت الهيولى البعيدة مشتركة لذلك قد يحرك الخشب الصانع مثل الكلال الذي يلحقه ^(٤) ، وعند ذلك الهيولى البعيدة . فان كل شيء يحرك شيئاً - وهيولاهما شيئان غير مشتركين أصلاً - لم يلحق الكلال المحرك ، لكن لكونه ذا هيولى ، لزم أن يكون للمحرك ^(٥) عند المتحرك نسبة ^(٦) . وذلك

(١) المخطوطة : هو .

(٢) المخطوطة : مقولاه .

(٣) المخطوطة : التي .

(٤) ابن باجة ورقة ٤٢ الف : « لأن المحرك والمتحرك إذا كانا جسمين فان المتحرك ضرورة حركته عنه غير طبيعية ، فان كان كل واحد منهما عند صاحبه أولاً ، فكل واحد منهما يحرك صاحبه غير ان المحرك تفضل قوته ولذلك يحرك ، ولأنه يتحرك عن المتحرك لذلك بكل عن تحريك المتحرك ، فان فرقاً بين كلال المحرك عن تحريكه المتحرك وبين كلاله اللاحق له من ذاته » . فان فضل الرجلين :

Avicenna's Psychology من ١٤١ ، س ٥٨ .

(٥) المخطوطة : المحرك .

(٦) فان ابن باجة ورقة ٤٢ الف : ولذلك ليست أيضاً تستمر النسبة بين المحرك والمتحرك .

كالأجرام المستديرة والاسطوانات . فإن كان المحرك لا هيمولى له فذلك المحرك يحرك دون كلال ودون ^(١) نسبة الى المتحرك في الكم لأنه ليس بذى أجزاء . وإن لم يكن مكتفياً بنفسه (ورقة ١٤٧ ب) يتبع تحريكه نسبة الى المعاضد له فإن أمكن أن يكون نارة يحرك ونارة لا ، كالعقل ، وحرك تحريكاً مختلفاً كما يعرض في أكثر ^(٢) المتوسطة .

فإن كان مكتفياً بتحريكه بنفسه فذلك محرك ضرورة دائماً أو حركة مرمدية متشابهة كالمحرك الأول .

فالمادة في كل جسم يحتاج في وجودها ضرورة الى التلبس بصورة إما قريبة وإما بعيدة . والأمر فيها على ما يقوله فلاطون ^(٣) أنها لفقرها وفجها يهرب من أن يظهر بنفسها فكانها تستتر بأي صورة امكنت ^(٤) . فهذه الأحوال تلحق المادة عند تجردها عن الصورة . فلننظر ما يلحق الصورة عند تجردها وكيف يكون ذلك .

والمبدأ الذي يقضي ^(٥) على ذلك هو أن الجسم المشار اليه عند وجوده يشار اليه فإن الصورة فيه والمادة لا تغاير بينها أصلاً ^(٦) بوجه إما بالقوة وإما بالفعل . فهما شيء واحد ^(٧) وهو ذلك الشخص المشار اليه .

(١) المخطوطة : ويحرك دون .

(٢) المخطوطة : الأكثر .

(٣) فارن : 6 — 195 & 182 (Mack.) Plotinus : Enneads II ، ويظهر ان افلاطون لم يقل به في طيماؤس .

(٤) ويين زيلر (Zeller) نزوع المادة الطبيعي وتثوقها الى الصورة في كتابه أرسطاطاليس ص ٣٩٢ ج ١ .

(٥) المخطوطة : يقضا .

(٦) فارن أرسطو : Met. O. IX. 8. 1050 a 15 .

(٧) قارن أرسطو : Met. H. VIII. 1045 b 21 .

وان كل شيء هو غرام ما^(١) ، فان الشيء متى وجد مفارقاً للأمر ، فان الامر قد يوجد مفارقاً للشيء .

وأما كيف يكون شيئان لا تغاير بينهما بالفعل أصلاً فيكون التغاير بالقوة ، فعلى ما يكون الجزء في الكل المتصل المتشابه الاجزاء ، فإن الجزأين في الكل واحد بالفعل متغايران بالقوة . فان التغاير هو من وجه من أجل الصورة ، ومن جهة أخرى من أجل المادة . وأما كيف تكون الصورة والمادة شيئاً واحداً بالفعل وتغايران^(٢) بالقوة ، والقوة أبداً إنما هي المادة فقد بان أمره فيما بعد الطبيعة^(٣) . والقوة هنا تدل على غير ما بديل قولنا « بالقوة »^(٤) فيما يتغير فليس وجود الصورة هنا غير المادة بالقوة على ان أحدهما يتغير فيفترق المجتمع ، بل على جهة أخرى^(٥) . فان الصورة المختصة بذلك المجتمع اذا فسد فسدت ضرورة ، وتتصور المادة بصورة أخرى^(٦) ، ويصير بذلك التشكيل مجتمع آخر ، غير أن نسبتها إلى نوع الصورة الأولى توجد عند ذلك فيها^(٧) ، فتصير بهذه

(١) ابن باجة ورقة ٤٤ هـ الف : كل واحد من هذه نشوئه بالطبع غريزة فيه .
واللادة نزوع طبيعي الى الصورة بينه ارسطو انظر : Arist. I. p. 379 : Zeller ;
De Gene. Cor. II. 10. 336 b 4 ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ص ١٣٦ .
(٢) المخطوطة : يتغاير .

(٣) فارن أرسطو : Met. K. XI. 1060 a 20; 107 = b 12; 1071 a 10; 1042 a 27
(٤) المادة والصورة متغايرتان ، ووجود الصورة حقيقة فعل ما بالقوة ، والمادة ،
كما ذكره زيلر (Zeller) ، في ذاتها أو قوتها هي التي فعلها صورة ، انظر :
Arist. Vol. I p. 379 .

(٥) يعني المادة تختلف عن الصورة بالذات فقط ، فها بالقوة من حيث هو هو لم يتغير ولم يقبل الفعل بعد .

(٦) واللادة لا توجد منفردة عن الصور أصلاً ، بل تنفرد فتوجد مقترنة بصورة أخرى . النص نفسه والتعليق السابق . زيلر (Zeller) :
Arist. I. p. 382 .

(٧) النص العربي آخر ورقة ١٤٩ ب : لأن نسبتها الى المهيول فيها .

النسبة محاكية لما بالفعل^(١) ، وقد استقصي القول فيها في غير هذا الموضع .
فأما الصورة فلا يمكن فيها أن تتحرك^(٢) كما أمكن في المادة فتصير غيراً ،
إلا أنها غير بالضرورة . فكيف توجد غيراً ؟ أما أنها لا تتحرك بالذات
فذلك بين ، لأنها غير منقسمة^(٣) . وأما أن تتحرك بالعرض فذلك غير ممتنع ،
كما تبين في السماع^(٤) . لكن حركتها بالعرض كيف نصير بها شيئاً ،
والحركة بالعرض ؟ وكيف وجود هذه الحال لها حتى نصير بها غيراً ؟

فنقول : إن من الأمور التي يجب أن يعترف بها ان الطبيعة لا تصنع أمراً
باطلاً ، ولا في الوجود أمر باطل أصلاً . وكل موجود إما أن يكون لأجل
غيره أو لأجله^(٥) . (ورقة ١٤٨ الف) وما هو لأجل غيره فغاياته انصاله
بذلك الشيء < الذي > وجد له .

والانصال إما في [الوجود] فالأمر فيه كانصال النفس بالبدن وانصال

(١) المادة لا تفرانها بالصورة الأولية نصير محاكية لما بالفعل فتتحرك صورة أخرى
(النسي) فإن المادة نفسها ليست شيئاً أصلاً بالفعل ، والتغير ضرورة موجود
بالفعل شيئاً ما فلذلك كان عندما يتحرك موجوداً بالضرورة فيحتاج الى الصورة
ويتغير في العرض وهو موجود بالصورة التي هي فيه ، انظر النص ورقة ٩٥٢ ب ،

وقارن أرسطو : Zeller : Arist I. 383; De Gen et Cor. II. 9. 335 b 17; b 30 .

(٢) انظر ابن باجة ، ورقة ٢٢١ الف ٣ فلذلك يقال انها (الصورة) ساكنة
لأنها لا تتحرك بل تقدم وتوجد ، لا يتغير ذاتها لا يكون ولا فساد ،

وقارن أرسطو : Phys. V. I. 224 b 25 .

(٣) النص نفسه ورقة ٩٥٣ الف : وهي غير ذات أجزاء .

(٤) انظر التعليق (٢) أعلاه ، واصل ابن باجة قائلاً (ورقة ٢٢١ الف) :
وهذه الصورة فلا تتحرك لأنها ليست أجساماً بل ان تحركت فبالعرض كما يقال
في النحو انه متحرك اذا تحرك النحوي .

(٥) اما ان الموجود ينقسم الى لذاته ولغيره فذلك أيضاً يفهم من ورقة ٢٢٠ ب :
والنبات فليس من الموجودات لذاتها ، بل من الموجودات لغيرها من الأجسام .

المتغير بالمغير سواء كان تغيراً أو انفعالاً أو ^(١) ملكة وما يجري مجراها ، وإما ^(٢) اتصال الحيولى وهو اتصال الجسم بالجسم ، وهو أصناف : فمنها اتصال الجسم بما فيه الجسم وهو الاتصال بالمكان ، ومنها اتصال الجسم المحرك بالجسم المتحرك . وأقدم هذه الاتصالات الاتصال بالمكان على ما تبين في سابعة السماع ^(٣) . إذ كان كل متغير فله مغير .

والاتصال يقال على اتصال الوجود ^(٤) واتصال الجسم بتقديم وتأخير . والاتصال بالمكان هو اتصال الجسم بالجسم بالذات وأما سائر ذلك فهو < اتصال الجسم بـ > الجسم ^(٥) بالعرض .

وظاهر أن كل شيء إما أن يكون جسماً أو في جسم أو لا يكون جسماً أصلاً ولا في جسم . وأعني بقولي « في جسم » كل ما يحتاج في وجوده الى الجسم ، فانه قد يبرهن أن موجوداً ما لا يحتاج في قوامه الى الجسم بل يحتاج الجسم في قوامه اليه ويكون منصلاً بالجسم على هذه الجهة كما تبين ذلك في آخر الثامنة من السماع ، وفي ^(٦) السادسة عشر من الحيوان ^(٧) . « فهذا »

(١) المخطوطة : و . (٢) المخطوطة : مجراها منها .

(٣) قارن أرسطو : Phys. VII. I. 242 b 24 .

(٤) النص نفسه ورقة ١٤٩ الف : وهذا الاتصال ... الا في الوجود .

(٥) المخطوطة : هو الجسم . (٦) المخطوطة : ومن .

(٧) الظاهر ان ابن باجة يشير الى الباب الثامن من كتاب السماع الطبيعي والباب

السادس عشر من كتاب الحيوان ، ولكن أرسطو ، كما يفهم من المقالتين

في كتابيه ، لم يذكر الاتصال بالمعنى الذي وصفه ابن باجة في هذا المقام .

والذي قاله أرسطو في الكتاب الثامن من السماع ، ولعل ابن باجة قصده في

نظريته ، « ان كل ما هو محرك بالذات متصل » (5. 227 b 1) ، وانظر أيضاً

Phys. III. I. 200 b 7 ، « فالمحركة من الأشياء التي هي متصلة » ، أيضاً

Phys. VI. 2. 232 b 24; V. 3. 227 a 10; IV. II. 218 b 11 ، ولمادة كتاب

الحيوان انظر Der Portibus Animalium II. 9. 654 b 14 . وفي آخر الكتاب

الثامن من السماع بين ابن باجة : « وبين ان المتحرك عن مثل هذا المحرك

(أي الأول) دائم الوجود ، وسبب دوام وجوده اتصاله ببداؤه ، وببداؤه

أول وهو يرلده دائماً بالوجود لأنه فيه ومنصل به .

ليس بجسم ولا في جسم ، وهذا لا يمكن أن يكون له اتصال إلا بالوجود فقط . فلذلك إن كان شيء وجوده لغيره وكان ذلك الذي وجد من أجله جسماً لزم ضرورة أن يتصل المتقدم بالتأخر اتصالاً جسمانياً . وإن كان المتأخر ليس قوامه بذلك المتقدم حتى يكون المتأخر في المتقدم كالصحة في الإنسان . فضرورة سيكون « هذا » جسماً ، فإنه إن لم يكن جسماً لم يكن بين المتقدم والمتأخر اتصال أصلاً .

والصور الهولانية لم توجد لأنفسها بل كانت من أجل غيرها ، فإن الطبيعة لا تفعل شيئاً باطلاً . وتبين (١) في كتاب السماء والعالم (٢) أن الاسطقسات لا أجل الأجسام المستديرة (٣) ، لأن الجسم المستدير فيها على جهة ما الجسم في المكان ، وهي في الجسم المستدير على جهة ما الجزء في الكل . فإن العالم كأنه حيوان واحد مفرد ليس يحتاج إلى شيء من خارجه أصلاً ، فبالضرورة كانت صورة الاسطقسات في مادة . ولما كان السبب على طريق الغاية هو التمام - وهو الوجود الأفضل - فلذلك كان وجوده بعد الاسطقسات ضرورة في موضوع لوجود ما هي من أجله كذلك . فإنه لو لم يكن ضرورة المستدير في موضوع لم تحتاج هذه أن تكون في موضوع ، فوجود تلك الصور في موضوع هو سبب وجود هذه في موضوع . فالجسم يقال على تلك وعلى هذه بتقديم وتأخير . وقد استبان ما تشكك فيه أبو نصر في مقالته في

(١) المخطوطة : وليس .

(٢) وفلاسفة العرب يسمون الرسالتين الشهيرتين بـ De Caelo و De Mundo ، وهما لأرسطو ، بكتاب السماء والعالم .

(٣) قارن أرسطو : De Caelo III, I. 298 a 30 و De Mundo 2. 391 b 9 .

العقل والمعقول (١) .

(ورقة ١٤٨ ب) وقد تبين أن المادة انما وجدت من أجل وجود الصورة (٢) حسب ما وضعه أرسطو ، لكن من أجل وجودها الأخير لا من أجل وجودها الأول و [الشك] إنما لزم من أجل وجودها الأول . وقد يشكك على هذا القول : فيقال ان الوجود الأخير هو الأفضل ، ووجودها الأول هو الاقتص فيكون الوجود الجسماني أفضل من الوجود المعقول ، وهذا مناقض لما يقوله فلاطن والمشهور من مذاهب المشائين .

فنقول : إن قولنا « وجود أفضل » يقال على نحوين : إما بالإنطلاق ، فإن الوجود المعقول أفضل من الوجود المحسوس (٣) وذلك بين لأن المعقول أحري بالوجود من المحسوس ، فإن ذلك مبدأ لهذا (٤) ، وقد بين ذلك فلاطن

(١) الظاهر ان ابن باجة يشير الى ما قاله الفارابي في رسالته في العقل (تحقيق بويج Bouyges ، ص ٣٠) ان الصور التي في العقل بالفعل والتي تتجرد عن المادة إن كانت موجودة بغير المادة فلماذا تحتاج الى المادة ، ولم تنزل من الكمال الى النقص ؟ وانما أشار الفارابي الى الجواب حيث يقول : « يقال انها تنزل لتكتمل المادة في الوجود » ، وزاد قائلاً : « هذا يدل ان الصورة وجدت من أجل المادة فقط » وهذا يخالف ما قاله أرسطو . أمّا ابن باجة فانه يبين ان السبب هو التام على طريق الغاية فيكون ضرورة في موضوع ، فان الاسطقات التي هي من أجل التام ضرورة في موضوع ، فوجود الصور في موضوع هو سبب وجود الاسطقات في موضوع ، فالاسطقات والصور أجسام بتقديم وتأخير .

(٢) لم يصرح ابن باجة ان المادة انما وجدت من أجل وجود الصورة ، ولله أراد النسبة التي يثبتها لها في ورقة ١٤٦ ب : « ان امكن ان تكون صورة لا مقابل لها فان المادة التي فيها انما هي موضوع فقط الخ » ، ولا صرح أرسطو واضحاً هذه المسألة . راجع 22 a 10: 9. 192 a 10: 7. 191 a 10: 7. 207; III. Phys. (٣) هذا ينضج مما قاله ابن باجة في موضع آخر : ورقة ٢٢١ النفس ٩ : « وأنفس الحيوان تتقدم بالزمان الجواهر المعقولة في الاسم ، والجواهر المعقولة هي أخلق في الوجود بهذا الاسم » .

(٤) فارن زيلر : Zeller : Arist., II. p. 338. 5

وأرسطو وكثير من المشائين . والأحرى بالوجود يقال — انه أفضل وجوداً ، وقد يقال « وجود أفضل » بالإضافة الى نوع نوع من الموجودات ، لكن ليس انه ^(١) من أجل ذلك الموجود ^(٢) فيكون للوجود الاسم الذي لذلك الموجود ليس من جنس الأفضل ، فيكون إنما وجوده الأفضل هو من جنس الوجود الأنقص . ويكون هذا الأفضل لا من أجل أنه النوع من الوجود بل هو له من أجل شيء يخصه ^(٣) . فلذلك قيل ان الصورة الهولانية معقولة لا بذاتها بل من أجل أن العقل جعلها كذلك .

لكن قد يتشكك متشكك فيقول : ان هذا الوجود اللاحق للصور الهولانية لو لم يكن في ذاتها وجودها أن تكون معقولة لم تعقل . لأنه كل شيء يوجد لأمر ففي طبيعة الأمر قبول ذلك الشيء . وما لم يكن في طبيعته قبول شيء ما لا قريباً ولا بعيداً فلا يمكن ان يوجد له لا بالذات ولا بالعرض . فنقول : إما أن يكون في طبيعة الصور الهولانية أن تكون معقولة بوجهه فذلك مما لم بوضع في القول ، وإما أن يكون — في وجودها الذي يخصها — وجودها معقولة ، فلا . لكن يكون مما به قوامها قبول ^(٤) للوجود المعقول ، فاذا اتصل بها المحرك صار لها ذلك الوجود ، فلذلك تحتاج في ذلك الوجود إلى شيء آخر . وهو اتصالها بالمحرك وهو لها من خارج . فلذلك ليس في ذاتها أن تكون معقولة بل أن يجعلها عقلاً غيرها . فلذلك تحتاج الى هذا الاتصال دائماً لتكون معقولة ، ويتم لها كلها في وجودها فيكون كمال وجودها الخاص بها هو من جنس الوجود الناقص ، فاذا أخذت قسطها من الوجود الأفضل

(١) المخطوطة : ان .

(٢) المخطوطة : الوجود .

(٣) المخطوطة : سمه .

(٤) المخطوطة : قبول .

كانت حينئذ مقتصرة على وجودها الأفضل^(١) . (ورقة ١٤٩ الف)
[فلاجل] هذا كل متبرئ من المادة وهي^(٢) ضرورية مفارقة كما يقال في
العقل المستفاد .

لكن قد يشكك على هذا القول ، فيقال : ان وجود الصور معقولة هو
وجودها غير مقترنة بفعل فقد لزم أن يكون في الطبيعة شيء باطل ، فيعود
الشك بعينه .

نفقول : ان هذه الصور الهولانية قد تكون محسوسة ومتخيلة فتكون
عند ذلك محركة للشهوة والغضب ولأشياء أخر كثيرة^(٣) . فتكون لها أفعال
إما في وجودها في المواد التي تخصها فتلقب بألقابها ، وإما في وجودها محسوسة
ومتخيلة فلا تلقب بتلك الألقاب ، بل بلقب الجنس نفسه^(٤) منحركة ولا اسم
لصنف صنف منها يخصها .

لكن قد يسأل سائل فيقول في وجودها معقولات مثل ذلك بعينه . ووجودها
معقولة ان بعضها لا يوجد شيء بفعله أصلاً . لكن هذا الشك انما يجب أن
يفحص عنه عند النظر في وجود العالم ونسب ما فيه بعضها الى بعض . فإن
وجود المعقول من أجل غيره غير وجود الهولاني من أجل غيره ، بل
الوجودان متقابلان^(٥) . ولهذا^(٦) قال أبو نصر : « ويصير أحد موجودات

(١) الغلوطة : وجودها الافضلين .

(٢) الغلوطة : هو .

(٣) راجع أرسطو : Arist. : De An. I. 403 a 16 .

(٤) أيضاً : Zeller : Arist. I. p. 220 ft. ; Arist. : Met. VIII. 6. ch. 28. 1024 b 3 .

(٥) راجع زيلر : Zeller : Arist. I. p. 351 .

(٦) في نسخة برلين عنوان مستقل : « في الحس » .

العالم» (١) .

ولما كان المحرك بفعل حيناً ولا بفعل (٢) حيناً آخر وجب أن يكون هناك تغير ضرورة . إلا أن المحرك ليس بجسم ، فالتغير إذن في الصورة الهيولانية . ولما كان كل ما ليس منقسم فليس متغير كان لها التغير (٣) بالعرض (٤) وهو أن توجد للتغير . فهي إذن ضرورة تحتاج أبدأ الى الهيولى للتغير بها (٥) . وهذا الاتصال ليس يقال بالتغير في المكان ، لأن أحدهما ليس بجسم وليس يقرب أو يبعد ، فليس إلا في الوجود (٦) .

ولذلك يكون للهولاني ضربان من التغير ، يتقدم أحدهما الآخر على نحو ما يتقدم مبداهما (٧) : أما الواحد فهو التغير (٨) في المكان ومبدأه الوجود الهولاني من أجل أنه هو في موضوع . فان الهولاني إنما يدل عليه من أجل

(١) راجع رسالة في العمل ، نشر بونيج (Bouyges) ص ١٧ : « فإذا حصلت العقولات بالفعل صارت حيثئذ أحد موجودات العالم وعدت من حيث هي عقولات في جملة الموجودات » . والعبارة تدل على أن العقولات تختلف من الأجسام . وابن باجة يوضح الأمر عندما يصف ان الحس المشترك لا يوجد في نفسه ، وإذا يدرك بالحس ليصير شيئاً متاراً اليه وأحد موجودات العالم . راجع ورقة ٢٢٠ ب : فإذا إنما يعطى التي المادة قوة الحس المشترك فيما له ذلك ، وليس هو في نفسه شيئاً موجوداً . وإذا أحس صار شيئاً متاراً اليه وأحد موجودات العالم ، وإذا كان بحيث يبقى فيه رسوم أحس بعد غيبة الحسوس صار بالفعل شيئاً متاراً اليه وصار أحد موجودات في العالم .

(٢) المخطوطة : بعمل .

(٣) المخطوطة : المتغير .

(٤) راجع النص ورقة ١٥٣ الف : فتغير الصورة ... بالعرض .

(٥) قارن أرسطو : Arist. Met. 1010 a 15; Phys. VIII. 3. 253 b 9 sqq .

(٦) راجع النص ورقة ١٤٨ الف : والاتصال اما في الوجود الخ ، ... على اتصال الوجود .

(٧) المخطوطة : مدامها .

(٨) المخطوطة : المتغير .

أنه كائن لا من أجل أنه موجود ، والتغير الآخر من أجل هذا الوجود الخارج عن ذاته الذي يتقدم ذلك الوجود الآخر كما تتقدم حركة المكان سائر الحركات . فأما التغير في الكم - مثل الذشوء - ^(١) فذلك خاص ببعض الأجسام الهولانية وهي المتغذية .

والتغير في الوجود هو أن يصير « هذا » في رتبة أقرب الى الوجود ^(٢) . وذلك بأن توجد لها مغايرة ما . وقد قلنا ان ذلك ليس بممكن فيها إلا من أجل المحرك والمحرك لا يحرك ^(٣) . فظاهر أنه يجب (ورقة ١٤٩ ب) أن يكون الوجود يخاطب الاسطفسات ليس بواحد هو منها أخرى بالوجود من الهولاني ^(٤) وهو مشوب مع الاسطفسات ^(٥) يكون تارة تحريكه بمحرك مجانس له وهو الذي في ذات الأنفس المتناصلة ، وبعضه تحركه الأجسام المستنديرة كأنفس المتكونة غير المتناصلة .

ولأن القول في وجود الصور الهولانية مجردة عن الهولوى ، وهذه هي العقل بالفعل ^(٦) فقد تبين أن ذلك هو السبب الأقصى ^(٧) مما قلناه قبل .

(١) المخطوطة : النفس .

(٢) مراتب الوجود يقيناً ابن السيد البطليوسي من رفقاء ابن باجة ، في كتاب الحقائق ، ويقول في ختام البحث : فاعلم أن أريد بذكر القرب والبعد مراتبها في الوجود . راجع الأندلس : Al - Andalus : vol. V. 1940 p. 64. 5 ، ميدرد .

(٣) المخطوطة : لا يتحرك .

(٤) المخطوطة : الهولانية .

(٥) قارن أرسطو : Phys. III. 4. 204 b 32 .

(٦) راجع التعليق (١) ص ٣٩ ، من الجزء ٣ من هذا المجلد (الفصل الثاني) .

(٧) كما قال ابن السيد في حدائقه (الأندلس : vol. V. 1940 p. 65. 8) : أول الموجودات التي خلقها الله تعالى الثواني التسع والمقول المجردة عن المادة ، ويتبعها العقل بالفعل الذي يخدم الاسطفسات وهو مجرد عن المادة مثل للثواني ، وهو عاشر في مراتب الوجود .

وكان هذا النحو من ^(١) الوجود في ^(٢) الهبولى لا يمكن أن يكون موجوداً بالفعل حتى يكون بأحوال محدودة من الاغذاء ^(٣) والامكن أن يكون مختاراً من الغذاء الملائم الى سائر ما لا يتم وجوده إلا به وهو الانسان .

فبالضرورة تقدمت إذن القوة الناطقة سائر ^(٤) قوى النفس في الوجود ، ووجدت سائر القوى لأجل هذه التي هي أفضل ، فلذلك تكون والتخيل من أجل القوة الناطقة ، ولم يكن ذلك ^(٥) بالضرورة كما يعتقد من يرى أن الاسطقتات لما اختلطت باعتدال عرض عنها الحس بالاتفاق .

والصورة إذن لها مراتب : أولها كونها وجودها هيولانية ^(٦) ، وهذه فلا مغايرة فيها أصلاً . وهي الطرف الأقصى ، وطرف آخر مقابل له وهو وجودها معقولة ، وهو طرف أقصى . إلا أنه في وجودها معقولة < يجب > أن يكون لها وجود هيولاني ويكون ذلك مما به قوامها . فإن ذلك هو مبدأ وجودها . وإن التام هو أخلق المبادي بأن يكون مبدأ فلذلك لا يمكن هذه أن تنجرد من الهبولى أصلاً . ومتى جردت كانت مختزعة كاذبة . فلذلك لزم ضرورة أن يكون النظر الطبيعي في « الصور مع المواد » . وتلخيص هذا يكون في القوة الناطقة ^(٧) فهي أبداً لا تتخلو ^(٨) من موضوع إذ كذلك طبع .

(١) المخطوطة : في .

(٢) المخطوطة : من .

(٣) قارن ابن باجة : ورقة ٤٥ الف : وأما الحيوان فإنه كما قيل في مواضع كثيرة بالطبيعة يتنذري .

(٤) المخطوطة : وسائر .

(٥) أي قوة الحس لم تكن بالضرورة ولكن الحس والتخيل هما وجداً من أجل القوة الناطقة .

(٦) راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس . بتحقيق أحمد الأهران ، ص ١٦٠٧٣ وحيدراباد ص ٦٧ .

(٧) انظر ورقة ١٦٤ الف : « فإن كان ذلك لها هبولى الخ » .

(٨) المخطوطة : لا تتخلوا .

م (٧)

فاذا وجدت متغايرة فظاهر أنه قد اتصل بها المحرك على قدر تغايرها . وذلك تابع لمقدار التجرد . فكذلك كل صورة هيولانية ، أعني أن توجد في موضوعها على أن الموضوع هيولى لها . فهي والاسطقسات في رتبة واحدة . فأما اذا وجدت متزعة نحواً من الانتزاع سواء كانت مجردة أو كان لها موضوع - إلا أن حال موضوعها منها ليست مثل حال الهيولى من الصورة - فإن ذلك كيف كان فيقال له إدراك .

فأما تجرد الصور الهيولانية فذلك غير ممكن لأن نسبتها الى الهيولى فيها على ما تبين قبل هذا ^(١) . فلذلك يكون في ذوات (ورقة ١٥٠ الف) الصور ضرورة معنى به تتصل بالهيولى ، فما دام اتصالها [الهيولى] كانت عقلاً واذا تجردت ^(٢) الهيولى صارت عقلاً بالقوة .

وهذا التجرد مراتب ، وكل رتبة يقال لها «نفس» ، و «قوة نفسانية» وهي رتبة : منها الحس ثم التخيل ثم النطق وهو ^(٣) أقصاها . فأما المتعدي فأى رتبة رتبته فسببين أمره بعد . وقد قلنا من أجل ماذا كانت هذه الرتب ، وانها كلها من أجل الناطقة .

وأما ان هذه رتب فذلك بين بنفسه . فان الحس والتخيل أمران ظاهران الوجود .

فأما أى هذه هي الحس وكيف يكون ، فيبين ما نقوله :
فنقول : إن من الأمور الظاهرة ان الحس يكون بالفعل ^(٤) كحال الحيوان المنتهى عندما يحس ، وقد يكون بالقوة مثل حال النائم والغائى عينيه . والقوة

(١) انظر ورقة ١٤٧ ب : «غير ان نسبتها الى نوع الصورة الأول توجد الخ» .

(٢) المخطوطة : تحركت .

(٣) المخطوطة : وهي .

(٤) فارن أرسطو : De An., II. 5. 417 a 6; 22 sqq. أيضاً ابن رشد : تلخيص

كتاب النفس ، الأهماني ، ص ٣٠٢٠ ، حيدرآباد ص ١٧ .

منها قريبة ومنها بعيدة^(١) . والبعيدة كقوة الجنين على الحس ، والقريبة كحال حاسة الشم عندما لا يحضر مشحوم ، وحال البصر عند الظلمة . وكذلك من الأمور المعترف بها ان لا يحس أي نوع شيئاً من الحس بأي عضو^(٢) اتفق . فان الحيوان لا يبصر بفمه ولا يذوق بعينه .

وكل ما بالقوة فأنما يصير بالفعل بأن يتغير بتغير كما تبين في ثامنة السماع^(٣) . فقد يجب أن يكون في الحس متغير ومتغير^(٤) . ويثبت أن المتحرك غير المحرك . فالمحرك هو الحسوس ووجوده محركاً ظاهراً بنفسه والمتحرك هو الحاسة . وكل متحرك فانه بالقوة ذلك الذي اليه يتحرك فالحاسة لها قوة الحس ، والقوة على ما تبين في مواضع كثيرة هي في الميولي^(٥) . فلننظر أي ميولي يجب أن تكون هذه .

فنقول : ان الميولي يقال بتقديم على الميولي الأولى المشتركة الكائنة الفاسدة وهي بالقوة ذلك الشيء الذي من شأنها أن تقبله . وهي في غير ذاتها غير مصورة لكنها كما قلنا مقترنة بصورة^(٦) ، فلذلك يوجد لها أبداً أحد الأضداد . وذلك ان الصور الأولى التي هي صور الجواهر كالخفة والثقيل^(٧) ، فلا توجد

(١) قارن أرسطو : De An. II. 5. 417 a 30; b 19, 30; 418 a 1 : تلخيص كتاب النفس ص ٢٠ .

(٢) راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهوائي ، ص ٢٥ ، حيدرآباد ص ١٠٠٢٢ .

(٣) انظر النص نفسه ورقة ١٤٣ ألف ، والتعليق ٢ و ٤ من ص ٤٢٦ من هذا المجلد .

(٤) قارن أرسطو : De Somno I. 454 a 9; De An. II. 5. 416 b 33 .

(٥) انظر النص نفسه ورقة ١٤٧ ب : والقوة ابداً إنما هي المادة النح .

(٦) النص نفسه آخر ورقة ١٤٦ ألف . وورقة ١٤٦ ب : وهي لا تغلو من صورة أسلا النح . وابن رشد : المصدر نفسه ، الاهوائي ، ص ٢١ ، حيدرآباد ص ١٧ و ١٨ .

(٧) انظر ابن رشد : المصدر نفسه ، الاهوائي ، ص ١٦٠٧٣ ، حيدرآباد ص ١٩٠٦٨ .

خلواً من هذه . وكذلك في الأعراض التي تنسب الى الأجسام من أجل ما هي أجسام ، فإن الميولي إنما يوجد لها من الأعراض الأول أحد الأضداد^(١) ، وأول الأعراض وجوداً فيها الأطوال . فلذلك توجد أبداً مجسمة . فأما لم كانت الأطوال أول الأعراض اللاحقة لها فقد أعطي السبب فيه في غير هذا الموضع . ثم من بعد ذلك أنواع ، الكيف والأين الى سائر ما للجسم من المقولات العشر . فكل صورة في مادة فإن الأطوال تلزمها . لأن الصورة إما أن تكون بسيط - فقد قيل - لها من أجل المادة الأطوال ، أو تكون لمركب ، فهي عن ذوات الأطوال . ويلزمها من أجل صورتها النوع من الطول الذي (ورقة ١٥٠ ب) يوجد لها سواء كانت نسب أبعادها الثلاثة بعضها الى بعض محدودة كالحيوان أو كانت لها بالعرض كقطعة ذهب فإنها قد تكون كرة فتكون أبعادها الثلاثة متساوية ، فإذا مدت فصارت مستطيلة تقرب أبعادها بعضها الى بعض .

والمحسوسات هي أعراض في أجسام هيولانية وهي التي تخص بالأجسام الطبيعية أو صور الأجسام الطبيعية . والأعراض الطبيعية إما خاصة بالأجسام الطبيعية كالحر والبرد والصلابة واللين ، وإما مشتركة للأجسام الطبيعية والصناعية . إلا أنها للصناعية متأخرة وللطبيعية متقدمة . فالمحسوسات إذن هي صور في أجسام طبيعية ، فإن الأعراض تجري مجرى الصور . ويبتن أن هذه كلها صور هيولانية ليس لصور واحد منها شيء من الانتزاع^(٢) .

والأعراض الطبيعية منها محركة ومنها متحركة . والمحركة منها مجانسة^(٣)

(١) أيضاً ، ص ١٠٧٤ وحيدراياد ص ٥٠٦٩ .

(٢) المخطوطة : الانتواع ، وبالهامش الانتزاع .

(٣) انظر النص ورقة ١٤٦ ب : والمحرك صفتان واما مجالس

للمتحرك وهي (١) الشيء الذي يصير المحرك مثله كالنار ، < ومنها > غير مجانسة (٢) كالنار لتصلب الطين .

وما تحرك عن نوعه فليس يصير ذلك المحرك ولا يصير له ذلك المعنى المخصص بالمحرك من جهة ما هو ذلك المحرك فلذلك (٣) تحركت الى النوع (٤) فانها (٥) لو تحركت الى ذلك الشخص من أشخاص من نوع المحرك لما أمكن ان تحرك خشبة ما . بل كانت (٦) تحركها فارما بعينها ، كحركة العاشق للمعشوق ، فانها (٧) ليست تتحرك الى أي انسان اتفق مثل الانسان بعينه ، وهذا يبين بنفسه . ولذلك تبين في المحرك انه انما حرك لابانه ذلك الذي في المادة من أجل انه في المادة بل حرك من جهة انه ذلك النوع ، كما يشاهد ذلك في الأجسام المتزجة ، فانها تتحرك بحركة الأغلب من غير أن يكون هنالك عند الامتزاج الخيار . ولا تغاير إلا أن يكون هناك متضادان وهما انما هو أحد الأضداد فقط ولا معنى فيه (٨) للمادة بل هي فيه كأنها ليست بوجوده وكأن الصورة موجودة في الجسم فقط . وانما تبين أمرها كما ذكرناه (٩) عند التغير .

(١) المخطوطة : وهو .

(٢) المخطوطة : غير مجانس .

(٣) المخطوطة : بل .

(٤) أي الصورة الخاصة التي تتحرك الى النوع يقال لها الطبيعة أو ما يجري مجراها ، كما ذكر ابن باجة في تدبير المتوحد ص ٦٨ : ... الطبيعة ، فان العاطش مثلا يجد في نفسه صورة روحانية للماء (في الأصل : الماء) والجائع للطعام (في الأصل : الطعام) وأما ما يجري مجرى الطبيعة كالعاشق للمعشوق وبالجملة فالعاشق للمعشوق .

(٥) المخطوطة : فانه .

(٦) المخطوطة : كان .

(٧) المخطوطة : فانه .

(٨) المخطوطة : فيها .

(٩) انظر النص ورقة ١٤٦ ب : فالصورة إما أن تكون لها مادة لا على أنها هيول لها التح .

وليس هذا هو الوجود الذي وقع به التباير بل هذا هو وجوده للصورة التي يخصصها من أجل ذاتها .

فان وجدت هذه الصورة وقد غابت المادة على النحو الذي قلناه (١) ، فانها تكون على أحد نحوين : إما أن تكون كانت موجودة متغايرة فحضرت عند الادراك ، ويثبت أن هذا محال ، فانه يلزم أن تكون صورة هذا الكاتب مثلاً بوجوده عند الحاسة (٢) قبل ادراك المحسوس (٣) . وإما أن تكون تحدث فيلزم أن تكون بالقوة ، وما بالقوة فهو هيولى . لكن إن كانت تلك الهيولى له فالحدث مثله هو ، لأنه يلزم أن يكون (ورقة ١٥١ الف) الحادث جسماً فيكون بالحس ذا عظم في نفسه فلا يحض الصغير ما هو أكبر منه لأنه يكون الجزء ليس بأصغر من الكل ، وهذا محال .

وانما تتصل بالحرك غير الاتصال الأول ان كان هناك اتصال . وان كانت الهيولى بجال أخرى حتى تكون اذا كانت بجال ما اتصلها ، واذا كانت بجال أخرى لم يتصل بها . وتلك الحال هي النفس - أو تكون مواد لا من نوع واحد فكيف تكون مادة بلا صورة أصلاً ؟ وكيف يتحرك ما هذا سبيله وكيف كان ؟ فان الحرك قد اتصل بهذا المتحرك غير اتصاله بالهيولى حتى صارت تقبل الصور هذا النوع من القبول ، إذ لا يمكننا أن نضع أن

(١) راجع للنفس ورقة ١٤٧ ب : إلا أنها غير بالضرورة ورقة ١٥٣ الف : اذا كانت الصورة قد غابت فتغير الصورة لذلك بالمرض .

(٢) الخطوة : الحاسب .

(٣) استدلال ابن باجة على ان الصور الروحانية لا تتجرد عن الأجسام والا لزم محالات بدليل آخر يشبه ما ذكره في النفس ، ورقة ٢٢١ الف و ب : د ولو وجدت (أي الصور الروحانية) مفارقة لزم أحد أمرين : اما أن يكون أجساماً ولذلك تتصل بالأجسام وكونها أجسام محال ، وأيضاً فلو كانت موجودة مفارقة لزم من ذلك أيضاً محالات كثيرة وهو وجود أشخاص الاعراض مفارقة لأن هذه الاعراض هي التي تحرك فيلزم ما يلزم وهو وجود الأشخاص قبل وجودها .

الحس يحرك المحسوس^(١) . ولو وضعنا ما وضعه جالينوس في الأبصار فعل ذلك المحسوس ولا يفرق . إلا أن جالينوس يضع المحرك المتحرك يتحرك الى المحرك وهو المحسوس^(٢) ، وأرسطو يضع ان المحرك هاهنا هو المحسوس ، هو الذي يتحرك بنحو ما الى المتحرك ، لأن المحرك يجب أن يكون بالفعل . وهذا بين بنفسه . وهذه القوة هي نفس بالجملة .

ولما كان الأمر على ما تبين ، وأن كل كائن فاسد فهو جسم ملموس^(٣) . وكان كل ملموس^(٤) فهو إما بسيط وإما مركب . وكانت البسائط هي الأربعة وهي المعدودة في مواضع كثيرة - واحد المواضع في الثانية عشر من الحيوان^(٥) . وقد تبين أن كل جسم حساس فهو مركب^(٦) وليس بسيط ، وأنه على ما تبين من أرض ليكون له قوام ونهاية مخصوصة ، فانه ليس بوجود حيوان متشابه الأجزاء ، ولا نبات . وكل مركب فلإما أن تكون اسطقساته التي تتركب منها^(٧) موجودة فيه بالفعل - فيكون تركيبه إما اتصالاً وإما التحاماً ، وبالجملة فيكون متلافياً^(٨) - وإما أن تكون اسطقساته التي منها تتركب موجودة فيه بالقوة ، فيكون امتزاجاً . وما له نفس فهو مركب على هذه الجهة

(١) قارن زيلر : Zeller (De An. II. 5 init.) Arist. II. p. 58. 6

(٢) قارن أرسطو : De An. II. 5. 416 b 33; 417 a 13

(٣) المخطوطة : ملموس .

(٤) المخطوطة : ملموس .

(٥) أيضاً Arist. De Motu 703 a 25; De caelo. 269 a 2. 29

٩٤ ب : « قال أرسطو عندما عدد الاسطقسات في الثانية عشر من الحيوان » .

(٦) راجع ابن باجة : ورقة ٩٣ ب : انواع التركيب ثلاثة : الأول تركيب الاسطقسات - وهو من الصورة والمادة الأولى ، والثاني التركيب من الاسطقسات وهو في التشابه الأجزاء . والثالث التركيب من هذه وهي الأعضاء في ذي الأعضاء ، وأجزاء النبات كاليد والرجل وما جالهما .

(٧) المخطوطة : منه .

(٨) المخطوطة : متلامت .

لا على الجهات الآخر . فإنه لا يوجد نبات ولا حيوان يوجد < فيه > أحد الاسطقات بالفعل ، فلا يظهر فيه أحد الاسطقات ظهوراً يظن به أنه أحدهما ، كما يظن ذلك في كثير من المركبات ^(١) ككثير من الأجسام و كثير من الأجسام المعدنية . بل إنما توجد الأرض والماء فيهما مختلطان . وأما سائر الاسطقات فوجودها قد يخفى في بعضها .

وكل ممتزج فله مازج ^(٢) ، وقد تبين في الكون والفساد كيف يكون المزج بالإطلاق ^(٣) .

والامتزاج منه صناعي كمزج الذهب بالفضة والعسل بالخل في السكنجيين ، ومنه طبيعي كامتزاج الاسطقات في النبات ، والامتزاج الطبيعي يكون على ما بين بفعل وانفعال .

وأصناف التغير الذي يكون به نوع نوع من أنواع الامتزاج هو إما طبع وإما عفونة (ورقة ١٥١ ب) أو غير ذلك من الأنواع المحدودة في الرابعة من الآثار العلوية ^(٤) . وهذه كلها تتم بالحرارة الطبيعية ^(٥) فهي في جسم طبيعي ضرورة فإن الحرارة مما تفارق . ولست تلك الحرارة في أحد الاسطقات لأنها إن كانت فيه فهو يحتاج ضرورة إلى أن يتحرك هو والاسطقس الآخر في المكان حتى تلاقيا فإن اللقاء يتقدم الامتزاج . فإن كان المحرك لهما أو لأحدهما لم يحرك لأجل الامتزاج فهو امتزاج بالعرض .

(يتبع) محمد صغير مبيع المعصومي

(١) قارن أرسطو : Arist : De Gen. et Cor. I. 5. 322 a 32 ؛ وبين ابن باجة في الآثار ورقة ٦٨ ب : « وكان كل مركب فن بساطة أربعة ، وكان تركيبها على طريق التجاوز وقد يكون على طريق المزج » .

(٢) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 6. 322 b 10 .

(٣) أيضاً I. 10. 328 b 15 — 25 .

(٤) أيضاً Arist. Meteo. IV. 2. 379 b 12; 25 — 30; 380 a 5, 11 sq .

(٥) أيضاً Meteo. IV. 2. 379 b 8 .

كتاب فتيا فقيه العرب (*) لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي

- ٢ -

قيل له : الرجل يمشي قبل حلول الحول ؛ هل تسقط عنه الزكاة ؟
قال : نعم .

يقال : مشى الرجل ؛ إذا ذهب ماله بعد كثرته .

قيل له : هل يمد مع الفرش ، الحشو ؟

قال : نعم .

الفرش ؛ الإناث من الضأن ^(١) . والحشو ؛ أولادها .

قيل له : أفي المثنين - تنقص نواة - زكاة ؟

قال : لا .

النواة ؛ وزن خمسة دراهم .

قيل له : برء سقطت في هلال ^(٢) .

قال : نجس .

البرء ؛ الفارة .

والهلال ؛ بقية الماء في الخوض .

(*) انظر القسم الأول من هذا المقال في الجزء الثالث من هذا المجلد الثالث والثلاثين .

(١) في الملاحن ص ٣٠ : الصغار من الإبل . وفي (المفردات في غريب القرآن)

ص ٣٨٢ مادة « فرش » والفرش : ما يفرش من الأنعام ، أي ؛ يركب .

قال - تعالى : « حولة وفرشا » .

(٢) في المزهر ج ١ ص ٦٣٥ ؛ وفي فتاوى فقيه العرب : مثل عن برء سقطت

في هلال . قال : نجس . البرء ؛ الفارة . والهلال ؛ بقية الماء في الخوض .

قيل له : متى تجب الصدقة في القرار ؟

قال : اذا كانت أربعين .

القرار ؛ الغنم .

قيل له : ما يجب في الحاضرتين ؟

قال : الدية .

الحاضرتان ؛ الأذان .

والحواضر ؛ الآذان .

قيل له : علق خالط ماء .

قال [f. 7 a] : نجس ؛ اذا كان قليلا .

العلق ؛ الدم .

قيل له : علق خالط ماء .

قال : ينجس ؛ اذا كان قليلا .

العلق ؛ الخمر .

وقيل له : ما تقول في الصلوة في الملقوط ؟

قال : لا بأس .

الملقوط ؛ المرفوف .

قيل له : هل يُتَوَضَّأُ بالماء المُسَكَّن ؟

قال : نعم .

المُسَكَّن ؛ المحمي بالسكن ؛ وهي النار ^(١) .

وقيل له : هل تجب الصدقة قبل الهجر ؟

قال : لا .

الهجر : السنة ^(٢) .

(١) وتراجع الملاحن ص ٦٠ .

(٢) في تاج المروس ج ٣ ص ٦١١ : مادة (هجر) : ولقبته عن هجر ، بالفتح ؛ أي بعد حول ونحوه . وقيل : الهجر ؛ السنة فصاعدا ..

تقول العرب : لا أكلك هجراً ؛ أي سنة .

قيل له : المرأة تدرس أقل من يوم ، فترك الصلاة ؟

قال : تعيد .

الدرس ؛ الحيض ^(١) .

يقال : درست المرأة ؛ إذا حاضت .

وقيل له : مع المصر شفعة ؟

قال : لا

المصر ؛ الحد .

وهذا مذهب أصحابنا ؛ إذا وقعت الحدود [f. 7 b] ، فلا شفعة .

قيل له : للشبعان أن يقصر الصلوة ؟

قال : له ذلك ، مع مسافة القصر .

الشبعان ؛ الآمن .

قال ثعلب ^(٢) : رجل شبعان ؛ آمن .

- (١) وتراجع السامي في الأسماء ص ٧٧ ، والمزهر ج ١ ص ٥٠٨ .
 (٢) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ، أبو العباس ، النحوي ، الشيباني ؛
 مولاهم ؛ المعروف بثعلب . ولد في سنة ٢٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٩١ هـ .
 له ترجمة في الكنى والألقاب ج ٢ ص ١١٥ - ٧ ، وترجمة الألباء ص ٢٩٣ -
 ٩ ، وصروج الذهب ج ٤ - ٢١٥ - ٦ ص ٢١٧ - ٨ ، والفهرست ص
 ١١٠ - ١١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٠٧ - ٨ ، وقارنغ بغداد ج ٥
 ص ٢٠٤ - ١٢ ، وقارنغ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٨٠ - ١ ومعجم
 الأدباء ج ٥ ص ١٠٢ - ٤٦ ، وضبط الأعلام ص ٢٤ ، وإنباه الرواة
 ج ١ ص ١٣٨ - ٥١ ، ومراتب النحويين ص ٩٥ - ٦ ، وبغية الوعاة
 ص ١٧٢ - ٤ ، وطلقات النحويين والقنويين ص ١٥٥ - ٦٧ ، وهدية المارفين
 ج ١ ص ٥٤ ، وقارنغ أبي الفداء ج ٢ ص ٦٤ ، وريحانة الأدب ج ١
 ص ٢٣٣ - ٥ ، وهدية الأحباب ص ١١٤ ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة
 ص ٦٦٢ - ٣ ، وروضات الجنات ص ٥٦ - ٧ .

قيل له : هل في محراب المسجد صلوة ، بصلاة الإمام ؟

قال : نعم .

المحراب ؛ العلنو .

قال الشاعر ^(١) :

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها ^(٢) أو أرتقي سلمها ^(٣) (٤)

وقيل له : هل يجوز التيمم بالنعل ؟

قال : نعم ؛ إن علق غبارها باليد .

النعل ؛ الحرمة ^(٥) . والحرمة ؛ أرض فيها حجارة سود . (*)

(١) هو وضاح اليمن . تراجع تاج العروس ج ١ ص ٢٠٦ ، ولسان العرب ج ٣

ص ٣٠٥ ، والصحاح ج ١ ص ٤٢ : مادة (حرب) ، وجمع البيان مج ١

ص ٤٢٦ (آل عمران : ٣٧) ومع ٤ ص ٣٨٠ - ١ (سبأ : ١٠) ،

والأغاني ج ٦ ص ٤٣ ، وشرح القصيدة الدريدية ص ٨٧ ، وجهرة اللغة

ج ١ ص ٢١٩ . وفي مقاييس اللغة ج ٢ ص ٤٩ - غير منسوب .

(٢) في المراجع المذكورة ، لم ألقها .

(٣) البيت من كائنه الطريفة التي اختارها أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني

ج ٦ ص ٤٣ - ٤ ، وأولها :

يا ابنة الواحد جودي فإ ان تصرميني فإ أو لا

(٤) رواية شرح القصيدة الدريدية ص ٨٧ :

وبت محراب إذا جئتها لم أدن حتى أوتقي سلمها

وفي شرح المفضليات ص ٢١٣ ، و ٧٦٨ ، وجهرة اللغة ج ١ ص ٢١٩ :

ربة محراب إذا جئتها لم أدن حتى أوتقي سلمها

وفي مجمع البيان مع ٤ ص ٣٨١ :

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها أو أرتقي سلمها

وفي الأغاني ج ٦ ص ٤٥ :

ورب محراب إذا جئتها لم ألقها أو أوتقي سلمها

(٥) وفي الملاحن ص ٩٠ : القطعة النليظة من الأرض .

(*) هنا وردت جملة لم تر لجنة المجلة وجهاً لذكرها .

قيل له : هل يفسد لعاب البصير الماء القليل ^(١) ؟

قال : نعم .

البصير ؛ الكلب ^(٢) .

قيل : فإن صار لعابه في عضو ؟

[f. 8 a] قال : كذلك .

العضو ؛ البئر ، البعيدة القعر ؛ إن كان ماؤها قليلاً ، فسد بلعابه ، وإذا

كان كثيراً ، لم يضر . هذا مذهبنا .

قيل له : هل تغرم العافية ما أكلت ؟

قال : نعم .

العافية ^(٣) ؛ التي تأتي زرع قوم ، أو ثمرهم ؛ فتأكل منه ؛ لإقامة الرمي .

فقد أبيع لها ذلك ؛ على أن توقر ثمنه على صاحبه .

قيل له : هل في عقص اليد قود ؟

قال : إن أوهن ذلك .

العقص : لي اليد .

يقال : عقص يده ، بعقصها ، عقصا ؛ إذا لواها .

قيل له : هل يكون الألب عاقلاً ؟

قال : لا .

يريد ؛ انه لا يعقل عن الابن ، اذا قتل خطأ ؛ وهذا مذهبنا ؛ لا يؤخذ

الألب بجريرة ابنه ، ولا الابن بجريرة أبيه .

(١) في الزهر ج ١ ص ٦٣٧ ؛ من ثباته عليه المرب : يفسد لعاب البصير الماء

القليل - يعني الكلب .

(٢) وتراجع شرح المقامات الحورية ج ٢ ص ١٢١ .

(٣) تطلق العافية على الدابة أو الطير . (لجنة اللغة)

قيل له : هل يُرَدّ الفرس من العقاب ؟

قال : نعم ؛ إذا استعابه العلماء .

[f. 8 b] العقاب ؛ شبه لوزة تخرج في إحدى قوائم الدابة .

قيل له : هل في العَلَم قود ؟

قال : نعم .

العَلَم ؛ شق الشفة العليا ^(١) .

قيل له : هل على قاتل الانعمى مغرم ، إذا صال ؟

قال : لا

الانعمى ؛ الفعل .

يقال للسيل والفحل ؛ الأعميان ^(٢) .

قيل له : هل يقتل العيار في الحرم ؟

قال : نعم .

العيار ؛ الأسد .

قال الشاعر :

لما رأيت أبا عمرو ، رزمت له عمداً [كما ^(٣)] رزم العيار في الغُرف ^(٤) ^(٥)

الغرف ؛ جمع غريف ، وهو الغابة .

(١) وتراجع الملاحن ص ٩ .

(٢) في كتاب السامي في الأسامي ص ٧٨ ؛ الأعميان ؛ السيل ، والجل الهايج .

وفي الزهر ج ٢ ص ١٧٤ ، واصلاح المنطق ص ٤٣٨ - ٩ ، والمختص

ج ١٣ ص ٢٢٤ ؛ قال أبو عبيدة ؛ الأبهان - عند أهل البادية - السيل

والجل الهايج ، ينموت منها ؛ وهما ؛ الأعميان .

(٣) الزيادة من المراجع .

(٤) رواية المراجع :

لما رأيت أبا عمرو رزمت له منسي كما رزم العيار في الغرف

(٥) تراجع الصحاح ج ١ ص ٣٧٣ ، ولسان العرب ج ٢٠ ص ٦٢٣ ، وقام المروس

ج ٣ ص ٤٣٤ ؛ مادة (عير) ، وفي مقاييس اللغة ج ٤ ص ٤١٨ ؛ مادة

(غريف) .

قيل له : هل تؤخذ الجزية من العباد ؟

قال : نعم .

العباد ؛ نصارى أهل الحيرة . والنسبة اليهم ؛ عبادي .

قيل له : ما كفارة العاتق ؟

قال : إطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة مؤمنة ،

أو صيام ثلاثة أيام ؛ إن لم يجد ذلك .

العاتق ؛ اليمين المتقدمة .

يقال : عتقت عليه يمين ؛ اذا تقدمت [ووجبت ^(١)] .

[f. 9 a] قال أوس ^(٢) :

علي التبة عتقت قديما وليس لها - وإن طلبت - مرام ^(٣) (٤)

وقيل له : هل يطوف بالبيت عاتكة ؟

قال : أكره ذلك ^(٥) .

العاتكة ؛ التضمخة بالخلوق ، والطيب .

وقيل له : محرم ، قتل عثمان .

قال : عليه فيحة العثمان .

العثمان ؛ فرخ الجباري .

قيل له : هل تقسم العجوز بين الورثة ؟

قال : لا . لكن ، نباع ، ونقسم الثمن بينهم .

العجوز ؛ السيف .

(١) الزيادة من اصلاح المنطق ص ٢٦١ .

(٢) هو أوس بن حجر ؛ الشاعر المعروف ، كما في المراجع .

(٣) رواية اصلاح المنطق ص ٢٦١ :

علي التبة عتقت قديما فليس لها وإن طلبت مرام

(٤) تراجع لسان العرب ج ٤٠ ص ٢٣٥ ، والصاح ج ٢ ص ١٠٤ ، وقام المروس

ج ٧ ص ٤ ؛ مادة (عتق) ، واصلاح المنطق ص ٢٦١ .

(٥) في الزهر ج ١ ص ٦٣٧ ؛ من قبا نفيه العرب : يكره أن يطوف بالبيت

عاتكة - وهي ؛ التضمخة بالطيب .

وقيل له - أيضا : ما تقول في عجلة ، خالطها عجوز ؟

قال : تُفَسِّل .

العجلة ؛ الاداوة .

والمعجوز ^(١) ؛ الخمر .

قيل له : هل للشيخ - إذا عجن - أن يصلِّي قاعدا ؟

قال : لا ؛ ما قدر على القيام .

العاجن ؛ الذي إذا نهض ، عجن الأرض بيديه من كِبَر .

قال الشاعر ^(٢) :

فأصبحت ككتفياً ، وأصبحت عاجناً وشر خصال المرء ؛ كنت وعاجن ^{(٣)(٤)(٥)}

(١) هذا ؛ والمعجوز ممان كثيرة ، ذكرها الفيروزابادي في (القاموس المحيط) ؛

مادة (عجيز) ج ٢ ص ١٨١ ، والسيد محمد مرتضى الزبيدي ، في تاج المروس

ج ٤ ص ٥٠ - ٢ ، والرحوم السيد محسن الأمين العاملي ، في معادن الجواهر

ج ٣ ص ٥٥٥ - ١٠ .

(٢) هو الأعشى (ظ ؟) تراجع ملاحيق الصبح المنير ص ٢٥٩ ، والدرر اللوامع

ج ١ ص ٢٢٩ نقلاً من المجموع .

(٣) رواية تاج المروس ج ٩ ص ٢٧٤ ، ولسان العرب ج ٥٥ ص ٢٧٧ ،

مادة (عجن) :

فأصبحت ككتفياً ، وهيجت عاجناً وشر خصال المرء كنت وعاجن

وانشاد ابن بزرج (كما في الدرر اللوامع ج ١ ص ٢٢٩) :

قد كنت ككتفياً فأصبحت عاجناً وشر خصال المرء كنت وعاجن

وفي شرح الشافية ج ٢ ص ٧٧ ، والمختص ج ١٣ ص ٢٤٦ :

وما أنا ككتي وما أنا عاجن وشر الرجال الكتفتي وعاجن

ورواية الأصل توافق الصحاح ج ٢ ص ٣٩٢ ، وديوان الأعشى (الصبح المنير)

ص ٢٥٩ ، وأساس البلاغة ج ٢ ص ٣٢١ ؛ (كنت) .

(٤) تراجع تاج المروس ج ٩ ص ٢٧٤ ، ولسان العرب ج ٥٥ ص ٢٧٧ ،

والصحاح ج ٢ ص ٣٩٢ ، والصبح المنير ص ٢٥٩ ، وشرح نهج البلاغة

ج ٤ ص ٥٠٨ ، وأساس البلاغة ج ٢ ص ٣٢١ ، والمختص ج ١٣ ص ٢٤٦ ،

وشرح المفصل ج ٦ ص ٨ ، وشر صناعة الإعراب ج ١ ص ٢٣٠ ، والدرر

اللوامع ج ١ ص ٢٢٩ ، وشرح شواهد شرح الشافية ج ٤ ص ١١٨ - ٩ ،

وشرح الشافية ج ٢ ص ٧٧ .

(٥) انظر هذه الحاشية في الصفحة التالية .

[f. 9 b] وقيل له : رجل له عذاران ، فأخذ الأطول ؛ لا لعلته في
الأقصر ، هل له أن يقصر الصلاة ؟
قال : له ذلك .
العذاران ؛ الطريقات .
قال ذو الرمة :

عذاران في جرداء ؛ وعشر خصوصها (١) (٢) (٣)

وقيل له : امرأة ، بليت بعازل .
قال : تغسل .
العازل ؛ عرق دم المستحاضة .
وقيل له : هل يجوز التيمم بالعرق ؟
قال : نعم .
العرق ؛ الأرض السبخة ؛ تنبت الطرفاء .

(٥) الكنتي : الذي لا يقدر على النهوض من الكبر إلا بعد الاعتماد على يديه اعتاداً
فأما كأنه يمجز (تراجع شرح الشافية ج ٢ ص ٧٧) . وفي سر صناعة الإعراب
ج ١ ص ٢٣٠ : نقوله : « كنتيا » ؛ منته : انه يقول : كنت في شباني
أفعل كذا ، وكنت في حداثي أصنع كذا .

(١) رواية الصحاح ج ١ ص ٣٦٠ ، والمسان ج ٢٠ ص ٥٥٠ ، وتاج العروس
ج ٣ ص ٣٨٧ ، والمعاني الكبير ج ٢ ص ٧١٠ ، وديوان ذي الرمة ص ٣٠٦ :
عذارين في جرداء وعث خصوصها
وفي ديوان ذي الرمة ، والمعاني الكبير :
عذارين عن جرداء وعث خصوصها

(٢) صدره :

ومن عافر ينفي الألاء سرائها
وفي المعاني الكبير :

من عافر ينفي الألاء سرائها
(٣) البيت من كلمة أوّلها :

تصاييت في اطلال مية بعدما نبا نبوة بالعين عنها دنورها

وقيل له : ما الذي يفسد الغرب ؟

قال : ما غيرُه .

الغرب : الماء الكثير ؛ لا يفسده شيء من النجاسة ، إلا أن يغيثه .

وقد قيل : الغرب : النهر الشديد الجربة .

وقيل له : هل لقتيل العصا دية ؟

قال : لا .

قتيل العصا : رجل فارق الجماعة ، فيقتل ^(١) . وهو في الحديث ^(٢) ^(٣) .

قيل له : محرم ، قتل عكرمة .

[f. 10 a] قال : عليه شاة ^(٤) .

العكرمة : الحمامة ^(٥) .

وقيل له : رجل خاف على نفسه الغيم ، هل له أن يتيمم ؟

قال : له ذلك .

الغيم : العطش ، وحرارة الجوف .

قيل له : هل يحد الرجل في الغبراء ؟

قال : إذا علم منه الشكر .

(١) تراجع كتاب العصا من ١٨٤ . وفي النهاية ج ٣ من ١٠٣ : مادة (عصا) : أي : إياك أن تكون قاتلاً ، أو مقتولاً ، في شق عصا المسلمين . وتراجع

- أيضاً - ثمار القلوب من ٥٠٤ ، والمخصص ج ١٥ من ١٥٩ .

(٢) تراجع النهاية ج ٣ من ١٠٣ « مادة - عصا » ، وفي للفائق في غريب الحديث

ج ٢ من ١٥٨ : صلة بن أشيم - رضي الله تعالى عنه - قال لابن السائل :

إياك وقتيل العصا . . . وفي مجازات الأحاديث النبوية من ٢٢٤ : ومنه قول صلة

ابن أشيم لأن السليل : إياك وقتل العصا . وكذا رواية أصل (كتاب العصا)

الخطي ، وقد صححتها محققه وفقاً لرواية النهاية والفائق والمخصص .

(٣) في ثمار القلوب من ٥٠٤ : قتيل العصا - العرب تقول : إياك وقتيل العصا . . .

(٤) في المزهر ج ١ من ٦٢٧ : من فتيا فقيه العرب : يحرم قتل العكرمة ،

عليه شاة - يعني : الحمامة .

(٥) في المزهر ج ١ من ٥١١ : وأبو عكرمة : الحمام .

الغبراء ؛ السكركة ، وهو نبيذ الذرة ^(١) .

قيل له : هل يتوضأ بماه الفقير ؟

قال : كل ماء طاهر ؛ فانه يتوضأ به .

الفقير ؛ مخرج الماء من القناة ^(٢) .

وقيل له : هل الفاجر يمينا وشمالا تفسد صلاته ، إذا علم ؟

قال : لا .

الفاجر : المايل .

وإذا مال يمينا ، وشمالا ؛ في صلاته ، عن الجهة ؛ جهة القبلة ، ثم علم ، لم تكن عليه إعادة .

قال ليبد ؛ في الفاجر ^(٣) :

فان تتقدم تنش منها مقدما غليظا ، وإن أخرت ، فالكفل فاجر ^{(٤)(٥)(٦)}

(١) تراجع فاج العروس ج ٣ ص ٤٣٧ ؛ مادة (غير) وص ٢٧٦ ؛ مادة

(سكر) والسان ج ١٨ ص ٣٧٥ - ٦ ؛ مادة (سكر) ، وفاج العروس

- أيضا - ج ٧ ص ١٤٣ ؛ مادة (سكركة) ، وج ٥ ص ٣٨٢ ؛ مادة

(سفرقع) ، والصاح ج ١ ص ٣٧٤ ؛ مادة (غير) ، والمرب ص ٢٣٦ ؛

مادة (الغبراء) وقلة الله ص ٤٠٢ ، والنهاية ج ٣ ص ١٤٧ ؛ مادة (غير) .

(٢) وفي الملاحن ص ٤٨ ؛ جملة الفقر ، وهي ثياب تحفر في الأرض ركبا ؛

ينفذ بعضها إلى بطن ، حتى يجتمع ماؤها إلى بئر واحدة ، أو يسبح على الأرض .

(٣) من كلمة له يخاطب عمه أبا مالك . تراجع لسان العرب ج ٢١ ص ٤٧ ؛ مادة (فجر) .

(٤) رواية الديوان ص ٥ ، والمالي الكبير ج ٢ ص ٧٨١ ؛

فان تتقدم تنش منها مقدما غليظا وإن أخرت فالكفل فاجر

(٥) البيت من كلمة أولها :

من كان منتهى جاهلا أو مضترا فا كان بدعا من بلائي عامر

وقبه :

فلت ازدجر احناء طيرك واعلن

فأصبحت أنتى تأنها تبئس بها

فان تتقدم البيت

(٦) تراجع لسان العرب ج ٢١ ص ٤٧ ، والصاح ج ١ ص ٣٨١ ، وكتاب

المالي الكبير ج ٢ ص ٨٧١ ، وديوان ليبد ص ٥ وأمالى المرتضى مج ١

ص ٤٥٧ ، وخزانة الأدب مج ٣ ص ١٩١ .

وقيل له : ما تقول في الفلاح ، مع الفاضح ؟

قال : عليه [f. 10 b] القضاء .

الفلاح ؛ السحور .

والفاضح ؛ الصبح .

يقال : أفضح الصبح ، وفضح ؛ إذا بدا .

وقيل له : هل يفسد الماء قرنُ الفرس ؟

قال : لا .

القرن ؛ الدفعة من العرق ، والجمع قرون :

قال زهير ^(١) :

تمود ^(٢) الطراد فكل يوم تسن على سنايكها قرون ^(٣) (٤) (٥) (٦)

(١) من كلمة أولها :

ألا ابلى لك بني ثميم وقد يأتيك بالنصح الظنون
(٢) البيت مكسور ولعل الصواب : تمودت . (لجنة اللغة)

(٣) في المأني الكبير ج ١ ص ٨ :

يمودها الطراد وكل يوم تسن على سنايكها القرون
وفي ديوان زهير ص ١٨٧ :

تمودها الطراد فكل يوم تسن على سنايكها قرون
وفي الصحاح ج ٢ ص ٤٠٠ :

تضمر بالأصاقل كل يوم تسن على سنايكها قرون

(٤) صدره ، في لسان العرب ج ٥٦ ص ٣٣٣ ، وقام العروس ج ٩ ص ٣٠٦ ،
والصاح ج ٢ ص ٤٠٠ ؛ مادة (قرن) ، وشرح ديوان زهير ص ١٨٧
- على رواية -

تضمر بالأصاقل كل يوم

(٥) في خزنة الأدب مج ٣ ص ١٣٧ (في شرح الشاهد ٤٩٥) ؛ قول الشاعر :
بأية يقدمون الخيل زورا تسن على سنايكها القرون

(٦) تراجع ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٨٧ ، ولسان العرب ج ٥٦ ص ٣٣٣ ،
وقام العروس ج ٩ ص ٣٠٦ ، والصحاح ج ٢ ص ٤٠٠ ، والشتور الثاني

في المخصص ج ٩ ص ١٤٣ .

وقيل له : هل تفسد الماء المُقْعَدَة ، إذا ماتت فيه ؟

قال : لا .

المقعدة ؛ الضفدعة . والجمع ، المقعدات .

وقيل له : هل يجوز السعي بين الصفا والمروة ؟ على عاج ؟

قال : نعم .

العاج ؛ الناقة اللينة العطف ، الفارحة .

قال الشاعر^(١) :

وتفري بنا المومة عاج كأنها^(٢) (٣) (٤)

وقيل له : محرم ، قتل أبا المدلج .

قال : لا أعلم عليه شيئا .

أبو المدلج ؛ القنفذ^(٥) .

وقيل له : رجل ، مرق خليجا ، هل عليه قطع ؟

[f. 11 a] قال : بنظر إلى القيمة .

الخليج ؛ الرسن^(٦) .

(١) هو ذو الرمة . تراجع مقاييس اللغة ج ٤ ص ١٨٠ : مادة (عوج) .

(٢) في مقاييس اللغة :

تدعى في المومة عاج كأنها

(٣) عجزه - كما في مقاييس اللغة :

أمام المطايا تفتق حين تذعر .

(٤) تراجع لسان العرب ج ٩ ص ٣٣٤ ، وقام المروض ج ٢ ص ٨٠ ، ومقاييس

اللفظ ج ٤ ص ١٨٠ : مادة (عوج) .

(٥) تراجع مقاييس اللغة ج ٢ ص ٢٩٤ . وفي لسان العرب ج ٩ ص ٢٧٣ ،

والمجمل ج ١ ص ٣١٨ : مادة (دلج) : والمدلج ؛ القنفذ .

(٦) في الملاحن ص ٤٥ ، واصلاح النطق ص ٨٩ : الحبل .

قال الشاعر (١) :

وبات بعيني في الخليج كأنه كبت مدمي ، ناصع اللون أفرح (٢) (٣)
الدمي ؛ الأحمر .

وقيل له : محرم ، قتل الفوغاء .

قال : في كل واحدة ، قبضة من طعام .

الفوغاء ؛ الجراد .

وفي أدب الكاتب (٤) ؛ صفار الجراد .

وقيل له : رجل ضرب رجلاً بحشفة ، فقتله .

قال : يقتل بمثلها .

قال : الحشفة ؛ الصخرة الرخوة (٥) .

قيل له : الرجل الأحمر ، يحضر القتال ، هل يسهم له من الغنيمة ؟

قال : نعم .

الأحمر ؛ الذي لا سلاح معه .

يقال : أحمر ، وُحِر .

(١) هو قمي بن مقل . تراجع تاج العروس ج ٢ ص ٣٤ ، والصاح ج ١ ص ١٤٨ ،

ولسان العرب ج ٩ ص ٢٥٧ . ورواه في الملاحن ص ٤٥ ، ومقاييس اللغة

ج ٢ ص ٢٥٧ (خلج) - غير منسوب .

(٢) في مقاييس اللغة ج ٢ ص ٢٥٧ :

وبات يعني في الخليج . . . البيت

(٣) قبله - كما في المراجع ؛ ما خلا الصحاح :

وبات يسامي بعد ما شج رأسه فعولا جمنها تشب وتفرح

(٤) أدب الكاتب ص ١٥١ .

(٥) في الملاحن ص ٢٩ : صخرة رخوة ، تنفرد في فضاء من الأرض .

قال (١) :

وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر (٢) (٣) (٤) (٥)

(١) هو خدش بن زهير . تراجع الصحاح ج ١ ص ٣٥١ : مادة (خطر) ، وأما المرتضى ج ١ ص ٤٦٦ ، والكامل للبرد ج ١ ص ٢٧٤ ، والأضداد للجستاني ص ١٥٣ ، وجهرة أشعار العرب ص ١٠٨ ، وتنزيل الآيات ص ٥٥ . ورواه في مقاييس اللغة ج ٢ ص ١٠٢ : مادة (حن) ، والأضداد ص ٨٥ ، ولسان العرب ج ١٩ ص ٤٨٩ : مادة خطر ، والصاحبي ص ١٧٢ ، وفقه اللغة ص ٥٦٥ ، والمخصص ج ٢ ص ٧٧ ، والموازنة ص ١٧٩ ، وجمع البيان ج ٤ ص ٢٦٥ (القصص : ٧٦) ، والكشاف ج ٢ ص ١٣٧ (الاعراف : ١٠٥) - غير منسوب .

(٢) البيت من كلمة (جهرة) أولها :

أمن رسم أطلال بتوضح كالطر فاشن من شعر فواية الجفر
(٣) صدوه : ولاناً لجره أشعار العرب ص ١٠٨ ، وأما المرتضى ج ١ ص ٤٦٦ : وتركب خيلاً لا هوادة بينها

وفي الأضداد ص ٨٥ ، والموازنة ص ١٧٩ ، والكامل للبرد ج ١ ص ٢٧٤ ، والأضداد للجستاني ص ١٥٣ ، ولسان العرب ج ١٩ ص ٤٨٩ : وتركب خيلاً لا هوادة بينها

وفي الصحاح ج ١ ص ٣٥١ : مادة (خطر) :

وتلق خيل لا هوادة بينها

وفي جمع البيان ج ٤ ص ٢٦٥ :

وتركب خيلاً لا هوادة بينها

وفي تنزيل الآيات ص ٥٥ :

زلت بخيل لا هوادة بينها

(٤) رواية جهرة أشعار العرب ص ١٠٨ :

ولعمري الرماح بالضياطرة الحمر

(٥) ذكره الثعالي في (باب القلب) قال : أي وتشقى الضياطرة الحمر بالرمح

ومثله في أمالي المرتضى ج ١ ص ٤٦٦ ، والصاحبي ص ١٧٢ . وفي المخصص

ج ٢ ص ٧٧ : أي انهم - اذا حلوها - لم يجيدوا الطعن بها ، وقيل هو على

القلب ، أي : تشقى الضياطرة الحمر بالرمح . يقول : يقتلون بها لانهم

لا يجيدون التعرّز منها . والراي - عندي - ما قال الطبرسي ، في جمع البيان

ج ٤ ص ٢٦٥ : « فذهب كثير من العلماء ، الى ان المعنى : وتشقى

الضياطرة الحمر بالرمح ، فقلب . وليس الأمر كذلك . وإنما أراد ان رمحهم

تشرّف عن هؤلاء الضياطرة ، فاذا طعنوا بها فقد شقيت الرماح : لأن منزلتها

أرفع من ان يطعنوا بها » . وتراجع تنزيل الآيات ص ٥٥ .

قيل له : هل نصلي الأُمة برهطها ؟

قال : لا بأس ، مع الطهارة .

الرهط ؟ الأديم ؟ كقدر ما بين السُرّة إلى الركبة ، تلبسه الحيض .

قال الشاعر^(١) :

[f. 11 b] متى ما أشأ غير زهو الملو لك أجملك رهطاً على حيض^{(٢)(٣)(٤)(٥)}

وبكفي في الأُمة ، أن تغطي - في صلاتها - ما يغطي الرجل .

وقيل له : هل يجوز أن يضحى بالراهن ؟

قال : لا .

الراهن ؟ المهزول ، الذي لا بُنى من كل شيء .

(١) هو أبو المظالم الهذلي . تراجع تاج العروس ج ٥ ص ١٤٤ ، ولسان العرب

ج ٣٠ ص ٣٠٦ : مادة (رهط) ، وكتاب شرح اشعار الهذليين ج ١

ص ٥٢ ، والمعالي الكبير ج ٢ ص ٧٩٤ ، وكتاب الايل للأصمعي ص ٩٢ ،

وتمزيب الالفاظ ص ٦٦١ .

(٢) رواية شرح اشعار الهذليين ج ١ ص ٥٢ ، وكتاب الايل للأصمعي ص ٩٢ :

متى ما أشأ غير زهو الرجا ل أجملك رهطاً على حيض

ورواية الأصل توافق المختص ج ٤ ص ٣٦ .

(٣) البيت من كلمة اولها :

عذير أميمة بالمرضى كذي همه النفس لا تنفضي

(٤) قبله :

له عكة وله ظبية اذا انفض الناس لم ينفض

وبدله :

واكحلك بالصاب او بالجلال ففح لكحلك أو غمض

(٥) تراجع تاج العروس ج ٥ ص ١٤٤ ، ولسان العرب ج ٣٠ ص ٣٠٦ ،

وصحاح اللف ج ١ ص ٥٥٠ ، ومقاييس اللف ج ٢ ص ٤٥٠ : مادة (رهط)

و ج ٣ ص ٢٩ : مادة (زهو) والمعالي الكبير ج ١ ص ١٨٤ و ٥٩٣ ،

و ج ٢ ص ٧٩٤ ، وشرح اشعار الهذليين ج ١ ص ٥٢ ، وتمزيب الالفاظ

ص ٦٦١ : وكتاب الايل للأصمعي ص ٩٢ ، والمختص ج ٤ ص ٣٦ .

قال الراجز (١) :

إِمَّا تَرِيْ جَسْمِيْ خَلَاً قَدْ رَهَنَ (٢) (٣)

وقيل له : هل بصلتي على الأرض المنصورة ؟

قال : لا بأس بذلك ؛ إذا أمكن .

المنصورة ؛ الممطورة .

وقيل له : أتترك الصلوة في الجماعة للرمل ؟

قال : لا .

الرمل ؛ القليل ، الخفيف من المطر . وجمعه ، أرمال .

قيل له : رجلٌ ، قطع قوس رجل .

قال : بقاد . فإن أرادوا ، فالقذبة .

القوس ؛ الذراع .

قيل له : رجلٌ ، قتل مدينة .

قال : عليه قيمتها .

(١) هو الأموي . تراجع لسان العرب ج ٥٥ ص ١٩٠ .

(٢) عجزه - كما في تاج العروس ج ٩ ص ٢٢٢ :

هزلا وما مجد الرجال باليمن

وكذا في لسان العرب ج ٥٥ ص ١٩٠ ، والصاح ج ٢ ص ٣٧٩ ، ومقاييس

اللسنة ج ٢ ص ٤٥٣ ؛ مادة (رهن) . ورواه في (خل) ص ١٥٦ :

هزلا وما مجد الرجال في اليمن

(٣) تراجع لسان العرب ج ٥٥ ص ١٩٠ ، والصاح ج ٢ ص ٣٧٩ ، وطاج

المروس ج ٩ ص ٢٢٢ ، ومقاييس اللسان ج ٢ ص ١٥٦ ، وص ٤٥٣ ،

ودوي شطر الشاهد ، في النخص ج ٢ ص ٨٦ ؛ بلا نسبة .

المدينة ؛ الأمة (١) .

قال الأخطل (٢) :

[f. 12 a] ربت ووربا في حجرها ابن مدينة يظل على مسحاته يتر كئل (٣) (٤)

(١) في لسان العرب ج ٦ ص ٤٠٣ : مادة (مدن) : ابن مدينة ؛ اي العالم بأسرها . ويقال للأمة مدينة ، أي مملوكة . وتراجع شجر الدر ص ١٨٩ . وفي الاساس ج ١ ص ٣٦٩ : مادة (ركل) : ابن أمة أو قروي . وفي المنتخب من كتابات الادباء ص ٩١ : يقال : هو ابن مدينة ، أي ؛ عالم بها . وفي الماني الكبير ج ١ ص ٤٧٢ : وابن مدينة - يقول : هو عالم بالقيام عليها ؛ يقال الرجل ، انه لابن مدينة - اذا كان عالما بها . وقال غيره : ابن مدينة ؛ ابن مملوكة ، أي ، هو عبد ربي ، وأمه فيها . وفي شرح المقامات الحريية للشريشي ج ١ ص ١٠٧ : ويقال للأمة مدينة ؛ لأنها مملوكة . وفي المنصف ج ١ ص ٣١٢ : فالمدينة له ؛ أمة . يصف الاكار الذي يعمل في الكرم . يقول ، هو ابن مدينة . وفي المختص ج ١٣ ص ١٩٩ : ويقال لابن الامة ابن مدينة . . . وقال ابن الاعرابي ؛ ابن مدينة - ابن أمة ، قد دنت ، أي ، ملكت . وقال ؛ ابن مدينة ؛ رجل من اهل القوي ، واهل الامصار ، وأعلم من غيرهم .

(٢) من كلمة ، أولها :

عفا واسط من آل رضوى فنبتل فجتمع الحرين فالصبر أجل

(٣) رواية الاساس ج ١ ص ٣٦٩ : مادة (ركل) :

ربت ووربا في كرمها ابن مدينة يظل على مسحاته يتركل

وفي شرح المقامات الحريية للشريشي ج ١ ص ١٠٧ :

ثوت وثوى في كرمها ابن مدينة يظل على مسحاته يتركل

(٤) تراجع فاج الروس ج ٩ ص ٣٤٢ ، ولسان العرب ج ٥٦ ص ٤٠٣ ، وديوان الاخطل ص ٥ ، وكتاب الماني الكبير ج ١ ص ٤٧٢ ، وشجر الدر ص ١٨٩ ، ومقاييس القفة ج ١ ص ٣٣٤ ، والمختص ج ١٣ ص ١٩٩ ، والمنصف ج ١ ص ٣١٢ ، وشرح المقامات الحريية ج ١ ص ١٠٧ والاساس ج ١ ص ٣٦٩ ، والمنتخب من كتابات الادباء ص ٩١ .

آخر كتاب فقيه العرب

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على نبيه - نبي الرحمة - محمد ، وآله
الطيبين ، الطاهرين .

بلغت المعارضة ، والله الحمد

* * *

بلغت قراءة ، على السيد النقيب كمال الدين ^(١) - مدته الله أنفاسه .

* * *

كذا ، في أصل النسخة ، المنقول منها :

كتبه لنفسه ، العبد الفقير إلى رحمة ربه ، أبو علي ، نظام الشرف بن
قوام الشرف بن شاهنشاه بن محمد بن الحسين ، الحسيني ، الاصفهاني .
وكان الفراغ منه ، ليلة الثلاثاء [٥] ، غرة شهر ذي القعدة ، سنة
سبع عشرة وستمائة .

وكتب لنفسه ، الفقير الى الله الغني ، سيف الدين بن خميس ، النجفي ،
عام الف واثنين ، من الهجرة النبوية ، المصطفوية - على مهاجرها السلام والنجية .

(١) هو السيد حيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله ، كمال الدين ،
أبو الفتوح ، المرقفي ، لقب الموصل ؛ راوي الكتاب ، عن يحيى بن سعدون
ابن تمام ، ضياء الدين ، أبي بكر ، الأزدي ، الفرطلي - بإسناد
المذكور في أوّله .

معجم الألفاظ التي فسرّها ابن فارس في كتاب

فتيا فقيه العرب

البصير : الكلب .	(حرف الألف)
البَقَر : التحيّر .	الآس : الرماد .
البيضاء : الرستاق .	أبو سَمَد : الهرم .
(حرف التاء)	أبو المَدْرَج : القنفذ .
تَحَلَّلت عَقْدُهُ : سكن غضبه .	الأحمر : الذي لا سلاح معه . ويقال
(حرف التاء)	أحمر وُحْمَر .
الثور : الأقط .	الإسهاد (كذا) : أن يئذي الرجل .
(حرف الجيم)	يقال مَذِي ، يَمْذِي ، وأسهد
الْجُرِي : الرسول .	يسهد ، بمعنى .
جلس : جلس الرجل ؛ إذا أتى نجدا ،	أَطْلَعَ : يقال أطلع ؛ إذا فاء
فهو جالس .	[فاء] المَطْلِع .
(حرف الحاء)	الأعْمى : الفعل .
الحاضرة : الأذن [ج] الحواضر .	الأغْبِيَان : السيل والفحل .
حبى : حبّق الرجل ؛ إذا جمع ماله ،	الإِوز : الرجل الموثق الخلق .
وأحكم أمره .	(حرف الباء)
الحرّة : أرض فيها حجارة سود .	يَرَد : حصل .
الحشفة : الصخرة الرخوة .	الْبِير : الفارة .
الحشوّ : أولاد الضأف .	

(حرف الخاء)

- الخالة : الثعالب ، ذوو اللعب والمزاح .
- وأحدهم خايل ، مثل باعة وبابع .
- الخَنَم : بيت النخل ، الذي تعسل فيه .
- الخد : الطريق .
- الخليج : الرسم .

(حرف الدال)

- الدَّرْس : الحِض . يقال درّست المرأة ، اذا حاضت .

(حرف الراء)

- الراهن : المهرول .
- الريبع : النهر .
- الرهط : الأديم ، كقدر ما بين السرة إلى الركبة ، تلبسه الحِطّص .
- الرَّمَل : القليل الخفيف من المطر ، وجمعه أرمال .

(حرف السين)

- السَّكْرُوكَة : نبيذ الدّرة .
- السَّكَّة : السَّرة .
- السماء : المطر .
- السُّحَام : النمل الصغار .
- السِّن : الثور .

(حرف الشين)

- الشاكل : البياض بين الأذن والصدغ .
- الشبعان : الآمن .
- (حرف الطاء)
- الطريق : النخل .
- الطَوَافَة : السنور .
- الطَيِّرة : الغضب .

(حرف العين)

- العائق : اليمين المتقدمة . يقال عتقت عليه يمين ، اذا تقدمت .
- العائكة : المتضخمة بالخلوق والطيب .
- العاج : الناقة اللينة العطف ، الفارحة .
- العاجن : الذي اذا نهض ، عجن الأرض بيديه من كِبَر .
- العاذل : عرق دم المُستعاضة .
- العارضة : الناقة ، أو الشاة ، تذجج لشيء بعثرها [ج] عوارض .
- العافية : التي تأتي زرع قوم أو ثمرهم ، فتأكل منه لإقامة الرمي .
- العاقل : الذي يؤخذ بجزيرة غيره .
- العباد : نصارى أهل الحيرة ، والنسبة اليهم عبادي .
- العثان : فرخ الحباري .

العَرَب : الماء الكثير لا يفسده شيء
من النجاسة إلا أن يغيره ، وقد
قبل : الغوب ؛ النهر الشديد الجربة .
غَرَفَ رأسه : حلق رأسه .
الغُرُف : جمع غريف وهو الغابة .
الغَوْغَاء : الجراد .
الغَيْم : العطش وحرارة الجوف .
(حرف الفاء)

الفاجر : المايل .
الفاضح : الصبح . يقال أفضح الصبح
وفضح ؛ إذا بدا .
الفحل : الحصير .
الفروج : القباء .
الفرش : الاناث من الضأن .
الفلاح : السحور .
الفقير : مخرج الماء من القناة .
الفيل : الرجل الضعيف الرأي .
(حرف القاف)

قتيل العصا : رجل فارق الجماعة .
القرار : الغنم .
قَرْنُ الفرس : القرن ، الدفعة من
العرق . والجمع قُرُون .

العَجَلَة : الطينة .
العَجَلَة : الاداة .
العجوز : السيف .
الخر .
المذاران : الطريقان .
العرق : الأرض السبخة ، تنبت الطرفاء .
العضوض : البئر البعيدة القمر .
العقاب : شبه لوزة تخرج في إحدى
قوائم الدابة .

العَقَص : لحي اليد . يقال عَقَصَ
يده بَعَثَها عَقَصاً ؛ إذا لواها .
العِكْرِمَة : الحمامة .
العَلَق : الدم .
العَلَق : الخمر .
العَلَم : شق الشفة العليا .
العَم : الجماعة .
العَيَّار : الأسد .

(حرف الغين)

الغابة : ما تحت العنقفة .
الغُبَيْراء : السُّكْرُوكَة ، وهو
نبيذ الذرة .

القروء : الأَطْهَار .	المُصَاب : قصب السكر .
القوس : الدراع .	المِصْر : الحذ .
(حرف اللام)	المَمْوَج : [المضِيب] بالعاج .
اللاعِب : الذي يسيل لعابه . يقال	المُتَفَرِّج : الذي عليه الفرو .
لأَمَب الصبي أو الرجل يَلْأَمَب ؛	المُقْعَدَة : الضفدعة . والجمع المقعدات .
إذا سال لعابه .	المَلْقُوط : المرفوء .
(حرف الميم)	المِلْك : الماء .
المُخْرَاب : العلو .	المنصورة : الممطورة .
المُخْلَب : النخل .	(حرف النون)
المُدْمَى : الأحمر .	نزل : نزل الرجل ، إذا حجّ .
المدينة : الأَمة .	النعل : الحرة .
المزكوم : الولد المُلقى .	نقب : نقب ينقب ، إذا صار نقيبا .
المُسْكَن : المحمي بالسَّكَن ،	النواة : وزن خمسة دراهم .
وهي النار .	(حرف الهاء)
المُشْخِص : الشاتم . يقال أُمشخص به ،	الهَجَر : السنة .
إذا شتمه .	الهلال : بقية الماء في الحوض .
مشى الرجل : يقال مشى الرجل إذا	(حرف الواو)
ذهب ماله بعد كثرتة .	الوَهَم : الجمل يكون ضمنا .

مستدرک

- زاد الأستاذ الدكتور مصطفى جواد على مراجع ترجمة (يحيى بن سعدون
ابن تمام الأزدي القرطبي) معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٧٨ من طبعة مرغليوث .
وعلى مراجع ترجمة (سعد بن علي بن محمد الزنجاني) معجم البلدان في «زنجان» .
وعلى مراجع ترجمة (السيد كمال الدين حيدر الحسيني ، نقيب الموصل)
تلخيص معجم الألقاب ج ٥ الترجمة ٣٤٢ من الكاف ، والمسمى بالحوادث
الجامعة ص ٣٨٦ فقد ذكر في نسب حفيده كمال الدين حيدر الثاني .
وعلى مراجع ترجمة (ابن داود) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٥
ص ٢٥٦ - ٦٣ ، والوافي بالوفيات ج ٣ ص ٥٨ - ٦١ .
وقال في (أسهد يسهد) لعل الأصل «أسهل» باللام .

الدكتور حسين علي محفوظ

التعريف والنقد

تفسير « محاسن التأويل »

تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي

(١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ)

الجزء الأول (المقدمة)

طبع في مطبعة البابي الحلبي وشركاه

كان علامة الشام القاسمي تفعمده المولى برحمته ورضوانه آية في المحافظة على الوقت ، والمواظبة على العمل ، كان يجهد نفسه بدراسة التفاسير الكثيرة ، ومدونات السنة وشروحها ، ومؤلفات أصول الدين ، وأمهات الفقه وأصوله ، ومطولات التاريخ والأدب ، وكتب المقالات والفحل ، يعمن النظر فيما ألف في هذه العلوم والفنون ، ويستخرج منها حقائق يبذل لها من نفيس وقته ، وقوة عقله ، ودم قلبه ، ما يشهد له به كل من وقف على مصنفاته ، ورسائله التي كانت تتهادها المحلات الكبرى في مصر والشام ولبنان ، كالنار والمقنيس والعرفان ، فكان ينشرها على صفحاتها إيماناً واحتساباً ، ولم يكن يبغى منها ، ولا مما يطبعه مستقلاً ، إلا وجه الله والدار الآخرة .

و كنت قلت في مقدمتي لكتابته « قواعد التجديث » الذي خرجت أحاديثه ، وطبع بعد وفاته ، مانصه :

« إن مما يقضي بالمعجب من أمر أستاذنا المؤلف رحمه الله تعالى ، هو كونه خلف زهاء مائة مصنف أو أكثر ، ولم يبلغ الخمسين من عمره ، وندر جداً أن ترى كتاباً في خزائنه الواسعة ، مخطوطاً أو مطبوعاً ، خالياً من التعليقات

الكثيرة ، والتصحيح على الأصول الخطية الصحيحة ، ولو طال عمره لرأينا من آثاره النافعة أكثر مما رأينا ، ومن نفاسة تأليفه فوق ما شاهدنا ، فإن الأستاذ كان في تجديد مستمر ، استمد من علوم العصر وحفائقه ، وانكشف له به عن كثير من أسرار الشريعة وغوامضها » .

ثم رجوت أن توفق الأمة إلى طبع ما اشتدت إليه الحاجة من مؤلفاته ، لاسيما تفسيره الكبير الجليل ، المسمى بـ « محاسن التأويل » .

وقد تفضل المولى سبحانه وله الحمد والشكر ، ويسر طبعه في دار إحياء الكتب العربية بمصر ، لصاحبها السيد عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ووقف على طبعه وتصحيحه ، ورقمه ، وخرج آياته وأحاديثه ، وعلق عليه ، خادم الكتاب والسنة ، العلامة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي الشهير .

هذا التفسير قد بلغ اثني عشر جزءاً كبيراً بتجزئة المؤلف ، ولعله يبلغ بالطبع أكثر من عشرين إذا تساوت أجزاءه ، وقد بدأه رحمه الله بمقدمة حافلة في أصول التفسير وقواعده ، وجعلها جزءاً مستقلاً فلما تقع العين على مثله ، وقد نجز طبع هذه المقدمة ، وهي الجزء الأول منه (١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م) وخص كاتب هذه السطور بمراجعة المطبوع جزءاً فجزءاً . وتصويب الأغلط المطبعية ، وهو ما يراه القراء آخر كل جزء منه ، وهذا بعض الحق شيخنا المؤلف علينا ، أجزل الله ثوابه .

من مباحث المقدمة : تمهيد خطير في قواعد التفسير - قاعدة في أمهات مأخذ - قاعدة في معرفة صحيح التفسير ، وأصح التفاسير عند الاختلاف - قواعد في معرفة أسباب النزول ، وفي النسخ والمسخ ، وفي القراءة الشاذة - وقاعدة في قصص الأنبياء - وفصول في معنى ما نقل أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، وكون الباطن هو المراد بالخطاب ، وفي وقوع تفاسير مشككة في القرآت . ومن عناوين المقدمة أيضاً : العرب الذين نزل القرآن بلسانهم - العلوم التي

كان العرب يعتقدون بها - لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهودهم - قصص التاريخ لا يراد بها سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص - قاعدة الترغيب والترهيب في التنزيل الكريم - وفصول في أن الأحكام في القرآن أكثرها كلية - القرآن فيه بيان كل شيء من أمور الدين - أقسام العلوم المضافة إلى القرآن - المدني من السور منزل في الفهم على المكي - مدخل السنة في تبين الكتاب - في أن الأدلة الشرعية لا تنافي قضايا العقول - السنة تفصل ما أجمله الكتاب . ومن أبدع فصول المقدمة وأتمها : هل في القرآن مجاز أم لا ؟ وهل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسماها في اللغة ؟ - ذكر مجمل مقاصد التنزيل الكريم وضروب التفسير - مطلب في مر التكرير - ذكر بديع أسلوب القرآن الكريم - معنى السبع في حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، معنى الأحرف في الحديث - بحث القراءات الشاذة - ثمة اختلاف القراءات وتنوعها - إجمال المباحث المتقدمة في تواتر القراءات وعدمها ، وختمه بفصل في ذكر ملخص وجوه التفسير ومراتبه (للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده) ، وآخر في بيان دقائق المسائل العلمية الفلكية الواردة في القرآن الكريم ، ثم بيان أن الصواب في آيات الصفات هو مذهب السلف ، وذكر انطواء القرآن على الإبراهيم والأدلة - والخاتمة في شرف علم التفسير .

ومن المباحث المهمة التي تعنى مجلتنا بثلمها : تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز ، فقد نقل المؤلف بحثاً ضافياً عن إمام المعقول والمنقول ابن تيمية ، نفى فيه هذا التقسيم ، وقال : هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة ، لم يتكلم به أحد من الصحابة ، ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك ، والثوري ، والاوزاعي ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل ، وسبويه ، وأبي عمرو بن العلاء ونجوم .

نقل شيخنا المفسر القاسمي رأي الإمام ابن تيمية بطوله في الحقيقة والمجاز ، وما زال الناس بنسائون ، فمنهم من يقول : إن ابن تيمية بنى المجاز في أسماء الله تعالى وصفاته ، ويثبت فيها عدا ذلك ، ومنهم من يقول : إنه لا يرى وقوع المجاز في القرآن أصلاً ، ومنهم من يرى أنه يشكر المجاز في لغة العرب ، ويحيب ابن تيمية عن ذلك كله فيقول ما خلاصته :

(١) إن المجاز الذي هو قسم الحقيقة لم تعرفه العرب قبل الإسلام ، ولم ينطق به أحد من الصحابة الكرام ، ولا من التابعين لهم بإحسان .
(٢) هو اصطلاح حادث بعد القرون الثلاثة ، وإنما اشتهر في المائة الرابعة ، وظهرت أوائله في المائة الثالثة ، ولم يعلمه في المائة الثانية ، اللهم إلا أن يكون في أواخرها .

(٣) لم يتكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل بن أحمد الفراهيدي (م ١٧٠ هـ) وتلميذه سيبويه (م ١٨٠ هـ) وأبي عمرو بن العلاء (م ١٥٤ هـ) ونحوهم .
(٤) إن أبا عبيدة معمر بن المثنى (م ٢٠٩ هـ) هو أول من تكلم به في كتابه (المجاز) .

(٥) إن معنى (المجاز) عنده وعند أئمة اللغة والنحو الذين سبقوه ، هو ما جاز لغةً ، لا أنه قسم الحقيقة .

(٦) بين أن القائلين بوجود (المجاز) - وهو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له - يأتي أحدهم إلى ألفاظ لم يعلم أنها استعملت إلا مقيدة ، فينطق بها مجردة ، وضرب لذلك الأمثال ، كلفظ العين والرأس والأسد والبحر وغيرها ، وجاء بأمثله من القرآن الكريم ، وأوضح أن كلاً منها حقيقة في معناه .

نكتفي بهذا القدر في الكتابة عن مقدمة هذا التفسير الجليل : « محاسن التأويل » وسنعود إلى الكتابة عن فوائده وفوائده في أجزائه التالية إن شاء الله تعالى .

الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث محاضرات الدكتور جميل صليبا

ألقى الدكتور جميل صليبا عميد كلية التربية ونائب رئيس الجامعة السورية طائفة من المحاضرات في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة .

صدر المحاضرة الأولى بمقدمة أشار فيها الى موضوع محاضراته وطريقة هذا الموضوع وأقسامه ، ثم أفاض في طبائع أهل الشام واستوفى الكلام على هذه الطبائع في المحاضرة الثانية .

وفي المحاضرتين الثالثة والرابعة تكلم على العوامل المؤثرة في الاتجاهات الفكرية الحديثة وعلى رأس هذه العوامل الأحداث التاريخية وتأسيس الجمعيات والأحزاب السياسية واغتراب الشاميين وهجرتهم وعناصر الحضارة الغربية وأثرها في الاتجاهات الفكرية ونمو الحياة الاقتصادية وانتشار التعليم .

وفي المحاضرة الخامسة أتم البحث عن العوامل المؤثرة في الاتجاهات الفكرية الحديثة فأضاف الى العوامل التي ذكرها حركة الترجمة والتأليف .

أما المحاضرة السادسة فقد جعلها للاتجاهات الفكرية في بلاد الشام فألقى القول في القومية والوطنية والانسانية واستوفى هذا البحث في المحاضرة السابعة . وتكلم في المحاضرتين الثامنة والتاسعة على الطبيعة والمجتمع في أدبنا الحديث . وفي المحاضرة العاشرة أشار الى النزعتين المادية والروحية في هذا الأدب . وجعل موضوع المحاضرتين الحادية عشرة والثانية عشرة الاتجاه العلمي والاتجاه الفني . ثم ختم محاضراته كلها بكلمة وجيزة فرغب الى القارئ أن يلم بما في محاضراته من إشارات سريعة وأن يكمل هو نفسه ما توحي اليه هذه الإشارات من أفكار لم يتسع وقت المحاضر لتفصيلها وتوضيحها .

انني لم أذكر فهرس هذه المحاضرات وعناوينها عبثاً ، فلا شك في أن القارئ يحسُّ ببجالة قدر هذه الموضوعات من ذكر الفهرس والعناوين ، ولا شك في أنه يشعر بنقص هذه الموضوعات ، وبسعة آفاقها . وما أظن أن محاضرات كهنه يسهل الخوض فيها . فالذي أعان الدكتور جميل صليبا على التبريز في موضوعه إنما هو على ما أعتقد اختار عقله ونضج تفكيره الفلسفي فـما تصدى لفكر من الأفكار إلا أحاط بهذا الفكر من مجامع نواحيه أو من أكثر هذه النواحي . وأعانه على هذه الإحاطة كما قلت تفكيره الفلسفي العميق فإنه يعني في كل ناحية بالمقدمات والنتائج وبالأسباب والمسببات ، شأن الفلاسفة الذين لا يقنعون بظواهر الأمور دون التدقيق في بواطنها . فالدكتور صليبا لم يعالج موضوعاته في المحاضرات من ناحية السطوح وإنما انحدر الى الأعماق فكشف عن غوامضها فوضَّح ما يحتاج الى توضيح ، وفصَّل ما يقتدر الى تفصيل ، بحيث لا يعترض الذهن في خلال القراءة إشكال أو غموض ، وإنما يتراءى الموضوع للذهن كأنه أمام مرآة صافية مصقولة . فهينئاً للذين رزقهم الله روحاً فلسفية تمكَّنهم من أشباه هذه التوضيحات والتفصيلات .

ولكن هذه الروح الفلسفية التي رزقها الله الدكتور صليبا لم تقل من روح أدبية دقيقة صادقة ، فهو يذوق الشعر كما يذوق الفلسفة ، ويقدر على معرفة أسراره وخصائصه كما يقدر على معرفة أسرار الأشياء وخصائصها ، فإن الذي يقلب النظر في هذه الأحكام الوجيزة التي حكها على كثير من قصائد الشعراء في هذا العصر لا يشك في أن صاحب هذه الأحكام قد خالط كبار الشعراء في القديم والحديث وامتزج بأرواحهم وأدرك حسَّهم وشعورهم حتى اهتدى الى مواطن الحسن في أكثر الشعر ، وحتى نبَّه على هذه المواطن ، وبين حقائق قيمتها .

فاذا شكرنا للدكتور جميل صليبا مجهوده في محاضراته التي ظهرت عليها آثار عقل راجح وفكر ناضج وذوق صافٍ فائتاً نشكر لمعهد الدراسات العربية العالية حسن اختياره للأساتذة المحاضرين .

سليم جبري

١٩٥٥

محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة

في ديار الشام

من أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين

القسم الأول في ١٢٠ صفحة ، ثلثي محاضرات ألقاها الدكتور أجمد الطرابلسي في معهد الدراسات العربية العالية ، اشترها المعهد وطبعها في مطبعة نهضة مصر بالقاهرة سنة ١٩٥٧

كان الأستاذ ساطع الحصري قد دعا ، منذ عهد طويل ، إلى إنشاء معهد للدراسات العربية ، يتخرج فيه الشباب المثقف المؤمن بعروبيته ، الواعي لها ، العارف بواقعها وآمالها ، العالم بعوامل القوة والضعف فيها ، العامل على توجيهها الوجهة الخيرة النيرة المفيدة . وكان من إنجاح مساعيه في هذا الميدان أن أنشأت جامعة الدول العربية «معهد الدراسات العربية العالية» في القاهرة ، وعهدت إلى الأستاذ الحصري في إدارته والإشراف عليه منذ بضع سنوات ، فسنّ فيه سنة حميدة لا تزال متبعة إلى اليوم ، رغم تخلّيه عن العمل فيه . وتقضي هذه السنة بأن يدعى ، لمحاضرة طلاب المعهد في موضوعات عربية عصرية ، رهط من رجال الفكر والبحث في البلاد العربية ، وبأن تطبع بعدئذ هذه المحاضرات وتنتشر على الناس ، فلا يقتصر نفعها على طلاب المعهد من دون غيرهم . وكانت لنا من هذه المحاضرات العديدة المنشورة ثروة عظيمة ينهل منها الشادي ، ويستفيد منها الباحث ، ويرجع إليها المتمكن المتقدم ، وليس هنالك معهد يضارع معهد الدراسات هذا في احتفاله ببحث حاضر العالم العربي بحثاً علمياً في جملته ، وتيسير الاطلاع على حصاد هذا البحث للمشتغلين والدارسين .

وقد دُعي الأستاذ الدكتور أجمد الطرابلسي (أحد مدرّسي كلية الآداب في الجامعة السورية) إلى أن يحدث طلبة قسم الدراسات الأدبية في المعهد المذكور ،

عن الشعر الحماسي في سورية ، فقبل الدعوة سنة ١٩٥٦ ، ولكنه جعل موضوعه :
شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام في أواخر القرن التاسع عشر وخلال النصف
الأول من القرن العشرين . وقد بين ، في المقدمة التي وُطِّئ بها لمحاضراته ،
أن المقصود بالشعر الحماسي عنده هو ذلك (الشعر الذي نظمته الشعراء في معارك
النضال القومي ، مجتدين فيه بطولات الأبطال والشهداء ، منددين فيه بمظالم
المستعمرين وأحاييلهم ، مستغيثين فيه همم مواطنيهم كي يمشوا قدماً في الكفاح
حتى يستردوا حقوقهم المضمومة) . واستبعد الشعر السيامي أي (الشعر الذي
يدور حول المنازعات الحزبية الضيقة ، فلا تعبق منه رائحة النضال ولا يتصل
بالقضية القومية الكبرى) .

ألقى الدكتور الطرابلسي في هذا الموضوع ثماني محاضرات وقف فيها عند نهاية
الثورة السورية ، فكان منها هذا القسم الأول من الكتاب الذي نعرف به اليوم .
أما القسم الثاني من شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام من بعد الثورة السورية
حتى منتصف القرن العشرين أي إلى نكبة العرب في فلسطين فترجو أن نراه
منشوراً في القابل . ولن يتعرض المحاضر إلى الشعر الذي قيل فيما بعد ذلك ،
فقد اتجه الشعر السيامي والحماسي بعد النكبة ، تحت تأثير المذاهب السياسية والاقتصادية
والاجتماعية ، وجهات جديدة (لم نداول بعد تماماً) .

ينبغي لمن يعالج مثل هذا الموضوع ذوق شعري مرهف ، ونقد بصير قدير ،
وثقافة واسعة عميقة ، وإيمان مخلص متمكن ، وكل أولئك من عُدّة المحاضر ،
ويتجلى واضحاً بيئاً في هذه المحاضرات التي بين أيدينا .

رأى المحاضر لتسهيل البحث أن يستعرض الحوادث التاريخية التي مرت ببلاد
الشام ، وأن يقرن بها ما يرافقها - أو ما يهيئ لها أو ما يفتج عنها - من شعر
قومي حماسي قاله شعراء هذا القطر ؛ فبحث أولاً في الشعر الحماسي واتجاهاته
قبل إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، ثم ما قبل من الشعر بعد إعلانه

الدستور إلى أن خلع عبد الحميد ، ثم عكف على وصف هذا الشعر في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، وانتقل بعد ذلك إلى شعر الحرب الذي قيل في شطرها الأول قبل تعليق أحرار العرب على المشانق في ٦ أيار ١٩١٦ ، وفي شطرها الثاني وقد شبت الثورة العربية ، ثم توقف المحاضر طويلاً عند ميسلون وما قيل فيها ، ثم نظر في فترة اليأس التي أعقبتها إلى أن اشتعلت نار الثورة السورية . وهو يحاول ، أثناء بحث ذلك كله ، أن يتيّن اتجاهات هذا الشعر وأغراضه ومراميّه ومعانيه ، ويؤرخ ، من خلال هذا الشعر ، نشوء فكرة القومية العربية ، ويصف أسسها وأهدافها وأطوارها ، ويحاول أثر الشعر في بثها في النفوس ، وإسهام الشعراء القوميين في إبرازها وتحديد سيرها ، وشجذ العزائم في سبيل نصرتها والتمكين لها .

والمحاضر لا يترجم لمؤلاء الشعراء ، ولا يستشهد بهم جميعاً ، وإنما يختار نماذج من شعر بعضهم الحماسي ، تعين على وضع الصوى وجلاء الأفكار . وهو لا يبرز دوماً قيمة هذا الشعر الفنية ، ولا يعبأ ببنائه إذا سلم معناه ، حتى إنه ليستشهد حينئذ بشيء من النظم نحتاج إلى قدر وافر من سعة الصدر لتبلغ به مرتبة الشعر ، ولكن المحاضر في ذلك غير ملهم ، إذ لم يكن حظ شعراء هذه الفترة واحداً من سليقة الشعر القوي الأمر الناصع الديباجة .

قد يحظر بالبال أن الحكم الصادق المتجرد المنصف على شعر هذه الفترة القريبة منا ، وعلى أصحابه ، أمر لا يتيسر الآن ، وأن من الخير الأناة والربث ، فقد تجعب الشجرة القريبة ، عن أبصارنا ، رؤبة الغاية كلها ، فبسنهم من ذلك تبين موقع هذه الشجرة من الغاية وقدرها فيها ، ولكن لا بد من خطوة أولى يخطوها الرائدون من الباحثين ، تنير أول الطريق ، وتيسر السلوك فيه ، وقد سبق الأستاذ الطرابلسي مشكوراً إلى تمهيد السبيل وتحديد معالم البحث .

أما أسلوب المحاضر فأسلوب الأدب العالم : صلاصة في التعبير ، وتسلسل في التفكير ، وعرض منسق منظم ، ولغة مأنوسة سهلة ، ونقد محكم منصف ، وحسن صرف ذواق .

فالشكر الوافر للمحاضر ، والحمد الواصب لمعهد الدراسات ، والترقب للقسم الثاني من هذه المحاضرات .
عبر الهادي هاشم

مجموعة الوثائق الفاطمية (المجلد الأول)

جمعها وحققها الدكتور جمال الدين الشيال

عدد صفحات الكتاب (٤٩٠) صفحة من القطع الوسط . طبع في مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة سنة ١٩٥٨

إن الدكتور الشيال لا يحتاج الى تعريف ، إن ما نشره من مؤلفات وأبحاث قيمة وتحقيق مخطوطات هي أبلغ ترجمة له . وهذه المجموعة التاريخية هي شاهد جديد على صحة ما اتصف به المؤلف من علم واسع وفضل زائد ، جمع في كتابه وثائق تاريخية إسلامية هامة عن الخلافة وولاية العهد والوزارة في زمن دولة العبيدين وعلق عليها بدراسات تحليلية وافية وضحت أكثر ما استغلق على الباحثين فهمه . ونظم للكتاب فهرس دقيقة تسهل للمراجع بحثه .

إن عناصر كتابة تاريخ للعرب بالمفهوم الحديث متوفرة ، غير انها مشتتة في تضاعيف ألوف التصانيف المخطوطة والمطبوعة على اختلاف موضوعاتها وفنونها ، ويتمذر على المؤلف الإحاطة بها مما طال به العمر ومما توفرت لديه أسباب البحث . ولهذا نجد التواريخ وغيرها من الدراسات الإسلامية التي اتداولها ، فجأة وغير ناضجة ، ولم تتطور مع الأساليب الحديثة ، لأنها تعتمد على النقل

دوت تمحيص أو نقد ، وكان لسان حال أصحابها يقول : لا جود إلا من الموجود . وقد أصبح جمع شتات مثل هذه الوثائق وتصنيفها وضمها بعضها إلى بعض ونشرها من أجل الأعمال التي يمكن أن يقدمها الباحث إلى المؤرخ ، فيزوده بمصادر جديدة ومادة قيمة يستعين بها لإثبات حقيقة أو نفي زعم أو تصحيح خطأ . وكم من معلومات تاريخية أغفلها المؤرخون فكشف عنها النقاب المنقبون عن آثار السلف المشيدة وصناعاتهم وتقوشهم وبعثوها من جوف الأطلال المتراكمة والخرائب المهجورة .

إن الكتاب الذي أخرجه إلى قراء العربية الدكتور الشيال هو خلاصة عمل طويل وجهد مرهق ، وبأكورة من مجموعة وثائق تاريخية وعد بمثابة نشرها ، أمده الله بقوة من عنده لينجز ما وعد .

شريعة حمورابي

للدكتور عبد الرحمن الكيالي

عدد صفحاته (١٩١) صفحة من قطع الوسط . طبع في مطبعة الصاد في حلب عام ١٩٥٨

استعمل الدكتور المؤلف كتابه بلوحة عاجلة عن تاريخ بابل السامي ، وأخبار سورية في نظر التأريخ وعلم الآثار ، وعلاقتها ببابل والساميين . وقد جعلها مدخلاً للوقوف على حالة تلك البلاد السياسية والاجتماعية ، ووصفاً للبيئة التي سنت لأجلها هذه الشريعة .

كان الكشف عن نص شريعة حمورابي في مطلع القرن العشرين من أهم الأحداث عند علماء الآثار القديمة لما لها من شأن في الناحيتين التأريخية والشريعة . وكانت أقدم وثيقة قانونية عثر عليها حتى ذاك التاريخ كما وضعها صاحبها^(١) .

(١) كشفت الحفريات في السنين الأخيرة النقاب عن غيرها من النصوص القانونية منها : شريعة أورناموس ، وشريعة إشنوما ، وشريعة ليت عشتار ، وجيها أقدم بنيف وعشرة قرون من شريعة حمورابي ، وقد استمد منها حمورابي شريعته .

وقد شغلت في الغرب علماء الآثار والأديان والقانون عشرات السنين ، وكتبوا عنها أبحاثاً ملأت خزائن كبيرة من الكتب .

وقد يقول بعضهم إن من العبث بحث موات العصور الغابرة ، بعد أن استنفدت على زعمهم جهوداً حمة وبعد أن أدرك الباحثون منها أغراضهم ، ولم يترك الغرب فيها زيادة لمستزيد ، وإن ما سيكتب بعدهم لا يتعدى النقل ولا يأتي بجديد ، ولئن صح هذا الرأي في بعض العلوم فلا يجوز إطلاقه على العلوم التاريخية ، لأن تاريخ كل أمة هو سلسلة متصلة الحلقات ، يلتقي يومها بأمسها ، وتمتد جذور حاضرها في أغوار ماضيها ، وتستمد جذوة نهضتها من التلغني بأبجائها . وما شريعة حمورابي إلا واحدة من تلك الأبحاث التي تفاخر بها الشعوب السامية غيرها من الأمم ، فهي أول شريعة توخى بها صاحبها الذي لقب نفسه ملك العدالة خير بلاده وسعادة شعبه وإدخال السرور والأطمئنان إلى قلوب رعيته ، وقد دون فيها الحدود والواجبات في المعاملات الخاصة والعامة ، كما تفعل الأمم الراقية في عصرنا الحاضر .

لقد سبق الأستاذ أحمد حسن الزيات ترجمة هذه الشريعة ونشرها . وليس بين المترجمين فوارق كبيرة ، فكلاهما اعتمدت أصولاً عربية متشابهة في صحتها وأخطائها وأبقت على ما استغلق فهمه على أبواب الدراسات من علماء الغرب . وإني موقن بأن أول ترجمة عربية لعربي يعتمد الأصل البابلي ستجلب لنا الكثير مما أشكل فهمه على علماء الغرب ، لأن روايت الماضي رغم انقضاء ٣٧٠٠ سنة عليها ، لم تزل حية في لغتنا وتقاليدنا وأساطيرنا ، وفيها مفاتيح ما استعصى على غيرنا إدراكه .

ولا يخلو الاعتماد على الترجمات الغربية من محاذير توقع المترجم في أخطاء ، ولا سيما في ضبط الأعلام ، ومن ذلك استعاضته عن الحركات بحروف العلة كقوله مثلاً : (شماس) بدلاً من (شمس) ، و (سين عاميل) بدلاً من

(مستجمل) ، كما أنه أثبت بعض الأعلام على الطريقة الغربية كقوله من ١٠ (سارغون) وصوابه (مرجون) و (إيشار) صوابها (عشتار أو عشترة) . وفي من ١٩ (أوزيا) والصواب (عزياً أو عوزياً) ، و (جوديا) صوابه (يهودا) ، و (مبناهم) صوابه (منحيم) . وفي من ٢٠ (هوشيا) صوابه (هوشع) ، و (ساماريا) صوابها (السامرة) . وفي من ٢٤ (ابثوبال) صوابه (إتبعل) ، و (سايروس) صوابه (كورش) . وفي من ٣٢ (كولو سوريا) صوابها (سورية المحوفة أو البقاع) . وفي من ٤٢ (شيتار) صوابها (شعمار) . وفي من ٦١ (حداد) صوابه (هدد) .

وأمثال هذه الغلطات شائعة عند أكثر المترجمين عن اللغات الغربية وفيها بلبلة وتشويش . ونأمل أن تكون هذه الباكورة التي يقدمها الدكتور الكيالي حافزاً للجيل الجديد من الآثاريين العرب على الاهتمام في ماضي بلادهم مستمدين أبحاثهم من بنائهم ، ليعيدوا سيرة السلف لا في النقل والافتداء فحسب بل في الابتكار والايداع أيضاً .



الريف السوري — محافظة دمشق

(الجزء الثاني)

أقضية الغوطتين والزبداني وقطنا والقنيطرة

تأليف : أحمد وصفي زكريا

يقع هذا الجزء في (٦٠٠) صفحة من قطع الوسط ينحطها بعض الصور والحرائط الجغرافية . طبع في المطبعة العمومية في دمشق سنة ١٩٥٧

تكاد المصادر العربية المعاصرة التي تبحث عن خطط بلاد الشام عامة والسورية خاصة أن تكون معدومة الأثر ، والموجود منها لا ينقع غلة ، ولا يزود الباحث

بما بنشده منها . ولم يزل أكثرنا عالة على السلف ، يستقي معلومات لجيلنا من مؤلفات وضعها أصحابها قبل قرون لأبناء عصرهم . وينقل الرواة عنهم وزر أخطائهم ، وينشرون دون تمحيص أو هامهم وأساطيرهم . ولا مندوحة لمن يريد التوسع في التحقيق من أن يعتمد المصادر الأجنبية ، ولا يتيسر ذلك إلا لقلة حذقت لغاتها ، ووقفت على أبحاثها ومؤلفاتها ، وتبقى الكثرة الباقية تتعسر بحسرة الحرمان ، وتنبليغ بفتات موائد هذه الأبحاث .

وليس من الوفاء أن نوجد فضل المؤلفات العربية القديمة الباحثة عن خطط البلدان وعمرانها ، أو ننكر جهد أصحابها وإن أصبحت اليوم قليلة الجدوى وقاصرة عن الوفاء بحاجة عصرنا . وقد أمسبتنا اليوم في أشد الحاجة الى مصادر جديدة تهدي سبلنا وتقلل عثرتنا .

شعرنا كلنا بنقص مراجعنا في هذا الباب ، وطالينا بسد ثغراتها . وقد حقق بعض هذه الأمانة المجاعة الأستاذ أحمد وصفي زكريا ، مذ أخذ على عاتقه القيام بهذه المهمة ، وبأثر عمله بقتل سلسلة بحوث عن الريف السوري ، وأصدر الجزء الأول عن محافظة دمشق . وقد وفته هذه المجلة حقه في حينه ، وقد رت للمؤلف جهده . وصدر الآن الجزء الثاني الذي نحن بصدده ، وفيه واصل المؤلف بحثه ، فوصف أفضية الوطنين والزبداني وقطنا والقنيطرة من محافظة دمشق ، معدداً قراها وجبالها وأوديتها وبنائيتها ، وسارداً لملأ من أخبارها التاريخية والأثرية ، وذاكراً نهضتها العمرانية والزراعية والثقافية والاجتماعية ، وقد جمع هذه المعلومات من مصادر عديدة ، وعززها بما استقصاه بنفسه طيلة سنوات عديدة وبما حققه تحقيقاً دقيقاً .

وإن من عانى الطباعة في بلادنا لا يستغرب ابتلاء الكتب بأغلاط مطبعية لا يسلم منها مطبوع مما أوتي بحقه من العناية ودقة الانتباه . وقد رأيت أن أشير الى أهمها مع ما ظهر لي من ملاحظات وهي :

الصفحة	الخطأ	الصواب
١٨	ممتد بينهما	ممتد بينهما .
٢٥	بني فرقا	بني فوقا .
٣٢	مسا كير	مسكور ومساكر .
٣٤	شمالي	غربي وجنوبي .
٣٥	يثبت نهائياً حق نهر يزيد من ماء بردى عند الربوة وما ينسرب منه قبل ذلك هو من حقوق أرض دمر .	يثبت نهائياً حق نهر يزيد من ماء بردى عند الربوة وما ينسرب منه قبل ذلك هو من حقوق أرض دمر .
٣٦	شرقي قرية دمر	جنوبي قرية دمر .
٣٨	القعا طلة	الأعا طلة .
٤٢	قناة بشر	قناة دير بشر .
٤٣	على ثبوت ضمان الشمس والجنب وغيرها	على ثبوت ضمان الشمس وغيرها ، ولا يكون ضمان الجنب إلا في فصل الصيف ولا خوف عليه وتثبت من الصقيع .
١٢٣ و ١٣٧ و ٢١٨	وغيرها قدسيا	آدسيا أو دسيا .
١٣٧	في قرية دمر تقى بالقيس	في قرية بسيمة
١٦٨	قناة أم أرائس	قناة بيت أرائس .
٢١٧	طاحونة السعدية	طاحونة السعيدة نسبة الى صاحبها سعيد شمدين .
٣٦٧	بقسم	بقسم
٤٣٢	دربل	دربل .
٤٥٤	تل مري	تل مرعي .
٤٨٧	خربة الأمياجي	خربة الأمبشة .
وجاء في ص (٢٥) (شاليس) تعريباً لاسم (Chalcis) اليوناني ، والأفضل أن يقال (خلقيس) تمثيلاً مع نهج تعريب الأعلام اليونانية ،		

أو أن يقال قنسرين الجنوبية تمييزاً لها عن قنسرين الشمالية التي كانت تعرف هي أيضاً في القديم باسم خلقيس (Chalcis) الشمال .
ويؤخذ على الأستاذ المؤلف إهماله تنظيم فهرس شامل للأمكنة ييسر على المراجع والباحث الاهتداء الى مطلبه .

نشكر للأستاذ المؤلف جهده الكبير ونود لو افتدى به العاملون في بقية المحافظات السورية وهم أعلم من غيرهم بشؤون محافظاتهم وأولى منهم بالبحث فيها .

جعفر الحسني

دمشق

ثلاثة علماء من شيوخ بني معروف

كتاب صفحته ١١٢ ، اخراج دار الفد للطباعة والنشر ببيروت ، سنة ١٩٥٧
مؤلف هذا الكتاب الأستاذ عارف أبو شقرا من أفاضل بني معروف الأدباء ،
فمن قبل قرأت له مجلتنا كتابه التاريخي الثمين وهو (كتاب الحركات في
لبنان الى عهد المتصرفية) ، أما في هذا الكتاب الذي يفيد المؤرخين وعلماء
الملل والفحل ، ويسد ثغرة في تاريخ أدبنا ، فقد بحث المؤلف عن ثلاثة من
شعراء بني معروف ، ومما هم علماء ، لأن الشعر في عصر ضعف العربية كان
من صنع الشيوخ في كثير من الأقطار العربية ، وهؤلاء الشعراء الثلاثة هم
الأمير سيف الدين التنوخي والشيخ يوسف الكفروقي والشيخ الفاضل محمداً بوهلال .
وفي المقدمة تكلم المؤلف عن شعر بني معروف وخصائصه ، وعن ازدهار
الأدب في العهد التنوخي بلبنان ، وعن التصوف المعروف الذي لم يمنع شيوخهم
أولي العاظم من قتال الفرنجة تحت راية صلاح الدين الأيوبي . وقد أيد
المصنف ذلك بكثير من الأدلة التاريخية . والمختارات الشعرية لا تخلو من
أغلاط عربية يغلب على الظن أنها من مسخ النسخ ، ولذلك حرص المؤلف على
تصحيح الشعر من الخطأ ، وعلى شرح الغامض منه ، فله أطيب الشاء على
ما يبذل في خدمة العلم من عناء .

التوضي

التقود والبنوك في البلاد العربية

«مصر والسودان»

محاضرات في مائة صفحة وصفتين ألقاها الدكتور مؤاد مرسي على قسم من
طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة

تبسط الدكتور المحاضر في محاضراته ، فبين أهداف النقد في العالم ، وعلاقته
بالاقتصاد الوطني ، وحالة النقد والاقتصاد في البلاد العربية ، وأوضح أن
الاقتصاد في البلاد العربية اقتصاد تابع ومتماثل ، وأن الطابع الزراعي هو الغالب
فيه ، وأنه لا يزال متأخراً ، والحق أن الاقتصاد العربي كان تابعاً ، ولكنه
اليوم قد بدأ يأخذ طريقه التحرري ، وأصبح حراً وموجهاً في وقت واحد في
كثير من الاقطار العربية ، وذلك لتأمين النهوض السريع .

ثم بين المحاضر مساحة الأراضي الزراعية في البلاد العربية ، وصافي انتاج
الغدان والفرد ، وقال : إن الاقطاعية في الأراضي العربية هي السائدة ، وإن
الملكيات الصغيرة في تدهور ، وإن الأراضي التي تروى بمياه الأنهر قليلة ،
بالنسبة الى الأراضي التي تنسى بمياه الأمطار ، والتي يجف محصولها في كثير
من السنين ، وهذا القول صحيح ، على أن الإقليم المصري قد حدد الملكية
الزراعية ، وستتعدد تدريجاً في كل البلاد العربية .

ثم بحث عن الصناعة في البلاد العربية ، وذكر أنها لا تزال هزيلة ، وأنها
لا تستخدم أكثر من ٤ - ٦ ٪ من مجموع السكان ، وأن تلك الصناعة بدأت
بالتقدم ، وقد يساعدها على التقدم وفرة اليد العاملة ، ويقصد بذلك أن كثرة
اليد العاملة تنخفض من أجور العمال ، وعندئذ تكون كلفة الانتاج زهيدة
بالنسبة الى الغرب ، وقوله هذا معقول ، على أن من واجب القائم على الصناعة
أن يحسن إدارة أعمالها .

ثم يبحث عن التدخل السيامي الغربي في الاقتصاد العربي ، عن طريق المصارف والنقل وغير ذلك ؛ وبين أن الأموال الأجنبية كانت مستنخرة بكثرة في عام ١٩٣٨ وما قبله ، وذكر مقدار الانتاج البترولي في البلاد العربية ، وتأثيره على الاقتصاد العربي ، وما هو الانتاج الهام في البلاد العربية ، وقيمة صادرات القمح ، وضعف التصدير ، وضآلة الادخار القومي ، وهذا القول ينطبق على البلاد العربية بصورة عامة ، ولكن صادرات اقليمي الجمهورية العربية قد تساوت تقريباً مع المستورد من الخارج ، والادخار في الاقليم المصري يسير سيراً مرضياً .

ثم خرج من هذا البحث الى بحث حالة النقود والمصارف في مصر والسودان وتاريخها وقال : إن النقود الورقية قد ظهرت في مصر لأول مرة في ابريل عام ١٨٩٩ ، وتعود الناس استعمالها تدريجياً . في عام ١٩١٦ انتقلت مصر رسمياً الى قاعدة المصرف بالاستراتيجي ، على انها قد اتخذت طريقها عام ١٩٢٩ في تحرير نقدها من الاسترليني ، وهو ما جعلها ترفع مقدار التغطية الذهبية من ٨٧٤ و ٦٣٧٥ جنيهًا في غاية عام ١٩٥٠ الى ٦٠٦ و ٦٠٥٥٣ جنيهًا في عام ١٩٥٢ ، وذلك ضروري لاستبقاء الثقة في النقد المتداول وإن يكن للنقد المتداول ضمانات تأتي عن تصدير السلع ، وهذه الضمانة هامة في الإقليم المصري .

وبين المحاضر أيضاً تاريخ المصارف في مصر ، فقال : إن المصرف المركزي قد أُنشئ عام ١٨٩٨ ، وكان هم الانكليز أن يجعلوه منافساً للبنوك التجارية ومسيطرًا عليها لمساعدتها . وودنا لو ان الدكتور مرسي خلص نظام ذلك المصرف وبين سيئات مواده . ثم قال : إن النقد السوداني الذي انفصل عن النقد المصري عام ١٨٨٥ قد عاد وارتبط به ، وأصبح التداول في السودان بالنقد المصري عام ١٨٩٩ . وذكر مقدار ودائع البنوك في مصر من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٢ ، وتجارة السودان مع مصر ومع الانكليز ، ومساحة الأراضي التي كانت تزرع قطناً في السودان من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٢٦ ، وكانت

تلك المساحة ٨٠٩.٣١ فداناً فارتفعت سنة ١٩٢٠ - ١٩٤١ الى ٢١٤٥ و٦٤٨ فداناً .
وقد كنت أتمنى أن يتوسع الدكتور في بحث أسباب تأخر التجارة بين مصر
والسودان ، وأسباب تقدمها بين السودان وانكثرة ، وأن يوضح أهم العوامل
التي أدت الى زيادة مساحة الأراضي المزروعة قطعاً في السودان ، وذلك لتعميم الفائدة .
وبعد لقد أجاد المحاضر الفاضل في محاضراته المفيدة .



البترول في البلاد العربية

محاضرات في ٢٦١ صفحة القاها الدكتور محمد جواد المبوسي
على قسم من طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة

أوضح الدكتور في تلك المحاضرات تاريخ امتيازات البترول في البلاد العربية ،
والتزام الانكليزي الفرنسي ثم الامريكى عليها ، وتكاليف الإنتاج ، بالنسبة
الى قيمة ما يستهلك في سبيله من البترول والفحم ، ومقدار البترول الاحتياطي
العربي الذي يقدر بمقدار ٦٥٤٤ مليون طن أي ٤٢٥ و٤٢ في المائة من مقدار
الاحتياطي في العالم البالغ ١٥٥٨٠ مليون طن ، ومقدار ما ينتجه كل قطر عربي
منه ، وذكر المحاضر الاتفاقات التي وضعت بين الأقطار العربية التي فيها بترول
والشركات المستثمرة له ، ودوافع الاحتكار الناتجة عن الحاجة والتجارة
والاستعمار ، وكيف أن الشركات كانت تتحدد الثمن لمصلحتها ، ولم تترك للدول
صاحبة البترول أي شأن في تقرير السياسة العامة للشركات .

وأوضح أيضاً تطور صناعة البترول وآثارها في الاقتصاد العربي ، ومتى وأين
بدأ البحث عن البترول العربي واستثماره ، والزيادة المضطردة في الإنتاج بسبب
الطلب العالمي عليه ، وذكر أن أنابيب البترول العراقية التي تتصل بالبحر المتوسط

تصب فيه ١٤ مليون طن سنوياً ، وأن أنابيب البترول السعودية تصب فيه أيضاً ١٥ مليون طن ، مع العلم بأن هذه الكمية هي دون نصف الإنتاج ، وأن ربح سورية ولبنان والأردن من البترول الذي يمر في أراضيها لا يزيد على مليون و ٨١٥ ألف دولار فقط .

ومما جاء في المحاضرات أن معامل التكرير في البلاد العربية تكرر ٣٢ و ٧ مليون طن مع أن الكميات المستهلكة في البلاد العربية المنتجة للبترول كانت عام ١٩٥٢ خمسة ملايين و ٧٢٠ ألف طن ، وهذا يعني أن الشركات المستثمرة تباع البترول المصنفي ، بكميات وافرة ، خارج البلاد العربية ، ولم يسه المحاضر عن ذكر أسواق البترول العربي الذي يصدر اليها ، وأرباح الشركات المستثمرة . ومما ذكره أيضاً ما تدفعه الشركات الى العمال العرب من الأجور ، وما تقدمه اليهم من المساعدات ، وقد كان من المفيد أن يبين ، عند ذكر ذلك ، نسبة ما تدفعه من الأجور وما تقدمه من المساعدات ، الى الربح الفاحش الذي تحصل عليه ، ذلك الربح الذي ضاع على حكومات البلاد المنتجة . وكانت أيضاً من المستحسن أن يبين القيود الاستعمارية التي تقيد بها الشركات وحكومات الشركات بلادنا العربية المنتجة وأضرارها على الأمة العربية .

وقد أحسن الدكتور العبومي في قوله : « فاذا لم تقم الأجيال الحاضرة في هذه الأقطار باعادة تكوين هذا العنصر المهم من عناصر رأسمال الأمة العربية ، طبقاً للمبدأ الذي جئنا في الاشارة اليه فانها تكون قد فرطت وأي تفريط في حقوق الأجيال التي ستقبلها الخ ٠٠٠ » (ص ٢٣١) .

وهذا لعمري قول حق ، وقد أصبح من الواجب على الأمة العربية أن تنظر نظرة جديدة الى هذا الموضوع الهام ، وأن تتخذ الوسائل المؤدية الى الاستفادة فائدة كبرى من هذه الثروة القومية العظيمة .

وأحسن الدكتور أيضاً في قوله : « انه يجب استخدام الدخول الناتجة عن البرول ، في تنمية القوى المنتجة في الأمة ، من مادية وبشرية ، تنمية تمكنها في المستقبل من تعويض النقص الذي يحدث في هذا المصدر عندما يبدأ بالتناقص ، أو عندما ينفد نهائياً (ص ٢٣٢) ، أو عندما تقوم الدورة مقامه » (ص ٢٣٢) .

وهذا رأي شديد ولا ريب ، يجب على كل الحكومات المنتجة أن تفتبه اليه ، لأن بقاء الأمة العربية فقيرة ، مع أنها تريد مجاراة العالم في الميدان الحضاري ، لا يجوز مطلقاً .

وفي الحق أن هذه المحاضرات قيمة ، وأن الدكتور قد صرف جهوداً طيبة في نهيتها .

منير الشريف

آراء وأبناء

مخطوطة جديدة من تاريخ داريا

أصدر المجمع العلمي العربي بدمشق ، عام ١٩٥٠ ، « تاريخ داريا » للقاضي عبد الجبار بن المهنا الخولاني ، المتوفى بعد سنة ٣٦٥ هـ ، بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني .

اعتمد المحقق في إخراج النص بومئذ على مخطوطة من الكتاب وجدت في المتحف البريطاني ، رقمها ٣٦١٦ . ومعلوم أن إخراج نص ما عن مخطوطة واحدة ، ليست بخط المؤلف ، ولا قرأها أو صححها من العلماء ممن يوثق به ، مغامرة لا تتخلو أحياناً كثيرة من الخطر ، ولا يسلم صاحبها من الزلل . لذلك فأت الأستاذ المحقق أشياء كثيرة ، رغم ما بذل من جهد مشكور في التحقيق .

وفي سنة ١٩٥٦ عثرنا في مكتبة جامع الزيتونة بتونس على مخطوطة جديدة من تاريخ داريا . فصورناها لمعهد المخطوطات العربية ، آمليين أن تتاح لنا الفرصة لمقابلة المطبوع بها . وبانتظار ذلك نوّهنها بها في كتابنا « المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة » عند الكلام على ابن المهنا .

ثم عكفنا على دراسة المخطوطة ومقابلة المطبوع بها . فوجدنا أنها مخطوطة عتيقة ، صحيحة ، نقلت من أصل عتيق جيد ، وأن النسخة من رواية ابن عساكر مؤرخ دمشق ، عن ابن الألففاني ، عن الكتاني ، عن ابن طوق الداراني الطبراني ، عن المؤلف القاضي عبد الجبار الخولاني .

وقد أثبت على النسخة سماعات كثيرة لعلماء أجلاء من علماء دمشق في القرن السادس والقرن السابع . وأقدم هذه السماعات سماع ابن عساكر على شيخه ابن الأوكفاني وهذا نصه :

« سمع جميعه مني الشيخ أبو القسم علي بن الحسن بن هبة الله بقراءته علي »
« من أصل سماعي . وكتبه هبة الله بن أحمد بن محمد الأوكفاني بخطه »
بدمشق في الحرم

« من سنة عشرين وخمس مائة لهجرة نبينا محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . »
فيكون ابن عساكر قرأ هذا الكتاب على شيخه وعمره احدى وعشرون سنة ،
لأنه وُلد سنة ٤٩٩ هـ .

وثمة سماعات كثيرة أخرى بعضها يخط البرزالي الاشبيلي (محمد بن يوسف بن محمد) وغيره ، في مسجد بني عبس ، ومسجد أبي سليمان الداراني بداريا ،
وجامع دمشق وغيرها .

وقد قوبلت هذه النسخة على أصلها . وأثبت في آخرها : « قوبل فصيح بصحة أصله . والله الحمد والمنة » .

ويجب أن نذكر أن في آخر النسخة أيضا زيادات ابن الأوكفاني على تاريخ داريا .
وعلى الجملة فإن هذه النسخة مما يطأن اليه من الناحية العلمية . فلما قابلنا المطبوع بها تبين لنا ما يلي :

- ١ - في المطبوع أسانيد محرقة ، سقط منها رواة كثيرون .
 - ٢ - وفيه نقص في الأحاديث والروايات .
 - ٣ - والنص فيه مضطرب غير مستقيم ، لا يتتابع الكلام فيه .
- ولن أذكر هنا الأسانيد المحرقة النافصة ، ولا الكلمات المصحفة ، فإن هذا يطول . وسأكتفي بذكر أمثلة عن النقص في النص ، وعن عدم استقامة الكلام فيه .

آ - النقص في الأحاديث والروايات

- ١ - في ص ٣٨ س ٦ وود في المطبوع ما يلي :
 سألتُ بعض ولد أبي ثعلبة قال : ناشر بن جرنوم .
 وجاء في المخطوطة التونسية :
 سألتُ بعض ولد أبي ثعلبة عن اسم أبي ثعلبة فقال : ناشر بن جرنوم .
- ٢ - في ص ٥٨ من المطبوع ما يلي :
 ... ومعه امرأته أم حرام .
 أنها سمعت رسول الله ... يقول :
 إن أول جيش بغزون من أمتي مدينة قيصر مغفور لهم . قالت أم حرام :
 وأنا منهم ؟ قال : لا .
 وجاء في المخطوطة التونسية ما يلي :
 قال عمير فحدثنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ... يقول : إن أول جيش
بغزون البحر قد أوجبوا . قالت أم حرام : يا رسول الله ! أنا منهم ؟ قال :
أنت منهم .
- ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول جيش من أمتي بغزون
 مدينة قيصر مغفور لهم . قالت أم حرام : وأنا منهم ؟ قال : لا .
 فانظر هذا النقص الكبير في المطبوع .
 وفي هذين المثالين كفاية .

ب - اضطراب النص

يبدو أن أصل المتحف البريطاني كان دشتاً ثم 'جمع' . ولم ترتب أوراقه
 كما ينبغي فجمعت دون تدبر النص ومتابعة الكلام . فما كان ينبغي أن يكون

في أول الكتاب جمل في آخره . وتنبه الأستاذ المحقق مرة الى عدم استقامة النص (انظر حاشية ص ٣٨) ولكن جهوده التي بذلها والمصادر المخطوطة والمطبوعة التي ذكر أنه رجع اليها لم توصله إلى النص الصحيح .
وها كم بعض الأمثلة :

أ - ص ٣٨ :

سألتُ بعض ولد أبي ثعلبة [عن امم أبي ثعلبة فقال] ناشر بن جرثوم .
ثم يلي ذلك في نسخة تونس :

أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر ، ثنا أبو زرعة قال : غزا أبو ثعلبة
القسطنطينية مع يزيد

وقيل إن أبا ثعلبة كان يسكن . . .

قال أبو علي : وأرى ولده انتقلوا . . .

هنا تنتهي ترجمة أبي ثعلبة . وليس صحيحاً ما ذكره المحقق أن في ص ٥٥
بقية حديث أبي ثعلبة .

يلي ذلك في التونسية :

ومن النساء بداريا هند الخولانية .

وقد جاء هذا النص في المطبوع في ص ١٠٢ بدلاً من أن يكون في ص ٣٨ .

ثم جاء : وأم مسلم .

وقد جاءت في ص ١٠٣ من المطبوع .

يلي ذلك في التونسية :

ذكر التابعين الأسكندر .

وقد جاء في ص ١٠٣ من المطبوع .

فما ورد في ص ١٠٢ ، ١٠٣ الى ص ١١٦ ينبغي أن يكون في ص ٣٨

وما بعدها .

٢- في ص ١١٥ - ١١٦ من المطبوع :

حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصي . ثنا كبير بن عبد (في التوسية :
عبيد) الله . . . ثنا بقة بن الوليد ، عن عبيد بن أبي | سليمان :

بعد كلمة أبي سقط في المطبوع . وقد اتصل السند بسند آخر .
في التوسية : . . . عن عبيد | بن أبي حكيم ، حدثني عطاء بن أبي مسلم
الخراساني . . . حدثني أبو ادريس قال : جئتُ الى حمص . . .

وهذا السند موجود في ص ٥٤ س ٧ من المطبوع . يبدأ من أبي حكيم ويستمر .

فما جاء في المطبوع في ص ١١٦ ينبغي أن يكون في ص ٥٤ .
وليس هنا مجال لسرد أمثلة أخرى لهذا الاضطراب في النص الذي نجده
في المطبوع . وهاذان المثالان بدلان أن النص المطبوع مشوش ، مضطرب ،
غير مستقيم . اختلطت أسانيده بعضها ببعض ، وكذلك دخلت الترجمات فيه
بعضها ببعض ، هذا عدا عن السقط والنقص من ناحية ، والتعريف والتصحيح
من ناحية ثانية .

ومن المؤكد بعد هذه الملاحظات ، أن تاريخ داريا المطبوع لا يمكن الاعتماد
عليه في دراسات علمية ، والمرجو أن يُعاد طبعه عن المخطوطة التونسية .

ولا حاجة الى القول أن هذه الملاحظات لا تقدرح في علم الأستاذ الجليل
الأفغاني ، فلقد بذل جهوداً كثيرة لتحقيق هذا النص الصغير . وتحقيق المخطوطات

بحر عبيد الغور لا يحيط به أحد .
صالح الدين المجد

من نواذر المخطوطات المغربية

الاستاذ عبد العزيز الميحي من أعضاء مجعنا الثقاف في الأدب ولغة العرب ، وسقط اللآي من مصنفاته من مراجع العلماء والأدباء . وهو كثير الرحلة في طلب العلم ، والبحث عن كنوز مخطوطاتنا العربية ، وفي زيارته الأخيرة لدمشق حرسها الله (سنة $\frac{1377}{1958}$) ، سألته في المجمع العلمي أن يحدثنا ببعض ما عثر عليه من نواذر مكنتات المغرب لتنظم لقراء مجلثنا من لآلئها سمطاً جديداً ، فبدأ بوصف نواذر من مكتبة الرباط العامة جلث اليها منذ نحو شهرين من خزانة الزاوية الناصرية بجمكروت منها :

١ - كتاب (حذف من نسب فريش) لمؤرخ السدومي نسخ سنة ٢٥٥ للهجرة ، وقد ذكره بعضهم بالقاف (حذف) ، ولكنه في هذه النسخة الجليلة القديمة بالقاف الواضحة ، وقد ذكر فيها بالقاف مرتين ، ولعل (حذف) بمعنى نبذة ، وهو معنى لم تثبته المعاجم .

٢ - مجلدة تشتمل على عشر رسائل نفيسة :

- الأولى منها : كتاب (الموجز) في النحو لأبي بكر بن السراج .
- والثانية : كتاب (الموفقي) لابن كيسان ، نسبة للموفقي بالله .
- والثالثة : كتاب (الكتاب) وهو مضبوط بتخفيف التاء ، لا (الكتاب) جمع كاتب كما نشرته البسوعية ببيروت ، ومعنى الكتاب هنا الكتابة ، وهو لابن درستويه أبي محمد عبد الله بن حفص .
- والرابعة : كتاب (النحو) مع زيادات لأبي علي لكره بضم اللام لا (لغده) كما هو مشهور به .

والخامسة : كتاب (المجاء) لابن السراج .

- والسادسة : كتاب (الباء في الهجاء) لابن درستويه .
 والسابعة : كتاب (المذكر والمؤنث) للمفضل بن سلمة .
 والثامنة : كتاب (المقصور والممدود) لأبي عمر الزاهد المطرزي علام ثعلب ،
 وهو محمد بن عبد الواحد .

- والتاسعة : كتاب (العروض) لابن السراج .
 والعاشرة : كتاب (القوافي) لأبي القاسم التميمي .
 ففي هذه المجموعة النفيسة ثلاثة كتب لأبي بكر بن السراج وهو محمد بن السري .

مكتبة جامع القرويين

وأما مكتبة جامع القرويين بفاس المحمية فننقشها :

- ١ - كتاب (المغازي) رواية يونس بن بكير عن محمد بن اسحق وغيره
 ولبس فيها منه إلا أربعة أجزاء الثاني والثالث والرابع والخامس ، وهي بنط
 النسخ على الورق لا الرق ، وفيها سماعات من القرن الخامس والسادس .
 ٢ - (كتاب السماء والعالم) لأبي عبد الله محمد بن أبان بن سيد النخعي
 القرطبي (- ٣٥٤) ومنه السفر الثالث وحده ، وهو قديم بال ، وكان هذا
 الكتاب الجليل في ١٠٠ جزء ، وهو أصل المخصص لابن سيده ، يكاد يكون
 قد نقله نقلاً ، وقيل بل صلحه صلحاً ، وتألف هذا الجزء الثالث من ١٧٢ ورقة ،
 والصفحة منها ٢٩ سطراً عريضاً ، فهو بقدر مجلدين ضخمة ، وهو منقول عن
 نسخة الحكم المستنصر تلميذ أبي علي القالي الذي طلب من المشرق لتعليقه .
 ٣ - (مختصر العين) : لأبي بكر الزبيدي الاشبيلي نقله عن نسخة أخيه
 أبي محمد بن السيد البطليومي وهي نسخة جلية على رق الغزال ، في مجلدة ضخمة .
 ٤ - كتاب (الألفاظ) لابن السكيت برواية ثعلب عنه ، وفي آخر الجزء
 الأول منه : قرأت جميع هذا السفر على أبي محمد بن السيد البطليومي رضي الله عنه

في منزله ببلنسية حرسها الله ، وكان الفراغ من قراءته سنة ٥١١ هـ ، والنسخة على رق ، ومثل هذا في آخر الجزء الثالث منه .

٥ - صبر ابراهيم بن محمد الفزاري : الجزء الثاني ، رواية ابن مروان على رق في ١٨ ورقة ، وعليه خط ابن بشكوال ، وكتبت نسخة هذا الجزء سنة ٢٧٠ هـ .

٦ - كتاب المسلسل (بمعنى المداخل) للتميحي أبي القاسم ، وهو مؤلف من ثمانى أوراق بخط الفازاري من وزراء الأندلس .

٧ - الكتيبة الكامنة في شعراء المئة الثامنة : في الأندلس للسان الدين ابن الخطيب وهي نسخة كاملة .

٨ - مختصر أبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهرري رواية أبي اسحق بن هند بن سعيد بن عثمان المدني ، وهو من فقه الموالك ، وفي آخره : وكتب حسين بن يوسف عبد الإمام الحكم المستنصر بالله سنة ٣٥٦ هـ .

٩ - المسائل والأجوبة لابن السيد أبي محمد البطليوسي مجلد مغربي مأكول .

١٠ - كتاب التاج للجاحظ مؤلف من ١٢ رقاً ، مما يدل على صحة نسبة التاج للجاحظ المطبوع بمصر .

مكاتب تونس

١ - ديوان النابغة الذبياني ، نسخة منه قديمة جداً بروايات أئمة اللغة ، في الأحمدية بتونس .

٢ - الذخيرة لابن بسام : المجلد الثاني منه ، وهي نسخة جليظة .

٣ - شرح حماسة الأعلام الشنتمري ، وعليه خط ابن دحية بالقراءة سنة ٥١٣ هـ .

٤ - كتاب (التيسير) لأبي عمرو الداني نسخة جليظة جداً ، وعليها خط

ابن سعادة .

- ٥ - نيل الابتهاج بشطريز الديباج للتفكيكي ، مسودة المؤلف أهداها للمعري صاحب نفح الطيب .
- ٦ - الباب لابن الأثير نسخة جليظة جداً عليها طرر لابن خلكان ، وللرضي الشاطبي (- ٦٨٤ هـ) . وقد طبعه القدسي بمصر .
- هذا ما نسقناه من الميجني الجهد من جواهر الأسفار النوادر ، وفي بلاد العرب المغربية من العقيدة الراسخة والعروبة الصادقة والألسنة الفصاح والمفردات الصحاح ، وفيها من نوادر المخطوطات التي لا تزال في شرقنا العربي مجهولة ، وفي خزائن مكاتب المغرب مدفونة ، فيها من ذلك ما يستهوي القلب والعقل ، ويحمل على الرحلة إليها ليطالع الخلف على تراث السلف ، فنحن الى اكتشاف الأسفار أحوج منا الى اكتشاف الآثار ، وجزى الله أخانا الميجني هذا المفتون بالعلم والأدب والعربية والعرب خير الجزاء .
- التوضي

نجعة الرائد

(أو نظرة على قصيدة العروس وأخواتها)

قرأت ما كتبه الأستاذ عبد العزيز الميجني جالياً^(١) عن « العروس » وباحثاً عن صاحبها « القناص » ، ولقد أجاد فأفاد . والعاجز لا يستنكف أن يعترف بقصور بابه ، أو أن يتراجع عما انتشر من نفثات بواعه ، فالحق أحق أن ينبع .

تعرض الأستاذ ببعض ما وقع في طبعته^(٢) غلطاً محرفاً ، فبين وجه الصواب واستمد في ذلك من نسخة دار الكتب وما نقلوه عن مختصر الطبقات للمبارك

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي . المجلد ٣٢ ص ٦٩٢ .

(٢) انظر الطرائف الادبية . مطبعة اللجنة . القاهرة ١٩٣٧ .

ابن أحمد . على أن ما بقي من هذا القليل أكبر وأكثر بالنسبة الى ما وفق لتصحيحه . وبعد أن فتح الباب لم يكن في ندحة من تصحيح أغاليط أنا ذاكرها فيما يلي ، إذ كان حقها أن تشطب في أول وهلة حتى يتم جلاء تلك « العروس » . وأعاذني الله من رمي الكلام على عواهنه فأقول :

- ١ - جاء في ص ١٠٣ : « أجش مغلنطق » البيت . وفي الشرح - « المغلنطق والمغلنطق والمغلنطق الممتلئ الكثير الماء من السحاب » - وكتب الأستاذ بالهامش - « الأولان لم يعرفا » - يعني « المغلنطق والمغلنطق » بالقاف . نعم لم يعرفها أصحاب المعاجم ، والأستاذ زعمهما صحيحين بالقاف ، والحجة في ذلك ما ورد في النسخ القديمة التي عول عليها ونوّه بها . والذي يراه العاجز أن الصواب بالقاف دون القاف ، وتلك النسخ مغلوطة . فقد ورد عند المجد^(١) في باب الفاء مانصه - « المغلنطق الشديد الظلمة كالمغلنطق » - ثم راجعت نسخة متأخرة^(٢) في خزانة المجمع الآسيادي بكلكنا فوجدت الكلمة فيها بالقاف ، وقد سقط منها « المغلنطق » .
- ٢ - وجاء في ص ١٠٥ في تفسير البيت ال ١٦ مانصه : « المراكولة نسخة العظيمة الوركين الضخمة العجيزة » - وكتب عن قوله « نسخة العظيمة » - بالهامش : « كذا ولعله الضخمة » - ولكنني أخاف أن تكون « نسخة » محرفة عن « الحسنة » إذ فسروا المراكولة بالحسنة الجسم أيضاً .
- ٣ - وقد ورد في شرح البيت السابق أيضاً - « والأشرة ماء الأسنان » وعلق عليه بما نصه - « كذا بالهاء ولا يعرف » - يعني الأشرة - والظاهر من صنيعه أنه أثبت بالهاء - وأخاف أن تكون علامة الإهمال زعمها الأستاذ هاء أو كتبها الناسخ هكذا فأخطأ وأوهم . وجاء في النسخة الآسيادية - « والأشرة ماء الأسنان » - بلا هاء وهو الصواب .

(١) راجع القاموس .

(٢) مخطوطة رقم A. 948 II

٤ - وجاء في ص ١٠٧ في شرح البيت ال ٣٤ - « يصف الحراس والحجب (?) والأستاذ يقول في التعليقة - « يريد الحجاب جمع حاجب البيت » - والظاهر أن الناسخ أخطأ في إسقاط التاء ، وفي النسخة الآتياوبة - « الحجة » - على الصواب .

٥ - وفي ص ١٠٩ :

« في قصرها غرف من تحتها سقف » البيت

وكتب الأستاذ عن سقف بضم السين والقاف مانصة - « جمع سقف عامية ، والمعروف سقوف » . فقد أغرب في ذلك إذ ورد في قراءة الجمهور : « سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ^(١) » - بضم السين والقاف ، وقد سارت تلك القراءة مسير الشمس ، ولئن كانت لغة القرآن عامية فأين الفصحى ؟ (وانظر : النشر للجزري ج ٢ ص ٣٦٩ وأي كتاب في التفسير واللغة) .

٦ - وفي ص ١١٢ ، في الشرح : « يعني القنان (كذا) والافداح » - وقال بالهامش - « يريد القناني » - ولا يخفى ان « القنان » بلا ياء من أغلاط الكتابة ولا بد من ردها الى الصواب وان تكتب بالياء .

وكان العاجز كتب في مقال نشرته مجلة « معارف » ^(٢) بأعظم كره أن الصواب « قواقزم » بالزاي (الطرائف : ص ١١٤ ب ٧٦ - « قواقزم ») . وكنت أنشأت مقالاً آخر طبع في مجلة « برهان » ^(٣) بدلهي ، يدور حول ما وقع في القسم الأول من الطرائف الأدبية من أوهام عن لي تصحيحها ولا بأس أن أذكر هنا طائفة منها ، والشئ بالشئ بذكره ، فانظروا الصفحات الآتية من الطرائف :

(١) سورة الزخرف ، الآية ٣٣

(٢) ج ٧١ عام ١٩٥١ م (دار المصنفين)

(٣) ج ٢٩ عام ١٩٥٢ م (ندوة المصنفين)

ص ١٥ - قوله :

وجاؤا بماء بارد وبفسلة فيالك من غسله سبتعه عبر
قال الأستاذ - «وعبر جمع عبرة أو بالفتح الدمع» - قلت الصواب «غير»
بالمعجمة كما ورد عند الشهرستاني في الملل^(١) والنحل والآلومي في بلوغ الأرب^(٢)
وهو المحفوظ في الرواية عند ابن حبيب وجاء بهامش الأصل من كتاب المحبر^(٣) له
- وهو أقدم المصادر - ما نصه - «جمع غبرة من التراب» - والأصل الذي
نقل عنه الأستاذ لا يخلو من نصحيح غير أن هذا التصحيح ليس بأقل إجابة
مما وقع للاصمعي في شعر^(٤) الخطيئة ولجابر بن هبة الله^(٥) القاضي في قول
الحريري في مقاماته .

ص ٢٦ - قال الأستاذ في ترجمة الشنفرى^١ - «وهو علم وقيل لقب»
- ثم نبه بالهامش على ما ورد في «الكنز المدفون» وهما أن اسمه «عمرو بن
براق» وقد غلط فيه العيني أيضاً كما غلط من زعم أن اسمه ثابت بن جابر
(انظر الخزانة : ج ٢ ص ١٦) . وما هو جدير بالذكر أن ابن السيد البطلومي
يقول : «اسمه عمرو بن عامر» (انظر الافتضاب : ص ٤١٧ بيروت) ويظهر
من سياق كلامه الجزم بذلك حتى أنه لا يلتفت الى قول آخر في الباب مع
خبرته الواسعة وإطلاعه الكبير، وقال ابن رشيق : «اسمه عامر بن عمرو الأزدي» -
(العمدة ج ١ ص ٢٩٩) .

(١) انظر ص ٤٤٣ طبعة لندن وهامش كتاب الفصل ج ٣ ص ٢٣٥ مصر .

(٢) انظر : ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٣) انظر ص ٣٢٠ طبعة دكن - الهند .

(٤) المزمع : ج ٢ ص ٢٢٣ . مصر .

(٥) راجع طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٩٦ .

ص ٣٤ - قوله : « عليه 'نساري' على خوط نبعة » - البيت .
 جاء فيما علق عليه الأستاذ - « 'نساري' من ريش نسري والكفي لم أجده في المعاجم » -
 قلت ورد في اللسان عن ابن الأعرابي - « من أسماء العقاب النسارية شُبِّتَ
 بالنسر » - (ج ٧ ص ٥٩) وهذا النص يزيد الأمر وضوحاً .

ص ٦٤ - قوله : « طاوية جنبي فراغ عثجل »
 وفي الشرح - « الفراغ حوض من آدم شبه جنبها به » - وقال الأستاذ في
 تعليقه - « قوله الفراغ حوض لا أعرفه . وفي مستدرك التاج الفراغ بالكسر
 ما علا من الأرض وارتفع وجمعه فرعة » .

لا أظن الأستاذ أن يقول « لا أعرفه » إلا بعد أن أفرغ جهده في البحث
 والتنقيب عن هذه الكلمة وكيف لا وهو يتجأ سباق غايات . ولو أنه تأمل لحمة
 واحدة في التطبيق بين الكلمة ومعناها الوارد في الشرح ، لسنح له أن المعنى
 يقتضي مادة تدل على معنى السعة والغلاء دون معنى الارتفاع والعلاء . وقد
 عن لي على هذا الوجه أن الحوض يؤول بمعناه إلى « الفراغ » بالعين المعجمة
 دون « الفراغ » بالعين ثم راجعت اللسان فأدهشني هذا النص عن الأصمعي :
 « الفراغ حوض من آدم واسع ضخم ، قال أبو النجم :

طاف به جنبي فراغ عثجل

وبقال عنى بالفراغ ضرعها أنه قد جف ما فيه من اللبن فتغضن » - (ج ١٠
 ص ٣٢٨ والتاج - ج ٦ ص ٢٦) والصواب أن تضبط الفاء بالكسر .
 ص ٨٢ - جاء في شرح البيت ال ٨ من لامية ابن الرقاق :

« قال أبو يوسف سمعت هشاماً المكفوف يحكي [عن] أبي عمرو عن
 الأصمعي (كذا) وكذلك الادواء مضمومة نحو النحاز والروداع والمكاع والقلاب ،
 قال أبو عمرو لا هو السواف بالفتح » .

نَبّه الأستاذ بالهامش على تصحيح العبارة وإصلاحها بمراجعة المعاجم . وانه
 لصحّح مفاريد مصحّفة « كالبحار والركاع » وما إليها . فردّها الى صورتها
 المحفوظة في الأصول اللغوية فاستحقّ منا جزيل الشكر وجميل الذكر ؛ إلا أنه
 زاد حرف « عن » بين القوسين المرّبين ، وبمجرد صنيعه هذا استفحل الأمر ،
 وحيث لم يبد له وجه الصواب زاد « كذا » بين القوسين . وإنما تنكشف هذه
 الغفلة بمراجعة اللسان إذ وردت فيه تلك العبارة بنصّها هكذا : قال ابن السكيت
 (وهو أبو يوسف) سمعت هشامًا المكفوف يقول لأبي عمرو أن الأصمعي
 يقول السواف بالضم ويقول الادواء كلها جاءت بالضم نحو النُحَاز والدكاع
 والزكام والقلاب والخمائل ، قال أبو عمرو لاهو السواف بالفتح « - (ج ١١ ص ٦٦) .
 فالظاهر أن يكون التصويب على هذا النقط « » يحكي لأبي عمرو
 عن الأصمعي [يقول السواف بالضم] وكذلك الادواء كلها « » .
 ثم بقي هناك ما يستحقّ النظر وذلك أن الأستاذ أثبت بالهامش تصحيفات
 الأصل ومن بينها « الركاع » فزعم أن الصواب « الرداع » وأرى « الدكاع »
 بالدال هو الصواب ، ولا يخفى ما بين الحرفين الدال والراء من الشبه في الخط .
 و « الدكاع » سعال يأخذ الأوبل (انظر اللسان ج ٩ / ٤٤٥) ويؤيدني ما حكاه
 صاحب اللسان عن ابن السكيت وقد مرّ .

ص ٩٩ - قوله « زناء الحاميين » - ضبطه الأستاذ بكسر الزاي والصواب
 أن يضبط بالفتح (انظر المعاجم) .

ص ١٠٠ - قوله : « مستضرع ما دنا منه من مكتنب » -
 وجاء في الشرح - « مكتنب » فهو ضارع والمكتنب الخاضع « -
 قلت : الصواب « مكنت » والاكتنات : الخضوع والرضى (راجع اللسان
 ج ١٠ ص ٩١ والتاج - ج ١ ص ٥٢٩) .
 وهذا آخر ما منع لي في الباب ، والله الموفق للصواب .

أبو محفوظ الكرمي معصومي

ملاحظات

على الجزء الثالث من كتاب الوافي بالوفيات
لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي
باعتناء الأستاذ (درينغ)

— ١ —

على اثر صدور هذا الجزء عام ١٩٥٣ طالعته ولاحظت عليه ملاحظات لم أرها
في جداول الخطأ والصواب المدرجة في آخر الكتاب . ولم أحاول يومذاك
نشرها ، بل اكتفيت بمرضاها على العالم المستشرق (هـ . رينر) الذي كان له
الفضل في التنويه بهذا التاريخ والترغيب في طبعه .

وقد رأيت الآن أن أبعث بهذه الملاحظات الى مجلة المجمع العلمي العربي ، فلعل
في نشرها فائدة للقراء .

ص ٩ :

وطال بنا حيناً ورق حديثنا ودارت علينا بالرحيق المرافف
وصوابه : (وطال تناجينا) .

ص ١٢ :

عن ان الأموات مروا وأبقوا غصصاً لا نسيغها الأحياء
وصوابه : (غير أن الأموات) .

ص ١٢ :

إنما نحن بين ظفر وناب من خطوط أسودهن ضراء
ولعله : (أسودهن جراء) جمع جرو^(١) .

(١) لعل الأصح ضراء كما وردت في الأصل ، وهي جمع يثرو بالكسر وهو الكتاب
الضاري ويجمع على ضراء . (لجنة اللغة)

ص ٣١ : لهذا يرجع عن مثلك بالمدحة مثلي ، والصواب : (فلذا يرجع) .
 ص ٥٠ : وكما تنهى الإنسان له في المطعم وتأنف ، ولعله : (وتأنق) بالقاف .
 ص ٥٢ : (ويحتاجون الى عصي) وقد وضعت ضمة على العين ، والصواب :
 كسر العين .

ص ٥٤ : وقد صلبوا ابن الكازروني وفي حلقه جرة خمر ، وأظن أن
 الجرة في عنقه لا في حلقه .

ص ٦٤ : ورسائل الاسطرلاب ، لعلها : (ووسائل الاسطرلاب) .
 ص ٦٩ :

حسام لابن رائق المرجي حسام التقي أيام صالا
 ولعلها : (أبان صالا) .

ص ٨٢ :

وأنت بعدها قوارع أخرى خضعت أنفك لما حين حلت
 وتلتها قوارع باقيات صممت بعدها الحياة وملت
 ووضعت ضمة على ثاء الحياة ، والأولى أن تكون منصوبة ، ويعود الضمير في
 صممت الى الأنف في البيت الأول .

ص ٨٩ : في ترجمة محمد بن سعد الديباجي المروزي أنه توفي سنة تسع
 وست مائة بعثة بابه فسقط على وجهه ، ولعل العبارة : (عثر بعثة بابه) .
 ص ٩١ :

إذا ارتضت في علم فضنه عن الورى لأنك قبل الخدق في الناس نابغا
 ولعل الأولى : (ولا تك قبل الخدق) .

ص ٩٢ :

اسمع نصيحة من أوليته نما يخاف كفرانها ان كف أو مترك
 والله لا امتد ملك مد مالكة على رعبته في طله شبكا

هكذا وردت كف وترك بالبناء للمجهول . ووردت طله بالطاء وبالفنح .
ولعل الصواب : بناء كف وترك للمعلوم بمعنى ترك النصيحة ، وبـ (ظله) بالطاء .
ص ٩٥ :

أما ترى الفضل يستدعي برفقه حث الكؤوس وينهي عهد فاجره
والصواب : أما ترى الفصل بالصاد . ولعلها من خطأ المطبعة .
ص ١٠٢ : ورد في ترجمة ابن الديلمي العبارة الآتية : (وله نظم وكان (له)
من أعيان المعدلين والعدالة ببغداد منصب كالفضاء) . وقد زاد الناشر كلمة له
ليستقيم المعنى . وأرى أن المعنى يستقيم دون هذه الزيادة ، على أن تقرأ العبارة
بمحيط بوقف عند كلمة المعدلين ، ثم يستأنف الكلام : والعدالة ببغداد الخ .
ص ١٠٥ : ورد في ترجمة صاحب شمس الدين الجزري ما يأتي : واجتهد
في تحصيل العلوم فاحظاه ذلك بأن كان من أئمة عصره . وعلق علي كلمة احظاه
بأنها في الأصل (احضاه) ؛ وأحضاه واحظاه كلاهما صحيح . وقد ورد في
ترجمة ابن الأعرابي في الكتاب نفسه ص ٨٠ انه كان يقول : يجوز في كلام
العرب أن يعاقبوا بين الضاد والطاء ، فلا يخطئ من يجعل هذه موضع هذه ،
وينشد قول الشاعر بالضاد :

الى الله أشكو من خايل أوده يث خلالاً كلها لي غايض
ص ١٠٩ :

تُشخّصُ أبصارهم نحوها بشبهة تنبها زفرة
بناء تشخص للمجهول في حين ينبغي أن يكون للمعلوم من باب منع .
ص ١١٥ س ١ : قدامة بن مطعون : مكان مظعون بالطاء المعجمة .
رسدي الحكيم (يقبع)

نصف الهنيدة لا الهنيدة

قرأت في الجزء الثالث من المجلد الثالث والثلاثين لهذه المجلة الغراء ما علق به الأستاذ رشدي الحكيم على هذا البيت من شعر الأمير ابن أبي حصينة ،
الوارد في ديوانه الذي حققه الدكتور محمد أسعد طلس ، وهذا هو البيت
كما ورد في الديوان والمجلة :

أيها القلب لم بدع لك في وصل العذاري نصف الهيدة عذرا
ونص التعليق : « وقد وضع (يعني المحقق) في آخر البيت أداة استفهام ،
وأقول : لعله النصف بفتح النون من تنصف الشيب إذا كان هو والسواد نصفين .
والهيدة حب الخنظل كناية عن الشيب » .

وعلمت لجنة المجلة بدورها على العبارة الأخيرة من كلام الأستاذ الحكيم
بهذه الجملة : « لم نجد هذه الكناية في كتاب ، ويظل المعنى غامضاً » .
والواقع ، أن الكناية بحب الخنظل عن الشيب غريبة ، لم يستعملها أحد ،
ولذلك لم نجد لها اللجنة في كتاب . فعلامة الاستفهام ما تزال موضوعة بأزاء البيت .
والصواب بقاء النصف كما ضبطه المحقق بكسر النون وتصحيح الهيدة بالهنيدة ،
فإنها مصحفة عنها قطعاً .

والهنيدة كما لا يخفى اسم للمائة من الإبل . قال جرير :
أعطوا هنيذة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا صرف
وفي الشمسية :

من بعد ما كانت هنيذة غدت أكثر من ذود ودوت شقق
يصف إبل الأجابة بعد طول السرى ، واعتساف الحادي بها ، بأنها كانت
مائة ، فصارت أكثر من ذود أي عشرة ، وأقل من شقق أي عشرين .

وعند أبي عبيدة أن هنيذة اسم لكل مائة ، من الإبل وغيرها ، وحجته قول سلمة بن الحرشب الأنماري :

ونصر بن دهمان الهنيذة عاشها وتسعين عاماً ثم قُوم فانصابتا وأنشدته الزمخشري : وخمسين ، وجعله من المجاز .

وعلى كل حال ، فنصف الهنيذة في بيت صاحبنا ابن أبي حصينة ، معناه : خمسون سنة ، وهي التي لم تدع له عذراً في وصل العذاري ، على حد قول عمر رضي الله عنه : (إذا بلغ الرجل الستين فأباه وإبأ الشواب) .

وبهذا يتضح معناه ، ولا يبقى فيه غموض ، وهو معنى جميل جداً ، وبما زاد في جماله هذا الجناس بين كلمتي العذاري وعذرا ، وهو جناس شبه الاشتقاق . والله أعلم .

عبد الله كنون



حول كلمة (كُردِنت) الواردة

في ديوان ابن الخياط

جاء في ديوان ابن الخياط الذي حققه العلامة رئيس المجمع ونشره حديثاً في ص ٢٨٦ ، س ٦ هذا البيت :

ومن دجاجات اذا ما كُردِنت كأنما شك فؤادي شيشها
وقيل في الحاشية ٦ : يريد بكردنت ذبحت . يقال أخذ بكردنه وقردنه أي قفاه . انتهى .

أقول : كان الأصح أن يقال : كردنت عملت كردناجاً . والكردناج بفتح الكاف واسكان الراء وكسر الدال معرب كردنا الفارسية . وهذه بكاف فارسية ودال مفتوحة . وكلمة كردناج فانت المؤلفين الذين قصدوا لجمع الكلمات الالعمجية المعربة كالمخفاجي في شفاء الطليل في ما في كلام العرب من الدخيل ، والجوابي في المعرب من الكلام الأتجمي ، وادي شير في الألفاظ الفارسية المعربة . ذكرها المعجم المسمى (تبيان نافع در ترجمه برهان قاطع) . الأصل

معجم فارسي ترجمه الى التركية أحمد عاصم العيفناي وطبع في المطبعة العامرة في الآستانة سنة ١٢٨٧ هـ في مجلدين . جاء فيه : كردناج معرب كردنا . وجاء في كردنا : بمعنى الشيش والسيخ وبمعنى كردان المذكورة قبلاً . وقال سيف مادة كردان ما تعريبه : نوع من الشواء وهو أن يسلق الطير أو اللحم أو غيرهما جيداً في الماء الحار ثم يحشى ويشك بالسفود ويشوى ، وهو الذي يقال له چورمه كباب . (أي الشواء المدار) .

وجاء في كتاب بحر الجواهر لمحمد بن يوسف الهروي المطبوع على الحجر بالمطبعة النامية بلكنو (بلدة في الهند) ص ٢٢٧ : كردناج بالفتح وقيل كردناك ، قال بعض الأطباء هو اللحم الذي يشك بسفود وبدار على الجرج حتى ينضج . قال السديدي : هو أن يطبخ الفروج بعض الطبخ ثم يؤخذ ويشوى على النار ويكون في داخله أبازير . وكذلك النواض والمصافير .

حول كلمة (مياجين)

في الجزء ٣ من المجلد ٣٣ ، ص ٤٧٣ ، س ٢١ وردت كلمة مياجين ، وقال فيها الناقد : «ربما كانت مناجين جمع منجنون وهو الدولاب» . - أرى أن مياجين صحيحة وهي جمع مينة بالكسر . والمينة مطرفة خشب أكثر من يستعملها أهل البادية بدقون بها أوتاد خيمهم . جاء ذكرها في ناز العروس في مادة جنين وفي مادة وجن وسماها مدقة القصار . وقال : وجن الوند دقه .

الدكتور داود الجلي

غلط مطبعي

وردت في الصفحة ٥٥٦ السطر ١١ من هذا المجلد جملة «منذ ثلاثين سنة ونيفاً» غلطاً صوابه «منذ ثلاثين سنة ونيف» .

الفهرس العام

لمواد المجلد الثالث والثلاثين

منسوقاً على حروف الهجاء

أعضاء المجمع العلمي العربي العاملون

لعام ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م : ١٥٧

أعضاء المجمع العلمي العربي المرسلون

لعام ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م : ١٥٧

انتخاب رئيس المجمع العلمي العربي: ١٥٦

أ . أيفيكين برنلز (وفاته) : ١٦٢

(ب)

البتول في البلاد العربية (كتاب) :

٦٧٥

بدء الأدب الحديث : ٢٠٤

برنلز أ . أيفيكين (وفاته) : ١٦٢

(ت)

تاريخ الأمة العربية عصر الانشقاق

(كتاب) : ٤٩٨

تاريخ داريا (مخطوطة جديدة) : ٦٧٨

تاريخ العراق بين احتلالين - العهد

العثماني الأخير (كتاب) : ٣٣٥

(أ)

ابن أبي حصينة (ديوان) الجزء

الأول : ٤٦٧

ابن الخطاط : ٣٥٣ ٤ ٥٢٩

ابن سينا الشاعر : ١٦٩

الاتجاه القومي في التربية العربية : ٢٣٨

الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام

(كتاب) : ٦٦١

إدارة الناس فن (كتاب) : ٤٩١

آراء وأبناء : ١٥٦ ٤ ٣٣٦ ٥٠٥

٦٧٨

الارشاد الزراعي (كتاب) : ٤٩٣

استدراك : ٥٢٧

اشتقاق الكلمة الانكليزية coffin : ٣٤٦

أصول ألفاظ اللهجة العراقية : ٤٩٦

أعيان ليبية : ٣٤٩

الأغزاز وابن اللونقة : ٥٢٥

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون : ١٥٩

(د)	تحقيقات حول نقد الغزالي (٤) : ٣٩٠
دانتي والاسلام : ٣٦	التربية السياسية (كتاب) : ٤٩٧
الدورة الرابعة لمؤتمر مجمع اللغة العربية :	تصويبات : ٥٢٧
٣٣٩	تطور صناعة الزيت في الشرق الأوسط
دوسو ربنه (وفاته) : ٥٠٨	(كتاب) : ٤٨٨
ديوان الأمير ابن أبي حصينة (١)	تفسير محاسن التأويل (كتاب) : ٦٥٧
(كتاب) : ٤٦٧	تقارير الأمم المتحدة (كتاب) : ٤٩٠
ديوان عدي بن الرقاع العاملي : ٥٢٠	(ث)
(ر)	ثلاثة أزهار في معرفة البحار (كتاب) :
رسالة الففران لأبي العلاء المعري (٢)	١٣٩
(كتاب) : ١٤٦	ثلاثة علماء من شيوخ بني معروف
الريف السوري (٢) (كتاب) :	(كتاب) : ٦٧٢
٦٦٩	(ج)
ربنه دوسو (وفاته) : ٥٠٨	جملة من المطلحات البحرية : ٥٢٣
(س)	جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام : ٣
سماع لصالح الدين خليل بن ابيك	(ح)
الصفدي بخطه : ٥١٧	حول كلمة (كردنت) : ٦٩٦
(ش)	حول كلمة (مياجين) : ٦٩٧
شرح قانون أصول المرافعات المدنية	(خ)
والتجارية (كتاب) : ٣٢٩	خريدة القصر وخريدة العصر (١ و ٢)
شريعة حمورابي (كتاب) : ٦٦٧	(ديوان) : ٣١٢ ، ١٢٤

العربية والمجمع العلمي العربي : ٥٠٥

القومية وعواملها : ٣٧٠

قياسية فعل المرض : ٥١١

(ك)

كتاب النفس لابن باجة الأندلسي

(١ و ٢ و ٣) : ٤٢٤ ، ٢٧٨ ، ٩٦

كردنت (كلمة) : ٦٩٦

كلمات مولدة مشهورة في كتاب «قوانين

الدواوين» لابن مئاني : ٥٥٦

(م)

ماذا حدث في التاريخ (كتاب) :

٥٠٠

ما سمعت وما رأيت في بلاد السوفيت

(٤ و ٥ و ٦) : ٤١٨ ، ٣٧٠ ، ٨٠

مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي العربي :

٥٠٥

مجموعة خطب الرئيس شكري القونلي

(كتاب) : ١٥٥

مجموعة الوثائق الفاطمية الجزء الأول

(كتاب) : ٦٦٦

محاضرات عن شعر الحماسة والعروية في

ديار الشام (كتاب) : ٦٦٣

(ض)

ضوء جديد على دانتلي والإسلام : ٣٦

(ط)

الطريق إلى مكة (كتاب) : ٤٨٤

(ع)

عادل زعيتر (وفاته) : ١٦٥

العقل والنقل عند الإمام ابن تيمية

(٢) : ٥٦

عدي بن الرفاع العاملي (ديوان) :

٥٢٠

العلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية

والآرامية «السريانية» : ٥٦٨

(غ)

الغرب العربي (كتاب) : ٤٩٧

القصص الياقة (كتاب) : ٣٠٣

غلط مطبعي : ٦٩٧

(ف)

فيا فقيه العرب (كتاب) : ٤٤٣

٦٢٣

الفواهي : ١٧٥

(ق)

قرار وزاري في الصلة بين مجمع اللغة

مؤتمر مجمع اللغة العربية (الدورة الرابعة):	محاضرات في الاعتبار (كتاب) :
٣٣٩	٣٣٣
مياجين (كلمة) : ٦٩٧	محمد الخضر حسين (وفاته) : ٣٣٦
(ن)	مخطوطة جديدة من تاريخ داريا : ٦٧٨
نجمة الرائد : ٦٨٦	المدرسة الاسعدية (٢٠١) : ٤٠١
نصف المنيدة لا الهيدة : ٦٩٥	٥٨٨
النفس لابن باجة الأندلسي (٢٠١)	مرسوم مملوكي شريف : ٢٥٩
و (٣) : ٩٦ ٤ ٢٧٨ ٤ ٤٢٤	مصطلحات الاجتماعيات النباتية : ٢١
٦٠٩	معجم أمثال الموصل (كتاب) : ٥٠٢
النقل في البلاد العربية (كتاب) : ٤٩٥	المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي
النقود والبنوك في البلاد العربية	(كتاب) : ١١٢
(كتاب) : ٦٧٣	مقدمة ابن خلدون (٢) كتاب : ١٣٥
الوافي بالوفيات (١) (ملاحظات) :	ملاحظات على الجزء الثالث من كتاب
٦٩٢	الوافي بالوفيات (١) : ٦٩٢
(ي)	من نوادر المخطوطات المغربية : ٦٨٣
بنايع المعرفة عند ابن سينا :	مؤتمر الأدباء العرب : ١٦٧
٢١٣	مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ (كتاب) :
	٤٩٤

فهرس الأعلام

أي أسماء كتآب المقالات المنشورة في هذا المجلد
منسوقاً على حروف الهجاء

(أ)	(د)
أبو محفوظ الكرم معصومي : ٦٨٦	داود الجلي : ٦٩٦ ٦ ٦٩٧
الأخطل : ١٧٧	(ر)
(ج)	راتب النفاخ : ١٤٦
جعفر الحسني : ٣٣٥ ٣٣٣ ٣١٥٥	رشيدي الحكيم : ٤٦٧ ٣ ٦٩٢
٤٠١ ٤٩٨ ٥٠٠ ٥٨٨	(س)
٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٩	سامي الدهان : ١٦٧
جميل صليبا : ٢٣٨	(ش)
(ح)	شتولنس (كارل) : ٣٤٦
حسني صبح : ٨٠ ٢٧٠ ٤١٨	شفيق جبيري : ٢٠٤ ٦ ٦٦١
حسين علي محفوظ : ٤٤٣ ٦ ١٦٩	(ص)
٥٢٠ ٦٣٣	صلاح الدين النجد : ٢٥٩ ٦ ٦٧٨
حكمة هاشم : ٣٩٠	(ع)
(خ)	عارف أبوشقرا : ١٧٥
خليل مردم بك : ١٧٧٦٣ ٣٥٣	عارف النكدي : ١٣٥
٥٢٩	عبد الله كنون : ١١٢ ٣ ٣٠٢
	٥٢٥ ٦٩٥

(م)	عبد الهادي هاشم : ٦٦٣
محمد بهجة البيطار : ٤٨٤ ٦ ٥٦	عدنان الخطيب : ٣٢٩
٦٥٧	(ع)
محمد صفيح حسن المصومي : ٦ ٩٦	عز الدين التتوخي : ٦٨٣ ٦٧٢
٦٠٩ ٤ ٤٢٤ ٤ ٢٧٨	عزلة النص : ١٣٩
محمد ظهير جبران : ٥٠٢	علي الفقيه حسن : ٣٤٩
مصطفى جواد : ٣١٢ ٦ ١٢٤	(غ)
مصطفى الشهابي : ٦ ٢١ ٣٣٩ ٤ ٣٧٠	غابريلي (فرنسكو) : ٣٦
٤٨٨ ٤ ٤٩٠ ٤ ٤٩١ ٤ ٤٩٣	غريغور بوس بولس بهنام : ٢١٣
٤٩٤ ٤ ٤٩٥ ٦ ٤٩٦ ٤ ٤٩٧	٥٦٨
٥٥٦ ٦ ٥١١	(ف)
منير الشريف : ٦٧٣ ٦ ٦٧٥	فرنسكو غابريلي : ٣٦
مومن الخوري : ٣٦	(ك)
	كارل شتولنس : ٣٤٦

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين

صفحة

٥٢٩	ابن الحياض (٢)	للأستاذ خليل مرهم بك . . .
٥٥٦	كلمات مولدة مشهورة في كتاب «قوانين الدواوين» لابن تمالي	للأمير مصطفى الشهابي . . .
٥٦٨	العلاقات الجوهرية بين الفتن العربية والارامية «المرائية» (١)	للطهران غرينوريوس يولس بهنام . . .
٥٨٨	المدرسة الإسمردي (٢)	للأمير جعفر الحسني . . .
٦٠٩	كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٤)	للدكتور محمد صغير حسن المصري . . .
٦٣٣	كتاب نكتا فقه العرب (٢)	للدكتور حسين علي محفوظ . . .

التعريف والنقد

٦٥٧	تفسير محاسن التأويل	للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .
٦٦١	الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام	للأستاذ شفيق جبري . . .
٦٦٣	محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة في ديار الشام	للأستاذ عبد الهادي هاشم . . .
٦٦٦	مجموعة الوثائق الفاطمية (المجلد الأول)	للأمير جعفر الحسني . . .
٦٦٧	شريعة حوراني	
٦٦٩	الريف السوري (الجزء الثاني)	
٦٧٢	ثلاثة علماء من شبوح بني معروف	للأستاذ عز الدين التتوخي . . .
٦٧٣	التعود والبنوك في البلاد العربية	للأستاذ منير الشريف . . .
٦٧٥	البتروك في البلاد العربية	

آراء وأنباء

٦٧٨	مخطوطة جديدة من قانون داريا	للدكتور صلاح الدين المنجد . . .
٦٨٣	من نوادر المخطوطات المغربية	للأستاذ عز الدين التتوخي . . .
٦٨٦	نجمة الرائد	للأستاذ أبي محفوظ الكريم معصومي . . .
٦٩٢	ملاحظات على الجزء الثالث من كتاب الوافي بالوفيات (١)	للأستاذ رشدي الحكيم . . .
٦٩٥	نصف المنية لا الهسيدي	للأستاذ عبد الله ككون . . .
٦٩٦	حول كلمة (كردت)	للدكتور داود الجلي . . .
٦٩٧	حول كلمة (مياجين)	للدكتور داود الجلي . . .
٦٩٧	غلط مطبعي	
٦٩٨	الفهرس العام لمواد المجلد الثالث والثلاثين	
٧٠٢	فهرس الأعلام (أي أسماء كتاب المقالات المنشورة في المجلد الثالث والثلاثين)	

مطبوعات
المجمع العلمي العربي

تطلب من المكتبة العربية في دمشق
لأصحابها عبيد أخوان

مُطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ

الرقم

ق.س.

- | | | |
|------|--|-----|
| ١ × | محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول) | ٥٥٥ |
| — | محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني) | ٨٥٥ |
| — | محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث) | ٨٥٥ |
| ٢ × | نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث | ٥٥٥ |
| — | نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث | ١٥٥ |
| ٣ — | رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي | ٥٥٥ |
| ٤ × | المهرجان الأنفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك | ٥٥٥ |
| ٥ × | تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي | ٥٥٥ |
| ٦ — | الاستبصار من فعّلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق
الأستاذ محمد كرد علي | ٤٥٥ |
| ٧ × | كتاب الاشرية لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي | ٥٥٥ |
| ٨ — | البزرة لبازبار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي | ٣٥٥ |
| ٩ — | غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي | ٤٥٥ |
| ١٠ — | كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي | ٦٥٥ |
| ١١ × | ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ . ف . جبريالي
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك | ٥٥٥ |
| ١٢ × | ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك | ٥٥٥ |
| ١٣ — | ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكمّله الأستاذ خليل مردم بك | ٦٥٥ |

× اشارة إلى ان هذا الكتاب قد نفد .

ق.س.	الرقم	مطبوعات المجمع العلمي العربي	٣
٧٥٠	١٤	ديوان ابن حيثوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك	
٧٥٠		— ديوان ابن حيثوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك	
٨٥٠	١٥	— ديوان ابن الخياط : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك	
١٢٥٠	١٦	— المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني	
١٥٠٠		— المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني	
١٢٥٠	١٧	— الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا	
٧٥٠		— الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا	
١٢٥٠	١٨ x	— فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه الدكتور يوسف العش	
٧٥٠	١٩	— ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان	
٢٠٠٠	٢٠	— تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلد الأول) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	
١٠٠٠		— تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلد الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	
٣٥٠	٢١	— فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	
٤٣٠	٢٢	— أمراء دمشق في الاسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	
٧٠٠	٢٣	— فضاء دمشق لشمس الدين ابن طولون : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	
١٧٥	٢٤	— الزيارات بدمشق للأقاضي محمود العدوي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	
٤٠٠	٢٥	— طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. صترصتين .	